الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة منتوري – قسنطينة

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية

قسم التاريخ و الآثار

الأوضاع الإجتماعية و الإقتصادية لبلاد المغرب اثناء الإحتلال البيزنطي

أطروحة دكتوراه دولة في تاريخ و آثار المغرب القديم

تقديم: | تحت إشراف:

يوسف عيبش | **أ.د. محمد البشير شنيتي**

السنة الدراسية : 2006-2007

الإهداء

مقدمة

مدخل: أوضاع المغرب عشية الاحتلال البيزنطي

القسم الأول:

الفصل الأول : الإدارة البيزنطية ببلاد المغرب

أولا: الجغرافية التاريخية لبلاد المغرب عشية الاحتلال البيزنطي

ثانيا : التقسيم البيزنطي للمقاطعة الإفريقية.

- الولاية البروقنصلية
- ولاية المزاق
- الولايةالطرابلسية:
- ولاية نوميديا:
- ولايتي موريطانيا
  - موريطانيا السطائفية
  - ولاية موريطانيا القيصرية:

ثالثا : التنظيم الإداري للمقاطعة الإفريقية

- الإدارة المدنية
- الادارة العسكرية
- تنظيم وحدات الجيش

رابعا : الخريطة الجغرافية للمنشآت العسكرية

- الظروف التاريخية للسياسة التحصينية في المغرب:
- الجيش البيزنطي وسياسة التحصينات البيزنطية:

خامسا :

- الأرخونية
- الخريطة الإدارية حسب جورج القبرصي

الفصل الثاني: الأوضاع الاجتماعية

مقدمة : عن أي مجتمع نتحدث؟

أولا :التشريعات الإمبراطورية الخاصة بالحياة الاجتماعية:

- وضعية الأرض

- وضعية المعمرين
- وضعية النساء الونداليات
- وضعية هجرة طبقة الأعيان من المناصب المحلية

ثانيا: ما طبيعة المجتمع الذي وجده البيزنطيون بعد انهيار الوندال

ثالثا: التحولات العمرانية : بين الريف والمدينة

- ظاهرة تمسيح المدينة:
- ظاهرة تريبف المدينة
- ظاهرة عسكرة المدينة

رابعا :طبقات المجتمع الإفريقي خلال فترة لاحتلال البيزنطي

- الطبقة الأرستوقراطية
- طبقة الملاكين الكبار .
- الطبقة العامة:
  - o الفئات الريفية:
  - o الفئات الوسطى "الحضرية"
  - o الفئات الفقيرة:
- العبيد:

خامسا : مظاهر أخرى

- المسكن والحياة اليومية:
- القرن السادس
- المجتمع الموري:

الفصل الثالث: الأوضاع الدينية

أولا : المسيحية الإفريقية

- الكنيسة الإفريقية خلال فترة الاحتلال الوندالي
- الوضعية الإدارية للكنيسة الافريقية في بداية الفترة البيزنطية
- الانتصارات البيزنطية و انعكاسها على الكنيسة:
- الجغرافية الدينية للكنيسة الافريقية
- المجامع الدينية للكنيسة الإفريقية
- أزمة الفصول الثلاث

ثانيا : الكنيسة الإفريقية و التحولات العمرانية :

- ظاهرة تبجيل القديسين:

ثالثا : علاقة الكنيسة الإفريقية مع المحيط الخارجي:

- جريجوار الكبير و الكنيسة الإفريقية
- الحركة الدوناتية:

رابعا: الكنيسة الإفريقية و طبيعة المسيح:

- الأزمة المونوفيزيتية:
- الازمة المونوليتية
- المناظرة الدينية سنة 645
- المحاكمة القضائية التي نظمت بالقسطنطينية سنة 654

خامسا: الأوضاع الدينية للمجتمع الموري

- الوثنية المورية:
- اليهودية المورية:
- المسيحية المورية:

الفصل الرابع : الأوضاع المادية

أولا : المصادر:

- الشواهد المادية :
- التقارير الأثرية:
- الحفريات:
- النقائش الأثرية
- الفخار و استعمالاته

أنواع الفخار

1. السيجيلي الافريقية
2. المصابيح :
3. الفخاريات العادية:
4. الفخاريات المشكلة
5. الجرار

- العملة و النقود

1. حركية العملة في داخل بلاد المغرب
2. حركية العملة خارج بلاد المغرب

- الضرائب :
- العمران:

1. العمارة العسكرية:
2. العمارة الدينية:

- الملكيات العقارية خلال الفترة البيزنطية:

1. ألواح ألبرتيني:
2. المرسوم الجستنياني 552
3. الأبيقاس عند بروكوب:
4. نقيشة لاماسبا:

- الموانئ:
- الأسواق:
- الإنتاج الفلاحي:

الفصل الخامس : المجتمع الموري

- **أولا : المور و مصادر القرن السادس الميلادي:**
  - قائمة كوريبوس
  - بروكوب
  - المصادر المسيحية:
  - المصادر الأثرية:

التوزيع الجغرافي للقبائل المورية

الخلفية التاريخية للكيانات المورية

ثانيا : التطور السياسي للكيانات المورية

- القبائل الصحراوية الطرابلسية

الحرب المورية الكبري544-548

- إمارتي المزاق

الأمير كوتزيناس

- مملكة الاوراس

يابداس و الشخصيات الأميرية بالأوراس:

- المملكة الموريطانية

مملكة ماسونا، مازونا، ماسوناس

ثالثا: التركيبة الاجتماعية للمور

- التنظيم القبلي و منطق الإمارة أو المملكة:
- العلاقة بالأرض
- المنطق الوراثي
- المرأة

رابعا: المور و النظريات التاريخية:

- أطروحة الهجرة المشرقية:
- أطروحة يوغرطة الأبدي:
- أطروحة الداخل و الخارج

خامسا: المعتقدات المورية:

أ: الوثنية:

-نموذج القبائل الطرابلسية:

- مكانة الثور في هذه الديانة

-نموذج أنتالاس:

- نموذج الكاهنة:

ب : المصادر المسيحية ووثنية المور

1. انتشار المسيحية في أوساط المور
2. سياسة الكنيسة تجاه المور:

ج : انتشار اليهودية في أوساط المور:

سادسا : المور و الحضارة الرومانية

- العلاقة بالمدينة :

سابعا: المور و المصادر الإسلامية

الفصل السادس : المدن و العمران

أولا :المصادر

- إشكاليات دراسة الموروث المعماري

ثانيا : أصناف العمارة البيزنطية:

أ: العمارة العسكرية:

- الظروف التاريخية للسياسة التحصينية في المغرب:
- المواصفات التقنية والهندسية للمنشآت العسكرية

1-المدن المحصنة:

2-الحصون الكبيرة:

3-القلاع :

4-الحصون الرباعية

5-الأبراج والحصون الصغيرة:

ب: العمارة الدينية:

- الزخرفية للعمارة البيزنطية
  - o التيجان:
  - o الفسيفساء:
  - o استعمال القباب Voutes:

القسم الثاني : نماذج من مدن و مواقع نوميديا و موريطانيا السطائفية

- قائمة المواقع و المدن المدروسة
- تقييم الموروث المعماري

الخاتمة

الملاحق:

- جداول الأسماء و المواقع الواردة في النصوص الأثرية و المادية
- جدول أسماء الأشخاص من خلال النصوص الأثرية
- جداول المجامع الدينية

الخرائط

البيبلوغرافيا

الفهارس:

تبرير

لقد حملتني الضرورة الإدارية على الحفاظ على العنوان المسجل منذ سنوات في الغلاف الخارجي ، عوض جعله:

الأوضاع الإجتماعية و المادية لبلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي

رغم إقدامي على إحداث تغيير في هيكلة الموضوع و ذلك بتخصيص فصل واحد لدراسة الأوضاع المادية دون القدرة على تخصيص فصول موازية قد تغطي مختلف جوانب الأوضاع الإقتصادية. ولم يكن إقدامي هذا بسبب عزوف أو تقصير في محاولة استكمال الموضوع و إنما نتيجة عقم وشح المادة الخبرية التي تسمح بذلك.

إهداء

من الطبيعي أن يهدي أي امرئ عمل كهذا لأمه ، لكنني لي أمان:

الأولى ولدتني و الثانية أعطتني حنان الأمومة. سهرتا على أن أصل إلى ما وصلت إليه ورافقتاني بحنينهما وبدعائهما طيلة حياتي. في يوم 30 سبتمبر 2007 انطفأت شمعة الأم حدة وليس لي إلا أن أهدي لها هذا الجهد عرفانا بتضحيتها و تحديها الزمن ، مثلما أهديه للأم ربيحة لطيبتها.

أهديه أيضا لزوجتي وأبنائ الذين تحملوا غيابي وتقصيري

مقدمة

لازالت دراسة تاريخ المغرب القديم تحتل مكانة معتبرة في الجدل التاريخي العالمي، لما لها من موروث مادي وأدبي ولحجم وطبيعة الأطروحات التاريخية التي خاضت في هذا الموضوع منذ أكثر من قرن. وإذا كانت الفترة الاستعمارية قد أحدثت تراكما كبيرا للأدبيات التاريخية والمحاولات التنقيبية، أعطت المعرفة التاريخية سندا توثيقيا لا يمكن الاستغناء عنه في زمننا هذا. فان مقاربة هذه المواضيع أصبحت أصلا تتطلب عملية تنقيب أولية في هذه الكتابات التاريخية قبل الخوض في معالجتها ميدانيا أو إلزامية كتابة ما يمكن تسميته بتاريخ التاريخ لمعرفة جذور تأسيس الخطاب التاريخي والأطروحات التي أسست العديد من الصور والقوالب التي طالما ظلت تتحكم أو تساير التاريخ المغربي القديم إلى الوقت الحاضر. ورغم بوادر الدراسات التاريخية التي شهدتها الجامعات المغاربية، بمختلف توجهاتها و مناهجها فقد ظلت المدرسة الغربية أكثر انجابا و تحكما في توجيه الجدل العلمي التاريخي وأكثر دقة أو تخصصا في معالجة العديد من الملفات. ففضلا عن كون أغلب الأشكال الهندسية الأثرية والمخططات التي نعتمدها هي غير محدثة، تعود أغلبها إلى الفترة الاستعمارية، فقد ظلت النصوص الأثرية حكرا على هذه المدرسة الغربية، بل جعلت منها المطية الأساسية للحفاظ على هيمنتها في هذا الجدل التاريخي. ومع ذلك فآثارنا لا زالت هنا، مفتوحة للزوار لدرجة الإتلاف، غير مستعصية على من يريد مقاربتها ودراستها، مقروئيتها لا تحتاج إلا لصقل مهارات باحثينا و خبراتهم.

فمن أين نبدأ عملية البناء التاريخي؟ ما علاقتنا بهذا الموروث العلمي للمدرسة الاستعمارية وكيف يمكن التبوأ لدرجة الانتاج وتجاوز هذا العقم المرحلي وحالة الاستهلاك الأبدي التي نعاني منها؟ كيف يمكن تأسيس خطاب تاريخي يجيب عن هواجسنا وهمومنا العلمية والوطنية؟ ما الأولويات التي يجب التركيز عليها في بحوثنا وماهي المحطات الأساسية في تملك مفاتيح الوعي التاريخي؟ أسئلة كثيرة ليس لي حق طرحها في هذا المجال، إلا أنني أحسب أنها من الأهمية ما يجعلها حاضرة بنفس قوة ضوابط العرض التاريخي، قصد إثارة الجوانب الأساسية في استكمال الصورة التاريخية وبلورة تصور يجيب عن إشكالات نابعة من تاريخنا و من جغرافيتنا.

ليس من السهل لطالب متخرج من جامعتنا، أن يعلن تخصصه في مجال التاريخ القديم والأصعب من ذلك أن يتوجه إلى أقل الفترات زادا وأكثرها شحا في المادة الخبرية، و أن يباشر دراسة الحياة الاجتماعية و الاقتصادية لمرحلة نهاية التاريخ القديم و بداية الوسيط في بلاد المغرب. ففضلا عما تتطلبه أكثر من غيرها من الفترات من إطلاع على الموروث الروماني من جهة ومن جهة أخرى على العناصر المؤسسة للتاريخ الإسلامي ببلاد المغرب، كثيرا ما جعلتها خصوصيتها الانتقالية فرصة لمحاكمة التاريخ القديم و تقييم ما أنجزته و ماعثرت عن تحقيقه روما، بل كثيرا ما شكلت بالنسبة للمدرسة الاستعمارية مرحلة اليأس والإحباط بعد الانبهار بمنجزات الحضارة الرومانية، إلى درجة أن أصبح التساؤل عن مصير الحضارة الرومانية بعد كل ما عرفته من مجد هو في نفس الوقت طرح صيرورة التاريخ الاستعماري الفرنسي موضع نفس السؤال. فالبحث عن عوامل انتهاء الحضارة الرومانية ومن المتسبب في ذلك وخلفيات تميز مصير هذه المقاطعة و اختلافها عن بقية المقاطعات الرومانية الأخرى في استعمال الحرف اللاتيني والديانة المسيحية. هي أسئلة

جعلت تتبع هذه المراحل تتجاوز مجرد دراسة مراحل الصراع، بل سعت إلى الوقوف على حقيقة التدهور و الانكماش. ويكفي أن نستشهد بكتابات ديل Diehl[1] أو مارسيي E.Mercier[2] مثل كورتوا Courtois[3]، للوقوف على خلفية التعامل مع ما كان يسمى بإفريقيا البيزنطية والاقتناع أنه إذا كانت دراسة هذه المرحلة لا تحتل أهمية مشابهة لفترات الرومنة فمسؤوليتها أكبر في الإجابة على هواجس القرن التاسع عشر في مواجهة المقاومات الشعبية من جهة والبحث عن أخطاء روما حتى يتم تفاديها. وقد نتج عن ذلك العديد من التوجهات التاريخية، أهمها تفعيل التاريخ المسيحي أكثر من غيره[4]، ودراسة الاستراتيجيات العسكرية في مواجهة الثورات وأساليب التفوق عليها[5]، مع التركيز على مظاهر المجد والتفوق في التاريخ الروماني وإهمال كل ما لم يكرس ذلك، بل تبني جدلية متنافرة بين الرومنة والعنصر الأهلي، وأن اللارومنة أو اللارومنة الكافية هي التي أدت إلى الانهيار[6]، مما يجعل الأهالي الذي ظلوا بعيدين عن المدينة وقوانينها، متمسكين بقبليتهم أو بدويتهم سبب انهيار هذه الحضارة الرومانية. وهو الأمر الذي يلزمنا بقراءة ثنائية، للمصادر الأدبية و المادية من جهة و من جهة أخرى في هذه الأدبيات التاريخية و ما حملته من أطروحات. وبعيدا عن شوفينية المدرسة الاستعمارية فبقدر ما تكمن أهمية هذه المرحلة في تتبع فترات نهاية التاريخ القديم ببلاد المغرب وفقا لكرونولوجية متميزة تجمع بين الواقع الإقليمي والتحولات الكبرى في البحر الأبيض المتوسط[7]، بقدر ما تتميز بإمكانية إحداث قراءة متعاكسة لمصادر نهاية التاريخ القديم و بداية الفترة الإسلامية ومحاولة إقرار طبيعة الاتصال أو الانفصال في حركية المجتمع خلال هذه الفترة الانتقالية.

شكلت دراستي لجانب من هذا الموضوع في رسالة الماجستير[8]، الأرضية المعرفية الأولى التي أفضت بي إلى قائمة تساؤلات كان من الضروري استكمال التنقيب عنها وتتبع معالجتها. فانطلاقا من دراسة الثنائية السياسة التي ميزت الخريطة المغربية خلال فترة الاحتلال البيزنطي، أصبحت دراسة طبيعة التركيبة

---

[1] Ch.Diehl, l'Afrique Byzantine,Histoire de la domination byzantine en Afrique du Nord(533-709), Paris, 1896, p.64, 300 , 309-319

[2] E.Mercier, la population indigéne de l'Afrique sous la domination romaine, vandale et byzantine, Recueil des notices et mémoires de la société archéologique de Constantine(RSAC),30,1895-1896, p.127-211

[3] C.Courtois, de Rome a l'Islam, Rev.Afr.86,1942, p.24-55 ; Les Vandales et l'Afrique(V.A.), Paris, 1955, p.325-352

[4] وفرت المصادر الأدبية المسيحية رصيدا هاما لإبراز الوجه الكاثوليكي للمقاطعة الإفريقية، رغم مراحل الصراع التي ميزت ذلك، أنظر:

J.Mesnage, l'Afrique chrétienne, Ruines et évéchés, Paris, Leroux ,1912; le christianisme en Afrique, Origines, Developpement, Extension. Declin et extinction, Alger, Paris, Jourdans,1914-195 ; P. Monceaux, Histoire littéraire de l'Afrique chrétienne,7 Vol, Paris, Leroux, 1901-1923

[5] R.Cagnat, l'Armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, Paris, 1912

[6] أنظر حوصلة هذا الموضوع في الطبعة الأخيرة لكتاب بن عبو:

M.Benabou, la résistance afriaine à la romanisation, préface inédite de M.Christol, Paris,2005

[7] بدأ مصطلح "التاريخ القديم المتأخر" « Antiquité Tardive » أو « Late Antiquity » يجد ذيوعا كبيرا في الدراسات التاريخية، بفضل الخصوصيات السياسية والاجتماعية التي يغطيها، خاصة بفعل تبوأ المسيحية إلى مستوى تسيير المجتمع أو بفعل تمكن الشعوب الجرمانية من إقامة كيانات سياسية تتأرجح بين الاستقلال ووراثة الامبراطورية الرومانية. وتندرج فترة دراستنا في صميم هذه المرحلة المتميزة من التاريخ القديم.

[8] يوسف عيبش، المور و البيزنطيونخلال القرن 6م، تحت اشراف أ.د.محمد البشير شنيتي، جامعة منتوري قسنطينة، 1996

الاجتماعية المغربية بأصنافها المختلفة أمرا إلزاميا للوقوف على مظاهر التحول أو الإستمرار عشية الفتوحات الاسلامية، رغم ما تطرحه دراسة الأوضاع الاجتماعية من صعوبات، ففضلا عن عقم المصادر وعدم عنايتها بطبيعة المجتمع وأصنافه، تتميز المصادر التشريعية التي طالما شكلت مادة مرجعية جد هامة بالنسبة لهذا الموضوع، بصعوبة أخرى في ضبط وتحديد الظواهر الاجتماعية، لكونها اعتنت بإعادة تنظيم هياكل الإدارة أكثر من أي أمر آخر. وبالرغم من كون النظام البيزنطي قد اعتمد في تشريعاته على القوانين الرومانية باعتباره الوريث الشرعي لها، مما يجعل من البديهي البحث عن تحديد الوضعيات الاجتماعية والشخصية في ضوء نفس القوانين التي ظلت تضبط وضعية الفرد داخل المجتمع. فإن خصوصية المقاطعة الإفريقية بعد تقهقر الإدارة المركزية وما عقبها نتيجة الاحتلال الوندالي قد ترتب عنها نوع من الغموض والإضطراب، فبات من الصعب تصنيف هذه الفئات الاجتماعية وفقا للمقاييس القانونية. كما اتضح أن هذه التشريعات لم تصنف سوى من يعترف بهم القانون ضمن الأطر الإدارية. ولعل ضعف الإدارة المركزية وبعد مسافتها قد جعلها تحاول التأقلم مع الواقع المغربي بتوظيف حلول ميدانية وإستحداث مواقف آنية. وبالتالي فالغموض الكبير يعود إلى كون هذه التشريعات قد ظلت تستند إلى الموروث القانوني الروماني، في مواجهة أوضاع مستجدة.

وبالتالي إذا تجلى أن واقع المقاطعة الإفريقية، قد ظلت تتجاذبه مؤثرات اجتماعية واقتصادية داخلية أكثر فاعلية، رغم الأهمية السياسية التي أعطتها القسطنطينية للمقاطعة الإفريقية، فما مدى نجاح الإدارة البيزنطية ميدانيا بالمقارنة مع شعاراتها الدعائية؟ بل ما حجم التواجد البيزنطي أصلا في بلاد المغرب؟ وهل كانت التركيبة البشرية المشرقية هي التي تسير الشؤون الإفريقية أم أنها كانت مجرد أقلية محدودة مقتصرة على الهياكل العليا للإدارة العسكرية والمدنية؟ وما درجة تمركز الإدارة المحلية في أيدي الأفارقة، سواء كانوا ملاكين أورجال الكنيسة؟. مثلما نتساءل عن إمكانية إستمرار نفس الهيكلة الاجتماعية التي كانت سائدة خلال نهاية الفترة الرومانية؟ وبالتالي ما مكانة مصطلح إفريقية البيزنطية من هذا الواقع الاجتماعي؟ هل أصبحت حقا بيزنطية في هيكلتها الاجتماعية، أم أنها فعلا قد كشفت عن مغربيتها أكثر من وقت آخر؟ وقد ينجر عن هذه الاستفهامات قائمة أخرى من التساؤلات، حول طبيعة المؤثرات السياسية على الحياة الاجتماعية و الاقتصادية، مثل الاصلاحات الإدارية و التشريعية التي أدرجتها الامبراطورية البيزنطية، أو السياسة التحصينية و مدى نجاحها في إقصاء المجتمع الموري من الخريطة البيزنطية، مثلما يتجلى من خلال الشعارات الرسمية للقرن السادس ميلادي، و قد نتساءل أيضا عن دور الكنيسة المسيحية و ما حبلت به من مذاهب أو مواقف متأخرة أو وضعيات اجتماعية و اقتصادية من إدراج أبعاد جديدة في مكونات المجتمع المغربي عشية الفتوحات الاسلامية؟

كما نجد أنفسنا أمام إشكالية أخرى عند معالجة هذا الموضوع: فاذا تجلى للبيزنطيين أن القضاء على الوندال لم يحقق طموحهم في استرجاع الأملاك الإمبراطورية، بل سرعان ما كشف لهم عن واقع سياسي مختلف، شكل المور قاعدته الأساسية، فمن هم هؤلاء المور؟ و ما طبيعة هذه الإمارات المورية و ما مدى امتداد نطاقها الجغرافي؟ هل كانت مجرد قبائل في حالة ثورة و تمرد على السلطة البيزنطية؟ أم كانت إمارات و ممالك بأتم معنى الكلمة؟ و بالتالي هل يمكن تصنيفها من بين الفئات الاجتماعية التي عايشت الكيان البيزنطي؟ أم أن صيرورة هذه القبائل ظلت تخضع لمنطق البدواة والتنقل؟ وأن حركيتها قد ظلت خارج

دائرة التاريخ[9]؟ وهل تسمح نماذج هذه الإمارات المورية برصد صورة نموذجية للمجتمع الأهلي، أم يمكن القول أن صورة الثائر في الأدبيات المسيحية واللاتينية ليست في واقع الأمر إلا تكريس لصورة يوغرطة أوتكفاريناس دون الوقوف على خصوصيات المرحلة في الزمن والجغرافيا؟ فهل يمكن الخروج بتصور يختلف عن هذه الجدلية التقليدية التي تضع دوما المور ضمن ثنائية السهل و المرتفع، أو البدو و الحضر، إن لم تكن المسيحية و الوثنية؟ هل يمكن أن ندرس هؤلاء المور لذاتهم، وتحسس طبيعة علاقتهم بالحضارة الرومانية؟ دون خلفية التفوق التي طالما ميزت الدراسات الأوربية. وأمام تكرس "الاختلاف الموري" الذي طل حاضرا في الكتابات التاريخية، و تطرف المدرسة الاستعمارية التي وجهت بطريقة أو بأخرى أصابع الاتهام للمور، حول تقهقر الحضارة الرومانية بإفريقيا، هل يمكن أن نرسم صورة تتجاوز الزمن البيزنطي، و مصادر القرن السادس؟ مانصيب المصادر الإسلامية في ذلك؟

أما من الناحية الاقتصادية فإذا كانت الأطروحات التاريخية قد أصبحت تميل إلى أن بلاد المغرب ظلت تحافظ على حيويتها طيلة الفترة الوندالة، وأن الأزمة التي نشبت خلال هذه الفترة لم تكن نتاج عوامل اقتصادية بل بسبب تغير الطبقات الاجتماعية و تعويض الطبقة الأرستقراطية الوندالية من طرف طبقة الملاكين الكبار الرومان والأفارقة– والتي تطورت بفعل تضامن الكنيسة وربط مصيرها بمصير هؤلاء الأعيان– فما مدى صحة فرضية اعتبار فترة الاحتلال البيزنطي كشكل من أشكال الانتعاش المادي الذي لم تشهده روما نفسها، على أساس طبيعة المنطقة وما تتوفر عليه من خيرات طبيعية وإمكانيات مادية؟ أو اعتبارها كمجرد استمرارلحالة التقهقر التي عرفتها الإمبراطورية الرومانية، والتي تكون قد تفاقمت بحكم تراكم ظاهرة الجمود خلال المائة سنة الوندالية؟ بل لنا أن نتساءل أيضا عن طبيعة التملك وصيرورة الإنتاج خلال الفترة البيزنطية؟ وما مدى اعتبار تركيبة الملاكين الكبار الذين عرفتهم بلاد المغرب كنمودج من نمادج الضياع الاقطاعية التي تطورت في أوربا الى ما يسمى بالنظام الاقطاعي، واذا افترضنا ذلك فهل تعود القطيعة لهده المرحلة، أم يجب البحث عنها في الفترة الاسلامية؟

وإذا ارتبط الحديث عن الحركة العمرانية التي شهدتها الفترة البيزنطية ببلاد المغرب، بسلسلة التحصينات العسكرية من قلاع وحصون، إلى درجة ان أصبح يصعب التفرقة بين هذه وتلك، لا سيما و أن طبيعة الموروث الذي ميز الفترة البيزنطية قد ساعد على تفاقم هذه الصورة، فهل فعلا يمكن الحديث عن عمران وحياة عمرانية لهذه المرحلة؟ أم يجب الاكتفاء بصورة التحصينات والمنشآت العسكرية وموازاتها بالموروث العمراني الروماني؟ ما هي المقاييس التي يمكن تطبيقها للوقوف على طبيعة هذا العمران؟ وإلى أي درجة يمكن تقبل بعض المصطلحات أو وضعها في سياقها التاريخي؟ فمثلا هل ظل معنى المدينة قائما بمواصفاته التشريعية والهيكلية ؟ وهل استمرت المؤسسات المحلية لتسيير المدينة بنفس الصيغة؟ ونفس التساؤلات يمكن طرحها باتجاه معاكس، أي علاقة هذا الموروث بكل تراكماته، مع طبيعة استقرار الفترة الاسلامية، وإلى أي حد يمكن الوقوف على معطيات تسمح لنا بمعرفة مدى استعمال الهياكل البيزنطية في حركية الفتوحات الاسلامية وبناء كيانها الأولي؟

---

[9] ظلت العديد من الدراسات لا تتجاوز المصطلح الإفريقي للتركيبة البشرية المرومنة، مكرسة بذلك النظرة الإستعمارية الحديثة، و الحديث عن المجتمع الأهلي في سياق الصراع والمقاومة

تظل قائمة هذه التساؤلات كثيرة و الإشكاليات التي تحملها مفتوحة، طالما ظلت مصادرنا الأدبية محدودة أو مقتصرة على صور قليلة من الأحداث التاريخية، فضلا عن كونها في مجملها أحادية الإتجاه، تخدم نفس الانتماء و تكرس توجه الخطاب الرسمي، فبروكوب، الذي يحتل صدارة هذه المصادر، كان يمارس وظيفة رسمية رفقة القائد البيزنطي بليزاريوس في حملته على إفريقيا، بل يبدو أن كتاب الحروب الذي ألفه في عدة أجزاء فد كان بطلب من الامبراطور نفسه. وإذا كان هذا المؤرخ قد خص الحملة الإفريقية بكتاب الحرب الوندالية Bellum Vandalorum، فكل من يطالع الكتاب يقتنع بأن الإسم الأجدر هو الحرب المورية، لكون هذه الأخيرة تحتل النسبة الأكبر في عملية السرد التاريخي، مثل اقتناعه بتحيز الكتاب و تبنيه الموقف الامبراطوري في مختلف أحكامه. وعموما يمكن الوقوف على ثلاثة محاور أساسية:

- الوندال، حيث انفرد المؤلف بالحديث عن تاريخ هذا الشعب و مراحل تنقله إلى شمال إفريقيا و أهم الملوك الذين تعاقبوا على المملكة بعد جنزريق، مبينا تطور الموقف الرسمي للامبراطورية تجاه السياسة الوندالية، التي اعتبرها في نهاية المطاف السبب الأساسي في خراب إفريقيا و اضطهاد مسيحييها.
- الإدارة البيزنطية، حيث تجلت مراحل الاحتلال البيزنطية و أهم الحملات العسكرية التي نظمت ضد الوندال و المور، فبرزت من خلال ذلك شخصية الامبراطور كمحور كل المبادرات، والرعاية المسيحية لمختلف مشاريعه، مثلما تجلت العديد من الشخصيات القيادية العسكرية كبليزاريوس، سولومون، قيناديوس أو سرجيوس، أو نماذج من الخطط العسكرية و التحصينات البيزنطية
- برزت من خلال صور الصراع البيزنطي- الموري تركية المجتمع الموري، التي أبرزها في شكل قبائل كانت تعيش في ظل الهيمنة الرومانية و لا تنتظر سوى الاعتراف بها عن طريق الهدايا و النياشين، إلا أنها ما لبثت تتطور في ظل الاحتلال الوندالي لدرجة بداية انفصالها في عهد الملوك الوندال الضعاف. و هو ما جعلها أيضا تواجه المراحل الأولى من الاحتلال البيزنطي بمقاومة متعددة الأوجه

وبالتالي فيمكن اعتبار كتاب حروب الوندال بمثابة تقرير رسمي قد صاحب الحملة البيزنطية، فتعرص للأطراف الفاعلة في أرض الميدان. أما من الناحية الاجتماعية، فقد كان يفرق صراحة بين الرومان و الأفارقة من جهة و بين هؤلاء و المور من جهة أخرى، واصفا إياهم بكل مظاهر الهمجية و التخلف "... لايوجد لدى المور لا خشية للإله و لا احترام للإنسان، فهم لا يولون أي اعتبار لتعهداتهم و لا للرهائن حتى و إن كانوا أبناء أو إخوة قادتهم..."[10]، وبالتالي فرغم تميز كتاباته بالجدية و الدقة في العديد من المواقف، فالمسألة المورية بالنسبة له ليست سوى اجترار الموقف الرسمي للامبراطورية.وإذا كانت مواقفه الخاصة تجاه الإدارة المركزية فد تغيرت جذريا بين كتاب المنجزات، الذي استعرض فيه بنوع من الإشادة المنجزات العمرانية و التحصينات التي أقامها الامبراطور جستنيان، وبين كتابه التاريخ السري، الذي أراده انتقادا لاذعا لشخصية الامبراطور جستنيان و عواقب سياسته، فصورة المجتمع المغربي ظلت نفسها في مجمل كتابات بروكوب، ومع ذلك فقد احتوت العديد من الإشارات للجوانب الاجتماعية و الاقتصادية. وإذا كانت شخصية كوريبوس

[10] Procope, La Guerre contre les Vandales (Bellum Vandalorum.II), Trad. D.Roques, Belles Lettres, Paris, 1990, II, 8,9-11.

تختلف عن بروكوب، باعتباره نحوي و شاعر Grammaticus إلا أن ارتباطه بالبلاط القرطاجي، و تأليفه لملحمته الجوهانيدوس Johannidus المكونة من 4700 بيت شعري[11]، وقراءها على مسامع القائد البيزنطي جون تروجليتا، جعله بقدر ما هو شاهد عيان للفترة الواقعة بين 529و548 بقدر ما هو يمثل أحد أطراف الصراع الاجتماعي خلال هذه الفترة، بل يمكن اعتباره نموذجا لمواقف الأفارقة الموالين للإدارة البيزنطية. و تقسم القصيدة إلى 08 أجزاء استعرضت أهم الانتصارات التي حققها الامبراطور جستنيان، عن طريق قائده جون تروجليتا، إلا أن ما ميزها هو السجل الإثنوغرافي الذي ميز الكتاب الثاني، حيث استعرض فيه أغلب القبائل و الإمارات المورية التي دخلت في صراع أو تحالف مع الإدارة البيزنطية، فتجلت من خلال هذه القائمة عادات و أنماط معيشة العديد من هذه القبائل، بل حتى طقوسهم الدينية والوثنية، و لعل تتبع الملف الخاص بقبائل لواتة و هوارة كفيل بتشكيل صورة تاريخية عن أسياد عمق بلاد المغرب، إلا أن أهمية هذا المصدر لا تمحو خطورته، فكونه نصا أدبيا جعل الفصل بين المادة الخبرية و الصورة الشعرية أمرا مستعصيا، و ما زاد من خطورته هو احتوائه على الأحكام السياسية المسبقة ومظاهر الحقد والكراهية تجاه المور، رغم تكريسه لنفس التركيبة البشرية المغربية والمتمثلة في الرومان والأقارقة (الأفري) والمور. وإذا كان بروكوب قد اعتبر أن الوندال هم سبب البلاء في بلاد المغرب، فقد وجه شاعرنا أصابع الإهام للمور، مؤكدا فرضية انتمائه لفئة الأفارقة التي كانت تصبو لوراثة الإدارة الامبراطورية واستنجادها بالبيزنطيين ضد الوندال، لتكتشفت أن زحف القبائل و الإمارات المورية هو أكثر خطورة من الاحتلال الوندالي نفسه. وعموما إذا كنا لا ننتظر الإنصاف و الموضوعية في مثل هذا النص، فان استعمالها يسمح بتطابق و تكامل كبيرين مع نصوص بروكوب، ليجعلان من النصف الأول من القرن السادس ميلادي أكثر حضا و كثافة في المادة الخبرية. كما شكلت التشريعات التي سنها الامبراطور جستنيان مصدرا هاما لدراسة الإدارة البيزنطية، حيث سارع هذا الامبراطور بمجرد وصوله نبأ انتصار القائد بليزاريوس على الوندال إلى إصدار مرسومين، الأول خص به الإدارة المدنية والثاني للإدارة العسكرية، محددا مختلف الوظائف وصلاحياهما، بل حتى رواتب الجيش و الموظفين، وقد أعقب ذلك بقوانين أخرى مثل المتجددات تسمح بتتبع بعض المواقف السياسية و مقارنتها بالمقاطعات البيزنطية الأخرى.

وتعتبر المصادر المسيحية، أكثر وفرة من الناحية الكمية، رغم أنها كثيرا ما تنغمس في المسائل اللاهوتية، وإذا وفرت نصوص القديس أوغسطين ومراسلاته، خاصة المكتشفة منها مؤخرا من طرف دولبو J.Dolbeau و ديفجاك Divjak[12] مادة خبرية جد هامة، فيمكن اعتبار كتاب لإضطهادات الوندالية

---

[11] اعتمدت الترجمتين الأنجليزية و الفرنسية

Corippus,. Johannide. J. D. e. F. R. D. Goodyear. Cambridge, 1970 ; J.Alix, Corippus, Johannide. Revue Tunisienne. 1899,pp. 31-39,148-160,314-324,453-462. 1900,pp. 106-120,184-195,372-377,477-488 ;190,pp. 210-213,327-335 ;1902, pp. 83-120.

إلى جانب الترجمة النقدية التي اقترحها زاريني في دراسته الأدبية للكتاب الثاني من هذه الملحمة:

V. Zarini, Bérberes ou Barbares, recherches sur le livre second de la Johannide de Corripe, Nancy, 1997

[12] J.Divjak et alii, Œuvres de Saint Augustin, 46B, Lettres 1-29, études augustiniennes, 1987 ; Cl.Lepelley, quelques témoignages sur l'histoire de l'Afrique romaine épars dans les sérmons de Saint Augustin découvertes par François Dolbeau, dans Aspects de l'Afrique romaines, les cités, la vie rurale, le christianisme, Bari,2001, p. 391-396

Historia persecutionis vandalicae لفيكتور الفيتي إشعاعا مهما لمرحلة الاضطهادات التي مارسها الوندال ضد المسيحيين الكاثوليك. يضاف إلى ذلك قائمة المقاطعات والمدن الإفريقية Notitia provinciarum et civitatum Africae والتي هي بمثابة قائمة للقساوسة و أبرشياتهم في حدود سنة 484، مرتبة حسب المقاطعات، يرجح أن تكون سجلا رسميا للكنيسة على شكل قوائم محدثة إلى غاية 487، ورغم ما تحتويه من مغالطات فانها تشكل مصدرا مهما في مطابقة العديد من المواقع و الشخصيات الدينية، مثلها مثل قوائم المجامع الدينية المنعقدة في السنوات اللاحقة، حيث سمحت بمطابقة العديد من المواقع، و توفير رصيد معرفي هام فيما يتعلق باشكاليات الأسماء و انتماءاتها الاجتماعية والمذهبية أو الجغرافية. كما يمكن العثور على عدد من الإشارات التاريخية في كتاب حياة القديس فيلجانس Vita Fulgentii لفرانديوس، أو حوليات فيكتور التونيني victor de Tonnena و بدرجة أكثر أهمية مراسلات القديس جرجوار الكبير Grégorius I و الذي يمكن اعتبار نصوصه كعربون مرحلة جديدة تميزت بتدخل الكنيسة في تسيير الشؤون العامة، مدنية كانت أم عسكرية. كما سمحت لنا العديد من النصوص الدينية و الجغرافية التي تعود لبداية القرن السابع بمقابلة صورة القرن السادس وتتبعها، فكانت قائمة جورج القبرصيGeorges de Chypre، بمثابة مصدر يوحي بتطور ملحوظ في الخريطة الإدارية للمقاطعة الإفريقية، مثلما ما سمحت نصوص يوحنا من نيقيا Jean de Nikiou، و تيوفيكلات السيموكاتي Theophiclate Simokkatés، بالوقوف على بعض الأحداث زمني الامبراطورين موريس و هرقليوس، و لو في إشارات عابرة. وقد تطلب الأمر في مواقف عديدة العودة إلى مصادر القرن الرابع، مثل المصادر لجغرافية: المسلك الأنطوني و ألواح بوتينجر، أو المصادر التشريعية كالمجمع القانوني لتيودوسيوس.

أما المصادر العربية فرغم صعوبة توظيفها و ابتعاد إطارها الزمني فقد وجدت فيها سندا كبيرا في تتبع العديد من المدن و المواقع الأثرية، أو بعض الإمارات المورية. فكانت النصوص الجغرافية أكثر حضا مثل صورة الأرض لابن حوقل، و الذي يبدو أنه زار المغرب في منتصف القرن العاشر، و المقدسي، الذي تعود كتابته لنفس الفترة، مثل البكري و صاحب كتاب الاستبصار أو الإدريسي. ولعل منهجية التعامل مع هذه النصوص تجعلنا لا نتجاوز في أغلبية الأحيان تحسس الأثر وإقرار استمرارية الموقع، دون القدرة على تحديد جزئيات المعالم العمرانية، بل كثيرا ما كانت عبارات " سور للأول" أو "مدينة قديمة أزلية" صورة سطحية لا تشفي الغليل. وإذا كانت مصادر الفتوح أيضا، شحيحة في مادتها عن واقع بلاد لمغرب عشية الفتوحات، فإنها أبعد من أن تكون عديمة الفائدة خاصة إذا تعلق الأمر باستكمال ملفات من مصادر القرن السادس، مثلما حصل بالنسبة لقبائل لواتة و هوارة. ورغم أن نصوص ابن خلدون متأخرة كثيرا عن فترة دراستي فما احتوته من إشارات تاريخية هامة جعلها تحضى بأهمية خاصة في مناقشة العديد من المسائل. ومع ذلك فقد عنيت بأن لا أنجر وراءها و لاأبني بطاقاتي من مادتها، خوفا من الابتعاد عن هاجس فترتي الزمنية، و بالتالي اكتفيت بتحسس صدى هذه الفترة في أهم هذه المصادر.

أما الدراسات و البحوث التي شاركت في الجدل التاريخي فيمكن تقسيمها إلى:

- الدراسات الأثرية:
  - المعاينات و تنقيبات المدرسة الاستعمارية:

تتمثل أهمية المعاينات الأثرية للمدرسة الاستعمارية في رصد طبيعة المواقع الأثرية و نقل صور معالم غالبا ما اندثرت أو ضاعت، كما تجلى أن عددا من هذه الملاحظات لم تجد طريقها في الكتابات التاريخية التي عقبتها. وإذا كان من الضروري التأكيد على أن هذه المعاينات تفتقد إلى التخصص التاريخي فأهميتهاالتقنية تظل كبيرة، لما للمخططات المرصودة من دقة هندسية. وبالتالي يمكن اعتبار هذه الحمى الأثرية للمدرسة العسكرية كمرحلة ضرورية للبناء التاريخي، فمن الناحية التقنية يمكن الحديث على مخططات رافوازي و دولامار أو المهندس بالو A.Ballu مثلما نتحدث على الحفريات التي أشرف عليها مول Moll في تبسة، أو C.A.Joly في مداوروش، وهو أمر ضروري بالنسبة لتشكيل ملفاتنا، باعتبار أغلب التصنيفات الأثرية، سواء تعلق الأمر بهياكل البناء والعمران أو طبقات الاستقرار والتموضع الأثري، قد أسست انطلاقا من مستوى معرفة تاريخية و أثرية محدودة.

- الدراسات الأثرية الحديثة

تظل قائمة التنقيبات الأثرية المعاصرة محدودة جدا وغير كافية لتقديم البدائل التاريخية، رغم ما حبلت به الحملة الدولية لانقاذ قرطاج، رغم صعوبة مطابقة هذا النموذج العاصمي مع بقية المدن الداخلية، خاصة في ميدان الاستهلاك العمراني (هياكل بناء، طرقات أو فسيفساء). وبالتالي فقد ظلت الصورة الأكثر استهلاكا في الأدبيات الأثرية مرتبطة بتقارير محجوبي في موقع بيلاليس ماجور، ديفال في موقعي سبيطلة وحيدرة أو فيفري في موقع سطيف، مثل تقارير تنقيبات جانب من الساحة العمومية بشرشال تحت إشراف بن صديق.كما شهدت مؤخرا بعض المواقع التونسية مثل نابل و الحمامات حفريات جديدة سمحت باكتشاف عدد من ورشات تجفيف الأسماك و صناعة الحاويات الفخارية الموجهة للتصدير، و التي يمتد إطارها الزماني إلى ما بعد القرن السابع ميلادي.

- الدراسات المسيحية:

يمكن تسميتها بهذا المصطلح لسببين اساين، الأول يتمثل في كون أغلبية المصادر الأدبية لفترة القرن السادس و ما بعده تظل مسيحية، و من ثم فقد أثرت الاكتشافات المعرفية في فترة القديس أوغسطين أو جريجوار الكبير جوانب كثيرة من التاريخ الإفريقي. ورغم ما يقال عن هذه المصادر وانغماسها في همومها اللاهوتية، فترجمة كتاب الاضطهادات الوندالية مرفوقا بالهوامش النقدية والمرجعية للانسيل[13] S.Lancel، لاتقل أهمية عن نشر رسائل القديس أوغسطين، و نفس الأمر يمكن قوله بالنسبة لرصد قوائم المستشهدين في النصوص المسيحية الجنائزية ، حيث تعتبر مساهمتها هي الأخرى كبيرة في توفير مادة خبرية للباحثين[14].

[13] Victor de Vita, Histoire de persécution Vandale en Afrique, Trad. S.Lancel, CUF, Les belles lettres, Paris, 2002.

[14] A.Mandouze, prosopographie chrétienne du Bas-Empire, I, Afrique, Paris, 1982. Y.Duval, Loca sanctorum Africae, le culte des Martyrs en Afrique du IV auVII siécle, EFR. 1982

بينما شكلت دراسة بقية النصوص الأثرية (البيزنطية) أحد المسالك الأساسية لأبراز طبيعة الخطاب الرسمي و الدعاية الايديولوجية الامبراطورية، فضلا عن التعرف على عدد كبير من الشخصيات القيادية البيزنطية عسكرية كانت أم مدنية. وإذا كانت المحاولة التي قام بها دورليا J.Durliat لبلورة صورة الأوضاع الاجتماعية الإفريقية من خلال هذه النصوص قد تعرضت لنقد كبير، جعلها لاتعرف الطريف لعالم النشر، فقد شكل كتابه حول النصوص العسكرية[15]، استدراكا مهما وتثمينا كبيرا لهذا النوع من المصادر، حيث رصد قائمة 34 نقيشة تتعلق بالتحصينات البيزنطية، موزعة بين المقاطعة الإفريقية و كل من سردينيا و كورسيكا، و هو ما أعيب على هذا الباحث أيضا، باعتباره كثيرا ما وظف النصوص غير الإفريقية في استكمال الصورة التاريخية التي حاول تقديمها. ومع ذلك فالدراسة النقدية لهذه النصوص قد سمحت بإثارة العديد من الاشكاليات التاريخية، مثل النقاش الذي أثير حول منصب الأرخون و علاقته بالبطريق، أو مدى تدخل تركيبة رجال الدين في استمرارية المؤسسات أو المجالس المحلية، فضلا عن الأضواء المسلطة على العديد من الشخصيات مثل شخصيتي سولومون و غيناديوس. وبالتالي فقد أعطت قراءة اكتشافات العديد من النصوص في الفترات المتأخرة دفعا جديدا لتسليط الضوء من جديد على تاريخ المغرب خلال الفترة البيزنطية[16]. وفي نفس الوقت فقد شكلت النصوص الجنائزية المسيحية مصدرا نقائشيا موازيا كبير الأهمية في الوقوف على قائمة كبيرة من القساوسة والشخصيات المحلية. وإذا كانت أغلب المجمعات والدراسات قد وجهت للمناطق التونسية الحالية مثل حيدرة، قرطاج أو صبيطلة، فقد سمح تفاعلها التاريخي والاجتماعي من ضبط بعض الصور الاجتماعية خلال هذه الفترة.

– **الدراسات الفخارية:**

لم تدرج الدراسات الفخارية في استكمال معالجة مراحل التاريخ القديم إلا في الفترات المتأخرة، وتعتبر دراسات فيفري في موقع سطيف و ديفال في موقعي حيدرة و سبيطلة من المحاولات الرائدة في هذا المجال، كما وجدت في تصنيفات هايس J.W.Hayes [17] **والحملة الدولية لانقاد قرطاج، بفضل مشاركة عدد من الدول في القيام بحفريات معاصرة في عدد من أحياء هدا الموقع، فضلا الحفريات الفرنسية في مواقع تونسية أخرى مثل نابل[18]، التأكيد العلمي لأهمية هذا النوع من المصادر المادية. ولعل ما حبلت به أغلب**

[15] J.Durliat, les dédicaces de fortifications byzantines de l'Afrique byzantine, Rome, 1981.

[16] لازالت أطروحات دورليا تجلب انتقادات العديد من الباحثين، و يكفي أن نتتبع مقالات ديفال N.Duval، حول طريقة تأريخ النصوص الأثرية البيزنطية، أو موديران Y.Moderan حول اشكالية الممتلكات الوندالية،و نفس الأمر بالنسبة لدالمير R.Delmaire حول مسألة الضرائب و المصادر المالية للفترة البيزنطية. للانتباه أن مغامرة هذا الباحث في تبني العديد من المواقف، دون اعتماده على حجج قاطعه جعله بمثابة العنصر التنافري في العديد من الأطروحات التاريخية.

[17] J.W.Hayes, Late Roma Pottery, British School at Rome, London, 1972

يعتبر أول من وضع تصنيفا شاملا للفخاريات الافريقية من خلال جرد القطع المعروضة في المتاحف المغربية و الأوروبية ، و ظل دلك لفترة طويلة المرجع الأساسي لمطابقة و تزمين هده الفخاريات، و قد جدد بطبعة أحدث سنة 1980

[18] L. Slim, M. Bonifay, P. Trousset, avec V. Blanc-Bijon, D.Foy….et autres, l'usine de salaison de Neapolis (Nabeul) : premiers resultats de fouilles 1995-1998,in Africa,16,1999,p.153-197.

أكدت هده الدراسة الأثرية ، على استمرارية إنتاج الفخاريات، و لو أن أشكالها و مادتها الأولية قد شهدت بعض التحولات، حيث اكتشفت الة جانب بقايا عدد من هده الورشات داخل الحيز العمراني، و التي يبدو أيضا انها استمرت في نشاطها حتى الفترة الاسلامية . أنظر أيضا :

هذه الدراسات هو تسجيل استمرار انتاج و استهلاك أنواع السيجيلي إلى ما بعد الفرن السادس ميلادي، في المواقع المدروسة، مثلما أقرت استمرار حيوية المبادلات التجارية و حركية التصدير إلى غاية القرن السابع، وذلك من خلال رصد أنواع الفخاريات الإفريقية المكتشفة في مواقع الموانئ المتوسطية. وإذا كانت الصورة الأولية التي يمكن استخلاصها توحي برفاهية إفريقية في انتاج وتوزيع الحاويات عبر موانئ البحر المتوسط، فلازالت هذه المقاربات بعيدة من أن تحسم الجدل في نوعية و كمية المواد المصدرة، بل كثيرا ما أثيرت إشكاليات التأريخ أو تعميم الاستنتاجات الإقليمية كنقائص مستعصية أمام توظيف جداول هذا التخصص في قراءة تاريخية متكاملة. فطبيعي أن نجد استهلاك هذه المادة الأولية غير متجانس مع الفترات السياسية، وقد سمحت لي معايناتي الميدانية في العديد من مواقع موريطانيا السطائفية، من جمع كميات معتبرة من الفخاريات المتأخرة ، لا سيما السيجيلي "د"، بل في مواقع يفترض أنها أصبحت مهجورة في نهاية التاريخ القديم، و هو أمر يدعو للتساؤل عن مكانة هذه المادة بالنسبة لمواد الاستهلاك الأقدم[19].

- الدراسات النوميسماتية

أعطت جداول العملات البيزنطية ببلاد المغرب فرصة أخرى لتتبع موضوع المبادلات التجارية، و إذا كانت أصناف العملات قد شكلت حضورا زمنيا إلى غاية نهاية القرن السابع، فان توزيعها الجغرافي والكمي يطرح العديد من الصعوبات، لاسيما وأن دراستها لازالت تعتمد على الاكتشافات العرضية. كما شجعت فكرة الكنوز على تصور حالة التشنج و الاضطراب، كتبرير لعمليات إخفاء هذه العملات. ولعل العينة الدراسية التي قدمتها موريسون من خلال العملات المكتشفة في حفريات قرطاج أوكنوز أودنة[20] Uthina، كفيلة باقرار التواصل التجاري، وهو نفس الصدى الذي تجلى من اكتشاف كنز مسيلة.

- الدراسات التاريخية:

ظل هاجس إقامة الجسر المعرفي بين التاريخ القديم و بداية الفترة الاسلامية كبير الإغراء، فمثلا اعتنى الأستاذ شنيتي في أطروحته حول موريطانيا القيصرية بملاحقة هذه الصورة[21]، في نفس الوقت الذي برزت فيه دراسة قيمة حول موريطانيا الطنجية من خلال مصادر العصور الوسطى[22]، فضلا عن العديد من المحاولات في

N.Duval,L.Slim,M.Bonifay,J.Piton,A.Bourgeois, La Céramique Africaine aux époques vandale et Byzantine, An.Tard,10,2002,p 177-195

19 نفس الاستنتاج قدمته فنترس من خلال معايناتها لمنطقة بلزمة، حيث أثارت إشكالية النسبة المتفوقة للفخاريات المتأخرة في سطح هذه المواقع، مقترحة أن اقتراب هذا النوع من السطح هو الذي جعل نسبته أكبر في عمليات الالتقاط. و رغم أن الحسم في مثل هذا الموضوع يظل رهين حفريات منظمة تعطي نسب التموضع الطبقي، فتكرار هذه الملاحظة يدعو لاقرار استمرار استهلاك المتأخرة دون القدرة على ربط ذلك بنظام سياسي معين.

20 Cécile Morrisson, l'Atelier de Carthage et la diffusion de la monnaie frappée dans l'Afrique vandale et byzantine (439-695), Ant.Tard.11,2003,p.65-83

21 محمد البشير شنيتي، موريطانيا القيصرية

22 A.Siraj, l'image de la Tingitane, l'historiographie arabe médiévale et l'antiquité nord-africaine, EFR, Rome,1995 ; cf aussi, A.Akerraz, Recherches sur les niveaux islamiques de Volubilis, in Genése de la ville islamique en al-Andalus et au Maghreb occidental, Madrid, 1998, p.295-304

حيث لخص هذا الأخير أطروحته المناقشة في السوربون

الإقليم التونسي[23]. كما شكلت دراسات موديران أرضية جديدة في إثارت النقاش حول القضايا الوندالية والبيزنطية وتسليط الضوء على جوانب متعددة من تاريخ الإمارات المورية والتاريخ المسيحي للمقاطعة الإفريقية[24]. وقد تكررت العودة إلى فكرة الانتقال بين العصر القديم و الوسيط في العديد من الدرسات مثل المحاولة التي قدمها كامبوزا[25]، أو رسالة رسالة إفريقيا البيزنطية التي قدمها بن عباس[26]، أو رسالة مقرانتة المعنونة بالجزائر القديمة من خلال المصادر العربية للعصور الوسطى[27]، أو الدراسة التي أنجزها غضاب حول مدن المنطقة التونسية[28]. وعموما رغم أن المادة الخبرية قد ظلت في غالبها ثابتة فقد أعطت هذه هذه المقاربات المتنوعة وفقا لاشكاليات مختلفة فرصة إنارة هذه الفترة الانتقالية، و هو الأمر الذي نصبو إليه من خلال محاولتنا

لقد فتحت عدة ملفات عالجتها منفصلة، حاولت في الأخير أن أربط بينها:

الملف الأول : تمثل في محاولة تقييم ما درجة التحول التي أحدثها الاحتلال الوندالي في انتقال الموروث الروماني للفترة البيزنطية أو عرقلته، ما الظواهر الاجتماعية والحضارية التي استمرت في التفاعل في هذه الخريطة المغربية؟ وهو الأمر الذي أفضى إلى معالجة العديد من القرائن التاريخية التي تركتها هذه المرحلة الانتقالية.

الملف الثاني: خصصته لضبط الجغرافية التاريخية لبلاد المغرب، ومعام الإدارة البيزنطية ببلاد المغرب، المدنية و العسكرية، محاولا إبراز أهم التحولات التي عرفتها و انعكاسات ذلك على الخريطة البيزنطية.

الملف الثالث : حاولت التركيز فيه على الجوانب الاجتماعية للمجتمع المغربي، وإن كانت طبيعة المادة الخبرية قد أجبرتني على التحايل على العديد من المواضيع و محاصرتها بطريقة تسمح لي بالاقتراب قدر الإمكان من هذه التحولات . فقد فتحت عدة مواضيع، شكلت في اعتقادي ركيزة هذه الرسالة، رغم صعوبة تحقيق توازن في المادة الخبرية وفي تسلسلها. فعالجت الأمر من خلال ظاهرة التملك و ما يحيط بالأرض من فئات اجتماعية، مثل التحولات التي عرفتها المدينة و المؤثرات التي أدت إلى ذلك، محاوى إبراز أهم الطبقات الاجتماعية. كما حاولت تتبع الأوضاع الدينية، انطلاقا مما أدرجته المسيحية من تحولات اجتماعية و حضارية و سعيها لتبوأ المكانة الأولى في المجتمع، و هو ما تجلى من التطور الداخلي لهذه المؤسسة، لكن أيضا من المؤثرات الخارجية، لاسيما المشرقية منها و المرتبطة بالتحولات السياسية للامبراطزرية

---

[23] Peter Pentz, from Roman proconsularis to Islamic Ifriqiyah, GOTARC Serie B. Gothenburg Archaeological Theses N°22, Goteborg university, Departement Archealogy, 2002

[24] Y.Moderan, les Maures et l'Afrique romaine (IV-VII siècle), EFRome,2003

[25] P-L.Cambuzat, l'évolution des cités du Tell en Ifrikiya du VII au XI siècle, 2Tomes,OPU,Alger

[26] M.Benabbés, l'Afrique Byzantine face à la conquete arabe, recherche sur le VII siècle en Afrique du Nord, These, Dir. Cl.Lepelley, Paris X,2004

[27] B.Mokrenta, l'Algérie antique (Maurétanie Césarienne, Sitifienne) à travers les sources arabes du Moyen Age, thèse, Dir. J.P.Morel, Aix en provence, 2005

[28] R.Ghaddhab, le fait urbain en Afrique du Nord, de la ville du Bas-empire à l'agglomeration médiévale à travers des exemples tunisiens, thèse, Dir.L.Maurin, Bordeaux3, 2003

البيزنطية عند بداية الفتوحات الاسلامية، دون إهمال الوجه الآخر للمجتمع المغربي و المتمثل في القبائل و الإمارات المورية.

الملف الرابع: إن صعوبة تخصيص فصول موازية للأوضاع الاقتصادية قد جعلتني أجمع ما تيسر لي من القرائن والنصوص تحت عنوان الأوضاع المادية لبلاد المغرب أثناء فترة الاحتلال البيزنطي، و رغم أنني حاولت مساءلة الدراسات الحديثة في مجال الفخاريات أو الدراسات النوميسماتية فإن مردوديتها ظلت محدودة، تغطي زوايا معينة، فالدراسات الفخارية في الموانئ المتوسطية لازالت من الهشاشة ما يجعل الفرشة الزمنية التي تقترحها لا تفرق بين القرن الخامس و السادس، و هو أمر لا يجيب على خصوصيات التطور الداخلي بقدر ما يسمح برؤية عالمية للمبادلات التجارية. و إذا كان بصيص الأمل قد بدأ يتجلى من خلال الحفريات التي نظمت في أودنة و نابل بتونس، حيث سمحت بالوقوف على معالم ورشات لتجفيف الأسماك و لصناعة الحاويات الموجهة للتصدير، فإن هذه العينات تبقى أيضا يتيمة تمثل جغرافية ظلت من أكثر المناطق الإفريقية ارتباطا بالبحر، ونفس الأمر بالنسبة لتنصنيف ودراسة العملات، كون أغلب اكتشافاتها لم تكن في سياق حفريات منظمة و إنما نتاج اكتشافات عرضية.

الملف الخامس : يعتبر الموروث المعماري أكبر المخلفات المادية التي تركها البيزنطيون، رغم انحصارها في مجالين دون غيرهما، و هما العمارة العسكرية والعمارة الدينية، لاسيما و انهما وجدتا عناية كبيرة من طرف المدرسة الاستعمارية و معاينات المدرسة الاستعمارية. و إذا كانت عنايتي كبيرة في معالجة الموضوع من الناحية التاريخية، و فهم إشكاليات الخطاب السياسي البيزنطي، الذي كرسته النصوص الأثرية الجستنيانية، فقد كانت رغبتي أكبر في تدعيم ذلك بدراسة ميدانية للعديد من المواقع، حيث قمت برصد أكثر من **50** بطاقية لمواقع أومدن، وردت الإشارة إليها بصورة أو بأخرى في مصادر الفترة البيزنطية، سواء كإشارات في المصادر الأدبية والنصوص الأثرية أو من خلال أرشيف التقارير الأثرية و معاينات المدرسة الاستعمارية، قصد جرد المادة الخبرية المتعلقة بها. ومحاولة تشكيل صورة ولو أولية، بفضل الاستعانة بالمصادر العربية والقيام بقراءة متعاكسة عبر مرحلتي التاريخ القديم والوسيط. ورغم كل ما طرحته هذه العملية من صعوبات في البحث عن تسلسل منطقي للاستعراض أو التنقيب عن الإشارات المهمة في النصوص، فقد أفضت بتراكم كمية معتبرة من المعطيات المتقطعة، يصعب استعمالها في تحليل التطور الإجتماعي أو المادي، لكنها تمهد لعمل أوسع. ويجب الإشارة إلى أن دراسة شبيهة قامت بها مقرانتة في هذا المجال، على أعقاب دراسة كومبيزا Cambuzat إلا أنها انطلقت من قائمة الإدريسي للمدن المغربية محاولة العودة إلى النصوص و المصادر القديمة، وهذا ما جعلها أبعد من أن تعطي صورة واضحة عن طبيعة العمران في فترة دراستنا.

الملف السادس: والمتمثل في طبيعة المجتمع المغربي خلال القرن السادس، ما الصورة التي يجب أن ننطلق منها، هل هي صورة إفريقيا المرومنة، و التي تعكسها مجمعات النصوص اللاتينية أو قوائم المجامع الدينية و الأبرشيات، أم صورة التركيبة البشرية التي كرستها المصادر الاسلامية؟ صورة الكاهنة و كسيلة و ما يمثلانه من منطق قبلي و نمط معيشة اقل ما يقال عنه، أنه يختلف كلية عن النموذج الأغسطيني في الانتماء الحضري والمسيحي. وتظل هذه الثنائية، مصدر تساؤل وتناقض. لكونها تحمل أكثر من هاجس. فالتساؤل عن مصدر هؤلاء المور و أسباب بروزهم بهذا الشكل و سعيهم لتملك المساحة المغربية، يفتح الباب أمام قائمة طويلة

من التساؤلات، تعيد النظر في عمليات البناء التاريخي و مسلمات المدرسة الاستعمارية، والعودة بهذه التركيبة لأعماق التاريخ النوميدي قصد البحث عن خلفيات تجذر هذه الكيانات و طريقة تنظيمها، بل توفر أرضية للتساؤل عن المالك الحقيقي للأرض المغربية حتى في عز أمجاد روما. وبقدر ما تميز هذا الملف الموري من خصوصية لارتباطه بفترة نهاية التاريخ القديم، بقدر ما هو موضوع مغامرات تاريخية كثيرا ما انتهت إلى نوع من القولبة و التصنيفات وفقا لتصورات مضبوطة، فمادته الخبرية من الندرة ما جعل كل من يحاول معالجته أن يضطر للاستشهاد بنصوص توفيقية أكثر منها تكاملية. وبامكاننا التدليل على ذلك بأحدث دراسة صدرت لحد الآن. فرغم الدراية الواسعة للمؤلف بالنصوص اللاتينية و المسيحية، ورغم قدرته الكبيرة في ترجمة العديد من الفترات الغامضة إلى صور تاريخية موضوعية، لا سيما و أنه سلك منهجا نقديا كثير الإغراء، تمثل في البحث عن خلفيات هذه الصور التاريخية ليس في المصادر و إنما في الأدبيات التاريخية المتراكمة منذ بداية القرن التاسع عشر، فكان له أن اكتشف الضعف و الوهن في العديد من الأطروحات، والتي سرعان ما أصبحت مسلمات معتمدة ، مثل مسالة الهجرة المشرقية. إلا أن رغبته في حسم العديد من القضايا جعلته ينتهي إلى إرجاع صور البتر و البرانس. فهل يمكن الحديث عن سياسة مورية للبيزنطيين بالمغرب؟ هل كانت هناك استراتيجية معينة؟ و على أي أساس كانت تعتمد؟ ألم تكن المعرفة السطحية للواقع المغربي، المستمدة أصلا من تقارير القرن الرابع و الخامس هي التي جعلت البيزنطيين غرباء رغم نفوذهم؟ أم أن الأهالي هم الذي ظلوا الغرباء؟

وقد ظلت العديد من الأسئلة تتردد من خلال هذه الملفات: فهل حقا أصبحت إفريقيا بيزنطية؟ وما مدى انفتاحها للمؤثرات المشرقية، بشرية كانت أم ثقافية؟ و هل صورة الثراء التي توحي بها المصادر الإسلامية قابلة للتأكيد؟ وهل فعلا يمكن اعتبار العجز البيزنطي على استرجاع " إفريقيا الرومانية" هو الذي عجل من تفاقم ظاهرة الكيانات المورية؟ والتي رغم انكماشها ابتداءا من منتصف القرن السادس ميلادي، فقد برزت في المراحل الأولى من الفتوحات الإسلامية ليس فقط كعنصر فاعل في الخريطة المغربية، بل الطرف الأساسي في عمليات الاحتدام و الاحتكاك مع المسلمين، كانت القبيلة الصورة الأكثر حضور في خريطة طالما اعتبرت نموذجية في كثافة العمران.

لم يخلو بحثي هذا من النقائص و لا من الصعوبات، فما توفره فترة دراستي هذه من إغراء للإجابة على العديد من الإشكاليات يخفي مزالق كثيرة، مرتبطة بطبيعة المصادر أصلا، أو انعدامها في حالات كثيرة إن لم يكن في صعوبة استنطاقها، مثلما يتعلق الأمر بالمناهج و التخصصات التي يجب توظيفها في عملية البناء التاريخي، كالنصوص و المعاينات الأثرية والتي تحتاج أكثر من غيرها لصقل مهارات ميدانية خاصة و تملك أدوات كان على اكتسابها على حساب الزمن.

ومع ذلك فقد كانت رسالتي هذه مدرستي الثانية تنقلت في سبيلها عبر عدد كبير من المكتبات الوطنية والأوربية مثل روما، باريس أو أكس ببروفانس وتابعت حلقات البحث في عدد من التخصصات المكملة. فلم تصبح هدفا في حد ذاتها بل أصبحت حجتي في الغوص في هذا التخصص المستعصي. وما كان لي أن أحقق ذلك لو لم أحض برعاية أستاذي محمد البشير شنيتي ورحابة صدره وسنده الرصين وبصداقة رفاقي و

أساتذتي الذين لم يبخلوا في تشجيعي وتذليل المصاعب أمامي، دون أن أنسى عائلتي التي تحملت متاعب غيابي، فجميلهم جميعا دين في رقبتي ورعايتهم شرف لي، آمل أن يكون عملي هذا عربون اعترافي لهم بهذا الجميل.

أوضاع بلاد المغرب عشية الإحتلال البيزنطي

تمثل الفترة الانتقالية بين القرن الخامس ميلادي وبداية الاحتلال البيزنطي نقطة غموض كبيرة في تاريخ المغرب القديم، فغياب المصادر المادية وأحادية النصوص الأدبية لاسيما المسيحية منها جعل من اليسير الحكم على هذه المائة سنة، طيلة العقود الماضية، بالظلامية، بل كان من السهل الدفاع عن هذه الفكرة والترويج لها. إلا أن تطور الطروحات التاريخية حمل التساؤل إلى عمق العديد من القضايا التي أفرزتها القراءات الجديدة للمصادر أوالاكتشافات الأثرية الحديثة رغم قلتها، دون الاكتفاء باجترار الخطاب الديني للكنيسة الكاثوليكية المعاصرة لتلك الفترة، وبالتالي أضحى من الضروري الوقوف على الخلفية الوندالية للخريطة المغربية لتتبع مختلف التحولات الاجتماعية والسياسية في بلاد المغرب خلال الفترة البيزنطية. فاذا كان حقا الخطاب الإمبراطوري من خلال مرسوم جستنيان يطرح خلفية معرفية لهذه الخريطة المغربية، والتي سرعان ما اتضح أنها بعيدة عن واقع بلاد المغرب. فما طبيعة البنية الحقيقية للمجتمع المغربي عشية الاحتلال الوندالي؟ بل ما هي مناطق تواجد الوندال أصلا، وما وضعهم القانوني والسياسي، وكيف حكموا بلاد المغرب؟ ما الذي أحدثه الوندال من تغيير في خريطة المغرب القديم وهل أعادوا هيكلة الأقاليم وأنشأوا إدارة مميزة؟ بل هل يمكن الوقوف على معالمهم ونصوصهم الأثرية أوعلى الأقل على جوانب من العمارة التي تركوها؟ ما مكانة الكنيسة الكاثوليكية في السياسة الوندالية ونتائج ذلك على الأوضاع الاجتماعية وما علاقة هؤلاء الوندال بالكيان الموري وما مصيرهم بعد الاحتلال البيزنطي؟

فيالواقع لم يكن الوندال أول من توجه إلى بلاد المغرب، فعقب تقهقر الإمبراطورية الرومانية، شكلت الرفاهية الإفريقية من دون شك، المطمع الرئيسي لعدد من الشعوب والشخصيات الانفصالية، فمثلا قرر الملك الجرماني آلآريك Alaric سنة 410، مغادرة إيطاليا والتوجه إلى إفريقيا إلا أن أسطوله تعرض في خليج مسينا إلى عواصف بحرية أجبرته على التوقف[29]. وفي سنة 413 أعلن حاكم إفريقيا الكونت هرقليان Heraclien تمرده عن الإمبراطورية[30]، كما قرر ملك القوط الغربيين فاليا Vallia احتلال إفريقيا سنة

---

[29] Procope,B.V. I, 2,7 ;14-24 ;28-30 ;36-37

[30] Zosime, Histoire nouvelle, T.III, 1ere partie, Livre V, 37, 6 ; p.56 ; VI,8,3, p.12 Trad. F.Paschoud, les belles lettres, paris, 1986-1989 ; C. Courtois, V.A. p.131, n°4,155 ; A.Chastagnol, la prefecture urbaine à Rome sous le Bas-Empire, Paris,1960,pp.264-265

415 انطلاقا من اسبانيا فكانت العواصف البحرية أيضا في الموعد فأوقفت مشروعه[31]. وقد نضيف حركة التمرد التي قام بها بونيفاس Boniface والتي نتج عنها مواجهة بين الجيش الإفريقي والوحدات الإمبراطورية لمرتين متتاليتين ما بين 427 - 428، وهي المرحلة التي تعتبرها المصادر .بمثابة السبب الأساسي للتوغل الوندالي في الأرض الإفريقية.[32] ورغم أن الانتباه لهذا الخطر قد أدى إلى إمضاء المصالحة سنة 429 إلا أن تطور الأحداث كان أسرع، وكان من الصعب إرجاع الشعب الجرماني الى ما وراء مضيق جبل طارق.

وبالتالي على اختلاف تطورات الأوضاع بالقسم الغربي للإمبراطورية الرومانية، يتفق جل المؤرخين على نعت المقاطعة الإفريقية عشية الاحتلال الوندالي بالرفاهية والاستقرار، حيث أصبحت ملجأ للطبقات الارستقراطية النازحة من روما والمناطق الايطالية[33]، رغم ما كانت تشهده من اضطرابات دينية بسبب الصراع مع الكنيسة الدوناتية، وما نتج من عمليات اضطهاد ومصادرة[34]. فقد تحدث عنها القس كواندالفيتوديس Quodvultdeus[35] بنوع من الحنين « splendissimae civitates» ، ووصفها فيكتور الفيتي بالمقاطعة" **الهادئة، المستقرة، الجميلة والمزدهرة**". وهوما أكدته بعض الدراسات الأثرية مثل أعمال ديفال بصبيطلة[36]، أوالدراسة الإحصائية التي قام بها لوبللي حول المدن الإفريقية[37].

إلا أن هذه الوضعية المتميزة بين المقاطعات الرومانية، كانت تخفي أيضا مظاهر التقهقر، فاذا كانت الصراعات الدينية قد انكمشت بفضل الجهود التي قام بها القديس أوغسطين[38]، لاسيما ضد الدوناتية والمانوية، فإنها لم تندثر نهائيا يل ظلت تتربص الفرص

---

[31] Jordanes, Histoire des Goths, 33, 173, p. trad. O. Devilliers, Paris, 1995 p., C.Courtois,V.A. p.54

[32] Procope, B.V. I,3, 22-26 ; C.Courtois, V.A.p.156-157

[33] كان الامبراطور هونوريوس يعتبرها " الجزء الأهم في امبراطوريته" أنظر:

S. Lancel, Actes de la conférence de Carthage en 411,1,4, T,II, Sources Chrétiennes, N°195,1972, p.562-564

[34] يعود الفضل لهده المرحلة لتسجيل العديد من المصادر الهامة، مثل كتابات القديس أوغسطين ومراسلاته، أوالمجامع الدينية التي تركت قوائم الكنائس والأبرشيات المشاركة بأسماء القائمين عليها، وكثيرا ما كان دلك من المذهبين المتصارعين، وهي مادة خبرية جد هامة لضبط جانب من الجغرافية التاريخية للمدن والأرياف الإفريقية

[35] Quodvultdeus, Sermo II de tempore barbarico,V,4, ed.R.Braun dans Corpus Christianorum, S, Latina, t.60,p.476-477

[36] N.Duval, Observations sur l'urbanisme tardif de sufeutula, Cah.Tun. 12,1964, p.87-105 ; Id. 'L'urbanisme de Sufetula-Sbeitla en Tunisie', *ANRW*, V. II.10.2.1982

[37] Cl.Lepelley, les cités de l'Afrique romaine au Bas-Empire, 2t., Paris, 1979 et 1981; Ibid. l'administration des provinces d'Afrique avant la conquete vandale, Ant.Tard.10.2002, pp.61-72

[38] St.Augustin, Lettre ,198,6 ; 199,XII,46 ed. A.Goldbacher, CSEL, T.57. pp.240-241,284 ; R.Thouvenot, Saint Augustin et les paiens, dans Hommage à Jean Bayet, Bruxelles, 1964, p.

المناسبة. يضاف إلى ذلك بداية الضغط الموري على التخوم الجنوبية[39]، وضعف الإدارة المركزية، وقد نتحسس ذلك من أحد رسائل القديس أوغسطين شخصيا، والذي تحدث فيها عن الفساد الذي أحدثته هذه القبائل، مثلا في منطقة الحضنة[40]، أو قيام ما وصفها بالعصابات باختطاف النساء والأطفال في الأرياف دون خوف من السلطة[41].

تشير المصادر إلى أن الوندال الذين انتقلوا إلى بلاد المغرب لم يكن يتجاوز عددهم 80000 نسمة ــ من بينهم حوالي 1500 جندي ــ، كما تسمح النصوص التاريخية بالوقوف على عدة مراحل في تكوين وتطور هذا الكيان الوندالي ضمن الخريطة المغربية. فكان عبور مضيق جبل طارق سنة 429، يمثل بداية رحلة طويلة انتهت بتشكيل إمبراطورية بحرية لمدة حوالي 100 سنة، وكادت أن تصبح روما نفسها عاصمة لها، إلا أنها جعلت من الأرض الإفريقية القاعدة الجغرافية لمختلف مراحل تطورها[42]. كما كان لتراجع بونيفاس Bonniface ، في الوقوف أمام جنزريق على رأس الجيش الروماني، وإسراعه بالتحصن بمدينة هيبوريغوس Hippo rigus - حيث استغرق حصار المدينة حوالي 14 شهرا[43]– رغم الإمدادات العسكرية التي بعثت بها القسطنطينية بقيادة أسبار Aspar ، والتي سرعان ما تراجعت ـــ أن استولى الوندال على هيبوريغوس سنة 435، وتمكنوا من إمضاء معاهدة سلم مع الإمبراطورية الرومانية، تعتبرهم تابعين لها وتعترف لهم بملكيتهم لكل من نوميديا وموريطانيا السطائفية فضلا عن الجزء الغربي للبروقنصلية[44]. فكانت نقطة البداية الحقيقية للملكة الوندالية، والتي كانت أنظارها تتجه أبعد من ذلك، فعمر هذه المعاهدة لم يتجاوز الأربعة سنوات إلا أنها كانت كافية ليعد جنزريق Geiséric هجومه على قرطاج وينتقل بذلك بمملكته إلى مستوى المملكة المستقلة. وقد تم إمضاء معاهدة سلم ثانية سنة 442، بعد الاستيلاء على قرطاج في 19 أكتوبر 439، يقر فيها الإمبراطور

682- 690; Cl.Lepelley, Le Serment, Tome I, Theories et devenir, Paris, éd. CNRS, 1991, p.53-61

39 سنحاول معالجة هذا الموضوع في فصل لاحق

40 St. Augustin, Lettre , 220, 7 , ed. A. Goldbacher, CSEL, T. 57,p. 436 ; cf, A. Mandouze, Prosopographie chrétienne du Bas-Empire, I. Afrique, Paris, 1982, p. 134.

41 St Augustin , Lettre 10, 2-7, dans Œuvres de Saint Augustin, 46B, Lettres 1-29, ed. J.Divjak et alii, études augustiniennes, 1987, p169.

42 A.H.Merrils Vandals, Romans and Berbers, New perspectives on Late Antique North Africa, Burlington, 2004, p31-39; Cl. Lepelley, deux ruptures dans l'histoire de l'Afrique romaine : les Flaviens et les Vandales, Pallas, 68 ,2005 ,pp. 49-62

43 A.H.Merrils Vandals, Romans and Berbers, p31-39

حول تاريخ وفاة القديس أوغسطين يوم 28 أوت 430، أنظر

44 C.Courtois,V.A.p.169 ;

فالنتينيان Valentinien III باستقلال المملكة الوندالية[45]، والتي أصبحت تضم كل من البروقنصلية، المزاق وجزء من نوميديا إلى جانب الطرابلسية[46]، يتخلى بموجبها جنزريق على الموريطانيتين وجزء من نوميديا الغربية بما فيها قسنطينة إلى جانب صقلية.[47]

ورغم ما تطرحه مشكلة الحيازة الوندالية من شرخ في ما يمكن تسميته بالوحدة الإفريقية، فقد أصبح القسم الغربي الذي استرجعته الإمبراطورية يوجه أنظاره إلى روما، واستمرت الرعاية الإمبراطورية طيلة فترة السلم مع الوندال، تحاول تسيير شؤون هذه المناطق والتشريع لها. مما يفترض محافظة هذه الولايات على نفس تنظيمها الإداري. فقد ظلت ولايتي موريطانيا ونوميديا قائمتين، بل يمكن افتراض تحول العاصمة النوميدية من قسنطينة إلى كويكول بعيدا عن الحدود الوندالية[48]. كما استعادت المجالس الجهوية نشاطها، ويبدوأنها أصبحت ملحقة ببطريق: إيطاليا – إفريقيا[49]. بل لدينا العديد من النصوص الإمبراطورية التي وجهت إلى هذه الأقاليم، مثل المرسوم المؤرخ ب 19أكتوبر443 والذي عالج مشكلة ديون الأفارقة المطرودين من طرف الوندال واتخذ العديد من

---

[45] Victor de Vita,I,13,op.cit.p.4. ; Prosper Tiro, chronica. ed. Mommsen,MGH. AA, TIX, p.479.

كانت هذه المعاهدة موضوع جدل طويل بين ديفال N.Duval الذي اعتبرها كدليل تبعية المملكة الوندالية للامبراطورية، موضفا شهادة بروكوب في حرب الوندال، Procope,B.V.I,4,13 بأن تسليم أبن الملك الوندالي كعربون في المعاهدة.أنظر :

وبين الباحث الأمريكي كلوفر الذي تبنى فكرة الاستقلالية التامة للملة الوندالية عن الرومان، أنظر:

N. Duval, les dates régnales des vandales et les structures du royaume vandale, in Ant. Tard. 11, 2003, pp. 83-95 ; Ibid., Culte des rois ou culte des empererurs, in Rev.des Etudes Augustiniennes, 30, 1984, p. 269-273 ; F.Clover, The Late Roman West and the Vandals,1993. p . 8-15.

[46] Novelle de Valentinien,XII,2,ed. M.Meyer, Berlin,1962,p94 ; N.Duval et Ben Abed et alii Carthage, la capitale du royaume et les villes de Tunisie à l'époque vandale" eds, *Sedes Regiae (ann.* 400-800), Reial Acadèmia de Bones Lettres, Barcelona, 2000, p. 163-218.

[47] A.Chastagnol, la fin du monde antique, Paris,1976,44

يبدوأن التقسيمات الادارية التي سنها الامبراطور دقلديانوس، والتي تقسم المقاطعة الافريقية الى 06 ولايات، قد ظلت سارية المفعول عشية الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب ، رغم ما تؤكده اتفاقيتي الملك الوندالي جنزريق مع الامبراطور فالتنيان الثالث بشأن تقسيم المقاطعة الإفريقية الى قسمين ورغم إشارة القديس فيكتور الفيتي بأن الملك الوندالي قد حاز لنفسه كل من الأباريتاناAbaritana وجيتوليا Getulia وجزء من نوميديا، وسلم لجيشه زوغيتاناZeugitane أوالبروقنصلية، بينما ترك للإمبراطورية بقية نوميديا الغربية والموريطانيتين

[48] شكلت اكتشافات كل من مسكن باخوس وكنيسة كريكونيوس أرضية مغرية لافتراض امكانية احتضان هذه المدينة لما تبقى من الادارة الجهوية، باعتبارها ظلت على تخوم الحدود الوندالية، رغم اكتشاف بعض النصوص التي استعملت التاريخ الوندالي في عملية تأريخها.أنظر:

M.Zidane, dir. M.Christol, Djemila et Setif : l'urbanisme comparé de deux villes romaines d'Afrique du Nord, th. Doct. Paris I Sorbonne, 1998, p33-39

[49] A.Chastagnol, la fin du monde antique, Paris,1976,44

الإجراءات في صالحهم[50]. أوالمرسوم الذي صدر بعد استقبال الإمبراطور لوفد إفريقي من نوميديا وموريطانيا السطائفية وذلك سنة 445، والذي أعلن فيه عن عدة إجراءات تخفيفية لصالح سكان هاتين الولايتين[51].كما صدر مرسوم ثالث سنة 451 قصد التقليص من ثقل الضرائب نتيجة ما أحدثه الوندال من اضطراب في مصادر المجتمع المادية[52]. ولعل أهمية هذه النصوص كبيرة جدا ليس فقط في التأكيد على رغبة الإمبراطورية في التمسك بالأراضي الإفريقية وعدم فقدان الأمل في استرجاع ما ضاع منها، بل أيضا في التأكيد على استمرارية الهياكل الإدارية والتنظيمية في هذه الأقاليم.

إلا أن وفاة الإمبراطور فالنتنيان قد أحدثت نقطة تحول جديدة في السياسة الوندالية، وذلك بإقدام الوندال على حصار روما في جوان 455، واحتلال أغلبية الجزر المتوسطية، بل بسط النفوذ الوندالي من جديد على المناطق الغربية لإفريقيا، لا سميا المناطق الممتدة تجاه غرب قسنطينة والمواقع الساحلية حتى مدينة سبته[53]. ورغم أننا نفتقد لحقيقة الخريطة الجديدة ، فقد ظل الجدل قائما حول مصير الجزء الغربي من بلاد المغرب، هل ألحق فعلا بالمملكة الوندالية وإلى أي حد بلغت الحدود الغربية الوندالية، أم ترك لحاله دون أي نفوذ مركزي وأصبح تحت قبضة الممالك المورية المتبلورة؟

في الحقيقية، لم تغير وفاة الملك جنزريق من الأمر شيئا، فقد واصل ابنه هيلدريك نفس السياسة، بل تميز بتشدده الكبير تجاه الكنيسة الكاثوليكية، لاسيما بعد المجمع الديني الذي أشرف على تنظيمه بقرطاج سنة 484 وإصداره للمرسوم الذي يحمل نفس التاريخ والمتضمن نفس العقوبات والإجراءات التي كانت روما قد خصت بها الدوناتيين من قبل[54]. وبينما شهدت الفترة الممتدة بين 484 و530، التي تعاقب فيها كل من غونتامود Gunthamund 484–496 وتراساموند Thrasamund 496–523 وهيلدريك 523-530 ، نوع من الليونة تجاه الكنيسة الكاثوليكية، حيث تمكن عدد من القساوسة من العودة إلى أبرشياتهم، ورفع الحضر عن ممارسة المذهب الكاثوليكي في الحياة العمومية[55]،

[50] Novelle de Valentinien,XII, p. 94.
[51] A.Chastagnol, la fin du monde antique, p. 252 ; Y.Moderan, l'établissement territoriale des Vandales en Afrique, Ant.Tard.10,2002,p.91
[52] Novelle de Valentinien, XXXIV,3, p.141 ; A.Chastagnol, la fin du monde antique, p. 254.
[53] C.Courtois, V.A. p.181
[54] Y.Moderan, les frontiéres mouvantes du royaume Vandale, dans…p256 ; Ibid. les églises et la reconquista byzantine A.l'Afrique, dans les églises d'orient et d'occident, Histoire du Christianisme des origines à nos jours, T.III, Dir. L.Pietri, Declée, p.699-712
[55] Ibid. les églises et la reconquista byzantineA.l'Afrique, p.699

حيث أصبح يبدوأن همومها كانت موجهة أكثر نحومحاربة الإمارات المورية[56]. فإن الانقلاب الذي قام به جليمير Gelimer 530 -533، قد أحدث تحولا جديدا في سياسة المملكة الوندالية، على الصعيدين الداخلي والخارجي، نتج عنه في الداخل حركة احتجاجية كبيرة من طرف القساوسة ومن دون شك الطبقة الارستوقراطية بما فيها أنصار الملك المخلوع هيلدريك، والذي يبدوأنه كان على علاقة حميمة مع القسطنطينية[57]، إلى درجة وصفه هذا الصراع بالحرب الصليبية[58]. وعلى المستوى الخارجي، خاصة مع الامبراطورية البيزنطية، ويحفض لنا بروكوب محتوى المراسلات التي كانت بينه وبين الإمبراطور جستنيان، قبل أن تتحول هذه المسألة الى السبب المباشر للحملة البيزنطية[59].

وعموما رغم قدوم الوندال من الجهة الغربية، إلا أنهم إستقروا في منطقة محدودة تشمل مقاطعة إفريقيا البروقنصلية، بيزاسينا، والجزء الشرقي من نوميديا فضلا عن المقاطعة الطرابلسية، وذلك بمقتضى معاهدة 442 التي توجت سياسة التوسع الوندالي[60]. فلم يبق للإمبراطورية سوى السيطرة الاسمية على الجزء الغربي من هذه المناطق، التي ما فتئت أن أصبحت إما تحت النفوذ الوندالي أومستقلة تحت سلطة الأمراء الأهالي. ويرجح أن أقصى امتداد للوندال باتجاه الغرب هومدينة كويكول Cuicul (جميلة)، على الأقل إلى غاية 452، حيث وجدت شواهد تؤكد استمرار ارتباط السكان بروما[61]. أما في الجنوب فشكل الأوراس أقصى الامتداد الجنوبي، وذلك قبل بداية الحركة المورية التي توسعت باتجاه الشمال[62]، وهذا ما جعل بعض المؤرخين يقدر مساحة المملكة الوندالية بـــ 1/9 من مساحة المغرب الأولية أي حوالي 100000كلم^2[63] . فقد أجرى كورتوا عملية حسابية افتراضية لكنها جد معبرة، حيث افترض أنه لووزعت على كل عائلة وندالية متوسط 50

[56] يوسف عييش، المور والبيزنطيون في بلاد المغرب، خلال القرن السادس م، تحت إشراف د.محمد البشير شنيتي، جامعة قسنطينة، 1996، ص:

[57] Procope, B.V.I,9,5 ; Ch.Diehl, Afr.Byz…p.4 .
[58] Y.Moderan, Une guerre de religion : les deux églises d'Afrique à l'époque vandale, Ant.Tard. T.11, 2003, p.21-44
[59] Procope, B.V.I,9,10-24
[60] Prosper, chronica, 1304,1320-1321.ed. Mommsen, MGH. a.a.T.IX, Berlin, 1892, p.474-479 ;Victor de Vita, Hist. Persec. Vand. I,13, p.102; C. Courtois, V.A. p.174 ; P.A.Fevrier, Approches du Maghreb Romain, T1, edisud, 1989, p.123
[61] C.Courtois,V.A., p. 175-185 ; P.A.Fevrier, Inscriptions chrétiennes de Cuicul, BAA ,I,1962-1985, pp.214-222 ; A.Ep.1967,596 ; Id. Remarques sur les mosaiques de basse époque à Djemila, BSNAF,1965,p.85-92.
[62] J. Desanges, Un temoignage peu connu de Procope, sur la Numidie vandale et byzantine, Byzantion, T. 33, 1963, Fasc.1, p. 55
[63] C. Courtois, V.A. p.215

هكتار على متوسط حوالي 15000 عائلة فالنتيجة لا تتجاوز 75000هكتار[64]. ومهما كانت خصوصية هذه الفرضية فإنها تؤكد على أن الوندال قد ظلوا أقلية ببلاد المغرب.
كما يمكن أن تتجلى لنا من خلال العرض الكرونولوجي للحكم الوندالي، صورة التدبدب والظرفية في السياسة الوندالية ، فادا كان الملك جنزريق قد صبغ الحكم بطابعه الشخصي، فيبدوأن أتباعه قد تأرجحوا بين أنصار الاندماج في الكيان الروماني ودعاة التطرف في التميز عن روما. ولعل ذلك ما ولد الجدل بين المؤرخين حول طبيعة الحكم الوندالي وعلاقته بالسلطة الإمبراطورية، هل فعلا اندمجت مملكتهم ضمن الكيان الإمبراطوري وأصبحت حكما تابعا مواليا للإمبراطورية في إطار عمالة تسمح الوندال بحريتهم، أم كانوا بعيدين أصلا عن فكرة التبعية وحاولوا تأسيس كيان متميز تربطه بالإمبراطورية علاقة صداقة مميزة لكنها مستقلة؟ ولعل محاولة الإجابة على هذه الإشكالية تسمح لنا بإنارة الصورة أكثر حول انعكاسات هذه الفترة على المجتمع المغربي في ميادين مختلفة، سواء كانت إدارية، دينية أوحتى اقتصادية. لكن إدا حاولنا العودة بأهم الأطروحات التاريخية إلى أصولها، نجد أنفسنا نتأرجح بين قراءات عديدة لنفس المصادر التاريخية، ومهما كانت الاختلافات فالجميع قد اعتمد نصوص فيكتور الفيتي، بروكوب أوعدد ضئيل آخر من الشهادات التي تكمل الموضوع، إلا أن إعطاء معاني ومنعرجات متنوعة لمصطلحات هذه المصادر قد أدى إلى تشعب الرؤى ـــ وفي غالب الأحيان لم تكن هذه القراءات بريئة أوبعيدة عن منطق القناعات التي يتبنها الباحث ـــ

فقد ظل الخطاب التاريخي يعتمد على نصوص **شميدت** Shmidt [65] ومن بعده كورتوا، اللذان اعتبرا أن علاقة الوندال بالإمبراطورية لم تبق مجرد علاقة تبعية ابتداء من تاريخ 442، باعتبار أن هذه المعاهدة الجديدة تقر بحكم القوة، عملية تقسيم الأراضي مع المملكة الوندالية، وبالتالي الاعتراف باستقلال هذا الكيان والتعامل معه الند بالند[66]. إلا أن الباحث الامريكي **كلوفر** Clover بتبنيه أطروحة أخرى مفادها أن الوندال قد ظلوا ملوكا تابعين لروما في شكل معاهدات ودية، معتمدا في ذلك على جوانب من معاهدة 442 [67]. قد فتح مجالا جديدا للجدل، وذلك بعد أن تبناها كل من الباحث البريطاني

[64] Courtois, V.A., p.279, n°9 ; Cl. lepelley, Déclin ou stabilité de l'agriculture africaine au bas-Empire in Aspects de l'Afrique romaine, les cités, la vie rurale, le christianisme, Bari 2001, p. 217-232
[65] L.Shmidt, Histoire des vandales, Paris, 1953,
[66] C.Courtois, V.A. p.173

[67] يمكن تلخيص الحجج التي ارتكز عليها في :
- الالتزام بدفع غرامة مالية لروما

بارنويلBarnwell والفرنسي دورليا Durliat[68]، لتثار من جديد من طرف كل من ديفال وموديران[69]، حيث حاول هذا الأخير إثبات، استقلالية الوندال عن الإمبراطورية الرومانية، وتعاملها كمملكة مستقلة ، تمارس كل حقوقها، لا ككيان تابع فقط[70]. ولعل الخوض في هذه المتاهات التاريخية يحتاج إلى قرائن جديدة، ولا يكفي اجترار النصوص الأدبية وإعطاء بعض كلماتها مرادفات جديدة تتماشى وطبيعة التحليل، رغم أننا لا ننكر ضرورة وأهمية فهم هذه الجوانب، على الأقل لقياس مدى التحولات التي عرفتها المنطقة.

المصادرة الوندالية للأملاك:

يرتبط هذا الموضوع بإشكالية كبيرة هيمنت على الأدبيات التاريخية طيلة عدة عقود، على أساس ما أورده فيكتور الفيتي بأن جنزريق " **قد استولى على المزاق والأباريتانا، جيتوليا وجزء من نوميديا، بينما أعطى لجنوده البروقنصلية أوزوغيتانيا وتخلى على باقي الأراضي الإمبراطورية**" وهوما اشتهر باسم الضياع أوالحيازات الوندالية Sortes wadalorum، وقد حملت هذه الإشارة معان كثيرة، بين من اعتبرها دليل على مصادرة شاملة للأراضي الفلاحية وما يمكن أن ينجر عنه من تحولات اجتماعية على مستوى الطبقتين، الأرستقراطية الرومانية والفلاحية المنتجة من المعمرين، وبين من اعتبرها مجرد مصادرة للأملاك الإمبراطورية في الولاية البروقنصلية لا غير، الأمر الذي يفترض استقرارا في البنية التحتية للمجتمع الإفريقي، على الأقل خلال هذه الفترة. كما اختلف

- إرسال أحد أبناء الملك جنزريق ـــ هلدريك ـــ كرهينة وعربون على حسن العلاقة، فضلا عن المناورات التي كان الملك يقوم بها لضمان زواج ابنه هلدريك بابنة فالنتنيان الثالث
- قرار جستنيان باعلان الحرب على جليمير بعد استيلائه على الحكم
- كون الوندال لم يقدموا على ضرب نقود ذهبية ، واعتبار أن العملة الذهبية هي من صلاحيات الإمبراطورية

[68] P.S.Barnwell, Emperors, Perfects and Kings, The Roman West, 395-565, London, 1992 ; J.Durliat, Cité,impot et integration des Barbares, in Kingdomms of the empire, 1997. p.175; Ibid, la Byzacène à l'époque byzantine, in Du Byzacium au Sahel, 1998, p.56-57.

[69] أثيرت مسألة التأريخ في النقائش والعملات الوندالية، هل استعملت تأريخا وونداليا متميزا، وأفضى ديفال الى قناعة بأن الكمة القليلة من النصوص التي استعملت هدا الأسلوب ظلت تؤرخ بسنوات حكم الملك القاءم وليس بالتاريخ الوندالي عموما ، أنظر العدد الخاص لمجلة : .Ant.Tard.10 .2002، حيث يعود الفضل للفت الانتباه إلى هذا الموضوع إلى فيفري من خلال دراسته لنقائش جميلة ، والماء الأبيض. أنظر:

N.Duval, les dates règnales des vandales et les structures du royaume vandale, in Ant.Tard. 11, 2003, pp. 85-95 ; P.A.Fevrier, Inscriptions chrétiennes de Djemila(Cuicul), in BAA,I,1962-1965, p.207-226, Ibid., avec J-P,Bonnal, Ostraka de la région de Bir Trouch, in BAA,2, 1966-1967, p.239-249.

[70] Y.Moderan, l'établissement territorial des Vandales en Afrique, Ant.Tard.10,2002, pp87-122

الباحثون في تفسير معناها القانوني، هل كانت مصادرة عينية، شملت العقارات أصلا وبالتالي نتج عنها توزيع الأسر الوندالية عبر هذه المناطق، أم كانت مجرد تحويل حق الاستفادة الضريبية لهذه الأسر الوندالية دون تملك عقاري، وذلك على أساس أن الشعب الوندالي ظل شعبا محاربا و لم يصبح مجتمعا منتجا ومستقرا.

يعود مصدر هذه الأطروحة للالماني غوب Gauppe [71] وذلك في بداية القرن الماضي ، حيث اعتبر أن الشعوب الجرمانية قد استغلت في حقيقة الأمر احد القوانين الرومانية hospitalitas لا سيما أحد قوانين هونوريوس، التي تلزم الملاكين بالتخلي على 3/1 من ملكيتهم للقوات المقيمة بمدينتهم. إلا أن كل من كورتوا ومن قبله شميدت[72]، اعتبرا أن المصادرة الوندالية لم تقتصر على ثلث الأملاك وإنما كانت عملية شاملة، على الأقل في المقاطعة البروقنصلية، وبالتالي افترضا أنها مست أغلبية الملاكين الكبار بهذه المقاطعة. بينما ظل المعمرين في نفس وضعيتهم القانونية والاجتماعية، وما تغير فقط بالنسبة لهؤلاء هوأسيادهم. كما حافظت بقية الولايات الأخرى على نفس النمط الاجتماعي وطريقة الاستغلال التي يبدوأنها استمرت حتى فترة الاحتلال البيزنطي، لأنها لم تشهد أصلا أية عملية مصادرة. إلا أن هذه الأطروحة أخذت منعرجا جديدا من خلال كتابات الباحث البريطاني غوفارت Goffart[73]، الذي اعتبر أن المصادرة لم تحصل عينا وإنما منح للجند حق استغلال الضريبة المخصصة لهذه الضياع، والتي كانوا يحصلون عليها أصلا من الضياع أومن المدن، وقد كان ذلك كوسيلة لضمان أجور الجنود والحفاظ عليهم مجندين دوما. وهذا لا ينفي إمكانية تشكيل طبقة من الملاكين الجرمان. وقد تبنى نفس الأطروحة دورليا وطوعها لخصوصية الأرض الإفريقية، مقترحا أن المدن قد حافظت على هياكلها التقليدية[74]، بينما تنازلت المملكة الوندالية لعدد من عناصرها على حق الاستفادة الضريبية، فأصبحت بمثابة رواتب الجند، إلا أن هذه الأطروحة لقيت العديد من

---

[71]E.Th.Gauppe, Die germanishen Ansiedlungen und Landtheilungen in den Provinzen des Romischen Westreiches Breslau,1844; F.Lot, le régime de l'hospitalité, Revue belge de philology et d'histoire,7,1928, pp.975-1011. Cf. Andreas Schwarz, the Settlement of the Vandals in North Africa, in A.H.Merills,Vandals Romans and Berbers, op.cit, pp 49-58.

[72] L.Schmits, Histoire des Vandales, Paris,1953, p.91-93 ; C.Courtois, V.A. p. 276-283

[73] W.Goffart, Barbarians and Romans, 1980 ; Ibid. Caput and Colonate, Towards a History of Late Roman Taxation, Toronto, 1974,1974(phoenix, Supplement, 12)

[74] أورد هذا الباحث تصورا خاصا : " عندما قرر جيزريق تملك أراضي البروقنصلية وتوزيع الأخرى على بقية جنوده، لم يقم في الواقع بتحويل واسع للملكيات وإنما اكتفي بتعيين حصص جديدة للضرائب" وهو أمر يفترض إبقاء الوندال على الوضعية العقارية، و حصولهم على حصص ضريبية يحصلون عليها بدلا من السلطة المركزية. أنظر :

الانتقادات، لا سيما من طرف ديلمير F.Delmaire الذي أنجز دراسة جد موثقة حول المؤسسات القانونية في نهاية التاريخ الروماني[75].

حقيقة، يتفق الكثير من المؤرخين على أن بلاد المغرب أثناء الاحتلال الوندالي لم تعرف من الناحية المادية تغييرا جذريا، بالرغم من امتداده على أكثر من مائة سنة، بل يبدوأنها حافظت طيلة هذه الفترة على الرفاهية المعهودة في الفترة الرومانية، وما الأزمة الداخلية التي عرفتها هذه المقاطعة سوى نتاج للصراع بين الارستقراطية الجرمانية، وكبار الملاك الرومان وإلى جانبهم الكنيسة، بينما لم تعرف الملكيات الصغيرة نفس مصير الضياع الشاسعة. حيث تؤكد " لوحات ألبرتيني" Tablettes Albertini[76] أن هذه الأراضي لم تبق فقط في أيدي أصحابها – الرومان – بل استمرت بها حتى التقاليد القانونية الرومانية المتعلقة بالملكية وأساليب الاستغلال[77]. كما ظلت ظروف الطبقة المتوسطة والفقيرة على حالها، فلم تعرف علاقاتها الاجتماعية وظروف العمل تغيرا يجعلها تشعر بهذا التحول السياسي وبالتالي لم تساير الملاكين الكبار في مواجهة النفوذ الوندالي[78]. بل يذهب بعض المؤرخين إلى تصور تحسن في وضعية هذه الفئة المحرومة انطلاقا من فرضية رفع أعباء الضرائب نتيجة انهيار المؤسسة الرومانية وكذلك ما أصبح يتمتع به المعمرين Coloni من حرية، حيث أصبح يسمح لهم بمغادرة أراضيهم والاستقرار بمناطق أخرى، وبالتالي أتيحت لهم إمكانية التملص من القيود والعيش الحر[79].

ولا يرجع ذلك إلى روح العدالة عند الوندال، بل في رغبتهم على الحفاظ على نفس القدرة الإنتاجية للحبوب التي طالما تميزت بها بلاد المغرب القديم، وما يؤكد هذه الفكرة هوارتكاز سياسة جنزريق وخلفائه على احتكار حقول القمح الإفريقية، ليس بهدف ضمان الأمن الغذائي الداخلي، بل قصد استعماله من دون شك كسلاح إستراتيجي ضد روما[80]، خاصة وأن جنزريق لم يتأخر في اتخاذ قرار منع عملية الإمداد

---

75 R.Delmaire,Cités et fiscalité au Bas-empire. A propos du rôle des curiales dans la levée des impots, in Cl.Lepelley, la fin de la cité antique. 1998, p 59-70

76 C.Courtois, L.Leschi, Ch.Perrat et ch. Saumagne, Tablettes Albertini, Actes privés de l'époque vandale (la fin du Ve siécle), Paris , 1952.

77 Ch.Saumagne, "Observations sur deux lois Byzantines relatives aux colonat dans l'Afrique du Nord" , dans Congrès de Tlemcen, T2 , 1936,Rev. Afr. 1936, pp485-494.

78 C.Courtois et autres, Tablettes, op.cit. p.120

79 M.de Dominicis, A proposito di due leggi buzantine sul colonato nelle regioni africane, IVRA, Rivista Internazionale di Diritto romano e antico,14,1963,p.140-158 ; J.Percival, Culturae Manianae, field patterns in the Albertin Tablets, dans le Ancient Historian an his Materials. Essays in Honnour of C.E.Stevens, Oxford 1976, p.213-227 ; D.J.Matingly, Olive Cultivation and the Albertine Tablets, dans l'Africa romana, Atti del VI convegno di studio, Sassari, 16-18 decembre 1988, Sassari, 1989, p.403-415.

80 C. Courtois, V.A., pp.201-213

السنوية من الحبوب[81]. الموقف الذي سبق وأن اتخذه القائد قليدون Gildon في ثورته ضد روما عند نهاية القرن 4م[82].

وإذا انطلقنا من مستوى الرفاهية الذي تشهد به النصوص الأثرية وشهادات رجال الدين عشية الاحتلال الوندالي، فمن الطبيعي أن نتوقع هجرة الطبقات الأرستوقراطية، وتوقع ارتفاع الكثافة السكانية في المناطق العمرانية، فضلا عن ارتفاع استغلال الضياع، لكن إذا كان هؤلاء الملاك الكبار قد عجزوا على مقاومة الوندال وتجنيد مجموع العبيد والفلاحين المشتغلين في أراضيهم، والذين كانوا عرضة لتسلطهم فقد كانت الكنيسة أكثر فعالية في احتضانها مهمة الدفاع على الرومنة أمام الخطر الأريوسي الجرماني، ومن ثم فمنذ بداية الاحتلال رفعت راية الحرب الدينية[83]. ويمكن أن نستشهد بالعديد من النصوص الأدبية، لاسيما سيدوان أبولينار Sidoine Appolonaire، أوسالفيان اسقف مارسيليا Salvien الذي كان يؤكد" **أن الاحتلال ما هوإلا عقاب على الخطايا التي ارتكبها سكان الإمبراطورية، وادا توجه أخطر أنواع البرابرة إلى إفريقيا فلأن سكان هذه المقاطعة كانوا من أكثر الشعوب انغماسا في الخطايا**"[84]. أو فيكتور الفيتي Victor de Vita صاحب الكتاب المشهور: التعذيب الوندالي[85] ، وكواندالفيتوديس Quodvultdeus ــ الذي كان أسقف قرطاج إلى غاية سقوطها في يد الوندال، وقد أبعد واستقر في نابل، أين كتب كتابه المشهور بكتاب الوعود والنبوءات الإلهية Livre des promesses et des prédictions de Dieu للتأكيد على ما حدث من اضطرابات في القسم الشرقي من إفريقيا[86]. وبالتالي سواء تعلق الأمر بالنسبة للقسم الشرقي الخاضع للوندال، اوالقسم الغربي الذي استرجعته روما، قد لا يختلف اثنان على تقهقر البنية التحتية للمجتمع المغربي وحجم الاضطرابات الاجتماعية التي عرفتها المنطقة. وباعتبار أن الكنيسة الكاثوليكية هي آخر قلاع الرومنة ببلاد المغرب، فقد وجدت في مختلف المجامع الدينية بالإمبراطورية بل حتى بالبلاط البيزنطي فرصة للبكاء وإثارة المشاعر الدينية ضد الوندال[87]. وبالتالي فلا غرابة إن تكون أغلب المصادر التي نقلت لنا تاريخ الوندال قد كتبت من طرف هؤلاء.

---

81 Courtois, V.A., p.323

82 Claudien, Oeuvres complètes, trad.J.L.Charlet, T.II,2, La Guerre contre Gildon, Paris, 2000 p. 119-156, et commentaire,p. 188-154 ; Ammien Marcellin, Histoire, Livre XXIX,5,6,21,2 ; Y.Moderan, Gildon, les Maures et l'Afrique, MEFRA,1989, 101,II, p. 821 - 872

83 Courtois, V.A., p 289

84 Salvien, De gubernationne Dei,VII,16,68, éd. G. Lagarrique, SC,220, p.478-480

85 Victor de Vita, Hist. Pers.Vand. Afri., I,13, p.102,

86 Quodvultdeus, Livre des promesses et des prédictions de dieu, XIII,15-16,SC, N°102, p.664-667

87 Courtois, V.A., p 287

فإذا صدقنا مارواه بوسيديوس Possidius أسقف قالمة في مصنفه عن حياة القديس أوغسطين[88]، وما أورده فيكتور دي فيتا، فإن الاحتلال الوندالي تبعته أعمال فظيعة من عبث بالأشجار والمزروعات وحرق الكنائس وإمعان في تعذيب الأساقفة والقساوسة ورجال الكنيسة الكاثوليكية عامة وتقتيل للشيوخ والأطفال[89]. كما كانت مكافأة جنزريق لجنوده تتمثل في منحهم أحسن الملكيات الزراعية في إفريقيا القنصلية، الأمر الذي تسبب في فرار أصحاب هذه الملكيات والعيش في فقر مدقع. لكن إذا أجمعت مختلف هذه المصادر على نعت الوندال بالهمجية والبربرية إلى جانب التعصب الديني، فليس ذلك دليلا على صدقها بقدر ما هوتأكيد على أنها كانت تخدم نفس القضية، وهي الدفاع عن الكنيسة الكاثوليكية. فمثلا أكثر ما نقلته هذه المصادر هوالسياسة التي انتهجها الوندال ضد المسيحيين ومؤسساتهم من مصادرة للأملاك الكنسية وتحويلها إلى الكنيسة الأريوسية التي أصبحت تتمتع بكل الامتيازات، ومنع المسيحيين من أداء طقوسهم بل نفيهم وتشريدهم، وحتى إجبارهم على القيام بأعمال السخرة[90]. كما أنها أجمعت على ما قام به الملك الوندالي هنريك (484-477) من نفي ما بين 04 و05 ألاف مسيحي إلى منطقة الحضنة، أين استقبلتهم بعض القبائل الصحراوية لتخضعهم للعبودية – باتفاق مع الوندال –[91]. بل لم تتوقف عمليات الاضطهاد الديني ضد الكاثوليك طيلة مدة الاحتلال، إلا في عهد هليدريك Hilderic رغم أنها تقلصت في عهدي قونتاموند Gunthamond وتراسموند Thrasamoud، وهذا ما جعل البعض يعتبر أن الأزمة الدينية هي أهم عوامل تقهقر نفوذ الوندال ببلاد المغرب[92].

كما أشارت بعض المصادر المسيحية إلى وجود علاقة ما بين ملوك الوندال والأمراء المور، حيث ذكر فيكتور الفيني أن الملك جنزريق نفسه، قد أمر مباشرة بعد الهجوم على روما، بنفي القس مارتنيانوس Martinianus وإخوته الثلاث لدى أحد الأمراء المور، بكبسور أوكبسوس Capsur-Capsus والذي يبسط نفوذه على جانب من الصحراء[93]. وهوالذي أورد أن الملك الوندالي هنريك قد أمر بنفي حوالي 4966 قس

---

[88] Possidius,Vita Augustini, XXVIII ,4,PL 32,col. 54-55, éd.Pellegrino,1955. P.

[89] فايز نجيب اسكندر، الحياة الإقتصادية في الشمال الافريقي في عهد الوندال، مطبعة الجبلاوي البولاقية، الاسكندرية. 1987 ص 22. أنظر أيضا:

E.F.Gautier, Geisric, le roi des vandales, payot, Paris,1975.p.153.

[90] C.Courtois,Victor de vita et son oeuvre , étude critique, Alger, 1954. pp. 38-39 .

[91] C.Courtois, V.A. p295 ; Y.Moderan, Une guerre de religion : les deux églises d'Afrique à l'époque Vandale, p. 21-44.

[92] E. Albertini, l'Afrique du Nord Française dans l'histoire, Paris, 1937 . p.121

[93] Victor de Vita , Hist. pers. Afr. prov.,I ,30; I,35, p.8-10; C.Courtois, Victor de Vita et son œuvre, op.cit. p.37.

كاثولكي، ثم تجميعهم بكل من الكاف SiccaVeneria وهنشير لوربيس Lares أين إستقبلهم المور بعد ذلك[94]. ولعلها نفس الحادثة التي نقلها فيكتور التويني Victor de tounena حيث ذكر أن حوالي 4000 قس قد تم نفيهم نحوطبنة Thubunae، مقرة Macri، وNeppis (؟)[95].

وإذا كان من السهل استخلاص امكانية وجود تحالف ثنائي، يربط هؤلاء المور بالوندال، مثلما اقترح كورتوا[96]. فإن حالة الوفاق هذه، يبدوا أنها لم تكن دائمة لأنها سرعان ما تحولت إلى حرب في كل من الأوراس سنة 484م[97]، حيث أكد بروكوب أن المور بهذه المنطقة قد إستقلوا عن الوندال، والولاية الطرابلسية عن طريق الأمير كابون Cabaon الذي حقق إنتصارات على الجيش الوندالي[98]، فضلا عن الأمير أنتالاس بمقاطعة المزاق Byzacene في حدود 529م والذي يعد إنتصاره على الوندال من أهم أسباب الإطاحة بالملك هلدريك Helderic[99]. وقد إعتبر الأستاذ شنيتي ذلك دليلا على تحالف بين الطرفين بل افترض " أن مصلحة الوندال كانت تقتضي الاعتراف للمور بالسيادة على المناطق التي كانوا حريصين على تحقيق سيادتهم عليها منذ زمن طويل"[100].

ورغم أن بروكوب قد أشار بأن عددا من المور كانوا في صفوف جيش جليمير أثناء مواجهة الحملة البيزنطية، وأن هذا الأخير قد لجأ عند المور القاطنين بقمة بابوا Papoua -التي يعتقد أنها قمة الإيدوغ-[101]. فيبدوأن المعاهدات الثنائية التي عقدها جنزريق مع الأمراء المور قد تم الإخلال ببعض شروطها من طرف خلفائها مما نتج عنه تحرك هذه الإمارات وبسط نفوذها بالقوة، مما يؤكد بان الوندال لم يصبحوا وحدهم أسياد بلاد المغرب، وإنما كانوا يتقاسمون النفوذ مع عدد من الأمراء الذين أصبحوا بدورهم يسعون لتوسيع سلطانهم على أقاليم أوسع.

وما يهمنا من هذه العجالة هومعرفة ما هي أهم التحولات التي عرفتها بلاد المغرب أثناء الاحتلال الوندالي، للوقوف على المتغيرات الجديدة والتي كثيرا ما علقنا بأن الخطاب الإمبراطوري الجستنياني قد أهملها. وقد نتوقع ان صورة إفريقيا المزدهرة أصلا

---

[94] Victor de Vita, Hist. pers. Vand. Afr.,II,28. P.134
[95] Victor de Tonnenna, *Chronique* a 479, 1, dans MGH. aa.T XI ,p.189
[96] C.Courtois, V. A. p340
[97] Procope, B.V. I,8,5
[98] Procope, B.V., I,8, 15
[99] Corippus, Johannide, III,184-188. Procope, B.V., I,9,3
[100] م.ب.شنيتي، موريطانيا القيصرية، ص634-635
[101] Procope, B.V. II,4,26-28

بحاجة إلى مراجعة، قد تكون فقط بالمقارنة بالفترة الوندالية وبالتالي لا تعكس حالة الازدهار بقدر ما تعكس حالة اليأس التي يعيشها هؤلاء القساوسة، مما يجعلنا نفترض أن حركية التقهقر قد ظلت قائمة بحكم انكماش النفوذ المركزي وتراجع السند القانوني الذي طالما تميزت به الحضارة الرومانية ليس فقط في تنظيم المجالس المحلية وتسيير مختلف هياكل الإدارة مثل الضرائب، المصاريف العمومية........وإنما في طبيعة التملك والإستغلال الاقتصادي.

وقد تكون أنظار هذا الكيان الوندالي متجهة نحوالبحر، وما استغلالها للعمق المغربي إلا في سياق التموين والحفاظ على الأمن الغذائي، وبالتالي فحاجة الوندال بالمدن وتسييرها لم تتجاوز مستوى مصادرة بعض الأملاك أوفرض ضرائب عينية ، قد يجمعها نفس العاملين على الإدارة المحلية من الأفارقة، كما لم يجتهد الوندال في إقامة إدارة متميزة أوخاصة بهم، بل تثبت بعض الدراسات أن الخطاب الملكي، أورموز الحكم عند الوندال مثل صك العملة قد ظل شأنه شأن الممالك الجرمانية الأخرى يتقمص النموذج الروماني، ولعل شهادات طريقة التأريخ التي تحفظها بعض النصوص أوالعملات الوندالية تدعم فكرة غياب تصور كيان سياسي بديل لروما في شمال إفريقيا، وإنما مجرد احتلال شعب محارب لمنطقة من الإمبراطورية ومحاولته استغلال واستهلاك الموروث الروماني لا غير.

ومهما كانت طبيعة المرحلة الوندالية من حيث علاقاتها مع الكنيسة الكاثوليكية، فلا يمكن تعميم الصورة بشكل سلبي، بل يمكن الحديث عن عقم وندالي بالأرض الإفريقية، وفشل لمشروع المملكة الذي حاول جنزريق اقامتها بهذه المنطقة ليس نتيجة نقص الثراء أوالمصادر المادية، لانها ظلت موجودة، بل لطبيعة المجتمع الوندالي أصلا، فمن الناحية العددية كانوا يمثلون الأقلية، فقد أشار ديل إلى فرضية تقلص عدد سكان المملكة الوندالية أصلا[102]، انطلاقا من الأهمية التي كان جليمير يخصها بفيلقه المكون من 5000 رجل، وعدم استطاعته مواجهة حركتي التمرد في كل من سردينيا والمقاطعة الطرابلسية في وقت واحد. وبالتالي فقد اقترح أن يكون عددهم ما بين 30000 و40000 محاربا، مما سمح له بمطابقته بمتوسط 200000 نسمة[103]. بيما اعتبر كورتوا أن عدد الوندال يفترض أنه تضاعف و لم يتقلص[104].

أما من حيث التواجد الجغرافي فلم يتجاوز نفوذهم العملي والذي نتحسسه من خلال عمليات المصادرة ونفي رجال الدين ، نطاق مقاطعتي البروقنصلية والمزاق، فضلا عن

[102] Ch.Diehl, Afr.Byz. p8 n°2,334,418
[103] Ch.Diehl, Afr.Byz., p 9
[104] C.Courtois, V.A. p.354-358

كونهم لم يكونوا يحملون مشروعا أوحضارة تسعى لفرض نفسها، فما عدا الأريوسية التي كانت تختلف في طقوسها عن المذهب الكاثوليكي، يبدوأن الأفق الوندالي لم يتجاوز القوى العسكرية وخاصة البحرية، فتسيير الإدارة المحلية بما فيها المدن ظل قائما على النمط الروماني والاستغلال العمراني لم يتجاوز استهلاك نفس الموروث المعماري.

الإدارة البيزنطية ببلاد المغرب

الجغرافية التاريخية لبلاد المغرب عشية الاحتلال البيزنطي

التقسيم البيزنطي للمقاطعة الإفريقية.

- **الولاية البروقنصلية**
- **ولاية المزاق**
- **الولايةالطرابلسية:**
- **ولاية نوميديا:**
- **ولايتي موريطانيا**
  - **موريطانيا السطائفية**
  - **ولاية موريطانيا القيصرية:**

التنظيم الإداري للمقاطعة الإفريقية

- **الإدارة المدنية**
- **الإدارة العسكرية**
- **تنظيم وحدات الجيش**

الخريطة الجغرافية للمنشآت العسكرية

- **الظروف التاريخية للسياسة التحصينية في المغرب:**
- **الجيش البيزنطي وسياسة التحصينات البيزنطية:**

الأرخونية

الخريطة الإدارية حسب جورج القبرصي

الجغرافية التاريخية لبلاد المغرب عشية الاحتلال البيزنطي

تشكل معرفة الجغرافية التاريخية لبلاد المغرب عشية الاحتلال البيزنطي، احد مواضيع الجدل التي لازالت قائمة بين العديد من الباحثين، لكون أغلبية المصادر تشجع على طروحات متناقضة. فرغم توظيف أغلب هذه الدراسات كل من اتفاقيتي الملك الوندالي جنزريق Geiseric مع الامبراطور فالتنيان الثالث Valentinien III، سنتي 435-442 واللتان تؤكدان على تقسيم المقاطعة الإفريقية الى قسمين[105]. إلى جانب نص القديس فيكتور الفيتي الذي يشير بأن الملك الوندالي قد حاز لنفسه كل من الأباريتانا Abaritana وجيتوليا Getulia وجزء من نوميديا، ولجيشه زوغيتانا Zeugitane أوالبروقنصلية، تاركا ماتبقى من نوميديا الغربية والموريطانيتين للإمبراطورية [106]، فيبدوأن التقسيمات الادارية التي سنها الامبراطور دقلديانوس Dioclétien[107]، أقرب إلى الخريطة الإفريقية عشية الاحتلال البيزنطي، لكونها تتطابق إلى حد بعيد مع نص جستنيان.

التقسيم البيزنطي للمقاطعة الإفريقية.

يعتبر نص المرسوم الإمبراطوري لسنة 534[108] م والمتعلق بتقسيم المقاطعة الإفريقية، المصدر الأساسي في ضبط معالم الجغرافية الإدارية البيزنطية .

> *De officio praefecti praetorio Africae et de omni eisdem dioceses statu (…)Et ab ea auxiliante Deo septem provinciae cum suis indicibus Disponantur quarum Tingi quae proconsularis antea voccabatur. Carthago et Byzacium ac Tripolis rectores habeant consulares : reliquae vero id est Numidia et Mauretaniae et Sardinia a praesidibus cum dei auxilio gubernentur.*

---

105 أنظر الفصل السابق، أيضا:

Y.Moderan, les Frontiéres Mouvantes du royaume Vandale…, p.241-264

106 Victor de vita, Hist. pers. Vand. Afr., I,13,p. 102 et n°.33, p.279.

لقد أثارت إشكالية الأباريتا وجيتوليا العديد من التساؤلات لدى الباحثين، هل هي مقاطعتين جديدتين؟ أم هي مجرد تسميات ؟

107 هي: الطرابلسية، المزاق، البروقنصلية، نوميديا بقسميها السيرتي والعسكري، موريطانيا السطائفية،موريطانيا القيصرية. بينما ألحقت موريطانيا الطنجية بالمقاطعة الإسبانية.أنظر :

D.Van Berchem, l’armée de Dioclétien et la réforme Constantinienne, Paris,1952, pp37-51

108 Cod. Just. I,27,1,12; Ch. Diehl, Afr. Byz., p.107

حيث أكد على تقسيم المقاطعة الإفريقية الي 07 ولايات، وتصنيفها الى مستويين مختلفين، تميز الأول بوجود ثلاث ولايات تحت إدارة قناصلة وهي كل من البروقنصلية ، ولاية المزاق والولاية الطرابلسية. بينما كانت ولايات نوميديا، موريطانيا وسردينيا تحت إدارة حكام أقل رتبة. رغم ما تطرحه صعوبة مطابقة هذه المقاطعات السبعة، خاصة إذا اعتمدت التصحيحات التي قام بها مومسن Mommsen[109] على أساس أن الولاية الطنجية هي في الواقع ملحقة بالمقاطعة الاسبانية، صححت بمصطلح Zeugi لتصبح مرادفة للولاية البروقنصلية، وبالتالي لا يصبح عدد الولايات إلا ستة، اللهم إذا تمت قراءة كلمة موريطانيا بصيغة الجمع دلالة على الموريطانيتين (السطائفية والقيصرية).

ومع ذلك فيمكن القول أن هذا التقسيم شبيه بالذي كان سائدا في عهد الإمبراطور دقلديانوس حيث كانت أيضا07 ولايات هي[110]: ــ موريطانيا القيصرية ــ موريطانيا طابيا ــ نوميديا الميلية ــ نوميديا السرتية ــ البروقنصلية ــ المزاق ــ الطرابلسية [111]. كما أشارت من جهتها قائمة الديغنيتاتوم[112] Notitia Dignitatum في نهاية القرن الرابع ميلادي أن إفريقيا كانت مقسمة الي 06 ولايات. رغم أنها أوردت مصطلحات جغرافية جديدة، حيث يبدوأن النوميديتين أصبحتا تشكلان ولاية واحدة، في حين أصبحت موريطانيا طابيا تمثل موريطانيا السطائفية[113]. وعموما بصرف النظر عن سردينيا، نلاحظ أن التقسيم الاداري الوارد في نص جستنيان وتوزيع الحكام هونفسه الذي نصت عليه قائمة الديغنيتاتوم، حيث نجد على رأس الأقاليم الإفريقية: 03 قناصلة و03 حكام إداريين برتبة Praesides مع إختلاف بسيط بين نوميديا التي كان يسيرها قنصل

---

109 لقد عوضت قراءة "Tingi" في نص مرسوم جستنيان التي اقترحها كروغر Kruger سنة 1884 بـــــ " Zeugi " مما يقلص عدد الولايات إلى 06 وفي نفس الوقت إقترح ديل Diehl أنه بناء على مخطوط Mont-Cassin الذي يسجل موريطانيا في صيغة الجمع يؤدي إلى الإستنتاج بوجود موريطانيتين: السطائفية والقيصرية. أنظر:

Ch. Diehl, Afr. Byz., pp.108-109

110 C. Courtois, V.A. p. 180-184. P. A.Fevrier, Approches du Maghreb Romain, T.I, 1989, pp. 146-151; J. Carcopino, La fin du Maroc Romain, M.E.F.R., Paris, 1940. pp 353-354.

111 إذا تجلى أن هذا التقسيم الجغرافي له خلفية تاريخية ترجع الى القرن الخامس ميلادي، فإن حقيقة هذا التوزيع هي في موضع شك. حيث نجد موريطانيا الطنجية تحتل رأس قائمة الولايات ، إلا أن أقصى ما أحتله البيزنطيون بالمنطقة هومدينة سبتة، الأمر الذي يجعل تقبلها صعبا. وقد حاول البعض تجاوز هذا الغموض وتعويض "الطنجية " بالقائمة الادارية للقرن الخامس، وذلك بإقتراح الموريطانيتين، السطائفية والقيصرية كبديل، على أساس ما ورد لدى بروكوب وجورج القبرصي.

G. de Chypre, Descriptio Orbis Romani, ed., H. Gelzer, Leipzig, 1890, p.34; Ch. Diehl, Afr. Byz., p.110

112 Van Berchem, l'armée de Dioclétien, p.38-49 ; Ch. Diehl, Afr.Byz. p110

113 Notitia Dignitatum, ed. O.Seek, occ, II, 247-253. C.Courtois, V.A., p. 68 N°:1

Consul[114]، والولاية الطرابلسية التي كان يشرف عليها Praesides، وهوالأمر الذي انعكس في العهد البيزنطي[115]. مما يجعلنا نتصور أن ثمة نوعين من المقاطعات، بالنظر خاصة إلي وضعية الأقاليم زمن صدور المرسوم الإمبراطوري - 13 افريل 534، وهي المقاطعات التي خضعت في هذه الفترة للنفوذ البيزنطي، والمتمثلة في: طرابلس، البروقنصلية، المزاق، حيث عين على رأسها قناصلة. بينما عين على رأس المقاطعات التي لم تسقط بعد في يد البيزنطيين حكاما إداريين أقل رتبة[116]Praesides.وهي: نوميديا، الموريطانيتين (السطائفية، القيصرية). ويبدوأن هذه القائمة كانت تمثل طموحات الامبراطور، في إسترجاع أقصى المناطق "الرومانية" أكثر من أن تعكس حقيقة الإحتلال في أرض الواقع. وبالتالي فإن محاولة استكمال صورة جغرافية الاحتلال البيزنطي بطريقة أوضح، تتطلب البحث عن قرائن أخرى، أوعلى الأقل معاينة الولايات والوقوف على طبيعة كل منها.

الولاية البروقنصلية :

يعود إنشاء هذه المقاطعة الى عهد الامبراطور دقلديانوس ، رغم أن المصطلح قد ورد في مصادر أقدم، فقد وصف بلين[117]Pline الإقليم الممتد بين توسكة وطبرقة حتى المزاق بالزوغيتانا Zeugitana. الأمر الذي جعل مطابقة هذا المصطلح كمرادف للبروقنصلية، أوالإقليم القرطاجي، يمثل الحل الأمثل لمطاقة نص المرسوم الامبراطوري مع ما هومعرف من تقسيمات[118]. ويبدوأن نطاق هذا الإقليم قد أصبح يشمل الجانب الشرقي من نوميديا البروقنصلية والمواقع المحيطة بقرطاج[119]. حيث اعتبرها بيكار تمتد بين وادي مليان وسهول مجردة، مما يسمح بتصور مكانتها الفلاحية. كانت أهم مدنها باجا Vaga[120]، دوقة Thugga، وبرج هلال Thunusida مع امكانية امتدادها إلى منطقة الكافSicca Veneria[121]. حيث يبدوأنها ظلت مرتبطة بقرطاج كعاصمة أيضا للولاية،

[114] Van Berchem l'armée de Dioclétien, p.39
[115] S.Puliatti, Ricerche Sulla legislazione »Régionale »di Giustiniano le statuto Civile et l'ordinamento militare della prefettura Africana, Seminario Giuridico della Universita di bologna, LXXXIV, 1980, Milano, p. 77. J. Carcopino, la fin du Maroc Romain, p.352, N° 3
[116] Ch. Diehl, Afr. Byz. p-111
[117] Pline, Histoire Naturelle, T. V, 23, 1, trad.J.Desanges, Paris, 1980 , N° p.208-210 : « A Tusca Zeugitana regio et quae proprie uocatur Africa est… »
[118] Ch .Diehl, Afr.Byz. p108
[119] G. Picard, l'administration territoriale de Carthage, in Mel. A. Piganiol, Paris, 1966, III, p. 1263
[120] CIL VIII ,14439 ; Ch .Diehl, Afr.Byz.p.297
[121] حيث أورد بروكوب هذه المدينة ضمن القائمة النوميدية .أنظر: Procope,De Aed.VI,7,10-11

رغم أنها تقلصت من الجهة الغربية لصالح الولاية النوميدية. بل يبدوأنها فقدت أوليتها الإدارية حتى في القضايا الكنسية، و لم تصبح سوى ولاية من بين الولايات الأخرى[122].

ولاية المزاق:

يصف بلين Pline منطقة المزاق بأنها تمتد على حوالي 250000 قدم، أوما يعادل 370 كلم، وتتميز بخصوبة كبيرة ، حيث تنتج ما يعادل 100 مرة ما يزرع بها[123]. ويعتبر ديزانج أن هذه الخصوبة هي التي جعلت الامبراطور دقلديانوس يؤسسها ما بين البروقنصلية ونوميديا[124]. وتظل الحدود الحقيقية لهذه المقاطعة مجهولة، رغم معرفتنا لعدد من المواقع التي حافظت على حيويتها إلى ما بعد الفتوحات الاسلامية، مثل **مدينة قفصة،** بفضل موقعها الاستراتيجي[125]، وإشرافها على المعابر الأساسية التي تمر بين شط الجريد والغرسة، والمسالك المؤدية إلى كل من قابس جنوبا وتبسة غربا إلى جانب السهول الشمالية المؤدية إلى قرطاج. وبالتالي يمكن اعتبارها بمثابة بوابة رئيسية وعاصمة إقليمية،[126] وهوالأمر الذي جعل جستنيان يختارها من بين مقرات إقامة حاكم ولاية المزاق[127]. وكثيرا ما تم الحديث عن الطريق المحفوف بالقلاع الرابط بين هذه المدينة والمناطق الشمالية، مثل قصور الخريب Ksour-el-Kraib[128]، أوخنقة العيش[129] Khenguet-el-Aich ، وقصر الفول[130] Kasr el Foul، فضلا عن المدينة القديمة Thelepte[131] بموقعها الاستراتيجي المتميز. وعين بودرياس Ain Bou Driss والتي تؤرخ قلعتها بزمن سولومون[132]. كما تفيدنا نصوص بروكوب عن كل من مامس[133] Mamma وكولوليس[134] Kouloulis ،

---

[122] سنعالج هذه الفكرة في فصل الأوضاع الدينية

[123] Pline, H.N.,V,24, 11, N°p.227-229; J.Desanges., Etendue et importance du Byzacium, CT.XI , N°44, 1963, p.18

[124] J.Desanges, Etendue et importance du Byzacium, p.7-23

[125] C.I.L.VIII,101-102

[126] Ch .Tissot, Geographie comparée de la province romaine d'Afrique, II,Paris, 1888, p.668

[127] Cod.Just.,I,27,2,1a.

[128] R. Cagnat, Rapport sur une mission en Tunisie,1881-1882, Arch.des Missions,3s, XII, 1885, p.175

[129] C.I.L.VIII,p.30

[130] Saladin, Rapport sur une mission faite en Tunisie de novembre 1882 à avril 1883, Archives des Missions ., 3S, 13,1887, p.116 ; Ch.Diehl, Afr.Byz., p.233-234

[131] Ch.Tissot,Geographie, II,p.648-649,676-678 ; ch. Diehl, Afr.Byz. p.234

[132] C.I.L.VIII,2095

[133] Procope, B.V, II,11,15,47-54

تحدث بروكوب عن سهول ماما والتي تحيط بها المرتفعات وهوالموقع الدي انتصر فيه سولومون على المور سنة 534 ، وهو نفس المكان الدي استقر فيه المور بعد انتصارهم على البيزنطيين سنة 547 في موقعة مارتا

Corippus,Joh.,VII,283,142-149 -

وهي قلاع شيدت أيضا زمن الامبراطور جستنيان[135] إلى جانب مدينة حيدرة الشهيرة Ammaedara [136]

الولايةالطرابلسية:

يرجح أن أصل هذه التسمية هوتري-بوليس Tripolis أي المدن الثلاث وهي لبدةLeptis Magna، أويا Oea وصبراتة Sabratha. وحسب بول أوروز P.Orose تمتد هذه الولاية بين Arae Philaenorum شرقا و Lacus Salinarum غربا[137]. وإذا كان مصطلح تريبوليس قد ظل مستعملا في الفترة البيزنطية فيبدوأن فترة الفتوحات الاسلامية قد أعطت الأولوية لتعمم اسم أياس وهي أحد المدن الثلاثة المذكورة سابقا[138].

يبدوأن العمران لم يتجاوز الشريط الساحلي حتى لبدة[139]، وحسب تيسوا Tissot فان التواجد البيزنطي مثل سلفه الروماني قد حاول إقامة شريط من التحصينات لحماية المناطق الصالحة للزراعة والمراعي أيضا، لا تتسع أكثر من 15على 20 م لكنها على مرئ من بعضها البعض. وبالتالي فقد كانت تشكل حاجزا أمنيا في وجه القبائل الصحراوية. وتكاد معلوماتنا تنعدم حول طبيعة التواجد البيزنطي شرق لبدة، لغياب النصوص والشواهد الأثرية. فبروكوب لا يشير إلا إلى مدينتين محصنتين وهما : لبدة[140]Leptis Magna والتي كانت عاصمة للولاية ومقرا للدوق، الى جانب صبراتة[141]Sabratha. بينما تحدث جورج القبرصيGeorges de Chypre عن أوياOea.[142] أما

كما تحدثت المصادر العربية على مدينة مامس، والتي كانت بها مقتل كسيلة، أنظر مثلا: ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار المغرب، بيروت 1950، ص 33 . مما يجعل موقعها في السهول العليا المحاذية لمجرى وادي زرود، جنوب المرتفعات التي تمتد وسط تونس حاليا.

[134] Ch. Diehl, Rapport, Archi.Miss. p.118-119

[135] Procope, De Aed, VI,6,18

[136] Ch. Diehl, Afr.Byz. p235

حسب ديل فادا كانت قلعة حيدرة معروفة بموقعها ومعالمها، فان المدينتين الاخرتين لا توجدان في الخط الدفاعي الدي اقترحه بل يفترض أنهما توجدان باتجاه الشمال. وقد حاول تفسير دلك ، إما بخطإ في معلومات بروكوب الطبوغرافية، أوأصلا في كون الاحتلال البيزنطي امتد في المناطق الجنوبية، مثل ما هوالأمر في جنوب نوميديا، على مراحل، بينما اقتصرت شهادة بروكوب على المرحلة الأولى

[137] P.Orose, Historiae adversus paganos, I, 2, 90, dans la géographie d'orose, par Y.Janvier, Paris, 1982

[138]أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، ً6-7:" و يذكر أن تفسير طرابلس بالأعجمية الإغريقية ثلاث مدن و سماها اليونانيون طربليطة و ذلك بلغتهم أيضا ثلاث مدن ...و تسمى أيضا مدينة أطرابلس مدينة أناس.."

[139] D.J.Mattingly, Framers and Frontiers, Exploiting and defendig the countryside of Roman Tripolitania, dans Libyan Studies, 20, 1989, p.143., Id., Tripolitania, Londres,1995, p.116-159.

[140] Procope, de Aed, VI,4,1-5

[141]Procope, de Aed, VI,4,13

من الجهة الغربية للولاية فيمكن الحديث عن جرجيس Gergis، وجزيرة جربة Girba: فضلا عن قابس Tacapae. وحسب ديل فان التواجد البيزنطي لم يتجاوز التحكم في الطريق الرئيسي المحاذية للشريط الساحلي، في حين كان للنفوذ الدبلوماسي الدور الأكبر في مراقبة المنطقة، ودلك بربط القبائل الصحراوية بمعاهدات ودية[143]. خاصة وأن بروكوب لم يتحدث اصلا عن مدن محصنة، بل ربما مفتوحة مثلما اقترح ذلك ديل[144]، وهوما يمكن أن تحسسه من إشارة كوريبوس إلى انسحاب الجيش البيزنطي حتى مدينة عين غريب IUNCA [145] سنة 547. أومن خلال تطورات الصراع مع القبائل الطرابلسية والتي كثيرا ما أبرزت أن نفوذها قد بلغ حتى السواحل[146]. ولعل عجز الإدارة المتمركزة في قرطاج هوسبب تحويل هذه الولاية ، زمن الامبراطور موريس Maurice إلى المقاطعة المصرية[147].

ولاية نوميديا:

تمتد تقسيمات هذه الولاية الى فترة الممالك النوميدية ، إلا أنها رغم حفاظها على نطاقها وعاصمتها سيرتا، فمند إصلاحات دقلديانوس يمكن التفرقة بين 03 أنواع من نوميديا :

1. نوميديا الأصلية ويعود إنشاؤها الى الفيلق الأغسطي الثالث، ثم الى هيكلتها خلال الفترة السيفيرية، واد كانت قد ظلت حدودها من الغرب موريطانيا، فيبدوأنها من الجهة الشرقية قد فقدت الشريط الرابط بين هيبون Hippone وتيفيست Theveste لصالح البروقنصلية. وكان يحكمها حاكم praeses ثم أصبح consularis في عهد

كما وردت في قائمة طويلة من المصادرالجغرافية العربية أو مصادر الفتوح مثل: ابن حوقل، صورة الأرض، ص: 63 ، الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، تحقيق و تقديم اسماعيل العربي" القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983، ص : 284 ، المقدسي، أحسن التقاسيم، ص:187 اليعقوبي، البلدان، ص: 185 أو أبو عبيد البكري، المسالك و الممالك، ص:25،17 ، ابن عبد الحكم، فتوح مصر و المغرب، ص 39.

[142] Georg.de Chypre, 798 ; Procope ; De Aed. VI,4 ,11.

[143] مثل ما أورده عن بروكوب عن تصريح الوفد اللواتي الذي استقبله القائد البيزنطي

[144] Ch.Diehl, Afr.Byz. p. ; Procope, De Aed. VI,

[145] Corippus, Joh ,VII,111-136

[146] Y.Moderan, les maures et l'Afrique romaine, p. 290-309

[147] حسب قائمة جورج القبرصي فكل من الطرابلسية وقرينة أصبحتا ملحقتين بمصر.أنظر:

M.Bennabes, l'Afrique Byzantine face à la conquete arabe, p.64

الامبراطور قسطنطين Constantin وانتقلت عاصمتها من لامبيز Lambaesis إلى سيرتا .

2. نوميديا البروقنصلية : اقتطعت من المناطق الشرقية، وأصبح يحكمها مندوب عن البروقنصل الافريقي[148].

3. المقاطعة الكنسية لنوميديا والتي تشمل الاقليمين السابقين معا وتمتد من الحدود الموريطانية الى ولاية إفريقيا، فالقديس أوغسطين مثلا كان على اتصال بالبروقنصل بالنسبة للقضايا المدنية ، بينما ظل مرتبطا بهرم الكنيسة النوميدية فيما يتعلق بالقضايا الدينية [149].

وفي الواقع ظلت اشكالية امتداد الولاية النوميدية باتجاه ولايتي البروقنصلية وموريطانيا السطائفية محل مزايدات كثيرة ، فالبعض اعتبر أن مصطلح نوميديا البروقنصلية ظل يمثل حقيقة جغرافية وتاريخية[150] ، بينما فسر البعض الآخر تضارب المصادر في ضبط حدودها كدليل على عمليات الاصلاحات المتكررة التي شهدتها المنطقة في الأقاليم الإدارية، لا سيما من خلال عودة مصطلح نوميديا الموحد في مصادر القرن السادس ميلادي، سواء في مراسيم الامبراطور جستنيان أوكتاب المنجزات De Aedificis لبروكوب[151]، وهذا ما جعل منها أكبر ولايات إفريقيا البيزنطية. فبينما اعتبر ديل Diehl أن الحدود النوميدية قد توسعت نحوالشرق[152]، فسر ذلك برينغل D.Pringle بأنه نتاج إصلاحات إقليمية جديدة أدخلها الامبراطور جستنيان[153] . كما اعتبر ديل أن مدينة تبسة theveste تمثل أولى المواقع الحدودية الشرقية [154]، لا سيما وأنها كانت تسمح بمراقبة الطرق الرئيسية التي تربط

---

[148] C.Lepelley, quelques aspects de l'administration des provinces vandales, in An Tard,10, 2002, p. 61-72

[149] V. Lanrant,Une effigie inédite de saint Augustin sur le seau du duc byzantin de Numidie Pierre. in Cahiers de Byrsa, 2,1952, p.87-93.

[150] J.Desanges, Permanence d'une structure indigéne en marge de l'administration romaine : La Numidie traditionnelle, in Ant.Afr,15,1980, p.77-89.

حيث أبرز امتداد الكيان النوميدية بأبعاده الجغرافية والبشرية على هامش الادارة الرومانية طيلة فترة الاحتلال الروماني

[151] Procope,De Aed.VI,7,10-11.

حيث أدرج في القائمة النوميدية المدن التالية بولا ريجيا Bulla Regia، كالاما Calama' فوسالا Fussala، سيكا فينيريا Sicca Veneria، لاريبوس Laribus، أوبا Obba وربما حيدرة Ammaedara

[152] Ch.Diehl, Afr. Byz. ,p. 237-240

[153] D.Pringle, The Defense of Byzantine Africa from Justinian to the Arab conquest, BAR, int.ser. T.99, 2 vol. Oxford, 1981, p.61-62

[154] Ch Diehl, Afr.Byz.p.237

حول أهمية موقع تبسة من الناحية الاستراتيجية، أنظر

R Cagnat, Armée romaine, p.497-498 ; C.A.Moll, Mémoire historique et archéologique sur Tébessa(Theveste) et ses environs, Annuaire de la société archéologique de Constantine,4, 1858-1859,p.81-82 ; 5,1860-1861,p.188-221.

تيليبت Thelepte وقفصة Capsa في الجنوب الشرقي، فضلا عن الطريق الرابط بين صبيطلة Sufetula وسهول وادي الحطب، مثل القادمة من قرطاج باتجاه قسنطينة، كما تستمد أهميتها من تموقعها شرق الأوراس وإشرافها على الطريق المؤدي إلى تيمقاد Thamugadi ولامبيزيس Lambaesis من جهة ومن جهة أخرى على المسلك الجنوبي من خلال وادي هلال ووادي ثليجان. وقد وجدت على طول هذه المسالك سلسلة من الحصون، مثل هنشير عين سبع Henchir Ain Sbaa بالقرب من وادي الما، وقلعة عين بودريس Ain Bou Driss، هنشير الحمام Henchir el Hammam، قصر قوراي Gourai ،أوحصن قاستال Gastel. وإذا كان ديفال قد اعتبر هذا التوزيع ينم عن حالة نص بروكوب غير النهائية، فإن التحليل الذي قمه ديزاج J.Desangesحول استمرارية مصطلح نوميديا بمرجعية أقدم من فترة الاحتلال الروماني، تتجاوز في غالب الأحيان الإطار الإداري المحدد[155]، كفيل بأن يجب على هذه الوضعية. كما ظلت إشكالية امتداد النفوذ البيزنطي جنوب الأوراس محل فرضيات متضاربة، حيث اعتبر ديل Diehl أن الشريط الجنوبي لا يمكن أن يمر إلا شمال سلسلة الأوراس[156]، فمقر الدوق حسب مراسيم جستنيان كان قسنطينة، وأن افتراض امتداد النفوذ البيزنطي جنوب هذه سلسلة يعني قطع الطريق أمام القبائل الصحراوية، وهوما لم يتحقق طيلة فترة الاحتلال البيزنطي[157] . كما تبنى غزيل Gsell نفس الفرضية، حيث أقر أن الحدود البيزنطية إنما كانت تمتد شمال الأوراس، وأنه رغم عمليات التوسع التي قام بها القائد البيزنطي سولومون وإقامته للعديد من التحصينات، فسرعان ما تراجع النفوذ البيزنطي من المنطقة. وقد تبنى هذه الفكرة بعدهما لاسوس Lassus من خلال دراسته للقلعة البيزنطية بتيمقاد، حيث أبعد أصلا فرضية امتداد النفود البيزنطي بالجنوب. بينما تعامل من قبله صاحب إفريقيا الوندالية بنوع من الحذر، فرغم إقراره بامتداد النفوذ الى بادس، شكك في إمكانية امتداده حتى المناطق الغربية. كما كان لاكتشاف ما يسمى بألواح ألبرتيني ، لاسيما نقيشة نقرين Negrine ، أن أثيرت هذه الإشكالية من جديد من طرف ألبرتيني Albertini، الذي اعتبرها بمثابة البرهان المادي للتواجد البيزنطي بجنوب الأوراس، دعمت فيما بعد من طرف ديزانج Desanges الذي قام بنشر نص لبروكوب في كتاب المنجزات محاولا مطابقة عدد من المدن قد ذكرها المؤرخ البيزنطي في كتاب المنجزات[158] خاصة بغاي، بادس و مديلة، مما جعله يعتبر أن البيزنطيين كانوا يراقبون

[155] J.Desanges, Permanence d’une structure indigéne en marge de l’administration romaine, p.77-89
[156]Ch Diehl, Afr.Byz.p.239
[157] Ch Diehl, Afr.Byz.p.239
[158] Procope, De Aed. VI,7, 2-9

الطريق الرابط بين قفصة Capsa وطبنة Tobonae، مرورا ببادس[159]Bades. بينما حاول الباحث البريطاني Pringle إعطاء بعد جديد لهذه الفكرة باقتراح تفسير امتداد التواجد البيزنطي بوجود وحدات حدودية، أو Gentilis. ورغم أن قراءة نص بروكوب تظل مستعصية لكونها لا تخضع لمنطق جغرافي واضح، فالحديث عن فريكي، أو ما تم مطابقته بقصر الإفريقي رفقة مدينة سطيف خارج النطاق الأوراسي، مثل ذكر Meleum التي تمت مطابقتها بمدينة ميلة رفقة بادس و بغاي، يجعلنا نفترض أن بطاقيات بروكوب إما كانت في حالتها البدائية مبعثرة، أو أنه أعطى أمثلة عشوائية للتدليل على كثافة التدخل الإمبراطوري في السياسة التحصينية. و مع ذلك فلا شك أن ذكر بادس، مديلة هما شهادتين على هذا الامتداد البيزنطي جنوب الأوراس.

المواقف التي رفضت فرضية امتداد النفوذ البيزنطي جنوب الأوراس	
ديل[160] Diehl ,	حيث اعتبر أن الشريط الجنوبي لا يمكن أن يمر إلا شمال سلسلة الأوراس[161] ، فمقر الدوق حسب مراسيم جستنيان كان قسنطينة، وأن افتراض امتداد النفوذ البيزنطي جنوب هذه سلسلة يعني قطع الطريق أمام القبائل الصحراوية، وهوما لم يتحقق طيلة فترة الاحتلال البيزنطي
غزيل[162]Gsell	أقر أن الحدود البيزنطية إنما كانت تمتد شمال الأوراس ، وأنه رغم عمليات التوسع التي قام بها القائد البيزنطي سولومون، وإقامته للعديد من التحصينات، فسرعان ما تراجع النفوذ البيزنطي من المنطقة

ولأهمية هذا النص فسنحاول تقديم نسخة معربة ، أنطلاقا من مقابلة الترجمة الإنجليزية و ترجمة ديزانج مع النص الإغريقي الأصلي:

" .. و هذه حال جبل الأوراس، الذي كان في الأصل في يد الوندال مع بقية ليبيا، لكن المور استولوا عليه، و تمكن الامبراطقر جستنيان من طرد المور، و أيضا يابداس الذي كان يحكم المنطقة، و إضافة هذا الجبل إلى بقية الامبراطورية الرومانية. و كاحتياطن حتى لا يثور البرابرة ثانية و لضمان التوازن، شيد المدن الموجودة حول المرتفع و التي وجدها خالية. إنني اقصد بنتبغاي Pentabagai فلورنتينا Florentina بادي Badé وميليوم Meleum وتاموقادي Tamogadi و أيضا حصنين آخرين هما، دابوزيس Dabosis وغايانا Gaeana. كما أقام الحصون لاستقبال الجند و حتى لا يترك للبرابرة أي أمل لمهاجمة الأوراس. أما بالنسبة للبلاد الموجودة شمال الأوراس و التي لم تكن خاضعة للوندال، فقد طرد المور و حصن مدينتين إثنتين: فريكي Phriké وسطيفيس Sitiphis، وبالنسبة للمدن الموجودة في بقية نوميديا، أقام التحصينات المنيعة و هذه أسماؤها: لاريبوزوديون Laribuzuduon ، براتورون Paraturon ، كيلانا Cilana ، سيكافنيريا Siccaveneria، تيجيسيس Tigisis، لامفوامبا Lamfouaomba ، كالاما Calama ،ميدارا Medara ، مديلة Medela ، وبالقرب منها سكيلا Scilé، وفوسالة Foscala ، وهكذا بالنسبة لنوميديا.."

[159] J.Desanges, Un témoignage peu connu de Procope, sur la Numidie Vandale et Byzantine, in Byzantion, XXXIII, 1963, p.41-69.
[160] Diehl, Afr.Byz.p.238-239
[161]Ch Diehl,Afr.Byz. p.239
[162] St.Gsell, Monuments Antiques de l’Algerie.T. II, Paris, 1901 346-348

لاسوس Lassus[163]	قد تبنى هذه الفكرة بعدهما من خلال دراسته للقلعة البيزنطية بتيمقاد، حيث أبعد أصلا فرضية امتداد النفوذ البيزنطي بالجنوب. بينما تعامل من قبله صاحب إفريقيا الوندالية بنوع من الحذر، فرغم إقراره بامتداد النفوذ الى بادس، شكك في إمكانية امتداد حتى المناطق الغربية.
المواقف التي تبنت فرضية امتداد النفوذ البيزنطي جنوب الأوراس	
ألبرتيني Albertini[164]	: اعتبرها بمثابة البرهان المادي للتواجد البيزنطي بجنوب الأوراس
كورتوا Courtois[165]	تعامل بحذر كبير مع هذه الاشكالية، فقد ترك نقطة استفهام علة منطقة الأوراس في خريطة الاحتلال الوندالي ، حيث اعتمد على نصوص بروكوب: BV,I,8,5;II,13,26; *De Aed* VI,7,2
ديزانج Desanges[166]	قام بنشر نص لبروكوب في كتاب المنجزات محاولا مطابقة المدن التي دكرها المؤرخ البيزنطي مع كل من :.........وبالتالي مراقبة البيزنطيين للطريق الرابط بين قفصة Capsa وطبنة Tobonae ، مرورا ببادس Bades .
برينغل Pringle[167]	اقترح تفسير امتداد التواجد البيزنطي بوجود وحدات حدودية، أو Gentilis
تروسي Trousset[168]	استخلص أثناء دراسته للتخوم الجنوبية امتداد النفور البيزنطي، واعتبر أن البيزنطيون قد بسطوا نفوذهم من خلال الطريق طبنة، الجريد
موريزو Morizot[169]	رفض أصلا الفكرة على أساس، معتبرا أن اكتفوا بمراقبة بعض المواقع فقط
موديران Moderan[170]	حاول إعطاء قراءة أوسع لمفهوم الأوراس عند بروكوب، أنطلاقا من أبحاث تروسي و انتهى بنفس خلاصته

163 J.Lassus, La forteresse Byzantine de Thamugadi(fouille à Timgad 1938-195-) Paris, 1981, p 20 n°18
164 E. Albertini, Ostrakon de Negrine (Numidie) dans Cinquantenaire de la Faculté des Lettres", Alger,1932.p.53-62
165 C.Courtois, V.A. p.326,N°8
166 J.Desanges, Un Témoignage peu connu de Procope, pp. 86-99.
167 D.Pringle, the Defence of Byzantine, p 231-232
168 P.Trousset, les fines antiquae et le reconquete byzantine en Afrique, in II Colloque sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du Nord .1983= BCTH.N.S. 19B.1985.P 369-374. Ibid., Les limites sud de la réocupation byzantine, in Ant.Tard.10,2002,p. 143-150.
169 P.Morizot, la présence romaine dans le Dj.Amour in Hommage à P.Salama, p.185-213. Ibid., L'enceinte fortifiée de Mendour(Aurés), in Ant .Afr. 1991, 37.P123-140.
170 Y.Moderan, les Maures et l'Afrique, pp.352-359

ولايتي موريطانيا

ورد الحديث عن موريطانيا في صيغة المفرد في نص مرسوم الامبراطور جستنيان، ولتجاوز اشكالية عدد الولايات المذكور :07، اقترحت قراءة تصحيحية بصيغة الجمع، سرعان ما وجدت قبولا من كل الباحثين. وهي صيغة منطقية تجد سندها في عدد من المصادر الأدبية. و بالتالي اذا اعتبرنا أن موريطانيا الطنجية قد أصبحت مهيكلة ضمن المقاطعة الإسبانية، فلا مجال لذكرها ضمن هذه القائمة. كما يمكن العودة إلى ذلك من خلال إشارة بروكوب لكل من موريطانيا الأولى وموريطانيا الثانية للتفرقة بين موريطانيا السطائفية والقيصرية، الأمرالذي يدعوللاعتقاد بأنهما الموريطانيتان اللتان امتد اليهما الاحتلال البيزنطي ولوجزئيا[171].

وقد عرفت هذه المنطقة عمليات مد وجزر بين الاحتلال الوندالي وعودتها للامبراطورية الرومانية، حسب معاهدة جنزريق مع فالنتينيان، لتخضع ثانية الى الاحتلال الوندالي[172]. رغم فرضية ديزانج انطلاقا من نص بروكوب حول تغير وضعية الأوراس خلال الفترة الوندالية، و التي مفادها أن موريطانيا السطائفية لم تخضع نهائيا للنفوذ الوندالي، وإن كان ذلك، فالأمر لم يتجاوز بضعة سنين[173]. كما أوردت المصادر الأدبية إشارات جعلت التساؤل قائما حول طبيعة الاحتلال البيزنطي لهذه المنطقة ومناطق التمركز الرئيسية بها، فقد تحدث بروكوب مثلا عن **نوميديا زابي**[174] وعاصمتها سطيفيس، كما اعتبر جورج القبرصي مدينة سطيف من مدن نوميديا[175]. وفسرت بعض الدراسات إشارة جورج القبرصي بأنها توحي في حقيقة الأمر الى مرحلة ضم جديدة قامت بها الإدارة البيزنطية في حدود 550[176]. مما سمح باستنتاج قراءة جديدة لمصطلح : موريطانيا الأولى عند بروكوب، حيث أصبحت مطابقة لموريطانيا القيصرية بما فيها سبتة Ceuta [177] والتي كانت تابعة لسلطة دوق موريطانيا في شرشال Caesarea. مما

---

[171] Procope,B.V.,II,20,30-31

[172] يؤكد مرسومNovelle فالنتيان الثالث بأن موريطانيا السطائفية لم تعد وندالية منذ تاريخ 21 جوان 45، حيث أشارت إلى أن موريطانيا السطائفية ونوميديا، أصبحتا ضمن الامبراطورية الرومانية، وهونفس الأمر الذي أكده مرسوم Novellae 13 جويلية 451. ومع ذلك فقد تساءل كورتوا إذا ما كانت وفاة هذا الامبراطور سنة 455، فرصة لإعادة جنزريق بسط نفوذه على المنطقة كلية. أنظر:

Desanges (J), "Un Témoignage peu connu de Procope. P. 62; C.Courtois, V.A.p. 169,N°7.

[173] Desanges (J), "Un Témoignage peu connu de Procope. p 61.

[174] Procope, B.V. II,20,30

[175] أنظر لاحقا ص:

[176] D.Pringle, The Defense of Byzantine Africa, p.64,224 ; Y.Duval, la Maurétanie Sitifienne à l'époque byzantine, in Latomus,XXIX,1970,p.209-214

[177] Procope, De Aed., VI,7,17 ; Id., B.V. I,1,6; II,5,6; Ch. Diehl, Afr.Byz. p 36

يلزمنا البحث عن موريطانيا الثانية فيما أسماه بروكوب بـــ غادييرا[178] Gadeira أوجورج القبرصي في نهاية القرن السادس بموريطانيا غادابيتانا Mauretania Gadabitana[179] والتي يفترض أنها كانت تضم المناطق التي كانت في حوزة الولاية الاسبانية سابقا بما فيها ربما جزر البليار.

أما المصادر المسيحية، فيبدو أنها لم تكن تتحدث إلا على موريطانيا واحدة، فقد ورد الحديث في نقيشة اكتشفت بموقع سيدي حبيش بالجنوب التونسي، تشير إلى أحد أساقفة موريطانيا[180] : episcopus primae sedis Mauretaniae

موريطانيا السطائفية

يبدوأن النفوذ البيزنطي قد ظل محدودا على القسم الشرقي من موريطانيا السطائفية، إلى جانب عدد من المواقع الساحلية بكل من موريطانيا القيصرية وربما سبته من موريطانيا الطنجية. حيث تمثلت أهم المواقع التي وردت الاشارة إليها في نص بروكوب، في كل من موقع زابي Zabi الذي عرف في مصادر مختلفة كأحد مراكز الليمس[181]، بإشرافه على منطقة الحضنة وجبل بوطالب. رغم أن مصطلح بروكوب "بلاد الزاب"[182] يوحي لنا بأنه أصبح يغطي رقعة جغرافية أوسع، لاسيما وأن مدينة سطيفيس – حسبه– أصبحت جزءا من هذه الجغرافية الجديدة، وهوموضوع يدعو للتفكير في امكانية تغير مركز الولاية وانتقاله إلى المناطق الإستراتيجية، لا سيما وأنها تحتل الصدارة في مرحلة الفتوحات الاسلامية[183]. يضاف إليه موقع سطيف Sitifis، الذي أصبح منذ إصلاحات دقلديانوس، عاصمة إقليمية لموريطانيا السطائفية، وبالتالي يفترض أنه

---

178 Procope, DeAed.VI,7,14 ; Id., B.V.I,1,4-5,7,14-15.

179 Georges de Chypre, 670-674

180 CIL VIII 23035 : « *Paulus / episcopus / prim(a)e se/dis provin/ci(a)e Mauri/tani(a)e in pa/ce requie/bit(!) s(ub) d(ie) XV / Kal(endas) Mar/tias* »

النقيشة هي بمثابة قطعة فسيفساء، اكتشفت في القرن الماضي بموقع سيدي حبيش بتونس، ورغم ما تطرحه شخصية بوليس هذا من مشاكل في مطابقتها بأي من الموريطانيتين، خاصة و أنه لم يذكر في القوائم الكنسية المعروفة سابقا، فكونه يوصف بأسقف أول الأبرشيات في موريطانيا يجعل كل الفرضيات مفتوحة. أنظر بهذا الصدد:

J.Durliat, Recherches d’histoire sociale de l’Afrique byzantine, le dossier épigraphique (533-709) (Thèse de troisième cycle, Paris I: Paris 1977) p.198-200 ;

أما بالنسبة للحضور الموريطاني في المجامع الدينية، وبدرجة أخص مجمع موريطانيا الذي يبدو أنه انعقد في حدود 646م فيمكن الاطلاع على:

J–L.Maier, l’Episcopat l’épiscopat de l’Afrique romaine, vandale et byzantine, Bibliotheca helvetica romana, Rome 1973 , p.75,N°9 ; 82,

181 Notitia Dignitatum, ed. O.Seek, occ, XXV,1-36

182 Procope.B.V. II,20,30 .

183 أنظر البطاقية رقم11

حافظ على مكانته هذه. كما تسمح المصادر الأثرية والمعاينات الميدانية، بتوسيع دائرة هذه الولاية، حيث يمكن الحديث عن كل من آراس *Aras* [184] أوالخربة الزرقاء Cellas. وتامالولا Thamallula . كما اكتشفت مؤخرا نقيشة جديدة تعود للفترة البيزنطية، بمنطقة أولاد تبان"كراشين"، تدعم قراءة الخريطة عبر هذا الطريق الجنوبي[185]. فضلا عن تثمين القلعة البيزنطية بموقع موفت[186]Mopht. ومع ذلك فإشكالية الحدود الغربية لموريطانيا تبقى مطروحة، كما تحتاج المعاينات الميدانية إلى عمليات مقارنة للفرز بين ما هو بيزنطي فعلا وما هومحلي، أويعود إلى فترات أخرى. أما من الناحية الشمالية فيمكن الحديث عن كل من شوبا Choba[187] ، أيجيلجيلي Igilgili[188] ، صالداي Saldae.[189]

ولاية موريطانيا القيصرية:

لا يمكن الحديث في هذه الولاية إلا على عدد محدود من المواقع، والتي تظل ساحلية وربما أيضا محدودة من الناحية الزمنية، فبروكوب[190] لا يتحدث إلا على قيصرية، والتي يفترض أنها كانت مقر إقامة الدوق. إلا أن عددا من المواقع الأخرى مرشحة لتكون ضمن ما تبقى من هذه الولاية، على الأقل في الشريط الساحلي، مثل تيبازا Tipasa، تيقزرت Iomnium أوروسيغناي[191]Rusguniae. كما ألحقت بهذه الولاية مدينة سبتة[192]، التي كانت ضمن المقاطعة الطنجية، لأهمية هذا الموقع من الناحية الإستراتيجية، وإشرافه على الطرق

---

[184] J.P.Laporte, Zabi, Friki: Notes sur la Maurétanie et la Numidie de Justinien, Ant, Tard.10, 2002, pp. 151-158

[185] أنظر البطاقية رقم 10

[186] Y. Aibèche et M. Christol, « Une inscription byzantine de Mons (Algérie) », dans *Aouras*, 3, 2006, p. 365-374 ; Y. Aibèche et M. Christol, « Remarques sur les inscriptions de Mons (Algérie) : autour de la redécouverte d'une inscription byzantine »,Actes de la rencontre d'épigraphie franco-italienne de Macerata, septembre 2005. Y. Aibèche et M. Christol, « Sur une inscription de Mons (Algérie) de l'époque de Marc Aurèle », *ZPE*, 158,2006, p.251-258; Y. Aibèche et M. Christol, « Municipium Mopti : le municipe de Mopt(h)i, entre Sétif et Cuicul »(communication à la SFER, le 14 octobre 2006)

[187] Cambuzat, l'évolution des cites. p 148-149

[188] رغم أهميتها كميناء بالنسبة لقسنطينة والقسم الغربي لنوميديا فاننا نفتقد لإلى شواهد تعود الى السادس، وما نعرفه فقط هما القسن الذين وردت الإشارة إليهما ضمن قائمة الاضطهادات الوندالية للمسيحيين في حدود 484: أوربيكوسيس Urbicosus Eguilguilitanus ودوميسيانوس Domitianus Igigitanus، أنظر:
J.L.Maier, l'Episcopat l'épiscopat de l'Afrique romaine, vandale et byzantine, p. 155; J.Mesnage, Afrique chrétienne, p.285

[189] Ch.Diehl, Afr.Byz.p.36 ; C.Courtois,V.A.p.161

[190] Procope,B.V.II,5,5 ; 10,29,31-32

[191] N.Duval, L'Etat de la recherche sur les Fortifications Byzantines en Afrique, XXXe Corso di cultura sull'arte Ravennate e Bizantina, 1983, p.181

[192] E.Gozalbes Cravioto, El problema de la Ceuta bizantina, in C.T., XXIX, n°115-116.1981,p.23-53

التجارية البحرية، فضلا عن مكانته المعنوية، باعتباره أقصى المناطق الغربية للإرث الروماني.

ويبدوجليا أن أهم الإضافات التي أدخلها الامبراطور موريس Maurice على التقسيمات الادارية الافريقية، تمثلت في إدراج ما يسمى بالموريطانيتين، وهوما تؤكده قائمة جورج القبرصي. رغم ما تطرحه من صعوبات، مما يجعل فرضية امكانية احتواء هذا التقسيم النظري لما تبقى من جغرافية موريطانيا القيصرية، أكثر احتمالا، رغم تقلص مساحتها. وهوما يجد تبريرا في تركيز الممتلكات البيزنطية الغربية حول سبتة، تحت اسم موريطانيا الثانية، خاصة بعد سقوط كل من ملقا Malaga، وقرطاجوCarthago الاسبانيتين في يد القوط الغربيين. حيث أصبحت مقر إقامة الدوق البيزنطي الملقب ب gloriosus[193] . وبالتالي إذا كانت قوائم الممتلكات البيزنطية في نهاية القرن السادس تكرس مدى تراجع الأطماع التوسعية التي طالما تغنى بها جستنيان، فإن إصلاحات الامبراطور موريس تبدوعلى أنها محاولة مطابقة المشاريع السياسية مع الأمر الواقع. باعتبار أن أغلب هذه الأقاليم الغربية أصبحت في يد الممالك المورية المستقلة.

يتجلى من خلال هذه العجالة السريعة لجغرافية بلاد المغرب البيزنطية، أن صعوبات كثيرة تعترض الباحث، ليس فقط في ضبط الأقاليم وحدودها، بل حتى المفاهيم السياسية والادارية لهذه المناطق، فبين التصور النظري لمرسوم جستنيان والدي يبدوأنه كان يرتكز كثيرا على المواثيق الامبراطورية العتيقة في تحديد المناطق، أكثر من اعتماده على المصطلحات الاقليمية المعمول بها والتي كثيرا ما تجلت في كتابات رجال الدين أوالمصادر الأدبية الأخرى، وبين طبيعة الجغرافية التاريخية لبلاد المغرب. يظل الباحث في تردد كبير ينعكس على قراءة النصوص والأحداث التاريخية الأخرى، ما لم تسمح الأوضاع بعمليات مسح أثرية قد تثري هذا الملف وتحسم اشكالاته. وقد نتحسس من التشريعات التنظيمية للإدارة الإفريقية، والهياكل التي نصبتها، طبيعة التوسع البيزنطي وهواجس الجغرافية الإدارية البيزنطية بعيدا عن الخطاب الإيديولوجي لجستنيان. فقد حققت انتصارات القائد بلزاريوس توسعا جغرافيا ضمن في المرحلة الأولى، كل من البروقنصلية باكملها والجزء الأكبر من المزاق فضلا عن الطرابلسية، بينما ظل أكثر من ثلثي نوميديا والموريطانيتين خارج النفوذ البيزنطي. وهوما انعكس من خلال المناصب الجهوية ومكانة حكام

[193] J.Durliat, recherches sur l'hisrtoire sociale, p 134-135 ; C.Zukerman, la haute hiérarchie militaire en Afrique byzantine, Ant.Tard. 10,2002, p.170

الولايات. فقد تضمن المرسوم الجستنياني على 06 مناصب جهوية[194]، 03 منهم بمثابة قناصلة Consularis والآخرون في مرتبة دنيا praesides[195]. ويتجلى ذلك أكثر عندما نقابل هذه المناصب مع التنظيم الذي حفظته قائمة الدينيناتوم، حيث نجد نوميديا لا تحضى بنفس المنصب القنصلي الموجود في القرن الخامس، بينما الطرابلسية، التي كان استسلامها أسهل، ترقى إلى ذلك[196].

التنظيم الإداري للمقاطعة الإفريقية

الإدارة المدنية :

ظل النص التشريعي لجستنيان المصدر الأساسي لدراسة التنظيمات الإدارية في بلاد المغرب، بفضل استعراضه قائمة الوظائف الرئيسية، وطبيعة المناصب والرواتب التي أمر بها. حيث أصدر مرسومين بتاريخ 13 أفريل 534، خصص الأول لوضع أسس الإدارة المدنية، وتفعيل الخلفية السياسية والدينية لبرنامجه، معلنا عن تعيين أرشليوس *Archelaius* حاكما مدنيا لإفريقيا.[197] أما المرسوم الثاني فقد خصصه للإدارة العسكرية، وقد وجهه إلى القائد بليزاريوس الذي عين بدوره قائدا عاما للعمليات العسكرية، مع حفاظه على لقب قائد قوات الشرق[198]. وقد تميز هذا النص، من جهة بطابع تقني، جعل ولاية إفريقيا ولاية متميزة، أدمجت كل من سردينيا، كورسيكا، وجزر البليار فضلا عن مدينة سبتة، وعاصمتها قرطاج. مقسمة الى 07 أقاليم يسيرها حكام مدنيون[199]، مكرسا الفصل بين السلطات المدنية والعسكرية، ولوأن الأستثناءات كانت كثيرة في الميدان[200].

---

[194] Ch.Diehl, Afr.Byz. p 110

[195] AHM, Jones, the later Roman Empire, oxford, 1964, T1, p.42, 52, 126, 130, 373,377.
يجب التذكير بأن الولاية البروقنصلية قد وضعت مباشرة تحت إشراف الإدارة المركزية للحاكم المدني، وبالتالي ألغي الهيكل الإداري الإقليمي الخاص بها.أنظر:
S.Puliatti, Ricerche Sulla legislazione »Régionale »di Giustiniano, p 78

[196] Ch.Diehl, Afr.Byz,p.111

[197] Codex .Just.I,27,1, ed P.Krueger, Berlin ,1888

[198] Ibid

[199] عوض منصب منصب بروقنصل Pronconsul بمنصب أقل مكانة، القنصل Consul، بينما ألغي منصب Vicaire d'Afrique، وهذا ما جعل المؤرخين يعتبرون أن هذه الاصلاحات قد استمدت من أفكار البطريق يوحنا الكابادوشي Jean de Cappadoce أنظر:
E.Stein, Histoire du Bas Empire;TII, op cit. p 319-463

[200] كثيرا ما أسندت السلطة لقائد عسكري مثل ما حصل مع سولومون أو قيناديوس، أنظر :
Ch.Diehl, p.474, 478-481 ; P.Goubert, Byzance avant l'Islam, sous les successeurs de Justinien , TII, Rome, Byzance, et Carthage , Paris, ed, J.Picard, 1965, p.180-194 ; J. Durliat, recherche sur l'histoire sociale de l'Afrique byzantine. p. 134

كما حدد هذا النص القانوني كيفية اختيار وتعيين الحكام والموظفين وواجبات كل منهم. وإذا سمح للحاكم المدني بصلاحية تعيين الموظفين وحكام الأقاليم فقد احتفظ جستنيان بحقه في مراجعة كل عمليات التعيين والترقية.[201] إلى جانب تحديد سياسة أجور خاصة مبنية على مبدأ الإستقلال المالي، وذلك بعد تطهير الخزينة العامة، وضبط سياسة جبائية صارمة[202]، مؤكدا أن مصاريف فرق الجيش والإدارة الامبراطورية تؤخذ من مداخيل الضرائب مباشرة.

وتوج في الأخير ببيان شامل لأجور الموظفين، موضحا بدقة وإسهاب مستحقات كل وظيفة، سواء تحت إشراف الحاكم المدني أوفي إحدى جمعيات المساعدين. كما تميز من جهة ثانية بالطابع التوجيهي، وذلك بالتأكيد على أخلاقيات وسلوكيات الموظفين وواجباتهم المهنية والتزاماتهم مع ضبط الإتاوات الواجب دفعها للحصول على شهادات التعيين[203]، والغرامات الواجب دفعها في حالة أي تجاوز[204]. والتأكيد على أن فائدة السكان المحليين ليس هواسترجاع حريتهم فحسب بل الاستفادة من امتيازات الإدارة الجديدة وعدم توارث المناصب ومحاربة الرشوة في أوساط الطبقة البيروقراطية، وانضباط أخلاقية الحكام واحترامهم للعدالة وحماية السكان والدفاع على حقوقهم[205].

وعموما فقد كرست هذه النصوص القانونية رغبة الإمبراطور جستنيان في إرجاع التقاليد الرومانية، ومد النفوذ البيزنطي إلى أقصى الحدود القديمة، كما شكلت فكرة " استرجاع"[206] المقاطعة الإفريقية محاولة جديدة لوضع أسس إدارة جديدة يبدوأنه كان من أهم مميزاتها ما يصطلح بتسميته بالإصلاحات السياسية الجستنيانية. دون أن ننسى مكانة الخطاب الديني من هذه الإصلاحات، لا سيما عند الحديث عن محاربة الرشوة، حيث كان توظيف القيم المسيحية في محاربة الظلم والتسلط، والدعوة للإخاء والعدل، فضلا عن التأكيد على الطابع المسيحي للحملة[207]. يجعلنا ننظر إليها كحملة "صليبية" بأتم معنى الكلمة.

---

[201] Codex Justinianus, I,27,1,15

[202] Codex Justinianus, ed., P. Krueger, Berlin, 1877, I,27,1,15.
التأكيد على أن مصاريف فرق الجيش والإدارة الامبراطورية تؤخذ من مداخيل الضرائب مباشرة

[203] Cod.Just. I,27,1,15,16,17,19,20.

[204] Cod.Just.I,27,1,15,19,20

[205] Cod.Just.I,27,1,15,19,20

[206] كثيرا ما تردد هذا المصطلح " Reconquista" دون شك لإعطاء الشرعية على الأرض الإفريقية.

[207] Cod.Just. I,27,1,15. Procope, B.V.I.8,18-21.

يتألف ديوان الحاكم العام الإداري Prefet de Pretoire ، من 396 موظفا، فضلا عن 50 موظفا منتدبا لكل إقليم[208] و يسمح له بممارسة سلطته في مختلف الميدان القضائي و المالي، مثل إشرافه على الإنجتزات العمرانية. وقد كانت لي فرصة متابعة مختلف هذه المناصب في رسالة الماجستير، حيث تجلى تقنين الوظائف، صلاحياتها ورواتبها. و هي مناصب كثيرة الإغراء حسب تعبير كاسيودور Cassiodorus، إلا أنها تبقى محدودة و مرتبطة بهيكل الإدارة المركزية. وهو ما يسمح بالاعتقاد بأن أغلبيتها قد رافقت الحملة العسكرية من القسطنطينية، و أن نسبة الأفارقة فيهم تظل محدودة. و لعله جرد قائمة الحكام المدنيين الذين تسمح بهم المصادر تسمح لنا بتأكيد هذه الصورة أكثر:

جدول لحكام المدنيين

	التاريخ	إسم الحاكم العام		المصدر- المرجع
1	أفريل 534	أرشاليوس	Archélaos	Cod.J.I,27,1 ; Procope.B.V.I,11,17
2	1جانفي 535	سولومون	Solomon	Nov.36,37 ; Procope.B.V.I,11,9
3	536	سيماك	Symaque	Procope.B.V.II,16,2
4	539	سولومون	Solomon	Nov.66,1 ; CIL VIII,4799 ; Procope, B.V. II,10,1
5	545	أتناس	Athanas	Procope.B.V.II,24,2
6	552	بولس	Paulus	Nov.160; Zachariae, a.552, MGH, Epist.III,440
7	555 و560	بويتيوس	Boéthius	Ch.Diehl, Afr.Byz. p.597-8
8	أكتوبر 558	يوحنا	Jean	Nov. 169; Ch.Diehl, Afr. Byz. p.597-8
9	جانفي 563	أريوبيندوس	Areobind	Nov.173; Ch. Diehl, Afr. Byz. p. 597-8
10	565	توماس	Thomas	CIL VIII, 1434 ; Ch.Diehl, Afr.Byz. p.597-8
11	569	تيودور	Theodore	Ch.Diehl, Afr.Byz. p.597-8
12	مارس 570	تيودور		J.de Biclar, ad. A.569
13	مابين 565-574	لوكيوس ماب	Luciucs Map.	CIL VIII 1020, Ch.Diehl, Afr.Byz. p.597-8
14	ما بين 758-582	توماس		CIL VIII, 2245
15	أوت 582	تيودور		Nove.Const., XIII ; Zachariae, p.30-31
16	جويلية 592	يوحنا	Jean	Greg.I, Epist.4,32.

[208] Cod.Just.I,27,1,15,19,20. A.Chastagnol, la fin du Monde Antique, de Stilicon à Justinien, Paris, 1976, p343-344.

CIL VIII 12035	Pantaléon	بنتاليون	جويلية 594	17
Greg.I, Epist.10,16-17 ; 11,7.	Innocent	إينوسونت	جويلية 600	18
Greg.I, Epist. ??? Ch.Diehl, Afr.Byz. p.597-8	Gregoire	جريجوار	جوان 627	19
Ch.Diehl, Afr.Byz. p.597-8	Georges	جورج	641	20

و بقدر ما يطرح هذا الجدول صورة مشرقية للحكام المدنيين، بقدر ما يجرنا لمقارنة هذه الأسماء بقائمة الشخصيات العسكرية الواردة في النصوص الأثرية، و هو أمر يجعلنا نعتبر أن أهمية هذا المنصب ظلت كبيرة قبل أن يصبح منصب قائد الوحدات العسكرية المنصب الفاعل في مواجهة الخريطة السياسية المورية. وإذا كانت أحادية مصدرنا قد أعطت الخلفية التنظيمية للهيكل الإداري دون أن تسمح لنا بتتبع تطورها، فلنا أن نفترض أن هذه الصورة قد ظلت نظرية بالدرجة الأولى، لأن النصوص الأثرية تسمح بمعاينة عددا أكبر من الشخصيات العسكرية.[209]

[209] يوسف عيبش، المور و البيزنطيون، ص 81-91

جدول هيكلة الادارة المدنية بالمقاطعة الإفريقية من خلال النص التشريعي الجستنياني

	المصلحة	الوظيفة		العدد		المصدر
		الترجمة	الإسم الأصلي	حسب الوظيفة	المجموع	
الإدارة المركزية للحاكم العام	الديوان		Prefect	1		C.J.,I,27,1,21
		المستشارين	Consilliarii	؟	1	C.J.,I,27,1,21
		المحضرين	Cancellari	؟		C.J.,I,27,1,21
	جهاز المالية	المصلحة 1	ScriniumI	10		C.J.,I,27,1,22
		المصلحة 2	ScriniumII	10		C.J.,I,27,1,23
		المصلحة 3	ScriniumIII	10	40	C.J.,I,27,1,23
		المصلحة 4	ScriniumIV	10		C.J.,I,27,1,23
	جهاز القضاء	م،رؤساء المكاتب	Scrin. Primiscrini	10		C.J.,I,27,1,24
			Scrin. Coeentar	12		C.J.,I,27,1,25
			Scrin. Ab actis	10	38	C.J.,I,27,1,26
			Scrin. Libellorum	06		C.J.,I,27,1,27
	الأشغال العمومية		Scrinum Operum	20	20	C.J.,I,27,1,36
	الخزينة		Scrinium arcae	20	20	C.J.,I,27,1,37
	المساعدون		Ausiliari			
			Schola exceptorum	60		C.J.,I,27,1,28
			Schola Singular	50	278	C.J.,I,27,1,29
			Schola Mittendar	50		C.J.,I,27,1,30
			Schola Cursorum	30		C.J.,I,27,1,31
			Schola Nomenclat	12		C.J.,I,27,1,32
			Schola Stratorum	06		C.J.,I,27,1,33
			Schola Pracconum	10	396	C.J.,I,27,1,34
			Schola Draconar	10		C.J.,I,27,1,35
			Schola Chartular	50		C.J.,I,27,1,38
	الصحة	أطباء	Sanita	5	5	C.J.,I,27,1,41
	التربية	نحويين	Grammatici	2	4	C.J.,I,27,1,42
		سفسطائيين	Sophistae oratores	2	9	C.J.,I,27,1,43
					406	
الولاية	الحاكم					
			Consulares	1	3	C.J.,I,27,1,13
			Off. Consularium	50	150	C.J.,I,27,1,13
			Praesides	1	4	C.J.,I,27,1,12
			Off. Praesidium	50	200	C.J.,I,27,1,13
					357	
	المجموع العام				763	

الإدارة العسكرية

تطلبت الهيكلة الإدارية تنظيما موازيا للجيش حددته بنود المرسوم التشريعي[210]: C.J.I,27,2. ونظرا لفقدان أي تنظيم عسكري ثابت بإفريقيا – عدا الجيش الوندالي الذي كان إنهياره سريعا – فقد حاول البيزنطيون وضع أسس نظام عسكري تبلور تدريجيا ليطبق في مقاطعات الشرق[211]. لذلك فقد كانت التشريعات الخاصة بالجيش الافريقي، هي محاولة للتوفيق بين معطيات الجيش البيزنطي المعاصرة، والواقع الافريقي من خلال عملية الاحتلال أو" إعادة الاحتلال " لكنها غير نهائية بعد، وغير مضمونة[212]. ولعل قراءة مختصرة لهذا المرسوم، تجعلنا نقف على أنه مجموعة من الإجراءات الظرفية، لمعالجة هذه المرحلة في انتظار إسترجاع كل المناطق التي كانت في يد روما – إلى غاية الليمس الروماني[213]– حيث تمحور هذا المرسوم في ثلاثة أقسام رئيسية : كان الأول بمثابة محور ديني، ركز فيه الامبراطور على حمد الله وشكره على تحقيق هذا الانتصار ، مؤكدا على قدسية النظام الامبراطوري[214]. واعتنى في المحور الثاني بتقسيم المقاطعة الافريقية الى 05 أقاليم عسكرية، ليحدد بعد ذلك واجبات قوات الجيش، ومهمة وواجبات القائد الأعلى للجيش ، وقادة الوحدات، وينتهي بالتأكيد على أخلاقيات الطاعة العسكرية[215]. وحدد في الأخير قيادات الأقاليم الحدودية Limites.[216]

الاقليــــــم	مقر اقامة القائد العسكري
الطرابلسية	لبدة
المـــــزاق	قفصة ، المدينة القديمة
نوميديا	قسنطينة
موريطانيا	قيصرية (شرشال)
سردينيا	لم يحدد بالضبط "بالقرب من الجبال"

[210] وجه هذا المرسوم الى القائد بليزاريوس بإعتباره قائد العمليات العسكرية بإفريقيا، بتاريخ 13 أفريل 534م –في نفس الوقت مع المرسوم الخاص بالادارة المدنية

[211] N. Duval, L'Etat de la recherche sur les Fortifications Byzantines en Afrique‹dans, XXXe Corso di cultura sull'arte Ravennate e Bizantina, 1983, p. 164 .

[212] N. Duval, Ibid, p.165

[213] S.S.Puliatti, Ricerche Sulla legislazione »Régionale »di Giustiniano, p. 99

[214] C.J. I, 27, 2, 1-36

[215] C. J. I,27, 2, 1-5, 7-15

[216] S.S.Puliatti, Ricerche Sulla legislazione « Régionale » di Giustiniano , p. 102. A. Chastagnol, La fin du Monde Antique... , pp. 346-348

وإذا كان بليزاريوس قد حافظ على لقبه كقائد لقوات الشرق، في أداء مهمته المؤقتة، فقد عين على رأس الهرم العسكري قائدا عاما للجيش Magistri Militum Africae. رغم الجدل الذي أثارته طبيعة هذا المنصب، بين من اعتبره مسؤولية دائمة على رأس الجيش بإفريقيا، موازية لسلطة الحاكم المدني، مثلما كا معروفا بمقاطعات الشرق[217]. ومن افترض أنها مسؤولية ظرفية مؤقتة، كان جستنيان يكلف بها قادة معينين في ظروف محددة مثل سولومون، جرمانوس...الخ ، ليس كمنصب دائم وإنما كمهمة إستثنائية، غالبا ما تميزت بالجمع بين السلطات المدنية والعسكرية[218]. وقد اعتبر ديل أن تكرار ظاهرة إخضاع السلطتين المدنية والعسكرية للحاكم العسكري، تؤكد أنه بعد الاصلاحات الادارية مباشرة لإفريقا بدأت تتجلى إرهاصات الإصلاحات الكبرى، التي سوف تجمع السلطات المدنية والعسكرية في يد واحدة، وتغير التنظيم العام للامبراطورية[219].

كما عين جستنيان على رأس الاقاليم العسكرية الخمسة، ديقانا Dux يحملون لقب Viri Spectabilis. حيث كان الدوق يمارس نفس مهام القائد الاعلى للجيش في حدود إقليمه، فإلى جانب إشرافه على حماية الإقليم والسكان القاطنين به، يسهر على ضمان الأمن والإستقرار بالمدن والقلاع والحصون التابعة لنفوذه. ويشرف على تدريب الوحدات التابعة له، وتوزيعها في مناطق تسمح لها بالتدخل في حالة الحرب، ومن واجبه أيضا إبقاء الجنود الملاكين في أراضيهم وإجبارهم على عدم مغادرتها، حتى يمنع أية محاولة لهجوم خارجي[220]. كما يتكلف بعملية البناء والتحصينات الضرورية في المدن والقلاع الموجودة باقليمه. ويسهر على العلاقات مع القبائل المورية المقيمة على حدود إقليمه ، فيراقب تحركاتها في حالة السلم الى جانب العلاقات التجارية معها، كما يقود جيوشها في حالة الحرب[221]. وبإعتباره يعين من طرف الامبراطور، كان له الحق في مراسلة الإدارة المركزية مباشرة، وهويخضع في عمله لكل من الحاكم المدني والقائد العام للجيش، حيث نجده يدفع رسوم تعينه لديوان الوالي ويتصل به في كل ما يتعلق بالمنشآت ، ورواتب الجند، بل حتى راتبه الخاص[222]. إلا أنه في نفس الوقت يخضع للقائد العام للجيش فيما يتعلق بالعمليات العسكرية، وإختيار القلاع، والتنظيم العسكري، الى جانب دفعه إتاوات خاصة لمكاتب الحاكم العسكري[223]. كما

---

[217] Ch. Diehl, Justinien et la civilisation Byzantine, Paris 1901.pp. 224-226
218 J. Durliat, recherche sur l'histoire sociale .... , p. 127
219 Ch. Diehl, Afr. Byz. p.118
220 C. J. I, 27, 2, 8, 9. Corippus, Joh. III, 397- 400. Procope, B.V. II, 21, 1-16
221 C.J. I,27,2, 16
222 C. J. I,27, 2, 15, 17, 35
223 C. J. I, 27, 2, 35. Ch. Diehl, Afr. Byz. p. 128

كان يمارس المهام القضائية، إلى جانب مهامه العسكرية والديبلوماسية، ويبدوأن مهمته هذه قد شملت حتى السكان المدنيين المقميمين باقليمه كذلك[224].

وبالرغم من أن جستنيان ، قد عمد إلى رفع أجور الحكام العسكريين ، إلا أن ضعف الرواتب التي يتلقاها الجنود، وتأخر دفعها من طرف الإدارة المركزية، وعدم إنتظامها ، ظلت من أهم أسباب الإضطرابات وعمليات التمرد في أوساط الجيش[225]. ومع ذلك فقد حبلت الاصلاحات العسكرية التي طبقها جستنيان في إفريقيا بتوسيع الحدود، فضلا عن سلسلة التحصينات من قلاع وحصون[226]. إلا أنها لم تصمد أمام خصوصية هذه المقاطعة، فالثورات الدائمة والمتجددة أكدت أن التشريعات كانت تعتمد على الحنين لفكرة الامبراطورية والحلم بإعادة بنائها أكثر من أن تأخذ بعين الاعتبار طبيعة المنطقة والتطورات التي عرفتها. حيث كان اضطر كل مرة الى إعادة تعيين قائد عسكري جديد على رأس وحدات الجيش كلما إضطربت الاوضاع، الامر الذي مهد إلى ضرورة تعيين قائد دائم لكل المقاطعة، يعالج الأوضاع عن قرب[227].

كما أصبح الديقان الذين عينهم جستنيان في وظائف عسكرية محصنة، يتمتعون بصلاحيات أوسع، ونفوذ أكبر، فباتوا مثل ديقان الشرق البيزنطي، المشرفين مباشرة وبدون منازع على الإدارة المدنية والعسكرية لإقليمهم[228]. فمصادر القرن السادس، مثل بروكوب، كوريبوس، وحتى فيكتور الطونيني، لم تكن تذكرهم الا بمناسبة العمليات العسكرية التي قادوها. بينما كثيرا ما ارتبط ذكرهم في مصادر نهاية القرن السادس ميلادي مثل القديس جريجوار العظيم، بالمهام الادارية المدنية، كالقضاء، الضرائب...الخ[229]. وهوالأمر الذي مهد للقيام بالاصلاحات الجذرية زمن الامبراطور موريس Maurice 585 - 602 [230]. تميزت بالتخلي عن فكرة فصل السلطات العسكرية والمدنية وتركيزها في يد الأرخون Exarche[231].

224 Cod. Just. I, 27, 2, 12. Ch, Diehl, Afr. Byz. p. 127. S.Puliatti, Ricerche Sulla legislazione »Régionale »di Giustiniano, p. 158 ; C.Zucherman, la Haute hiérarchie militaire en Afrique Byzantine, Ant.Tard. 10. 2002. p. 170-171.

225 S.S.Puliatti, Ricerche Sulla legislazione »Régionale »di Giustiniano , p. 111

226 Cod. Just. I, 27, 2, 14,15

227 J.Durliat, Magister Militum dans l'empire Byzantin,(VIe-VIIe siècle dans Byzantinische Zeitschrift, 72,2,1979, p. 311

228 J. Durliat, recherche sur l'histoire sociale ..., p. 134

229 P. Goubert, Byzance avant l'Islam. p. 35

230 Ch. Diehl, Afr. Byz. p. 466. P. Goubert, Byzance avant l'Islam. p.35 .G . Ostrogosky. Histoire de l'Etat Byzantin, ed…. p.67

231 Nov.25, praef. ; Ch.Diehl, Afr.Byz.p.471. P.Goubert, Byzance avant l'Islam. p.34،.
J. Durliat, recherche sur l'histoire sociale ..... p. 126 .

تنظيم وحدات الجيش

يبدوأن جستنيان، قد حدده وفقا للقواعد الرومانية السائدة في القرن الرابع ميلادي، حيث قسمت الوحدات الى نوعين، نحاولن تلخيص وضائفهما في الجدول التالي:

Milites أو Comitatenses	الجيش المتحرك المتمركز بداخل الأقاليم
Excubiturs	وهم جنود من الحرس منتدبين لدى القائد الأعلى
Milites Comitatenses	الموزعين على شكل وحدات Numeri تحتوي على فرق من المشاة وأخرى من الفرسان[232]
Foederati	وهم عبارة على مرتزقة جندوا من بين الشعوب الجرمانية، ويقودهم قائد من بيتهم.
Gentilis	وهي الوحدات المشكلة من جنود القبائل المورية الحليفة للبيزنطين[233]

Limitanei	وهوجيش الحدود المتمركز بالقلاع والمدن المتواجدة على شريط الليمس[234]. وتجنيد فرق هذا الجيش من السكان القاطنين بالمقاطعات الحدودية، ويتم التنازل لهم عن قطع من الأراضي[235]، كما يتم دون شك إعفاءهم من الضرائب ، فضلا عن المنح التي تعطى لهم[236].
	عليه بإستغلال الأرض وفلاحتها في زمن السلم، إلى جانب حراسة كل الطرق التي تعبر الليمس، وحمل السلاح في حالة الحرب إلى جانب فرق أخرى للدفاع عن مناطقهم وإيقاف اي هجوم خارجي[237]. كما لم يكن يسمح لهذا الجيش " من المزارعين" بمغادرة أراضيهم وإذا كان يسمح لهم بالزواج فنساؤهم وأولادهم كانوا يقيمون معهم في تلك القلاع[238].

[232] Cod. Just. I, 27, 2, 8, 13, 5. Procope, B. V. II, 12, 17

[233] Corippe, Joh. , III, 40, 5. Procope, B. V. I, 11, 2, 4, 5; II, 12, 29 .Ch. Diehl, Afr. Byz. ,p. 127.

[234] وبالمقابل فهم مطالبون بإستغلال الأرض وفلاحتها في زمن السلم، وحراسة الطرق التي تعبر الليمس لمنع اي تجارة غير مسموحة مع القبائل المورية المجاورة. وفي حالة الحرب يحملون السلاح إلى جانب فرق أخرى للدفاع عن مناطقهم وإيقاف اي هجوم خارجي.

[235] لم يكن يسمح لهذا الجيش " من المزارعين" بمغادرة أراضيهم وإذا كان يسمح لهم بالزواج فنساؤهم وأولادهم كانوا يقيمون معهم في تلك القلاع

[236] Cod. Just.,I, 27, 2, 8, 15

[237] Cod. Just.,I, 27, 2, 8. Ch. Diehl, Afr. Byz. ,p. 127.

[238] Corippe, Joh., III, 326; IV, 72. Ch. Diehl, Afr. Byz. , p. 134

وبالنظر إلى هذه الهيكلة، ففضلا عن كون الجيش قليلا من الناحية العددية، كان يعتمد على نسبة كبيرة من الفرسان، وهوما أكده كل من ديل Diehl [239] وبرينغل[240] Pringle، ولعل مثال الجيش الذي قاده بليزاريوس، والذي قدر ب 18000 رجل نصفهم من الفرسان[241]، يمكن أن يكون نموذجيا. كما تبدوالوحدات البيزنطية مشكلة من عناصر مختلفة، وهي الوحدات الحدودية المستقرة على التخوم الجنوبية، والتي كانت إلى جانب دورها العسكري تقوم باستغلال الضياع والمزارع المتواجدة بهذه المناطق، وفقا لتصور مضبوط أوضحه الامبراطور جستنيان في مرسوم 534[242] . وأخرى برية Comitatenses مشكلة من numeri ..ومن مرتزقة أوحلفاء غير نظاميين من المور، الى جانب وحدات الفرسان التي تشكل أغلبية الحرس الخاص للقائد العام. وقد اقترح برينغل[243] أن متوسط numerus يتراوح بين 300 و500 رجل، وهوما يمكن مطابقته مع القلعة البيزنطية بتيمقاد، باعتبارها الوحيدة التي حافظت على هيكلتها الداخلية، وبالتالي فالمنشآت العسكرية لا تجيب بالضرورة عن كيفية توزيع الجيش البيزنطي، لا سيما وأن عددا من الوحدات كانت تقيم بالمدن المفتوحة والتي لا تحتوي على القلاع. رغم أنها تؤكد بأن الاحتلال البيزنطي ببلاد المغرب كان يرتكز على التحصينات الماديةأكثر من التعداد البشري[244]

الإدارة المحلية

لقد تجلى من خلال دراستنا لموضوع المدن، أنها لم تنقرض نهائيا، رغم سلسلة التحولات التي عرفتها، وأن المجالس البلدية قد حافظت على نشاطها مثلما كانت في العهد الروماني. لا سيما وأن أسماءها لم تشهد تغييرا كبيرا[245]. ورغم أن المشروع الجستنياني قد رفع شعار عملية إعادة بناء وإحياء المدن، الأمر الذي تجلى من خلال قائمة النقائش المكتشفة، خاصة في عهد سولومون 539 ، فقد حاولنا التأكيد أن ذلك لم يكن في الواقع حقيقة إعادة بناء كاملة أوجديدة، بقدر ما كانت عمليات ترميم وإعادة النشاط لها[246].

239 Ch. Diehl, Afr. Byz. pp. 16-17
240 D.Pringle, The Defence of Byzantine Africa, p 51
241 Procope, B.V.I,9,2 ; Ch.Diehl, Afr.Byz.p. 67

تشكل جيش بليزاريوس من 10000رجل من المشاة، و5000 من الفرسان، يضاف إليهم 400 فارس من الهراولة Hérules و600 من الرماة الهون، فضلا عن حوالي 2000 من حرسه الخاص

242 Cod.Just.I,27,
243 D.Pringle, The Defence of Byzantine Africa, p.?
244 N.Duval, L'état de la recherche sur les fortifications Byzantines en Afrique" , p.149-204.
245 J. Durliat, Recherche sur l'histoire sociale de l'Afr. Byz. ..., p.120 (Inscriptions: 11, 33, 37-45
246 J. Durliat, Les grands propriétaires Africains et l'Etat Byzantin (533-709 Cah. Tun., T. XXIX, N°117-118, 1981, p.521

خاصة وأن عدد كبير من المدن قد حافظت على مجالسها المحلية أثناء الإحتلال الوندالي. وبالتالي فقد إستمرت الإدارة المحلية في أغلب المناطق، مرتكزة من جهة على الملاكين الكبار الذين دعموا نفوذهم المادي والعقاري بالسلطة الادارية[247]. وضمنوا بترحيبهم بقرار جستنيان ومساندته في محاربة الوندال، وتقديم المساعدات لبليزاريوس، ليس فقط مكافأته بترميم وإحياء مدنهم، وإعادة تنشيط الحياة السياسية بها، وإنما بإعطائهم الصلاحيات الإدارية الضرورية لتسييرها[248] . ومن جهة أخرى على القساوسة ورجال الكنيسة الذين مالبث نفوذهم يتطور، بدعم من الامبراطور، الذي أصبح يعتبرهم أحسن طريقة لإدارة ومراقبة المدن، إلى درجة أن أصبح القس منذ حوالي 540 الشخصية الوحيدة التي تسير المدينة، يتفاوض مع الأعداء لرفع الحصار، أويساهم في إختيار الموظفين وإستلام بعض الرسوم البلدية[249]. مما يجعلنا أمام ظاهرة انكماش مجالس نواب البلدية Curie، إذ لم يصبح لها إلا الدور الثانوي، تحول نفوذها البلدي لصالح فئة معينة من هذه المجالس فضلا عن كبار الملاكين والقساوسة[250]. ولعل تكفل رجال الكنيسة بتسيير شؤون المدينة وحمل مختلف أعبائها يرجع أساسا لثروتها ونفوذها المادي اللذان يشكلان ضمانا حقيقيا للإدرة الأمبراطورية[251]. وتشير المصادر إلى أن القساوسة كانوا في حالات كثيرة يتكفلون بجباية الضرائب مثلهم مثل بقية كبار الملاكين[252]، ويقومون بضمان تسيير الإدارة المحلية ، ويمارسون مهمة القضاء في حدود صلاحياتهم أوفي حالة إتفاق المتقاضين بالتقاضي في محاكمهم. خاصة وأن القضاء البيزنطي لا يشرف عليه قضاة مختصين وإنما يمارسه موظفي الإدارة المدنية أوالكنيسة كل حسب مستواه وتخصصه[253].

---

247 J.Durliat, Ibid, pp.521-52 ;Idem, Les dédicaces d'ouvrages de défense dans l'Afrique Byzantine,Rome, 1981, p.N° 9

248 Durliat, La Lettre L dans les Inscriptions Byzantines ، Byzantion , T.49, 1979, pp. 157-167. N°17A .

249 J.Durliat, L'administration religieuse du diocese Byzantin d'Afrique (533-709, Rivista di studi Bizantini e slavi, T.4, 1984, p.174

250 J. Durliat, Les grands propriétaires... p.522

251 J. Durliat, Les grands propriétaires... p.522

252 J.Gascou, La possession du sol, la cité et l'Etat à l'époque proto-Byzantine et particulièrement en Egypte, Thèse de 3ème cycle, Paris I, 1975 (mn

253 Gregoire le Grand, Registre Des Lettres, II, tome I Trad.P. Minard, St-M.-de-Ligugé. Coll.SC. n°371, Paris, 1991, II, 47, 148-149., VI, 34, 412-413 ,cf. aussi The Letters of Gregory the Great, trl. J.R.C.Martyn, 3 v, PIMS, Medieval Sources in Translation 40,Canada, 2004; J. Durliat, recherche sur l'histoire sociale ..., p.161

يعلل دورليا J. Durliat إنعدام الإشارة إلى الإدارة المحلية في المرسوم التشريعي لجستينيان[254]، وتركيزه على الإدارة المركزية فقط، لكونها في يد رجال الدين والملاكين الكبار، وهذا ما يفسر كذلك -حسبه دائما- أن مراسلات القديس جريجوار العظيم، لا تشير إلّا إلى المنازاعات بين الملاكين الكبار والإدارة المركزية، أوبين الملاكين أنفسهم فقط، معتبرها بمثابة منازعات قانونية ناتجة عن صلاحيات كل طرف[255]. فإذا كانت التشريعات الموروثة قد فقدت فعاليتها بشأن التنظيم الإداري المحلي والإقليمي، فإن الإدارة الإمبراطورية حاولت التوفيق بين هذا الإرث المتمثل في المجالس البلدية، ومجموعات الضغط الجديدة والمتمثلة في كبار الملاكين من جهة والقساوسة ورجال الدين من جهة أخرى. خاصة وأن مصاريف الإمبراطورية لم تكن موجهة فقط إلى عمليات التعمير والتحصينات الكبرى، فضلا عن رواتب الجنود والموظفين، بل أن نسبة كبيرة منها كانت موجهة لإعادة الحياة المدنية، والمجالس البلدية إلى حيويتها القديمة بإعتبارها مظاهر الإرث الروماني[256]، مثلما توحي به نقيشة عين جلولة[257]. رغم أن قرائن كثيرة تؤكد حرص جستنيان على ضمان المداخيل الضرورية من الأموال التي تحتاجها الخزينة الإمبراطورية والعناية بتنظيم جباية الضرائب أكثر من عنايته بالأمور الأخرى[258]. مما أدى إلى العديد من التجاوزات وعمليات الإبتزاز أوالظلم، ومن ثم سلسلة الإحتجاجات، أوردود الفعل السلبية، فبروكوب لا يبخل في "تاريخه السري" بإعطاء أمثلة مختلفة عن الإبتزاز في معاملة السكان، والثروات الطائلة التي حققها بعض عمال الإدارة أمثال تيودوس Theodose أحد أقارب القائد بليزاريوس[259]. ولعل ما تطلبته عملية الاحتلال من مصاريف كثيرة [260]، سرعان ما انعكست أعباءها على

---

[254] بالنسبة لإيطاليا لدينا مرسوم من طرف جستنيان يعود لسنة 554، أعطى القساوسة والنبلاء المتواجدين بكل إقليم الحق في انتخاب حاكمهم المدني Judices Provinciarum. وفي سنة 569 عمم فيما بعد من طرف الامبراطور جستين على كل مناطق الإمبراطورية، أنظر:

E.Zanini, Le Italie Bizantine, Territorio, indediamenti ed economia nella provincia bizantina d'Italia(VI-VII secolo), Bari, 1998, p.33-51

[255] J. Durliat, Les Grands proprietaires... p. 525

[256] Corippus, Johannid, III, 280. Procope, De Aed., VI, 7, 9. Ch. Diehl, Afr. Byz. p.390

[257] Y.Moderan,La renaissance des cités dans l'Afrique du VI siècle d'apres une inscription récemment publiée, dans Cl, Lepelley (ed), la fin de la cité antique et le début de la cité médiévale, Bari,1996,p85-114.

[258] Evagrius, Histoire Ecclesistique, IV, 18, ed. J. Bidez et L. Parmentier, Londres, 1898 ، Trad. A.J. Festugiere, dans Byzantion, T.45, 1975, p. 187-488. Nov. ,8, praef.,24, 1, 3

[259] Procope, Histoire arcana,(Histoire sécrète) Trad,P.Maraval, Paris 1990, III, 21, 23

[260] نتذكر موقف يوحنا الكبادوشي Jean de cappadoce محذرا جستنيان من الدخول في حرب مع الوندال

Procope, B.V. I, 10, 7-13. C.J. I,27, 2, 18

سكان المقاطعة. وأن فرحة هؤلاء بالبيزنطيين لم تدم طويلا وسرعان، ليينتبهوا أن مقاييس الإدارة البيزنطية في الميدان المالي هي أكثر ثقلا من الضرائب الوندالية نفسها[261].

الخريطة الجغرافية للمنشآت العسكرية

تتميز الخريطة الأثرية للاحتلال البيزنطي، بتغلب صورة القلاع والحصون، لكون هذه المخلفات العسكرية أكثر المعالم بروزا في المواقع الأثرية، وهوما تجلى منذ ألواح دولامار Delamare أورافوازي Ravoisié، وجعلها تحضى بالدراسة أكثر من أي مجال آخر من مجالات التاريخ البيزنطي، فبعد كل من ديل Diehl وغزيل Gsell خصص الباحث البريطاني برينغل Pringle الجانب الأكبر من أطروحته لهذا المحور، فضلا عن الدراسة النموذجية التي أعدها لاسوس Lassus حول القلعة البيزنطية بتيمقاد[262]. يضاف الى دلك طبيعة الاهتمامات الاستراتيجية التي تميزت بها المدرسة التاريخية الاستعمارية والتي شجعت كثيرا البحث في أساليب السيطرة وطبيعة الثورات التي عرفتها هذه المنطقة. وإدا كانت هذه التحصينات لم تحض بدراسات أثرية علمية ، إلا في حالات محدودة، كون أغلب التقارير الأثرية تعود إلى عهد رجال الجيش الفرنسي، فانها لم تسلم من حالة التدهور والإهمال، سواء بسبب الظروف الطبيعية، أوبسبب جادبية أغلبية الورشات الأثرية للبحث عن أمجاد روما، وتحطيم ما اعترض سبلها، إن لم يكن بسبب نقل الحجارة إلى الأماكن المجاورة وإعادة استعمالها في العمران.

وقد ارتبطت فكرة التوزيع الجغرافي للتحصينات البيزنطية لزمن طويل بنظرية ديل، المتمثلة في اعتبار هذه التحصينات قد شيدت وفق منطق الخطوط الدفاعية، الدي كان معتمدا في الاستراتيجيات العسكرية ، خلال القرن التاسع عشر، بل إلى غاية الحرب العالمية الثانية، حيث اقترح وجود عدة خطوط دفاعية تجمع بينها الحصون والقلاع، تقف في وجه المور القادمين من الجنوب، وتحاصر مناطقهم الداخلية، وقد قسمها كالتالي:

- الخط الدفاعي الأول والممتد في المناطق الجنوبية مع الاستعانة بسلسلة من القلاع الداخلية ، جاعلا هذا الخط يجمع بين شط الجريد ومنطقة الأوراس...

---

[261] يعتبر ديل أن الموظفين البيزنطين ، بإبتعادهم عن الادارة المركزية للامبراطورية، قد إستغلوا السكان الأفارقة بكل الأساليب مما أدى الي تقهقر هذه المقاطعة وتحول سكانها، معتبرا ذلك السبب الرئيسي في إنكماش النفوذ البيزنطي من إفريقيا.

[262]- أنظر:
St. Gsell, les Monuments Antiques de l'Algerie, TII, Paris, 1901, pp 349-351. Ch. Diehl, Afr. Byz. pp 172-185. .Pringle, The Defence of Byzantine Africa, pp.140-146. J. Lassus, La forteresse Byzantine de Thamugadi, pp 20-21

- الخط الثاني والدي يتمثل، في اعتقاده ، في شكل نصف دائري بولاية المزاق، مرتكزا على السلسلة الجبلية، ويقابله نفس الخط بنوميديا، لتجمع بينهما التحصينات المنتشرة بسهول المجردة
- كما اعتبر أن النظام الدفاعي قد سعى إلى تحصين كل المناطق الاستراتيجية، بما فيها طرق المواصلات ، المدن ومختلف االمناطق السكانية، الأمر الدي جعل الخريطة البيزنطية تبدوفي شكل قلاع وحصون.[263]

إلا أنه اتضح بأن هذه الصور تعكس الهاجس العسكري لمرحلة القرن التاسع عشر أكثر مما تنقل الصورة التاريخية للمرحلة البيزنطية، أوعلى الأقل تبرر حجمها، وهوما أثبته برينغل، الدي انتقد هذه النظرة واعتبر أن مصطلحات ديل التقنية عند استعراضه الجانب العسكري غير دقيقة، إلى درجة أنه لا يفرق بين المدن المحصنة والقلاع أوالحصون، وهذا في سبيل تبرير سياسة الخطوط الدفاعية التي تمسك بها، واقترح أن المنجزات العسكرية البيزنطية جاءت في الواقع كإجابة لأوضاع مختلفة في الخريطة العسكرية[264]، معتبرا أن توظيف أنواع مختلفة من التحصينات لا يمكن أن يؤكد إلا على ظرفية الحلول وارتباطها بتطورات الأوضاع ميدانيا، وبالتالي هي أبعد من أن تجسد سياسة مركزية مضبوطة من الناحية النظرية، ومن ثم إدا تطلب الأمر إقامة حامية في تيمقاد، فلم يكن نفس الاحتياج بالنسبة لصبيطلة، أومراكز لإقامة الديقان..الخ ، كما اعتبر أن فكرة حماية التخوم الجنوبية قد ارتكزت أساسا على سلسلة المراكز والقلاع المتقدمة، التي كان الهدف منها إعطاء إشارة الخطر في حالة هجوم المور[265]. وقد تبني ديفال نفس الفكرة معتبرا أن أغلبية المعارك التي أشار إليها كل من بروكون وكوريبوس إنما جرت على سفوح المناطق الجبلية وفي المناطق الداخلية، مما يجعل تصور الخطر الموري فقط من الناحية الجنوبية تصورا عقيما، خاصة وأن مهمة الديقان لا تسمح بالوقوف على فكرة الدفاع على مستوى خط جنوبي، بل تؤكد على مسؤولية كل دوق في حماية الولاية بأكملها[266].

ولعل ما يمكن قراءته من خريطة التوزيع الجغرافي للتحصينات البيزنطية، لا سيما من خلال إحصاء التحصينات المعروفة في كل ولاية، هوالتوزيع غير العادل لهذه المنشآت، من الناحية العددية والنوعية أيضا[267].

---

[263] Ch.Diehl, Afr.Byz. pp 144-145
[264]D .Pringle, The Defence of Byzantine Africa,, pp. 95-99
[265] D.Pringle, The Defence of Byzantine Africa, pp95-99
[266] N.Duval, l'etat de la recherche , p 175
[267] نعتمد في هده القراءة على الخريطة التي نشرها برينغل أنظر شكل رقم:

الظروف التاريخية للسياسة التحصينية في المغرب:

كما سلف وأن أوردنا في دراسة أوضاع المغرب عشية الاحتلال البيزنطي، فانه من الصعب تأكيد فكرة إعادة بناء كل أسوار وقلاع الخريطة المغربية خلال الفترة الجستنيانية، أونفيها ما دامت الدراسات الأثرية لم تأخد بعين الاعتبار هذه المرحلة الانتقالية، وبالتالي تظل سياسة التحصينات الجستنيانية محل تساؤل، رغم أننا نمتلك بعض القرائن التي تساعدنا على فتح هذا الملف، فمثلا جرت أغلبية المعارك العسكرية التي قادها بليزاريوس في مناطق مفتوحة، فلم تدكر الأسوار إلا في عدد قليل من المواقع مثل:

قرطاج	يخبرنا بروكوب بأن أسوارها قد رممت في حدود 425 وكانت عشية حملة بليزاريوس في حالة متدهورة
حضرموت	سلم أهلها مفاتيح المدينة للقائد البيزنطي
هيبون	نعرف عنها أن الوندال قد حاصروها

مما يجعلنا نعتبر أن إشارة بروكوب بأن الوندال قد هدموا كل أسوار المدن، لم تكن في الواقع سوى مجرد حملة دعائية بيزنطية ضد الوندال، وبالتالي لا يمكن تقييم أهمية المنجزات العسكرية التي حققها جستنيان إلا إدا تمكننا من معرفة حقيقة الخريطة العسكرية خلال الفترة الوندالية، بل معرفة طبيعة الأسس التي شيدت عليها هذه المنجزات، وإدا كانت بعض الدراسات الأثرية قد حاولت معالجة الأمر في كل من صبيطلة، لبدة، صبراتة، حيدرة، دوقة، الجم، أوسطيف، فلم تنجز دراسات استراتيغرافية إلا في بعض أحياء قرطاج، لبدة أوصبراتة، وبدرجة أقل سطيف، مما يجعل المعرفة التاريخية غير كافية لتعميم أحكام شاملة.

كما يطرح ملف النقائش الأثرية، الدي طالما شكل قاعدة لدراسة هذه المنجزات، صعوبات كثيرة في تأريخها، وفي مطابقة محتواها، أوالفصل بين طبيعة الفعل الدي تسجله والدعاية السياسية التي تهدف إليها، بل كثيرا ما اعتبرت عبارة edificata est fundamentis، التي تكررت في هذه النصوص، بأنها لا تعكس الحقيقة التاريخية بقدر ما تهلل للدور الجستنياني في هذه المرحلة الحرجة.

ويظل من الصعب رسم صورة دقيقية عن أهمية وحجم التحصينات البيزنطية، بل تبقى هذه الصورة مضطربة وغير دقيقة رغم الشواهد والمصادر المتنوعة، ، فإيفاغريوس بإشارته إلى تدخل الامبراطور جستنيان في حوالي ب 150 مدينة، سواء بإقامة الأسوار أوأعمال أخرى، جعل من الصعب مطابقة الخريطة الأثرية مع هذا الرقم، الأمر الدي جعل أغلبية الباحثين يقرون صعوبة تقبل هذا الرقم باعتباره يمثل حقيقة المدن والقلاع البيزنطية، رغم اقتراح ديفال بأنه قد يمثل عدد المواقع التي كانت تدفع الضريبة في زمن جستنيان. في حين شكل نصي بروكوب موضوع جدل حول جغرافية المدن وتوزيعها عبر الولايات، فكونه اعتبر هيبون وبولاريجيا أوكالاما في الولاية النوميدية، جعل الكثير يتحفظ من فرضية توزيع جغرافي جديد، بيما اعتبر البعض الآخر أن الولاية النوميدية قد اكتست أهمية مند العهد الجستنياني وبالتالي لا محالة أن تكون حدودها اتسعت في جهتي الشرق والغرب، ومع دلك ثم ف28 مدينة و07 حصون التي يدكرها بروكوب لم تكن تمثل كل التحصينات المعروفة بفضل النقائش والتي لا توجد منها سوى 08 مواقع وردت في نص بروكوب، من مجموع 18 نقيشة رسمية نشرها دورليا. وحسب برينغل فمجموع التحصينات المنجزة في عهد جستنيان وحده يمكن تقديرها بحوالي 38 قلعة يضاف إليها أكثر من 17 حصنا صغيرا، وبالتالي رغم أن هذا الرقم يمكن أن يكون كحد أدنى باعتبار اندثار بعض التحصينات نهئيا في مواقع متعددة، فنظل بعيدين عن الرقم الدي أوره إفاغريوس.

كثيرا ما أثيرت إشكالية رزنامة المنجزات الدفاعية البيزنطية، قصد الإجابة على هاجس السرعة ومزامنة الثورات الأهلية، والتي يبدوأنها فرضت حلولا استثنائية في الميدان، وإدا كانت دراسة النقائش الرسمية قد جعلت دورليا يقترح أن الإطار التاريخي لأغلبية هذه المنجزات يمكن أن يعود إلى العهدة الثانية لفترة ولاية سولومون بإفريقيا، والمؤرخة بالفترة الممتدة بين 539-540، وهوما يناسب في اعتقاده فترة السلم التي عقب مع المور ، بعد حروب الأوراس[268]. فقد أقر الباحث البريطاني فرضية ديل ثانية، مؤكدا بأن برنامج التحصينات يعود أصلا الى الفترة الممتدة ما بين 534و544 ، وبالتالي فهولا يرتبط بعهدة واحدة[269]. وإدا كان من الصعب تأريخ كل المعالم بدقة، فان طبيعة الأشكال الهندسية المعتمدة والمواصفات التقنية التي تميزت بها هذه العمارة العسكرية، فضلا عن ملف النقائش من شأنها أن تؤكد أنها تندرج ضمن نفس برنامج دفاعي واحد.

[268] J.Durliat, Les dédicaces d'ouvrages de defence, p97 cf Note 13
[269] D. Pringle, The Defence of Byzantine Africa, p 90, pp. 24,29 ; Diehl, Afr.Byz., p.168-169

كما تسمح لنا الخلفية التشريعية بتحسس أهمية المشروع العمراني العسكري عند الإمبراطور جستنيان، حيث شكلت عملية جمع السلطات المدنية والعسكرية في يد القائد سولومون حلا استثنائيا لتجاوز كل ما يمكن أن يعرقل السياسة التحصينية . وهوما تؤكده العديد من النقائش الرسمية التي تجعل الاسم الامبراطوري على قمة الهرم، بينما ينعت القائد سولومون كمجرد مشرف على التنفيد، وهذا ما أوحى للعديد من الباحثين بأن المشروع العسكري لا يمكن أن يكون إلا رسميا على أساس شهادة كل من بروكوب وإيفاعريوس. وبالتالي ففي أغلبية المواقع كان تمويل عمليات الإنجاز هذه من صندوق الخزينة الامبراطورية[270]، رغم الإشارة التي وردت حول العديد من الشخصيات التي أشرفت على عملية الإنجاز، مثل بولس Comes Paulus في قالمة ، أونونيس Nonus في جلولة[271].

الجيش البيزنطي وسياسة التحصينات البيزنطية:

كان الجيش البيزنطي محدودا من الناحية العددية، حيث أخبرنا بروكوب مثلا أن بليزاريوس كان يقود جيشا يقدر ب 18000 محارب[272]. إلا أن دلك لم يكن يشكل خاصية للفترة البيزنطية، فقد قدر مثلا كورتوا تعداد الجيش الوندالي بحوالي 15000، ونفس الأمر كان بالنسبة للفيلق الأغسطي. الأمر الدي يكرس أهمية التحصينات في خلق أي نظام عسكري. وبالتالي إدا كانت فكرة الليمس قد فرضت نفسها على الساحة الاستراتيجية، من خلال الصراع مع القبائل البدوية في المناطق الجنوبية والغربية، فيبدوأن الهاجس البيزنطي كان أيضا موجها إلى الداخل، وهوما انعكس في ظاهرة تحصين المدن الداخلية، بالأسوار والقلاع أوالحصون، ولعل مجرد محاولة رسم خريطة التحصينات البيزنطية يضعنا أم تساؤل مهم حول الاستراتيجية العسكرية المتبعة، فيما يخص التوزيع الجغرافي للتحصينات، لكن ايضا في طبيعة اختيار أنماط التحصينات ، فما الدي جعل البيزنطيون ينشئون قلعة بحيدرة، ويكتفون في تيمقاد بحصن في أحد أطراف المدينة، أولا يتركون معالم التحصينات أصلا بصبيطلة؟ هل كان دلك يرتكز على خلفية استراتيجية مضبوطة؟ أم إلى طبيعة الصراع مع المور ومراحله؟ فكانت أغلبية المنشآت مجرد إجابة

[270] قد تحمل الهبات الامبراطورية هده شكل تحويل مداخيل الضياع الامبراطورية، أومداخيل الضرائب المباشرة أوغير المباشرة ، أوالغنائم التي تم الحصول عليها من خلال الانتصارات المحققة على المور مثلما تسمح باستقرائه العديد من النقائش، لا سيما بعد حرب539.

[271] D.Pringle, The Defence of Byzantine Africa, of Byzantine Africa,, p89

[272] Procope,B.V.I,11,2

لخريطة الأحداث العسكرية؟ لا سيما وأن مكانة هذه المدن ظلت متقاربة في تطورات السياسة البيزنطية. كما يلزمنا على التساؤل أيضا، عن مفهوم المنطق الدفاعي عند البيزنطين ونظرتهم إلى علاقة الهياكل والمنشآت الدفاعية مع المدينة؟ وعموما رغم أن عبارة eadificata est a fundamentis قد تكررت في حوالي 07نقائش تعود إلى عهد سولومون، فقد اصبحت تدعوإلى التساؤل، هل تحمل دلالة تاريخية فعلا، أوبعبارة أخرى، هل أنشأت هذه المدن أصلا من أسسها، أم أن الأمر كان مجرد تعبير مجازي يقصد به تخليد التدخل البيزنطي، ليس فقط من الناحية العمرانية بلا أيضا من الناحية السياسية والإدارية

الأرخونية

يرجع العديد من المؤرخين إرهاصات التغير في الإدارة البيزنطية التي جعلت مختلف المقاطعات تحت إدارة عسكرية، قبل أن تتبلور في الشرق إلى نظام الثغور Thèmes ، إلى الفترة الجستنيانية وما حبلت به تعديلات ميدانية بالتوازي مع تشريعاته القانونية، وإذا كان من غير الضروري حاليا تتبع تطور فكرة تركيز السلطات العسكرية والمدنية لمواجهة الأوضع الاستثنائية في المقاطعة الإفريقية[273]، فكثيرا ما اعتبر تطورا لمنصب الحاكم العسكري العام Magister militum Africae.[274] وقد أوضح مؤخرا زوكرمان Zuckerman، أن السياسة الجستنيانية قد تفادت قدر الامكان اعتماد هذا المنصب بشكل ثابت تفاديا للمصاريف في المقاطعة الإفريقية، مفضلة الاعتماد على الوحدات الحدودية في ما يسمى بالليمس، وقناعتها بعدم حاجتها لهذا الهيكل العسكري في مقاطعة سرعان ما رجعت للإمبراطورية الأم إلا أن تطورات الأوضاع كشفت عن ضرورة تعديل هذه الاستراتيجية التنظيمية[275]. وهوالأمر الذي أخذ منحنا جديدا في عهد الامبراطور موريسن Maurice حيث أسس منصب الأرخون على قمة الهرم الإداري[276]. رغم أننا لا نعرف بالضبط متى كان ذلك، ولا طبيعة النص القانوني الذي سن لهذه الوظيفة. فمصادرنا تعتمد أساسا على بعض النقائش الأثرية الخاصة بشخصية

273 أنظر: يوسف عيبش، المور والبيزنطيون، ص:

274 اعتبر دورليا أن منصب الحاكم العسكري العام للمقاطعة الإفريقية لم يصبح أصلا رسميا إلا في حدود 572، والذي أوردته المصادر مرتبطا بشخص قيناديوس، أنظر:

J.Durliat, Magister Militum, in BZ, 72 ,1979, p.306-320

275 C.Zuckerman, la haute hiérarchie militaire en Afrique byzantine, p.171

276 P.Goubert, Byzance avant l'Islam, p.180-194

قيناديوس Gennadius[277]، وعدد محود من إشارات القديس جريجوار الكبير. ومع ذلك فأغلب الأطروحات تشير غلى قيناديوس باعتباره الحاكم العسكري الذي جسد عملية الانتقال بهذا المنصب إلى الأرخون. ربما إبتداءا من تاريخ 581، وبالتالي فلم يكن مجرد جمع بين السلطات المدنية والعسكرية، بل كان بمثابة تتويج الهيكلة الإدارية البيزنطية في بلاد المغرب، لتنتقل من المفهوم المدني وإعطاء مكان الأولية للحاكم المدني، إلى الإقرار بضرورة عسكرة هذه الإدارة، والسماح بنوع من الاستقلالية وحرية معالجة المواقف العامة ميدانيا، بل ليصبح الأرخون في مرتبة نائب الامبراطور بأتم معنى الكلمة. وبينما اعتبر البعض، أمثال دورليا[278] وبرينغل[279]، على أنه لم يكن سوى تعديل في تسمية المنصب، أوبعبارة أخرى إعطاء إسم جديد لوظيفة كانت موجودة من قبل. فقد أكد البعض الآخر أنه حقيقة تغيير جذري وخطير عرفته الإدارة البيزنطية ببلاد المغرب[280]، لان أهمية الصلاحيات الواسعة التي أصبح يتمتع بها، لا تؤكد فقط درجة التحول في التنظيم الإداري، بل تجعلنا لانستغرب أن يطمع في الإنفصال عن القسطنطينية أوحتى قلب الحكم بها، ويكفي الإشارة إلى عملية التمرد التي قام بها الأرخون هرقليوس Heraclius والاطاحة بالإمبراطور فوكاس Phocas إنطلاقا من مدينة قرطاجة. أوإلى ما قام به الأرخون جريجوار Gregorius عشية الفتوحات الاسلامية للتأكيد على ذلك[281].

[277] CIL VIII, 17671 ;4354(=18540) ;12035 AEp,1937,148(=AEp,1946,246)
[278] J.Durliat, Magister Militum, ,p.306-320
[279] D.Pringle, The Defence of Byzantine Africa,, p.22 ;55-58
أنظر ايضا:
J.R.Martindale, Prosopography of the Later Roman Empire, III,A,Cambridge,1992, (PLRE)
[280] Ch.Diehl, Afr.Byz. p478-481
يشمل ملف مراسلات القديس جريجوار الكبير حوالي 50 مراسلة مؤرخة في الفترة ما بين 591-602، دون الحديث عن الجزر التي كانت مرتبطة بها. و هو ما سمح بتسليط الضوء على جانب من علاقة السلطة الكنسية بروما بهذا المنصب الجديد، حيث تكرر اسم الأرخون قيناديوس :
Lettres, I,59, Juin 591 ;I,72 ; I,73, aout 591 ; IV,7, sept.593 ;VI,62,64 Aout 596 ;VII,2,3,Septembre 596 ; IX,9,11,septembre- octobre 598
أنظر بهذا الصدد :
Y.Duval, Grégoire et l'eglise d'Afrique. Les « Hommes du Pape », dans Gregorio Magno e il suo tempo, XIX Incontro di studiosi dell'antichita cristiana in collaborarazione con l'Ecole Française de Rome, Roma, 9-12 maggio 1990, I.Studi storici, Roma 1991, p. 129-158
[281] الهادي سليم، حول البطريق جرجير، تاريخ السباسب العليا من العصر القديم إلى العصر الوسيط، فعاليات ملتقى سبيطلة 1998-1999، تجميع فتحي البجاوي، 2001. ص 35-40

السنة	البطريق Praefectus Praetorio Africae	الدوق Duces Africanae Militiae	الحاكم العسكري Magistri Militum Africae	الأرخون Exarchi
530		533 بليزاريوس		
	أفريل 534: أرشاليوس	534 سولومون		
	جانفي 535 سولومون			
	نهاية 536: سيماك	نهاية 536 جرمانوس		
		539 سولومون		
540	544: سرجيوس	544 سرجيوس		
	نهاية 545 أتناس	نهاية 545 أريوبيد		
		ماي 546 أرتبان		
		نهاية 546 جون ترجليتا		
550				
	552 بولس			
	560–555 يويتوس			
	558 يوحنا			
560				
		562 يوحنا روقاتينوس		
		563 مارسيان		
570	570 تيودور	570 تيودور		
	571 تيوكتيست	571 تيوكتيست	571 تيوكتيست	
	572 أمابيليس	572 أمابيليس	572 أمابيليس	
	574–572 توماس			
580	582–578 توماس		582–72 قيناديوس	
	أوت 582 تيودور			
	602–582 يوحنا			598–591/585 قيناديوس
590				
	جويلية 594 بنتاليون			
600	جويلية 600 إينوسونت			
				610/602 هرقليوس
610				619/611 جريجوار
				629/619 هيكيتاس
620				
	جوان 627 جريجوار			
640				
	641 جورجس			
				جويلية 645 جريجوار
				جويلية 647 جرجوار (وفاة)

الخريطة الإدارية حسب جورج القبرصي

سبق وأن تعرضنا للعديد من إشارت جورج القبرصي في كتابه: Descriptio orbis Romani،وهوعبارة عن قائمة للأسقفيات المسيحية زمن الامبراطور ليون الحكيم Léon le Sage . حقق هذا العمل من طرف غيلزر Gelzer في نهاية القرن التاسع عشر، ثم نشر في حدود سنة 1939 من طرف هونيغمان Honigman. ورغم ما يطرحه من صعوبات فيما يتعلق بالإطار الزمني لمادته الخبرية، هل تعود لنهاية القرن السادس أم بداية القرن السابع؟ وأيضا لضعف المعطيات المتعلقة بالمقاطعات الغربية، مقارنة بالمقاطعات المشرقية للامبراطورية. فأهمية المصدر تظل كبيرة جدا في موازنة الخريطة البيزنطية ببلاد المغرب وتحسس العديد من المدن والمقاطعات. فقد أقر جورج القبرصي وجود 06 أبرشيات، أوولايات مدنية، بغض النظر عن الولاية الطرابلسية الملحقة بالمقاطعة المصرية وهوتقسيم لا يختلف كثيرا عما لاحظناه في التشريعات الجستنيانية. ومع ذلك فهذه القائمة تدعوإلى التساؤل في العديد من المواقف: فقد وضع المزاق Byzacia على رأس الولايات الإفريقية، وأهمل البروقنصلية كولاية متميزة، مما أثار الجدل حول امكانية وجود خلط أوإهمال، إذا لم يكن دليلا على ضم الولايتين في هذه المرحلة من إعادة هيكلة الإدارة البيزنطية، بل ذهب البعض لاعتبار ذلك تأكيدا على الأهمية التي أصبحت تكتسيها المزاق، والتي سرعان ما تتأكد في الفترة الاسلامية بتأسيس القيروان عاصمة جديدة بها. خاصة وأن المؤلف قد أورد بها عددا كبيرا من المدن (14مدينة). ومن جهة أخرى فقد أثار نص جورج القبرصي مناقشات، لا زالت مستمرة حول الولاية النوميدية، حيث اعتبرها تمتد من لوربس(التونسية حاليا) وربما باجا، معرجا على المناطق الجنوبية من خلال بغاي، بادس. والمناطق الداخلية من خلال تيجيسيس، ميلة وسطيفيس. وهوما أثار بدوره هالة من المناقشات. هل تم التخلي عن موريطانيا السطائفية لتضم إلى نوميديا مثلما يوحي بذلك أحد نصوص بروكوب نفسه[282]، حيث اعتبرت مثلا أيفات ديفال أن عملية الضم هذه يمكن البحث عنها في النصف الثاني من القرن السادس، لكون المواصلات البرية أصبحت مستحيلة في الجزء الغربي بين سطيف وبقية المدن، الأمر الذي تطلب غلحاق هذه الأخيرة بالمدن النوميدية.بينما فضل ديل على أعقاب غيلزر، وهونيغمان من بعدهما، تصحيح ذلك، ونقل كلمة سطيف إلى القائمة الموريطانية. لا سيما وأن جورج القبرصي يورد موريطانيتين: موريطانيا الأولة والثانية، وهوأمر بقدر ما جعله يقترب من مصطلحي بروكوب، بقدر ما الجدل والنقاش، فأين تتموقع موريطانيا الأولى، والتي أورد من مدنها

---

[282] Procope, De Aed.VI,7,10.

مدينة روسكورو Rusuccuru فاتحا المجال للعديد من الفرضيات، حول اقتصار موريطانيا هذه على المواقع الساحلية، ومطابقتها لموريطانيا القيصرية، والتي يفترض أنها كانت ضمن ما سمي في بداية الاحتلال البيزنطي بموريطانيا السطائفية. ولعل ما يثير الغرابة اكثر ان جورج القبرصي يذكر روسوكوروويهمل شرشال، مما يجعلنا أمام ضرورة البحث عن قراءة مختلفة لهذه الخريطة. كما تحدث صاحب وصف العالم الروماني، عن موريطانيا الثانية والتي اعتبر مدينة سبتة أهم مدنها، تجتمع حولها عدد من المدن الاسبانية وجزر البليار، مما غذى بدروه المناقشات حول فرضية انعدام أووجود مقاطعى اسبانية في المناطق غير الخاضعة للقوط الغربيين، أوضم ذلك ضمن هذه الوحدة الموريطانية الجديدة.

وعموما، مهما كانت الصعوبات التي تواجهنا في اعتماد قائمة جورج القبرصي، فان تناولها في منظور التطورات السياسية والعسكرية التي عرفتها المقاطعة الإفريقية، يجعلنا لا نبتعد كثيرا هذه الهيكلة الجغرافية، بل نعتبرها دليلا آخر على براغماتية الإصلاحات البيزنطية زمن الامبراطور موريس ومطابقتها بحقيقة التواجد الميداني. الأمر الذي يجعلنا نخلص إلى أن تطور الهيكلة الإدارية البيزنطية، قد سمح بالإنتقال من إعطاء الأولوية للوظيفة المدنية للحاكم الإفريقي، إلى تجميع السلطات الاستثنائية في يد حاكم عسكري، قبل أن تتحول كلية إلى الأرخون الذي كرس التوجه النهائي بإضفاء الطابع العسكري على هذه الإدارة. وقد واكبه تطور جغرافي، تمثل في الانتقال من التصور النظري، المعتمد على مصادر ما قبل الحملة البيزنطية في تقسيم المقاطعات، إلى اعتماد خريطة عملية تأخذ بعين الاعتبار طبيعة التوسع والاستقرار البيزنطيين، وتقر بالتراجع عن الأحلام الجستنيانية ، أمام طبيعة التملك الموري للعديد من الأقاليم المغربية

جدول قائمة المدن التي أوردها جورج القبرضي

الرقم في الخريطة	تسمية الموقع بالإغريقية	التسمية باللاتينية	المطابقة العربية
638	ΑΦΡΙΚΗ Ὑπὸ τὸν ἐνδοξότατον ἔπαρχον Ἀφρικῆς.	**Sub Clarisimo praefecto Africae**	مقاطعة إفريقيا
639	Επαρχίας Βυζ~κίας	**Provincia Byzacenae**	ولاية المزاق
640	Καρταγέννα	**Carthago Proconsularis**	قرطاج
641	Προκονσουλαρίας		
642	Σούβιβα	**Subiba/ Sufes**	هنشير سبيبة
643	Κάψα /Καμψία	**Capsa**	قفصة
643a	Κίλλιον /Κίλεως Καντακίλεως	**Cillium**	قصرين
644	Ἰουγκα / Ἰουγκης	**Iunci Sofiana**	هنشير بونقة؟؟؟؟
645	Ταλεπτή	**Telepte**	المدينة القديمة
646	Κασακαλάναι / Κασκάλα	**Cascala?/Casae Coloniae**	
647	Καστέλλια /Καστέλλαι	**Casteilla**	قسطيلية
648	Πέτζανα /Πέζανα	**Petzana**	
649	Μάμμα /Μάμιδα	**Mammas**	هنشير دويميس
650	Μαδασοῦμα /Μαδασούβα	**Madaurus**	مادوروس
651	Κούλουλις	**Cululis**	عين جلولة
652	Θάψος /Κάψης	**Thapsus**	راس ديماس
653	Αδρύμητον	**Hadrumetum Just**	سوسة
653a	Κάστρον Ζουφήτιλα	**Sufeutula**	صبيطلة
654	Επαρχία Νουμιδίας	**Provincia Numidiae**	الولاية النوميدية
655	Κάλαμα	**Calama**	قالمة
656	Τεβέστη	**Theveste**	تبسة
657	Ιππων Νουμιδίας	**Hippo Regius**	عنابة
658	Κάστρα βάγαϊ /Κασταβάγαι	**Bagai**	بغاي
659	Βάδης	**Badias**	بادس
659a	Μίλεον / Μήλεον	**Meleon**	ميلة
660	Λαρίβους /Λιράδους	**Laribus**	لوربس

لوربس	**Laribus**	Λαρίβους / Λιράδους	660
حيدرة	**Ammaedara**	Κάστρα Αμμέδερα καστρον Βέδερα	661
برج هلال	**Scillium**	Σκίλλι	662
؟	**Egrenisium**	Κιριανήσιον /' Ηγηρηνίσιον	663
تيجيس- عين البرج	**Tigisis**	Τίγισις / Τιτήσσιν	664
باجة	**Vaga?**	Βάγα / Βάγης	665
قسنطينة	**Constantine**	Κωνσταντίνη	666
سطيف	**Sitifis**	Ζιτιφις / Σίτιφνος	667
ولاية موريطانيا الأولى	**Provincia Mauritania I**	Επαρχία Μαυριτανίας Α	668
دلس	**Rusccuru**	Ρουσοκούρου / Ρινοκορούρων	669
ولاية موريطانيا الثانية	**Provincia Mauretania II**	Επαρχία Μαυριτανίας δευτέρας	670
سبتة	**Septem in parte Hispa-niae**	Ζέπτον / Βεπτόν είς τὸ μέρος [Θένησσος]' Ισπανίας	671a
اسبانيا	**Mesopotamini in parte Hispaniae**	ΣΠΑΝΙΑ	671b

الأوضاع الإجتماعية

عن أي مجتمع نتحدث؟

التشريعات الإمبراطورية الخاصة بالحياة الاجتماعية:

مسألة الأرض

مسألة المعمرين

مسألة النساء الونداليات

مسألة هجرة طبقة الأعيان من المناصب المحلية

ما طبيعة المجتمع الذي وجده البيزنطيون بعد انهيار الوندال

التحولات العمرانية : بين الريف والمدينة

ظاهرة تمسيح المدينة:

ظاهرة ترييف المدينة

ظاهرة عسكرة المدينة

طبقات المجتمع الإفريقي خلال فترة لاحتلال البيزنطي

الطبقة الأرستوقراطية

طبقة الملاكين الكبار .

الطبقة العامة:

الفئات الريفية:

الفئات الوسطى "الحضرية"

الفئات الفقيرة:

العبيد:

المسكن والحياة اليومية:

وباء القرن السادس

المجتمع الموري:

عن أي مجتمع نتحدث؟

تطرح دراسة الأوضاع الاجتماعية صعوبة من نوع جديد، ففضلا عن عقم المصادر وعدم عنايتها بطبيعة المجتمع وأصنافه، تطرح المصادر التشريعية التي طالما شكلت مادة مرجعية جد هامة بالنسبة لهذا الموضوع خاصة في الفترة الرومانية، صعوبة أخرى في ضبط وتحديد الظواهر الاجتماعية، بإعتبارها إعتنت بإعادة تنظيم هياكل الإدارة أكثر من أي أمر آخر. وبالرغم من كون النظام البيزنطي قد أعتمد في تشريعاته على القوانين الرومانية بإعتباره الوريث الشرعي لها، الأمر الذي يجعل بديهيا أن نبحث عن تحديد الوضعيات الاجتماعية والشخصية في ضوء نفس القوانين التي ظلت تضبط وضعية الفرد داخل المجتمع. فإن خصوصية المقاطعة الإفريقية بعد تقهقر الإدارة المركزية وما عقبها نتيجة الاحتلال الوندالي، قد ترتب عنها نوع من الغموض والإضطراب، فبات من الصعب تصنيف هذه الفئات الاجتماعية وفقا للمقاييس القانونية. كما إتضح أن هذه التشريعات لم تصنف سوى من يعترف بهم القانون ضمن الأطر الإدارية. وأن ضعف الإدارة المركزية وبعد مسافتها قد جعلها تحاول التأقلم مع الواقع المغربي بتوظيف حلول ميدانية وإستحداث مواقف آنية. وبالتالي فالغموض الكبير يعود إلى كون هذه التشريعات قد ظلت تستند إلى الموروث القانوني الروماني، في مواجهة أوضاع مستجدة. ورغم أن النصوص الإمبراطورية المتعلقة بكيفيات جمع الضرائب، تسمح بتحديد عدد من شرائح المجتمع، إلا أنها تظل غير كافية لرسم صورة حقيقية للمجتمع الإفريقي خلال فترة الإحتلال البيزنطي. لكونها كانت تقتصر على شرائح محددة دون أخرى، رغم أن المصادر الأدبية قد سمحت بالوقوف على مكانتها في المجتمع.

كما نجد أنفسنا أمام إشكالية أخرى عند معالجة هذا الموضوع: هل يمكن تصنيف الأهالي من بين الفئات الاجتماعية التي عايشت الكيان البيزنطي؟ أم أن صيرورة هذه القبائل ظلت تخضع لمنطق البدواة والتنقل؟ وأن حركيتها قد ظلت خارج دائرة التاريخ[283]؟ هل تسمح نماذج الإمارات المورية برصد صورة نموذجية لهذا المجتمع، أم يمكن القول أن صورة الثائر في الأدبيات المسيحية واللاتينية ليست في واقع الأمر إلا تكريس لصورة يوغرطة أوتكفاريناس دون الوقوف على خصوصيات المرحلة في الزمن والجغرافيا؟

[283] ظلت العديد من الدراسات لا تتجاوز المصطلح الإفريقي للتركيبة البشرية المرومنة، مكرسة بذلك النظرة الإستعمارية الحديثة و الحديث عن المجتمع الأهلي فقط في سياق الصراع والمقاومة

وبالتالي فرغم الأهمية السياسية التي أعطتها القسطنطينية لإفريقيا الشمالية، يبدوأن واقع المقاطعة الإفريقية، قد ظلت تتجاذبه مؤثرات اجتماعية واقتصادية داخلية أكثر فاعلية، فقد تجلى في الفصول السابقة هشاشة الإدارة ميدانيا بالمقارنة مع شعاراتها الدعائية. وبالنظر إلى حجمها أصلا في بلاد المغرب، من الناحية العددية، وإلى التركيبة البشرية المشرقية التي كانت تسير الشؤون الإفريقية والتي لم تكن سوى أقلية محدودة[284]، وإقتصارها على الهياكل العليا للإدارة العسكرية والمدنية[285] وإرتكاز الإدارة المحلية في أيدي أفارقة، سواء كانوا ملاكين أورجال الكنيسة[286]. فنحن نتساءل عن إمكانية إستمرار نفس الهيكلة الاجتماعية التي كانت سائدة خلال نهاية الفترة الرومانية؟ بل ما مكانة مصطلح إفريقية البيزنطية إذن من هذا الواقع الاجتماعي؟ هل أصبحت حقا بيزنطية في هيكلتها الاجتماعية، أم أنها فعلا قد كشفت عن مغربيتها أكثر من وقت آخر؟

وعموما تبرز المصادر الأفارقة عشية الحملة البيزنطية، كعنصر أساسي في تفاعلات الأحداث، فالمهاجرين منهم للقسطنطينية، كانوا لا يتوانون في التعبير عما وصلت إليها بلادهم من حالة الإضطهاد والظلم الونداليين[287]، والمقيمين لم يبخلوا بتقديم المساعدة للجيش البيزنطي[288]، فمثلا تحدث بروكوب عن سلوك الأفارقة عندما فتحوا أبواب قرطاج ونزعوا السلاسل من الميناء[289]، رغم أنه سجل احتجاج مجموعة من التجار والسكان الذين يقطنون على مقربة من البحر على عمليات السلب التي قام بها جنود بليزاريوس[290]. وحفظت النصوص الأثرية دور عدد من الشخصيات في تشييد القلاع والحصون[291]. كما أورد كوريبوس صورا مختلفة عن هذه التركيبة التي تصرخ ألما من خطر المور[292]. بينما أطنبت الكنيسة في الحديث عن معاناتها من الإضطهاد الوندالي[293].

وهوما يجرنا إلى التساؤل عن التغيرات التي حبلت بها هذه "العودة" للإمبراطورية؟

[284] E.W.Kaegi, Society and Institutions in Byzantine Africa, in Ai confini dell'impero. Storia, arte e archeologia della Sardegna bizantina. (Cagliari, Sardinia, Italy: M & T Sardegna, 2002) pp. 15-28. Ibid. Army, Society and Religion in Byzantium. London, 1982.

[285] C.Zuckerman, la Haute Hiérarchie militaire en Afrique Byzantine, P.169-171

[286] J.Durliat, les grands propietaires, 533-709 , Cah. Tun. T XXIX, N° 117-118., 1981pp.521-523

[287] أكد فيكتور الفيتي أن الكنيسة الإفريقية لم تتوانى في البحث عن مواساة لهمومها في مناطق الشرق

Victor de vita, Hist. Pers. Afric. III, 68 , p. 209-210

[288] Procope,B.V.I,8,22-24 ; I,XVI,8-9

[289] Procope,B.V.I,XX,3

[290] Procope,B.V. I,18,22

[291] مثلا الحصن الذي شيد بقصر لمسة من طرف الإخوة الثلاثة CIL VIII 12. O35 ، أوالحصن الذي شيده ماستيكانا بهنشير بوسبع، ولاية البروقنصلية:CIL VIII n°2.079

[292] V. Zarini, Bérberes ou Barbares, recherches sur le livre second de la Johannide de Corripe, pp. 17-33 ; cf. A. Cameron, Byzantine africa, The litterary evidence, in Exacations at

التشريعات الإمبراطورية الخاصة بالحياة الاجتماعية:

ركز الإمبراطور جستنيان على حد تعبير ديل Diehl في تشريعاته الأولى على ضرورة إرجاع الصورة الحقيقية للإدارة الرومانية بالنسبة للسكان، مثلما عرفوها في السابق[294]، وقد ظلت عملية التذكير بالخلفية التاريخية تتكرر في أغلبية التشريعات[295]، إلا أن التركيبة الاجتماعية التي ورثتها المقاطعة الإفريقية من الفترة الوندالية، لا يمكن معالجتها بهذا الحنين للعهد الروماني فقط[296]، وهوما تؤكده تطورات الأحداث التي ميزت القرنين السادس والسابع ميلاديين[297]. بل يجب الإشارة إلى أن النوايا الإمبراطورية نفسها لم تكن بريئة، لأنه بمجرد أن نتجاوز النصيين الإمبراطوريين الأوليين، واللذان يبرزان الانتصار البيزنطي كنصر من الله، واللذان يؤكدان على ضرورة العناية بالمجتمع الإفريقي، فاننا نتحسس بداية تطبيق سياسة قد تكون أكثر واقعية أوحقيقية، تتعامل مع القضايا المطروحة وفقا لاستراتيجيات طبقت أيضا في المشرق[298].

وقد حاول العديد من الباحثين تفسير عجز الإدارة البيزنطة عن التحكم في منطقة بلاد المغرب_ والتي أقل ما يقال عنها أنها لم تكن أبدا تدين لها بالولاء التام_ من خلال اعتماد الهياكل الإدارة المدنية على طبقة الأعيان والقساوسة[299]. وقد نتصور أن تقلص نفوذ المجالس المحلية وما أصبحت تعانيه من صعوبات في تسيير نطاقها، جعل من الطبيعي أن يتم اللجوء إلى فئة كبار الملاكين ورجال الكنيسة كعنصر إضافي لدعم هذه الإدارة المحلية

Carthage, VII, 1982, p.534-539 ; Ibid., 'Corippus' Johannis, Epic of Byzantine Africa, Papers of the Liverpool Latin Seminar, 4, 1983, p173-180

293 يعتبر كتاب الإضطهادات الوندالية للكنيسة الإفريقية أحسن مثال على الدعاية التي شنتها الكنيسة ضد السياسة الدينية الوندالية، مثل كتاب فيكتور التونيني : Victor de Tonnennensis, Chronica, ann534 , p.198. أنظر فصل الأوضاع الدينية، أنظر أيضا:

Y.Moderan, la chronologie de la vie de St.Fulgence de Ruspe et ses incidences sur l'histoire de l'Afrique vandale, MEFRA, T .105,1993, I, p. 135-188 ; Ibid. les églises et la reconquista byzantine a l'Afrique, pp. 699-717

294 Diehl, Justinien et l'administration byzantine au VI e siecle, Paris,1901, p 284 ; Ibid.Afr.Byz. p. 116

295 يمكن الوقوف على نفس الفكرة – أي اعتبار إحتلال إفريقيا – بمثابة مكافأة إلهية في العديد من النصوص التشريعية الأخرى مثل:

Novellae, Pref., ed….. 8,10, 2 ; 28, 41 ; 30, 11, 2 ;36 ; 37 ;69, ep ; 70,1. novelle de 541

296 كثيرا ما اعتبرت رغبة الإمبراطور جستنيان في إرجاع التقاليد الرومانية، ومد النفوذ البيزنطي إلى أقصى الحدود القديمة، أو" استرجاع" المقاطعة الإفريقية. وكأنها تعكس نفس الرغبة الإفريقية. أنظر:

297 Y.Moderan, La Découverte des Maures par les Byzantins, p218

298 S.Puliatti, Ricerche Sulla legislazione Régionale di Giustiniano, p.74 ; E.W.Kaegi, Society and Institutions in Byzantine Africa, op.cit. pp15-28.

299 أنظر الفصل الخاص بالإدارة

J.Durliat , Les Grands propriétaires Africains et l'Etat Byzantin, pp514-531

والإشراف خاصة على عملية جباية الضرائب. إلا أن نفوذ هذه العناصر قد تضاعف أكثر بعد وفاة جستنيان سنة 565، بينما ظلت الفئات الوسطى والفقيرة تعيش على هامش المؤسسة الإدارية، بل تعاني من سياستها بمرارة[300].

وهوما أكدته لنا دراستنا لتطور الحياة العمرانية حيث تجلت مكانة القساوسة في المحيط العمراني مما كرس ارتقائهم إلى قمة الهرم الاجتماعي[301]، في نفس الوقت الذي ظلت فيه الخلفية القانونية ترتكز على الموروث الروماني بعيدة عن معايشة الواقع الإفريقي. ومع ذلك فقد سمحت العديد من النصوص الأثرية، رغم طابعها الرسمي، وتكريسها للفعل الإمبراطوري في عمليات تشييد القلاع والحصون، بتوفير سند إضافي لتحسس جوانب أخرى من الأوضاع الاجتماعية، خاصة في الحالات التي تسمح فيها بإحداث مقابلتها بالمصادر الأدبية[302]. كما صدرت تشريعات بشأن الضرائب، إلا أنها لم تتطرق لبقية الجوانب المرتبطة بالحياة الاجتماعية، إلا في المقاطعات الشرقية للامبراطورية، ورغم أنني حاولت إحداث الاسقاطات الضرورية بين هذه المقاطعات وبلاد المغرب القديم، من خلال دراسات باتلايجن Patlaegan[303] وكابلان Caplan[304] أولومارل Lemerle[305]، فيجب أن أذكر بصعوبة بل بخطورة هذا المسلك، لأنه إذا كان مصدر التشريعات هونفسه فالموروث الاجتماعي والواقع المحلي يختلفان بين منطقة وأخرى، وبالتالي فقد تفاديت الإجابة عن تساؤلاتي من خلال مصادر بعيدة عن الواقع الإفريقي.

---

300 محمد الطاهر منصوري، ملامح بعض الفئات الاجتماعية في إفريقيا في العهد البيزنطي 533ـــ 709، المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي، إعداد مجموعة من الباحثين تنسيق د. الهادي التيمومي، المجمع التونسي للعلوم والأداب والفنون، وزارة الثقافة، بيت الحكمة قرطاج، ص 23

301 Cl.Lepelley, le patronat épiscopal aux IV et V siècles : continuité et ruptures avec le patronat classique, pp 17-33, dans l'éveque dans la cité du IVe au Ve siècle, image et autorité, actes de la table ronde organisé par E.Rebillard, EFR,1998

302 لدينا ملفين، الأول يتعلق بملف النصوص الأثرية العسكرية أوالمرتبطة بالتحصينات والقلاع

J.Durliat, les dédicaces d'ouvrages de défense dans l'Afrique byzantine ; D.Pringle, The Defence of Byzantine Africa.

والثاني مرتبط بالنصوص الجنائزية المسيحية والمكتشفة بطريقة اقل تركيزا، إلا أنها تسمح بقراءة اجتماعية ، أنظر:

Y.Duval, Loca sanctorum Africae, le culte des Maryrs en Afrique du IV auVII siécle, II T, EFR 1982 ; N.Duval, et F.Prévot, Recherches archéologiques à Haidra, I, Les inscriptions chrétiennes, EFR, 18: Rome 1975 ; A. Mandouze, dir. Prosopographie chrétienne du Bas empire,I,Afrique(303-533), Paris, 1992.

303 E. Patlangean, Recherches sur les pauvres et la pauvreté dans l'Empire romain d'Orient IV-VIIe siecles, Lille, 1974

304 M.Kaplan, la terre et les hommes à Byzance du VI au XI siècle, Paris,1992

305 P.Lemerle, Esquisse pour une histoire agraire de Byzance, Sources et Problèmes, Revue historique, T.219, 1958,pp.33-37

تعاقب مراحل الصراع

أورد بروكوب في كتابه السري أن مرحلة الاحتلال البيزنطي، زمن جستنيان وحدها قد كلفت بلاد المغرب حوالي 5 مليون قتيل، بما فيهم الوندال، المور والأفارقة[306]. وأن مراحل الصراع ضد المملكة الوندالية من جهة، والكيانات المورية من جهة اخرى،كانا كفيلين بالتأثير سلبا على السكان[307]. وهوما يفتح شهية الباحث لمحاولة تقييم سلسلة الحروب والمعارك. إلا أن انعدام وسائل القياس تجعلنا بقدر ما نتفادى الخوض في عملية حسابية ساذجة لأرقام عدد القتلى في مختلف المعارك، بقدر ما نقر عمليات الانصهار والتداخل في العناصر السكانية، فالانقراض الوندالي بعد الاحتلال البيزنطي، كانصهار الأفارق في التركيبة المغربية بعيد الفتوحات الاسلامية، فضلا عن ثقل الحروب والمعارك، كلها عناصر مشكلة ومغيرة لطبيعة التركيبة البشرية المغربية في هذه المرحلة من التاريخ القديم. وإن كنا نقر باستحالة المغامرة في أية دراسة تاريخية كمية أوعددية، لحد الآن على الأقل.

إن ذلك لا ينفي إمكانية الوقوف على بعض المعالم الاجتماعية التي أفرزتها مرحلة الانتقال إلى فترة الاحتلال البيزنطي، والتي من شأنها إضاءة بعض جوانب المجتمع المغربي، مثل مشكلة إعادة تملك الأرض أوإقرار الهيمنة الاجتماعية لطبقة الملاكين وما ينجم عنها من تحول اجتماعي للطبقة السياسية المحلية، نتيجة عزوفها عن مواصلة أداء نفس الدور التقليدي في المجالس البلدية، وتنازلها تدريجيا عن مكانتها لصالح المؤسسة الكنسية من جهة، أوأصحاب الملكيات العقارية الكبرى من جهة أخرى. ويجب الاشارة إلى أن الاكتفاء بهذه الظواهر الاجتماعية، لايعني أبدا ، اقتصار مراحل التحول على ذلك، وانما فقط لكونها، العينات التي تسمح بها المصادر التاريخية لحد الآن.

1. **مسألة الأرض :**

شكلت الأرض، محور الصراع الاجتماعي الذي ميز المقاطعة الإفريقية طيلة القرن السادس ميلادي[308]، حيث طرحت إشكالية استرجاع الممتلكات العقارية والفلاحية التي يفترض أنها صودرت خلال الفترة الوندالية، كخطوة أساسية في تكريس التحرر من ضيم

---

[306] Procope, Histoire sécrète, XVIII,1-9

[307] يكفي الإشارة إلى أنه عقب الانتصار البيزنطي على التحالف الموري بزعامة قبيلة لواتة، أصبح سعر الطفل الموري الأسير بقدر سعر الخروف Procope,B.V.II,12,27

[308] A.Guillou, la civilta byzantina dal IV Al IX Secolo Corsi di studi I,1976Universita Degli studi du Bari, Bari, 1977,pp355-405

الوندال والإحساس بنعيم العودة إلى الخريطة الرومانية بالنسبة للأفارقة، وبالفعل فقد أصدر جستنيان تشريعات عديدة، سواء تعلق الأمر بطبيعة التملك أوبتنظيم العمل والاستغلال داخل هذه الضيعات، فكان القانون الأول في بداية سنة 534، يمنع المزارعين من مغادرة الأراضي التي ولدوا بها[309]، وبالرغم من أن هدف القانون هومنع المزارعين من التنقل فهوأيضا يحدد وضعية اجتماعية معينة، تتمثل في تركيبة المعمرين. كما صدر قانون ثان في 1 جانفي 535، حول نفس الموضوع، يسمى بقانون المتجددات"novelle36" [310]. وحسب هذين النصين، فإن الطبقة العقارية بما في ذلك رجال الكنيسة، قد أصبحت على أهبة استرجاع ممتلكاتها، إلا أن الخصوصية القانونية البيزنطية قد حددت فترة الملكية التي تعطي حق المطالبة بالحقوق، وهي فترة خمس سنوات كمرحلة أولى[311]. وقد يبدوهذا التحديد غريبا، إلا أنه يمكن قراءته في ضوء الاضطرابات الاجتماعية التي شهدتها بلاد المغرب بعد سقوط الكيان الوندالي، مثلما أشار إلى دلك بروكوب[312]، وبالتالي إلى صعوبة معالجة هذا الموضوع، وأن القوانين الأولى التي صدرت لم تكن مبنية على معرفة حقيقية لواقع بلاد المغرب، كما يمكن أن نضيف فرضية أخرى أشار إليها موديران Moderan وهي رغبة الإمبراطور في الاستيلاء على هذه الممتلكات، بعد حصر قائمة المستفيدين من عمليات استرجاع الممتلكات من أيدي الوندال[313]. وه وما أكده أيضا بروكوب في كتابه التاريخ السري متهما جستنيان بأنه استولى على أملاك المدن

---

[309] رغم ضياع نص هذا القانون، إلا أن الإشارة التي تضمنتها ديباجة المرسوم رقم 36، تحوصل موضوع التشريع المتعلق بحق المطالبة باسترجاع ما افتقده الأفارقة خلال الفترة الوندالية، ما جعل إغلبية الباحثين يقرون أنه صدر بالموازاة مع النصين المشهورين لتنظيم المقاطعة الإفريقي، وبالتالي في بداية سنة 534، أنظر

Ch. Saumagne, Observations sur deux lois Byzantines relatives aux colonat, p485-494 ; Y. Moderan, l'établissement des Vandales, p113.

[310]Novelle XXXVI. ed.schoell et Kroll.1895, .p243-244.

[311] **" إننا نريد الحفاظ على قوة هدا القانون، لكن حسب توجيها معينة وحدود مضبوطة، حتى لا يسمح للأفارقة، بعد كل هده السنوات التي مضت، بإعادة إحياء أحقاد قديمة، وقضايا تكاد تكون قد نسيت، وبإحداث اضطرابات مدنية لهدا السلم. لهدا نقرر بفضل هدا القانون، أنه إدا ادعى أي كان لأن هده الأملاك، كانت ملكه أوملك والده أم جده، بينما يمتلكها الآن آخرون غير شرعيا وضد قوانيننا، فيمكن لهم استرجاعها، ودلك بتقديم الأدلة المتعارف عيها قانونا، إما بتقديم العقود القانونية، أوبتقديم شهود عدل يوافق عليهم القاضي، يمكن بعدها مباشرة محاكمة قضائية. ونقرر أن تطبيق هده القوانين يمتد فقط إلى الآباء والأجداد، وليس إلى درجة أعلى."**

[312] Procope,B.V.II,8,9-22

[313] Y. Moderan, l'établissement territorial des vandales en Afrique, p 114

يعتمد هدا الباحث على نص لبروكوب حاول فيه التأكيد على أن حركة التمرد التي شارك فيها العناصر المتبقية من الجيش الوندالي تعود أهم أسبابها إلى هده المرحلة من التأميمات الإمبراطورية Procope,B.V.II,4,3

لصالح الخزينة[314]، وأن الإمبراطور قد حول مداخيل المدن لصالح رواتب الجند[315]. وبالفعل يبدو أن السياسة الإمبراطورية سرعان ما أيقنت أن التشريعات التي صدرت في هذا الاتجاه قد فتحت في الواقع أبوابا كثيرة للاحتجاجات والفوضى في أوساط المجتمع، حيث أصبحت المحاكم، من دون شك، تغص بالقضايا، وهوالأمر الذي كرسته بعض النصوص التشريعية التي صدرت لاحقا[316]. وعموما فالقيام بعملية حسابية لانعكاسات هذه النصوص الجديدة، تجعلنا نقف على خلفية مهمة في هذه التشريعات وهي محاولة ابعاد عدد كبير من الملاكين ، سبق وأن سمح لهم النص القانوني الأول بالحصول على ممتلكاتهم ، ويمكن البحث عن خلفية هذا التحول الإمبراطوري في ضوء تلميحات بروكوب في كتابه السري، برغبة الإمبراطورية في الاستيلاء على هذه الأراضي وإقصاء ورثتها[317]، ولعل دلك لم يكن دون انعكاسات اجتماعية وسياسية[318]. فبروكوب نفسه قدأكد في كتاب الحروب، أن الجنود البيزنطيين ، بما فيهم عدد من الحرس الخاص لسولومون، قد انضموا إلى الحركة التمردية التي قادها ستوتزاس Stotzas طمعا في الإستيلاء على الأراضي[319]. مما يجعلنا نتصور أن مرحلة إعادة التملك هذه قد ترتب عنها تداخلات بشرية كثيرة، سمحت بسعي الكثير من الجند أو الإداريين لمحاولة التسرب إلى طبقة الملاكين.

مسألة المعمرين

حظيت هذه المشكلة أيضا باهتمام امبراطوري كبير، حيث صدرت عدة قوانين ما بين سنوات 552 و558. [320] وبالنظر إلى حجم هذه القوانين بالمقارنة مع بقية القضايا الاجتماعية والتنظيمية الأخرى، يمكننا أن نفترض أن الصراع الاجتماعي بين طبقة

---

[314] Procope, Histoire secrète,XXVI,6-11
[315] Procope, Histoire secrète, XVIII,9
[316] لقد حاولنا معالجة هدا الموضوع في الفصل الخاص بالحياة الاقتصادية، أنظر:

Corpus juris civilis, III, Novelle, IX Appendix novellarum Justiniani, ed. schoell et Kroll.1928,.p.799, 803 ; Procope, Histoire secrète, XVIII,10
[317] Procope, Histoire secrète, XVIII,9,10
[318] اعتبر ديل أن الإدارة البيزنطية قد انتهت في نهاية الأمر بإثقال كاهل السكان بممارساتها وحجم الضرائب التي فرضتها.

Ch.Diehl, Afr.Byz.p.383
[319] Procope,B.V.II,14,6-11 ;II,14,23
[320] Ch. Saumagne, Observations sur deux lois byzantines relatives au ‘colonat. pp. 485-490 ; P.Collinet, la politique de Justinien à l’égard des colons, in Atti del V congresso internazionale di studi Bizantini,1939,I,pp.600-611

الملاكين والمحاكم المحلية، الذي يعود مصدره إلى فترة الاحتلال الوندالي، سرعان ما احتل الساحة من جديد. فبعد أن أصدر جستنيان مع فرحة الانتصار على الوندال، أنه يسمح لكل من ضيع ممتلكاته خلال الفترة الوندالية الحق في استرجاعها[321]. فيبدو أن الواقع قد كان أكثر تعقيدا ، لأنه اضطر لمحاولة ضبط تشريعاته من جديد، فأصدر سنة 552 "...**المعمر الذي غادر الملكية، في زمن الهيمنة الوندالية، وأقام بين الأشخاص الأحرار، لا يمكن المطالبة بارجاعه إلى الضيعة، ولا إجباره على العودة إلى وضعية المعمر. فاننا نريد أن يبقى على حاله مثلما كان في الفترة الوندالية، وفي نفس الوقت فاننا نأمر كل من تخلى على أرضه وهاجر إلى أرض الغير، أن يعود إلى مكانه الأول**.."[322]. وقد نفهم من هذا النص، أن تركيبة المعمرين قد ظلت موجودة ومصنفة في القانون البيزنطي[323]. وأن هذا القانون يقر حالة التغيرات الاجتماعية التي عرفتها خلال الفترة الوندالية، إلا أن الإمبراطور جستنيان فضل الابتعاد عن الخوض في الصراعات الاجتماعية التي أحدثتها هذه المرحلة، بوضعه حدا للمطالبة بحق استرجاع هذه التركيبة البشرية من طرف الملاكين الكبار[324]. وبالتالي فقد طبق سياسة العفو عن الماضي إلا فيما تعلق باستغلال ممتلكات الغير، وبالتالي فقد نتصور أن عدد هؤلاء المعمرين الذين أقاموا بالمدن، قد بلغ من الكبر ما جعل الإمبراطور يفضل مواجهة الملاكين الكبار، على أن يخلق أزمة اجتماعية داخلية، لا

---

[321] يفترض أنه صدر بالموازاة مع القانونين المشهورين لإصلاح الإدارة البيزنطية وتنظيمها، قانونا آخر بشأن الممتلكات المحلية، بما فيها الكنيسة، وهذا ما يفهم من ديباجة القانون الجستنياني الذي صدر بتاريخ 1 جانفي 534، والذي يقر "ما أعلنه" بشأن حق الملاكين في استرجاع ممتلكاتهم، إلا أنه يعدل من الفترة الزمنية التي سبق وأن حددها بخمس سنوات. أنظر:

Corpus juris civilis, III, Novelle,XXXVI, ed.schoell et Kroll.1895, .p.243

[322] Corpus juris civilis, III ,Novelle,VI, Appendix novellarum Justiniani, ed. G.Schoell et R.Kroll,Berlin, 1895, p.799(06 septembre 552)

[323] نعثر في نصوص القديس أوغسطين على إشارات تؤكد حالة الضيم التي تعيشها هذه الفئة إلى درجة بيع أبنائها.

Les Lettres de saint Augustin découvertes par Johannes Divjak, coll.des études Augustiniennes, Paris, 1983, 10,6, p. 49,23

كما تسمح لنا مرة أخرى ألواح ألبرتيني بتأكيد سلوك هذه الطبقة من المعمرين، والتي كانت تخضع بدورها إلى ما يسمى بأملاك ماكيانا،أوقوانين التملك الماكيانية، حيث تجلى أن هؤلاء المعمرين يفترض أنهم تصرفوا في الضياع التي تملكوها بحكم هده القوانين التي تنازلت لهم عن حقوق استغلالها، وتوريثها، إلا أن عملية البيع يبدوأنها الطريقة الأمثل لتحررهم من قيود الالتزام بهده التركة، من إتاوات والتزامات قانونية، وبالتالي لنا أن نتصور أن الفترة الوندالية كانت فرصة للتحول الاجتماعي ضمن الطبقة الفلاحية الفقيرة والمتوسطة، وهوأمر بلغ من الانتشار ما جعل جستنيان يتعامل معه كأمر واقع، ويتفادى أي اضطراب اجتماعي.

Ch .Saumagne, Observations sur deux lois byzantines relatives au 'colonat' dans l'Afrique, p485-490

[324] M .de Dominicis, A prposito di due leggi bizantine sul colonato nelle regioni africaine, dans RIDA, 1964, pp139-158

سيما وأن اندماج هذه التركيبة ضمن السكان الأحرار ومحاولة تمسكها بذلك يجعلنا نفترض أنها نجحت في الانخراط في العجلة الاقتصادية .

وهذا ما يبرر إصداره المرسوم الثاني، المؤرخ في 22 سبتمبر 558: "**الإمبراطور فلافيوس جستنيان...إلى جون، حاكم بطريرقية إفريقيا، علمنا أن في المقاطعة الأفريقية، يوجد من لم ينتظر قوانيننا حول إمكانية المطالبة باسترجاع المعمرين، ولا زالوا يصيرون على تقديم القضايا للمحاكم، للمطالبة بالمعمرين أوالفلاحين، أوأبناءهم، الذين قد هاجروا ضياعهم قبل وصول جيشنا......ونعلم أننا أصدرنا بصدد الموضوع قوانين مقدسة، نحدد فيها فترة تقديم الاحتجاجات للمطالبة بالفلاحين. ونأمر بأن توقف فخامتكم هذه الشكاوي غير المؤسسة، في الأراضي الإفريقية، وأننا لا نسمح متابعة المعمرين، عن طريق العدالة، سواء كان الأمر بالنسبة للرجال أوالنساء، أوحتى أبناءهم، إلا ابتداء من الفترة التي، كما ذكرنا، تمكن فيها جيشنا المبارك، بفضل الله، من ضم إفريقيا لإمبراطوريتنا...."**[325]. مما يجعلنا نتحسس حقيقة الأزمة الاجتماعية التي ولدتها هذه القضية. واضطرار الإدارة وضع حد للمحاكمات والمتابعات التي أثقلت هيكل الإدارة. كما يمكن أن نستنتج خصوصية المقاطعة الإفريقية، بالنسبة لعودة الملاكين الكبار وإصرارهم على استرجاع ممتلكاتهم، وأساليب استغلالهم وفقا للعرف والقانون المعمول به مند الفترة الرومانية، بل إصرارهم على استرجاع هيمنتهم وامتيازاتهم الاجتماعية، وذلك بتمسكهم بحق استرجاع المعمرين والفلاحين الذين كانوا في حوزتهم قبل فترة الاحتلال الوندالي. لكن أيضا رغبة الإمبراطور في الحفاظ على التوزيع الاجتماعي والاقتصادي الجديد، أوعلى الأقل عدم مجارات الطبقة الأرستقراطية في تنفيذ كل مطالبها، وحماية طبقة المعمرين من المتابعات القضائية. وقد ذهب البعض إلى اعتبار هذا الموقف دليلا على نية الإمبراطور في الحد من نفوذ طبقة الملاكين الكبار والتقليص من هيمنتها[326].

و يمكن أن نتتبع نفس المسألة في عهد خلفاء جستنيان، فبينما أقر هذا الأخير أن من يولد من أم حرة و اب "معمر" Adscriptitius، يعتبر حرا[327]، فقد عدل هذا الأمر بالنسبة لمقاطعة ايلليريا، ملزما إياه المكوث بنفس الأرض و الارتباط بها مثل واده، و ذلك

[325] Corpus juris civilis, III ,Novelle IX,Appendix novellarum Justiniani, ed. op.cit, p.803

[326] محمد الطاهر منصوري، ملامح بعض الفئات الاجتماعية في إفريقيا في العهد البيزنطي 533ـــ 709، المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي، إعداد مجموعة من الباحثين تنسيق د. الهادي التيمومي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، وزارة الثقافة، بيت الحكمة قرطاج،ص 34.

Moderan,l'établissement territorial des vandales en Afrique, p111-114

[327] Codex Justinianus, ed., P. Krueger, Berlin, 1877, XL.48.XXIV p. 988

سنة533[328]، إلا أنه لم يطبق على المقاطعة الإفريقية، باعتبارها حظيت بعناية خاصة. فيبدو أن هذا الإجراء القانوني قد تم إحياؤه زمن الإمبراطورين جستين الثاني Justin II و موريس Maurice[329]، و دعم ثانية في عهد الإمبراطور تيبريوس Tiberius[330]. و في اعتقادي لا يمكن فهم هذا التحول والتشدد في إلزام طبقة المعمرين في البقاء في الأراضي المنتجة، إلا في ضوء تحالف بين طبقة الملاكين الكبار و السلطة الإمبراطورية أملته الحاجة المتزايدة للمصادر الفلاحية و الاقتصادية.

2. مسألة النساء الونداليات

أوضح بروكوب في حديثه عن أسباب حركة التمرد التي شهدتها المقاطعة الافريقية بزعامة ستوتزاسStotzas، خلفية إجتماعية أخرى تتمثل في زواج عدد كبير من الجنود البيزنطين بالنساء الونداليات واستيلائهم على الممتلكات الوندالية، بما فيها الأرص، المساكن والعبيد. وأن هاته النسوة قد أقنعن أزواجهن الجدد من عناصر الجيش البيزنطي، بأنهن كن يتمتعن بهذه الأملاك في الفترة الوندالية وأنه من غير المعقول بعد أن أصبحن زوجات الجيش المنتصر أن يفقدن ذلك[331]. قد نضيف صورة أخرى أوردها هذا المؤرخ عن الحنود أنفسهم والذين كانوا في فقر كبير ثم سرعان ما وجدوا أنفسهم يمتلكون ثروات وضياع كبيرة[332]. وبالتالي أصبح يبدو أن هذا الارتقاء الاجتماعي قد كان على حساب طبقة الملاكين الأفارقة. ولعل الوضعية الأمنية المتمثلة في تفاقم الخطر الموري، قد جعلت هؤلاء الجنود أكثر ثقة في تمسكهم بامتيازاتهم الجديدة. رغم محاولة بلزاريوس إقناعهم بأنه إذا كان من حقهم الحفاظ على الغنائم التي حصلوا عليها بما في دلك العبيد، فالأرض تظل من نصيب الإمبراطورية ويجب أن تعود إلى الخزينة العامة[333]. وبالتالي لنا أن نتصور الإشكال الذي أصبح يواجه الإمبراطورية بين الوفاء لوعودها بضرورية تلبية مطالب طبقة الملاك الأفارقة، والرضوخ لتجاوزات الجيش البيزنطي.[334]

3. مسألة هجرة طبقة الأعيان من المناصب المحلية

---

[328] Novelle, Just.LCXII,2
[329] Novelle,Just. XXII,17,CIV,1 ; Codex,Just.XCVIII,24.
[330] Novelle,Just.XIII.
[331] Procope,B.V.II,14,8-11
[332] Procope,B.V.II,4,3
[333] Procope, B.V . II,14,6-11,II,14,23
[334] Procope, B.V . II,14,6-11,II,14,23

تحفظ التشريعات البيزنطية مشكلة واجهتها الإدارة المركزية، ليس فقط في إفريقيا بل في اغلبية مقاطعات الإمبراطورية، وتتمثل في فرار طبقة الأعيان من الإلتزامات المتعلقة بمسؤولية المجالس المحلية، نظرا لما كان يترتب عنها من أعباء مادية والتزامات تجاه هذه الإدارة. وفي دراسة لهذه الطبقة السياسية التي طالما شكلت نواة الحضارة العمرانية في التاريخ الروماني، ما بين القرنين الرابع والسابع[335]، تبين أن ضغط الإدارة البيزنطية كان ثقيلا ، إلى درجة أن صدرت عدة قوانين تلزم هذه الفئة بالبقاء في مناصبها إلا في حالات يحددها القانون. وقد تبين أن عددا كبيرا من هؤلاء الأعيان قد وجدوا في الحياة الكنسية ما يحررهم من الأعباء المدنية، ويعفيهم من الضرائب في نفس الوقت الذي يسمح لهم فيه بالاحتفاظ باملاكهم[336].

وبالتالي فقد أصبحت جاذبية الكنيسة كبيرة ليس فقط للاعتبارات الدينية، بل لما توفره من حماية ومكانة لهذه التركيبة[337]. الأمر الذي يبرر مجموعة القوانين والتشريعات التي حاولت أن تحد من هذه الظاهرة، سواء بفرض شروط تعجيزية مثل التجريد من الأملاك أوفرض نسبة 1/3 من ممتلكات الشخص كغرامة على انتقال ملكيته بعد انخراطه في السلك الكنسي[338]، أوالمنع النهائي مثل ما يتجلى من بعض مراسلات القديس جيرجوار الكبير St.Grégoire، الذي أشار إلى قانون كان ساري المفعول في عهد الإمبراطور موريس Maurice، يمنع كلية الانخراط في سلك الرهبنة والحياة الكنسية لكل من مارس وظائف إدارية، أوأشرف على جهاز الضرائب[339].

وعموما إذا كانت قائمة هذه التشريعات، تكرس رغبة الإمبراطور في إحياء المجالس المحلية وضمان استمرارها، وسهرها على جباية الضرائب وتسيير الأملاك العمومية، فيبدوأنها عجزت على أن تنفخ فيها الحيوية والنشاط المعروفين في المدن الإفريقية[340]، ولعل هذا أيضا ما يبرر لجوء الإدارة المركزية إلى الحلول المحلية الجديدة، والمتمثلة في تجنيد الملاكين الكبار

---

335 Avshalon Laniado, recherches sur les notables municipaux dans l'empire protobyzantin, collége de France,Paris 2002

336 Cl. Lepelley, le patronat épiscopal aux IV et V siécles, p 17-33

337 صدرت عدة قوانين بشأن مراقبة ظاهرة هروب الأعيان إلى الكنيسة، فكانت تشريعات جستنيان في مرحلتها الأولى تقر هدا التحول مع فرض بعض الشروط، مثل ضمان الاستخلاف (C.J.I,3.52.4) لكنها تحولت فيما بعد لتفرض نهائيا هدا التحول لكل من مارس وظائف محلية في الإدارة، الضرائب، الديوان... .(C.J.I,3.52.1). ويوجد نص مشهور للامبراطور جستنيان يعتبر أن الكنيسة إنما تحرر العبيد والمعمرين وليس الأعيان من واجباتهم المحلية (Nov.123.1 ; 137,2)

338 C.J.I,3,52,11 ; Nov.38,pr.4,1-2 ; Procope, Histoire secréte,XXIX,20,p.177, p.137-138

339 Grégoire le Grand, lettres, III,61,T.1,p 209 ; III, 64,T.1,p.214

340 J.Durliat, les grands propriétaires, p522

للسهر على المهام المحلية الهامة[341]، بما في دلك القساوسة ورجال الذين[342]، كجمع الضرائب والاشراف على بعض المنشآت الدفاعية، دون أن تكون لهم وظائف يحددها القانون، كما جرت العادة في الإدارة الرومانية[343].

ما طبيعة المجتمع الذي وجده البيزنطيون بعد انهيار الوندال

قد نتساءل على إثر التشريعات التي تطرقنا إليها، وطبيعة المشاكل التي تمكننا من رصدها، عن شكل المجتمع الذي وجده البيزنطيون، هل يمكن إسقاط صورة المعمرين الذين غيروا كلية وضعيتهم القانونية والاجتماعية واندمجوا في تركيبة الأحرار القاطنين في المدن، أم أن هذه النماذج تظل محدودة في تعدادها ومناطق تواجدها؟ وما حجم الانخراط الاجتماعي في سلك الرهبنة والحياة الكنسية؟ وإذا عممنا هذه الصورة، فهل فعلا كانت المدينة مركز الكثافة السكانية ، أم أن الملكية الفلاحية هي التي أصبحت مركز النفود من خلال طبقة الملاكين؟

يجب الإشارة إلى أن عمليات المصادرة الوندالية لم تمس كل الأراضي الافريقية، بل استمرت الضياع الكبرى في أغلبية المقاطعات. وأن عددا من الأفارقة قد ساهموا في التعاون مع الكيان الوندالي[344]، كما أن عددا كبيرا من هؤلاء الملاكين قد هللوا للانتصارات البيزنطية وتعاونوا مع الجيش في دلك. ولعل تتبع حياة القديس فيلجانس St.Fulgence تسمح لنا بضبط صورة عائلة ثرية، قد تعرضت لعملية النفي والعودة أيضا، إلا أن حضورها ظل مستمرا في الولاية البروقنصلية[345]. كما يفترض ان الضياع الصغيرة لم تتعرض لعمليات المصادرة بصورة شاملة، بل ظلت أغلبية الملكيات الصغيرة والمتوسطة على حالها، خاصة في مقاطعتي نوميديا والمزاق، البعيدتين عن التمركز الرئيسي للوندال، وبالتالي فالتغيير السياسي لم يمس سوى الطبقة الأرستوقراطية الكبرى. ومع ذلك فصورة بلاد المغرب لم تبق ثابتة، ويوجد أكثر من دليل على هذا التحول.

---

341 يحفظ لنا الملف الأثري، لا سيما النقائش الأثرية البيزنطية، أسماء عدد من الملاكين الكبار الدين تدخلوا في عملية تحصين المدن، أوالإشراف على جمع الضرائب. أنظر:

J.Durliat , recherches sur l'histoire sociale de l'Afrique byzantine,le dossier épigraphique. pp.
342 Y.Moderan, les églises et la reconquista byzantine. P.708-709

343 رغم ما تجده هذه الأطروحة من معارضة من طرف المختصين

344 C.Courtois,V.A, p.256-259
345 Y.Moderan,la chronologie de la vie de saint Fulgence de Ruspe et ses incidences sur l'histoire de l'Afrique vandale, dans MEFRA,T.105,1993,I,p.135-188.; G.Lapeyre, Vie de saint Fulgence de Ruspe, Paris,1929,p67

وإذا كان يصعب علينا الخوض في المعطيات الذيموغرافية[346]، والحديث عن عدد سكان المدن أوالأرياف. فما تسمح به المصادر هو، انتشار بعض الأسماء المشرقية ضمن قائمة التسميات الافرقية[347]، مثل اسم فيكتور أو.... كما تجلى أن أغلب الأشخاص الذين يحملون أسماء مشرقية هم من التركيبة العسكرية، أومن الطبقة الأرستوقراطية العليا، حيث تبقى الاستثناءات محدودة جدا، مثل ما تدعوإليه نقيشة الشاب تيودوس Theodose المتوفي في هيبون، والتي تفترض أنه ينتمي لعائلة متاجرة قادمة من الشرق، استقرت بالقرب من الميناء[348]. وعموما فملف النصوص الأثرية يؤكد على النسبة المحدودة للعنصر المشرقي، واقتصارها على المناصب العليا إدارية كانت أم عسكرية، رغم أن نماذج من هذه العناصر قد تركت بصمات استقرارها المطول، وربما اندماجها في المجتمع المغربي، مثل ما نعرفه عن يوحنا Jean، الحاكم العسكري لموقع عين البرج [349] Tigisis، أوزيبر Ziper حاكم روسنياي (البرج البحري) [350] Ruguniae، أوالنقيشة الجنائزية للحاكم العسكري

---

[346] إقترح كورتوا Courtois نسبة 60% من الحضريين من مجموعة السكان. وذلك بعد ما توصل في ضوء الدراسة التي قدمها بلوخ J.Beloch بأن عدد سكان بلاد المغرب يقدر بحوالي 04 ملايين نسمة، إلا أن هذه الأرقام قد تضاءل في رأيه بنسبة 1/4 ليصبح فقط 03 ملايين ساكن مع نهاية العهد الإمبراطوري. إلا أن هذه الفرضية لم تحض بالإجماع بل سرعان ما تم التخلي عنها، حيث إقترح ستين

E.Stein,Histoire du Bas Empire, T1,1959 pp2-3

أن شمال إفريقا عرفت نموا ملحوظا خلال القرن 3م، وأن مدنه كانت غاصة بالسكان. واعتبر بيكار G.Ch.Picard أن سكان بلاد المغرب قد بلغ عددهم حوإلى 5,6 مليون نسمة في بداية القرن 3م، مقترحا أن عددهم قد تضاعف منذ عهد الإمبراطور كلوديان. كما كانت إستنتاجات لاسير:

J.-M. Lassere, 1977. "Ubique populus" peuplement et mouvements de population dans l'Afrique romaine, de la chute de Carthage a la fin de la dynastie des Severes 146 a.C.-235 p.C. Paris: Editions du C.N.R.S.

من خلال تحليل إحصائيات شواهد القبور والأنصاب المختلفة، طيلة حوالي 250 نسمة، مطابقة لأراء بيكار:

G.Ch. Picard, la civilisation de l'Afrique Romaine, Paris, 6, 1959. pp45-59

رغم أنه لاحظ بأن نسبة وفيات الاطفال كانت مرتفعة فقد إقترح بأن الزيادة كانت تقدر بحوالي 75%. أنظر:

A. Lezine, sur la population des villes Africaines, Ant.afr.T.3,1969.p69-82 .

[347] أنظر الجدول رقم .... المتعلق بقائمة الأسماء من خلال المصادر البيزنطية

[348] فضلا عن الطابع اللغوي المزدوج للنقيشة (لاتينية-إغريقية) فقد ذكرت أن الطفل تيودوسيوس المتوفي في سن العاشرة، زمن الإمبراطور موريس، هومن عمره، هومن كونوس Caunos بليسيLycie ، أنظر:

E .Marec, Monuments chrétiens d'Hippone, ville episcopale de saint Augustin, Paris,1958,p.97,101 ; J.Durliat, Recherche sur l'Histoire de l'Afrique Byzantine, p.276-280

[349] أنظر بطاقية عين البرج رقم (CILVIII,17822 ; I.L.C.V.N°1832(

[350] CILVIII 20849 ;I.L.S.2812 ;I.L.C.V.442,

وهي نقيشة القائد زيبرZiper الذي توفي في تيقزرت بعد ما قضى 12 سنة بهذا المنصب، وقد افترض أنه بسبب كلمة numerus التي وردت في النقيشة، يمكن أن يكون من الوحدات العسكرية التي حددها المرسوم الجستنياني، رغم أن كوريبوس قد تحدث عن نفس الإسم ضمن جيش جون تروجليتا في حدود 547(...; Iohan.III,2) ، وعموما فتعتبر هذه النقيشة أحد الدلائل على ظاهر استقرار التركية البشرية الوافدة واندماجها في النسيج السياسي المحلي

موريسيوس Mauricius الذي دفن رفقة ابنتيه في نفس المكان أين مارس سلطته لمدة 12 سنة[351]. أما إذا تفحصنا ملف القوائم الكنسية وأسماء القساوسة[352]، فرغم تسرب العديد من التسميات المشرقية مثل المؤثرات المذهبية المشرقية[353]، يبدوجليا أن الأسماء الإفريقية المعهودة قد ظلت تشكل القاعدة، وهونفس الأمر الذي كرسته النصوص الجنائزية المسيحية لعدد من هذه الشخصيات[354]. وبالتالي فما استخلصه دورليا من ارتكاز الإدارة المحلية على العنصر الإفريقي، ليس إلا تأكيدا على الحضور المحدود للعنصر المشرقي[355].

مما يجعلنا نتوجه للبحث عن مسببات هذا التحول الاجتماعي، داخل المقاطعة الإفريقية نفسها، بعيدا عن منطق التحولات الجذرية المفاجئة، أوالتفسير المرتبط بالتحقيب الزمني. والأخذ بعين الاعتبار سلسلة التراكمات الثقافية، الاجتماعية، الاقتصادية والسياسية، التي كرستها هذه الفضاءات الاجتماعية، داخل المحيط العمراني خاصة.

---

351 أنظر بطاقية تامندفوست رقم ()
J.Durliat, Recherches sur l'histoire sociale, N° 59-61. p 215-223 ; N.Duval, les Byzantins à Rusguniae, .p 343 ; D.Pringle, The Defence of Byzatine Africa, p. 73
352 N.Duval, une nouvelle édition des listes épiscopales africaines, in REAug,20,1974,pp313-322
353 Y.Duval, Loca Sanctorum, p 757-760
354 N.Duval, Observations sur l'onomastique dans les inscriptions chrétiennes d'Afrique, in Actes du Colloque sur l'onomastique latine, Paris, 1977, p. 447-458 ; Ibid., Inscriptions byzantines de Sbeitla (Tunisie), III, in MEFRA, 83, fasc. 2,1971,p423-443
355 J. Durliat, Recherche sur l'Histoire de l'Afrique Byzantine, le dossier épigraphique…pp. 153-158

التحولات العمرانية : بين الريف والمدينة

لقد سمحت لنا محاولة قراءة الخريطة العمرانية التي أنجبتها الفترة البيزنطية، والمورفولوجية الجديدة للمدن، ومحاولة الوقوف على مدى استمرار المدينة في حفاظها على التقاليد الرومانية، المعروفة في النظام البلدي وتسيير شؤون المواطنين، باستخلاص ظاهرتين أساسيتين يمكن إضافتهما إلى الطابع الدفاعي الذي تميزت به الخريطة العمرانية البيزنطية:

1. ظاهرة تمسيح المدينة:

إن التحول الذي أدخلته المسيحية في المجتمعات القديمة لا يتمثل في المعتقد وتغير الدهنيات فحسب، بل نتج عن دلك سلوكا اجتماعيا واقتصاديا جديدين على مستوى المدينة، فتشييد كنيسة أومعمدية هو فعل اقتصادي مثلما هواجتماعي، لآن عملية التشييد تتطلب جمع الأموال وتنظيما معينا كما تطلبت العناية بتسيير شؤون هذه الكنيسة هيكلة جديدة لم تكن موجودة في المدن الرومانية التقليدية[356]. وإذا كانت أساليب الإهداءات العمرانية قد سمحت للطبقة الأرستوقراطية بتخليد فعلها على مستوى المدن، فيبدوأن الكنيسة قد بدأت تحتضن هذا النشاط، ليصبح القس أورجل الذين هوالشخصية الأكثر حضورا في هذه النصوص الأثرية[357]. وبالتالي فهذا النفوذ الاقتصادي المتعاظم للمؤسسة الكنسية[358]، لم يكن وليد عملية إنتاجية للمصادر المادية، وإنما هونتيجة تحويل المصادر المادية التي كانت تصب في مجالات عمرانية أخرى، الأمر الذي انعكس على الهياكل العمرانية التي يمكن وصفها بالوثنية مثل المعابد، الحمامات ...الخ[359] . وعموما يمكن استخلاص أن الكنائس لم تعوض المعابد في نفس المساحة العمرانية، وانما لعبت دورا أساسيا في إعادة هيكلة المدينة وإعادة ترتيب

---

[356] لعل أغلب النقائش الأثرية التي تركتها هده المدن ما هي إلا تأكيد على العلاقة الوطيدة بين الفعل العمراني ونوع من الإشهار اللتان تغطيات طبيعة المصالح المادية التي تجنيها هده الطبقة، أنظر:

J.Andrau, Patrimoines échanges et préts d'argent économie romaine, L'ERMA di Bretschneider, Roma, 1997, p. 79 ; Id., les patrimoines sénatoraux, remarques sur les intérets patrimoniaux de l'élite romaine, Cahiers Glotz, XVI, 2005, p.57-77

[357] J.Durliat, L'Administration religieuse du diocese Byzantin d'Afrique (533- 709)", Rivista du studi Bizantini e Slavi, T4, 1984.pp150-178.

اعتبر المؤلف أن السلطة في هذه المدن كانت محتكرة منذ بداية القرن السادس في يد عناصر محدودة بدأ نفوذها يتفاقم منذ نهاية القرن الرابع. وعلى رأسهم الملاكين الكبار والقساوسة، ص 522. وإذا كان يصعب علينا تتبع ميكانيزمات الهيكلة الإداري وكيفية توزيع السلطات داخل المجلس البلدي، أم خارجه، فاننا نجد أنفسنا أمام ظاهرة جديدة تتجلى فيها المصاريف باسم هذه التركيبة مما يجعلنا نفترض حتى لوأنها كانت مجرد هبات مجانية فمن الطبيعي أن تجني بدورها امتيازات اجتماعية وثقافية، ولما لا مالية. ص54

[358] N.Duval, Influences sur la civilisation chretiénnes de l'Afrique du Nord", Rev. des études Grèques, T.LXXXIV, 1971, pp XXVI-XXX

[359] J.M.Speiser La christianisation de la ville dans l'antiquité tardive,Ktema,N° 11,1986

مراكزها: فمثال مدينة جميلة أوسطيف، يكرسان هذه الرغبة في نقل مراكز التجمع السكاني من الساحات التقليدية إلى الحي المسيحي[360]. أوتيمقاد التي ظلت هياكلها الوثنية قائمة بينما تحولت الجاذبية فيها إلى الكنائس الجديدة[361]. كما يمكن الإشارة إلى الدور الكبير الطي لعبه الخطاب المسيحي في نقل الثروات من المجالس المحلية أوالعائلات الأروستقراطية إلى الكنيسة، حيث أصبحت عملية توزيع الثروات والرعاية الاجتماعية، تتم ضمن هياكل الكنيسة أكثر من الأطر البلدية التقليدية[362].

2. ظاهرة ترييف المدينة:

سمحت العديد من الدراسات الأثرية، والمتمثلة في البحث عن المعالم العمرانية خارج المدن، بالوقوف على كثافة الأرياف وحيويتها، وذلك من خلال دراسات لوفو .Ph Leveauحول منطقة شرشال، والتقنيات التي أجراها بيراس J.Peyras بجانب من حوض مجردة، فضلا عن الأبحاث التي يقوم بها الأمريكي .Hitchner هيتشنر حول منطقة قصرين Cillium. وإذا كانت هذه النماذج من الدراسات قد أثمرت بأن المناطق الريفية لم تكن أقل أهمية من المدن من حيث الكثافة والإستقرار الساكنين، فقد أكدت على عقم فرضية كورتوا Courtois حول إرتفاع عدد سكان المدن بالنسبة للأرياف. كما أكدت الدراسات أنه رغم استمرار النشاطات العمرانية في المدن، إلا أنها بعد القرن الخامس ، قد شهدت تقلصا ملحوظا بالمقارنة مع الحركية العمرانية للقرن الرابع ميلادي[363]، وإذا كان طبيعيا أن فترة الجمود الوندالية وما عقبها من اضطرابات، قد أثرت على سير المدن، وقلصت من امكانيات المجالس المحلية في مواصلة تقاليدها الرومانية. يضاف إلى دلك ظاهرة هجرة الطبقات الأرستوقراطية نحوالضياع وهروبها من إلتزاماتها المحلية[364]. كل دلك ساهم في تقلص المساحة العمرانية لأغلبية المدن، وانتقال الحيوية الاجتماعية نحوالريف. مما جعل أغلبية هذه المدن تفقد جانبا كبيرا من خصوصياتها، وتتحول على رأي غيو Guillouإلى قرى

---

[360] Y.Allais,le quartier occidental de Djemila, Ant.Afr.,5,1971,p.95-119 ; P.-A. Février, Notes sur le développement urbain en Afrique du Nord, op. cit., p. 13-24 ; M. Zidane, Djemila et Setif : l'urbanisme comparé de deux villes romaines, p.336

[361] P.A.Février, Approches récentes de l'Afrique Byzantine , R.O.M.M., 36, 1983, 1, p31 . Cf., J.Lassus, la forteresse byzantine de Thamugadi, p. 92-96

[362] J.M.Speiser La christianisation de la ville dans l'antiquité tardive, Ktema, N° 11,1986, p.49-56

[363] Anna Leone, l'inumazione in 'spazio urbano' a Cartagine tra V e VII secolo d.c, Ant.Tard 10,2002, p. 233-248 ; N.Duval, les nécropoles chrétiennes d'Afrique du Nord, dans l'Afrique du Nord antique et médiévale,2, Monuments funéraires, institutions autochtones : actes du VI Colloque Internationa sur l'Histoire de l'Afrique du Nord(Pau, 1993), Paris,1995,p.187-206 ; J.H.Humphrey,Vandal and Byzantine Carthage , Some new archaeological evidence, in New light on ancient Carthage, ed.J.Griffith Pedley, Ann Arbor, 1980, p.85-120.

[364] J.Durliat, les Grands propriétaires,op cit pp.520-521

أومدن صغيرة[365]. حيث أورد أنه " رغم أن المدن قد استمرت تحتضن المؤسسات الرسمية مثل الحصون أوالأسوار فقد تضاعف عددها وتقلصت مساحتها، أى أنها أيضا أصبحت تحتوي على الحدائق والبساتين، بل حتى الحقول، فضلا عن تربية الحيوانات، بما فيها العاصمة"[366]. وإذا كانت مرحلة التشييد التي أشرف عليها الإمبراطور جستنيان قد خلدت اسمه وجعلته يتقمص الفعل العمراني الذي كان من خصوصيات المجالس المحلية فيبدوأن سبب دلك هوغياب هذه المؤسسات المحلية أوعجزها على اتخاد المبادرات الضرورية كما جرت العادة في التاريخ الروماني[367].

3. ظاهرة عسكرة المدينة:

من البديهي أن ظاهرة التحصين التي تميزت بها المدن البيزنطية، قد ساهمت في التحول العمراني، وفي التعبير عن هاجس الخوف التي تؤكدها المصادر الأدبية، حيث تؤكد المصادر الأثرية، وعملية مطابقة المخططات العمرانية لهذه المدن، حجم التحولات التي عرفتها خلال هذه الفترة من الناحية التنظيمية والهيكلية، إلى درجة التساؤل هل فعلا تقلصت إلى مجرد قلاع، وهل إقامة القلاع داخل النسيج العمراني من شأنه التأكيد على التراجع وتقلص مساحة المدن؟ وإذا كان من البديهي الاقرار بأن المدن البيزنطية ببلاد المغرب لم تبق تحافظ على نفس المؤسسات والوظائف الحضرية المعروفة في العهد الروماني[368]. ففي انتظار معاجة الملف بفضل دراسات أثرية شاملة، يظل التساؤل قائما حول مدى تأثير هذا التحول على الحياة الاجتماعية والاقتصادية، كما يجعل من الصعوبة بمكان معالجة المجتمع الحضري منفصلا عن المجتمع الريفي.

وانطلاقا من هذه التحولات، أصبح في اعتقادي، من غير المعقول إحداث تقسيم واضح بين المجتمع الحضري والمجتمع الريفي، إلا من خلال بعض الأصناف الاجتماعية، فالطبقة الأرستوقراطية وإن كانت تسكن العواصم الكبرى لا يوجد ما يؤكد أنها لم تكن مستقرة بالضياع الإمبراطورية أوضياعها الخاصة، ونفس الأمر بالنسبة لطبقة الملاكين الكبار التي كانت تجمع بين الاستقرار في المدن وممتلكاتها، في حين لاحظنا أن عددا كبيرا من المعمرين قد هجروا ضياعهم، واندمجوا مع السكان الأحرار بالمدن. وقد أكد غيوGuillou أن هذه

---

365 A.Guillou, Régionalisme et independance dans l'empire byzantin, au VII siècle. Dans la Géographie administrative et politique d'Alexandre à Mohamet, actes de Colloque de Strasbourg, 14-16 juin,1979, p.303
366 A.Guillou, Régionalisme et independance, p. 303-304
367 J . Durliat , Les Dedicaces d'Ouvrages de defense , p.94-96
368 ¨P.A. Février, Approches récentes de l'Afrique Byzantine, R.O.M.M., 36, 1983, 1, p.25-53. Cf J. Durliat , Les Dedicaces d'ouvrages de defense ,p. 93-105

الصورة لم تكن تخص المقاطعة الافريقية فقط، بل كانت تشمل أغلبية المقاطعات البيزنطية ابتداءا من القرن السادس ميلادي.[369]

طبقات المجتمع الإفريقي خلال فترة لاحتلال البيزنطي

1. الطبقة الأرستوقراطية:

تتمثل في طبقة البطارقة والحكام الذين حكموا المقاطعة الافريقية، وتميزوا بعلاقة ما مع القصر الإمبراطوري. وتكرست مكانتها الاجتماعية والادارية من خلال النقائش والنصوص الأثرية، ويمكن مقاربة هذه التركيبة من خلال النمادج التالية ، رغم أن أغلبية النصوص الأثرية تكرر دوما الخطاب الرسمي لعمليات التشييد:

1) **سولومون:**

لا نعرف عنه سوى أنه ولد بدارا Darasوأنه تعرض لحادث جعله يصبح خصي، كما لاتوجد إشارة إلى أنه ينتمي لعائلة أرستوقراطية بالشرق. بل تشكل ترقيته في مثل هذا المنصب أحد نماذج التركيبة البشرية التي أصبحت على رأس المقاطعة الافريقية، انطلاقا من كفاءاتها العسكرية فقط. يبرزه بروكوب كنائب للجنرال بليزاريوس في منطقة أرمينية، باسم[370] Domesticus ، عين على راس الوحدات العسكرية بعد عودة القائد بليزاريوس إلى الشرق، ثم الإدارة المدنية كبطريق المقاطعة الافريقية [371] دلك في الفترة ما بين 534-536، ثم ما بين 539-544 وهوتاريخ مقتله في الصراع مع القبائل المورية،[372] ورغم أن ترقيته تعود أساسا لمكانته العسكرية فيبدوأنه استغل نفوده هذا في دعم أفراد عائلته في التسرب للطبقة الارستوقراطية الافريقية، فقد كان له أخ يسمى باخوس Bachus، يبدوأنه تقلد مناصب هامة[373]. إلا أن معلوماتنا حول أبناء أخيه تعتبر أكثر، حيث تبرزهم المصادر على أنهم تقلدوا مناصب كبيرة، فالأول كيروس Cyrus أصبح دوقا لقرينة Cyrénaique

---

[369] A.Guillou, Régionalisme et independance, p. 293-305

[370] Procope,B.V.I ;11 ;5-6

[371] لم تتحدث النقائش الأثرية إلا على وظيفة واحدة بالنسبة لسولومون و هي البطريقية، باعتبار أن لقب القائد العام للجيش magister militum هو تسمية فخرية ليس أكثر، و مع ذلك فهو ينعت بألقاب شرفية أخرى:
gloriosissimus, excellentissimus, magister militum, exconsul

[372] Procope, B.V. II,21

[373] Procope, II,21,1 ;19 ;22,16-17

[374]، وسرجيوس Serigius ، الذي نعرف عنه أكثر من الأول، بفضل تورطه في مقتل الوفد اللواتي، وهوحاكم للولاية الطرابلسية، بل يبدوأنه أصبح بطريقا للمقاطعة الافريقية[375]، أما الثالث فقد اعتقل في الحملة الأخيرة التي نظمها سولومون ضد المور، دون أن نعرف مصيره فيما بعد، رغم اقتراح أحد الباحثين العثور على بصماته في جزيرة نيسوس ومنطقة بلغاريا[376].

2) **جرمانوس:**

يعتبر من أقارب الإمبراطور جستنيان[377]، أبن أخ الإمبراطور جستين الأول، تم تعيينه على رأس المقاطعة الافريقية خلفا للجنرال سولومون، لاخماد حركة التمرد التي تزعمها ستوتزاس سنة 536. إلا أنه استدعي بعدها للقسطنطينية مباشرة[378]539. وقد عين أيضا على رأس قيادة الجيش بإيطاليا في حدود 550، كما تبرزه المصادر أنه تزوج الأميرة القوطية ماتاسونتا Mathasunta، بعدما نقلت إلى القسطنطينية[379]. ومن ثم فعلاقته بإفريقية ظلت فقط في إطار مهمته العسكرية.

3) **غيناديوس:**

يعود أصله إلى منطقة تراسيا Thrace، عين على رأس المقاطعة الافريقية كبطريق في الفترة ما بين 578 إلى تاريخ 591 حيث يبدوأنه واكب الاصلاحات التي أدرجتها الإمبراطورية البيزنطية بإحداث هيكلة جديدة للقيادة يتميز هذا المنصب بالطابع العسكري لكن أيضا بوجوده على قمة هرم الإدارة البيزنطية ببلاد المغرب، تجعل منه المراقب والمشرف على

374 Procope,B.V.II,21,1
375 Theophane, Chronographia, trad. C.Mango, Oxford, 1997, p.208 ; Procope,DeAed.V, 28-33
يظهر ابتداءا من سنوات 543-544 رفقة عمه سولومن، ويبرزه بروكوب في كتابه التاريخ السري بأنه كان يحظى بالرعاية الشخصية للامبراطورة تيوديورا، كما يبدوأنه عقب سلسلة الأخطاء التي ارتكبها قد استدعي للعودة إلى بيزنطة.
376 H.Grégoire, Recueil des inscriptions grecques-chrétiennes d'Asie Mineure, fasc.1, Paris, 1922, n°47
377 P rocope,B.V. II,16,1,3-7
378 Procope, B.V. II,16,1-25
379 J.R.Martindale, Prosopography of the Later Roman Empire, III, B, p.851

الإدارة المدنية والعسكرية في نفس الوقت[380]. ولعل دلك ما جعله يحضى بعدد كبير من النقائش التي تخلد مساهمته في النظام الدفاعي البيزنطي.[381]

4) **هرقليوس**

تبرز المصادر شخصية هرقليوس في سن الستين سنة عندما عين على رأس المقاطعة الإفريقية[382]، رفقة أخيه جريجوار[383] Grégoire. ودلك سنة 608، في عهد الإمبراطور موريس Maurice، الذي كانت تربطه به علاقات حميمية، خاصة بعد مشاركته في الحروب ضد الفرس، فضلا عن كونه من عائلة أرستوقراطية أرمينية[384]. ولعل الأهم في هذه الشخصية هومشاركته في حركة الثورة ضد الإمبراطور فوكاس سنة 610، ودلك بإرساله ابنه " هرقليوس" على رأس أسطول من المقاطعة الإفريقية[385]، وهوالذي سرعان ما يصبح امبراطورا بيزنطيا[386]. وقد تكون ترقيته السريعة هذه نتاج تقاسم الكراهية بيين مختلف المجموعات الضاغطة في المقاطعات البيزنطية، لكن لا يمكن إهمال مكانة المقاطعة الافريقية في تطورات الإحداث هذه[387]، ولعل ما يؤكد دلك أكثر هواستمرار نفس الحنين لهذه المقاطعة، فنتيجة تفاقم الضغط والمخاطر الفارسية على القسم الشرقي، لم يجد هذا الإمبراطور سوى فكرة نقل العاصمة البيزنطية نحوالقسطنطينية، وهوما باشره، ولولا عواصف المتوسط التي أعطت الحجة لمعارضي هذا المشروع، لتغيرت صيرورة التاريخ[388].

---

[380] P.Goubert, Byzance avant l'Islam, T.II,207-209 ; J.Durliat, les dédicaces d'ouvrages de défenses, pp69-70 ; J.R.Martindale, Prosopography of the Later Roman Empire, III, p.509-510

[381] إنني على أبواب نشر نقيشة جديدة اكتشفت مؤخرا بمنطقة أولاد تبان، تذكر غيناديوس في سياق الحديث عن تحصين المنطقة والدفاع عنها.

[382] Nicéphore le patriarche, Breviarum, éd. De Boor, Leipzeig, 1880 ; trad. C. Mango, Washington, 1990, p. 3 ; Théophane Chronographoa, 3, 1, 1. 458-460, Ch. Diehl, Afr. Byz.p.517 ,

[383] يبدوأنه كان مكلفا بقيادة القوات العسكرية، وتذكره المصادر باسم جريجوراس، Gregoras، أنظر:

Nicéphore le Patriarche, Brevarium, .,p.5

[384] Théophane, Chronographia, p.458-460; P.Goubert, Byzance avant l'Islam, T.II,214-218

[385] Theophanes, Chronographia, p.458-460

[386] J.R.Martindale, Prosopography of the Later Roman Empire, III,A, p584-586

[387] يذكر جون نيكيوأنه " عندما أصبح هرقليوس امبراطورا، كان سكان افريقيا يتداكرون خصائله، ويكررون أنه سيصبح مثل أغسطس:

Jean de Nikiou, Chronique, ed. trad.H.Zotenberg, dans Notices et extraits des manuscrits de la bibliotheque Nationale, t.24, Paris,1883. P.552

[388] Goubert,Byzance avant l'islam, p.215

5) **جريجوار:**

يظل شخصية مجهولة الجوانب، وعرضة لعدد من الفرضيات التاريخية، ولعل دلك يعود أصلا إلى المرحلة الانتقالية التي عايشها، فهل هوجرجير المصادر الإسلامية؟ أم أنه مثلما اقترح دورليا[389]، احد عناصر عائلة حكمت أكثر من 45 سنة، لكن ما يثير في هذه الشخصية هوتكرار فكرة الانفصال معتمدا في دلك على ما يبدوعلى طبقة الأفارقة[390]، وبالتالي امتزاج مصالحه بمصلحة المقاطعة وسكانها. ويقترح المنصوري فكرة مغرية، مفادها أن نهاية النفود البيزنطي لم تكن في الواقع بسبب الفتوحات الاسلامية وانما من طرف ما يمكن تسميتهم ببيزنطيي إفريقيا[391]. وبالتالي يمكن اعتبار محاولات الانفصال التي عرفتها المقاطعة، في زمن جريجوار ما هي إلى نمودج لهذه المصلحة المشتركة بين هذه الطبقة والأفارقة[392].

كما أشار بروكوب إلى صنف آخر من أصناف هذه الطبقة، والمتمثل في الأفارقة الذين ارتقوا إلى مناصب عليا، ليس بروما وانما بالقسطنطينية، حيث تحدث عن شخصية يولينوس الإفريقي Junilus الذي عينه جستنيان مكلفا بالحسابات على مستوى القصر الإمبراطوري، سنة 529. وهومن أصل ليبي: " نصب في هذه المسؤولية جولينيوس، من أصل ليبي، شخص لم يسمع أصلا عن القوانين، فلم يكن خطيبا، وأنه لا يعرف سوى اللاتينية، أما فيما يخص الإغريقية، فهولم يدخل حتى المدارس الابتدائية، فلم يكن إذن بامكانه حتى الحديث بفصاحة، وكثيرا ما كان موضوع السخرية عند محاولته التلفظ بكلمات إغريقية، وكان أيضا جشعا لا أخلاق له، لم يكن يستحي حتى من بيع المراسيم الإمبراطورية، بعملة من الذهي، بل لم يكن يتوان في مد يده لأول قادم"[393]

---

[389] J.Durliat,Recherche sur l'Histoire de l'Afrique Byzantine….pp 159

[390] J.Durliat, les grands proprietaires, p.528

[391] يقترح دورليا أن شخصية هرقليوس تجسد نموذج التقارب بين طبقة الملاكين الكبار والسلطة البيزنطية، في نهاية القرن السادس ميلادي، وهوما انتهى بتزعمه أصلا لهذه الحركة الانفصالية، شأنه في ذلك شأن جريجوار . أنظر ايضا : محمد الطاهر منصوري، ملامح بعض الفئات الاجتماعية في إفريقيا في العهد البيزنطي، المرجع السابق

[392] Y.Duval, Le patrice pierre exarque d'Afrique ? Ant.Afr.5.1971, p.209-214

الهادي سليم،حول البطريق جريجوار ، الملتقى الثاني للسباسب ، العليا بسبيطلة، ص 35-40

[393] Procope, Hist.Arcana, XX,17.

اقترح ماريندال Martindale مطلبقة هذه الشخصية بشخصية فيلجانتيوس يولينوس، الذي يفترض أنه ترك نسخة مترجمة من إنجيل بولس، مما يجعل شهادة بروكوب في كتابه السري حول إتقان اللغة الإغريقية تفتح فرضية المعارضة المشرقية لامكانية تسرب عناصر من المقاطعات في المستويات العليا للإدارة البيزنطية. أنظر:

J.R.Martindale, Prosopography of the Later Roman Empire, III,A, Iulinus, p.742

وعموما إذا كانت النصوص الأثرية تؤكد أن نسبة العنصر الأجنبي أوالمشرقي[394]، قد ظلت محدودة بالنسبة للسكان المحليين، فيبدوأن مصير هذه الطبقة الأرستوقراطية كان مغايرا في بلاد المغرب عما عرفته في كل من مصر وإيطاليا[395]، حيث تمكنت من الاقتراب من المجتمع الافريقي، وتبني خصوصياته، بينما شهدت الارستوقراطية المستقرة في إيطاليا حركة إبعاد من الطبقة المحلية[396]. فإذا كانت مراحل الاحتلال البيزنطي الأولى قد تميزت باستقدام موظفين ورجال الجيش أوحتى تجار من الشرق البيزنطي[397]، فيبدوأنه مع نهاية القرن السادس، بدأ الأفارقة بدورهم يرتقون إلى هذه المناصب العليا، ويشكلون الأغلبية[398]، هذا إلى جانب استقرار هؤلاء الوافدين واندماجهم في المدن التي أشرفوا على تسييرها أوحمايتها، ولعل قائمة النصوص الجنائزية لهذه الشخصيات التي لم تبخل في التذكير بمناصبها، دليل على دلك[399].

---

[394] J. Durliat , Recherche sur l'Histoire de l'Afrique Byzantine, le dossier épigraphique, Thése de 3éme cycle , Dir A.Guillou, Paris, 1977

لدينا ايضا أمثلة عن بعض المدن مثل حيدرة، حيث كشفت بها التقارير الأثرية عن قائمة لأسماء وندالية في عدة قبور، إلى جانب التحولات الكبيرة التي عرفتها مع بداية الفترة البيزنطية، وذلك باستقرار عدد كبير من لشخصيات الدينية البيزنطية، أنظر:

N.Duval, Les Eglises de Haidra III :La citadelle,CRAI,1971,p.136-166 ; Ibid. Recherches Archeologiques à Haidra les Inscriptions chrétiennes, Coll. EFR 1975; Ibid, Topographie et urbanisme d'Ammaedara (actuellement Haidra, Tunisie) in ANRW, II, 10, 2, 1982, p. 663-671.

[395] A.Guillou,Régionalisme et indépendance dans l'empire byzantin au VII siècle, p.293-305 ; J.Durliat , Recherche sur l'Histoire de l'Afrique Byzantine….p 157

[396] يكفي الحديث عن نموذجي هيراكليوس Heraclius وجرجير Grégoire للوقوف على ارتباط هذه العناصر بالمقاطعة الإفريقية، ومحاولتهم تصور مستقبلهم السياسي من خلالها، أنظر

[397] J.Durliat, Recherche sur l'Histoire de l'Afrique Byzantine, le dossier épigraphique ,.pp152-157

[398] يمكن أن نتحسس هذه الظاهرة من خلال تتبع أسماء الشخصيات التي تركت نقائش جنائزية، وذلك من خلال مقابلة ملفي كل من دورليا ، وإيفات دوفال. حيث اكتفلا الأول بالحديث عن الطبقة الأرستوقراطية العليا، بينما سمحت دراسة ديفال تبجيل القديسين أن العنصر المشرقي برغم حضوره فهو لم يطغى على العنصر الإفريقي. أنظر:
J.Durliat, Recherche sur l'Histoire de l'Afrique Byzantine….pp 157-158

[399] يحفظ لنا ملف النقائش المسيحية قائمة طويلة لمسؤولين وقادة الجيش الدين دفنوا في المدن التي أشرفوا على حمايتها

J.Durliat, Recherche sur l'Histoire de l'Afrique Byzantine….pp 157-158

طبقة الملاكين الكبار .

تبدوصورة هذا النوع من الأفارقة في المصادر[400] في شكل طبقة ، تستمد ثرواتها من تسيير الضياع الكبيرة، وقد تميزت بهذه الخصوصية الإفريقية المتمثلة في الجمع بين تسير الضياع والإشراف على عملية جباية الضرائب فضلا عن المساهمة في حركية العمران وتشييد الدفاعات البيزنطية[401]، وتؤكد النصوص الأثرية مكانة هذه الطبقة من خلال ما كانت توصف به: potentes Nobilis, Possessores . مستفيدين من امتيازات كثيرة، مثل الأراضي التي وزعتها الإمبراطورية سنة 570 بعد انتزاعها من الوندال، فضلا عن استفادتهم من الناحية الادارية بحصولها على حق المشاركة رفقة رجال الكنيسة في تعيين حكام الأقاليم[402]، والذين يكونون عادة من الملاكين أومن بين قدماء ضباط الجيش[403]، وعموماكانت الأراضي الخصبة والضياع الكبرى من نصيب الملاكين الكبار بما فيهم رجال الكنيسة[404]، مما جعل البعض يعتبر أن الريف كان أكثر حيوية من المدينة باعتبار ان هذه الأخيرة قد شهدت هجرة مكثفة من الطبقات المحرومة[405].

وقد اقترح العديد من الباحثين فكرة مفادها أن عجز الإدارة المركزية على ضمان السير الحسن على المستوى المحلي جعلها، تستعمل هذا الأسلوب الذي يعفيها من جهة من السهر على إقامة الهياكل الإدارية ومن جهة أخرى ضمان أكبر مردودية مالية في ميدان الضرائب[406]. وهوما يسمح بتصور المكانة التي ارتقت إليها هذه الطبقة، فكثيرا ما كانت توصف بعبارات الشرف والتبجيل، بل يمكن اعتبار عملية الإصرار في إدراج أسمائها في النقاش الرسمية تأكيد لهذه الشرعية الإدارية التي اكتسبتها، خاصة وأن أغلبية النقائش البيزنطية تكرس الفعل العمراني باسم العائلة الإمبراطورية. كما يبدوأن هذه الطبقة قد

---

[400] أغلب مصادرنا في هذا الموضوع هي النصوص الأثرية

[401] J.Durliat, les grands proprietaires…pp.517-531

[402] J. Durliat, les attributions civiles des éveques Byzantins: l'exemple du Diocése d'Afrique (533-709), dans Jahrbuch der Osterreichischen Byzantinistik, 32, 2,1982, pp.73-84

[403] J.Durliat, les grands proprietaires…p 521

[404] Ch.Diehl ,Afr.Byz. pp 403-405

[405] محمد الطاهر منصوري، ملامح بعض الفئات الاجتماعية في إفريقيا في العهد البيزنطي، المرجع السابق، ص29، مستشهدا ببروكوب وكوريبوس الذين وصفا مناطق الشمال الغربي المتميزة بالثراء: " لقد مررنا بمدن سلقطة وحضرموت ووصلنا إلى مدينة قراس،،،، وتبدوهذه المناطق وكأنها جنة بالنسبة للمناطق التي نعرفها، تجري بها قنوات من الماء العذب لري البساتين، تحيط بها غابات كثيفة لري الأشجار المثمرة..." Procope, B.V.,I,17,9-10

[406] J.Durliat, les finances publiques de Dioclétien aux Carolingiens 284-889, Sigmaringen,1990, p. 40-59 ; Id., les finances municipales africaines de Constantin aux Aghlabides, in BCTH, 19B, 1985, p. 377-386

شكلت أغلبية عناصر الإدارة الإقليمية، مدنية كانت أم عسكرية وبدرجة أخص القساوسة ورجال الذين، الذين سمحت لهم مكانتهم الاجتماعية، الذينية والاقتصادية من التعويض التدريجي للإدارة المحلية.

ولعله من الضروري الاشارة إلى المكانة الاقتصادية التي أصبح يتميز بها القساوسة، حيث يبدوأن فرار أغلبية أفراد الطبقة الأرستوقراطية المحلية من أعباء الالتزامات المادية التي تتطلبها الوظائف البلدية، جعلتهم يتحولون تدريجيا إلى الكنائس والحياة الذيرية التي تعفيهم من كل هذه الواجبات، مما سمح في نفس الوقت لهذه المؤسسة الدينية من تعاظم نفودها المادي وقدراتها الاقتصادية، يضاف إلى ذلك مؤهلاتها الادارية واللغوية، وبالتالي أصبح القس هوالشخصية المحلية الأكثر قدرة على تمثيل مدينته وسكانها بفضل هذه الثنائية المادي والأخلاقية. فقد أورد القديس أوغسطين مثالا مهما حول شخصية أوبتات Optat من تيمقاد، ما بين 388و398، الدوناتي المذهب. والذي كان بفضل دعم الدوق قيلدون Gildon، قد شكل ميليشيا خاصة سمحت له ببسط نفوذه على مدينته وما جاورها، والاستيلاء على الأراصي وتحويل المواريث إلى جانب تجاوزات كثيرة أخرى. ورغم صورة الخارج عن القانون التي يتركها القديس أوغسطين، كون هذا القس دوناتيا، إلا أنه يجب أن ننظر له من زاوية أخرى[407]. أي كمثال لنموذج جديد لتملك الأرض وتوسيع الملكيات العقارية، وهذا ما جعل تركيبة رجال الدين قد أصبحت ترتبط أكثر فأكثر بطبقة الأعيان، بل أصبح الأثرياء هم أحسن العناصر ترقية في المناصب العليا للكنيسة، رغم ان أهذاف المؤسسة الكنسية كانت تختلف عن الأعيان أنفسهم، باعتبارها ترفع مبدأ مساعدة الضعفاء شعارا، إلا أن ذلك لم يمنع أن تختلط المصالح بين الفئتين بل تندمجان تدريجيا[408].

وفي حوزتنا العديد من الأمثلة التي تكرس هذا الطرح: فمثلا تشيد النقيشة رقم CIL 08, 02389،[409] بدور حاكم تيقيسيس يوحنا Jean في عملية بناء كنيسة بتيمقاد، ليس باعتباره مسؤولا لأن مسؤوليته كانت بمدينة مجاورة وإنما باعتباره من ملاكي منطقة مدينة

---

[407] St.Augustin, Œuvres de saint Augustin : traités anti-donatistes, III, trad. G.Finaert, Bibliotheque Augustinienne,30, Paris, 1967, p. 757-760

[408] Cl.Lepelley, le patronat épiscopal aux IV et V siécles : continuité et ruptures avec le patronat classique, pp 17-33, dans l'éveque dans la cité du IVe au Ve siécle, image et autorité, actes de la table ronde organisé par E. Rebillard, EFR, 1998

[409] CIL 08, 02389 = CIL 08, 17822 = ILCV 01832 :
In Temporibus Constantini Imperatori(S) Bel(Licio?) Gregorio Patricio / Ioannes Dux De Tigisi Offeret Domum Die Armenus

تيمقاد[410]. وهونفس الأمر الذي كان قام به الإخوة ماكسيميانوسMaximianus، إستيفانوس Istefanus ومللوسوس Mellosus، الذين شيدوا أحد القلاع في سياق تسديد الضرائب الملزمين بها[411]. كما يمكن الإشارة أيضا إلى الدوق موريس الذي أشرف على ترميم وإصلاح كنيسة روسيناي Rusigunae[412]، أوعائلة أكوينوس Aequinusالتي شيدت معمدية بمدينة قليبية[413].

وبالنظر إلى ملف النقائش التي سجلت تدخلا في عمليات البناء أوالترميم، ليس بالصيغة الرسمية التي تثبت إشراف الخزينة العامة على دلك، يمكننا أن نتصور أيضا أن القيادات العسكرية والمدنية التي كانت غالبيتها من العناصر المشرقية في بداية القرن السادس ميلادي، قد تكون قد اندمجت تدريجيا في المجتمع الإفريقي[414]، فضلا عن ارتقاء الأفارقة أنفسهم إلى هذه المناصب، مما جعلهم يفتخرون بمكانتهم التي لا يمكن أن يكون لها معنى إلا في شكل إنجازات في مدنهم الأصلية وليس في المناطق التي يسيرونها. وبالتالي فالاعتبارات الاقتصادية، جعلت هذه الفئة تسجل مكانتها المادية في الخريطة العمرانية، دون أن تكون لها سلطة سياسية معينة في الهرم الإداري، كما لعبت الاعتبارات الذينية، من دون شك، دورا كبيرا في تجسيد هذا الحنين إلى المدينة الأصلية، لا سيما عندما يتعلق الأمر بعمليات ترميم الكنائس وخاصة دفن الرفاة.

---

410 CIL VIII, 17822 ;I.L.C.V.,N°1832 ; H.Tauxier, le patrice Grégoire, Rev. Afr. T29 , 1885, p284-303 ; Ch.Diehl, A .B.1896,p494, 554 ;

411 CIL VIII,12035 ; ILCV,n°793

[In] nomine d(omini)ni.Edifibimus turr(im) tempori(bus) D(omi)ni M[a]uricii i(m)p'e)r(atori)s,sub part(i)c(i)o Gennazio et Ioanni perfecto./Edifikberunt III f(raters) Maximianus, Ist(e)fanus et Mellosus

412 ILCV,n°234 a.b.c.

اكتشفت بهذه المدينة 03 نقائش جنائزية للقائد العسكري موريسMauricius ، المتوفي في سن 55 سنة، وابنتيه كونستانتينا Constantina المتوفية في حدود 605، وباتريسيا Patricia. وفضلا عن الوظيفة الرسمة التي أصر موريس تثبيتها، فيبدوأنه اندمج في التركيبة الأرستوقراطية المحلية، وهذا ما انعكس من عملية ترميم الكنيسة، وحصوله على شرف أن يدفن رفقة عائلته داخل الكنيسة نفسها،

413 تخلد هذ النقيشة مناسبة تبليط أحد أحواض الكنيسة بفسيفساء، من طرف عائلة أكوينوسAquinius، زوجته يوليانا Iuliana وأبنائه فيللا Villa وديوغراتياسDeogratias، تحت رعاية القس سبيريان Cyprien ومساعدة القس أدلفيوس Adelfius، وقد أرخت بمنتصف القرن السادس. أنظر:

N.Duval, Episcopus unitatis,à propos de trois inscriptions chrétiennes d'Afrique, dans BSNAF, 1958, p.147-150

414 لدينا نمودج Zipper زيبر، حاكم روسينغاي الدي يفترض أنه أقام بالمنطقة حوالي 12 سنة مما جعله يفضل أن يدفن بكنيستها، أنظر النقيشة رقم:......؟

ويمكن الإشارة إلى شخصية شخصية بيداتينوس Pudentius لمعرفة مدى نفوذها، فبروكوب يقدمه على أنه من سكان المقاطعة الإفريقية[415]، بدون الإشارة إلى أي وظيفة يشغلها، فقط أنه تمكن من تنظيم السكان وإعلان الثورة على الوندال، والاستنجاد بجستنيان سنة 533. بينما يشير في كتاب المنجزات أن القبائل "لواته" Ilaguas قد تمكنت من السيطرة على لبده Lepcis Magna وذلك عشية الاحتلال البيزنطي[416]. كما يقدمه ثانية رفقة الدوق سرجيوس Sergius حيث لعب دورا مهما في إقناعه بطريقة الاستقبال للوفد "اللواتي" وربما كذلك اغتيالهم فهومن دون شك من الملاكين الكبار، الذين حاولوا الاستيلاء على "الإرث الروماني"[417]، والوقوف أمام تفاقم نفوذ القبائل الطرابلسية، بإعلان الثورة على الوندال سنة 533 والانفصال عنهم، وبالتدبير لحرب 543–548م فيما بعد. ويمكن إضافة سبب آخر هوالمجاعة التي عرفتها الإمبراطورية عموما سنة 543 والتي امتدت حتى إفريقيا، وإذا كان بروكوب قد تحدث على نتائجها في أوساط السكان والجيش البيزنطي، فقد تكون سببا في انتهاك البيزنطيين للأراضي المورية[418]. وبالتالي فيبدوأن مقتل الوفد "الموري" لم يكن من قبيل الصدفة، بل من شأنه أن يوضح أن حدة الضغط الذي كان يمارسه الملاكين. فإذا افترضنا أن هؤلاء الملاكين قد استولوا على الأراضي التابعة للقبائل "الطرابلسية" فقد تسببوا بذلك في نقض الاتفاقيات التي التزمت بها الإدارة البيزنطية . فإن احتجاج هذه القبائل وعلى رأسها كل من "لواته"و"الإستورياني" كان أولا بطريقة سلمية . إلا أن إدارة المقاطعة الطرابلسية –تحت ضغط الملاكين الكبار– بادرت بتفجير الوضع، هذه المبادرة التي سرعان ما تحولت إلى يد القبائل الليبية بمجرد إعلان الحرب سنة 544م،

كما أن الإمبراطورية كانت في حاجة إلى مصادر إقتصادية تعوض مصاريف الحملة العسكرية، وتمول مشاريعها العمرانية، وبالتالي أضحى برنامجهاأكبر من مجرد إرجاع الضياع لأصحابها، بل ضرورة جمع أكبر قدر من الضرائب[419]. وبالتالي يمكن تصور حالة التشنج الكبيرة بين هذه الطبقة التي ظل نفودها يتعاظم، ومصالحها تكبر، خاصة بعد أن أصبحت تضطلع بما عجزت عنه الإدارة المحلية، وما انجر عنه من مضاعفة امتيازاتها. وبين إصرار الإدارة المركزية للحصول على المزيد من المصادر المالية.

---

415 Procope,B.V.I,10,22-24 ; 11,22 ;II,5,10 ;21,3 et 13-14 ;22,15.
416 Procope, B.V.I, 10, 22-24. de Aed., VI, 4,6
417 Procope, B.V. II, 5, 10; 21, 3; 13-14
418 Victor de Tonnena, a. 542. p. 201. Corippus, Joh. III, 362, 388-389. Ch. Diehl, Afr.Byz., p. 339
419 J.Durliat, les finances publiques de Dioclétien aux Carolingiens 284-889, p40-59 ;

1. **الطبقة العامة:**

تظل النسبة الأكبر من سكان المدن والأرياف غير معروفة وغير مصنفة إلا من خلال بعض المهن أوالوظائف، فلا نعرف عددها أوخصوصياتها، سوى أنها فقيرة ليس بامكانها ترك نقائش تخلد أسماءها، وانطلاقا من ما أشارت إليه المصادر حول طبقة الملاكين، يمكننا أن نتصور طبقة وسطى كانت تقوم بتنفيد الأعمال التي يفتخر بتشييدها الملاكون الكبار أوحكام الولايات، مثل الحسابات الخاصة بجمع الضرائب، أوتسيير الأبرشيات في المدن الصغيرة والمواقع الريفية، فضلا عن المهن اليدوية الضرورية في عمليات البناء والصيانة أوالوظائف اليومية العادية لسير المجتمع مثل الخبازون، وبقية المهن،،،،،

وقد ظل العامة ينعتون بعبارات لا تكرس فقط مكانتهم الاجتماعية بل أيضا وضعيتهم المادية: Humiliores, Pauperes pénéres. حيث يبدوأن للسياسة الجبائية اثارها على هذه التركيبة، بإثقال كاهلها بالضرائب، وتجريدها من أية إمكانية تسمح لها بالرقي الاجتماعي. فمن الناحية القانونية لم يكن ممكنا لهؤلاء الفلاحين الصغار أن يرتقوا إلى وضعية أحسن، فلم يكن يسمح لهم إلا بأداء الخدمة العسكرية والواجب الجبائي، مهما كانت طبيعة الأرض وتواجدها- ص 29- ويبدوأيضا أنه كان عليهم التكفل بتزويد الحاميات العسكرية بما تحتاجه من مؤونة. كما تسمح لنا ألواح ألبرتيني من أن نفترض أن درجة الضيم قد أجبرت هذا العدد من الملاكين الصغار لبيع والتنازل على ممتلكاتهم وتحولها إلى ملاكين كبار[420]. أومن مكانة المرأة في هذه الطبقة، حيث تبرزها دوما رفقة زوجها في عمليات البيع والشراء أوأرملة، ربة بيت مثل أدوداتا Adeudataأوسيدينا Siddina، فوتا Fotta أوبرييكتا Preiecta، تمتلك ضياعها وضياع أبنائها[421]. ويمكن الوقوف على نماذج من هذه الطبقة العامة، من خلال الأصناف التالية:

1. **الفئات الريفية:**

يمكن اعتبار صغار الملاكين بالإمبراطورية البيزنطية، العماد الأساسي للاقتصاد، مما جعلها تسعى لحماية ملكيتهم من الذوبان ، للحد من نفوذ الملاكين الكبار ، لكن أيضا للحفاظ على مصادر الضرائب بالنسبة للدولة ، وهوالأمر الذي جعل العديد من المؤرخين يعتبرون أن الإمبراطورية البيزنطية في مراحلها الأولى كانت امبراطورية الملكية

[420] Tablettes Albertini p207
[421] Tablettes Albertini p207

الصغرى[422]، لكن هل يمكن إسقاط هذه الصورة على الواقع الإفريقي، وهل يمكن الوقوف على معالم هذه السياسة بهذه المقاطعة البعيدة؟

يتجلى من موقف جستنيان ، عندما بعث بأعوان مختصين في قياس الأراضي لتقدير المساحات الزراعية، وفرض الضرائب على ضوء هذه التقديرات دون مراعاة للواقع السياسي والاجتماعي المتدهورين[423]، فقد كانت المحاصيل الزراعية – سواء بالنسبة لكبار الملاكين أوصغارهم- محور العلاقات الاجتماعية والاقتصادية، وقد نتج عن السياسة البيزنطية في الميدان الزراعي، انتشار ظاهرة فرار الملاكين الصغار عن أراضيهم والتجائهم في أحيان كثيرة إلى المدن – مما نتج عنه تزايد عدد المعوزين في المدن[424]. لكن هل استمر هذا الثراء ؟ وهل انعكست السياسة الجبائية بنفس الأسلوب على كلتا الطبقتين الاجتماعية، وهل يمكن الوقوف على مظاهر الصراع بينهما؟ هل يمكن قراءة سياسة التحصينات من هذا المنظور؟ بعيدا عن الإمارات المورية؟

2. الفئات الوسطى "الحضرية"

يتجلى من خلال دراسة الحياة العمرانية وتطورها في بلاد المغرب أن حيوية جديدة قد ميزت الفترة البيزنطية، ومن دون ان انتعاشها قد صاحبته حيوية في المجال البشري[425]، ولنا أن نتصور ما يمكن أن تدره حركية التشيد والبناء التي ميزت بداية القرن السادس، رغم خصوصية المورفولوجية العمرانية في هذه الفترة. وإذا كانت المصادر الأدبية تتحدث عن حركة تشييد جديدة، وهوما تكرسه أيضا النقائش الأثرية، وقد استعمل المهندس المعماري مول Moll، في دراسته للقلعة البيزنطية بتبسة، طريقة حسابية غريبة لكنها مثيرة لاستخراج متوسط عدد الأيام واليد العاملة التي يفترض أنها سهرت على إقامة القلعة[426]، ومهما كانت مرجعية المؤلف التاريخية، فقد اعتبر أن إعادة بناء القلعة من أساسها قد تطلب متوسط 800 إلى 850 عاملا قد سهروا لمدة سنتين، مستنتجا أن هذا الانجاز ، إذا ما قوبل بسلسلة المنشآت العسكرية يجعل من المستحيل تقبل فكرة أن يكون فقط من طرف رجال الجيش ، وانما يجب تصور عدد هائل من الورشات المعمارية التي كانت تصاحب فيالق الجيش أوتوظف في عين المكان. ومن جهة أخرى فقد تجلى من خلال دراسة هذا المحور أن

---

[422] M.Kaplan, les Hommes et la terre à Byzance du VI au XIe siècle, Propriété et exploitation du sol, Paris, Byzantina Sorbonensia.10.1992, p. 165-167

[423] M.T.Mansouri, recherche sur les relations entre byzance et l'Egypte,Tunis,1992 ; cf préface ducellier

[424] J.Durliat, les Grands propriétaires, pp. 520-521

[425] أنظرفي هذا المجال دراسات لوبللي ودورليا

[426] C.A. Moll Mémoire historique et archéologique sur Tébessa (Theveste) et ses environs (suite et fin), Ann. Const. 1860-61, p 209,207

أغلبية هذه المدن اصبحت تتميز إما بالصبغة العسكربة (حصون أوقلاع) اوبالطابع المسيحي لتصبح في غالب الاوقات مجرد أبرشيات، فضلا عن قوائم المدن والتي توحي بانكماش خريطة الهيمنة البيزنطية، فمثلا لا تسمح قائمة جورج القبرصي إلا بالوقوف على عدد محدود من المدن لا يتجاوز 32 مدينة[427].

تبدوالفئات الوسطى الحضرية فئات غير متجانسة من حيث التركيبة،إذ نجد الموظفين الاداريين أورؤساء المناطق الحضرية الجهوية مثل Preasesوهؤلاء الموظفين وان كانوا مرتبطين اجتماعيا بالفئات الوسطى فهم في تبعية مباشرة لقواد الجيش ورجال الكنيسة وكبار الملاكين الذين يساهمون في تعيينهم أوفي اختيارهم[428]. بينما تظل معلوماتنا حول فئة التجار والحرفيين محدودة، فالرويات التاريخية لا تذكرها إلا بصورة عرضية، في حين لم يوجد نص قانوني ينظم هذه الحرف الا في حدود القرن التاسع، لكن بيدوانه يحاول تقنين الحرف القائمة منذ العهود السابقة[429]. فقد وردت الإشارة إلى نوع من الأسواق في كتاب الحروب [430]

وإذا تميز أصحاب المهن النفيسة بالثراء، مما سمح لهم بالارتقاء إلى الطبقة الأرستوقراطية، فقد ظل اصحاب المهن المتواضعة مثل الخزف والنسيج والشموع، الخبز يتميزون بامتلاك وسائل الانتاج، إلا أنهم عرضة لتقلبات الأوضاع، أوالتقهقر والانحدار الاجتماعي[431]. وقد تجلى دور هذه الطبقات الوسطى في الصراعات الاجتماعية التي عرفتها إفريقيا من خلال الصراع المذهبي، والتي كثيرا ما اعتبرت بمثابة رد فعل على حالة الفوضى التي أصبحت تعيشها إفريقيا منذ تقهقر الإمبراطورية الرومانية، ودلك بإثقال كاهل هذه التركيبة البشرية بالضرائب المجحفة ، ولعل ذلك ما جعل نسبة كبيرة تنخرط في حياة الرهبنة هروبا من عسف الإدارة وجور الجباة. ويبدوأن الإمبراطورية قد شجعت هذه الظاهرة، تحت تأثير الكنيسة، رغم أن نتائجها كانت وخيمة بالنسبة للدولة، حيث بدأت تتجمع الثروة تدرجيا في يد هياكل الكنيسة من جهة وكبار الملاكين من جهة أخرى، فضلا عن تقلص مصادر الجباية ، مما أحدث انقلابا في موازين القوى سواء في مركز الدولة أوفي أطرافها[432].

---

[427] أنظر الجدول صفحة : و الخريطة رقم:

[428] J.Durliat, les grands proprietaires. p….   Lepelley, les cites T1pp231-232

[429] R.Guilland, la politique sociale des empereurs byzantins, paris 1959 pp 76-79

[430] Procope,B.V. I,16,10

[431] Kh.Belkhodja, l'Afrique Byzantine a la fin du Vie et au début du VIIs, R.O.M.M. n°spécial ,1970, p56.

[432] محمد الطاهر منصوري، ملامح بعض الفئات الاجتماعية في إفريقيا في العهد البيزنطي، المرجع السابق، ص34

ويتجلى هذا الوضع في بلاد المغرب عشية الفتوحات الاسلامية، إذ استطاع حاكم الولاية في حدود سنة 646 اعلان انفصاله عن الإمبراطورية بمساعدة كل الأطراف الاجتماعية بالمنطقة،(رجال الذين، كبار الملاكين، الطيقة المتوسطة)

3. الفئات الفقيرة:

تشير النصوص القانونية البيزنطية إلى وجود فئات فقيرة معدمة تحتل الدرجات السفلى في المجتمع على الأقل في مجال القوانين المدنية وذلك عند الحديث عن الزواج، إذ تقر القوانين البيزنطية وجود نوعين من الزواج: زواج الأعيان وأعضاء مجلس الشيوخ والموظفين السامين والتجار، الذي يفضي إلى حق الأبناء في الحياة المدنية والمشاركة في الوظائف الرسمية على اختلاف أنواعها. وزواج الفقراء والجنود والمزارعين وهي آخر الفئات في السلم الاجتماعي، ويبدوأن هذا الزواج لم يكن يعطي للأبناء الحقوق المدنية التي قد تسمح لهم بالانخراط في سلك الوظائف الرسمية[433].

كما وردت الإشارة إليهم في مجال القوانين الجنائية، حيث تميزالقانون الجنائي البيزنطي بالنظر إلى الناس حسب وضعياتهم المادية، فالغني يعاقب ماديا كدفع غرامة مالية أوفقدان بعض الامتيازات الاجتماعية، في حين يعاقب الفقير بدنيا[434] ، بينما كانت القوانين الرومانية تعتمد ما يسمى بالعقوبة الموحدة (عقوبة مادية أوبدنية) في حالة حدوث جنائة ما ـــ دون النظر إلى الوظعية المادية للمذنب[435]. وبمكن القول ان القانون البيزنطي الذي أقر بوجود فئات معدمة، قد أخرجها أيضا من دائرة التسيير الاداري والعسكري وحرمها من المشاركة الاقتصادية باعتبار أن من ينتمي لهذه الفئات لا يحق له دفع تعويضات مقابل ارتكابه لجريمة ما[436].

---

[433]E. Patlagean,Pauverauté économiqe et pauvereté sociale p16-17
[434]E. Patlagean,Pauverauté économiqe et pauvereté sociale ,p16
[435]E. Patlagean,Pauverauté économiqe et pauvereté sociale ,pp12-13-16
[436]محمد الطاهر منصوري، ملامح بعض الفئات الاجتماعية في إفريقيا في العهد البيزنطي، المرجع السابق، ص36

4. العبيد:

بالرغم من أن المصادر لا تسمح بتتبع هذه التركيبة البشرية ونسبها بالنسبة للمجتمع عموما، فإنها ظلت تشكل نسبة كبيرة من الطبقات العامة طيلة التاريخ القديم[437]، وهوما يتجلى في العديد من المصادر الأدبية، مثل أبيلي المادوري Apulée de Madaure[438]، أوأسعار لوحة زراي التي تقر ممارسة تجارة العبيد.[439]كما تعرضت بعض مراسلات القديس أوغسطين ليس فقط إلى استمرار هذه الظاهرة بل إلى تجار العبيد الذي كانوا يقومون بعمليات الخطف وشحن هؤلاء خارج المقاطعة الإفريقية[440]. وهوما نتحسسه أيضا من خلال إشارة بروكوب عقب هزيمة الحرب المورية التي قادها التحالف الرباعي بزعامة كوتزيناس [441] وعموما فأغلب المعطيات تدعولتصور تفاقم هذه الظاهرة ، فالقوة التي اكتسبتها طبقة الملاكين الكبار تفترض أنها ترتكز على الجانب العقاري مثلما ترتكز على حجم اليد العاملة التي تخضع لها، خاصة إذا تصورنا أن بعض المجموعات قد أقدمت على تحويل ضياعها على شكل حصون مدججة بالقلاع. يضاف إلى ذلك حجم الحروب التي عرفتها فترة الاحتلال البيزنطي والتي كثيرا ما كانت تنتهي بعمليات سبي وأسر، تكون نهايتها في أسواق العبيد .

---

437 اعتبر غزيل أن نسبة العبيد في الأرياف تعتبر أكبر من المدن، لعلاقة ذلك بالأرض.

St ,Gsell, Esclaves ruraux dans l'Afrique romaine, dans Melanges offerts à Gustave Glotz, Paris, 1932, p.397-415[Etudes surl'Afrique antique- Scripta varia,Lille,1981,p.253-415] cf. aussi Cl.Lepelley, La crise de l'Afrique romaine au début du Veme siècle,in Aspacts de l'Afrique romaine, pp 372-374

438 كان يفرق بين نوعين من الممتلكات الفلاحية، الأولى تستغل بواسطة العبيد، بينما الثانية بواسطة كراء اليد العاملة من المزارع المجاورة. ويبدوأن زوجته بيدانتيلا Pudentilla قد سلمت لأبنائها 400 عبد يشتغلون في المزارع بينما حافظت على 15 لتسيير مسكنها الفخم في طرابلس.أنظر:

Apulée, Apologie, trad. H. Clouard, Paris, 1933 p. 374,468 ,485; cf. H.Pavis d'Escurac, Pour une étude sociale de l'Apologie d'Apulée, Ant. Afr. 8, 1959, p.89-101.

439 Ch. Picard, la civilisation de l'Afrique romaine, p.94, cf. A.Bourgarel Musso, Recherches économiques sur l'Afrique romaine, Cah.Tun. N° 107-108, T.27, I-II, p.109-208 ; P.Trousset, le Tarif de Zarai : essai sur les circuits commerciaux dans la zone présaharienne, Ant.Afr.38-39,2002-2003, p.355-373

440 St Augustin, Lettres, 10,2-8, p.169-183; 24,1, p.383-388. dans J.Divjak et alii, Oeuvres de Saint Augustin, 46B, Lettres 1-29, études Augustiniennes, 1987 ; Cf. Cl.Lepelley, La crise de l'Afrique romaine au début du Veme siècle, pp372-374 ; cf.aussi, F. Decret, Augustin d'Hippone et l'esclavage. Problèmes posés par les positions d'un évêque de la Grande Eglise face à une réalité sociale dans l'Afrique de l'Antiquité tardive, Dialogues d'histoire ancienne, 1985,11, 1, p. 674 - 685

441 Procope, B.V.,II,11,55

يوسف عيبش، يبداس أمير الأوراس، مجلة الحوار الفكري، العدد1، جويلية 2001،مخبر البحوث و الدراسات التاريخية، كلية العلوم الانسانية و العلوم الاجتماعية، جامعة منتوري ، ص.42-47

المسكن والحياة اليومية:

تسمح لنا أحد مراسلات القديس أوغسطين[442]، بتصور حالة المسكن ، من خلال الصورة التي تركها حول أحد القساوسة الشباب في موقع فوسالة Fussala بالقرب من مدينة هيبوريغوس، حيث اتضح أن البناية استعملت مواد البناء المستهلكلة، من خشب، حجارة أوقرميد، إلى درجة أن يعلق القديس أوغسطين نفسه، بأن لا شيء يؤكد في هذه البناية أنها تعود لهذه المنطقة ولا مصادر موادها[443]. وقد اعتبر لانسيل Lancel أن هذه الشهادة لا يمكن أن تنطبق على فوسالة وحدها بل يمكن أن تعمم على المساكن الخاصة في أغلبية المناطق الريفية، وأن عملية توظيف مواد البناء المستعملة قد أصبح القاعدة في عمليات البناء[444]. وهوما تجلى في قرطاج، حيث كشفت الحفريات البريطانية التي جرت بالقرب من السور الجنوبي، أن المساكن الخاصة قد أقحمت بطريقة فوضوية، وأنها فقدت أغلب مظاهر رونقها، خاصة وأن أعمال الترميم والصيانة لم تصبح إلا ترقيعية وبطريقة جد ساذجة. بل أن فضلات هذه المساكن أصبحت تغطي عددا كبيرا من المعالم العمرانية العمومية، مما يفترض توقف استغلالها نهائيا[445]. وهي نفس الخلاصة التي بلورتها الحفريات الأمريكية في مسكن « des Auriges » حيث تم استغلال هذا المسكن إلى ما بعد القرن السادس، بينما لوحظت عمليات ترميم وتوسيع مساحة المسكن باتجاه الشرق لتضم الرصيف وجزء من الطريق المحاذي[446]. ومع ذلك فيمكن الحديث عن المساكن الراقية، ففي مراسلات القديس أوغسطين وردت الإشارة إلى الضياع الكبيرة والمساكن الضخمة[447]. كما سمحت التقارير الأثرية من الوقوف على عدد من المساكن التي يفترض أنها كانت قائمة طيلة القرن السادس ميلادي، مثل مسكن باخوس Bachus بكويكول[448]، والذي اعتبر ت مساحته، ومكوناته المعمارية دليل على استمرار الذوق المعماري في نهاية التاريخ القديم، كما اقترح ربطها بشخصية كريسكونيوس Cresconius المعروف من خلال المصادر المسيحية للقرن

442 St.Augustin, lettre 20,6,3, p. 300-303 ; S.Lancel, Etudes sur la Numidie d'Hippone au temps de saint Augustin. MEFRA. Rome,96; p.1085-1113.
443 T.Kotula, sur une notion de villa chez St.Augustin, dans l'Africa romana, Ati del V convegno di studio, Sassari, 11-13 dicembre 1987, Sassari, 1988, p.244-249
444 S.Lancel, Etudes sur la Numidie d'Hippone au temps de saint Augustin, p1110
445 S.Ellis, Carthage in the Seventh Century, An expending Population? Dans CEA.,17,1985,p.30-42
446 T.D.Barnes, Aspects of the background of the City f God, dans l'Afrique romaine, les conferences Vanier 1980, Ottawa University,1982.pp69-85
447 Saint Augustin, Lettres,14.1, p.262-263;15,3, p.266-267 ;20,31, p.338-339 ;24,1,p.382-385.
448 M.Blanchard.lémée, dans les Jardins de Djemila,Ant.Afr. T.34.185-197

السادس[449]. كما أقر تيبير Thebert في حوصلة لدراسة كبيرة حول الحمامات الإفريقية، أن المعطيات الأثرية تشجع على إبعاد فرضية الانهيار التام لمثل هذه المنشآت، حيث استمر عدد كبير منها في النشاط، رغم أن المدن لم تعد قادرة على الحفاظ على وتيرة الترميم وصيانة الهياكل الضخمة والمعالم الكبيرة وهذا ما يفسر الميل إلى نوع من الاختزال العمراني[450].

وباء القرن السادس

تنقل المصادر وقوع وباء يبدوأن المقاطعة المصرية كانت نقطة انطلاقه، ودلك في خريف 541، ثم انتشر في حوض البحر الأبيض المتوسط، ليصل إلى إفريقيا في حدود سنة سنة 542[451] . ويبدوأنه كان شديد التاثير على أوضاع المدن، كتقلص الحركة العمرانية وعدد السكان لا سيما بالمدن الساحلية والواقعة على الطرق الرئيسية[452]. فقد اعتبره بروكوب اهم اسباب الفقر بالمنطقة[453]، كما اعتبره كوريبوس السبب الرئيس للثورات المورية التي شهدتها المنطقة ابتداء من سنة 543[454]، مضيفا أن الفقراء، ومن لم يصبهم المرض، أصبحوا يتصارعون في المحاكم، أويسعون للزواج من الأرامل الثريات لتجاوز حرمانهم[455].

المجتمع الأهلي أوالموري:

لقد فضلت تناول هذا الموضوع في فصل متميز، نظرا للأهمية التي يكتسيها في تسليط الضوء عن حقيقة المجتمع المغربي عشية الفتوحات الاسلامية، وإذا كان من المستحيل حاليا، إحداث مقارنات كمية وعددية للأهالي مع مجتمع الأفارق، فالصورة الأولية التي

---

449 P.A.Fevrier, le développement urbain en Afrique du Nord, Les exemples comparés de Djemila et de Sétif, Cah.arch.14, 1964,p.14-17.
450 Y.Thebert, l'évolution urbaine dans les provinces orientales de l'Afrique romaine, dans OPUS, II, 1,1983, p120
451 Victor de Tonnena, Chronicon, à l'année 542, éd. th. Mommsen, MGH., TXI, 1, Berlin, 1893, p.201.
452 Ch.Diehl,Afr.Byz. p339
453 Procope , Bell.Pers.,2 ,22,6-8, p250 ; J.Durliat, la peste du VI^{e} siècle, p 117.
454 Corippus, Joh. III,345 -392
455 Corippus, Joh. III, 345 ; E.Stein, Histoire du Bas-Empire, T.2, Paris-Bruxelles-Amsterdam, 1949, p.759; J.Durliat, la peste du VI siècle, p.

تكرسها مصادر القرن السادس هي صورة المجتمع البدوي أوالريفي، وأن القبيلة هي فضاؤه السياسي والاجتماعي.

الأوضاع الدينية

1. المسيحية الإفريقية

الكنيسة الإفريقية خلال فترة الاحتلال الوندالي

الوضعية الإدارية للكنيسة الافريقية في بداية الفترة البيزنطية

الانتصارات البيزنطية و انعكاساها على الكنيسة:

- الجغرافية الدينية للكنيسة الافريقية
- المجامع الدينية للكنيسة الإفريقية
- أزمة الفصول الثلاث

2. الكنيسة الإفريقية و التحولات العمرانية :

- ظاهرة تبجيل القديسين:

3. علاقة الكنيسة الإفريقية مع المحيط الخارجي:

- جريجوار الكبير و الكنيسة الإفريقية
- الحركة الدوناتية:

4. الكنيسة الإفريقية و طبيعة المسيح:

- الأزمة المونوفيزيتية:
- الازمة المونوليتية
- المناظرة الدينية سنة 645
- المحاكمة القضائية التي نظمت بالقسطنطينية سنة 654

5. الأوضاع الدينية للمجتمع الموري

- الوثنية المورية:
- اليهودية المورية:
- المسيحية المورية:

يعتبر التاريخ المسيحي للمقاطعة الإفريقية أكثر الملفات وفرة على المصادر والدراسات. حيث تتكامل فيه النصوص الدينية و الأدبية بما في ذلك قوائم الأبرشيات والأساقفة الذين شاركوا في المجامع الدينية مع المخلفات المادية والإهداءات والنقائش الجنائزية لعدد كبير من المواقع الأثرية. إلا أن ذلك لا يكفي لاعطاء صورة شاملة عن المجتمع المغربي بكل أصنافه عشية الفتوحات الاسلامية. فاذا سمحت لنا دراستنا لعمق التركيبة الاجتماعية المغربية بالوقوف على هذه الخصوصية المورية، سواء في شكلها السياسي المتمثل في الإمارات والتحالفات القبلية، أو حتى في شكلها الاجتماعي الذي يكرس منطق العيش والعلاقات القبلية، المختلف كلية عن التنظيم الحضري، فان ملف الأوضاع الدينية، رغم أهميته لا يسمح بتحقيق التوازن المعرفي للبعدين الإفريقي والموري، وبالتالي فهو يرتكز أكثر على المؤسسة الكنسية وتفاعلاتها مع الطروحات الدينية البيزنطية.

أولا – المسيحية الإفريقية

تكتسي المقاطعة الافريقية أهمية كبيرة في التاريخ الكنسي، بتجذرها في حركة الاستشهاد وعدد القساوسة إلى جانب رجال الدين الأفارقة[456]، رغم فقدانها لمرجعية تعود الى زمن الحواريين، مثلما هو معروف في العديد من المقاطعات الرومانية. ولعل صمت الشخصيات المسيحية الكبرى، مثل القديس ترتوليتان Terturllien، سيبيريان St Cyprien، أو أوغسطين St Augustin، لهو أكبر دليل على عدم امتداد التاريخ لمسيحي للفترة الحوارية. ومع ذلك فكثيرا ما اعتبرت الكنيسة الافريقية نموذجا لانتشار وتطور المسيحية في محيط الإمبراطورية الرومانية، فقد أنجبت شخصيات دينية من الأهمية بمكان، مما جعلها لا تحتل فقط مكانة كبيرة في التاريخ المسيحي، بل تلعب دورا كبيرا في التنظير الديني و اللاهوتي. فضلا عن كونها تتميز بهذه الخصوصية الغربية، المتمثلة في انكماشها بل انقراضها عقب الفتوحات الاسلامية.

كانت المؤسسة الكنسية تشمل المناطق المطابقة للمصطلح الإداري إفريقيا. وإذا لاحظنا في الفصول السابقة أن مصطلح Diocesis Africae في إصلاحات الامبراطور دقلدياونوس، قد شمل كل من الولايات الافريقية عدا موريطانيا الطنجية التي ألحقت

---

[456] يكفي تفحص بعض الأدبيات المسيحية لاكتشاف مكانة الكنيسة الإفريقية في الخطاب اللاهوتي المسيحي، أنظر :

P. Monceaux, Histoire littéraire de l'Afrique chrétienne depuis les origines jusqu'à l'invasion arabe. 7vol, Paris, 1901-1923 , Y.Duval, Loca Sanctorum Africae, le culte des Martyrs en Afrique du IV au VII siècle, 2Tomes, EFR, 1982 .

باسبانيا. والتي حاول البيزنطيون إرجاعها ثانية مع كل من سردينيا وكورسيكا، فقد ظلت غير بعيدة عن الولايات الستة المعروفة، وفقا لجغرافية دينية لا تخضع بالضرورة إلى التقسيمات الإدارية المدنية. وعموما تسمح لنا العديد من النصوص الدينية بالوقوف على الكثير من الخصوصيات الافريقية، بفضل شخصياتها، مثل فيكتور الفيتي[457] 480-484 الذي كتب تاريخ اضطهاد المقاطعة الإفريقية:Historia provinciae Africanae persecutionis أوكودفولتدوس Quodvoltdeus[458] (.407/ 408 – 24 أكتوبر 454) ، الذي كان قسا بقرطاج ما بين 431–439 و يعتبر كتابه حول الوعود والتوعدات الإلهية : *De Promissionibus et praedictionibus Dei* أو مواعيضه التي يثور فيها ضد الغزاة الذين كانوا على أبواب قرطاج، من أهم شواهد مرحلته. فضلا عن القديس أوغسطين St Augustin، خاصة مراسلاته مع قساوسة المدن المجاورة مثل بوسيديوس القالمي possidius de Calama[459] أو أليبيوس Alypius من تاغاست Thagaste[460]. لا سيما و قد اكتشفت عدة رسائل جديدة حبلت بمادة خبرية معتبرة عن الحياة الاجتماعية و الكنسية في زمنه[461]. كما يمكن العودة الى نص القديس أورليوس Aurelius، الذي كان على رأس الكنيسة الإفريقية، بمناسبة المجمع الديني المنعقد بتاريخ 16 جوان 401، لقياس طبيعة المشاكل التي كانت تعيشها الكنيسة خلال هذه المرحلة[462]. وعموما تتجلى من هذه الأدبيات المسيحية

---

[457] Victor de Vita, Historia persecutionis Africanae provinciae, ed.trad.S.Lancel, Les belles lettres Paris,2002

[458] Quodvoltdus, Le Livre des promesses et des prédictions de Dieu, I et II trad. René Braun, Sources chrétiennes, n°101, 102, Paris, 1964 ; cf, Quodvultdeus of Carthage : the creedal conversion in fifth-century North Africa / transl. and commentary by Thomas Macy Finn, New York , The Newman Press, 2004

[459] توفي في حدود 437، و هو الذي كتب عن حياة القديس أوغسطين مستعرضا فترة حوالي أربعين سنة من الصداقة. خاصة و أنه كان أسقف مدينة قالمة القريبة ، كما خاض رفقة صديقه الصراع ضد الدوناتية، إلى درجة أم أقدم هؤلاء على حرق بيته. و قد مثل الكنيسة الإفريقية في روما، مثلما شارك في العديد من المجامع الدينية بقرطاج سنة 403، 407، 411، بل كلف بمهام رسمية مثل التوجهللامبراطور تيودوس في حدود 409، كما يبدو أنه كان رفقة القديس أوغسطين داخل أسوار مدينة عنابة عند حصارها من طرف الوندال و رفقة صديقه عند احتضاره، و بعد عودته إلى قالمة يبدو أنه نفي إلى غاية وفاته، أين كتب كتابه " حياة القديس أوغسطين" :

[460] و هو القس أليبيوس Alypius المتوفي سنة 430، يبدو أنه شارك القديس أوغسطين فترة من شبابه ثم عرفا نفس التحول في حياقمما، و يبدو أنه ينتمي لعائلة ذات جاه و نفود بمدينة تاغاست، فقد درس برومااو قرطاج، كما تقلد مناصب هامة بنزاهة رغم الدسائس التي أحيكت حوله.

[461]Œuvres de Saint Augustin, 46 B, Lettres 1-29, nouvelle édition, J.Divjak et alii ; études Augustiniennes, 1987 ; Cl.Lepelley, L'apport des lettres de saint Augustin nouvelement découvertes à la connaissance de l'Afrique romaine : essai de bilan, pp.377-390 ; Ibid., quelques témoignages sur l'histoire de l'Afrique romaines épars dans les sermon de saint Augustin découverts par F.Dolbeau, pp.390-396,

[462] S.Lancel, le recrutement de l'église d'Afrique au début du V siècle : Aspects qualitatifs et quantitatifs, dans De Tertullien aux Mozarabes, antiquité Tardive et christianisme ancien (III-

العديد من الخلفيات الاجتماعية الافريقية، فضلا عن الصعوبات التي أصبحت تواجهها كتقهقر المستوى الثقافي أو صعوبات التوظيف التي يثيرها القديس أوغسطين وتدهوردرجة الانضباط في الهيكلة الكنسية[463]. أما من حيث علاقاتها بالسلطة، فالى غاية نهاية القرن الرابع، يبدو أنهالم تكن تتلقى دعما ماديا من الإدارة الامبراطورية، وأن أغلب ممتلكاتها كانت على شكل هبات أو تركات جمعتها من الأتباع المسيحين بل حتى من بعض اللائيكين، فضلا عن استيلائها على الموروث الدوناتي بعد مؤتمر قرطاج سنة 411 و حرمان هذه الحركة من الممارسة الدينية[464]. ولعل نموذج كنيسة هيبون زمن القديس أوغسطين يعكس أغلبية هذه التطورات الاجتماعية، وعلى رأسها، بداية تراكم العقارات التي ظلت تتسع طيلة القرن الخامس ميلادي.[465]

الكنيسة الإفريقية خلال فترة الاحتلال الوندالي

تتفق أغلبية الدراسات التاريخية، أن الكنيسة الإفريقية قد أصبحت أهم القوى المشكلة للموروث الروماني، بل أصبحت تمثل التنظيم الاجتماعي الأكثر تنظيما، أمام تقهقر المؤسسات الحضرية والمجالس البلدية بسندها التشريعي والاجتماعي، فقد استقطبت الطبقات الأرستوقراطية بمصادرها المالية والعقارية، وتقمصت الضمير الجماعي للمدن، و هو ما جعلها تجد نفسها وجها لوجه مع السياسة الوندالية. وبالتالي فالوقوف على تطور مراحل هذه المواجهة من شأنه أن يسمح لنا بإضاءة تفاعلاتها في الفترة البيزنطية.

فقد تميز عهد الملك جنزريق بعملية مصادرة الأملاك الكنسية و تطبيق السياسة الدينية الأريوسية على حساب الكاثوليكية. وقد اعتبر كورتوا أن رفض رجال الدين الأفارقة قبول تزكية النظام الوندالي، وإعلانهم الولاء مثلما كان الشأن بالنسبة للاباطرة الرومان، قد تسبب في تفاقم حدة الصراع [466]، بل تحوله إلى حرب صليبية ضد الأريوسية، حاولت الكنيسة فيها أن تجمع بين الدفاع عن الدين وفكرة الرومنة[467]، فضلا عن مصالحها

VI siècle), Melanges J.Fontaine,T.I,pp 327-338 ; cf aussi,Cl. Lepelley, St Léon le grand et l'église mauritanienne, CT, 1967,p189-204

463 S.Lancel, le recrutement de l'église d'Afrique au début du V siècle…pp.327-338.

464 H. Djaidi, remarques sur la constitution des biens des églises Africaines à l'époque romaine tardive, dans SPLENDIDISSIMA CIVITAS, pp169-191.

465 H.Djaidi, remarques sur la constitution des biens des églises Africaines à l'époque romaine tardive, pp169-191.

466 C.Courtois, V.A. p310

اعتبر كورتوا أيضا أن أحد أسباب الصراع الكنسي- الوندالي، هو تضامن المؤسسة الكنسية مع طبقة الملاكين الكبار، باعتبارهم نواة الرومنة بإفريقيا، أنظر ص 287

467 C.Courtois, V.A. p289

الاقتصادية. و قد أخذت هذه الصراعات منعرجا جديدا في عهد الملك هنريك(455-484)، الذي كان من وراء ما يسمى بالاضطهادات الكبرى، رغم ما تثيره هذه المرحلة من نقاش حول مدى حدة وانتشار عمليات النفي والاضطهاد التي مارسها هذا الملك ضد رجال الدين الكاثوليك، خاصة من خلال نصوص فيكتور الفيتي نفسه[468].

وفي عهد الملك هيلدريك يبدو أن العلاقات الكنسية الوندالية قد شهدت مرحلة هدوء واستقرار[469]، استمرت إلى غاية نهاية فترة الاحتلال الوندالي. ورغم استمرار الأريوسية كديانة رسمية فقد سمح لرجال الذين المنفيين بالعودة الى مناصبهم، وانتخاب شخصية بونيفاتيس Bonifatus على رأس أبرشية قرطاج، بل تنظيم أول مجمع ديني بها سنة 525 منذ بداية الاحتلال، و هو ما سمح لنا بمعرفة حوالي 60 شخصية دينية أو أبرشية شاركت من مختلف مناطق المقاطعة الافريقية[470]. إلا أن صورة الانكماش والتقهقر بالمقارنة مع سنوات القديس سيبريان أو أوغسطين قد أصبحت ميزة هذه الفترة، فيبدو أن الممتلكات الكنسية، بما في ذلك مراكز العبادة أو الضياع، قد ظلت في أيدي الوندال[471]، كما استمرت حالة الفوضى وتقلص عدد رجال الدين[472]، فضلا عن المكانة التي أصبحت تتميز بها الكنيسة الدوناتية والتي يبدو أنها استفادت أكثر من هذا التقهقر الكاثوليكي و أصبحت تشكل المنافس الكبير للفلسفة الكاثوليكية[473].

---

[468] Y.Moderan, l'Afrique et la persecution des Vandales, dans Histoire du christianisme des origines à nos jours, T,III. Les églises d'orient et d'occident, Dir.L.Pietri, desclée, pp. 247-278

[469]R. Devresse, l'église d'Afrique durant l'occupation byzantine, p. 144

[470] Ch.Diehl, Afr.Byz. p 408

[471] Nov.,37,1,3. Procope,B.V. p 397-398

[472] Vita fulgentii,I, éd. G.Lapeyre, Paris, 1929, pp. 11-15

يبدو أن عددا كبيرا من القساوسة الذين استقروا خارج المقاطعة الإفريقية خلال فترات الإضطهاد، قد تأخروا عن الالتحاق بمناصبهم الأصلية مما طرح مشكلة تأطير الأبرشيات في مناطق عديدة

[473] سنتعرض لاحقا لملف الدوناتية الإفريقية المتأخرة:

J-L.Maier, Le Dossier du Donatisme, II: De Julien l'apostat à saint Jean Damasccéne (361-750). Berlin, Akad.-Verl.,1989; R.A.Markus, The problem of "donatism" in the VI the century, in Grégorio Magno e il suo tempo, I, Studi Storici, Studia Ephemeridis "Augustinianum" XXXIII,1991,pp.159-166.

الوضعية الإدارية للكنيسة الافريقية في بداية الفترة البيزنطية

شكلت الكنيسة أحد الهواجس الأساسية التي عكستها التشريعات الامبراطورية في بداية الاحتلال، فقد حاول جستنيان تنظيم عملية استرجاع الممتلكات الكنسية من الوندال وإعادة الامتيازات التي كانت تتمتع بها، بل حاول إعطاء دفع جديد للمؤسسة الكنسية بإسناد صلاحيات عمومية كثيرة للقساوسة ورجال الدين ضد ما أسماه بالهراطقة، اليهود والوثنيين.[474] ويمكن الوقوف على عدد من القرائن التي تؤكد تغلب الخطاب الديني في تبرير الحملة البيزنطية بإفريقيا، لتبرز كمشروع حرب صليبية بالدرجة الأولى:

1. ما أورده بروكوب بأن قسا من أصل مشرقي، قد طلب مقابلة الامبراطور شخصيا ليخبره بأن الله قد أمره في المنام، أن يتوجه إلى الإمبراطور ويعاتبه على التأخر في تخليص المسيحين من قبضة الوندال، مؤكدا له أن الله سيساعده في هذه الحرب و يجعل منه سيد ليبيا[475].
2. رؤية الامبراطور شخصيا في المنام للمستشهد الافريقي ليتوس النفطي[476].
3. المباركة الدينية التي تميزت بها الاحتفالات الخاصة بانطلاق الحملة نحو إفريقيا، بمشاركة و تزكية قس القسطنطينية شخصيا[477].
4. تركيز المرسوم التشريعي لجستنيان على ضرورة "...تخليص الأفارقة الكاثوليك المضطهدين من طرف الوندال الأريوسين، الذين كانوا أعداء الأرواح والأجساد، وكانوا يلطخون بمعتقداتهم الخاطئة الكنائس المقدسة، بل حولوا بعضها إلى إصطبلات.."[478]. وإصدار حق استرجاع الممتلكات الكنسية من الوندال[479].
5. المرسوم الامبراطوري De Africana Ecclesia الصادر سنة 535 والذي يحسم إشكالية الممتلكات الكنسية، و الممارسة الدينية للكنيسة الأريوسية[480].

---

474 Novelle, 37,5-8 (dans Corpus Juris Civilis,III,éd.Schoell-Kroll)
475 Procope, B.V.I,10
476 Procope, I,10, 18;
أشار فيكتور التونيني إلى قس كنيسة نفطة ليتوس Laetus، باعتباره هو الذي تراءى في المنام للامبراطور:
Victor de Tonnenna, Chron. année 534
بينما اعتبر كورتووا أن ذلك قد يكون بمثابة اتصال حقيقي لممثل القساوسة الأفارقة المنفيين، أنظر:
C.Courtois, V.A. p.288
477 Procope, B.V. I,12,3
478 Cod. Just. I,27,1
479 Procope, B.V.I,27,1.5
480 Novelle,37,5-8 (dans CJC III, éd.Schoell-Kroll)
كما تؤكد رسالة بعث بعا البابا أقابيت Agapete الى أكبر قساوسة قرطاج ريباراتوس Reparatus، يؤكد فيها إبعادكل الهراطقة من الممارسة في الأكليروس، مهما كانت الفترة التي التحق فيها بهده النعرة، مما يفترض أن عمليات الابعاد كانت تشمل الأريوسيين مثل الدوناتيين ، أنظر: ch.Diehl, Afr.Byz. p.40

يتجلى من هذه العينات، ما للخطاب الديني من أهمية في السياسة البيزنطية بإفريقيا، وهو أمر لا يخلو من المخاطر بالنسبة للكنيسة الإفريقية نفسها، لأنها سرعان ما اكتشفت أن هذه الامتيازات سوف تجعلها إما في خدمة الامبراطورية أو وجها لوجه معها[481]. رغم أن تطور الأحداث قد حبل أيضا بواقع جديد، يبدو أنه لم يكن في الحسبان والمتمثل في انتباه السياسة الرسمية إلى ضرورة تفادي إثارة النعرات الدينية، ومحاولة تطبيق نوع من المهادنة مع أتباع المذهب الأريوسي، وقد فسر ذلك كيجي Kaegi بطبيعة بنية الجيش البيزنطي نفسه، الذي يضم عددا كبيرا من الجرمان الأريوسيين[482].

الانتصارات البيزنطية و انعكاسها على الكنيسة:

لم تبق الكنيسة الإفريقية مكتوفة الأيدي، تسبح في شعارات الانتصار البيزنطي، بل سرعان ما حاولت تأكيد مكانتها في التطورات الجديدة، فبمجرد انتشار خبر الانتصارالبيزنطي، سارع القساوسة في قرطاج للاستيلاء على كنيسة القديس سيبريان St Cyprien، وتنظيم احتفالات القديس التي صادفت اليوم الموالي[483].كما سارعت لتنظيم مجمع ديني بقرطاج وذلك في 1 أوت 535، شارك فيه 220 قس من الولايات الثلاث الأساسية :(البروقنصلية، نوميديا و المزاق)[484]. وذلك لمعالجة مشكلة استرجاع الممتلكات المصادرة في الفترة الوندالية، و مصير الكنيسة الأريوسية، و ضبط أمورها الداخلية[485]. و قد توج المجمع بإرسال مراسلتين جماعيتين الأولى للبابا و الثانية للامبراطور:

1. شملت الرسالة الأولى الموجهة إلى البابا يوحنا الثاني Jean II بروما، موضوع المناقشات التي دارت في المجمع، والمطالب التي رفعت إليه، بشأن العديد من القضايا التنظيمية الداخلية، كأن لا يستقبل أي ممثل لا يحمل موافقة قانونية من المجمع الديني، كما طلبت منه الإدلاء بموقفه في قرارها برفض إدماج القساوسة الأريوسين[486].

---

[481] أنظر الهامش رقم

[482] E.W.Kaegi, arianisme and the Byzantine Army, tradition, p 23-53

[483] Procope,B.V.I,21,18-25

[484] يبدو أن أكبر مشاركة كانت من المناطق التي خضعت للوندال، و هذا ما يبرر غياب موريطانيا السطائفية في هده المرحلة، و قد اعتبر ديفريس Devresse أن مجرد المقارنة بين عدد المشاركين بين هدا المجمع و القائمة المعروفة خلال سنة 484 باسم Notitia Dignitatum للتأكد من أن الكنيسة الإفريقية قد استرجعت هياكلها في وقت قياسي، أنظر:
R.Devresse, l'église d'Afrique durant l'occupation byzantine, p 145

[485] Ch. Saumagne, Etude sur la propriété écclésiastique à Carthage d'après les novelles 36 et 37 de Justinien ,Byz.'', dans Byz. Zeitschrift ,22,1913,p77-87

[486] Ch.Saumagne, Etude sur la propriété ecclésiastique à Carthage, p.84

2. أما الرسالة الثانية فكانت موجهة إلى الامبراطور، عبرت فيها عن سرورها للانتصارات التي حققها البيزنطيون، وطلبت منه إصدار أوامره، في أقرب وقت، لاسترجاع كل الممتلكات التي مازالت في حوزة الأريوسيين[487].

وبالتالي إذا كان النظام الامبراطوري قد وظف الخطاب الديني لتبرير حملته الإفريقية، ومحاولة تجنيد الأفارقة والمسيحيين في الامبراطورية، فالكنيسة الإفريقية بدورها قد تحركت لتأكيد مكانتها في محاربة النفود الوندالي و حقوقها في صيرورة الأحداث الإفريقية، وكعربون لهذه المرحلة الجديدة، قررت بداية استعمال التأريخ بمناسبة سقوط قرطاج في يد البيزنطيين[488]، أو تاريخ بداية حكم الامبراطور جستنيان نفسه[489]. وعموما تؤكد الأحداث اللاحقة أن الكنيسة الإفريقية قد استرجعت نشاطها و حيويتها التقليديين.

الجغرافية الدينية للكنيسة الافريقية

تكتسي الهيكلة الدينية التي اعتمدت في المقاطعة الإفريقية أهمية كبيرة، كونها حملت خصوصية جديدة، تمثلت في إلحاق الولاية الطرابلسية بكنيسة الإسكندرية، وهو أمر يدعو إلى الانتباه في تصور الخريطة الإفريقية الجديدة. فقد نتساءل عن سبب إقرار التشريعات الجستنيانية ارتباط هذه الولاية بإفريقيا، وربطها في المجال الديني بالمقاطعة المصرية، هل يمكن اعتبار هذا المشروع دليل على معرفة حقيقية للواقع الإفريقي وتطوراته؟ أم هي بداية المحاولات التوسعية للكنيسة المصرية؟

وقد قسمت المقاطعة الافريقية إلى ستة ولايات، وضع على رأس كل منها قس ينتخب أو يعين من بين أقدم القساوسة المقيمين بالولاية، يتمتع بصلاحيات كبيرة في تسيير الأبرشيات أو المجامع المحلية. كما أقرت أولوية كنيسة قرطاج وتميزها على بقية الولايات، تقليدا للعرف المعمول به مند عهد القديس سيبريان[490]، لكن سرعان ما تحول هذا الموضوع إلى مشكلة حقيقية تهدد استقرار الكنيسة و علاقتها بالامبراطورية، فقد اكتشف الامبراطور مرة أخرى بأن مقاربته للمقاطعة الافريقية، انطلقت من الخلفية التاريخية أكثر من معرفة حقيقية للواقع المحلي. خاصة وأن الأقاليم الدينية، قد أصبحت تتميز منذ فترة الاحتلال الوندالي، باستقلالية في تسيير شؤونها و امحاء نفوذ عاصمة

---

[487] Ch.Saumagne, Etude sur la propriété ecclésiastique à Carthage, p.83, Y.Moderan, les églises et la reconquista byzantine, p.702

[488] St.Gsell, inscriptions latines d'Algérie, n°83,2759-2761 ; C.I.L.VIII,5262

[489] P.Monceaux, Enquête sur l'épigraphie chrétienne d'Afrique, Paris,1907, n°285 ; E.Albertini, Ostrakon de Negrine (Numidie). dans Cinquantenaire de la Faculté des Lettres.1932,p.53-62

[490] جرى العرف أن تكون كنيسة قرطاج على رأس الولايات الإفريقية الأخرى في المساءل الدينية مند عهد القديس سان سيبيريان، دون أن يسن دلك في شكل قانون مكتوب

المقاطعة ووصايتها على بقية الولايات، ويمكن تفسير ذلك بالإضطرابات التي عرفتها الهياكل الكنسية خلال الفترة الوندالية. وهو ما يتجلى من المجمع الديني المنعقد سنة 525، الذي كان أصلا لمعالجة الصراع القائم بين ريبيراتوس Reparatus، أول قساوسة المزاق و بونيفاتوس Bonifatus بصفته على رأس الكنيسة البروقنصلية[491] دون التمكن من حسم الإشكال و إنهائه. وبالتالي إذا كان النص الامبراطوري قد تعمد نوع من الغموض[492] يجمع بين الاعتراف بأولوية مركز البروقنصلية و الإقرار بنفس الصلاحيات لأكبر قساوسة ولاية المزاق[493]. فقد حاولت جميع الأطراف استغلال هذه الفرصة و الحصول على ما تصبو إليه من امتيازات. حيث يبدو أن القس ريباراتوس Reparatus قد بعث برسائل إلى كل من البابا بروما و الامبراطور جستنيان نفسه، يطلب التدخل لتأكيد امتيازاته انطلاقا من موقعه في العاصمة الإقليمية، فكان المرسوم Novelle 37 الذي ركز على معالجة المشكلة الأريوسية، ردا وموافقة على ذلك :" **... فلتحصل الكنيسة المقدسة** Carthago Justinian**a** **على كل الامتيازات التي تتمتع بها العواصم الإقليمية و قساوستها.. وهكذا فالمدينة التي اعتبرنا أنه من المفيد أن تحظى باسم جلالتنا الامبراطورية ، ستنتعش في ظل الامتيازات الامبراطورية.**"[494] وبالتالي فهذا التشريف الامبراطوري قد أعطى المرجعية الضرورية لكنيسة قرطاج في أن تلعب دورها عل رأس المقاطعات الدينية الإفريقية، رغم أن النص القانوني لم يحدد طبيعة صلاحياتها وامتيازاتها هذه[495]. بينما تمثلت أولى ردود الفعل في توجه أكبر قساوسة ولاية المزاق، القس داتيانوس Datianus للحصول على نفس الامتيازات، بالاتصال بالامبراطور شخصيا، والغريب أنه كان له ذلك في سنة 541[496]، كما يجب الإشارة إلى أهمية هذا الاتصال بين كنيسة جهوية والامبراطور نفسه، لفهم الحالة النفسية ودرجة الحرية والاستقلال اللتان كانت تتمتع بهما الكنائس الإفريقية، بالنظر إلى الهرم الكنسي البابوي أو الاجراءات التنظيمية التي تنص عليها المجامع الدينية. و من ثم فقد صدرت مجموعة من التشريعات تحاول معالجة الموضوع:

---

[491] A.Mandouze,Prosopographie et histoire de l'eglise : le dossier « petrus abbas » dans, BSNAF,1977,p.141-142

[492] Novellae App. 2 et 3,éd R. Scholl, G. Kroll, Berlin,1895

[493] R.Massigli, Primat de Carthage et métropolitain de Byzacene. Un conflit dans l'église africaine au VI siecle, dans mélanges Cagnat, Paris, 1912, 427-440 ; R.A.Markus, Carthage-Prima Justiniana- Ravenna : an aspect of justinian's Kirchenpolitik, in Byzantion, 49, 1979, 277-306

[494] Novelle, 37,9 ;

[495] R.Massigli, Primat de Carthage et Métropolitain de byzacene,p.427-440 ; R.Markus, Carthage-Prima Justiniana-Ravenna, p. 277-306.

[496] Novellae Justiniani, app. 26 octibre 542, Corpus Juris Civilis III, éd. Schoell-Kholl, p.7961-7971

1. المرسوم الامبراطوري لسنة 542، و الذي يبدو أنه جاء كامتداد لإلحاح أكبر قساوسة ولاية المزاق، لكونه وجه مباشرة الى القس داتيانوس، لكنه في نفس الوقت يحمل نكهة الاستياء من معالجة هذا الموضوع، إذ قرر: "...**أن لا يطلب أي قس امتيازات لمقاطعته لم يعترف له بها أي نص**"[497]. مما يجعلنا نتصور أن كل مقاطعة قد رفعت مطالبها للامبراطور تطلب الحصول على نفس الامتيازات التي قد حصل عليها ريباراتوس، و هو أمر يكرس درجة الاستقلالية التي أصبحت تتمتع بها هذه الكنائس.
2. المرسوم الامبراطوري لسنة 545، و الذي يقر أن يظل " **قساوسة المدن الأخرى، و الذين في مختلف المواقع، قد منحوا لانفسهم صلاحيات رؤساء الكنائس، فليحافظوا على هذا الوضع مدى حياتهم**"[498].
3. المرسومين الامبراطوريين الذين ينسبان للامبراطور جستين الثاني، حيث كان الأول بتاريخ 5ديسمبر 566، يجيب فيه على مطلب من أكبر قساوسة ولاية المزاق، بالسماح له و للمجمع الديني الخاص بمقاطعته بارسال ممثلين للقصر الامبراطوري دون أن يعترض سبيلهم أحد، مؤكدا أن الامبراطور وحده من ينظر في القضايا المتعلقة بالكنيسة، إذا استعصت محاكمتها في المرحلة الأولى على مستوى البطريرقية. بينما نشرت دراسة جديدية لدنيس فيسل D.Feissel، تؤكد اكتشاف نص مرسوم جديد في مخطوطات العصور الوسطى، يعود تاريخه إلى 1 ماي 568، يكرس نفس الفكرة، بل يعطي صلاحيات أكثر لكبير قساوسة ولاية المزاق[499].

و في اعتقادي، ليس أدل من هذه المسألة، على درجة التذبذب التي كانت تعاني منها السلطة الامبراطورية في مواجهة الملف الإفريقي، مما جعل الامبراطور يضطر للاعتراف بالأمر الواقع والتشريع على أساسه، بينما كان يعتقد أن مجرد الانتصارات العسكرية سوف تعيد هذه المقاطعة الى حضيرة الرومنة دون أي إشكال. وبالتالي فلا غرابة أن نقف على عدة انعكاسات لهذا الموقف الامبراطوري:

---

[497] Novellae Justiniani, app. 25 octobre 542 (CJC, III)
[498] Novelle 131,4(18 mars545, C.J.S, III, ed.) Schoel-Kroll, p.796-797 ; Y. Moderan, les églises et la reconquista byzantine A. L'Afrique, p. 699-717.
[499] D.Feissel, Un acte de l'église de Byzacene au début du régne de Justinien II, Ant.Tard. 11,2003, p. 97-112 ; R.Massigli, Primat de Byzacene et métropolitain de Carthage, Un conflit dans l'eglise africaine au VI siècle, p.427-440.

- أصبحت كل ولاية"دينية" تسير شؤونها، بقيادة كبير قساوستها دون العودة إلى قرطاج، بل كثيرا ما كان يتم اسشارة البابا بروما مباشرة أو حتى الامبراطور نفسه[500].
- عوضت المجامع الدينية الجهوية تدريجيا المجامع العامة، التي كا يفترض أنعقادها في العاصمة قرطاج، فلم يصبح لهذه الأخيرة الكلمة النهائية في الحياة الكنسية و تنظيمها. وبالتالي إذا كانت الكنيسة الإفريقية قد عجزت عن تنظيم مجامع كبرى بعد مجمع سنة 535، حيث شاركت فيه كل من نوميديا، البروقنصلية و المزاق، فلأن كل مقاطعة أصبحت تعالج قضاياها على مستواها. بل حتى عندما تعلق الأمر باتخاد موقف موحد من قضية انتشار المونوفيزيتية في مجمع 646، يبدو أن كل الولايات قد أفضت جماعيا لنفس الموقف دون تمكن القساوسة الأفارقة من الإجتماع في لقاء واحد[501]. ولعل هذا ما ساعد على تفاقم الخصوصيات الإقليمية، والمتمثلة في عودة الحركة الدوناتية، خاصة في الولاية النوميدية[502].

وبالتالي يمكن أن نعتبر أن التدخلات الامبراطورية، قد ساهمت في تفكيك الوحدة الكنسية الإفريقية، مما يجعلنا نتساءل عن طبيعة النوايا الامبراطورية في هذه المجارات الشكلية، وعدم تدخلها بحزم في فرض أولوية الكنيسة القرطاجية. ألم يكن ذلك مقصودا في إضعاف الشخصيات الكنسية؟ وجعلها في حاجة مستمرة للسلطة الامبراطورية؟ ولعل تشريعات جستين الثاني[503]أو مراسلات القديس جريجوار الكبير[504] تكرس فعلا ظاهرة الاستقلالية هذه. كما تعكس هذه التطورات صورة ضعف الكنيسة الإفريقية وعجزها عن تحقيق الوحدة التقليدية التي طالما اشتهرت بها، لكن يمكن اعتبارها أيضا نمودجا لطبيعة التغير الذي طرأ على هذه المؤسسة، وتحولها لتنغلق أكثر على همومها الإقليمية.

---

[500] J.Durliat, l'administration religieuse du Diocése byzantin d'Afrique, p. 153 ; S.Puliatti, I privilégi della chiesa africana nelle legislazione di Giustinaiano e di Giustino II, p.1577-1597.

[501] سوف نعالج في هدا الفصل موضوع المجامع الدينية التي تسمح المصادر برصدها

[502] Y.Duval, « Grégoire et l'église d'afrique » dans Gregorio Magno e il sua tempo,I, studia Ephemeridis Augustinianum, Rome,1991,p129-158 ; Markus, the proble of « Donatism » in Sixth Century »,

[503] Novellae constitutiones imperatorum post Justinianum, ed.C.E.Zachariae van Lingental (ParsIII) Leipzig,1857, p 9-10 .

[504] Gregoire le grand, Lettres, III,47,203-204 ; Charpentier, les conciles africains durant la période byzantine, Rev.Afr.95(1951),103-120

لم تتطرق مراسلات القديس جريجوار نهائيا لامكانية تدخل الكنيسة القرطاجية في قضايا المناطق الجهوية أو الولايات

المجامع الدينية للكنيسة الإفريقية

تؤكد النصوص تنظيم مجامع دينية كنسية خلال القرنين السادس و السابع ميلاديين. رغم أنها كعادتها جوفاء، لا تتجاوز التعرض لفكرة الاجتماع، دون الحديث عن قوائم المشاركين، وأماكنهم، أو طبيعة هذه اللقاءات، هل كانت سنوية، وما صلاحياتها في حسم الجدل الديني القائم، ومدى ما تسمح به للقيام بأية مقاربة اجتماعية.

ويكتسي المجمع الديني أهمية كبيرة في التقاليد الكنسية، إذ يسمح بمعالجة قضاياها الدينية والتنظيمية، كما يسمح بإصدار النصوص والشرائع المتفق عليها بعد مناقشتها، لاسيما فيما يتعلق بالمسائل الصعبة والمستجدات الدينية. ويمكن التفرقة بين المجامع العامة التي تعقد على مستوى عاصمة المقاطعة، والمجامع الجهوية التي تعقد على مستوى كل ولاية، والتي تكون مواضيعها وانشغالاتها خاصة بنطاقها الجغرافي فقط. إلا أن طبيعة المادة المتوفرة لا تسمح لنا بالجزم هل كانت هذه المجامع تنظم بصفة دورية، على المستويين، أم كانت تبرمج وفقا لطبيعة المشاكل التي تعترض المؤسسة الكنسية؟

وقد اتضح من خلال إحصاء وترتيب هذه المجامع[505]، أن المصادر لم تتطرق في حقيقية الأمر إلا للمجمع العام سنة 535، كلقاء جمع في نفس المكان قساوسة الكنائس الإفريقية، بينما ظلت بقية المجامع المشار إليها، كمجامع جهوية فقط، وكمثال على ذلك، يسوق عدد من الباحثين حالة الرفض الجماعي الذي أعلنته الكنيسة الإفريقية تجاه المدهب المونوفيزيتي دون تنظيم مجمع ديني عام بقرطاج، وانما بامضاء قوائم المجامع الجهوية، وعلى رأس كل قائمة أكبر قساوستها. ومهما يكن فيمكننا الوقوف على بعض التواريخ نفترض أنها كانت على مستوى المقاطعة، أو جمعت على الأقل أكبر عدد من الولايات[506].

1. **مجمع سنة 535**: سبق وأن تحدثنا عن الظروف التي أحاطت تنظيم هذا اللقاء، حيث كان مباشرة بعد انتصارات الجيش البيزنطي، مما يفترض أن نشوة الانتصار كانت ميزته الكبرى، إلا أن ذلك لم يمنع من طرح هواجس المرحلة، والمتمثلة في استرجاع الممتلكات والامتيازات الضرورية. وهو ما ترجم بالمراسلات التي

---

[505] N.Duval, Une nouvelle édition des listes épiscopales africaines, Rev.des Etudes Augustiniennes, 20,1974, 313-322.

[506] يجب الإشارة إلى أن المشاركة في المجامع تتاثر بعوامل مختلفة، مثل الأمن في الطرقات، ووجود شخصية دينية يمكنها الاسهام في الجدل الديني، بل أيضا قدرة الوفد أو الشخص على تحمل متاعب السفر، الأمر الدي يجعل ظاهرة غياب بعض الأبرشيات في مجامع دون أخرى لا يعني عدم وجودها أصلا.

وجهت الى كل من الامبراطور والبابا بروما، والردود التي حصلت عليها[507].
كما يبدو أن النقاش قد امتد الى المجادلات التي طالما اشتهرت بها الكنيسة الإفريقية، لاسيما فيما يخص أولوية المقعد الكنسي للبروقنصلية.

2. **مجمع** سنة **550**: وردت الإشارة إليه في نص لفيكتور التونيني، وذلك في سياق أزمة الفصول الثلاث، ويبدو أن من بين أهم نتائجه، هو إعلان إقصاء البابا فيجيل من المذهب الكاثوليكي، كرد فعل لموقفه الموالي لجستنيان[508]. إلا أننا نجهل أين انعقد هذا المجمع، رغم أن شامبنتاي Champetier اقترح كنيسة قرطاج، باعتبار أن القس ريباراتوس قد استمر على رأس كنيستها إلى غاية تاريخ 552[509].
3. **مجمع** سنة **594**: وردت الإشارة إليه في أحد مراسلات القديس جريجوار الكبير[510]، وجهت إلى دومينيكوس Dominicus قس كنيسة قرطاج، ويبدو أن الاجتماع كان مخصصا لمعالجة المسألة الدوناتية.
4. **المجامع الدينية المنعقدة سنة 646**: نعرف عنه الكثير بفضل عدد من النصوص، أهمها:

- الرسائل التي وجهت الى بطريق القسطنطينية، بول Paul من طرف قساوسة كل من كولومبيس Columbus من نوميديا، ستيفانوس Stephanus من المزاق، وريباراتوس Reparatus من موريطانيا، ويعلل شامبتي Champetier غياب اسم أسقف كنيسة قرطاج، يسمح بافتراض أنه فورتوناتوس Fotunatus[511]، الذي يبدو أنه كان مونوفيزيتيا، ونصب على رأس الكنيسة القرطاجية لفترة من الزمن. كما يبدو أن هذه العريضة قد أرسلت بعد عقد مجامع دينية جهوية بهذا الشأن[512].

---

[507] وجهت رسالة الى البابا يوحنا الثاني، إلا أن الرد عليها كان من طرف البابا أغابيت الدي خلفه مباشرة بعد وفاته، خلال نفس السنى (535)، كما حملت المتجددات الجستنيانية رقم 37 الصادرة في أوت 535 إجابة على مطالب هدا المجمع، رغم أن ديباجتها تؤحي بأنها وجهت الى القائد سولومون.

[508] Victor de Tonnenna, an 550 (M.G.H ;,aa,t.XI,p202) : Africano antistites Vigilium Romanum episcopum damnatorem trium cupitulorum synodaliter a catholica communinione reservato ei paenitentiae loco secludunt.

[509] P.Champetier, les conciles africains durant la période byzantine, Rev.Afr. p.105

[510] Gregoire le grand, Epist.V,3 septembre 594, p.324

[511] C.I.L.VIII. 22656,36, CRAI,1906,p.121 ; BAC,1906,p CCXXXIII

[512] J.D.Mansi, Sacrorum conciliorum nova et amplissima collectio, T.X,col.919, (Ann. 590-653) ; P.Champetier, les conciles ..p 105

- الرسالة الجماعية الممضاة من حوالي 42 قس من المزاق و 69 من البروقنصلية، والتي وجهت الى الامبراطوركونستانس الثاني Constans II من توقيع أكبر قساوسة المزاق: ستيفانوسStephanus [513] .
- الرسالة التي وجهت من طرف قساوسة البروقنصلية الى بولPaul بالقسطنطسنية، بمناسبة شغور منصب كنيسة قرطاج[514].
- الرسالة التي وجهت من طرف الأسقف فيكتور القرطاجيVictor ، حول تنصيبه على رأس هذه الكنيسة في حدود سنة646[515].
- الرسالة التي ارسلت من طرف البابا مارتن الاول Martin I إلى كنيسة قرطاج، و التي يبارك فيها انعقاد المجامع الدينية في إفريقيا، ويشرح أبواب مجمع اللاتران المنعقد بتاريخ 649 ضد المدهب المونوفيزيتي [516].

رغم إشكالية الخطاب، الذي يحمل دوما النبرة الجهوية و لا يتحدث باسم المقاطعة بصيغة الجمع، إلا أنه يمكن القول أن هذه النصوص الأرشيفية تؤكد حيوية العلاقات الكنسية مع كل من القسطنطينية وروما. لكنها في نفس الوقت تكرس درجة الاستقلالية التي بلغتها الكنائس الجهوية، وقد علل بعض الباحثين هذه الخلفية، بامكانية تبوأ أحد القساوسة المونوفيزيتيين على رأس الكنيسة القرطاجية[517]، مما جعل الكنائس الجهوية تتجاوزه الى المستوى الامبراطوري.

534	ساهمت كل الكنائس بارسال ممثليها الى قرطاج، حيث تجلى حماسها في العودة الى تقاليدها القديمة
541	عقدت ولاية المزاق مجمعها الديني
550	عقدت الولايات الثلاث مجامعها لمناقشة مشكلة الفصول الثلاث
554	عقد مجمع ديني بالبروقنصلية
555	عقد مجمع ديني بنوميديا[518]

[513] Mansi,T.X,col.926, P.Champetier, les conciles ..p 107
[514] Mansi,T.X,col.938, P.Champetier, les conciles ..p 107
[515] Mansi,T.X,col.943, P.Champetier, les conciles ..p 107
[516] Mansi,T.X,col.797, P.Champetier, les conciles ..p 105
يعتبر شامبانتي أن صيغة الرسالة توحي بأن كنيسة قرطاج كانت مرة أخرى في يد أسقف مونوفيزيتي، مما يفترض أن التهنئة التي بعث بها البابا تصد المجامع الجهوية التي انعقدت بنوميديا، المزاق و موريطانيا. أنظر نفس المؤلف ص 107
[517] Champetier, les conciles , op.cit. p105-107
[518] Victor de Tonnena.,a.550,554, 555.

أزمة الفصول الثلاث

حظيت هذه المرحلة باهتمام عدد كبير من الباحثين، باعتبارها شكلت خصوصية في الجدل اللاهوتي، وسمحت ببلورة صورة التحدي و التمسك بالمبادئ الكلاسيكية تجاه النفوذ البيزنطي. يعود مصدر هذه الأزمة بالدرجة الأولى إلى طبيعة السياسة الدينية التي باشرها الامبراطور جستنيان، فقد كان يعتبر نفسه حفيدا للامبراطور قسطنطين، وأن سلطته تشمل الجانب الديني مثل الدنيوي، مما جعله يحاول فرض نفوده ليس فقط على تعيين القساوسة و مراقبة مداخيلهم المالية، بل أيضا في الإدلاء بدلوه في المجال اللاهوتي، وذلك بإصداره مرسوما سنة 543 بشأن إدانة ثلاث شخصيات[519]، يبدو أنها كانت تدعو للمذهب النستوري و التي اعتمدت نصوصها في المجمع الخلقدوني المنعقد في أول سبتمبر 451. وأمام دعوة الامبراطور لعقد مجمع ديني يدين نصوص هؤلاء الأشخاص، اختلفت ردود الفعل الكنسية بين المسارع لكسب وده، و بين الرافض للتدخل في الشؤون الكنسية و المساس بتوصيات المجمع الخلقدوني، لا سيما بعد رفض البابا فيرجيل Virgileالامضاء على نص الإدانة.

لن نخوض في الجانب الديني للأزمة أو في بعدها الكنسي على مستوى الامبراطورية، لأن أغلب المؤلفات التي عالجت المرحلة أوضحت ذلك بدقة[520]، بل ما يهمنا أكثر من هذه الحادثة هو البعد الإفريقي، من خلال موقف التحدي الذي تميزت به الكنيسة الإفريقية والذي طبع العلاقات الافريقية البيزنطية لأكثر من 20 سنة حسب ما تؤكده المصادر[521]، برزت فيها عدة شخصيات إفريقية، مثل فاكوندوس الذي يبدو أنه كان مقيما قي القسطنطينية في بداية مرحلة الصراع، و الذي لم يكتف بالتعبير عن رفضه المساس بهذه النصوص و إنما باشر في إعداد كتاب من 12 جزء قصد تقديمه لجستنيان، إلى جانب عدد من القساوسة الذين سافروا قصد التأكيد على مواقفهم مثل القس فيليكس Felix الذي كان رئيسا لدير بمنطقة جيلليتانوم Gellitanum، أو ممثلي الكنيسة المشاركة: ريباراتوس كبير أساقفة قرطاج، فيرموس Firmus قس تيبازا

---

[519] R. Devresse, les instructions catéchétiques de Théodore de Mopsuete, Revue des sciences Religieuses,12,1933, p.425-536 ; Id., E.Amann, la doctrine de Théodore de Mopsuete, Revue des sciences religieuses,14, 1934, p.161-190

[520] Cf, L.Pietri(dir), les églises d'orient et d'occident t,III
حيث عولجت العديد من الجوانب التنظيمية و اللاهوتية للكنيسة منذ نشأتها

[520] P.Galtier, Theodore de Mopsuete : Sa vraie pensée sur l'incarnation, Recherches de Sciences religieuse, 45, 1957, p.161-187 ; 338-360.

[521] مثل شهادة كل من القديسين فراندوس القرطاجي و فاكوندوس الهرمياني، إلى جانب نصوص المجمع الديني العام المنعقد بقرطاج سنة 550، و نصوص المجامع الدينية الجهوية مثل مجمع المزاق، فضلا عن المصادر التي تؤكد معارضة و مقاطعة القساوسة الأفارقة تنصيب القس الموالي للسلطة بريموسيوس و تنحية القس ريباراتوس الدي قاد المعارضة

النوميدية Tifech وكبير اساقفة نوميديا، أو بريماسيوس Primasius أسقف عين غريب Iunca، كممثلين لأسقفية المزاق، والذين سافروا قصد المشاركة في المجمع الديني الذي نادى له جستنيان.

كان لموقف البابا فيجيل Vigile من النص الإمبراطوري، أن استدعي سنة 547 الى القسطنطينية، و يبدو أنه في طريقه إلى العاصمة البيزنطية، قد أقام لفترة بصقلية، تلقى خلالها عددا كبيرا من الوفود والمراسلات الإفريقية تشجعه وتحثه على عدم الرضوخ للإمبراطور. إلا أنه سرعان ما تراجع تحت تأثير الضغوطات الامبراطورية وأصدر ما يسمى بفتوى judicatum البابا فيجيل. وبمجرد أن انتشر نص الموافقة الذي أعلنه هذا البابا، سارع القساوسة الأفارقة لتنظيم مجامع دينية جهوية تؤكد رفضها لهذا النص وتبريراته[522]، بل اشتد الحماس إلى درجة انتقال عدد من القساوسة الى القسطنطينية نفسها للدفاع عن الموقف الإفريقي، ومن بينهم: **القس فيليكس Felix**، الذي بادر بشن حملة دعائية واسعة على البابا بالتعاون حتى مع المحيط الخاص لهذا البابا، مما جعل هذا الأخير يعلن إقصاءه من الكنيسة الكاثوليكية، رفقة عدد من هذه الشخصيات.

يبدو أن الكنيسة الإفريقية لم تكتف بالتعبير عن موقفها الرافض لهذا الموقف الامبراطوري، والسلوك البابوي فعقدت مجمعا دينيا سنة 550[523]، تبنت فيه بوضوح تمسكها بهذه النصوص الخلقدونية، معلنة في نفس الوقت إقصاء البابا بدوره من الكنيسة الكاثوليكية، و قد سهرت على تبليغ الامبراطور جستنيان نص هذه القرارات الافريقية. كما تمكن في نفس الوقت الأسقف فاكوندوس من نشر كتابه المؤلف من 12 جزءا، والذي كان تأثيره كبيرا في العالم المسيحي، خاصة من خلال بلورة لأطروحته: " **على الأمير أن يفرق بين ضرورة استعمال سلطته في القضايا الدنيوية، و التحلي بطاعة المسيحي في الشؤون الدينية، و ذلك بتطبيق شرائع الكنيسة، و ليس بتحديدها....**".

كماحاول الامبراطور جستنيان معالجة الملف بالدعوة لعقد مجمع ديني عام بالقسطنطينية سنة553 للنظر في هذه الاشكالية، و قد سافر ممثلي الكنيسة الإفريقية : ريباراتوس Reparatus كبير أساقفة قرطاج، فيرموس Firmus قس تيبازا النوميدية وكبير اساقفة نوميديا، بريماسيوس Primasius أسقف عنقة Iunca، كممثلين لأسقفية المزاق[524]، ويبدو أن ممارسة الضغط بأسلوبي التهديد والإغراء كان نصيب الوفد الافريقي

522 Victor de Tunnunna, MGH.AA XI.p202, Diehl,446
523 Victor de Tunnunna, MGH.AA XI.p302, Diehl,441
524 لم يتمكن بويتوس كبير أساقفة المنطقة من السفر بسبب كبر سنه.

منذ وصوله القسطنطينية. فيكفي الإشارة إلى المحاكمة الشكلية التي نظمت بشأن قضية تهمة الأسقف ريباراتوس في الاشتراك في مقتل أريوبيند Aréobinde الذي كانت تربطه صلة بالعائلة الامبراطورية، و ما عقبها من عملية تنحية من منصبه ونفيه[525]. وهو ما نتج عنه رضوخ بعض الأفراد مثل فيرموس أو فرار بعضهم من القسطنطينية مقل فاكوندوس. إلا أن بقية الشخصيات قد استمرت في تحديها، محاولة باساليب مختلفة حمل البابا على التراجع عن موقفه، مثلما كان الشأن بالنسبة لبريماسيوس وفيروكونديوس، و الفرار معه.

ورغم أن الكنيسة الإفريقية قد حرمت من أهم شخصياتها المؤثرة، فلم تتمكن السلطة من تنصيب بريوسيوس في منصب أسقفية قرطاج، خلفا لبريماسيوس،إلا بعد استعمال القوة، نتيجة المعارضة المحلية[526]. و لعل هذا ما يتضح من حركة النفي الواسعة التي تعرض لها القساوسة الأفارقة:

الشخصية	المنفى	الوفاة	المصدر
فيليكس Felix	سجن سينوب	557	Vict. De Tonn.,a. 557
بريماسيوس الحضرموتي Primasius	منفى	558	Vict. De Tonn.,a. 562
ريباراتوس Reparatus	منفى أوشايتا	563	Vict. De Tonn.,a. 563

وبالتالي إذا كانت السلطة الامبراطورية قد نجحت في فرض كلمتها[527] والحصول على إدانة الفصول الثلاث، فقد كان ذلك بعد سنوات من الصراع ومن استعمال مختلف أساليب الضغط، كالسجن و النفي أو التنحية من المناصب. و قد علق ديل على هذه المرحلة بان استمرار هذه الأزمة و تمسك الأطراف الإفريقية بمواقفهم دون كلل أو تعب، من شأنه أن يؤكد على امكانيات الكنيسة الإفريقية المادية والبشرية، وقدرتها على تنظيم وعقد المجامع الدينية في ظروف حسنة[528]. كما اعتبر ذلك موديران نتاج العزلة التي عاشتها الكنيسة الافريقية خلال فترة الاحتلال الوندالي، مما قلص إسهامها في الجدل اللاهوتي بين المذهب النستوري والمونوفيزيتي، وجعلها تدخل النقاش بنوع من التأخر[529].

[525] R.Markus, Carthage-Prima Justiniana-Ravenna, p. 277-306
[526] Victor de Tunnunna, MGH.AA XI.p, Diehl, ???
[527] يعتبر عدد من الباحثين أن نجاح السلطة الامبراطورية في تفكيك مقاومة الكنيسة، جعلها تجعل القساوسة في خدمة الإدارة سواء تعلق الأمر بجمع الضرائب أوحتى بمراقبة عمال الإدارة، أنظر:
F.Decret, le christianisme en Afrique du Nord ancienne, p 260
[528] Dieh, Afr.Byz. p 449
[529] Moderan, les églises p 705-709

ولعله من الأهمية بمكان التنبيه إلى أن هذه الأزمة ليست في الواقع إلا انعكاس لدرجة التدمر الاجتماعي والاقتصادي التي بلغتها المقاطعة الإفريقية، فالكنيسة التي اعتبرت نفسها أهم أسباب الانتصار البيزنطي، لم تجد في السياسة الامبراطورية إلا محاولة إخضاعها، وهيكلتها ضمن العجلة الإذارية البيزنطية، كما أن رجال الذين و القساوسة الذين كان أغلبهم من الملاكين قد وجدوا أنفسهم مجرد عمال للإدارة الامبراطورية[530]، مثقلين بالضرائب والالتزامات الإدارية[531]، وبالتالي فسرعان ما وجدوا في هذا الجدل اللاهوتي أسلوبا للتعبير عن التمرد عن السلطة المركزية. فإذا فشلت هذه الحركة في إخضاع السلطة الامبراطورية، ألا يمكن أن نجد صدى لهذه الحركة في سلوك البطريق جريجوار، أو نفس الحقيقة في زمن متأخر؟

ثانيا – الكنيسة الإفريقية و التحولات العمرانية :

بانتهاء أزمة الفصول الثلاث، تنقطع مصادرنا الأدبية وتصمت تماما عن تتبع تطورات الحياة الدينية بهذه المقاطعة، مما جعل البعض يعتبر ذلك دليلا على حيوية جديدة في ظل الاستقرار السياسي، ورغم اننا نجد صعوبة كبيرة في الوصل بين قوائم الأبرشيات المجتمعة في المجمع الديني لسنة 535 و مجمع 646، فالملف الأثري يشكل نافدة جديدة على التاريخ الكنسي، لا زالت تسمح بتغدية معارفنا التاريخية وإثرائها، خاصة فيا يتعلق بالعمران الديني و المؤثرات الثقافية التي صاحبته وايضا بالنسبة للشخصيات التي تركت بصماتها في أماكن نشاطها أو عند وفاتها.

ويبدو أن السلم الاجتماعي قد فتح المجال لحركية عمرانية جديدة في المجال الديني، تمثلت في تشييد أو ترميم عدد كبير من المنشآت الكنسية أو الأديرة، وما صاحبها من مظاهر المباهات الاجتماعية من خلال هذه المنجزات. وقد نتحسس هذا الواقع من خلال عملية إحصاء أولية للإشارات لمتعلقة بفعل عمراني في مثل هذه المؤسسات.

وبالتالي بقدر ما تعتبر هذه المنجزات دليلا على إحياء حركة البناء، و نشاط العامل العقائدي في ذلك، فهي تكرس تطورا فنيا و هندسيا لا يمكن أن يفسر إلابالمؤثرات المشرقية، مثل:

– استعمال القباب، مثلما اكتشف ببولا ريجيا Bulla Régia أو عين غريب Iunca[532]:

---

530 F.Decret, le christianisme en Afrique du Nord ancienne, p 258-259
531 Procope, Historia Arcana, VIII, 32, p.60; XXVI.11.p. 126
532 Fevrier,P.A, Les sources épigraphiques et archéologiques et l'histoire religieuse des provinces orientales de l'Afrique antique, in Corsi di cultura sull'arte ravennate e bizantina,19,1972, p 155

- تطور أشكال المعمديات و اعتمادها الأشكال الرباعية أو متعددة الأضلاع[533]:
- بروز مظاهر الرخاء و الرفاهية الكبيرة في المعالم الدينية، كاستعمال أنواع الرخام و الفسيفساء أو استيراد التماثيل و التيجان، أو بقية المواد الزخرفية[534]، مثلما اكتشف بمدينة حيدرة
- استعمال الأنواع الثرية للفسيفساء و تبليط الجدران بقطع الآجر، التي تحمل مواضيع مسيحية[535]
- انتشارالإهداءات الدينية، و مظاهر تبجيل القديسين، في الأقسام الداخلية للكنيسة، فضلا عن تفاقم عمليات الدفن في المساحة الكنسية، فقد سمحت لنا دراستنا في فصول أخرى، من الوقوف على مظاهر تحول الثروة المادية إلى رجال الكنيسة، سواء بالصيغة العقارية الجماعية، أو نتيجة تسرب عدد كبير من الملاكين إلى سلك الرهبنة، و هو ما انعكس في الملف الأثري في شكل إهداءات دينية جديدية، عوضت نماذج الإهذاءات الارستوقراطية التي ميزت الفترة الوثنية من التاريخ الروماني. و لم يقتصر التحول على المجال الاجتماعي فقط، بل تجلى أيضا في المواضيع و الأشكال الفنية التي أصبحت تسجل بها هذه الاهذاءات.

إلا أن هذه المظاهر تطرح في نفس الوقت العديد من المشاكل في فهم علاقتها بنشاط المدينة و مؤسساتها، و ذلك نتيجة اكتشاف أن العديد من الكنائس قد شيدت على أنقاض مؤسسات عمومية في اماكن مختلفة من المحيط العمراني، دون مراعاة الطرق الرئيسية التقليدية للمدينة، مما جعل الكثير من الباحثين يتساءلون عن علاقة هذه الظاهرة بامكانية استمرار أو توقف الحياة الحضرية في المدن[536]. فضلا عن اكتشاف العديد من المقابر في المساحة العمرانية، حيث أكدت عدة تقارير أثرية تبلور ظاهرة الدفن في المساحات العمرانية، أو ممارسة الدفن في المساحة المجاورة للكنائس و الأديرة[537].

ومهما يكن ففي انتظار امكانية القيام بدراسات أثرية على نطاق أشمل في بعض المدن النمودجية، يجب الأخد بعين الاعتبار هذه الخصوصيات في التطور الاجتماعي و الاقتصادي، دون الإسراع بالحكم على استمرار أو توقف الحياة العمرانية الرومانية، و الاقرار بأن هذا التطور قد حبل بمورفولوجية جديدة أصبحت الكنيسة فيها هي مركز الإشعاع و التجمع السكان.

---

533 T.Ghalia, l'architecture religieuse en Tunisie aux V et VI siècles, Ant.Tard.10,2002, p. 214-217
534 Fevrier,P.A, Les sources épigraphiques et archéologiques et l'histoire religieuse des provinces orientales de l'Afrique antique, p. 155
535 N.Duval, influences byzantines sur la civilisation chrétienne de l'Afrique du Nord,REG,1971, p.XXVI-XXX et «l'architecture chrétienne en Byzacene » MEFRA 84, 1972, p1127-1172.
536 T.Ghalia, l'Architecture religieuse en Tunisie aux V et VI siècles, p.213- 222
537 T.Ghalia, l'Architecture religieuse en Tunisie aux V et VI siècles, p213- 222

جدول لنماذج من المنجزات الدينية حسب مصادر القرن السادس و السابع

المدينة	طبيعة العمارة	المصدر	الفترة
صبيطلة		Bejaoui[538]	
	Martyrium تم إهداؤه لسيلفيان و فوتونات		ق 6(فترة جستنيان)
	البازيليكا رقم 5 وجد بها ، مخلفات قديس مشرقي يحمل اسم تريفون ، مؤرخة بالنصف الثاني للفترة البيزنطية	ديفال	
	العثور في البازيليكا رقم 5 و رقم4 على بقايا فخار تعود الى الفترة الاسلامية	ديفال	
	تشييد كنيستين جديدتين تحملان رقم 6 و7	حسب ترتيب ديفال	
قرطاج	بازيليكا	Procope,De Aed, p 336	جستنيان
	شهدت كنيسة بئر خنيسة إصلاحات كبيرة ، بما في ذلك إعادة تبليط الأرضية و إقامة رواق مغطى	ديفال و إينابلي	بداية القرن 7
	توسيع كنيسة قرطاجنة و إضافة chapelle ملحقة بالجهة الغربية فضلا عن عدة قاعات		
	بازيليكا درميش 1 عرفت هي الأخرى عدة ترميمات و إضافة قاعات ملحقة		
حيدرة	البازيليكا رقم 2 و التي تحمل اسم كانديدوس، أو كنيسة المستشهدين إلى جانب تشييدها، تسجيل عدد من الترميمات مثل : أصلاحات في السقف، التبليط بالفسيفساء الة جانب إصافة الملاحق	N.Duval,les églises africaines, p201-209	بداية القرن 7
	بناء كنيستين رقم3 و5		
	إدخال إصلاحات كبيرة على ثلاثة كنائس تحمل أرقام: 1–2–4		
هنشير الفوار	إصلاح الكنيسة الكبرى في بداية القرن السابع[539] إصلاح الأرضية و تجديد الفسيفساء	محجوبي	نقيشتين وجدتا بالأرضية،مؤرخ تان في عهد هرقليوس
رأس بونة	تشييد كنيسة القديس فليكس بالقرب من قليبية		
تيمقاد	تحويل البزيليكا		
لبدة	05 كنائس	Procope Aed	
صبراتة	01كنيسة واحدة	Procope Aed	
سبتة	نصب مهدى للعذراء	Procope Aed	
سوسة	مصلى	Diehl, Afr.Byz. p421	

538 Fathi Béjaoui, une nouvelle église époque byzantine à Sbeïtla, Africa Romana,12,1173-1183

539 A.Mahjoubi, Recherches d'histoire et d'archéologie à henchir el-Fouar(Tunisie) Pub.de l'Univ. De Tunis,1978. p257-370

تليبت	مواد بناء بيزنطية و كنيسة مزينة بأعمدة ذات مسالك وبلاطات بالرخام	Diehl, Afr.Byz. p421	ق6
قصرين	بقايا كنيسة بيزنطية، زينت أبوابها بأشكال دائرية بداخلها طيور تشرب في إناء[1]	Saladin,I,p160	ق6
حيدرة	كنيسة صغيرة مبنية بجانب الأسوار الغربية، مستعملة العديد من النقائش القديمة	Diehl,Afr.Byz. p 421	
الكاف	كنيسة دار القوس تشبه إلى حد بعيد بعض كنائس القسطنطينية	Diehl,Afr.Byz.p422	
برج مسعودي (Thacia)	تيجان و قطع تزينية جميلة منحوتة	Saladin,I,211-212 ;II,552-553	
قصيرةKessera		C.I.L.VIII,706	
حاجب العيون ج.غ. القيروان		Diehl,Afr.Byz.p422	
لاربوس		Diehl,Afr .Byz. p422, Bull. Com. 1884, p160	
هنشير معطيرية		Diehl, Arch. Des missions, XIV, p.97	
سيدي متلليلي		Carton,l,c.,281-284	
طبرقة	نقائش	Diehl, Arch. Des missions, IX, p.162,167	جستنيان
أنونة	كنيسة غربية	Diehl,Rapport,p368-370, Bull.Com. p521 1892,	
تيمقاد	كنيسة داخل القلعة	A.Ballu	.
بغاي	بقايا كنيسة و مخلفات منحوتات تعود إلى القرن السادس	Diehl,Rapport,p322-323	
الحاسي (غين البيضاء)	مخلفات و بقايا بناية للكنيسة و مستشهدية	Diehl,Afr .Byz. ,p422	
قالمة	مخلفات و بقايا بناية للكنيسة و مستشهدية	Diehl,Afr .Byz. ,p422	
تستور	مخلفات و بقايا بناية للكنيسة و مستشهدية	Diehl,Afr .Byz. ,p422	
عين الغراب عين سقار، عين سلطان	نقائش و معالم دينية	Duschesne ;I ;C ;C.I .L.VIII,10642 Diehl,Afr .Byz.,422	
موريطانيا القيصرية			
القديسة سالسا – تيبازا	ترميم منشآت دينية		

ظاهرة تبجيل القديسين:

تحفظ لنا النصوص الأثرية قائمة عدد كبير من النقائش الجنائزية، التي تشهد على خصوصيات هذه التركيبة الاجتماعية من المسيحين، فقد أصرت على أن لا تكتفي بتسجيل أسمائها أو وظائفها فقط، بل ممارستها لطقوس تبجيل و تقدير القديسين، و هي ظاهرة وجدت ديوعا كبيرا مند بداية التاريخ الكنسي. إلا أن ما يتجلى من خلال الدراسة التي أنجزتها إيفات ديفال[540]، هو تجدر هذه الظاهرة في سلوكات المسيحيين بالاضافة إلى تسرب عدد من القديسين المشارقة إلى القائمة الإفريقية المعروفة مند زمن القديس سيبريان[541]. حيث أكدت أن الكنائس الإفريقية رغم أنها حافظت في أغلب الأحيان على المواقع التي تربطها بالتاريخ الإستشهادي، فقائمة القديسين التي أصبحت تحتل المراتب الأولى، ابتداءا من القرن السادس، أصبحت تقتصر على شخصيات إفريقية معاصرة و مشرقية في بعض الأحيان ايضا. و بالتالي فقد صاحب مرحلة الاحتلال البيزنطي، انتشار العديد من الأساطير الدينية المشرقية إلى الداكرة الإفريقية، و احتلال مواعيد أعيادها مكانة جديدة في المجتمع الإفريقي[542].

ثالثا – علاقة الكنيسة الإفريقية مع المحيط الخارجي:

لم تبق الكنيسة الإفريقية منعزلة عن محيط البحر الأبيض المتوسط، فقائمة قساوستها الذين هاجروا إلى كل من القسطنطينية، عشية الحملة البيزنطية، أو الذين كشفت عن وجودهم أزمة الفصول الثلاث، مثل الذين انتقلوا الى إيطاليا[543]، أثناء عمليات الاضطهاد الوندالي، تؤكد ظاهرة تصدير المشكلة الإفريقية و إسهام قساوستها في الجدل الديني على مستوى الامبراطورية البيزنطية. إلا أن أعناق رجال الذين الأفارقة يبدو أنها كانت متجهة أكثر نحو الكنيسة البابوية بروما، تقاسمها مقاومتها للقسطنطينية. و تتجسد هذه القابلية الافريقية الرومانية في الملف الإفريقي للقديس جريجوار الكبير.

---

[540] Y.Duval, Loca sanctorum Africae, le culte des Martyrs en Afrique du IV au VII siècle, EFR,1982, 2T

[541] Y.Duval, les saints vénérés dans l'eglise byzantine d'Afrique,in Corsi di cultura sull'arte ravennate e bizantina,tXXX,1983,pp115-147

[542] Ibid

[543] Philippe Régerat, Eugippe et l'église d'Afrique, in Romanité et cité chrétienne, permanences et mutations intégration et exclusion du Ie au VIe siècle ; mélanges en l'honneur d'Yvette Duval, de Boccard, paris 2000.

جريجوار الكبير و الكنيسة الإفريقية

تشكل مراسلات القديس جريجوار رصيدا مهما لدراسة المقاطعة الافريقية في النصف الثاني من القرن السادس ميلادي[544]، و يتكون هذا الملف من حوالي 50 مراسلة، تمت صياغتها ما بين 591و602، تسمح بتسليط الضوء على جوانب متعددة من الحياة الكنسية و علاقتها بالمحيط الاجتماعي و السياسي. و في الواقع لم تكن الرسائل موجهة للقساوسة فقط، بل وجه بعضها الى رجال الإذارة و قادة الجيش بل حتى الامبراطور نفسه، رغم أن أغلبيتها كانت للقساوسة و رؤساء الكنائس. وقد احتوت على عدة مواضيع مثل: الاجابة على تساؤلات القساوسة، أو القضايا القانونية المطروحة، كتملك القساوسة و نظام عيشهم، إلى جانب إعطاء توجياهات حول محاربة مظاهرالرشوة و حسابات الضرائب، كما شملت مراسلاته أيضا توجيهات حول القضايا المتعلقة بالمدينة، أو بالجانب العسكري، فضلا عن توجيهاته حول نشر المسيحية في الأوساط المورية. ويبدو أن موضوع الحركة الدوناتية قد شكل أكبر هواجسه، حيث تعددت إثارته للموضوع مع أطراف مختلفة مثل البطريق، أو قساوسة نوميديا و المزاق[545].

تميزت أغلب المراسلات الإفريقية للقديس جريجوار، بالاختصار و عدم الخوض في المسائل اللاهوتية، رغم أنها ركزت كثيرا على موضوع الوحدة الكنسية[546]، كما شكلت مرحلة متميزة في تاريخ العلاقات الكنسية بين المقاطعة الإفريقية و الامبراطورية، إد لم يكتف بابا الكنيسة الكاثوليكية بروما بتقديم التوجيهات الدينية، بل أصبح يتدخل في مختلف شؤون المقاطعة بما فيها الإذارية، إلى درجة أن أصبح يقوم بدور الوسيط الحقيقي بين المجتمع الإفريقي و الإذارة المدنية في العديد من القضايا، و قد برزت في هذه الفترة شخصية المحضر هيلاريوس Hellarius الذي أصبح يقوم بدور الممثل الدائم للقديس جريجوار، يطبق توصياته و ينقل له المعلومات الضرورية. و ربما يحتاج هذا الموضوع للبحث أكثر في الأسباب التي ساعدت على التقارب الإفريقي- الروماني، في نفس الوقت الذي كانت فيه لا تتردد في رفض التدخل الإذاري من العاصمة البيزنطية، بل حتى كبير قساوسة قرطاج، أعلنت كنائس الولايات استقلاليتها عنه و حرية مجامعها الجهوية، و عدم الاعتراف له إلا بنفوده على ولايته و مساواته معها. و لم يكن جريجوار يراسل كنيسة قرطاج وحدها، بل يبدو أنه كان على اتصال مباشر مع قساوسة الولايات مثل

[544] Goubert (P), Byzance avant l'Islam, p223-236
[545] Greg. Le Grand, Ep.IV,7 sept.593 ;IV,32,Juin,594 ;V,3,sept.594
[546] Y.Duval, Grégoire et l'église d'Afrique, dans Gregorio Magno e siu te tempo, p132

دومينيك Dominique القرطاجي، أو كولومبيس النوميدي Colombus ، مكرسا بذلك فرضية عدم اعترافه بأولوية منصب كبير قساوسة قرطاج على بقية الولايات.

و عموما فيمكن القول أن الصراعات الدينية قد لعبت دورا كبيرا في توسيع الهوة بين المقاطعة الإفريقية و الامبراطورية، حيث أصبحت الكنيسة تعاني من توجهات الاباطرة المذهبية مما جعل أتباعها الذين أصبحوا بمثابة ورثة الامبراطورية الرومانية بالمنطقة – باعتبار التطورات الاجتماعية والسياسية التي عرفتها المدن الإفريقية– يحولون أنظارهم عن كنيسة القسطنطسنية ، نحو كنيسة روما كمرجع ديني و سياسي بديل. و بالتالي فسلوكات القديس جريجوار ما هي إلا تأكيد على ذلك.

الحركة الدوناتية:

تجذرت الدوناتية في بلاد المغرب ، بطريقة جعلتها تمتزج مع كل الحركات الاجتماعية أو تأخذ أحد أشكال مقاومة الهيمنة المركزية الرومانية، و بقدر ماكانت تشكل اكبر هواجس الإذارة الرومانية في عهد الإمبراطور دقلدياونوس – صاحب المجازر الكبيرة– فانها أيضا شكلت اكبر هموم القديس أوغسطين الذي اعتبرها احد أعداء الكنيسة الرسمية. ويبدو أنها اصبحت من القوة خلال الفترة البيزنطية[547]، ما جعلها أيضا تحتل نصيبا أكبر من اهتمامات القديس جريجوار[548]– الذي يظل المصدر الوحيد لهذه المرحلة– فقد وردت الإشارة إليها أولا في نصوص الامبراطور جستنيان[549]، رغم أن ماركوس R.A.Markus قد شكك أصلا في موضوع الدوناتية و اعتبره مجرد مبالغة و تضخيم للنزعة الاستقلالية التي كانت تتميز بها دوما الكنيسة الإفريقية[550].بينما اعتبر ديل

[547] لا زال الجدل قائما في أوساط الباحثين في مطابقة المدلول التاريخي للمصطلح الدوناتي في النصف الثاني للقرن السادس ميلادي، فقد اعتبر ماركوس

[548]تجلت اشكالية الحركة الدوناتية في عدد من مراسلات القديس جرجوار، يمكن تقسيمها الى ثلاث مجموعات:

- المجموعة الأولى، تشمل المراسلات المؤرخة ما بين 591-592، و التي عالجت مشكلة الرشوة التي تلقاها القساوسة لغض النظر عن ترقية الدوناتيين (EP.72,75,82, aout 591 et II,46, juillet59)
- المجموعة القانية و التي تمت صياغتها في حدود 594، و التي تضمنت تعداد ما سمي بجرائم الدوناتيين بنوميديا (EP,IV,32-35)،
- المجموعة الثالثة: و تحتوي على أربعة مراسلات مؤرخة بسنة 596 (EP,VI,34,59,61 ;VII,2, juin- septembre596)

[549] W. H. C. Frend, The donatis church, Oxfor,1952, p.308-314

[550] R.A. Markus, The problem of Donatisme in the Sixth Century, in Grégorio Magno..p164

أن سياسة المرونة التي طبقها الامبراطور موريس، هي التي سمحت بعودة هذه الحركة إلى الساحة الاجتماعية ، مثلها مثل الديانة اليهودية[551].

و قد بدأ طرح الموضوع من خلال المراسلات التي تمنع انتخاب أكبر القساوسة من رجال الذين الذين هم من أصل دوناتي (ex donatistis ad episcopatum perveniunt)[552]. كما وجهت إحدى المراسلات إلى الارخون غيناديوس، تطلب منه التدخل لاعتراض سبيل الهراطقة الذين بدأوا يشكلون خطر على الكنيسة الكاثوليكية، مقترحا أن يشرف شخصيا على انتخاب منصب كبير القساوسة، عن طريق المجمع الديني، حتى يضاعف من امكانية مواجهة المد الدوناتي[553]. و يبدو أن القديس كان يتابع مايجري بالمقاطعة الإفريقية بواسطة عيون له، على حد تعبير إيفات ديفال[554]. وهو ما سمح له بمعرفة سلوكات أرجنتيوس Argentius قس مدينة لاميجانوس النوميدية Lamogenum ، الذي نصب دوناتيين على رأس بعض الكنائس مقابل كميات من المال[555]، أو ماكسيميان Maximian قس مدينة بودانتيا Pudantia و الذي اهم من طرف قساوسة مقاطعته بموافقتة على بقاء قس دوناتي باحدى كنائس المنطقة مقابل كمية من المال corruptio praemio Donatistarum. و يبدو ان الحملة التي شنها القديس جريجوار قد أثمرت بانكماش هذه الحركة، حيث لا نعثر على أية إشارة لهذا " الخطر الدوناتي" في مراسلات القديس جريجوار بعد فترة 596 لا سيما بعد انعقاد المجامع الدينية الكاثوليكية. إى أن صورة المذهب الدوناتي، ظلت موجودة في الأدبيات المسيحية، إلى غاية ما بعد الفتوحات الاسلامية، ففي أحد مراسلات القديس جريجوار الثاني Gregoire II المؤرخة ب 722، موجهة للكنيسة الجرمانية، يحذر فيها بعدم قبول القساوسة الأفارقة ، لأي سبب كان، لأن أغلبهم قد عمدوا ثانية، وهو ما اعتبره ماير L.Maier. إشارة الى الأصل الدوناتي[556].

[551] Ch.Diehl, Afr.Byz. p.504

[552] عولجت إشكالية الحركة الدوناتية من طرف عدد من الباحثين، دون التمكن من حسمها، حيث اعتبر البعض أن القديس قد أشار الى رجال الدين الكاثوليك و الدين كانوا من قبل ينتمون الى الحركة الدوناتية، بينما اعتبر البعض الأخر استمرار العديد من الأبرشبات تحت اشراف دوناتيين، و بالتالي فتدخل القديس جرجوار كان فقط في عدم السماح لهؤلاء بارتقاء الى مستوى رئاسة الكنيسة. أنظر

[553] Greg. Le Grand, Ep.I,72

[554] Y.Duval,Grégoire et l'eglise d'Afrique, dans Gregorio Magno e siu te tempo

[555] أنظر البطاقية رقم: و أيضا مراسلة القديس جريجوار Greg. Le Grand, Ep.I,82

[556] J.L.Maier, le dossier donatiste II,p393,N°15

رابعا – الكنيسة الإفريقية و طبيعة المسيح:

تقر أغلبية الدراسات أن استباب الأمن بالمقاطعة الإفريقية، قد جعلها تحاول لحق الركب البيزنطي و الإسهام بمواقفها في الجدل الديني واللاهوتي، رغم ما تعرضت له عقب أزمة الفصول الثلاث. ورغم أن أغلبية المداهب المسيحية قد ظهرت اساسا في المقاطعات المشرقية، فيبدو أن الكنيسة الإفريقية لم تبخل في التعبير عن مواقفها تجاهها، مما يفترض استرجعها لمكانتها ثانية في هذه المجادلات، بل بلغت الردود الإفريقية من الحدة ما جعلها تشكل أحد حلقات الصراع الحضاري بين المشرق البيزنطي و الغرب اللاتيني. و يمكن تلخيص مراحل هذا الصراع الجديد في ما يلي:

الأزمة المونوفيزيتية:

شكلت المنازعات الدينية المتعلقة بالمذهب المونوفيزيتي – الطبيعة الواحدة- مرحلة خطيرة على الصعيدين الامبراطوري و الافريقي. ويعود مصدر هذا المذهب الى العناصر المسيحية الوافدة من المشرق، قادمين من كل من بلاد الشام (سوريا) و مصر خاصة من الإسكندرية، أو حتى من بعض الأديرة الليبية، نتيجة ضغط الكنيسة الرسمية و الاحساس بخطرالفتوحات الاسلامية، حيث كان أغلب هؤلاء القساوسة يحملون المذهب المونوفيزيتي، كما كان لحسن استقبالهم و طبيعة التعاطف الديني الذي خصهم به الأفارقة، فرصة لإشاعة مذهبهم و ترويجه، فباشروا حملة نشر هذا المذهب بين مختلف الأوساط، بعيدا عن أعين القسطنطينية. و تتحدث المصادر المسيحية عن الاضطرابات التي بدأت تحدثها هذه المجموعات، و عن الدور الكبير الذي لعبته النساء في هذه المرحلة، من خلال إقبال الفتيات على هذا المذهب رغم معارضة أهاليهم، أو اختطافهم أو إبعادهم عن أسرهم – مما تسبب في انتشار ظاهرة البحث عن الفتيات المختطفات في المدن الافريقية- كما اشتهرت عملية تنظيم المحافل الدينية و عمليات التعميد السرية.

و تبرز المصادر شخصية الأرخون جورجGeorges ، كحاكم إذاري للمقاطعة الإفريقية، تميز بعلاقته الخاصة مع المسيحيين الفارين من الشرق ، و عطفه على الكنيسة ورجالها. حيث لعب دورا مهما في استقبال أعداد كبيرة من هؤلاء اللاجئين، وأمدهم بالمأوى ووسائل العيش. كما شمل عطفه الجمعيات الكنسية الصغيرة. إلى جانب شخصية ماكسيم المبشرMaxime le confesseur[557]، و الذي يبدو أنه كان يحتل منصبا في القصر

---

[557] J-L .Garrigues,Maxime le confesseur, la charité,avenir divin de l'homme,Paris,1976 ; I-H.Dalmis, la vie de saint Maxime le confesseur reconsidérée ? in Studia Patristica,XVIII/1,1982.p.26-30 ; cf aussi, Acta Sancorum TXXXVII pp118-132

الامبراطوري في عهد هرقليوس، لكنه اعتزل بعد ذلك بأحد الأديرة على ضفاف البوسفور، ثم انتقل الى إفرقيا[558] في حدود سنة 626[559] و استقر بكنيسة بالقرب من قرطاج. و قد تزامنت هجرته هذه مع سلسلة اضطرابات جديدة عاشتها الكنيسة، تمثلت في الصراع ضد الحركة المونوفيزيتيةكما جمعته علاقة حميمية كبيرة مع الأرخون، أثرت تأثيرا واضحا على تطور الأحداث الإفريقية.

تعتبر المصادر أن مرونة الحاكم جرجس Georges قد أدت إلى تفاقم الاحتجاج في أوساط المجتمع الافريقي، فأصبح الحديث عن البدع الجديدة و الانحرافات الدينية التي يتميز بها هؤلاء الدعاة الجدد[560]، مماجعله يسارع إلى مراسلة الامبراطور البيزنطي، تخوفا من تفاقم الوضع، كما أرسلت الكنيسة أيضا بنفس النص إلى كل من بطريرك القسطنطينية وبابا الكنيسة الرومانية، يطلبان فيه تدخل السلطة لاسترجاع الاستقرار الكنسي[561]. إلا أن وفاة الامبراطور هرقليوس، جعلت الرد لا يكون إلا بعد تنصيب خليفته قسطنطين الثاني Constantin II، حيث أمر بضرورة سجن كل هذه العناصر في الأديرة و الكنائس[562]. لكن سرعان ما تغيرت هذه السياسة، في عهد الامبراطور هرقليوناس Heraclionas و زوجته مارتين Martine، حيث سمحت ليونة الامبراطور بانتعاش الحركة المونوفيزيتية من جديد، و الغوص بالإفريقيا ثانية في مرحلة جديدة من مراحل الصراع الديني.

و لعل غضب الكنيسة الإفريقية من ذلك هو الذي جعل الحاكم جورجس يتريث في تطبيق أوامر هرقلياونس بالتخلي عن متابعة العناصر المونوفيزيتية[563]، فضلا عن تريثه في إرسال وحداته العسكرية إلى مصر، تحسبا لتقدم الجيش الاسلامي، و هو ما نتج استدعائه و محاكمته بالقسطنينية، وبالتالي تنحيته من منصبه[564].

---

[558] يبدو أن جاذبية إفريقيا كانت كبيرة في هده الفترة، ليس فقط لرجال الدين الحاملين لمداهب أو مواقف جعلتهم في صراع مع الكنيسة الرسمية، بل حتى الامبراطور هرقليوس نفسه، كان على وشك نقل عاصمته الى قرطاج سنة 619، نتيجة مخاطر الحروب المشرقية مع الفرس. أنظر:
Nicephore.Brev.Hist.p.17

[559] R.P.Grumel,Notes d'histoire et de chronologie sur la vie de saint Maxime le confesseur,in Echos d'orient,t.XXX,1927,p24-32

[560] Ch.Diehl, Afr.Byz. p544

[561] Ep.18,dans P.G.91, col.583

[562] Ep.XII,P.G.,91,col.460

[563] Ch.Diehl, Afr. Byz. p. 538

[564] Jean de Nikiou, chronique, ed.et trad. H.Zotenberg, p. ???
تبرز إحدى رسائل القديس ماكسيم هده المرحلة، كما يبدو أن القس ماكسيم قد سعى بكل تمكانياته الدفاع عن جورجس قصد إرجاعه الى منصبه، دون جدوى

الازمة المونوليتية:

ما فتئت الصراعات الكنسية بشأن مدهب الطبيعة الواحدة أن تخمد، حتى وجدت المقاطعة الإفريقية نفسها ثانية في أزمة جديدة، تمثلت الحركة التي باشرتها على إثرمحاولة الامبراطور هرقل توحيد الخلافات المذهبية بإصدار مرسوم سنة 638، يوحد بين المذاهب المتصارعة ، خاصة الملكانية أو مذهب الكنيسة الرسمي و اليعقوبية و مذهب الطبيعة الواحدة و الذي تفرع منه النسطورية، و قد اشتهر هذا المرسوم بالاكتيسيس l'Ecthesis[565]. و قد رافقت هذا المرسوم عدة مراسلات بعث بها البطريرك بيرهوس Pyrrhus patriarche تحاول إقناع المسيحين باعتناق هذا المذهب الجديد. فلم تتوان الكنيسة الافريقية عن إعلان معارضة و رفض هذا التوجه الجديد باعتباره "**مجرد رغبة في الهيمنة**"، مبدية تمسكها بتقاليد وحدة الكنيسة، و قد صاحب ذلك تكتل القساوسة الأفارقة موجهين أنظارها أكثر فأكثر نحو كنيسة روما ـــ باعتبارها تمثل الموروث الحضاري المشترك ـــ. و سرعان ما أعلنت كنيسة روما رفضها لهذا التصور، و على إثرها الكنيسة الإفريقية[566]. و يحفظ لنا ملف القس **ماكسيم** جانبا كبيرا من مراحل هذا الصراع، حيث يبدو أن المعارضة أخدت منعرجا جديدا بهذه المقاطعة[567].

المناظرة الدينية سنة 645

برزت مكانة القس ماكسيم أكثر من خلال المناظرة الدينية التي جمعته بالبطريق القسطنطيني بيرهوس، و الذي يبدو أنه استقال من منصب على إثر اعتلاء العرش، الامبراطور كونسانت أحد أحفاد هرقليوس، و ذلك سنة 641[568]، كما يجب أن نشير إلى أن بيرهوس كان أحد المنظرين للمدهب المونوليتي كما يبدو أنه من كان وراء المرسوم التوحيدي الذي أعلنه هرقليوس. مماحفز القس ماكسيم لاستغلال هذه الفرصة، و طلب تنظيم مجادلة دينية معه، و هو ما حصل في شهر جويلية من سنى 645 و لعل حضور جريجوار في هذه المناظرة لتأكيد لأهمية الشخصيتين في هذه الأزمة. و بعد استعراض

---

565 تختلف فلسفة المونوليتية عن مدهب الطبيعة الواحدة، في كونها تكرس فكرة " الطاقة الإلاهية الواحدة للمسيح "mono thélisis"

566 P.Grumel, Notes d'histoire et de chronologie, in Echos d'orient,TXXX,1927,p30

567 M.Bennabes, l'Afrique byzantine face à la conquete arabe, p.77

568 Nicéphore, Brev. Hist. p31

يطرح ديل فرضية نفيه من طرف الامبراطور إلى إفريقيا، استنادا لنص جون نيكيو ، أنظر ص 549

فلسفة المونوليتية، و المجادلة حول خصوصياتها، تؤكد المصادر اعتراف البطريرق بهزيمته، و التزامه عقب هذه المناظرة بأنه سوف يعتذر أمام أضرحة الحوارين، و سوف يقدم للبابا إعلانا بالاعتراف بأخطائه. و بالتالي فقد شكلت هذه الفرصة مرحلة تفوق جديدة للكنيسة الإفريقية، ترجم باسراع في تنظيم المجامع الدينية الجهوية سنة 646 ، و الاجماع على رفض كل المحاولات التي تقوم بها القسطنطينية، و ضرورة الحفاظ على الشرائع الدينية الموروثة دون زيادة أو نقصان، إلى جانب توجيه المراسلتين الشهيرتين إلى كل من الامبراطور البيزنطي كونستانت الثاني، و بطريرق كنيسة القسطنطينية، فتضمنت المراسلة الأولى دعو الامبراطور، الحامي الطبيعي للمسيحية، بإيقاف هذه الاضطرابات الدينية، و إلزام البطريرق بالعودة الى المذهب الكاثوليكي. أو الثانية فطالبت من البطريرك بالتخلي عن هذه الهرطقة الدينية، و التي تراجع عنها صاحبها الأول (البطريرق بيرهوس).

و رغم أن مراسلة القساوسة الأفارقة للامبراطور، أكدت في ديباجتها على تبعية الكنيسة للامبراطورية، و ختمتها بالتمني له بالرفاهية و طول فترة الحكم، إلا أن العديد من الباحثين و جدوا في هذه المرحلة من الاضطرابات ، نوع من التضامن الإفريقي بين الكنيسة و طبقة الملاكين في الصراع مع السلطة الإمبراطورية، و الذي سرعان ما ترجم بحركة الانفصال التي قادها جريجوار.

المحاكمة القضائية التي نظمت بالقسطنطينية سنة 654 :

اتهم القس ماكسيم بالتحريض ضد الامبراطورية، و نظمت محاكمة قضائية بالقسطنطينية، في عهد الامبراطور ....، و تكمن أهمية هذه الحادثة في كونها سمحت بإثارة بعض القضايا الإفريقية، من خلال كتاب relatio motionis الذي كتبه أنستاز أبوكريزيار Anastase Apocrisiaire ، والذي يشرح فيه أطوار محاكمة القس ماكسيم Maxime، و الحوار الذي جرى في المحكمة بين المكلف بالتحقيق sacellaire و هيئة الدفاع، حيث بعض التهم الموجهة للقس تتعلق بفترة وجوده في المقاطعة الإفريقية، و ذلك باستحضار شاهدي عيان للادلاء بشهادتهما في هذه المسائل:

- يبدو أن الشاهد الأول لم يكن إلا المحقق في مسألة الحاكم بطرس Pierre الملقب بإستراتيجوس نوميديا Stratégos . و قد استعرض المؤلف على لسان هذا الشاهد: "

.. مند إثنان و عشرون سنة. أمر جد امبراطورنا المعظم بطرس بجمع جيش و

السير إلى مصر لمهاجمة السراسانيين. كتب لك بطرس، معتقدا أنه متوجه إلى من يخدم الله، واضعا فيك الثقة التي يحظى بها القديسين. طلب منك ما تنصحه بشأن هذه الحملة. فكانت إجابتك با، لا يحرك ساكنا، لأنه لا يتماشى و التصور الإلاهي أى دعم للرومان ما دام هرقل و عائلته على رأس الامبراطورية.."

– أما الشهادة الثانية التي أدلى بها سرجيوس الماغوداسي Sergius Magoudas ، فقد أوردت رؤية للقس ماكسيم، يبدو أنها وجدت ديوعا كبيرا في الأوساط الإفريقية، مفادها أن القس تجلت له المنام : "...**الملائكة من جهتي الشرق و الغرب، فكان الذين برزوا من الشرق ينادون: النصر لقسطنطين العظيم، بينما من هم بالغرب ينادون : النصر لجريجوار العظيم... و في الأخير تغلبت أصوات من هم في الغرب..**"

يسمح هدين النصين بالوقوف على حالة التشنج التي تعرفها الامبراطورية البيزنطية، في منتصف القرن السابع، فرغم طابعهما الدعائي، باعتبارهما كتبا من طرف أحد أتباع القس، بهدف الدفاع عنه، و التشجنيع بالموقف الامبراطوري، وباعتبار طبيعة الشهادتين اللتين يوردهما على لسان المحقق يوحنا Jean، أو سرجيوس Sergius، والتي قد تكون مجرد تهم تلفيقية أرادتها الامبراطورية لهذه الشخصية. فما يهمنا أكثر هو الخلفية الإفريقية لهذه المشكلة، و التي يبدو أن للقس ماكسيم دورا كبيرا في مضاعفاتها، حيث تبرز مثلا:

- شخصية بطرس، التي ظلت محل جدل تاريخي، فهل كان فعلا الاركسرخس الإفريقي أم استراتيجوس نوميديا، كما ينعته المصدر؟
- شخصية جريجوار التي أعلنت الاستقلال و الانفصال عن الامبراطورية أصلا، مما يجعلنا نتحسس ما للخطاب الديني من تأثير على المواقف السياسية، خاصة و أن ذلك قد تزامن ليس فقط مع هذه التهمة الموجهة للقس ماكسيم، لكن أيضا مع سلسلة المجامع الدينية الني أنعقدت في الولايات الإفريقية سنة 646، مجمعة على

رفض هذه النعرة الدينية الجديدة. كما يبدو أنه شارك في المناظرة الدينية التي جمعت بين القس ماكسيم و البطريرق بيرهوس[569].

و بالتالي ففي كلا الأمرين، يتجلى أن القس ماكسيم، رغم أنه لم يكن يحتل منصبا دينيا كبيرا، إلا أن مكانته الدينية قد جعلت لمواقفه و آرائه كبير الأثر على مواقف الهياكل الإدارية الإفريقية، و أن حالة الاضطراب التي أصبحت تعيشها الكنيسة الإفريقية جعلتها تحاول التمسك بالنصوص الشرعية التي أقرتها المجامع الدينية مثل خلقدونية، و لا تجد في مواجهة الخطاب الفلسفي للنص الديني الذي بدأت تتميز به الكنيسة المشرقية، سوى الرفض و التحدي.

إن استعراض مراحل الصراع هذه، يكرس صورة التحدي و المقاومة اللتين ابدتهما المقاطعة الإفريقية تجاه السياسة المركزية للامبراطورية البيزنطية. الأمر الذي يلزمنا على طرح العديد من التساؤلات: ما مكانة الجغرافية في خلق هذه الخصوصية الدينية و هل يمكن اعتبار هذا التحدي دليل على تدهور المستوى الثقافي للقساوسة الأفارقة، مما يفترض سداجة إيمانهم و بساطته؟ أم هو صراع حضاري بين الشرق البيزنطي و ما يحمله من ركام إغريقي و غرب لاتيني يسعى لأن يكون الوريث الشرعي للامبراطورية الرومانية؟

خامسا– الأوضاع الدينية للمجتمع الموري

إذا كانت معارفنا حول التاريخ المسيحي للمقاطعة الإفريقية تظل متوفرة نسبيا، فمجرد محاولة التساؤل عن طبيعة الوجه الآخر لهذه المقاطعة يجعلنا أمام صعوبات جمة، ليس فقط لانعدام المصادر المادية و الأدبية، بل أيضا لتلغم النصوص المتوفرة و اصطباغها بالأحكام السياسية، الأمر الذي يجعل في نظر أغلب هذه المصادر، ممارسة الوثنية والسلوكات الدينية البدائية مواصفات مرادفة لصورالعداء و الاحتقار، التي أشرنا إليها بالنسبة للسكان المور. لقد أبرزنا في فصول سابقة طبيعة الخطاب الصليبي للحملة البيزنطية، لكن إذا كان المور قد شكلوا العدو النمودجي في النصوص الأثرية، فيبدو أن الديانة المورية لم تكن موضوع شحن، مثلما حصل بالنسبة للأريوسية الوندالية

[569] Nicéphore , Brev., Hist. p. 31; Jean de Nikiou, chronique, p. 579-585

وعمليات اضطهاد الكاثوليكيين، بل كثيرا ما تم التعرض للوثنية المورية في إطار الصراع العسكري،كما وردت الإشارة إلى نوع من التحالف مع الوندال أثناء عملية النفي الجماعي للمسيحيين[570]. فقد فضل القديس فيلجانس " **العيش بالقرب من المور على فضاعة الأريوسيين**[571] ".و عموما يمكن تناول الأوضاع الدينية للمور أثناء هذه الفترة من خلال [572]:

الوثنية المورية:

شكلت الديانة الوثنية للمور، الصفة الغالبة على الصور التاريخية التي تركتها مصادر التاريخ القديم، و إذا كانت صورة عبادة المظاهر الطبيعية قد تكرست طيلة هذه الفترة، فقد كانت ايضا المؤثرات المشرقية واضحة في العديد من الممارسات الدينية مند فجر التاريخ، خاصة منها المؤثرات القرطاجية، ولعل الأهمية التي اكتسبتها عبادة ساتورن أو كايليستيس، جعلت المؤرخين بقدرما يعتبرونها امتدإدا لعبادة أمون و تانيت القرطاجيتين، بقدر ما هي نمودج للمقاومة المورية ضد سياسة الرومنة، بإعطاء غطاء خارجي روماني للتسميات الدينية و الحفاظ في نفس الوقت على السلوكات الدينية المحلية. و قد أوضحت الدراسة التي أنجزها لوغلي Leglay أن النصوص الجنائزية التي تكرس هذه العبادة كانت قبل منتصف القرن الثاني قد نقشت من طرف أناس ليسوا بالضرورة من البورجوازية المحلية و لا من العناصر المرومنة فعلا[573]. إلا أن أغلبية مصادرنا حول وثنية المور في نهاية التاريخ القديم، ظلت تقتصر على النصوص الأدبية و بدرجة أخص المسيحية، الأمر الذي يجعل من الصعوبة بمكان التفرقة فيها بين الشهادة التاريخية و المبالغة الخطابية للنصوص الدينية. فكم من مرة أشار القديس أوغسطين إلى وثنية المغرب، من خلال الإشارة إلى الأرزوقيين Arzugis، في الرسالة التي بعث بها إليه أحد الملاكين الكبار بيبليولا Publicola، و التي عبر فيها عن تخوفاته من إنتشار بعض الممارسات الوثنية بإحدى المناطق التي كانت له بها مزارع خاصة[574]. أو من خلال حديثه في المراسلات التي اكتشفها دلبو، بتأكيده على ضرورة محاربة عبادة التماثيل، أو عبادة الاباطرة[575]. وقد وصف كودفلتدوس*Quodvultdeus* معبد كايليستيس Caelestis بقرطاج : " ...**كان**

---

[570] Victor de vita, Hist. Pers. Afr., II,26,II,8, p.133 Victor de Tonnuna, Chronica, dans MGH,a,T.XI, p89

[571] Vita Fulgentii ,V et ss., ed.G.G.Lapeyere, pp33 -45

[572] أنظر الفصل المتعلق بالتركيبة الاجتماعية للمور، أين حاولنا معالجة موع الديانة المورية من زاوية أخرى

[573] M.le Glay, Saturne africains,Histoire,Paris,1966

[574] Saint. Augustin, Lettre, 46,1-5,éd. A.Goldbacher, CSEL, T.34,2, Vienne,1898, p.123 et 125-126

[575] Lepelley, aspects de l'Afrique romaine, p. 377-390

بها معبد ضخم للغاية، تحيط به أضاحي لكل الألهة، و تغطي أرضية الساحة المحيطة به فسيفساء، و أعمدة و جدران راقية، على أكثر من ماءة قدم. و قد كان موصدا مند فترة، وأصبح عرضة للأعشاب و الأشواك، إلا أنه عندما أراد الشعب المسيحي تحويله للديانة الحقيقية، اعترض الوثنيون و أشاعوا أن بداخله تنين و ثعابين تحمي هذا المعبد..."، كما أشار في موضع أخر بأن سكان منطقة الأباريتاني، التي نعرفها بفضل فيكتور الفيتي، يخرجون تماثسل الآلهة المخفية في المغارات من طرف الوثنيين خشية تحطيمها.."[576]. وهي نفس الصورة التي نعثر عليها عند تفحص سنيسيوس القريني Synésios de Cyréne، حيث سجل في بداية القرن الخامس :"..**حرق البربر الكنائس و أصبحت الأن في خراب...وأخدوا منها الأدوات الثمينة ليقدموها قرابين لآلهتهم...**"[577]. كما اعتبر بروكوب واحة أوجيلا بمثابة أحد المناطق التي استمرت بها الديانة الوثنية، حيث أكد في كتاب المنجزات بعد وصفه مدينة برقة أنه: "... **توجد مدينتين تحملان نفس الإسم، كل واحدة منها تدعى أوجيلا، كانتا بعيدتين عن برقة Borcium حوالي أربعة أيام سير بالنسبة لمسافرين غير مثقلين بالبضائع، وذلك بإتجاه الجنوب. وكانتا كلتيهما بمثابة مدينتين حقيقيتين، حافظ سكانهما على تقاليدهم القديمة، حيث كانوا جميعهم يمارسون الديانة الوثنية حتى وقتنا الحاضر، وكان هنا أيضا منذ زمن بعيد، مجموعة من التماثيل المقامة للإله آمون، وإسكندر المقدوني، كما كان الأهالي يقدمون لها القرابين حتى عهد جستنيان، و أيضا كان بها عدد كبير من الذين يدعون بالأتباع...**"[578].

و بالتالي فبفضل موقعها، تكون هذه المدينة قد ظلت بعيدة عن السيطرة الرومانية، بل مركزا هاما للقبائل الطربلسية على الأقل ابتداء من القرن الرابع، كما تكون بفضل معالمها الدينية هذه، نقطة وصل بين سكان الناسمون Nasamons و قبائل لواته وهوارة (Ilaguas, Avsturiani)[579]. و إذا كانت القبائل الطرابلسية وثنية تعبد الإله آمون Ammon ، فيبدو أن جذور ذلك تعود إلى أعماق تاريخ المغرب القديم، فقد ظل الإله الأكبر لسكان هذه المناطق التي سميت بالناسمون Nasamons ، إلى درجة إقتراح العديد

[576] *Quodvultdeus*, Livre des promesses et des prédictions de dieu, III,XXXVIII, p. 44-45, II, S.C, N°102, p. 574-579.
[577] Synécios de Cyréne,Catastase II,éd.N.Terzaghi,Rome,1944,p 290 ; cf. D.Roques, Synésios de Cyréne et la Curénaique du Bas-Empire, Paris, 1987, p.279-284
[578] Procope, de Aed., VI, 2,14,18 .
[579] R. Rebuffat, Routes d'Egypte de la libye interieure, dans Studii Maghrebini, III, 1970, p6-7 .Idem, les Fermiers du desert, dans l'Africa Romana, 5,Atti del V convegno di studi ، Sassari, 1987,N°94, p59

من الباحثين قراءة مغربية تجعل منهم "ناس آمون" أو " أبناء آمون"[580]. وإذا كان لهذا الإله جذور تاريخية بهذه الأقاليم، فإن الإله غرزيل Ghurzil قد وصفه كوربوس على أنه إبن لآمون: "...**لقد ذكرت هذه القبائل أن والد [غرزيل هذا] هو آمون الذي يحمل القرون، وأن والدته هي بقرة متوحشة...**"[581]

وعموما فيبدو أن عبادة الإلهين قد ظلت قائمة جنبا إلى جنب في أوساط هذه القبائل الطرابلسية. كما يفترض أن يكون إلاه غرزيل Gurzil مجسدا في أحد الأصنام التي تحدث عنها بروكوب.في حين إقترح الباحث البريطاني Mattingly من خلال إكتشافاته الأثرية بموقع غيرزة Ghirza، أن تكون هي الأخرى عاصمة دينية لهذا للاله إبتداءا من القرن 4م، حيث عثر بها على نقائش تمثل طقوس دينية قدمت الثيران كقرابين[582]. إلى جانب نقيشة تشير بدورها إلى ذبح 51 ثورا و 39 عنزة كقرابين بمناسبة إحتفال ديني[583]، كما عثر على معبد وثني كبير، يحتوي على عدد من التماثيل. هذا إلى جانب أثار النيران التي تحملها بقايا هذا الموقع الأثري، و التي تم تأريخها بمنتصف القرن 6م، مما جعل نفس الباحث يحاول تفسير ذلك في ضوء الهزيمة التي تعرضت لها قبائل لواته Ilaguas سنة 548على يد القائد البيزنطي جون تروجيتاJ.Troglita .

وقد نجد في نص للبكري، تأكيدا على هذه العلاقة بين إلاه غرزيل Gurzil و موقع غيرزة Ghirza، و ذلك في وصفه للطريق الرابط بين طرابلس ووادان. " **و أوجلة قرى كثيرة فيها نخل و شجر كثير وفواكه... ومن سلك من طرابلس إلى ودان فإنه يسير في بلد هوارة نحو الجنوب في قياطن و بيوت شعر و هناك مرئيات و منازل إلى قصر إبن ميمون و ذلك كله من عمل أطرابلس ثم من قصر إبن ميمون ثلاثة أيام الى صنم من حجارة مبني على ربوة يسمى كرزة [غيرزة] و من حواليه من قبائل البربر يقربون له القرابين و يستشفون به من أدوايهم و يتبركون به في أموالهم إلى اليوم...**"[584].

[580] J.Desanges, Commentaire de Pline l'ancien, V, 33, p.
[581] Corippe, Joh., II, 110-120. V,25
[582] D.J. Mattingly, Libyan and the limes, dans Ant. Afr.,23, 1987, pp 89-90
[583] O.Brogan et D.J.Smith, Ghirza, Tripoli,1985, p.62 : (...) exhibuit sacrificia (p)arentaliorum tauros n LI quiquaginta e(t unum) capros (n) (XX) XVIII tri(ginta) (o)to.
[584] أبو عبيد البكري، المسالك و الممالك، ص:

اليهودية المورية:

شكلت الكاهنة و قبيلة جراوة موضوع جدل كبير، حول امكانية إنتمائها لليهودية، استنإذا لنص إبن خلدون، و الذي كثيرا ما حمل أكثر من طاقته: "...**كذلك ربما كان بعض هؤلاء البربر دانوا بدين اليهودية أخذوه عن بني إسرائيل عند إستفحال ملكهم، لقرب الشام و سلطانه منهم كما كان جراوة أهل جبل أوراس قبيلة الكاهنة مقتولة العرب لأول الفتح** ". و قد أوضح الأستاذ محمد طالبي، بأن النص يحدثنا في حقيقة الأمر عن إمكانية أو إحتمال إعتناق مجموعة من القبائل البربرية للديانة اليهودية لكن في زمن بني إسرائيل، لأنه سرعان ما يكمل الفقرة بالنسبة لفترة ما قبل الإسلام "..**فكان البربر بإفريقية و المغرب قبل الإسلام تحت ملك الفرنج و على دين النصرانية الذي إجتمعوا عليه مع الروم**..". كما إعتبر طالبي أن قبيلة جراوة من المحتمل جدا أن تكون مسيحية خاصة و أن زناتة، القبيلة الأم قد ناصرت البطريق جريجوار Patrice Gregoire في بداية الفتوحات الإسلامية. و إذا كانت المصادر العربية تبرزها أثناء صراعها مع حسان إبن النعمان تحمل تمثالا ضخما من الخشب على ظهر أحد الجمال، فإن هذه الإشارة من شأنها أن تبرز إستمرار الطقوس الوثنية جنبا إلى خنب مع الديانة المسيحية – أليست هي نفس الطقوس التي مارسها الأمير يارنا Ierna عندما كان يحمل تمثال الإله غرزيل Gurzil على ظهر جمل إلى أرض المعركة – الأمر الذي يجعل من الصعوبة توظيف النص الخلدوني لحسم الجدل، و توجيه الأنظار و محاولة تجاوز الاجترار.....

المسيحية المورية:

تسمح العديد من النصوص بالوقوف على أن المسيحية لم تكن حكرا على الأفارقة المرومنين، أو سكان المدن. و لعل قوائم الأبرشيات المكتشفة في المناطق الريفية لتأكيد لقابلية انفتاح هذه الأخيرة على المور أو الأهالي بصورة عامة، رغم أن تسميات الأشخاص و المواقع، لا تسمح باستخراج الموري منها. و لعل نقيشة أريس التي يؤكد فيها صاحبها ماستياس أن الله قد باركه في أعماله، وكان بجانبه دوما في إنجازاته، لنمودج لهذه الخلفية المسيحية التي كان يرتكز عليها هذا الملك، فضلا عن وجود الصليب ضمن النقيشة، في صورتها الأولى[585]. كما تسمح النقائش المكتشفة لمنطقة أولاد ميمون، بتكريس هذه الصورة المسيحية أيضا، على الأقل للمجتمع الحضري، بالرغم من أن

---

[585] P.Morizot, pour une nouvelle lecture de Masties ;AA ,25,1989,p.263-284 ; J.Desanges, A propos de Masties imperator bérbère e chrétien, dans Ktéma,21 ,1996,p.183-188

الاحتلال البيزنطي لم يتجاوز المنطقة السطائفية، إلا في بعض المناطق الساحلية ، وبالتالي فان العدد الكبير من النقائش الجنائزية المسيحية ، تدعوا للتساؤل عن مصدر هذه التركيبة البشرية و سر استمرار تقاليدها الرومانية، في زمن غابت فيه الإدارة المركزية كلية[586]. و قد استخلصت الدراسات التي أنجزت بمنطقة الجدار فرضية الثقافة المسيحية التي تميز بها بناة هذه الأضرحة، أو بعضها على الأقل. [587]

وبالتالي فرغم غياب الأسماء المورية من قوائم القساوسة و الأبرشيات التي شاركت في المجامع الدينية، أو حتى أي ذكر للمور في مشاريع الكنيسة الإفريقية، تظل قناعة أغلبية الباحثين بان عددا كبيرا من القبائل كانت تدين بالديانة المسيحية. فالعديد من المصادر تسمح بافتراض أن الكنيسة قد استغلت فترات الأمن و السلام للقيام بدورها التبشيري، فقد علق بروكوب أن المور بالطرابلسية بدأوا يدخلون المسيحية بفضل جهود جستنيان[588]. كما اعتبر جون دي بيكلار أن قبائل الغرامانت بالفزان فضلا عن كونهم قد تحالفوا مع الرومان فقد دخلوا في نفس الوقت في المسيحية[589]، كما علق على قبائل الماكوريتاي بأنهم بعثوا كعربون صداقتهم للامبراطور البيزنطي جستين الثاني، وفدا يحمل أنياب الفيلة و زرافة[590]. و إذا كانت مراسلات القديس جريجوار لا تتطرق لتسميات القبائل المورية، فكثيرا ما اعتبر شكره للحاكم غيناديوس على مجهوداته لنشر المسيحية بالموازاة مع بسط النفود الامبراطوري، بمثابة تأكيد على حركة التبشير التي كانت تشجعها السلطة الامبراطورية و تقوم بها الكنيسة طبعا[591]. و هو ما نتحسسه من المصادرالاسلامية بعد الفتوحات[592].

وقد نخلص من خلال هذا العرض إلى تأكيد حالة الاضطراب الديني الموجودة في بلاد المغرب، من جهة، ضمن هذه الثنائية أو الإزدواجية الدينية، بإقرار توازي كل من المسيحية التوحيدية والديانة الوثنية المحلية، ومن جهة أخرى بالوقوف على درجة الاختلاف والتنوع في كل ديانة، بتعدد المذاهب و النعرات المسيحية، أو الطقوس

[586] J.M. Jaubert, Les Inscriptions d'Altava, publication des annales de la faculté des lettres, Aix en Provence, N° 65, 1968
[587] R. De la Blanchere, dans Archives des Missions, III s,T. X.1883, p.1-131. Kadra, les Djeddars, Alger, 1983.
[588] Procope, de Aedificis,VI,4,12
[589] J. De Biclar, Chronique dans MGH.AA,T,XI, p 212, cf A,Di Vita, la diffisione des cristianesimo nell'interno della Tripolitania... dans Quaderni di Archeologia delle Libia,5,1967,p.121-142
[590] J.de Biclar, année 573
[591] Greg. le Grand. Lettres.1,73
[592] نفهم من اليعقوبي أن الروم ظلوا موجودين بكل من طبنة و بغاي

والسلوكات الوثنية، دون أن ننسى ما للواقع الاجتماعي والاقتصادي من تأثير على الهدوء والاستقرار الدينيين. و لعل تقمص الكنيسة الإفريقية لمكانة طبقة الملاكين، جعلها تقصي من دائرة اهتماماتها، أو مشاريعها التبشيرية العنصر الموري، و تسلط أنظارها أكثر على الموروث العمراني ، إلى جانب صراعاتها من أجل انتزاع أولويتها في إفريقيا.

الأوضاع المادية

تظل المصادر المادية والأدبية، بعيدة من أن تسمح لنا بإضاءة صورة الأوضاع الاقتصادية لبلاد المغرب، ولعل ذلك ما جعل أطروحات الباحثين تتأرجح بين من اعتبر أن فترة الاحتلال البيزنطي، لم تكن سوى استمرار لحالة التقهقر التي عرفتها الإمبراطورية الرومانية، والتي تكون قد تفاقمت بحكم تراكم ظاهرة الجمود خلال المائة سنة الوندالية. وبين من اعتبرها تمثل شكلا من أشكال الانتعاش لم تشهده روما نفسها، وهذا لطبيعة المنطقة وما تتوفر عليه من خيرات طبيعية وإمكانيات مادية. ورغم أن الخوض في هذا الجدل التاريخي يتطلب قرائن جديدة، خاصة في المجال الأثري، قد تسمح بتجديد الطروحات أو السير بها نحو قناعات أكثر موضوعية، وهو ما نفتقده في بلدنا إلى حد الآن، فإن محاولة ترتيب أوراق هذا الملف و مصادره قد تسمح بالوقوف على خصوصيات هذا الموضوع.

المصادر:

تحفظ النصوص التاريخية مكانة المقاطعة الإفريقية في الحياة الاقتصادية للإمبراطورية الرومانية، لاسيما عند الحديث عن الأنونا، فقد سجل لنا مثلا المؤرخ كلوديان Claudien أوضاع العاصمة الإمبراطورية أثناء ثورة قيلدون Gildon، وموقفه المتمثل في إيقاف إمداد روما بالقمح سنة397[593]، كما تجلت من نصوص سيماك Symmaque، نفس الصورة التي تؤكد ارتباط روما بالإنتاج الفلاحي الإفريقي[594]. ولعل قراءة عمودية للأحداث تؤكد بدورها استمرار هذه التبعية الاقتصادية، ففي سنة 410 قام الكونت هرقليانوس Heraclianus بإيقاف إمداد روما بالقمح، لإفشال مشروع ألآريك Alaric ومحاولة إجباره على التراجع عن روما، وهو ما تسبب في مجاعة بالمدينة[595]. ومهما كانت اختلافات المؤرخين حول صحة أو درجة تأثير الأنونا على واقع مدينة روما، باعتبار أن المقاطعة المصرية وصقلية كانتا هي الأخرتين تصدران حبوبهما نحو روما، فلا يمكن نفي الرفاهية الفلاحية الإفريقية واعتبارها مجرد مبالغة في المصادر الأدبية، وذلك بالنظر إلى

[593] Claudien, La Guerre contre Gildon,17-37, p.123-124.
و في الطبعة المترجمة ل Olechowska, p136 ، نجده يؤكد في ترجمته لهذه الأبيات على حركة التمرد التي أعلنها قيلدون، أنظر ايضا الأبيات: 241-252

[594] Symmaque, Lettres, II, 7, 3 ; IV, 5,Trad. J.P.Callu, Tome I,II, Paris,1972,1982.

[595] Zosime, Histoire nouvelle, V,37,6 ;VI,8,3 ; Cf, Chastagnol, la prefecture urbaine à Rome sous le Bas-Empire, Paris, 1960, pp. 264-265

الشواهد الأخرى التي تدعم هذا الطرح[596]. فقد نتحسس هذه الصورة الايجابية في نصوص القديس فليجانس[597] St Fulgence de Ruspe، مثلما تبرز في حنين كوادفيلتودس القرطاجي Quodvulteudus الذي كان يصفها بالمدن العظيمة " splendissimae civitates" وذلك في بداية القرن الخامس ميلادي[598].

كما أوضح بروكوب أن بلاد المغرب كانت عشية الاحتلال البيزنطي :" **من أغنى المناطق، تنتج بكميات كبيرة كل أنواع الخيرات التي تتطلبها الحياة"[599]**، فتحدث عن السكان الذين كانوا يقطنون المناطق الجبلية" **ويقومون بإصلاح الأراضي."[600]** وهو ما يتجلى من خلال حديثه عن أحد القصور والتي أوردها باسم قلعة غراسي Grassé بين حيدرة وقرطاج، حيث أورد أنها كانت تتميز بـــ" **الينابيع المائية التي تسقي حقولا واسعة، وبالأشجار المثمرة على مساحة واسعة تكفي لأن يخيم كل جندي من الجيش البيزنطي تحت شجرة مستقلة (عدد الجند)، وبالخيرات الكثيرة التي رغم ما استهلكه الجند ظلت على حالها"[601]**.

وفي حديثه عن منطقة الأوراس، أكد بروكوب ثانية على هذه الرفاهية الزراعية وذلك بوصف نمط استغلال الأرض بسهول بادس، والتي تفق فيها مع كوريبوس على إنتاجها لمحصولين في السنة، فضلا عن حرارتها، إلى جانب الإشارة بأن منتجات هذا الإقليم تعتبر مضاعفة بالنسبة لبقية المناطق الليبية. هذا فضلا عن السهول الخصبة الممتدة شرق تيمقاد والتي رأى القائد البيزنطي سولومون ضرورة حرقها قبل بداية حصار الأوراس. فضلا عن وفرة الفواكه والبساتين بكثرة. كما ورد الحديث أيضا عن سهول أبيقاس Abigas المروية، وطريقة التحكم في قنوات الري، بشكل لا يدع مجالا للتردد بأن سكان هذه المنطقة قد توارثوا هذه التقنية عبر أجيال، ولعلها التقنية المعروفة في الفترة الرومانية من خلال نقيشة لامازبا Lamasba الشهيرة والتي لا زالت مستمرة على شكل " الفوقارة".

أما كوريبوس ففي حديثه عن تحرك الجيش البيزنطي ذكر: "**كان الجيش يسير عبر ظلال الأشجار الكبيرة، ورغم حرارة وحدة الشمس لم ينله أي إرهاق**"[602]، كما تحدث

---

[596] تشكل المصادر المادية، سواء كانت المعالم الأثرية أو النصوص الإشهارية التي نقشت في مراحل متأخرة من القرن الرابع، قاعدة هامة للتأكيد على عدم تأثر إفريقيا المباشر بأزمة القرن الثالث، إلا أن المشكلة التي تواجهنا، هي إلى أي حد يمكن الاستشهاد بهذه النصوص في دراستنا للفترات المتأخرة من التاريخ القديم؟

[597] Vita fulgentii, éd.Trad. G.Lapeyere, Paris,1932, chap 17 et 28

[598] Quodvulteudus, Sermo II de tempore barbarico, V, 4, t. LX, p. 476-477

[599] Ch.Diehl,Afr.Byz. 400-401

[600] Procope,B.V.p 106 ;423,ch.Diehl,Afr.Byz. p 401

[601] Procope,B.V, I,17,8-10

[602] Corippus, Joh.,III ,23-27.

كثيرا عن "**بساتين الزيتون الكثيفة التي كانت تغطي الأراضي الإفريقية**"[603] و عن سنوات النعيم التي كان يشير إليها بحنين بالمقارنة مع فترة الصراع التي كان يتحدث عنها[604].

إن مجرد استعراض هذه النصوص التي تعود إلى القرن السادس، يجعلنا ننظر إلى مصادر الفتوح بأنها ليست غريبة ولا بعيدة عن الحقيقة المغربية مثلما اعتبرها العديد من الباحثين، بل تعكس دوما هذه الصورة الزراعية لحقول القمح والحبوب وبساتين الزيتون والفواكه المتعددة والمتنوعة، فضلا عن الأشجار الكثيفة التي تلطف من حدة حرارة الشمس، وهو ما لا يتنافى وطبيعة مناخ بلاد المغرب. ولعل استعراضا بسيطا للمادة الخبرية التي احتوتها هذه المصادر العربية، في المجال الاقتصادي خاصة، يسمح باستكمال الصورة حول الأوضاع المادية لبلاد المغرب، وهذا دوما في انتظار مباشرة الحفريات في مواقع كثيرة، مثل ما حدث في حيدرة، سبيطلة أو قرطاج. فأغلبية النصوص العربية تحدثت عن حجم الغنائم التي تحصلت عليها الجيوش الإسلامية خلال مرحلة الفتوح الأولى، أما طبيعة الغنائم، فقد كانت: العبيد، الحيوانات خاصة، الخيل والجمال، الذهب والحلي، فضلا عن كميات كبيرة من النقود الذهبية والفضية. و هو أمر لن يتأتى لو لم يكن هناك الحد الأدنى من الثراء.

[603] Corippus,Joh.III, 29-34 ;II,201-203
[604] Corippus, Joh.,III,289-290. Ch.Diehl,Afr.Byz.p396

طبيعة الغنائم	الكمية	التاريخ	الشخصية	الحدث و المكان
جزية بالعملة بالدينار، فرضت على قبيلة لواتة	13000 دينار	643	عمر بن العاص	فتح برقة بقرينة[605]
ذهب	300 قنطار	647	عبد الله بن سعد	معركة صبيطلة[606]
عملة	-إخراج الخمس - 3000 دينار للفارس (2000 للفرس و1000 لفارسه)		عبد الله بن سعد	معركة صبيطلة[607]
عملة	2500000 دينار	بعد 647	عبد الله بن سعد	مصالحة أهل إفريقية[608]
عملة	ما يعادل 200 للجندي و 300 للفارس	665ـــ666	معاوية بن حديج	جلولة[609]
عملة	100000 دينار دهبي	682		وصول عقبة وخلافته لأبو المهاجر دينار[610]
	80 000 دينار دهبي	696 ـــ697	حسان بن نعمان	مغادرته إفريقيا[611]
دينار	وصل مبلغ 20000 دينار ذهبي، نصيب بيت المال بدمشق، بعد الاقتطاع	710 و715	بسر بن أرطأه	فتح مجانة[612]

[605] ابن عبد الحكم، فتوح مصر و المغرب، تحقيق د. على محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية،1995، ص 197، البلاذري، فتوح البلدان éd. M.J.Goeje, Publications of the Institute for the History of Arabic-Islamic Science, Islamic geography,Vol.42, 1992، ص. 223 ، ابن عبد الحكم، فتوح مصر و المغرب، تحقيق د. على محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية،1995، ص 197

[606] البلاذري، فتوح البلدان ، ص. 227، النويري، نهاية الأرب في فنون **الأدب**، في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، تحقيق وتعليق د. مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء ،1984....ص؟ ابن عذاري، البيان، ص12؟،

[607] ابن عبد الحكم، فتوح مصر و المغرب، ص 211

[608] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار بيروت للطباعة، 1982، ج 3، ص 91

[609] ابن عبد الحكم، فتوح مصر و المغرب، ص 221،

[610] المالكي، رياض النفوس، ص7، الدباغ، معالم الإيمان، ج1،ص 43، أنظر : حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، ص 179، حيث يعتبرها رواية مبالغ فيها

[611] الواقدي، فتوح إفريقيا، تحقيق التيجاني محمدي،1966،جَ1،ص 175

[612] الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية و المغرب، تحقيق و تقديم المنجي الكعبي، تونس، ص 70-71: " بعث بالخمس إلى موسى بن نصير، وبعث موسى الخمس إلى الوليد فكانت قيمة ذلك الخمس عشرين ألف دينار"

إلا أن أسئلة كثيرة تظل مطروحة عن مصدر هذه الثروة؟ ومدى ارتباطها بمعطائية الأرض؟ وهل ظل النظام الزراعي قائما مثلما كان معروفا في الفترة الرومانية وما طبيعة الملكيات وأنماط استغلالها؟ ما مساحة الضياع الزراعية وما هو هيكلها القانوني؟ وهل يمكن تعميم هذه الرفاهية التي تحدثت عنها المصادر الأدبية على كامل بلاد المغرب، أم أنها تظل مجرد خصوصيات إقليمية يعود فيها الفضل لوفرة العوامل الطبيعية أكثر من أنماط الاستغلال؟ دون الوصول إلى إجابات موثقة، ومع ذلك فسنحاول معالجة الموضوع من خلال الندر القليل من المصادر المتوفرة.

التشريعات الإمبراطورية :قوانين جستنيان :

تسمح التشريعات التي أصدرها الإمبراطور جستنيان بالوقوف على مكانة الملكيات الزراعية والعقارية في حركية التطور التي يفترض أنها صاحبت الانتصار العسكري، حيث سرعان ما تجلى هاجس التملك والتحكم في المصادر الاقتصادية[613]. وتتجلى هذه الأهمية في مراحل معالجة موضوع استرجاع الأملاك المصادرة من طرف الوندال، سواء كانت الكنسية أو العقارية، ويمكن الحديث عن ثلاثة قوانين متتالية فيما بين 534-536 :

- **القانون الأول:** يفترض أنه صدر في بداية سنة 534، رغم ضياع نصه الأصلي، إلا أن الإشارة الواضحة له في النص القانوني الثاني الذي يسمى " novelle36" والصادر في 1 جانفي 535، تسمح باستنباط محتواه[614]: **"إلى سولومون، بطريق بطريرقية إفريقيا....مؤخرا بإفريقيتنا التي أخضعها الله بفضل صلواتنا للإمبراطورية الرومانية، أصدرنا قانونا مقدسا، يسمح لكل الذين فقدوا ممتلكاتهم بدون إرادتهم، خلال الفترة الوندالية، يمكن لهم انتزاعها من الذين يمتلكونها بدون حق وتملكها بأنفسهم، وقد قررنا بأن يكون ذلك في أجل أقصاه خمسة سنوات.."[615]** ونفهم من هذا التذكير الذي قصده الإمبراطور، أن النص القانوني الذي يشير إليه، قد يكون مصاحبا للنصين المعروفين بإعادة

[613] بالنسبة لدورليا، لم تطرح هذه الإشكالية باعتبار أن مصادرة الأملاك خلال الفترة الوندالية لم تكن إلا شكلية، على أساس أن الوندال قد اقتطعوا حق جباية الضرائب لصالح الجيش على هذه الأراضي دون تملكها حقيقة. ولم تتجاوز إصلاحات جستنيان مجرد استرجاع الإمبراطورية حق الضرائب إلى الخزينة العامة

[614] S.Puliatti, Ricerche Sulla legislazione »Régionale »di Giustiniano...p.

[615] Novelle XXXVI. ed.schoell et Kroll.1895, .p243.

تنظيم المقاطعة الإفريقية، وبالفعل لا غرابة أن نتوقع ذلك، خاصة وأن من بين أهم الحجج التي وظفتها الإمبراطورية البيزنطية لمحاربة الوندال، هي تخليص الأفارقة من نير و ظلم الوندال، فضلا عن الحملة التي قامت بها الكنيسة بضرورة التحرك لتحرير الكنيسة واسترجاع أملاكها. ورغم أن إشكالية طبيعة وحجم الأراضي المصادرة لا زالت محل جدل، فيفترض أن الطبقة العقارية بما في ذلك رجال الكنيسة أصبحوا على أهبة استرجاع ممتلكاتهم، وأن هذه الأراضي ظلت منتجة ومصدر ثراء.

- النص القانوني الثاني هو التعليمة 36 الشهيرة، والتي لم تغير من الأمر إلا القليل، باعتباره أقر نفس المبدأ المتمثل في حق المطالبة بالحقوق العقارية وبقية الممتلكات، إلا أنه حدد آجالا جديدة، بدلا من خمسة سنوات، فقد أصبحت تقتصر على حقوق ملكية الأباء والأجداد لا غير: "**إننا نريد الحفاظ على قوة هذا القانون، لكن حسب توجيهات معينة وحدود مضبوطة، حتى لا يسمح للأفارقة، بعد كل هذه السنوات التي مضت، بإعادة إحياء أحقاد قديمة، وقضايا تكاد تكون قد نسيت، وبإحداث اضطرابات مدنية لهذا السلم. لهذا نقرر بفضل هذا القانون، أنه إذا ادعى أي كان أن هذه الأملاك، كانت ملكه أو ملك والده أو جده، بينما يمتلكها الآن آخرون بطريقة غير شرعية منافية لقوانيننا، فيمكن لهم استرجاعها، و دلك بتقديم الأدلة المتعارف عيها قانونا، إما بتقديم العقود القانونية، أو بتقديم شهود عدل يوافق عليهم القاضي. يمكن بعدها مباشرة محاكمة قضائية. و نقرر أن تطبيق هذه القوانين يمتد فقط إلى الآباء والأجداد، و ليس إلى درجة أعلى.**"[616]

قد يبدو هذا التحديد غريبا، في ظرف قصير من عمر السياسة البيزنطية ببلاد المغرب، إلا أنه يمكن قراءته في ضوء الاضطرابات التي أشار إليها بروكوب[617]، والصعوبات التي أفرزتها مراحل معالجة هذا الموضوع، خاصة و أن القوانين الأولى لم تكن مبنية على معرفة حقيقية لواقع بلاد المغرب[618]. كما يمكن إضافة فرضية أخرى، أشار إليها موديران Moderan، وهي رغبة الإمبراطور في الاستيلاء على هذه الممتلكات أصلا، من خلال ضغط قائمة المستفيدين من عمليات الاسترجاع و حصرها في فترة محدودة[619]. وهو

[616] Novelle XXXVI. ed.schoell et Kroll.1895, .p243-244.
[617] Procope,B.V. II,8,9-22
[618] تعرضنا لهذه الفكرة في الفصل الخاص بالأوضاع الاجتماعية
[619] Y. Moderan, l'établissement territorial des vandales en Afrique, p 114

ما أكده أيضا بروكوب في كتابه التاريخ السري متهما جستنيان بأنه استولى على أملاك المدن لصالح الخزينة وأن الإمبراطور قد حول مداخيل المدن لصالح رواتب الجند[620]. " **كان ذلك في السنة العاشرة من حكم جستنيان، في بداية الربيع و في الفترة التي يحتفل فيها المسيحيون بعيد الفصح، اندلعت ثورة في ليبيا والتي سوف أسرد مصدرها ونتائجها. على إثر انهزام الوندال، مثلما استعرضته سابقا، استولى الجنود الرومان على أبنائهم و نسائهم و تزوجوهن، فقامت كل واحدة منهن بتشجيع زوجها للحفاظ على الممتلكات والأراضي التي كانت في حوزتهن، حيث كن يعتبرن أنه من غير المعقول و لا المنطقي، بعدما تمتعن بهذه الأراضي خلال الفترة الوندالية أن تحرمن منها، بينما أصبحن زوجات الجنود المنتصرين. و بسبب هذه الأفكار أصبح الجنود الرومان يعتقدون أنه من غير الضروري تسليم هذه الممتلكات الوندالية لسولومون. فقد كان هذا الأخير يحاول تسجيلها ضمن ممتلكات العائلة الإمبراطورية، وحسبه أنه إذا كان من الطبيعي أن يكون العبيد و بعض النفائس من غنائم الجند، فيجب أن تظل الأرض ملكا للإمبراطور الروماني**....."[621]. وبالفعل يبدو أن السياسة الإمبراطورية، سرعان ما أيقنت أن التشريعات التي صدرت في هذا الاتجاه قد فتحت أبوابا كثيرة للاحتجاجات والفوضى في أوساط المجتمع، فمن دون شك قد أصبحت المحاكم تغص بالقضايا، وهو الأمر الذي كرسته بعض النصوص التشريعية التي صدرت لاحقا، فمثلا ورد في ملحقات المراسيم التشريعية جستنيان مرسومين موجهين إلى إفريقيا يدعمان هذا الطرح:

النص الأول صدر بتاريخ 6سبتمبر552 : "الإمبراطور فلافيوس جستنيان..... إلى بول، حاكم بطريقية إفريقيا، لقد فكرنا بعناية قصد مراسلة فخامتكم بأنه لا يمكن لأي معمر هاجر ضياعه خلال الفترة الوندالية، وأصبح من المواطنين الأحرار، أن يعاد من جديد و يخضع لوضعية المعمرين. فرغبتنا أن يظلوا مثلما عاشوا في الفترة الوندالية. إلا أننا نأمر بإجبار استرجاع كل من يحاول مستقبلا مهاجرة أراضيهم و الانتقال إلى أخرى..."[622]

يعتمد هدا الباحث على نص لبروكوب حاول فيه التأكيد على أن حركة التمرد التي شارك فيها العناصر المتبقية من الجيش الوندالي تعود أهم أسبابها إلى هده المرحلة من التأميمات الإمبراطورية

[620] Procope, H.A. 26,6-11

[621] Procope, B.V.II,14,6-11

[622] Corpus juris civilis, III, Novelle,IX Appendix novellarum Justiniani, ed.schoell et Kroll.1895, .p.799.

النص الثاني 22 سبتمبر 558 : "الإمبراطور فلافيوس جستنيان..... إلى جون، حاكم بطريرقية إفريقيا، علمنا أن في المقاطعة الأفريقية، هناك من لم ينتظر قوانيننا حول إمكانية المطالبة باسترجاع المعمرين، ولا زالوا يصيرون على تقديم القضايا للمحاكم، للمطالبة بالمعمرين أو الفلاحين، أو أبناءهم، من الدين قد هاجروا ضياعهم قبل وصول جيشنا......و نعلم أننا أصدرنا بصدد الموضوع قوانينا مقدسة، نحدد فيها فترة تقديم الاحتجاجات للمطالبة بالفلاحين. ونأمر بأن توقف فخامتكم هذه الشكاوي غير المؤسسة في الأراضي الإفريقية، فإننا لا نسمح بمتابعة المعمرين عن طريق العدالة، سواء كان الأمر بالنسبة للرجال أو النساء، أو حتى أبناءهم، إلا ابتداء من الفترة التي، كما ذكرنا، تمكن فيها جيشنا المبارك، بفضل الله، من ضم إفريقيا لإمبراطوريتنا...."[623]

وتتجلى من هدين النصين خصوصية المقاطعة الإفريقية، بالنسبة لعودة الملاكين الكبار وإصرارهم على استرجاع ممتلكاهم، واستغلالها وفقا للعرف والقانون المعمول به منذ الفترة الرومانية، مثل إصرارهم على استرجاع هيمنتهم وامتيازاتهم الاجتماعية، ودلك بتمسكهم بحق استرجاع المعمرين والفلاحين الذين كانوا في حوزتهم، قبل فترة الاحتلال الوندالي. لكن تبدو أيضا رغبة الإمبراطور في الحفاظ على التوزيع الاقتصادي والاجتماعي الجديد، أو على الأقل في عدم مجارات الطبقة الأرستقراطية في تنفيذ كل مطالبها، وحماية طبقة المعمرين من المتابعات القضائية.

يضاف إلى ذلك سياسة التأميم التي يبدو أنه مارسها، بوضع حد للفترة الزمنية المرجعية التي يمكن الاستناد إليها للمطالبة بالحقوق العقارية، مما يفترض أن ضياعا كثيرة، قد دخلت في حوزة الخزينة العامة، وأن عددا كبيرا من الملاكين الكبار لم يتمكنوا من استرجاع نفوذهم و ممتلكاهم. فهل يمكن أن نتصور أن هؤلاء المعمرين الذين استفادوا من حماية جستنيان هم نفس اليد العاملة الفلاحية المستقرة في هذه الأملاك الإمبراطورية الجديدة؟ مما يجعلنا نفترض أن كل هذه التشريعات ما هي إلا مراوغات للهيمنة الامبراطورية على مصادر الثروة، و بالتالي دخول هذه الأخيرة في صراع حقيقي مع طبقة الملاكين الحقيقين و التراجع عن كل الشعارات المعلنة في بداية الحملة البيزنطية.

623 Corpus juris civilis, III, Novelle,IX Appendix novellarum Justiniani, ed.schoell et Kroll.1895, .p.803

كما يبدو أن جستنيان قد أصدر بعض النصوص قصد ضبط قواعد جباية الضرائب وهو ما يشير إليه بروكوب في كتابه السري:[624] " **بعث جستنيان مباشرة مفتشين للأراضي، محددا ضرائب أثقل من التي كانت موجودة من قبل، ومؤمما أيضا أحسن الضياع**". وأضاف نفس المؤرخ في كتاب حروب الوندال: " **ولأنه لم يكن بالإمكان العثور على الوثائق التي تضبط الضرائب التي تخضع لها الأراضي الليبية، أو على التصريحات المكتوبة المسجلة من طرف الرومان، باعتبار أن جنزريق قد أتلف كل شيء في البداية، فقد بعث الإمبراطور كل من تريفون وأوستراتيوس لضبط وتحديد الضرائب، التي يجب على السكان دفعها، كل حسب ما يمتلك، وفي الحقيقة لم يكن هذا الشخصين بين أوساط السكان الليبيين، لاكمعتدلين ولا كمحتملين.[625]**"

وبالتالي يتضح أن المصادر المالية الضرورية لرواتب الجند و سلسلة المنشآت العسكرية التي أنجزها جستنيان، كانت تعتمد أساسا على هذه المداخيل العقارية والضريبية. خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار حجم تلك المنشآت والفترة الزمنية القياسية التي شيدت فيها.

الشواهد المادية :

كثيرا ما كررنا أن المدرسة الاستعمارية، قد أهملت في حفرياتها طيلة القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، المراحل المتأخرة من التاريخ القديم، وضحت بها في سبيل الوصول إلى أمجاد الانتصار والتفوق الرومانين. إلا أن ما يجعل الملف الاقتصادي أكثر الملفات فقرا، هو منهجية التنقيبات وأساليبها العلمية، التي لم ترصد بطريقة علمية محتويات الطبقات العليا للمواقع الرومانية مهملة بذلك كل القطع والأدوات التي اعتبرت غير مطابقة لعظمة روما، وبالتالي فهي لم تساهم فقط في ضياع هذه الأدوات، بل أضاعت فرص قراءة طبيعة العلاقة بين فترتي التاريخ الروماني والبيزنطي، في عدد كبير من المواقع. الأمر الذي لم يأخذ بعين الاعتبار إلابفضل كل من فيفري و ديفال، حيث كرسا أهمية هذه الفترة في الدراسات التاريخية و الأثرية، فكان الأول من خلال طريقة تساؤله المثيرة عند تعامله مع موقع جميلة، أو تنقيباته في الحي المسيحي بسطيف، مثلما كان الأمر في عدد كبير من المقالات حيث شكك في العديد الأطروحات التقليدية و دعى لعدم الاستسلام لها، بل إلى ضرورة فهم منطق التحول في خريطة المواقع الأثرية بتفعيل منهجية جديدة[626]. أما الثاني فمن خلال حفرياته بكل من سبيطلة وحيدرة قد تمكن من تثمين الشواهد المادية لفترات

[624] Procope, Histoire secrète, XVIII,10, p.98
[625] Procope, B.V.II,8,25
[626] P.-A.Février, Notes sur le développement urbain en Afrique du Nord, p. 13-24

التموقع المتأخرة في التاريخ القديم[627]. وهو ما أنجب خطابا تاريخيا جديدا يدعو إلى محاولة فهم التحول الذي عرفته الخريطة المغربية دون الأحكام المسبقة حول تقهقر وتدهور الحضارة الرومانية.

أ. **التقارير الأثرية:** عموما ظلت التقارير الأثرية التي تعرضت للتاريخ البيزنطي، قليلة جدا و لا تغطي طموحنا في الإجابة على حجم التساؤلات المطروحة، ولعل الموجود منها يتعلق أكثر بالمعالم الكنسية أو التحصينات العسكرية من أي أمر آخر، وأهمها:

- **الحفريات:**

يمكننا استعراض قائمة من الحفريات المتأخرة، رغم قلتها، في كل من مدينة قرطاج[628]، صبيطلة[629]، حيدرة[630]، هنشير الفوار[631]، دوقة، مثل حفريات بولا ريجيا، والقلعة البيزنطية بتيمقاد[632]، والحي المسيحي وجانب من القلعة بسطيف[633]،أوجميلة، عين البرج[634]أوشرشال. ولعل قراءة سريعة لتقارير هذه الحفريات تسمح لنا باستنباط مجموعة من الاستنتاجات في مجال الحياة الاقتصادية:

- التأكيد على استمرارية حركية المدن و نشاطها العمراني طيلة الفترة البيزنطية
- تميزت أغلبية هذه المدن بتحولات كبيرة في نسيجها العمراني ودلك من خلال:
  1. تكريس ظاهرة التخلي على بعض الأحياء وإهمالها
  2. اكتشاف العديد من المقابر و ملاحقها الجنائزية في حيز النسيج العمراني

---

[627] N.Duval, Observations sur l'urbanisme tardif de sufeutula, p.87-105 ; Id., Comment distinguer les inscriptions byzantines d'Afrique ? Un probleme de méthode, dans Byzantion, 51,1981, p.511-532 ; Id., Quinze ans de recherches archéologiques sur l'antiquité tardive, dans REA,CCII,1990,p.349-387. Id., Recherches sur la datation des inscriptions chrétiennes d'Afrique en dehaors de la Maurétanie, Atti del II Congresso di Epigraphia greca e latina 1957, Rome,1959, p.245-262.

[628] الحملة الدولية لليونيسكو للحفاظ على قرطاج ما بين (1973–1993) و ذلك بمشاركة عدد من البعثات: البريطانية، الألمانيةـــ الأمريكية، الفرنسية، الكندية، الإيطالية، الدنماركية، السويدية. و قد كانت مساهمتها كبيرة في إثراء المعرفة التاريخية للمدينة و و تطوراتها، خاصة فيفي فترات التاريخ المتأخرة. مثل طبقات الاستقرار الموافقة للفترة الوندالية و البيزنطية.

[629]N,Duval, Observations sur l'urbanisme tardif de sufeutula, p.87-105 ; Id, l'urbanisme de Sufetula-Sbeitla en Tunisie,in ANRW,II,10,2,1982,p.596-632

[630] N,Duval, Topographie et urbanisme d'Ammaedara(actuellement Haidra),in ANRW,II,10-2,1982,p.663-667. et aussi, F.Baratte, F.Béjaoui, Z. Ben Abdallah, Recherches archéologiques à Haidra, Miscéllanea, 2, Rome,CEFR,17/2. 1999

[631] A.Mahjoubi, Recherches d'histoire et d'archéologie à henchir el-Fouar(Tunisie)Pub.de l'Univ.de Tunis, 1978

[632] J.Lassus,la forteresse byzantine de Thamugadi ?fouilles à Timgad 1938-1956,Paris,1981

[633] Guery et Fevrier

[634] S,Lancel, et Ponthier, première compagne de fouille à Tigisis, in MEFR,69,1957,p247-253.

3. تحويل وتغيير العديد من المنشآت العمومية الى مساكن خاصة جد بسيطة
4. تشييد عدد من البناءات فوق معالم عمرانية أخرى تعود إلى عصور أقدم، مما يفترض عد استمرارية هذه الأخيرة، ولعل نموذج القلعة البيزنطية لمداوروش لأحسن دليل على هذه الظاهرة.

وإذا كان الخطاب التاريخي في بداية القرن السادس ميلادي، قد بالغ في التأكيد على حركة الإحياء، فقد أصبحت هذه القرائن المادية تفسر من طرف العديد من الباحثين على أنها أدلة على تقهقر و تراجع الحياة الحضرية وانكماشها بشكل كبير[635]، لكن اتضح أن هذه النتيجة من السهولة بمكان، ما يجعلها غير كافية للإجابة على التحولات المعقدة التي عرفتها بلاد المغرب عقب تقهقر الإمبراطورية، وهو ما جعل الساحة التاريخية تعرف طرحا آخر مفاده أن المدن المغربية في نهاية التاريخ القديم، لم تضمحل وتندثر بل شهدت تحولات داخلية وخارجية[636].

–النقائش الأثرية[637]: في حوزتنا عدد من النقائش المصنفة تحت اسم : النقائش العسكرية، نشر منها دورليا 34 نقيشة، كما تعرف برينغل على أخرى بعين جلولة ، و كانت لي فرصة تثمين واحدة ظلت معروفة في الأدبيات الأثرية للفترة الاستعمارية دون وضعها في إطارها التاريخي، و اكتشاف أخرى جديدة غير معروفة اصلا. يضاف إليها عدد كبير من النصوص الجنائزية التي قليلا ما تسمح بربطها بحدث ما من أحداث هذه المرحلة. و تكتسي هذه النصوص الأثرية أهمية كبيرة، رغم تميزها بالخطاب الإيديولوجي و العسكري، أو اقتصارها على مصطلحات رسمية يبدو أنها كانت متداولة في أوساط القيادة البيزنطية. فتصنيفها و استخراج المصطلحات المرتبطة بالخلفية المادية للجغرافية المغربية، يسمح لنا بالوقوف على العديد من المعطيات :

---

[635] A.Mahjoubi, de la fin de l'Antiquité au Moyen-Age : Héritages et changements dans l'urbanisme africain, in His.et arch.de l'Afr ; III, Colloque internt, Montpellier 1-5 avril 1985, Paris,p391-405.

[636] سنحاول معالجة هده الفكرة بنوع من التفصيل في الفصل الخاص بالعمران

[637] حول النقائش البيزنطية أنظر:

N.Duval, recherches sur la datation des inscriptions chrétiennes d'Afrique en dehors de la Maurétanie, p. 245-262 ; J.Durliat, écritures écrites et écritures épigraphiques. Le dossier des inscriptions byzantines d'Afrique, in Studi Medievali, 3e série, année XXI, fasc.I,Juin,1980,p19-46 ; N.Duval, comment distinguer les inscriptions byzantines d'Afrique ? Un probleme de méthode, ,p.511-532

استعمال المصطلح اللاتيني	الترجمة
Aedificata	**مصطلح تشييد**
Muros	**مصطلح سور**
Ad fundamentis	**مصطلح بناء من الأساس**
	مصطلح عودة الحياة و الرفاهية

تؤكد هذه المصطلحات، على الخلفية المادية بنفس الطريقة التي تؤكد بها على استتباب الأمن والقضاء على المور، فسلسلة التحصينات قد تطلبت من دون شك يد عاملة، وأموال و هياكل اجتماعية لانجازها وتسييرها والاشراف على صيانتها.

- **الفخار و استعمالاته :**

عرفت العقود الأخيرة اهتماما متزايدا بالدراسات الفخارية، وذلك من خلال جرد ومطابقة القطع الفخارية ومحاولة تأريخها، وفقا للمادة التي صنعت منها، أو الأشكال الخارجية والزخرفية التي تتميز به. و بالفعل فقد نشرت العديد من التقارير الأثرية حول عدد من المواقع المتوسطية الساحلية في شرق وغرب البحر الأبيض المتوسط، فضلا عن التقارير الأثرية البحرية، والتي درست العديد من السفن الغارقة في عمق البحر الأبيض المتوسط، وسمحت بالوقوف على كميات كبيرة من الجرار والمواد الإفريقية، الأمر الذي جعل توظيف هذا النوع من المصادر يجد انتشارا أكبر في الدراسات المتعلقة بنهاية التاريخ القديم. لكن يجب التأكيد على هشاشة هذا النوع من المصادر، فخرائط الحركة التجارية وجداول الصادرات والواردات المستخلصة مما اكتشف من الأصناف الفخارية لا زالت تطرح العديد من المشاكل فيما يخص تصنيفها و تأريخها وحتى ربطها في بعض الأحيان بمناطق معينة دون أخرى. كما تعتبر قلة الحفريات أو انعدامها في غالبية المواقع الإفريقية أحد العوائق التي تحد من إمكانية إصدار أحكام واسعة، أو رصد خرائط دقيقة وشاملة، فقد تبين أن عمليات الالتقاط وجمع العينات من السطح لا يمكن أن تعبر بصدق عن مراحل تطور الموقع وخصوصياته الاقتصادية، هذا فضلا عن صعوبة وضع مقاييس إحصائية على أساس عينات غير متجانسة المصدر وأسلوب الالتقاط. ومع دلك فقد سمحت الدراسات الأثرية التي جرت في ضفتي البحر الأبيض المتوسط بالمساهمة في المناقشة التاريخية الخاصة بالأوضاع الاقتصادية لبلاد المغرب، بل سرعان ما واكب التصنيفات الأولى التي أصدرها

هايس [638] J.W.Hayes قراءة جديدة، وجدت ذيوعا كبيرا عند ما يمكن تسميتهم بأنصار سياسة الزيتنة، والتي كانت تعتقد على حد تعبير بانيلا Panella بأولوية وأسبقية إنتاج وتصدير الزيوت على بقية المواد الفلاحية، بما فيها الحبوب[639].

إلا أن الدراسات الفخارية نفسها، خاصة بعد الحملة الدولية لانقاد قرطاج ومشاركة عدد من الدول في القيام بحفريات معاصرة في عدد من أحياء هذا الموقع، فضلا عن مواقع تونسية أخرى مثل نابل [640]، سيدي جديد[641] أو مهرين[642] بالأراضي التونسية، مثلما كان بقرينة بالولاية الطرابلسية[643]، فضلا عن الحفريات التي استمرت في عدد من المواقع الساحلية في شرقي وغربي المتوسط، بدأت تطرح بدائل جديدة لهذه الصورة التقليدية، مؤكدة أن النموذج الفخاري "C" والذي كثيرا ما فسر بأنه كان يمثل حاويات الزيوت يمكن أن ينقل أيضا الحبوب و الأسماك المجففة[644]، وهذا ما تأكد من دراسة محتويات بعض السفن الغارقة في الضفة الشرقية للمتوسط[645]، وهو ما تقره المعطيات الطبيعية لبلاد المعرب، فمن دون شك أن بلاد المغرب ظلت تمارس فلاحة متنوعة، ومثلما أشار فيفري[646] فالقمح

---

[638] J.W.Hayes, Late Roman Pottery,1972 ; supplement to Late Roman pottery, London, British school at Rome, 1980

يعتبر أول من وضع تصنيفا شاملا للفخاريات الافريقية من خلال جرد القطع المعروضة في المتاحف المغربية و الأوروبية ، و ظل دلك لفترة طويلة المرجع الأساسي لمطابقة و تزمين هده الفخاريات، و قد جدد بطبعة أحدث سنة 1980

[639] Cl.Panella, Merci et scambi nel Madeiterraneo, in storia di Roma,3,2,Torino,1993,p613-697; A.Carandini, Produzione agricola e produzione ceramica nelle'Africa di eta imperiale, in Studi Miscellanei 15,1970,p97-119; Ibid, Pottery and the African Economy, in Trade in the Ancient Economy, ed. P. Garnsey, London, 1983, p.45-62.

[640] L. Slim, M. Bonifay, P. Trousset, avec V. Blanc-Bijon, D.Foy….et autres, l'usine de salaison de Neapolis (Nabeul) : premiers resultats de fouilles 1995-1998,in Africa,16,1999,p.153-197.

أكدت هده الدراسة الأثرية ، على استمرارية إنتاج الفخاريات، و لو أن أشكالها و مادتها الأولية قد شهدت بعض التحولات، حيث اكتشفت الى جانب بقايا عدد من هده الورشات داخل الحيز العمراني، والتي يبدو أيضا انها استمرت في نشاطها حتى الفترة الاسلامية . أنظر أيضا :

N.Duval,L.Slim,M.Bonifay,J.Piton,A.Bourgeois, La Céramique Africaine aux époques vandale et Byzantine, An.Tard,10,2002,p 177-195

[641] و هي الحفريات التي أشرف عليها عدد من الباحثين التونسيين و المختصين الإيطالين و الأنجليز، أنظر:

A.Benabed, M.Bonifay, M.Fixot, avec la collab.de C.Michel d'Annoville et P.Reynaud, Note préliminaire sur le céramique de la basilique orientale de Sidi Jdidi (Tunisie) (V-VII s), in La Céramique médiévale en Méditérranée: actes du VI Congrés de l'AICEM (Aix en Provence,13-18 novembre 1995) Aix-en-Provence,1997,p13-25.

[642] M. Mackensen, Centres of African red slip ware production in Tunisia from the late 5th ti the 7th century, in Sagui,L.,dir.,Céramica in italia VI-VII secolo, Atti de Convegno in onore di Joh, W.Hayes(Rome,11-13 mais= 1995,Firenze1998,p23-40

[643] S.J.Keay, African amphore, in Ceranica in Italia : VI-VII secolo.Atti del Convgno in onore di John W.Hayes (Rome,1-13 maggio 1995), L.Sagui(dir), Firenze,1998.p150-151.

[644] M.Bonifay, la céramique africaine, un indice du développement économique, An Tard.,11,2003,p116.

[645] Cl.Santamaria, l'épave Dramont E à Saint Raphaél (V^{e} s a J-C) Paris,1995, in Archaeonautica, 13, 1995, pp.13ss ; L. Long, G. Volpe, le chargement de l'épave de la palud (VI s.) à Poty-Cros : note préliminaire, in Fouilles à Marseille, 1998, p317-342

[646] P.A.Fevrier,Approches aux Maghreb romain, T. 1, p.95

ظل يزرع جنبا إلى جنب مع التين والزيتون، كما كشفت أيضا بعض الحفريات عن حركية ورشات تجفيف الأسماك بالقرب من السواحل وبالتالي تصديرها رفقة ما يسمى بأواني الطاولة[647]. وقد صدرت مؤخرا دراسة قيمة حول الزيوت والخمور الرومانية في البحر المتوسط[648]، انتقدت طريقة تعميم فكرة معاصر الزيتون على كل المخلفات التي اكتشفت بها معاصر، واعتبرت أن مناطق كثيرة في بلاد المغرب قد عرفت ورشات صناعة الخمور و تصديرها، مما يجعل قائمة الصادرات الإفريقية أكبر مما اقترحته المدرسة التقليدية.

إن إثارتنا لإشكالية العلاقة بين أنواع الإنتاج والقطع الفخارية المكتشفة بالمواقع الساحلية، يعود أساسا للأهمية التي اكتسبتها هذا الدراسات الفخارية في تتبع مراحل تطور الاقتصاد المغربي، خاصة خلال فترة دراستنا، حيث اتضح أن النموذج الفخاري "D" الذي أصبح يميز الإنتاج الإفريقي، بفضل مواصفاته التقنية الجديدة، يرتبط بالفترة الممتدة بين القرن الخامس والسابع ميلاديين، بل تؤكد بعض تقارير الحفريات في شرق المتوسط إلى استمرار وجوده بعد هذه الفترة.

كما اتضح أن هناك مرحلتين متتاليتين لانتشار هذه النوعية في السواحل المتوسطية، حيث اقترحت بانيلا Panella، أن بداية المرحلة الأولى يمكن أن ترجع إلى بداية القرن الخامس، متميزة بحيوية ونشاط اقتصاديين وتجاريين، في حين كانت المرحلة الثانية، التي افترضت بدايتها بنهاية القرن الخامس، تتميز بنوع من الركود والتراجع الاقتصاديين، وبالتالي سرعان ما يتجلى نوع من الإغراء لمطابقة تحليل التقارير الأثرية بالتطورات السياسية التي عرفتها المنطقة واعتبار أن الفترة الوندالي، هي التي شكلت فترة التراجع والجمود، إلا أن الدراسة التي أنجزها كياي Keay[649] أوضحت ضعف هذا التصور وزحزحت الجدول الزمني لترتيب نفس المراحل، حيث أصبحت تطابق المرحلة الأولى من هذه الفخاريات، ليس بداية الفترة الوندالية وانما بداية الفترة البيزنطية، وبالتالي فانتعاش الاقتصادي المرتقب أصبح يوافق منتصف القرن السادس ميلادي، وقد وجدت هذه القراءة استحسانا لدى الباحثين المختصين باعتبار أن الظواهر الاقتصادية ليست بالضرورة مطابقة للتحولات السياسية، بل كثيرا ما تكون متأخرة أو كنتيجة لها.

وإدا افترضنا إمكانية مطابقة القطيعة الاقتصادية التي تعكسها نسبة الفخارية في طبقات المواقع الساحلية التي تم التنقيب فيها، مع فترة الاحتلال الوندالي، فهل يمكن تصور ارتفاعا

---

[647] N.Ben Lazreg, M.Bonifay, A.Drine, P.Trousset, Production et commercialisation des salsamenta de l'Afrique ancienne, in VI Colloque de l'Afrique,Pau,1993,Paris,195,p.103-142.

[648] J.P.Brun, Les pressoirs à vin d'Afrique et de Maurétanie à l'époque romaine, in Africa, N.S., 1, 2003, p.7-30

[649] S.J.Keay, African amphore, in Ceramica in Italia : VI-VII secolo ?Atti del Convegno in onore di John W.Hayes(Rome,11-13 maggio 1995), du,L.Sagui,Firenze,1998,p.150-151.

في الاستهلاك المحلي للإنتاج الذي ظل مخصصا للتصدير[650]، ألا يمكن أن نتساءل، مثلما اقترح كورتوا، أن انخفاض أسعار المواد الفلاحية بما فيها الأشجار، يعود أساسا إلى هذه الوفرة الاقتصادية؟ و بالتالي فان استمرار حضور الصادرات الفخارية في المواقع المتوسطية إلى غاية ما بعد نهاية القرن السابع ميلادي هو تأكيد على استمرار نسبة أكبر من الهياكل الإنتاجية، في عمق الأراضي المغربية، واستمرار قنوات نقل وتصدير هذه المواد إلى غاية الفتوحات الإسلامية.

أنواع الفخار

سمحت دراسة مواقع كل من سيدي جديد، نابل ، الحمامات على تأكيد تنوع الانتاج، ومن دون شك أيضا استهلاك أنواع مختلفة من الفخار، وسنحاول تلخيص أهم استنتاجات بعض هذه التقارير الأثرية، كنموذج مما يمكن أن تنجبه المواقع الساحلية الأخرى، وهذا في انتظار القيام بحفريات دقيقة و متعددة التخصص، دون الخوض في تعميم أحكامنا على كامل مناطق بلاد المغرب، سيما و أننا قد أشرنا الى هشاشة هذه الدراسات و تعرضها لتجديد أو تغيير معطياتها بحسب تطور الاكتشافات الميدانية.

السيجيلي الافريقية **Sigillée africaine**:

استمر وجود هذا النوع من الفخاريات في الطبقات المناسبة للفترة الممتدة ما بين القرن الخامس و السابع ميلاديين، بكميات كبيرة، واحتوت بعضها على بعض المواصفات:

1. تميز العديد من القطع باحتوائها على مواصفات النمودج "D" حسب تصنيف لامبوغليا ــ غاراندييي، طلاؤها رقيق، داكنة اللون، إلا أن أشكالها مطابقة وأكثرها انتشارا نموذج هاي 105 و الذي يؤرخ بحدود القرن السابع ميلادي[651].
2. تميز أغلبية أنواع القطع بالنوعية الرديئة نسبيا، باستعمالها مادة رمادية وطلاء أحمر، رغم حفاظها على بعض الأشكال الزخرفية كالخطوط في الصفائح الداخلية
3. العثور أيضا على عدد من القطع التي استعملت مادة أولية بيضاء، جد راقية، مغطاة بلون بني يميل على السواد، مما يفتح الباب لفرضيات تطبيق تقنيات طهي أو تلوين جديدة في مقل هذه الصحون[652].

---

[650] C.Courtois, V.A. p 315-322 ; CL.Panella, Le anfore di Cartagine, : nuovi elementi per la riconstruzione dei flussi commerciali del Mediterraneo in éta imperiale romano, in Opus, 2, 1983, p.56-73

اعتبرت هده الباحثة أن أحسن فترات رفاهية قرطاج هي عندما تكون صادراتها أقل .

[651] M. Mackensen, Die spatantiken sigillata-und Lampentopfereien von El Mehrine (Nordtunesien), Munich, C. H. Beck'sche, 1993, (Munchner Beitrage zur Vor-und Fruhgeschichte, 50). p. 394.

[652] M.Bonifay, les ultimes niveaux d'occupation de sidi jdidi, Pupput et Neapolis : difficultés de datation par la céramique, 1n Tard,10,2002, p183.

المصابيح : lampes

أغلبية هذه المصابيح، المصنوعة بواسطة قوالب جاهزة، قد حافظت على نفس الأشكال التقليدية، إلا أنها بدأت تتميز باضمحلال أو بساطة الأشكال الزخرفية، فضلا عن التقليل في سمك طلائها، أو غيابه أحيانا، يغلب عليها اللون الأحمر أو البني مثل الصحون والأطباق الأخرى، ورغم هذا التراجع في المستوى التقني فقد سجل حضورها في السواحل الغربية للمتوسط[653].

الفخاريات العادية: commune

رغم عدم تجانسها فيما بينها و بالنسبة أيضا إلى الفخاريات المكتشفة بقرطاج، من حيث الأشكال المكتشفة، أو الأساليب الزخرفية، مثل استعمال الخطوط الملونة بالأحمر أو الأبيض، أو أيضا من حيث مادها الأولية التي تميل بدورها للبياض، وأحيانا نوع من الاخضرار في مظهرها الخارجي، فهي تمثل تحولا جديدا في هذا النوع من الأطباق الاستهلاكية العادية، والتي استمرت الى ما بعد الفتوحات الاسلامية.

الفخاريات المشكلة modelée

وهي المتمثلة في أطباق الطهي والمعروفة حسب تصنيفات هايس[654] Hayes منذ القرن الخامس ميلادي، شهدت هي الأخرى انتشارا و استمرار في استهلاكها إلى ما بعد القرن السابع

الجرار Amphore

تتميز بوفرة كل أنواعها المصنفة و المعروفة في الحوض الغربي للمتوسط، سواء كانت الجرار الكبيرة، المتوسط أم صغيرة الحجم و المعروفة باسم "spatheia"[655]، والتي يبدو أنها أصبحت

[653] C. Pavolini, le lucerne in Italia nel VI-VII secolo d.C. : alcuni contexti sgnificativi, in Céramica in Italia, op.cit. p.123-140. D.Barraud,M.Bonifay,F.Dridi,J.F.Pichonneau, l'Industrie céramique de l'Antiquité tardive, in Uthina (Oudhna),p.154. J.Bussiére, Lampes antiques d'Algérie, Montagnac, 2000 (Monographies instrumentum,16).
[654] J.W.Hayes, Pottery : Stratified Grous and Typology, in Excavations at Carthage, I,1976,p.97 ; Excavations at Carthage : the British Mission. I.2.1984,p.11.
[655] T.Ghalia,M.Bonifay,Cl.Capellin l'atelier de Sidi-Zahruni : mise en évidence d'une production d'amphores de l'Antiquité tardive sur le territoire de la cité de Neapolis(Nabeul,Tunisie), in the First Conference on Late Roman Coarse Wares, Cooking Wares and Amphorae in the Mediterranean : Archeology and Archaeometry(Barcelone,14-16 Marsh 2002),Oxford.

أكثر أنواع الجرار تصديرا في حوضي البحر البيض المتوسط[656]، لاسيما جنوب إيطاليا و بلاد الغال[657].

ولعل ما يمكن أن نستنتجه من هذه النماذج، و إن كانت محدودة من حيث توزيعها الجغرافي، نظرا لقلة الحفريات المتخصصة أو انعدامها، خاصة في بلادنا، أو غياب المختصين في هذا التخصص العلمي، لآن ما لاحظته من أطنان القطع الفخارية المكدسة في المتاحف لكفيل بتوفير مادة استقرائية كبيرة لو وجدت الرعاية و العناية من طرف المختصين:

أ. استمرار إنتاج الأصناف المعروفة مند الفترة الرومانية العليا، رغم التحولات التقنية في طريقة الطهي، أو الألوان و الطلاء الخارجي

ب. التنوع الكبير لهذه الفخاريات، مما يكرس فكرة توظيفها في الحياة اليومية في مجال الاستهلاك أو الإنتاج، و بالتالي إمكانية استغلالها لمساءلة الواقع الاقتصادي للمنطقة وتأكيد تنوع و حركية الحياة الاقتصادية

ج. الحضور الكبير لهذه النماذج في الطبقات السفلى إلى غاية نهاية الفترة البيزنطية.

د. بروز أشكال جديدة أو تطور في الشكل الخارجي لنفس القوالب، مع نوع من التدهور في أسلوب الإنتاج، والعناية بالشكل الخارجي.

ه. انتشار هذه النماذج الإفريقية، المستهلكة في الداخل، في عدد كبير من الموانئ المتوسطية ، سواء كانت في الضفة الشرقية أو الغربية.

–العملة و النقود

تطرح دراسة العملة والنقود، خلال الفترة البيزنطية صعوبات كبيرة لعدة عوامل، أهمها أن العملة الرومانية أو القديمة بصورة عامة ظلت وسيلة متاجرة بين الهواة ومهربي الآثار، مما يجعل العثور عليها أصعب من الشواهد التاريخية الأخرى، فقد استعرض سلاما Salama ،على سبيل المثال، في مقال له حول ما يسمى بالباحثين عن الكنوز، نسبة ضياع هذا النوع من المصادر رغم تسجيلها في المتاحف[658]. ورغم أن عدد كبير من هذه العملات لازال مكدسا بالمتاحف إلا أن جهلنا لظروف اكتشافها وطبيعة الطبقات التي

[656] P.Arthur, Eastern Mediterranean amphorae between 500 and 700 : a view from Italy, in Ceramica in Italia, op.cit., p.175

[657] St. Bien, Des niveaux du VII s. sous le Music-Hall de l'Alcazar à Marseille, in First Conférence on Late Roman Coarse Wares, Cooling Wares and Amphorae in the Mediterranean : Archeology and Archaeometry (Barcelone, 14-16 mars 2002) Oxford, Archaeopress, 2004, (Manuscrit BAR)

[658] P.Salama, la chasse aux trésors dans le Maghreb classique, in l'Africa romana, atti del XIV convegno di studio, Sassari, 2001, p.1955-1999

اكتشفت بها، يجعل توظيفها أصعب. خاصة وأن نسبة الحفريات التي نشرت تقارير حول هذه العملات تظل جد محدودة، اللهم في الأراضي التونسية حيث سمحت التنقيبات الأثرية في دوقة مثلا أو سيدي جديد، نابل أو قرطاج من التعريف بعدد من المصنفات التي يمكن اعتبارها نموذجية لحد الآن. ومع دلك فلازالت بلاد المغرب تفتقد إلى مجمعات تصنف كل أنواع النقود المكتشفة والتي يمكن أن يستأنسها الباحث، وإنما يتطلب الأمر العودة إلى المصنفات الامبراطوريةالعامة[659].

وقد حاولنا مقاربة أهم الاستنتاجات التي خلصت إليها الدراسات النوميسماتية، ليس من باب تكديس قوائم العملات ومواصفاتها التقنية، أو أشكالها الفنية ورموزها التعبيرية، وإنما قصد توظيفها كأحد عينات النشاط الاقتصادي داخل بلاد المغرب من جهة ، ومن جهة أخرى بين هذه الأخيرة والموانئ المتوسطية، مع كل التحفظات الموضوعية التي تتطلبها عملية الاستشهاد بهذا النوع من المصادر[660].

تسمح لنا عملية رسم الاكتشافات النقدية و توزيعها خلال فترة الاحتلال البيزنطي الوقوف على العديد من الملاحظات الأولية[661]:

- في حين يؤكد المختصين أن المملكة الوندالية لم تصك العملة الذهبية، بل ظلت تستعمل الدينار الذهبي البيزنطي، فإنهم يؤكدون أن ورشة قرطاج أعادت إصدارها من جديد.
- وجود العملة الفضية التي كانت معروفة من قبل لحملة البيزنطية، والتي يبدو أنها كانت أكثر انتشارا في المواقع الداخلية، مما يكرس أهميتها بالنسبة لبقية العملات

---

[659] سمحت هده المجمعات للنقود البيزنطية بالوقوف على بعض الخصوصيات الإفريقية

J.Sabatier, Description générale des monnaies byzantines, Paris2e,1955; P. Grierson, Byzantine Coins, Londres,1982,p95 ; ID, Catalogue of the Byzantine coins, in the Dumbarthon Oaks collection and Whittemore collection, vol. II, pats I et 2, Washington,1968; C. Morrison, Catalogue des monnaies byzantines de la bibliothèque Nationnale,T1, Paris,1970 ; W. Wroth, Catalogue of the Imperial Byzantine Coins in the British Muséum, Londres,1908.

[660] C. Morrisson, l'Atelier de Carthage et la diffusion de la monnaie frappée dans l'Afrique vandale et byzantine (439-695) AnTard,11,2003,pp.65-84; Ibid, Monnaie et prix du Vau VII siècle, in Hommes et richesses I,p.239-260; P.Salama, économie monétaire de l'afrique du Nord dans l'Antiquité tardive, in BCTH,NS,19B,1983,p.183-202

[661] اعتمدت في دراسة هدا الموضوع على مجموعة الدراسات النقدية التي نشرتها موريسون، أنظر:

C.Morrisson, La circulation de la monnaie d'or en Afrique à l'époque vandale,Bilan des trouvailles locales, in Mélanges de numismatique: offert à Pierre Bastien,Westtern, 1987,p.325-344, cf aussi, Ibid., Inventaire complémentaire des solidi tardifs dans l'Afrique du Nord, in Numismatica e antichita classiche, 30,2001,p253-270.

- تأكيد موريسون أن بلاد المغرب قد شهدت كثافة كبيرة لوجود ولاستعمال العملة، مبررة دلك من جهة بالسياسة الضريبية التي فرضتها الإمبراطورية وبكثافة المبادلات التجارية بين بلاد المغرب وموانئ حوض البحر الأبيض المتوسط الأمر الذي تطلب حركية أكثر للنقود
- تميز العملات البيزنطية التي صكت بورشة قرطاج بتراجع المظاهر الزخرفية الإفريقية وبداية احتوائها على الرموز الإمبراطورية أو المشرقية، واعتبر دلك مزامنا لمرحلة انتشار الطبقة الإدارية البيزنطية.

وقد شكل اكتشاف الكنز المالي المكتشف بروقا، والذي يعود إلى منتصف القرن السابع، فرصة جديدة لتوضيح الصورة حول طبيعة العلاقات الإفريقية مع القسطنطينية، وحيوية ورشة قرطاج، بل كثافة العملة الإفريقية في هذه المبادلات التجارية.[662] كما سمحت الدراسات النوميسماتية، خاصة من خلال عملية تصنيف الكنوز النقدية وفقا لمعيار المادة المعدنية من استخلاص عدد من الاستنتاجات التاريخية، حيث اتضح أن حركية هذه العملة لم تكن متطابقة من حيث كميتها ومناطق توزيعها. وقد حاولنا ترتيب هذه النتائج في شكل جدول عله يسمح لنا بضبط الصورة العامة التي يسمح بقراءته هذا النوع من المصادر:

[662] R.Guery, Recherches archéologiques fraco-tunisiennes à Rougga.3,Le Trésor de monnaies byzantines, Rome, 1982 (CEFR,60), p60-62,70,73

حركية العملة في داخل بلاد المغرب

طبيعة العملة	الملاحظات
العملة الذهبية	تظل لحد أغلبية الاكتشافات النقدية محصورة في النطاق البروقنصلي
	تحتل المواقع الساحلية المكانة الأولى في قائمة المواقع التي اكتشفت بها هذه الكنوز النقدية
	تؤكد كميات انتشار هذا النوع من العملات على رفاهية [5] المقاطعة الإفريقية
	يكرس اكتشافها أيضا حيوية طرق المواصلات و المبادلات الداخلية الى غاية التخوم الصحراوية
	سمحت دراسة الأصول الجغرافية لهذه العملة من تأكيد مكانة القسم الغربي لحوض المتوسط، و دلك باحتوائه على متوسط54%من الحجم الإجمالي، و دلك إلى غاية نهاية القرن الخامس ميلادي، لتبدأ العملات المشرقية في هيمنتها على السوق الإفريقية ، و تستمر الة ما بعد القرن السابع ميلادي
	لم يتجاوز اكتشاف العملات البيزنطية الذهبية الإطار الجغرافي لمناطق امتداد النقود البيزنطي، أو مواقع التحصينات البيزنطية
العملة الفضية	
العملة البرونزية	تبدو معالم نوع من التقهقر في المعاملات الاقتصادية من خلال هذه العملة، لبتداء من القرن الخامس ميلادي، حيث تميزت ب: عودة استعمال العملات النقدية القديمة استعمال عملات غير كاملة صك عملات مقلدة، أو الإكثار من استعمال القوالب مما أدى إلى غياب الزخرفة التي تميزها تعكس العملة البرونزية نسبة استعمال العملة المحلية في المبادلات الداخلية، فمثلا كشفت الحفريات الأمريكية أن من حوالي 1548 عملة بيزنطية لما بين جستنيان الاول و الثاني لم تكن سوى 13مصنوعة في ورشات خارج بلاد المغرب.

الضرائب :

كتب لاكتانس Lactance في بداية القرن الرابع، حول ثقل هذه الضرائب: "**لم تشمل الضرائب، السكان الملزمين بدلك فقط، بل تجاوزتها إلى درجة أن أصبح المعمرين، يرون مصادرهم مثقلة بحجم هذه الضرائب، لا يجدون إلا الفرار من حقولهم التي تحولت الى بور**"[663]. و بالفعل فقد شكل ثقل الضرائب أحد الأعباء الاجتماعية الخطيرة و أحد مسببات التحول في المجتمع بعد سقوط الامبراطورية الرومانية، مما أصبح يلزم الملاكين على التخلي على الأراضي غير الصالحة للزراعة[664]. كما يمكن الوقوف على عدد من النصوص التشريعية

- قانون فالنتنيان الثالث[665]، المؤرخ ب 21 جوان 445، و الذي يسمح فيه بتقليص الضرائب بنسبة 8/7، مؤكدا في نفس الوقت أن هذا الإجراء يعود للأوضاع المزرية التي تعرضت لها ولايات نوميديا و الموريطانيتين و التي تم استرجاعها من قبضة الوندال بعد 12 سنة من الاحتلال
- قانون هونوريوس المؤرخ ب 31 جانفي 412، و الذي يمنع إجبار الملاكين الأفارقة من دفع غرامة الأراضي المهجورة المحاذية لأملاكهم، و التي ليست ملكهم[666].
- قانون تيودوسيوس لسنة 386 و الذي يعاد اعتماده في مجمعة جستنيان، و الذي يشير إلى التجاوزات التي يقوم بها المكلفين المحليين بجمع لضرائب تجاه السكان، و يأمر بأن لا يبقى الموضف في هذا المنصب أكثر من سنة فقط، ليعين شخص آخر، قصد التقليص من جشع هؤلاء [667].

و إذا كان لمثل هذه القوانين نتائج اجتماعية معروفة في مختلف المقاطعات الرومانية، فإن طبيعة الاحتلال البيزنطي الاستعجالي، و هواجسه الأمنية، التي جعلت هياكل الإدارة تكاد تقتصر على السياسة الدفاعية، جعلت من الصعب الوقوف على نفس الظواهر الاجتماعية في بلاد المغرب القديم، مما سمح بافتراض احتكار الامبراطورية و تحويلها للمصادر المالية

---
663 Lactance,De mortibus persecutorum,VII,3,éd.J.P.Moreau,SC,39,I,p85. cf A.H.M.Jones, the later Roman Empire, oxford, 1964,T.,II, p.812-823.
664 C.Lepelley, Déclin ou stabilité de l'Agriculture Africaine au Bas-Empire ? p. 217-232
665 novelle XIII de Valentinien III (ed.Mommsen-Meyer ,CTh,T.II,p 95-97)
666 CTh, X,1, 31
667 C Th,XII,6,22 (CJust.X ,72,4)

الضريبية، باعتبار الامبراطور هو الشخصية الأولى التي تبرز في النقائش التي تسجل عمليات التشييد و التحصين، مغيبة بذلك السلطات المحلية، وهو ما أشار إليه بروكوب في كتابه السري[668]. وفي نفس الوقت فقد اتضح من ملف النقائش البيزنطية أن الملاكين، رغم أنهم لا يتميزون بألقاب معينة، إلا أنهم لعبوا دورا كبيرا في هذا الجهاز الضريبي، حيث كانوا بمثابة وسطاء بين الجهاز المركزي و بقية المجتمع. فمثلا برزت أسماء ماكسيميانوس، إيستيفانوس أو ميللوسوس في عملية بناء أحد القلاع الدفاعية كطريقة لتسديد الضرائب المدانين بها[669]. بينما أشرف الدوق جان على بناء كنيسة بتيمقاد، ليس بصفته الرسمية لان الصياغة لم تكرس ذلك بل بصفته من طبقة الملاكين[670].ولعل هذا ما سمح أيضا ببروز الكثير من القساوسة و رجال الدين، حيث يمكن تصور مساهمتهم ليس كقساوسة فقط بل أيضا كعناصر فاعلة من هذه الطبقة الارستقراطية.[671]

و عموما تسمح النقائش البيزنطية بافتراض استعمال المصادر المالية الضريبية، في تمويل جهاز الأشغال العمومية و المنشآت العمرانية، و المساهمة في تمويل مشاريع السياسة الدينية، بل يقترح دورليا إمكانية تخصيص مبالغ مالية نقدية لعدد من العاملين بالإدارة البيزنطية كرواتب، وربما أيضا رواتب الجند[672]. وإدا كانت مهمة جمع الضرائب قد ظلت من مهام الهيئات المحلية، فيبدو أن القساوسة هم الذين اضطلعوا بذلك[673]، باعتبارهم أصبحوا على رأس أغلب الهيئات المحلية، حيث أصبح تسيير شؤون الإدارة و السجلات البلدية من مهامهم. و إذا كانت مصادر البردي المصرية تكرس هذا التحول بالنسبة للمقاطعة المصرية[674]، فمراسلات القديس جريجوار تؤكد هذه الثنائية التي تجتمع في رجال

---

[668] Procope, Historia Arcana.26,11, p.126
[669] CIL VIII, 035 ; J.Durliat, les dédicaces d'ouvrages de défense, p. 77-78
[670] CIL VIII, 17822 ; 2.389 ; cf. H.Tauxier, le patrice Grégoire, Rev.Afr.29,1885, p.284-303 ; Ch.Diehl, Afr.Byz. p.494
"In temporibus Constantini Imperatori(s) Bel(licio?) Gregorio patricio / Ioannes dux de Tigisi offeret domum die Armenus »

[671] و هو ما نفهمه من نص فيراندوس، أسقف قرطاج حيث يبدو أن فيلجانس الرصفي St.Fulgence de Ruspe قد مارس مهمة تحصيل الضرائب في المنطقة التي كانت يقطن بها، أنظر:
Ferrand, Vie de saint Fulgence de Ruspe, ed.et trad. G.G .Lapeyere, Paris,1929, p.13-15.
كما يبدو في عدد من النصوص الأثرية Inscriptions 55-56 أنظر دورليا recherches ص: 121-122، 209-202
[672] J.Durliat, recherches sur l'histoire social de l'Afrique byzantine, p.146
[673] J.Durliat,Les Grands propriétaires Africains et l'Etat Byzantin, (533-709)" , Cah. Tun. T XXIX, N° 117-118., 1981. pp514-531.
[674] J.Gascou, La possession du sol, la cité et l'Etat à l'époque proto-byzantine et particuliérement en Egypte (thèse 3eme cycle,ParisI,1975,ms)

الكنيسة، حيث تبرزهم هذه المراسلات في صورة الملاكين و أيضا القساوسة الساهرين على تسيير شؤون المدن[675].

العمران:

يمكن اعتبار الحركة العمرانية التي تعرضت لها المصادر الأدبية، بمثابة ظاهرة اقتصادية لا تقل أهمية عن النشاط الزراعي أو التجاري، و يكفي أن نتصور حجم مواد البناء و الزخرفة التي تكون قد حصلت عليها مختلف المنشآت العمرانية، لقياس حجم المبادلات التي تكون قد نتجت عن حركة الإحياء هذه.

أورد إفاغريوس[676] Evagrius في كتابه Hist.Ecclesiastique : **" أقام جستنيان 150 مدينة بإفريقيا، بعضها تم إعادة بناؤها كلية، و البعض الأخر، و التي قد تعرضت للخراب في أجزاء منا، قد قام بترميمها بدقة وجمال. و قد أحاط هذه المدن بكل أشكال الزخرفة و الجمال كالبناءات العمومية و الخاصة، أو أسوار المدن و المنشآت الجميلة التي تزين المدينة و في نفس الوقت ترضي الله. و قد ضاعف من المنشآت المائية للضرورة و الجمال، و بالنسبة للمدن التي لم يكن بها هذه المعالم فقد أنشأها من جديد، بينما أصلح و رمم ما تطلب الإصلاح بالمدن الأخرى، بطريقة تعيد لها جمالها و رونقها القديم"**

و يؤكد النص على الرغبة الإمبراطورية في إعادة الرفاهية لإفريقيا، مثلما تطرقت إلي دلك المصادر الأخرى، و لكنه يوضح طبيعة الجهود التي قام بها ، حيث يقسمها الى نوعين :

- الجهود الترميمية بالنسبة للمدن القائمة، و التي تدهورت بعض معالمها
- حركة تشييد مواقع جديدة من أساسها

و يسمح أيضا بالوقوف على العناصر الأساسية للمدينة و التي تعتبر ضرورية إعادة الحياة لها، و هي: الأسوار، المنشآت العمومية، المساكن الخاصة، قنوات و خزانات الماء بما في دلك ربما الحمامات، و الكنائس التي بقدر ما تزين المدينة تكرس السلوك الديني للمجتمع. و بالتالي فأهمية النص كبيرة في التأكيد على عودة متطلبات رفاهية المدن و السكان، مثلما التزم بدلك الإمبراطور جستنيان في مرسومه الأول[677]. و لعل هذه العناصر هي التي يكرسها بروكوب في حديثه عن تأسيس مدينة كبودية، من طرف الإمبراطور جستنيان،

---

[675] J.R.C.Martyn, The Letters of Gregory the Great, p.23,32-42; cf. Y. Duval, Grégoire et l'eglise d'Afrique. Les « Hommes du Pape », p.129-158
[676] Evagrius, Hist. eccl.,IV,18 . Ch.Diehl, Afr.Byz. p.387
[677] Ch.Diehl, Afr. Byz. p.388

حيث أشار : " كان أيضا، موقع أخر على سواحل المزاق، يسميه الأهالي كابوت فادا Caput Vada قرر الإمبراطور جستنيان تحويل هذا المكان الى مدينة (بوليس) و التي خصت بالأسوار و أصبحت أهلا لذلك بكل ما حقق بها من انجازات"[678].

وبالفعل قد يكون جستنيان قد تدخل بشكل أو بأخر لمساعدة 150 مدينة رغم أن فكرة بناء 150 مدينة أو قلعة في عهده تظل محل شك، لكن ما يهمنا في هذا الفصل، ليس هو حركة العمران و إنما محاولة الوقوف على عوامل البنية التحية للانتعاش الاقتصادي الذي يكون قد واكب فترة الاحتلال البيزنطي. أما بروكوب فقد أشار في كتابه De Aedificiis إلى وجود 28 مدينة و 07 حصون تم تأسيسها أو إعادة ترميمها من طرف جستنيان – بالرغم من أن البعض يعتبر هذا النص غير كامل– حيث أهمل العديد من المدن و القلاع التي تؤكدها الدراسات الأثرية، كما أشار في أكثر من مرة في كتاب الحروب إلى مساهمة القادة البيزنطيين في تحصين و ترميم المدن. و قد نشر Durliat عدد من النقائش تتعلق بالتحصينات العسكرية و التي تؤكد بناء 17 أو 18 قلعة أو مدينة في عهد جستنيان و التي نجد 06 منها قد وردت في قائمة بروكوب. و قد نلاحظ من خلال قراءة النقائش الأثرية لهذه الحصون و القلاع، أن عددا من المدن أصبحت تحمل اسما إمبراطوريا: حيث أصبحت قفصه ,Justiniana Capsa و حيدرة Hadrumetum Justiniana و بشليغة Zabi[679] Justiniana مثلما أصبحت قرطاج Carthago Justiniana. و هو ما يفترض هبات إمبراطورية كبيرة أو امتيازات خاصة تجعلها من الناحية المادية في مستوى الاسم الإمبراطوري. بل تبرز النقيشة رقم CIL VIII 14399 ، بإشارتها لمصطلح Domus divina، إمكانية وجود خزينة عامة، حيث يبدو أن الشخصية المقصودة في هذا النص هو الكونت بولسPaulus الذي يظهر أنه تدخل في عملية البناء في إطار برنامج رسمي وأنه قد كلف بمهمة إنجازه في عدد من المدن، مثل باجة أو قالمة.[680]

و لدينا أيضا العديد من الأمثلة التي تؤكد فيها المصادر الأدبية على حركة التعمير داخل المدن، على الأقل، خلال فترة حكم جستنيان، فقد أشار بروكوب أن مدينة لبدة وجدها البيزنطيون في حالة دمار، بل كانت في حالة تكاد تغطيها الرمال، إلا أنها بأمر من الإمبراطور[681]، قد تم إعادة بنائها ويمكن أن نتحسس دلك من عدد الكنائس التي تعود إلى هذه الفترة، و ما شهده القصر السيفيري المشهور من ترميمات فضلا عن إصلاح حمامات

[678] Procope,B.V.I,14,17
[679] C.I.L.VIII,101,102 (Capsa) ;8805(Nova Justiniana Zabi)
[680] Durliat,les dédicaces d'ouvrages de défenses, p.93-94
[681]Procope, de Aed, VI,4,1

المدينة، فضلا عن عدد من المعالم الكبيرة[682]، و هو نفس الأمر الذي حصل بصبراتة [683]، أو بالمدن التي حصلت على الاسم الإمبراطوري مثل حيدرة، و لعل ما يشير إليه نفس المصدر بالنسبة لإحياء الأسواق أو الموانئ[684]، هو تأكيد على انتعاش في الحياة الحضرية و استعادة لنشاط المدن. لكن هذه الصورة المثالية، سرعان ما تصطدم بصورة معاكسة أوردها بروكوب نفسه في كتابه الشهير: التاريخ السري[685]:

" ..بينما كان العرف أن الذين يرتقون للمنصب الامبراطوري يصدرون العفو العام لرعاياهم، ليس مرة واحدة و إنما مرات عديدة، بما في ذلك مؤخرات ديونهم، حتى لا يظل العاجزون عن دفع الديوان و الغرامات تحت الضغط وحتى لا يستغل ذلك جباة الضرائب. فهذا [جستنيان] لم يقم بشيء من ذلك خلال 32 سنة، مما جعل الكثير يفضل الهجرة والاعتزال، بل أصبح الجميع يخشى الوشاية من أنهم كانوا يدفعون مبالغ أقل مما يجب من الضرائب، و بالتالي بقدر ما أصبحوا يخشون ضرائب جديدة بقدر ما يتخوفون من الغرامات الخاصة بالسنوات السابقة. فأصبح الكثيرون يتخلون عن ممتلكاتهم و يغادرون أماكنهم...."

و رغم ما يطرحه هذا النص من مشاكل خلفيته، هل كان محاولة لعرض الوجه الحقيقي لسياسة جستنيان، على عكس ما كتبه المؤلف من قبل، أم هو محاولة انتقام أرادها بروكوب، إلا أن ما أورده جدير بالاهتمام و يبدو مطابقا لطبيعة الحكم البيزنطي لبلاد المغرب. و بالتالي يمكن الوقوف على السلوكات التالية:

- إجبار ملاكي الضياع الكبرى على توفير المؤونة للجيش في شكل ضريبة خاصة، فكانت طريقة جديدة لجمع المال
- ترك البلاد بدون دفاع أو تحصين
- إطلاق يد الإدارة المحلية في جشعها
- المغالاة في فرض الضرائب المجحفة، و التجاوزات الكثيرة من طرف الجباة و المكلفين بهذه المهمة
- الثروات الهائلة التي حققها بعض عناصر الإدارة البيزنطية، مثل تيودوس، الذي يعتبر أحد أقارب الجنرال بليزاريوس، و الذي كان مكلفا بالإشراف علة خزينة قرطاج
- الإجحاف الديني
- الاضطرابات و حركات التمرد في وحدات الجيش

---

[682] Procope, de Aed, VI,4, 2-10
[683] Procope, de Aed, VI,4,13
[684] De Aed, VI,7,8-12; Corippus, Joh.,I,372-373
[685] Procope, Histoire secréte, XXIII,1-23.p 114-116

نلاحظ من خلال جرد أهم العيوب التي سجلها بروكوب، أنه يمكن إدراجها ضمن مساوئ أي إدارة، دون أن تغير من صورة الرفاهية التي يفترض أن بلاد المغرب كانت تتميز بها. و قد نجد في دراسة مدينة تيمقاد نموذجا لظاهرة الانتعاش هذه، ففضلا عن القلعة البيزنطية، التي شيدت بالجهة الجنوبية، أشرف البيزنطيون على نسبة كبيرة من الترميمات، و دلك حسب التقارير الأثرية في عدد من أحياء المدينة: مثل المساكن الخاصة، السوق، المنشآت الكنسية، خاصة البازيليكا الكبيرة و الموجودة غرب قوس ترجان، أين تجلت فيها عدة ترميمات تعود إلى القرن السادس. ولعل اكتشاف البلاطات المنمنمة بأغلب الكنائس التي جرت بها الحفريات، و التي تعود ليس فقط إلى القرن السادس بل إلى فترات متأخرة من القرن السابع، و الوقوف على استمرار نشاط الحمامات في عدد كبير من المدن إلى جانب المساكن الواسعة و المبلطة بزخرفة جميلة، لا يمكن أن تكون إلا دلالة على استمرارية هذه المدن بنشاطها الاقتصادي و مداخلها المالية، سواء كانت عمومية أو خاصة.

في الواقع يمكن الوقوف على معالم هذه الحركة داخل المدن من خلال :

3. **العمارة العسكرية:**

رغم أن الهاجس الأمني و إستراتيجية الصراع الدين كانا يميزان هذا النوع من العمارة، و رغم أن أغلب هذه المنجزات تعود للفترة الجستنيانية، أو عهد جستين، فإن الحفاظ على بقائها كمنشآت دفاعية إلى غاية فترة الفتوحات الإسلامية، قد تطلب من دون شك المواظبة على الصيانة و الترميم طيلة هذه الفترة[686] .أهم التدخلات البيزنطية في عهد جستنيان

كما تسمح لنا العديد من المصادر العربية من تأكيد فكرة بقاء هذه القلاع قائمة إلى ما بعد الفتوحات الإسلامية[687].

---

[686] لدينا العديد من النقائش المؤرخة في نهاية القرن السادس و حتى منتصف القرن السابع، و التي تحفظ عمليات الصيانة والبناء في هده الفترة المتأخرة، مثل نقيشة هنشير القصور، على مسافة 2 كلم غرب تبسة، و التي يمكن تأريخها ما بين 612 ـ641، (CIL 12036) الى جانب نقيشة قصر لمسة و المؤرخة ما بين 581و 598 (CIL 12035)10681).

[687] A.Mrabet, L’état économique de l’Afrique byzantine, p133

4. العمارة الدينية:

تشكل المنجزات الكنسية أكثر المعالم العمرانية انتشارا في الخريطة البيزنطية، أهميتها في هذا الفصل لا تكمن في الوقوف على المعالم الدينية فقط و إنما تسمح لنا بقياس حجم هذه الحركة العمرانية، و لنا أن نتصور كم تتطلبه كل كنيسة من مواد بناء، و زخرفة و أخشاب و غير دلك من المواد التي تتطلب في أحيان كثيرة استيرادها من خارج المقاطعة الإفريقية ، و قد حاولت رصد جدول للمدن التي اكتشفت بها هذه المعالم، أو سجلت شواهد على عمليات التشييد.

ما تؤكده هذه القائمة من الأعمال المرصودة في المواقع المدروسة، أو التي تمت فيها عمليات التأريخ بطريقة علمية، هو استمرار حركية التشييد في بلاد المغرب إلى غاية فترة الفتوحات الإسلامية، و أن دلك لم يقتصر كما ظل شائعا على العمران العسكري من قلاع و حصون، فالعمارة الدينية مثلما تكرس طبيعة التحول الاجتماعي في المدينة، و بالتالي احتوائها للفعل العمراني، يمكن اعتبارها دليلا على استمرار هذه الرفاهية، التي طالما تميزت بها طيلة العصور السابقة بالاهذاءات العمومية. كما يفترض أن تأثيث مختلف هذه المنشآت قد تطلب وجود حركية تجارية، خاصة و أن عددا كبيرا من المواد المكتشفة تؤكد مصدرها المشرقي أو على الأقل من شمال البحر البيض المتوسط. و بقياس عدد البلاطات المنجزة بالفسيفساء.[688] ولعل ظاهرة تبجيل القديسين التي وجدت ذيوعا كبيرا في هذه الفترة،هي تأكيد على استمرار حركية المجتمع الحضري، حيث أصبحت قواعد الأعمدة و أسس الطاولات تزخر برماد هؤلاء القديسين، بل سمحت الاكتشافات الأثرية بالوقوف على هذا الشكل الجديد من الاهذاءات بالعثور على أضرحة كاملة داخل الحرم الكنسي و كثيرا ما اكتشفت تحت أرضية الكنيسة نفسها. لكن عوض أن يظل حول "الفوروم" أو مؤسسات عبادة الإمبراطور و الهياكل الوثنية، مثلما جرت العادة حسب التقاليد الرومانية ، فقد تمكنت الكنيسة من استقطاب هذه الحركية و قولبتها في المنظور المسيحي الكنسي.

---

[688] N.Duval, influences byzantines sur la civilisation chrétienne de l’Afrique du Nord, p.XXVI-XXX et « l’architecture chrétienne en Byzacene », p1127-1172.

الملكيات العقارية خلال الفترة البيزنطية:

لقد أثرنا إشكالية تحول الملكيات خلال الفترة الوندالية، نتيجة عمليات المصادرة و تحويل الكثير من الضياع لملاكين جدد، و اتضح أنه حسب الدراسات الحديثة ، لا يمكن اعتبار المصادرة قاعدة عمت كل الضياع و الأراضي الإفريقية، بل قد تكون منحصرة في الولاية البروقنصلية، و دلك بالنظر إلى تركيبة المجتمع الوندالي.

ورغم محاولة تقليص الإطار الجغرافي الذي يفترض أنه تأثر بسياسة المصادرة هذه، فانه لا يمكننا نفي التحولات الكبيرة التي لحقت بطبيعة الملكية، و التي قد نتج عنها هجرة عدد من الملاكين الحقيقيين، و انتقال هذه الملكيات إلى الأسر الوندالية، بما في دلك مصادرة الملكيات الكنسية و تحويلها إلى الكنيسة الأريوسية، يضاف إلى دلك ما حدث من تحولات في الوضعية القانونية لطبقة المعمرين، فرغم أنها ظلت على شاكلة التشريعات الرومانية، من المرجح أنها وجدت في سلسلة الاضطرابات و التحولات هذه ، فرصة للفرار من هذه الضياع و التخلص من أعباء هذه التبعية .

وفي حوزتنا العديد من النصوص التي تسمح بمعاينة الموضوع

- **المرسوم الجستنياني 552**

يندرج إصدار هذا المرسوم في إطار السياسة البيزنطية المتعلقة باسترجاع الأرضية الاقتصادية لما قبل الفترة الوندالية،

- **ألواح ألبرتيني**[689]:

اكتشفت سنة 1928، بالقرب من الحدود التونسية الجزائرية، على بعد حوالي 100كم جنوب تبسه، و تمثل حوالي 53 لوحة خشبية، رغم أن بعضها قد أتلف أو ضاع، فهي تحتوي على 34 عقد بيع لأراضي فلاحيه طيلة الفترة الممتدة ما بين 13 مارس 493 و 21 أفريل 496، و يبدو أنها كانت محفوظة في أحد الجرار المدفونة في الأرض، و رغم الغموض الذي يكتنف ظروف اكتشافها، يفترض أنها تتزامن مع فترة الاضطرابات التي شهدتها منطقة الأوراس و جنوب المزاق، مما جعل صاحبها أو أصحابها يخفونها.

[689] ألواح خشبية ـــ حوالي 53 لوحة، بعضها انكسر، منها 07 ألواح ضاعت بعد نقلها الة باريس قصد محاولة استقرائها، و لم يبق منها إلا 54 لوحة ـــ أطلق عليها هدا الاسم تخليدا للباحث الفرنسي ألبرتيني ، الدي يعتبر أول من حاول قراءتها و كشف جوانبها الخفية.

رغم الجدل القائم حول طبيعة أصحاب هذه العقود، هل هم الملاك الدين اشتروا الأرض، أم notaire، فان أهميتها جد كبيرة في نقل صورة حقيقية حول صفقة عادية بعيدة عن أي خطاب إيديولوجي أو رسميات. سمحت لنا بالوقوف على عدة جوانب :

1. أول ما تتميز به هذه الألواح هي احتوائها على المعطيات التأريخية، و قد قدرت الفرشة الزمنية ب 493–496، مما يعطيها أهمية أكبر من القائمة الطويلة للنقاش المعروفة في الخريطة المغربية، باعتبارها تؤرخ لفترة كثيرا ما اعتبرت فيها المعالم الرومانية للحياة العامة في اندثار تام.
2. استمرار نفس القاعدة القانونية و الاقتصادية المعروفة من خلال التشريعات الرومانية مثل قوانين تيودوس. و لعل الاشارة الى قوانين مانسيانا[690] LEX MANCIANA ، و هي القوانين المعرفة مند زمن الإمبراطور هادريان، تتعلق بحصول الملاك على قطعة أرض، مقابل إصلاحها، والتي يفترض أن يشترط غرس أشجار التين و الزيتون.
3. تطلبت صياغة هذه العقود التجارية، عدد من الشركاء، كل تدخل بطريقته من باعة و مشترين، كتاب و شهود، و بالتالي فقد حفظت طريقة و أسلوب كتابة لحوالي 30 شخصا ، تدخلوا كلهم بطريقة أو بأخرى في صياغة هذه العقود، و رغم أن هؤلاء الأشخاص ينتمون إلى جغرافية واحدة فانتماءاتهم الاجتماعية جد مختلفة.
4. أغلبية هذه العقود، قد تم صياغتها من طرف المعنيين أنفسهم، خاصة الباعة، و الغريب أنه لم يتم العثور على أي إشارة تسمح بتأكيد لجوء هؤلاء إلى كتاب معتمدين، و إنما يفترض أنهم قاموا بعمليات الصياغة هذه وفقا لنماذج عقود بيع كانت في حوزتهم.
5. يتجلى من خلال دراسة تركيبة الأسماء أن عددا من سكان هذه القرية أو الضياع أقبلوا " جماعيا" على بيع قطعهم الصغيرة، حيث بلغت قائمة الأسماء الواردة في هذه العقود حوالي 150 اسم، لكن ما يؤكد فرضية البيع الجماعي هو تكرار بعض اسماء الباعة في عقود أخرى بصفة شهود على البيع، فضلا عن وجود عدد من الأرامل[691].
6. سمحت دراسة اسماء هذه الشريحة الفلاحية بالتأكيد على أن أغلبية الأسماء هى لاتينية، مع فرضية وجود بعض الأسماء المحلية[692].

[690] Ch.Saumagne, "Observations sur deux lois Byzantines relatives aux colonat dans l'Afrique du Nord" , p. 485-494.
[691] C.Courtois et alii, Les tablettes Albertini, p.205
[692] C.Courtois et alii, Les tablettes albertini, p.206, n°5

7. توضح هذه العقود طبيعة الملكية العقارية في الميدان الفلاحي، بل تكرس نظرية ارتباط الأرض بمصادرها المائية من آبار و قنوات الري، و بكل الملحقات الإصلاحية مثل الحواجز المائية الصغيرة[693].

8. تسمح بالوقوف على طبيعة النشاط الفلاحي الذي يمكن أن يكون نموذجيا، حيث تميزت أغلب القطع التي أشير إليها في العقود باحتوائها على الأشجار المثمرة، و بالفعل تحتل أشجار التين و الزيتون[694] المكانة الأولى و هو ما لا يتنافى و طبيعة المناخ في المنطقة، رغم أنها تتميز في الوقت الحالي بجفاف أكبر.

جدول قائمة الثمار و عددها حسب ألواح ألبرتيني

نوعية الزراعة	عدد الأشجار المذكورة في الألواح
الزيتون	178
التين	49
التين (Caprifici male)	10
التين Caprifici ernassonea	1
التين الاسكندراني	1
اللوز	4
الفستق	2
العنب	؟
الزان	1
المجموع	246

9. لعل ما يثير الانتباه بدرجة أخص، هو غياب الإشارة إلى زراعة الحبوب في هذه القطع الزراعية، و هو الأمر الذي ولد جدلا كبيرا حول أسرارو خلفيات هذا الغياب، هل كانت هذه الزراعة تمارس بين أشجار التين و الزيتون، كما هو معرف في عدد من الواحات في الوقت الحالي، أم أنها كانت بساتين، محدودة المساحة و لا تحتوي إلا على الأشجار المثمرة

[693] H.Pavis d'Escurac, …. p190, voir aussi,L.Carton, travaux antiques d'irrigation et de culture dans la région de djebel el Onk, dans RSAC,T.XLIII,1909, p 193-224.

[694] Courtois, les vandales et l'Afrique, p 319 n19 : « il faut bien admettre non seulement que ces arbres ont été plantés depuis 439, mais encore que la vigne qui s'enroule à leurs branches a poussé ses premières vrilles postérieurement à la conquête barbare »

خاصة و العقود السالفة الذكر و عن ذكرت أسعار هذه القطع فهي لم تتعرض لمساحات القطع .

10. تحتوي هذه العقود على العديد من الإشارات حول أسعار الصفقات التي أبرمت، أسعار البيع الزهيدة ، و قد حاول كورتوا تبرير دلك بالمديونية التي كان يعاني منها الفلاحين و بالصعوبات المادية التي يعانون منها[695]، فمثلا يوضح العقد رقم 3 حسب ترتيب كورتوا، أن سعر بيع أمة من العبيد، قد وصل الى 1 صوليديس و 700 فلس أو 1 صولديس و نصف، و يتجلى من هذا الجدول الأسعار المدكورة:

جدول أسعار الثمار الواردة في ألواح ألبرتيني

المادة	الثمن بالفلس
الزيتون	14،28 في العقدرقم 6 15 في العقد رقم 9 16،66 في العقد 14 و 18 16،80 في العقد 5 62،50 في العقد 7
التين	50 في العقد رثم 16
اللوز	100 في العقد رقم 19

و بالتالي يظهر أن سعر أشجار الزيتون، هي الأقل في قائمة الأشجار المثمرة، هل يعود دلك الى عدم مردودية هذه الأشجار، أم إلى،،،،،،،

- **الأبيقاس عند بروكوب:**

أورد بروكوب نصا في حديثة عن المعارك التي جمعت القائد البيزنطي بليزاريوس مع الأمير يبداس بمنطقة الأوراس، يعتبر عرج به الى واقع استغلال الأرض في هذه المنطقة الجبلية : " **ينبع الأبيقاس من مرتفعات الأوراس، و عند وصوله إلى السهول يسمح بري الأراضي حسب ما يريد الأهالي، لأنهم يحولون المجرى المائي بالطريقة التي يعتبروها أكثر فائدة لهم، فقد حفروا عددا كبيرا من القنوات، وزعت من خلالها مياه الأبيقاس: تسير تحت**

[695] C.Courtois et alii, lesTablettes Albertini, p 205 et ss

الأرض ثم تظهر ثانية لتلتقي هذه المياه من جديد. و هكذا أصبحت في أغلب جهات السهول، تتواجد مياه هذا النهر، في متناول السكان الدين يغلقون القنوات بمغاليق أو يفتحونها فيما بعد، بالشكل الذي يسمح لهم بالتحكم في المياه كما يشاءون"

كثيرا ما استفاد هذا النص من تعاليق الباحثين، سواء كان في سياق إثبات الوجود الروماني في منطقة الأوراس، أو لتبيان نمط الاستغلال المائي في هذه الفترة المتأخرة من التاريخ القديم. و رغم ما تطرحه نصوص بروكوب من إشكاليات فيما يخص المعرفة الجغرافية و ضبط المواقع، فهذا النص لا يطرح صعوبة في الاستنطاق باعتباره وصفا دقيقا لعملية توزيع المياه و استغلالها في ري الأراضي الزراعية.

إلا أن هذا النص يدعونا لمساءلة المصادر الأثرية حول إمكانية شرح و إثبات الظاهرة الفلاحية، و هو الأمر الذي جعلنا نقوم بقراءة عمودية لبعض هذه المصادر، متجاوزين بدلك الإطار الزمني الدب نحن بصدد دراسته، و بالفعل فقد لفت انتباه الباحثين وثيقة يمكن أن تكون وحيدة في التاريخ الروماني، ألا و هي نقيشة لاماسبا، التي تكرس نفس التقنية في استقطاب المياه و توزيعها.

- **نقيشة لاماسبا:**

اكتشفت هذه النقيشة بالموقع الأثري بلازما بالقرب من مروانة، الى جانب مخلفات مادية لهياكل لقنوات و توزيع المياه، أغلبها أعيد استعماله بالقلعة البيزنطية. يعود تاريخ صياغتها إلى زمن الإمبراطور إلاغابال Elgabal، حيث ورد اسمه في الديباجة التي سبقت النص المعلن عليه[696]. النقيشة عبارة عن قرار " المجلس البلدي" نقش فوق صفيحة حجرية، بعد نزاع حول ملكية بعض الأراضي و مصادرها المائية، شكلت هيئة للتحكيم تمثل الأعيان و أعضاء من الهيئات المحلية، و أعلن عن ما يمكن تسميته بمحضر أو قرار هذه اللجنة، لفك النزاع و ضبط حقوق كل طرف.

و يتمثل مضمون هذه النقيشة في جرد قائمة لحوالي 400 ملاك – رغم أن العدد المعروف حقيقة من ما تبقى من النقيشة لا يتجاوز 63 شخصا- لاسيما وأن الجزء المعروف من النقيشة لا يتجاوز 1/5 من الحجم الافتراضي للقطعة الحجرية[697]. كما تحدد هذه الوثيقة أقساط توزيع مياه جوفية أطلق عليها l'aqua Claudiana، وفقا لطريقة لا زالت محل نقاش بين الباحثين، باعتبار أن أما م اسم كل مستفيد، أو مالك عقاري وضع الحرف K أمام

[696] F.G.De Pachtére, les règlement de Lamasba, MEFR, XXVIII,1908,p.373-405
[697] C.I.L. VIII, 18587; B.Shaw, Lamasba ; An ancient irrigation community, Ant.Afr, 18, 1982,p. 61-103

رقم معين[698]، هل هو القسط خلال وحدة زمنية فقط، أم حجم كمية المياه التي يمكن أن يستفيد بها بالمقارنة إما مع طبيعة الفلاحة التي يمارسها، أو مساحة القطعة التي يمتلكها، يمكن ان تكون أيضا معادلة مع طبيعة الأراضي التي تحتاج سقاية. رغم أن الوثيقة تفرق بين أقساط السقاية، عندما تكون المياه باتجاه المنحدر، أو عندا تكون مرتفعة، أو في موقع مرتفع مما يتطلب، من دون شك، وسائل لنقلها إلى الأعلى.

لعل أهمية هذا النص كبيرة جدا في توضيح خلفية نص أبقياس، باعتبار أن التقنية ليست مجرد خيال أدبي و إنما يمكن أن تستند إلى تقنية متجذرة في المنطقة. و لعله من المفيد الاستنجاد أيضا بنص أقدم من دلك و هو نص بلين القديم[699]، الذي يصف أحد الواحات بخليج قابس، و يكرس نفس الظاهرة التي وصفها بروكوب ، أو لازلنا نلاحظها في واحاتنا حاليا تحت اسم الفوقارة.

كما احتوت مجمعة جستنيان القانونية، و المعروفة باسم (CJ,XI,63,1) على مرسوم إمبراطوري، يعود إلى تاريخ 319، يبدو أنه نشر بقرطاج بعد النظر في احتجاجات بعض الملاكين الكبار عن تعرض أراضيهم لابتزاز من طرف المعمرين[700]. ورغم ما يطرحه هذا النص من إشكالات في مطابقته مع واقع الفترة البيزنطية، فالإسقاطات التاريخية و إن وجدت بعض تبريراتها، في العديد من النصوص، ففي أغلبها يصعب عليها البرهنة على امتداد نفس الأرضية الاقتصادية القانونية و الاقتصادية، إلا أنه يسمح بتوظيفه في التأكيد على استمرار ظاهرة استعمال قنوات الري بالأراضي الزراعية، كما يسمح بتكريس هذه العلاقة الهرمية التي قد نعود إليها لاحقا، بين الملاكين الكبار و المعمرين. و في حديث

---

[698] B.Shaw, Lamasba ; An ancient irrigation community , p. 87-96 ; H. Pavis d'Escurac, Irrigation et vie paysanne dans l'Afrique antique, Ktéma, N°5, 1980, p.185

[699] يدكر بلين القديم " ... يوجد بإفريقيا...في الطريق سيرت و لبدة، مدينة تحمل اسم تاكابي(قابس)، و التي تعتبر أراضيها مسقية، تنبع بها مياه جوفية كثيرة، إلا أنها لا توزع إلا في ساعات محددة للسكان. هناك (تنبت) تحت النخلة الكبيرة، شجرة زيتون، و تحت شجرة الزيتون، شجرة تين، و تحت شجرة التين، شجرة رمان، و تحت شجرة الرمان، شجرة عنب، و تحت العنب، يزرع القمح و الخضر و الأعشاب المنزلية، كل هدا في سنة واحدة، كل يستفيد من ظل الأخر..."

[700] " على المعمرين الدين يتعدون على (emphytéotes) (الملاكين الكبار) بضم أراضيهم و تجاوز العرف، الأراضي التي لم يتم إحياؤها بأي زراعة، في في حين أن القانون لا يسمح لهم إلا بالأراضي التي أصلحوها بعملهم الخاص، تعرس فيها أشجار الزيتون و العنب، و فضلا عن دلك فهم يتجاوزون أيضا في اغتصاب المياه التي تسيل من الينابيعــ التي هي فقط من حق (emphytéotes) (الملاكين الكبار). و بالتالي فقد تقرر بأن حق الاستهلاك و التحكم في هده المصادر المائية يعود فقط ل(emphytéotes) ، و أنه لا يسمح لهم بالحصول إلا ما تحتاجه حقولهم التي يشتغلون بها ،من مياه، أما المياه التي تتجاوز احتياجاتهم، و التي يغتصبونها لأغراض غير الزراعة المسموح بها culturae mancianae ، فيجب عليهم تعويض الملاكين عن دلك "

CJ,XI,63,1 »,1955,pp259-26

إيفاغريوسEvagrius عن لحركة العمرانية التي قام بها جستنيان، أشار اعتبر أن المنشآت المائية هي جزء من البرنامج الامبراطوري، أو بالأحرى من شروط الرفاهية الأساسية، حيث ذكر أن المدن قد حضيت " للمتعة مثل الحاجة، أنجزت من العدم بالنسبة للمدن التي لم تكن تمتلك منشآت للمياه، و رممت الموجودة منها بطريقة ترجع مظهرها السابق" [701]، و بالتالي فرغم افتقادنا إلى قرائن مادية تؤكد ذلك، أن المياه كانت تعتبر ايضا من شروط إنعاش المدينة، شأنها شأن الأسوار.

- **الموانئ:**

تتميز قائمة المدن التي أصرت الإمبراطورية على الحفاظ عليها في عدد من المدن الساحلية، التي يفترض أنها بفضل موقعها هذا، كانت توفر بسهولة الاتصال بين بعضها البعض، بعيدا عن مخاطر الإمارات المورية التي أصبحت تتحكم في الجغرافية الإقليمية للقسم الغربي، فإنها أيضا ظلت المداخل و المخارج الاقتصادية الضرورية للإمبراطورية و بلاد المغرب في نفس الوقت. ولعل تفحصنا لقائمة المحطات التي أوردها البكري و المقدرةبـــ 117 محطة بحرية أو مجرى منها 76 ما بين وهران و طرابلس[702]، أو ما أورده الإدريسي و المقدر بـــ167 ما بين ماسا على المحيط الأطلسي طرابلس، منها 130بين وهران و طرابلس[703]، لتأكيد على وظيفية هذه المواقع طيلة الفترة البيزنطية.

- **الأسواق:**

هل ظلت الاسواق قائمة بنفس الطريقة؟ و هل يمكن الحديث عن حركية تجارية ما داخل المدن؟ و رغم أننا نفتقد إلى عينات مادية، فيمكن أن نستشف من نص بروكوب عن كيفية تسرب الجنود البيزنطيين لمدينة سالاكتة Sullectum، التي كانت محمية من طرف قوات وندالية، بأن " هؤلاء قدموا بالقرب من المدينة عند اقتراب الليل، و اختفوا بمنحدرات قضوا بها الليل، و عند الفجر تمكنوا من التسرب دون ضجيج رفقة الفلاحين الذين يدخلونها بعرباتهم، ثم استولوا عليها"[704]. و أهمية النص تكمن في فكرة االتخفي في العربات، التي كانت دون شك محملة بالمواد الفلاحية المحلية، لكن حتى تتمكن هذه العربات

---

701 Evagrius,Histoire ecclésiastique, éd. J.Bidez et L.Parmentier, IV,18. Cf. Ch,Diehl, Afr.Byz. p. 387.

702 البكري، المسالك و الممالك، ص 81-86

703 الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص

704 Procope, B.V. I,16,10

من احتواء عدد كاف من الجند، يكفي على الأقل للإطاحة بالمدينة. يجب أن نتصور أن عددها كان كبيرا للغاية، و أن هذه الحركة هي من العادة بمكان، لدرجة لا تلفت انتباه الحرس الوندالي. كما يمكننا الإشارة إلى نقيشة بيزنطية بسردينيا كرال Carales، تتحدث عن المتاجرة في الحيوانات و استعمال القوارب[705] . و هو ما يدعم أيضا بنص بيزنطي اكتشف بتبسة، و الذي يشير إلى وجود أمين للمال مكلف بالزيوت في الفترة ما بين 542-543[706]. كما ورد في نص بروكوب عند حديثه عن هزيمة لواتة أمام الجيش البيزنطي، أن عدد الأسرى كان كبيرا لدرجة أن الطفل اصبح يباع بثمن الخروف[707]. هل هو دليل على تدني سعر المواشي؟ أم هي فقط إشارة لكثرة الأسرى؟ و بالتالي فلنا أن نتصور ان الأسواق قد ظلت تنظم داخل المدن و أن اعتماد هذه الأخيرة على البضائع الريفية قد استمر قائما. فهل تؤكد العملة هذه الفرضية؟؟؟

الإنتاج الفلاحي:

إدا كانت فكرة الرفاهية الإفريقية قد وجدت أكثر من مناصر في البحوث التاريخية و الأثرية، فكثيرا ما اشتد الجدل حول المحرك الحقيقي لهذه الرفاهية[708]، هل كانت فعلا سياسة الزيتنة التي مارستها روما و التي تبنى أصحابها أن روما قد تمكنت من جعل أغلبية الأراضي الإفريقية مغطاة بحقول الزيتون ابتداء من القرن الثاني ميلادي[709]؟ و ما مكانة الحبوب و بقية الموارد الفلاحية الأخرى؟

---

[705] A.Guillou, La Sicile Byzantine. Etat des recherches, « Byzantinische Forschungen », 5, 1977, p. 95-106

يفترض المؤلف أن ضريبة ما كانت تؤخذ على الباعة الذين يدخلون أسوار المدينة، أنظر ايضا في نفس الموضوع:

J.Durliat, recherche sur l'histoire sociale….pp.3-13

[706] نص نقش على قطعة من الفخار الأحمر، ورد فيها: " في السنة السادسة عشر لسيدنا جستنيان، الامبراطور، قد عين أمينا للمال للزيت.

"Anno XVI dom(i)ni / nostri / Iustiniani I<m=N>/peratori(s) ex(is)tima/tus fuit(!) Laudeti in / portione dominica / ol<e=I>ariu(s) arcariu(s) / unu(s) tantum"

E.Albertini, Ostrakon byzantine de Négrine(Numidie), dans Cinquantenaire de la faculté d'Alger, 1932, p.53-62 ; AE 1933, 00232 ; J.Durliat, recherches d'histoire byzantine, p.15-17, 119,140

[707] Procope, B.V.II,12,27

[708] غذت التشريعات الامبراطورية التي تعود إلى نهاية القرن الرابع و بداية القرن الخامس، العديد من الدراسات ، أنظر:

CL.lepelley, déclin ou stabilite de l'agriculture africaine au Bas-Empire ? A propos d'une loi de l'empereur Honorius, p.135-144 ; N.Duval, Etudes d'architecture chrétienne nord-africaine, p.1071 -1172 ; A.Kotula, Snobisme municipal ou prospérité relative ? Recherches sur le statut des villes nord-africaines sous le Bas-Empire romain, Ant.Afr.8,p.11-131

[709] Cl. Panella, Le anfore tardoantiche ; centri di produzione e mercati preferenziali. In, A.Giardina,(Dir.) Sociéta romana e impero tardoantico. III, le merci, gli insediamenti, Rome, Laterza, 1986, p.251-272 ; Ibid, Gli scambi nel Mediterraneo occidentale dal IV al VII

تحفظ الكثير من النصوص مكانة القمح الإفريقي في الحياة اليومية لروما، و استمرار ظاهرة الأنونا إلى فترة متأخرة من التاريخ القديم القديم[710]، بل يبدو أن تأسيس القسطنطينية قد ساهم في توجه كميات من هذه الصادرات إلى الحوض الشرقي للمتوسط ، حيث أكدت العديد من الدراسات أن التحولات السياسية التي علاقتها الإمبراطورية الرومانية ، قد ضاعفت من أهمية المقاطعة الإفريقية في تموين الضفة الشمالية للبحر الأبيض المتوسط، لاسيما بل احتكار القسطنطينية للقمح المصري، و هو الأمر الذي يترجم باكتشاف الكميات الكبيرة من الفخاريات في هذه الموانئ الشمالية.

سبق أن أشرنا أن أغلبية الحركات الانفصالية التي انطلقت أو استعملت الأرض الإفريقية، قد وظفت القمح كسلاح أو ووسيلة للضغط على الإمبراطورية، بما في دلك فترة الاحتلال الوندالي، و التي أسماها كورتوا " بمملكة القمح". إلا أن التساؤل يظل مطروحا بالنسبة للفترة الوندالية، هل حقا أوقف جنزريق صادرات الحبوب نهائيا، أم أنه استعملها بدوره كوسيلة لضمان مكانة مملكته ضمن الإمبراطورية، ألا يمكن النظر إلى المعاهدات السلمية مع روما، و تنازلات هذه الأخيرة، و فيما بعد التقارب البيزنطي الوندالي محاولة لضمان تقاليد التموين المعهودة؟ و يجب الإشارة ، بالمقابل إلى فرضية فائض الإنتاج التي يمكن أن تنعكس على سكان المغرب في حالة توقف الصادرات مثلما اقترح كورتوا[711].

ورغم افتقادنا إلى المصادر التي تسمح بتتبع هذا الموضوع، فقد نتحسس في ما تم العثور عليه لحد الآن استمرار هذه الحركية و لو بدرجة أقل، فمثلا تسمح نقيشة (أوستراكا) نقرين بالقرب من تبسة[712]؟ باستخلاص أن صندوقا كان مخصصا لتسيير المخازن العمومية للزيوت، مما جعل بعض الباحثين يفترض امكانية استمرار سياسة الأنونا، وأنها أصبحت تشمل الزيوت إلى جانب الحبوب[713]. بينما أشار تيوفان Theophane في حولياته أن هرقليوس قد أعلن الحرب على الإمبراطور فوكاس بإيقاف الصادرات الإفريقية من الحبوب الى القسطنطينية[714]، مما يجعل الاحتمال قائما حول استمرار قنوات إنتاج و

secolo, dal punto di visto di alcune merci. In, Hommes et richesses dans l'empire byzantin, I.Paris, Lethielleux, 1989, p.129-141 (Réalités Byzantines)

[710] H. Djaidi, l'Afrique et le Blé de Rome aux IV eme et Veme siècles, publications de la faculté des sciences humaines et sociales de Tunis, 1990

[711] C.Courtois, V.A.

[712] Albertini (E), "Ostrakon de Negrine (Numidie)" pp 53-62

[713] J.Durliat, Recherches sur l'histoire sociale, p.14-17 = La lettre L dans les inscriptions byzantines d'Afrique, p.157,n°2

[714] Theophanes, Chronographia, p.458-460 ; J.de Nikiou, Chronnique, éd. trad. Zotenberg, dans Notices et extraits des manuscrits de la bibliotheque Nationale, T. 24, Paris, 1883, p.421-423 ; Ch.Diehl, Afr. Byz. p.518

تصدير الحبوب إلى العاصمة الجديدة، ألا يمكن العودة إلى أسباب الحملة البيزنطية لاسترجاع المقاطعة الإفريقية من يد الوندال و افتراض العمل على استرجاع هذا المصدر الاقتصادي الاستراتيجي.

و في غياب المصادر الأدبية و النقائش الأثرية، تبقى الدراسات الفخارية هي الملجأ الوحيد، لحد الآن، لاستكمال الملف الفلاحي لبلاد المغرب. فحضور ما يصطلح بتسميته بأواني الطاولة، أو الفخاريات الراقية ، ذات المصدر الإفريقي، إلى جانب بقايا الجرار المختلفة، أو حاويات الحبوب و السوائل، في أغلبية الموانئ المتوسطية.

وإذا كان كورتوا قد اعتبر أن بلاد المغرب قد ظلت تحافظ على حيويتها طيلة الفترة الوندالة، و أن الأزمة التي نشبت خلال هذه الفترة، لم تكن نتاج عوامل اقتصادية بل بسبب تغير الطبقات الاجتماعية و تعويض الطبقة الأرستقراطية الوندالية، طبقة الملاكين الكبار الرومان و الأفارقة، وتطورت بفعل تضامن الكنيسة و ربط مصيرها بمصير هؤلاء الأعيان[715]. فهذا يجعلنا نتساءل عن طبيعة التركيبة الاجتماعية التي حبلت بها الفترة البيزنطية، هل كانت هي الأخرى محور الحركية الإقتصادية؟ و هل غيرت في طبيعة التملك و صيرورة الإنتاج، كما يمكن أن تنتساءل عن مدى اعتبار تركيبة الملاكين الكبار الدين عرفتهم بلاد المغرب أثناء فترة الاحتلال البيزنطي، كنمودج من نمادج الضياع الاقطاعية التي تطورت في أوربا الى ما يسمى بالنظام الاقطاعي، و اذا كان كذلك فهل تعود القطيعة لهذه المرحلة، أم يجب البحث عنها في الفترة الاسلامية؟

[715] C.Courtois, V.A. p.323

جدول لأهم النشاطات الاقتصادية حسب المصادر الأدبية

الموضوع	التعليق	المصدر
الأسواق		B.V.I,16,10 ;21,1 0
صك العملة بقرطاج		C.Audollent,Carthage romaine, 1901,p333
صناعة السفن	يبدو أن أهم ورشة لصناعة السفن كانت بموقع سيدي داود Missua ، على الشواطىء الغربية لرأس بونة	Procope, B.V.II,14,40
ازدهار الفلاحة و تحقيق إفريقيا الاكتفاء الداتي	أكد بروكوب أن بلاد المغرب خلال الفترة الوندالية لم تمكن في حاجة إلى استيراد المواد الغذائية، مما جعل بعض الباحثين يعتبرون أن الخلفية الأساسية لجنزريق من استقراره في إفريقيا، و هي " امبراطورية القمح". كما اعتبر كورتوا ذلك عربونا لرفاهية السكان	Procope B.V.II, 3, 26 Corp,Joh,III,13 ;28 ;67 Courtois, V.A. p.323
كان مصدر الخيرات هو الحبوب و الزيتون		Corippus, Joh,I,331.III,31 V.Vita,III,55
تميز سهول البروقنصلية و شرق المزاق بأحسن الأراضي الخصبة	تتعلق الفقرة الأولى بمنطقة الكاف Sicca Veneria، . أما الفقرة الثانية فتتعلق بسواحل ولاية المزاق	Vira Fulgenti,VI etX ed.Lapeyere,pp35et59; courtois317
القمح و الشعير كان دوما المادة الغذائية الأساسية		Viat Fulgentii, XVI; XXVII, éd. G. G. lapeyere, p127 ; ProcopeB.V.II,7,3-4 ;II,6,13 ; victor de vita, II,37 ; Procope,II,6,13 . courtois,V.A.,317
كورتوا اعتبر أن المساحات المزروعة لم تتقلص بسبب الوندال و إنما بسبب هجومات الإمارات المورية		courtois,V.A.,317
اعتبر كورتوا أنه إدا توقفت الصادرات الإفريقية باتجاه إيطاليا، فيجب حساب ارتفاع عدد السكان بحكم انتقال 80000 وندالي، و بالتالي ارتفاع القدرة الاستهلاكية		courtois,V.A.,317
ظلت إفريقيا بلاد حرث		victor de vita, III,55 et 57
المحراث الذي تجره الثيران ظل مستعملا في الحقول		victor de vita, III, 57
أينما تذهب تجد الحبوب تغطي السهول، مثلا ،		

عتيقة		victor de vita, III, 57
قرطاج		Tite live XXV,31,13-14,XXIX,36,1
السهول العليا النوميدية التي احتلها الرومان	يشير الى سهول تيمقاد كسهول لزراعة القمح	Procope,B.V.II,19,20
منطقة الأوراس	من خلال حديثة عن بادس	Procope,B.V.II,13,24
الأشجار المثمرة		Victro de vita,I,3
أشجار الزان	القديس فيلجاس أستقدمها لبناء أسقفيته	Vita Fulgentii,XVI,
الأشجار كانت ضرورية لضمان التدفئة في الحمامات، و صناعة السفن	اعتبر غزال أن الإشارة إلى استقدام الخشب من كورسيكا قد يرجع ربما الى انعدامه في إفريقيا؟؟	Courtois,p318 Victro de vita,III,20 ; Gsell, H.A.A.N, t1,p155
كوريبوس	عن نفس المنطقة، يتحدث عن إنتاج محصولين في السنة	Corip.Joh.,II,156
الزيتون و الأشجار المثمرة في جنوب المزاق		Tab.Albertini
رغم أن بلاد المغرب قد عرفت مجاعة 484 التي تحدث عنها فيكتور الفيتي		Victor de vita,III,55 et ss
توفر أدلة عن تقنيات الري، خاصة في المناطق الجافة (نموذج لاماسبا يطرح فرضية البساتين)		
في بداية القرن السادس	تلقى تيودوريك كهدية من الأفارقة تتمثل في aquilex مما يفترض أن les aiguadiers لم تفقد أهميتها في بلاد المغرب	Cassiodore,Variae,III,53 Courtoisp318
استعرض تقنية الري المستعملة الأبيقاس		Procope,B.V.II,19,12 et ss
ألواح ألبرتيني تؤكد استعمال هذه التقنية		Tablettes albertini,p 203
أشجار الزيتون في جنوب المزاق من أهم الزراعات		Tablettes albertini,p 201 Corip.Joh.I,534 et ss Victor de vita,III,55
أهمية الزيوت في بلاد المغرب		Anthologie latine ,376,15, ???????
الأشجار المثمرة	جنوب المزاق	Tablettes albertini
البساتين التي كانت حول القصر الوندالي بغراسا	حسب بروكوب، قد نالت اعجاب البيزنطيين، و أنه هو لم ير أحسن من دلك أبدا، حيث يؤكد وجود كل أنواع الأشجار المثمرة، إلى درجة أن الجنود البيزنطيين قد استهلكوا ما استطاعوا دون أن يغير دلك من شكل الأشجار	Procope, B.V.I,17,10
الخيرات التي تميزت بها منطقة رأس كبودية، و ربما مناطق أخرى بالجنوب		Procope, B.V.I,16,1,

بروكوب وصف قصور الوندال بأنها محاطة بالبساتين		Procope, B.V. I I,6,9
المجاري المائية و البساتين الواسعة حول الأوراس		Procope, B.V. I I,13,23
أشجار التين و اللوز	يبدو أنها كانت كثيرة الانتشار	ألواح ألبرتيني، فيكتور الفيتي اعتبر أن مكانتها لا تقل عن مكانة أشجار الزيتون Victor de vita,III,55
القديس فيلجانس أحاط الأرض التي سلمه إياها سيلفستريوس بالأشجار أو ببستان		Vita Fulgentii,X
تربية المواشي		
الحصان	ضروري في الحروب، و البريد ايضا	Victor de vita, II, 16; II,27 البريد:Procope,B.V.I,16,2
الحمير		Victor de vita, II,27
الجمال	يبدو ان استعماله كان قليلا في النمط االروماني، إلا أنه كثير الاستعمال عند القبائل المورية	Victor de vita, I,48, II,27 انظر النصوص التي تتحدث عن الجمال
الثيران	تستعمل أيضا لجر العربات، و الحرث	Procope,I,16,10 ; Victor de vita, III,57
بعض الأسعار		
سعر العبد سعر الشجرة		نقد ونصف عشرات الفلوس (tablettes albert)
كورتوا يستخلص بأن التجارة الداخلية كانت ضعيفة		
علاقات إفريقيا بالمحيط الخارجي		
عند نزول بروكوب بسيراقوسا، التقى بتاجر سوري في هذه الجزيرة و الذي كان أحد عماله قد رجع من قرطاج		B.V.I,14,7-8
يشير بروكوب بأن جليمير قد اعتقل عددا منهم، بتهمة أنهم حرضوا الامبراطور على اعلان الحرب على الوندال		B.V.I,1,20,5
ظلت الإشارة إلى التجار الأفارقة négotiatores وأنهم ظلوا يراودون الموانئ المشرقية		Victor de vita,,III,41؟؟؟
بقرطاج لاحظ بروكوب أن التجار من كل جنسية يمتزجون حول المندراكيوم، أي حول الميناء يبدو أن هندريك قد أدخل عليه بعض الإصلاحات		Courtois,322
المواد المتبادلة الحرير		Procope, II,6,7
الصادرات: الحيوانات المفترسة	كانت خاصة مشهورة في الاستعراضات و المسارح الرومانية	Cassiodore,Chron.1364

المجتمع الموري

- **المور و مصادر القرن السادس الميلادي:**

إذا كانت صورة المور بعد تعميمها على سكان بلاد المغرب، قد أصبحت تجسد معاداة الإمبراطورية الرومانية، بما تمثله من قيم حضارية[716]، وعدم الخضوع لها. فكثيرا ما كانت المصادر اللاتينية تلصق بها مختلف صور العداء والاحتقار. وقد لخص فيفري أهم هذه الرؤى قائلا " كان الفرسان المور والجيتول بالنسبة لسالوست Salluste، يغيرون بدون خطة ولا تنظيم، وكان تاكفاريناس بالنسبة لتاسيت Tacite قادما من البلاد التي لا يعرف سكانها المدينة وكان الموزولامي هم كذلك قادمين من وراء الحدود، بينما اعتبرهم لوكان Lucain أنهم صيادي إفريقيا تعودوا على سكن المباليا Mapalia، هذه الأكواخ التي ظلت تغذي أذهان القدماء و المحدثين. واعتبره سيليس إيطاليكوس Silus Italicus في كتابه "الحروب البونية" بأنه الجيتولي، الذي ليس له مسكنا، ولا يعرف إلا المباليا..."[717].كما نجد العديد من هذه الصور تتكرر في أغلبية المصادر اللاتينية حتى عهد بروكوب و كوريبوس. حيث كانت مثلا المصادر الكاثوليكية، وعلى رأسها فيكتور الفيتي، تؤكد على العلاقة الودية التي جمعت المور بملوك الوندال، وأنهم كانوا في مقدمة الجيش الوندالي الذي اقتحم روما واحتلها وعاث فيها فسادا، أو استقبلوا عددا كبيرا من رجال الدين الكاثوليك الذين نفاهم الوندال. وبالتالي فاحتلال روما وما تمثله من مكانة معنوية في تاريخ الإمبراطورية، واضطهاد المسيحيين الكاثوليك هو أقصى ما يمكن إلصاقه بالمور، من طرف الدعاية المسيحية التي كانت تعتبر نفسها الوريثة الشرعية للإمبراطورية[718]. ولعل ما أورده الشاعر الإفريقي من صور الخداع و المكر، إلى جانب مظاهر الهمجية و الوحشية، وغيرها من مظاهر الذم و الاحتقار، هي تتويج لمختلف الصور التقليدية التي ألصقت بالمور، وتوارثتها المصادر الأدبية اللاتينية، فهو يقارن معيشة المور بمعيشة مملكة الحيوان[719]. و يعتبر أيضا أن الموري هو رجل الطبيعة بامتياز، يقطن المباليا المثبتة بالأشجار و الصخور[720]، بل يذهب إلى وصف امرأة مورية أسيرة " **أن وجهها قاتم السواد، و أولادها مثلها يشبهون صغار الغربان** "[721]. و بغض النظر عن صور العداء و الاحتقار الشديدين، التي أظهرهما الشاعر كوريبوس، فإنه نفسه يشهد على شجاعة هؤلاء المور

[716] E. B. Fentress, "For Ever Berber?" dans OPUS, T2, 1, 1983, p.171 ; Y. Moderan, les Maures et l'Afrique romaine ..., pp.439-444

[717] P.A.Fevrier., le Maure ambigu, B.A.C.19 B,p.301.Ibid, Approches aux Maghreb Romain, TII...p.146.

[718] C. Courtois, V.A p353

[719] Coripppe, Joh. IV, 350 - 355

[720] Corippe, Joh. II, 9 - 10 ; 62 - 64

[721] Corippe, Joh. VI, 82 - 86

و قوتهم، كما ينعتهم دوما تحت قيادة أمير أو ملك[722]. شأنه في ذلك شأن المؤرخ بروكوب أو بعض المصادر اللاتينية الأخرى.

– **قائمة كوريبوس**

رغم الطابع الشعري الذي ميز قصيدة الجوهانيد Johannide لكوريبوس، إلا أنها تشكل سجلا إثنوغرافيا وحيدا في المصادر القديمة، ففضلا عن كونه إفريقيا على دراية كبيرة بتطورات المجتمع، يبدو أيضا أنه كان يدافع عن موقف طبقة الأفارقة الذين سبق و أن استنجدوا بجستنيان لتحريرهم من الوندال. و بالتالي جاءت قصيدته من خلال التمجيد بأعمال القائد البيزنطي جون تروجليتا، لتأكد أن الخطر لازال قائما، وأن مصدره هذه المرة هو هذه القبائل المورية. و لعل فترة كتابته هذه القصيدة(548-550)، من شأنها أن تكرس حالة اليأس و الإحباط التي بلغتها المقاطعة الإفريقية، حيث تراكمت فيها العديد من الهموم، كثقل الحروب، تفاقم الضرائب، فرار السكان، فضلا عن الأزمة الدينية الشهيرة بالفصول الثلاث، و ردود فعلها[723]. و من ثم فلا غرابة أن يؤسس هذا الشاعر خطابا يجعل المور سبب البلاء و الهموم التي عرفتها إفريقيا، بل يصفهم بكل صور العداء و الاحتقار[724]. و هي الصور التي طالما وجدناها تتكرر عند العودة إلى الشخصيات المورية مثل أنتالاس، يبداس أو قبائل لواته و هوارة. إلا أن حرصه على إثبات قناعته، تجلى أكثر في محاولته إعطاء جرد كامل لهذه القبائل المورية، و خصوصياتها الإقليمية[725].

---

[722] Corippe, Joh. I, 468 - 469; II, 29 - 30 , 109 , 141

[723] أنظر الفصل

[724] Joh. VII,181-Gentes ferae ; I,467- gens acerba ; II,102- horrida gens ; II,192- gentes nefandae ; III,388-gentes amarae; VIII,217 gentes malignae…

أنظر بهذا الصدد: Y. Moderan, les Maures et l'Afrique romaine, p.40

[725] اعتبر Moderan ، أنه رغم المبالغة الشعرية فكونه قد توجه في قصيدته لجمهور إفريقي و قادة الجيش البيزنطي، و حديثه عن موضوع حساس كهذا، كفيل بان يجعله ، و إن بالغ في أمور فإنه لا يبتدعها. أنظر : Y. Moderan, les Maures et l'Afrique romaine, p.41. إلا أنه يجب الإشارة إلى خطورة تزكية القصيدة كوثيقة تاريخية كاملة، أو مثلما وصفها فيفري أن هذه القصيدة كانت بالنسبة لإفريقيا مثلما كانت أنشودة رولاند بالنسبة للغرب المسيحي:

P.A.Février approches du Maghreb romain , T2,p 156.

جدول خاص بالقبائل المورية التي وردت في قصيدة كوريبوس[726]

الشخصية، القبيلة أو الإمارة		المكان	الصفة	—
Antalas أنتالاس. قبيلة الفراكسة Frexes		جنوب شرق المزاق	أمير المور، كان حليفا للرومان لأكثر من 10 سنوات، أعلن الحرب بسبب مقتل أخيه. تمكن من جر القبائل الليبية وعاث في الدنيا فسادا. قبيلة الفراكسة شجاعة و قوية، تستعمل الخيول في حروبها	II,28
Sidifan سيديفان		تمكن على رأس قبيلته من التحرك في كل اتجاه في الأرياف الواسعة	يتميز بالثقة و الغرور على متن حصانه الفرسان	II,47II,69
Sinusdisae السنوسديساي	نعتت هذه القبائل باسم الأقاليم التي تقطنها، دون الإشارة أيضا إلى الشخصية التي تقودها		تحرك وحداتها الغاضبة	
Silvacae السيلفاكاي		المخيفة		
Naffur النافوري			المخيفة بأسلحتها، التي سارعت للمعركة	
Silcadenit السيلكداني			يقود قبيلة من الهمج تعد دوما، في أعالي الغابات، و على مواقع الطرق الحروب باستعمال الحيلة و الخديعة. يحدث الرعب في أوساط عدوه و يغير من مكان عملياته باستمرار	
سكان مناطق الكوروبي Gurubis				
سكان قمم ماركور Mercure				
سكان إيفرا Ifra		غاباتها كثيفة		
أوتيليتن Autiliten			الهمجي، لم يكن أكثر لينا من والده في عملياته، و الذي يطلق العنان لجرائمه، كالقيام بالحرائق، و عمليات النهب، يأخذ و يسطو على كل شئ أمامه	
سيلفايزن Silcaizan				
Macares المكارين		يقيمون أكواخهم في أعالي القمم و في الغابات الكثيفة		
السيلزاكتايين Silzactae				

726 V. Zarini, Bérberes ou Barbares, recherches sur le livre second de la Johannide de Corippe, Nancy, 1997 ; Ibid, « La préface de la Johannide de Corippe : certitudes et hypothéses »,dans Revue des études augustiniennes, T.32, 1986, p.74-91 ; Ibid, Images de guerre dans la poésie officielle de l'Antiquité tardive : l'exemple de la Johannide de Corippe, dans Cl.Auvray-Assayas éd., Images romaines, Paris, 1998, p.161-172.

	الكونيينCaunes	أين تنبع مياه الفادارا Vadara الشبيهة بالنهر، و من أعالي جبالهم يتوجه بروافده ليروي كل السهول المجاورة		
		القبائل التي تقطن قمم Agalmunusو Macubius الذي يرفع الي السحب قممه		
	Astris	استدعيت من المناطق البعيدة		
	Anacutas			
	L'Urcelianus			
	Imaclianus			
	أيماكلاس Imaclas		ذكرت باسم Mecales في (III,410)، كحليفة للبيزنطيين. و قد أشار ديزانج Desanges[727] إلى فرضية المقاربة بين هذه القبيلة و قبيلة المغيلة التي أوردتها المصادر الغربية.	
	زرزيليس Zerzilis	مناطق زرزيليس المخيفة بعثت بأبنائها الذين تربوا في سهولها المعتدلة		
	غاليكا Gallica			
	سكان التيلليباريس Tillibaris			
	سكان مارتا Marta	التي تمتد رمالها حتى البحر		
IllaguasI لواته				
الأوستير Austur			أطلق العنان لفرسانه،واثقا في قوته، و خوفا من الدخول في معارك مفتوحة، تخندق في دائرة من الجمال المشدودة الوثاق\ن مدعمة بقطعانه، تسمح له بإحداث الفوض في ساحة المعركة. كما كانوا يستعملون الثيران في معاركهم	II,85
Iernaيارنا أمير هذه القبائل و كاهن الإله غرزيل			كانت عده القبائل تعتبر أن والد الإله غرزيل هو الأله أمون، الذي يحمل " قرون" وأمه بقرة مثيرة	
الإيفوراسيIfurace			فارس قوي، يستعمل الدرع، و رهيب في استعمال السيف	I

[727] Desanges, catalogue des tribus Africaines de l'antiquité classique à l'ouest du Nil, Dakar1962, p.113-114

<table>
<tr><td rowspan="4"></td><td></td><td>يقطن الصحراء الطرابلسية، من المناطق المحرقة</td><td></td><td>Muctunienne
جيش الموكتونيان</td></tr>
<tr><td></td><td>يرسلون قواتهم من قلعتهم</td><td></td><td>الغدابيين</td></tr>
<tr><td></td><td>المحصنة وراء أسوارها، أطلقت جيشها حول السواحل المجاورة</td><td></td><td>قبائل دغديغا Digdiga</td></tr>
<tr><td>كان رجالها يضعون أساور دائرية الشكل في أيديهم.</td><td>هاجروا أراضيهم و يحاولون الاستيلاء على أراضينا.</td><td></td><td>قبائل البارصيين
Bacéens</td></tr>
<tr><td colspan="5">لم تكن لقمصانهم أكمام، و لا أحزمة، يدخلون الحرب بنفس عباءاتهم الفضفاضة، يحملون رمحين من الحديد، و ،،،لا يغطيهم سوى سترة مثبتة على الكتف، كما تشد رؤوسهم قطعة قماش، و أقدامهم ترتكز على النعال المورية الخشنة</td></tr>
<tr><td rowspan="4">II,138</td><td></td><td colspan="3">Marmarides</td></tr>
<tr><td rowspan="3">و قد ثارت ثائرة المور الفلاحين، الذين يحصدون حقولهم مرتين في السنة</td><td rowspan="3" colspan="2">تنزل جيوش الأوراس من مرتفعاتها. تستعمل الخيول في حروبها. تميز الرمحين الذين يحملهما كل محارب من قطعة حديدية مثبة فوق غصن من خشب genévrier . و غالبا ما كان يكتسي بدرع من الجلد خفيف و فظ، يوضع على الكتف و يسقط على الجناح، أما السيف، فهو صغيرإلا أنه مميت، و هو مثبت بالجانب الأيسر</td><td>Zerquilis
زرقيليس</td></tr>
<tr><td>جبال Novusius</td></tr>
<tr><td>Arzugis
الأرزوقيس</td></tr>
</table>

الإطار الزمني و التاريخي للنص

سبق و أن تناولنا مرحلة الصراع التي خاضها الجيش البيزنطي، ضد الإمارات المورية، و الفترة التي تتناولها القصيدة تتعلق بظروف تعيين جون تروجليتا و تطورات الوضع الأمني. وكثيرا ما استغلت المادة الخبرية التي أوردها كوريبوس، في مطابقة العديد من المواقع أو القبائل المورية، إلا أنها لم تدرس كوحدة متميزة و لم تحض بترجمة كاملة، بأتم معنى الكلمة، فقد ظلت الترجمة الأكثر انتشارا هي تلك التي نشرها، J.Alix في الكراسات التونسية. بينما عرفت نهاية التسعينات عملين علميين اعتمدا جنبا إلى جنب على نفس النص، الأول كان في إطار دراسة الآداب اللاتينية من طرف الباحث زاريني Zarini و الثاني كان في إطار دراسة تاريخية لهذا الصراع بين المور و البيزنطيين، و هو ما توج مؤخرا بكتاب علمي ضخم، تحت عنوان المور و إفريقيا الرومانية. و لعل الأهمية التي يجب الإشارة إليها من خلال هاتين الدراستين المتكاملتين، و التي يبدو أن الباحثين كانا يتبادلان استنتاجاتهما، هي بلورة صورة أكثر ثراء لنص كوريبوس، بل إنجاز ترجمة تاريخية أحدث للكتاب الثاني من قصيدة كوريبوس، و هو القسم المتعلق بذكر قوائم القبائل التي جندت في فترة الصراع....

و إذا كانت صور القبيلة، لم تجد معارضة لدى الباحثين في ربطها بالعناصر المورية غير المرومنة، فقد ظلت بعض نصوص كوريبوس محل استعمالات متناقضة. فكثيرا ما تساءل المختصين من صحة المطابقة بين مور منطقة الكوروبيس، و مناطق رأس بونة بتونس، بحكم ما تتميز به المنطقة من خصوبة و تطور عمراني، أو بعبارة أخرى من كثافة مظاهر الرومنة. حيث اعتبر دورليا أن سكان هذه المنطقة، لا يمكن أن يكونوا غير مرومنين، و إنما هم فلاحين يشتغلون بالأرض، في الضياع الكبرى، قد ثاروا نتيجة تفاقم حالتهم، و اشتداد الضرائب عليهم[728]. بينما أثار فيفري ضجة بمقاله " Le Maure ambigu" ، معلنا أن الموري و الإفري، هما في الواقع وجهين لعملة واحدة، أرادت ظروف الحرب، و طبيعة النسيج الخيالي الأدبي أن تميزهما[729]. مستخلصا أن ما يمكن الحصول عليه من نص كوريبوس هو مجرد قصيدة أدبية، في أدبيات نهاية المرحلة اللاتينية، قد لا تفيد كثيرا المؤرخ في بناء صورة حقيقية لهذه الفترة. إلا أن موديران قد قدم مؤخرا من خلال دراسة الكتاب الثاني أصلا، فرضية جديدة مفادها، أن المواقع الجبلية التي أوردها كوريبوس، لا علاقة لها بشمال تونس، محاولا التأكيد على عدم صحة الأطروحات التي اعتمدت على الإسقاطات الجغرافية على أساس المقاربات اللفظية[730]. كما اقترح بالاعتماد على الدراسة النقدية التي قدمها زاريني Zarini من الناحية اللغوية والأدبية، قراءة متجددة لنص كوريبوس تجعل من أبيات هذا الإفريقي، صورة للقبائل المتحالفة في حروب 546، و المتسببة بنظر كوريبوس في حالة التدهور الاضطراب، و ليس جردا لكل القبائل المعروفة، في الخريطة المغربية[731]. و مع ذلك فهذا التنوع من شأنه التأكيد على قابلية التجنيد

[728]Compte rendu de l'edition Diggle Goodyear de la johannide, dans Cah.Tunisie. 19, 1971, 280-281
[729] P.A.Février, Les maure ambigu ou les pièges du discours, p. 301
[730] Y.Moderan, « Qui montana Gurubi colunt : Corippe et le mythe des Maures du Cap Bon » MEFRA, T..99, 1987,2, p.963-989.
[731] Y.Moderan, La découverte des Maures , Réflexions sur la « reconquete » byzantine de l'Afrique en 533, Cah. Tun.,T.XLIII,1991, p.211-238.

و التحالف، و لعل خطورة الوضع، تتجلى بفضل بروكوب[732]، الذي أشار أن القائد الروماني قونتاريس Guntharis قد وعد الأمير أنتالاس، بالتنازل له على مقاطعة المزاق كلها، مقابل التحالف معه ضد أريوبيندس[733]. لكن إذا كان من غير الطبيعي، بناءا على سلسلة القرائن التي يحتويها النص، باعتباره مجرد إنتاج أدبي، لا علاقة له بواقع الأحداث التي سردها، فاعتقادي أيضا أن المبالغة في التمسك في الحرف والكلمة، بل أحيانا شحنها بمعطيات أكبر، من شأنه أيضا أن يعمل على تأسيس خطاب أو نظرية جديدة، إلا أنها تظل هشة، هشاشة مصادرها. فإشارات كوريبوس إلى أنتالاس، لواته و أمير الأوراس، تجد سندها في نصوص بروكوب، التي تعطيها مصداقية تاريخية، إلا أنه طبيعي أيضا أن يلجأ الشاعر لخياله لتصوير حالة عايشها، بل هو طرف فيها، كونه يدافع عن الأفارقة، ضد هذا التصعيد الموري[734]. و عموما لنا أن نتصور أن كوريبوس في الواقع قد ذكر المجموعات الأساسية التي تميزت خلال الصراع الذي ميز الأحداث المغربية في سنوات 546-550، بطريقة لم تخضع إلى ترتيب جغرافي ثابت من البداية، و إنما احترمت المواقع الجغرافية، داخل كل مجموعة ، الأمر الذي يجعلنا نبحث عن هذه القبائل وفقا للخريطة السياسية التي يمن أعدادها، بناءا على مقابلة المصادر الأخرى و المتكونة من :

مجموعة أنتالاس	حيث يبرز كأكبر شخصية في التحالف الموري لسنة 546، انطلاقا من مقاطعة المزاق، ارتبط اسمه بقبيلة الفراكسة، كما يبدو أنه كان في السنوات السابقة حليفا للرومان. حيث يبدو أنه لعب دورا مهما في حروب سنة 544. و قد ارتبطت به شخصية أخرى وصفت بصورة مغايرة لصورة أنتالاس، و هو كوتزيناس.
مجموعة لواته و هوارة	بقيادة يارنا، أمير و كاهن الإله غرزيل
مجموعة القبائل الليبية	من أقصى الشرق، بقيادة افيسداياس، الذي تحالف مع أنتالاس
مجموعة الأوراس	بقيادة يبداس، رغم أنه لم يذكره صراحة، لكنه يبدو كأمير لهذا الإقليم، متبوعا بعدد من القبائل و الشعوب، قد تجمع بين القبائل الصحراوية مثل المناطق الداخلية

[732]Procope, BV, II, 25, 2-12
[733] Procope, BV, II, 25, 6
[734] شكك فيفري أصلا في إمكانية الاعتماد على كوريبوس في تثمين المادة الخبرية التي أوردها، حيث اعتبر إنتاجه مجرد شهادة عن مستوى الإنتاج الأدبي في عصره، و لا يمكن للمؤرخ الاستفادة منه:
P.A.Février, Les maure ambigu p. 291-304

إلا أن هذه القائمة، تغيب عدد من الأمراء الذين ذكرهم بروكوب، أو المصادر الأثرية، مما يجعلنا نتساءل عن طبيعة الخريطة الجغرافية التي استعملها الشاعر، لكن ربما قبل ذلك عن ماهية هؤلاء المور أصلا، هل هم فقط أولائك البدو النازحين من الجنوب أو الشرق؟ و هل هم العناصر غير المرومنة؟ و هل تسمح نصوصه بإدراج عناصر أخرى؟ ما مكانة المزارعين، الذين ينتجون محصولين في السنة، و السكان المناطق الغابية و المرتفعات العالية، و المتميزة بالمجاري المائية العالية؟

لكن إذا تجاوزنا القراءة السياسية لهذه الأسماء، فإننا نجد أنفسنا أمام واقع جديد، يحتكم إلى معاير تختلف عما توارثته الإدارة الرومانية، فالأمير، أمير، أو قائد، إن لم يكن كبير القبيلة أو كاهنها، يتنقل مع قبيلته في كل المعارك، و يحارب مثل أبناء قبيلته. لآنه لم يكن يقود جيشا محترفا، أو نظاميا، و إنما تحالفا قبليا، تربطه أواصر القرابة الجغرافية و العائلية، فلم يذكر كوريبوس أنه ملك rex، أو حاكم perfect. مما يجعلنا نتمثل هذا العالم الآخر الذي طالما غيبته المصادر الأدبية و النصوص اللاتينية، أو أقحمته في قوالبها الثقافية، و الذي يجد تأكيدا في المصادر الإسلامية. إلا أننا في نفس الوقت نجد أنفسنا أمام العديد من الأسئلة، كيف يمكن التعامل مع قائمة القبائل التي أوردها كوريبوس، هل نعتبرها بمثابة قبائل ومجموعات على نفس القدر من المكانة، وهل كانت القصيدة أصلا جردا إثنوغرافيا للقبائل؟ أم أنها مجرد قائمة سياسية تعكس طبيعة العناصر المشاركة في صراعات سنوات 546؟ وعلى أي أساس يمكن تتبع هذا الجدول؟ هل كان يرتكز على العامل الجغرافي في عرضها، أم أن الشاعر قد حاول رسم صورة للخطر، بالتأكيد على المجموعات الأكثر أهمية؟ و في الواقع عدد الأسئلة كبير جدا في مثل هذه الحالات و أمام نص كثر الاستشهاد به، دون أن يخضع فعلا لدراسة و تحقيق تاريخيين، خاصة من طرف المدرسة الاستعمارية، كقائمة للقبائل، أو كصور للموري أو الآخر، وكل ما يرتبط به من مظاهر البداوة و الهمجية،كما شكل قاعدة للعديد من الفرضيات[735]:

---

[735] حاول موديران البرهنة على أن الفكرة الشائعة لدى أغلبية الباحثين (بارتش، ديل، كورتوا بل حتى برينغل)، و التي مفادها أنه خلال القرن السادس كانت القبائل المورية متواجدة في كل المقاطعات الإفريقية، لا تستند إلا على فرضية المطابقة بين نص لكوريبوس حول قبائل الغدابيتاني و منطقة رأس بونة بالشمال الشرقي التونسي، باعتبارها من المناطق التي ظلت تحافظ على معالم الرومنة.

- **بروكوب**

رغم أهمية كتاب حرب الوندال في دراسة الفترة البيزنطية ببلاد المغرب، إلا أنه فيا يتعلق بموضوع المور، لم يكن أكثر ثراء من قصيدة كوريبوس، رغم أنه يشهد له درايته بتطورات مراحل الصراع التي عايشها، باعتباره قد رافق الحملة البيزنطية ككاتب خاص للقائد بليزاريوس. بل يبدو أنه تمكن من استقاء بعض معلوماته من بعض الأمراء أنفسهم. [736] و مع ذلك لم تلفت هذه الكيانات المورية انتباهه بالدرجة الكافية، فاكتفى بالإشارة إليها في سياق المعارك و المواقف البيزنطية، و عموما فقد كانت صور " المور" عنده، تكرس من دون شك طبيعة الخطاب الرسمي المتداول في أروقة الحكم، ناعتا إياه بالباربار Barbare ، غير المتحضر. و مع ذلك بفضل قائمة الأمراء التي أوردها و الخلفية التاريخية التي يمكن أن نستنبطها من نصوصه، سمحت ليس فقط بترسيخ خريطة التوزيع الجغرافي لبعض الإمارات، و إنما تأكيد جانب كبير من نصوص كوريبوس.

إلا أن صورة المور ظلت أسيرة، تتأرجح بين إفريقي يعتبرهم سبب البلاء في زمنه، و إغريقي يعتبرهم نموذج اللاتحضر، الأمر الذي يجعل أي تحقيق مبتور، طالما ظلت صورته أحادية. و رغم أن عددا كبيرا من الباحثين قد حاول الاستئناس بمصادر القرن الرابع، للبحث عن صدى هذه العناصر المورية، كأميان مارسلان، سيتيوس إيطاليكوس، أو سينيوس القريني. إلا أنه ظل من الصعوبة بمكان الوقوف على مراحل تطور نفس الكيانات، مما يعطينا جدولا لسلسلة من الأحداث، تتميز فيه كل قبيلة أو إمارة ببروزها في جغرافية و زمن مختلفين.

المصادر المسيحية:

ظلت المصادر المسيحية بعيدة عن الواقع الموري، أكثر من بعدها عن الشهادة التاريخية، فقراءة كتابات القديس أوغسطين[737]، أو فيلجانس، مثل نصوص المجامع الدينية، أو فيكتور الفيتي و التونيني، لا تجعلنا في الواقع لا نحصد أكثر من بعض التلميحات التي لم تجد مكانتها التاريخية، إلا من خلال شحنها بالدراسات النقدية و المقاربات التاريخية. ففي إجابة للقديس أوغسطين على رسالة بعث بها القس هيسيكيوس Hésychius، و التي يسأله فيها، عن علامات قرب الساعة، أجاب أن قرب الساعة يفترض انتشار المسيحية في كل مكان، إلا أنه لا زال حولنا العديد من الأقوام التي لا تعرف أصلا هذه الديانة، فهل يقصد

[736] Procope, B.V.II,13,29
[737] A. Mandouze, l'Eglise devant l'effondrement de la civilisation romaine, dans revue d'histoire et de philosophie religieuse, T.XLI,1961,p10.

بذلك المور، أم أن كلامه من العمومية بمكان[738]. و قد أوضح لانسيل[739] Lancel، أنه كان يستعمل هذا المصطلح للدلالة على سكان المقاطعة الموريطانية. بينما كان يستعمل مصطلح أفري بربري Afri barbari، أو باربار لوحدها Barbares . لعل اعتبار كودفولتدوس Quodvulteus أن هاجوج و ماجوج هم القوط و المور[740]، ليعكس حقا ذهنية الكنيسة الكاثوليكية تجاه المور. و من ثم فلا غرابة أن نجد فيكتور الفيتي يربط بين عملية النفي و المصادرة التي قام بها الملوك الوندال، و مساهمة بعض الأمراء المور المقيمين على تخوم الإمبراطورية[741].

المصادر الأثرية:

يشمل الملف الموري عدا من القرائن الأثرية، أهمها نقيشتي ألتافا (أولاد ميمون) و أريس، حيث استعملتا الصيغة الإشهارية المتداولة في الثقافة الرومانية، سواء تعلق الأمر بالمناصب الإدارية والقيادية، أو بالتركيبة البشرية التابعة لنفوذهما، كالحديث عن الرومان و المور. و هو ما فتح النقاش حول قابلية هذه الإمارات في احتضان الموروث الروماني أو تبنيه أساسا، خاصة من خلال مقالات كاركوبينو، كامبس و فيفري. و لعل أهمية هذين النصين تكمن في الكشف عن صورة جديدة للمور، يصعب العثور عليها في المصادر الأدبية، الأمر لذي فتح شهية الباحثين في استكمالها جغرافيا، بتوظيف النقيشة المهشمة لملك الأكوتومانيRex Ucutumani، أو أضرحة الجدار الشهيرة. وعموما فرغم اقتضابها وقلة الاهتمام بها فالمصادر المادية غير منعدمة، بل كثيرا ما استنطاقها ضمن الصورة التقليدية للمخلفات المتأخرة Tardives لا يسمح بتجاوز مرحليتها. فكم من القلاع نسبت للفترة البيزنطية دون التساؤل عن امكانية عودتها لإحدى هذه الإمارات؟ وكم من بناية غير مطابقة للمواصفات الرومانية تم إتلافها في سبيل الوصول إلى المستويات الأقدم؟

---

738 Saint Augustin,Lettre 199,XII,46,(CSEL.T.57p 284,1.13-14)
739 S.Lancel, Augustin(saint), dans Enc.Ber.T7.Aix, p.1064-1065
740 Quodvulteus,Dimidium temporis,22.
741 Victor de vita, Historia persecutionis Africanae, I, 35, p. 112-113

جدول بأسماء القبائل أو المناطق الواردة عند كل من بروكوب و كوريبوس و بعض المصادر الأخرى

الموقع أو القبيلة	المكان	بروكوب	كوريبوس	مصادر أخرى
لواتة		Levathai	Ilaguas	
الغدابيتانيين		Gadabitani (de aed VI, 4, 12)	Gadabis	
الأوراس		Petra Geminianou BV,IV,20,23	Gemini	
الأرزوقيين	Arzugis			المصادر المسيحية Sidoine Appolinaire (panégyrique de Majorien, vers 336)
بادس	Vadis	Badés	Vadis	
هوارة	Austur			Austriani (Ammien Macellin)
البارصيين	Barcée ns			Virgile(Eneid e,IVn42-43)
			Muctuniana manus	Moukhtousii de ptolémée (IV,3,6)
أنتالاس	Antalas	BV,II,25,10		
يبداس		Iaudas, BV II, 25,2	Aurasitana manus	
			Imacles,II; Mecales , III	

- **التوزيع الجغرافي للقبائل المورية**

قد نتساءل عن طبيعة الخريطة المورية التي يمكن أن نحصل عليها، من خلال مطابقة النصوص الأدبية. ما نوع الخريطة البشرية التي يمكن أن نرسمها؟ و ما تفسيرنا للمواقع المرصودة، خاصة بالنسبة للخريطة العمرانية التي سبق و أن حاولنا ضبطها، و لو في جهة معينة من بلاد المغرب؟ هل يمكن الحديث فعلا عن الوجه الآخر لبلاد المغرب؟ و ما علاقة هذا التمركز الموري بالخصائص الطبيعية و المناخية ؟ هل يمكن الحديث عن ضغط بشري على تخوم الخريطة؟ و إذا افترضنا ذلك ، فهل يمكن فهمه في إطار الصراع السياسي فقط، أم يجب البحث عن عوامل أخرى؟ و لعله من الضروري التساؤل أيضا عن مكانة القبائل الموجودة، داخل الخريطة الرومانية، أو المساحة العمرانية؟ أو بعبارة أخرى هل في خريطتنا يمكن الحديث عن فكرة الصراع بين القبيلة و المدينة؟

هي أسئلة مطروحة، و يصعب الإجابة عنها طالما ظلت المصادر غير متوازنة و متوازية، و مع ذلك فمحاولة فتح الملف تجعلنا ننتبه، أن مشكلة أخرى تعترض سبيل أي دراسة معاصرة لمثل هذه المواضيع، تتمثل في تجذر العديد من النظريات و المسلمات، ابتدءا من القرن التاسع عشر، دون أي سند تاريخي، و التي يصعب اقتلاعها دون العودة إلى الأصول، عودة دون وسائط لغوية أخرى. و إذا **كان ضروريا**، أن أفتح من جديد ملف هذه الإمارات المورية، و التي سبق و أن عالجتها في موضوع الماجستير، و محاولة الوقوف على القواسم الرئيسية، التي تسمح لنا بتحسس طبيعة هذا المجتمع المختلف، أو الآخر ، خصوصياته، و معالم تأثره بالموروث الروماني، فبقدر ما كانت عنايتي كبيرة أن لا أجتر نفس العرض، ألزمني شح المادة الخبرية على العودة إلى نفس النصوص، و أحيانا نفس المعطيات. و قد حاولت توخي منهجية بسيطة تقتضي رصد كل الإشارات التي تسمح بقراءة في التاريخ الاجتماعي أو الديني- خلال فترة دراستي-، و إذا كان جليا أن وسائل دراسة هذا الموضوع، يجب أن تكون أكثر تنوع، و أن تتجاوز التحقيب التاريخي، فقد تفاديت قدر الإمكان الانزلاق وراء المعالجة الإثنوغرافية و الإسقاطات التاريخية، مكتفيا باستنباط المعالم، التي اعتبرها مهمة و أساسية في معالجة الموضوع.

الخلفية التاريخية للكيانات المورية

لعل الحديث عن الإمارات المورية يجبرنا على التساؤل عن بنيتها القاعدية، هل ظلت مجرد قبائل بدوية لا تجمعها سوى طبول الحرب؟ أم كانت تسعى لملأ الفراغ الذي تركته الإدارة الرومانية. هل أصبحت لها مرجعية سياسية بحكم تأثرها بالتقاليد الرومانية؟ ما علاقة هذه الإمارات بالموروث البشري الروماني في المدن؟ كيف يمكن تصور خريطة هذه الممالك و علاقتها مع الاحتلال الوندالي؟ و مهما كانت طبيعة هذه الإمارات من حيث درجة تنظيمها السياسي و مدى احتكامها لسند تشريعي على شاكلة الإدارة الرومانية، فأمام قلة المصادر، نجد أنفسنا ملزمين بتتبعها بطريقة عمودية و الاستئناس بمصادر القرنين الثالث و الرابع، و مقابلتها بنماذج عرفت في مراحل مختلفة من التاريخ القديم، أمثال السوبوربور Suburbures، الأكوتوماني Ucutumani، المدياني Medianii، أو الكوينكيجيتاني Quenquengetanei . لكن في نفس الوقت، نضطر للسؤال: ألا تؤدي هذه المقابلة إلى إسقاطات تاريخية، تكرس الجمود "البربري" ؟ فإذا انطلقنا من فرضية الاستقرار البشري المكثف في المناطق التي يبدو أن الإدارة الرومانية قد تراجعت عنها، فلنا أن نتساءل عن طبيعة الخريطة البشرية التي يمكن الحصول عليها من مقابلة نصوصنا أو مادتنا الخبرية؟ هل يمكن الحديث عن مرجعية

جغرافية، و ما درجة ارتباط هذه القبائل بأقاليمها؟ و هل فعلا ظلت تعتبرها من مواريثها؟ كما يجب أن نتساءل عن عوامل ظرفيتها، هل تعود فقط إلى طبيعة المواجهة التي خاضتها، و شكل الحروب غير المتوازية، التي خاضتها، مما تسبب، من دون شك في إنهاك قواها، و تعرضها لعمليات التجزئة التي طالما مارسها الاحتلال؟

أوضحت الدراسات التاريخية أن الإمبراطورية الرومانية، قد انتهجت سياسة خاصة ببلاد المغرب القديم، تمثلت في محاولة احتواء الإمارات و القبائل المورية المتاخمة لمناطق نفوذها، بل حتى المتواجدة داخل الأقاليم الخاضعة لها، و ذلك بالاعتراف لها بالاستقلال الذاتي من حيث النظم الداخلية و القوانين و الأعراف، و الاكتفاء بالسيطرة على القادة و الأمراء المور مع دعم لسلطتهم و نفوذهم على أقوامهم و إضفاء تسميات رومانية خاصة على مناصبهم هذه مثل حاكم القبائل[742] Prefectus Gentis، Princeps Gentis.

و إذا كانت هذه المناصب مرتبطة بمصطلح "Gentis"، فإنه يصعب علينا تحديد طبيعته بدقة، هل كان حقا يطابق مفهوم القبيلة في تراثنا العربي؟ أم أنه تنظيم خاص أطلقه الرومان على الأقوام غير الخاضعة لنفوذهم الإداري و المدني، دون أن يكون له مفهوما محددا؟ خاصة و أن المصادر اللاتينية قد وظفته في حالات متنوعة و مختلفة. [743] عرفه بن عبوا Benabou "بأنه تنظيم متميز، له خصوصية قانونية و استقلالية دينية، بل يبدو أنه يتمتع بحقوق معترف بها من طرف الإمبراطور نفسه..." [744]، واعتبر فيفري Fevrier أن "**Gens**" بالنسبة للرومان تمثل الشعب الآخر الأجنبي أو المختلف من وجهة النظر القانونية[745]. على أساس تقابل الرومان و الأفارقة بالمدينة، و بقية المور بالتنظيم القبلي، أو اللامدينة[746]. كما علق كامبس Camps بأنه " من الصعب معرفة إذا ما كان تصنيف الأنساب قد عمم لدى البربر بفضل العرب، الذين تعودوه من قبل ظهور الإسلام، أو أنه كان موجودا في العهد الروماني إلا أن مؤرخي هذا العصر قد أهملوه، لتمسكهم بالتصور الإقليمي للقبيلة" [747].

---

[742] محمد البشير شنيتي، موريطانيا القيصرية، ص ص 576-577

M. Benabou, la Resistance Africaine à la Romanisation, edition commentée par M .Christol, la découverte, Paris 2005, p.457-468 ; Ph.Leveau, l'aile II des Thraces, la tribu des Mazices, et les Praefecti gentis en Afrique du Nord, dans .Ant.Afr. T7.,1973,p184

[743] ذكر كوريبوس مصطلح Gens، أكثر من 130 مرة للحديث عن القبائل المورية في صراعها مع البيزنطيين. بينما لم يتجاوز مصطلح المور Maurusius متوسط 18مرة.

[744] M.Benabou, la Resistance Africaine à la Romanisation, p.447

[745] P. A. Fevrier, Masuna et Masties, Ant. Afr. op.cit. p.**138**

[746] Y.Moderan, les maures et l'Afrique romaines, p.421

[747] G. Camps, Bérberes aux marges de l'histoire, ed. des ésperides, Toulouse 1980, p111 ; 120-122. Cf Desanges, catalogue des tribus africaines, p.10

ولعل وثيقة بنازا (سيدي علي بوجنون) التي تعود الى القرن الثاني ميلادي[748]، تبرز جانب من معالم هذا التنظيم القبلي الذي يعتمد على الاسرة Domus كنواة، والعرش Familia الذي يضم مجموعة من الاسر، وعلى درجة أعلى نجد القبيلة Gens التي تشكل اتحادا لهذه العروش[749]. وقد أشار بن عبو Benabou إلى وجود العديد من النقائش الأثرية التي أشارت إلى Gens و التي يمكن اعتبارها بمثابة كونفدراليات قبلية مثل: شعب البفار Gens Bavarium، شعب البقواط Gens Baquatum ... الخ[750]. وهذا ما يتجلى أيضا في مصادر القرن السادس ميلادي، فكوريبوس مثلا عند حديثه عن لواتة Illaguas يبرزها دوما الى جانب مجموعة من القبائل الطرابلسية الاخرى[751]. ونفس الامر عند حديث المؤرخ بروكوب عن الأمير كوتزيناس Cusinas الذي تزعم تحالفا يضم كل من اسديليساس Esdilisas ، يوفروتاسIouphroutes ، مدسينيساس Medsinisas[752]إلى جانب قبيلة الفراكسة Frexes التي ينتمي إليها الامير أنتالاس والتي أبرزها كوريبوس على أنها كانت قبيلة صغيرة Humilis Gens ، لتصبح في ظرف سنوات إمارة قوية بفضل انضمام مجموعة من القبائل اليها[753]. أما إبن خلدون فقد ذكر: " **و كان للبربر في الضواحي وراء ملك الأمصار المرهوبة الحامية ماشاء من قوة و عدة و عدد و ملوك و رؤساء و أقيال، و أمراؤهم لا يرامون بذل و لا ينالهم الروم و الإفرنج في ضواحيهم تلك بمسخطة الإساءة وقد صحبهم الإسلام و هم في مملكة قد استولوا على روما** "[754]. مما يبرز جليا عملية التدرج في مراتب السلطة و الملك، من ملوك ثم رؤساء الاتحادات القبلية، أو الأقوام، ثم شيوخ القبائل و العشائر[755]. و هي نفس الظاهرة التي نجدها في نص للقاضي النعمان، حول قبيلة كتامة عند استقباله أعيانها من طرف أبو عبيد الله الشيعي، حيث أكد أن كتامة هي مجموعة من القبائل التي تتفرع إلى أفخاذ و بيوت وأكابر[756]. يضاف إلى ذلك

---

748 M.Euzennat, les structures tribales pré-islamiques : un état de la question, dans Actes du VI colloque international sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du Nord, Pau, 1993, Paris, 1995,pp247-253 . cf. W.seston et M.Euzennat, un dossier de la chancellerie romaine : la tabula Banasitana ; CRAI,1971,p.468-490.

749 M.Benabou, la resistance africaine a la romanisation. p. 464

أنظر محمد البشير شنيتي، التغيرات ، المرجع السابق، ص ص 175- 182، 337- 332.

750 M.Benabou, la resistance africaine a la romanisation. p. 460 . G.Camps, les Bavares, people de Maurétanie Césarienne, dans Rev. Afr. T 99, 1955,p251.

751 Corippe, Johannide, II , 113 - 119

752 Procope, B.V. II , 11,15-22

753 Corippe, Joh. II, 43-44 ; III, 153, 173 - 181

754 ابن خلدون، تاريخ العبرو ديوان لمبتدأ و الخبر، تقديم تركي فرحان المصطفى،دار احياء التراث العربي، بيروت، 1999، ص ، ج 6 ص108

755 محمد البشير شنيتي، موريطانيا القيصرية، ص 772

756 القاضي النعمان، إفتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوي، تونس، 1975. ص 37. أنظر أيضا: موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، الجزائر، 1979. ص 236. و لقد إعتبر الأستاذ كامبس أن هذه القبيلة هي في الواقع إمتداد لشعب البوار Bavares، في تنظيمهم الكونفدرالي، حيث كانت تتداول الزعامة مجموعة من القبائل لتنتهي إل قبائل Ucutumani في القرن 6م و هي نفسها - حسبه دائما - كتامة المعروفة خاصة في القرنين 9 و 10 م .

أنظر : G.Camps، Berbères aux marges de l'histoire ... P.175

ظاهرة ارتقاء العديد من العائلات الكبيرة، التي كانت تجمع بين النفوذ العقاري و القيادة العسكرية أو الإدارية، مع احتفاظها بنفوذها التقليدي على رأس قبائلها و ذلك ما تجسده عائلة نوبل Nubel، و ابنه فيرموس Firmus التي نعرف عنها الكثير بفضل آميان مارسلان Ammien Marcellin. والتي تكون قد استفادت من دعم روما نفسها، و ذلك بتنمية مكانتها بين أقوامها لتكون واسطة بينها و بين الأهالي، حتى تضمن مراقبة الوضع من خلالها[757].و يبدو أنها قد تبلورت في شكل إمارات قوية، على الأقل منذ القرن الخامس ميلادي، محاولة تبنى هذا الإرث الروماني بما يمثله المجتمع المدني من تركة قانونية و دينية إلى جانب نفوذها التقليدي على أقوامها، و هذا ما تؤكده أيضا العديد من النقائش الأثرية مثل نقيشة ملك كتامة Rex Gentis Ucutumani و مازونا ملك المور و الرومان Regis Masunae Gentium Maurorum et Romanorum[758]. و هذا ما جعل العديد من الباحثين يحاول مطابقة هذه النقائش بالصيغ التي استعملها كلوفيس clovis في بلاد الغال، أو البرجنديون في إيطاليا، مما يجعل ملوكها في نفس مكانة هذه الممالك الجرمانية[759].

وبالمقابل فإننا نجهل تركيبة القبائل والإمارات التي ظلت مستقلة عن الإدارة الرومانية، بالرغم من تأكيد القديس أوغسطين بأن هناك فرق بين القبائل التي ظلت خارج التأثير الروماني، محافظة على ملوكها "Rex " وبين القبائل التي أصبحت خاضعة للنفوذ الروماني، حيث أصبح على رأسها حكام باسم[760] Prefectii. مما يجعلنا نتصور أن تقاليد الحكم الملكي، أو الأميري، قد ظلت قائمة لدى هؤلاء المور الذين لم تكن لهم علاقات بالإدارة الرومانية، و الذين أبعدوا خارج النطاق الإمبراطوري[761]. فإذا كانت روما لم تترك الفرصة لهاته القبائل و الإمارات، لاسترجاع وحدتها السياسية، أو إعادة بناء هرم سلطتها من جديد، فإن هذه الأخيرة كثيرا ما كانت تبرز من حين لآخر في شكل تحالفات ظرفية، تمليها ظروف الحرب. وقد علق الأستاذ شنيتي قائلا: " **انها محاولات لاستعادة الوحدة السياسية والعسكرية، ذات المضمون الكونفدرالي الذي درجت عليه بلاد المغرب منذ فجر التاريخ، و بلغ أوجه في الممالك النوميدية والمورية عشية الاحتلال الروماني، ثم نجحت القبائل المورية في بعثه من جديد أواخر العهد الروماني وأثناء الاحتلال الوندالي**"[762]. أليست هي نفسها هذه الكيانات التي ميزت تاريخ بلاد المغرب خلال القرن السادس ميلادي ؟ و هل هي نفسها التي واجهت الفتوحات الإسلامية في مراحلها الأولى؟ أو التي تبلورت فيما بعد تحت اسم كتامة، صنهاجة، أو زناتة؟

---

[757] Ammien Marcellin. Hist, XXIX, 5,2.; G. Camps, Rex Gentium Maurorum et Romanorum Recheches sur les Royaumes de Maurétanie des VIe et VIIe Siécles" , Ant. Afr. T20, 1984,p.209

محمد البشير شنيتي، موريطنيا القيصرية، ص 378

[758] G. Camps, Rex Gentium Maurorum ... P.199

[759] -P.A.Février, Masuna et Masties ... p. 138. G. Camps, les Berberes, Mémoire et identité...P,89

[760] Saint - Augustin, lettre199. dans C.S.E.L. T.57.p. 284. In C.Lepelley, la préfecture de tribus, dans mélanges Seston, p p. 285-295 . G.Camps, Rex Gentium Maurorum... p.209

[761] C.Courtois, V. A. p.124. n° 7. St. Gsell , H.A.A.N. T.V. p.121. et ss

[762] م.ب. شنيتي، موريطانيا القيصرية، ص 580.

- **التطور السياسي للكيانات المورية**

لقد سبق أن تناولت الواقع السياسي للإمارات المورية خلال القرن السادس ميلادي، و طموحاتها في استرجاع الجغرافية المغربية و تشكيل ممالك، و لو أنها ظلت إقليمية و ظرفية من الناحية الزمنية. حيث سمحت المصادر بالوقوف على أربع كيانات مورية كبرى، تقاسمت الخريطة المغربية بطريقة متفاوتة، و بأشكال تنظيمية غير متجانسة، إلا أنها في اعتقادي، تميزت بقاسم مشترك، تمثل في تشبثها بجغرافيتها. و كم ترددت في إعادة الخوض في هذا الموضوع، خاصة على إثر الدراسة القيمة التي أنجزها الباحث الفرنسي موديران، إلا أن طبيعة موضوعي ألزمتني بالاكتفاء بالخطوط الأساسية، قصد إنارة ملف الحياة الاجتماعية. و رغم الصعوبة التي يتميز بها هذا الموضوع، من حيث طبيعة المصادر، مادتها الخبرية، خطابها أو أحكامها المسبقة، فضلا عن مطبات المدارس التاريخية التي حاولت دوما قولبت موضوع تاريخ البربر وفق نظريات و أطروحات استمدت أغلبها من واقع صراعات القرن التاسع عشر. فمن يدرس المجتمع المغربي خلال هذه الفترة لا يمكنه أن يغيب العنصر الموري، لأنه لم يصبح طرفا في الأحداث التي ميزت القرن السادس فحسب، مثلما ميزت مرحلة الفتوحات الإسلامية، بل أصبح المحور الأساسي في العملية التاريخية. و من ثم فقد أضحى تتبع هذه الإمارات ضروريا، في انتظار القدرة على إجراء دراسة مركزة حول هؤلاء المور من خلال المصادر القديمة. و عموما يمكن الوقوف على أربعة مجموعات أساسية، كشفتها مصادر القرن السادس:

القبائل الصحراوية الطرابلسية

اشتهرت منذ القرن 4م بقبائل لواته و هوارة ، حيث ورد اسم لواته Laguatan[763]، في صيغ عديدة و مختلفة، إلى جانب قبائل هوارة Austuriani[764]. التي أبرزها كوريبوس على أنها قبائل صحراوية متنقلة تعيش حياة البداوة تحت قيادة أميرها يارنا[765] Ierna. و الذي كان في نفس الوقت خادم للإله غرزيل Gurzil[766]، و اعتبرها سبب الهموم التي حلت ببلاد المغرب خلال القرن 6م. وبالفعل يبدو أن هذه القبائل كانت مصدر متاعب، للاحتلال الروماني منذ نهاية القرن الثالث.[767] و تجمع المصادر على نعتها بالقرب من المدن الطرابلسية ولبدة[768]، إلا أن الجدل لا يزال قائما حول مطابقة المواقع التي ذكرها كوريبوس[769]. و لعل محاولة معرفة مواقع القبائل المتحالفة مع قبائل لواتة Ilaguas و الأسترياني (هوارة) Austuriani، قد سمح لنا باستخلاص أنها قبائل تقطن غالبيتها المناطق الداخلية، و لو كانت صحراوية، و ليست بالضرورة وافدة من خارج الحدود الليبية، بل قد يكون بعضها من المزارعين في المناطق السهبية و الجبلية، من شأنه أن يكرس فكرة استقرارها بالمناطق الداخلية لمقاطعة طرابلس. و هو ما تؤكده التنقبات الأثرية التي أجريت بموقع غيرزة Ghirza الواقعة بواحة أوجيلا Augila[770]، و ذلك بوجود معالم دينية، قد تكون لعبادة الإله "آمون"، مما يرجحها أن تكون عاصمة دينية لهذه القبائل الطرابلسية على رأسها لواتة و هوارة. و رغم تميز هاتين القبيلتين الرائدتين بأغلب مظاهر حياة الترحال، فيمكن اعتبار إشارة بروكوب إلى تمسكهما أيضا بملكيتهما للهضاب الطرابلسية، أين كانتا تمارسان نشاطهما الزراعي[771]، مما يجعلنا ننظر إليهما ليس كقبائل رحالة لا موطن لها، بل نرجح استقرارها ولو لمواسم معينة، إلى جانب ممارستها نشاط الرعي و الترحال الذي يظل جليا. كما يبدو

---

763 بالنسبة لكوريبوس: Ilaguas, Hilaguas, Laguatan, Laguata, Laguaten ..أما بروكوب فقد استعمل كثيرا: Levathae.- أنظر : D.J. Mattingly, The Laguatan, a libyan tribal confideration in late Roman Empire, dans Libyan studies, 1983, pp. 96- 108. و هي نفس القبيلة التي تحدثت عنها المصادر العربية تحت إسم لواتة

764 M. Tauxier, Récits de l'histoire d'Afrique, le comte Romanus, Rev. Afr. N°34, 1890, p.193

و هي أيضا قبيلة هوارة المعروفة بالمقاطعة الطراباسية حتى العهد الإسلامي.

765 Corippe, Joh. II, 87-109; VI, 108; VII, 302-304

766 الإله غرزيل Gurzil هو إله القبائل المورية بالمقاطعة الطرابلسية، يبدو أن له علاقة بالإله آمون Ammon و ذلك في المناطق الداخلية لهذه المقاطعة بمنطقة أوجيلا Augila، التي تحدث عنها أبو عبيد البكري أيضا في حدود القرن العلشر ميلادي تحت اسم "كرزا"

767 أنظر لاحقا

cf. M. Tauxier, Récits de l'histoire d'Afrique, p. 193-222

768 Procope, B. V,II,21,2,13,15; Coripe, Joh., II, 113-119

769 أنظر الجدول الخاص بالقبائل التي أوردها كوريبوس ص

770 يؤكد البكري إستمرار نشاطها إلى غاية القرن 10م

771 Procope, B.V. II, 21,2

أن هذه القبائل الطرابلسية كانت وثنية تعبد الإله آمون Ammon الذي تمتد جذوره إلى أعماق تاريخ المغرب القديم، حيث ظل الإله الأكبر لسكان هذه المناطق التي سميت بالناسمون Nasamons ، إلى درجة اقتراح العديد من الباحثين قراءة مغرية تجعل منهم "ناس آمون" أو " أبناء آمون"[772]. وإذا كانت غيرزة Guirza تتمتع بكل هذه الأهمية بالنسبة للقبائل الطرابلسية، فليس غريبا أن نجد الجيش البيزنطي في حربه مع القبائل سنة 548، لم يكتف بإلحاق الهزيمة بها فقط، بل عمل على تحطيم مركز نفوذها الديني و السياسي بتخريب و حرق هذه المنطقة.

برزت في عدة مواقف، فضلا عما سجلته المصادر من تحركات، قبل دخول البيزنطيين أصلا إلى بلاد المغرب، مثل إشارة أميان مارسلان Ammien Marcellin ، وسينيسيوس القريني Synesios de Cyréne [773]. أو شخصية كاباون Cabaon التي تحدث عنها بروكوب، من خلال الصراع ضد الوندال[774]، حيث أشار إلى طيبة أسلوب تعامله مع سكان المناطق التي عبرتها قواته، مقابل همجية الوندال ووحشيتهم[775]، رغم أن نفس المؤلف، قد أورد في كتاب المنجزات De Aedificiis، أنه في الفترة ما بين 527-530 قد احتل: " **مور المقاطعة الطرابلسية، مدينة لبدة، ونهبوها، وأفرغوها من سكانها**"[776].

الحرب المورية الكبري 544-548

عين جستينيان سنة 543، دوقا للمقاطعة الطرابلسية من أقارب القائد البيزنطي سولومون، يسمى سرجيوس Sergius [777]، كانت سمعته سيئة في أوساط الجيش بل حتى مع المور أنفسهم- و بمجرد تنصيبه حشدت القبائل المورية بزعامة، لواتة Laguatan، جيشا ضخما و اتجهت قاصدة لبدة Leptis Magna وذلك قصد الاحتجاج أمام الدوق الجديد نتيجة انتهاك الجيش البيزنطي الأراضي الزراعية و المحاصيل المورية، و تجديد التعاهد مع الإدارة البيزنطية،

---

772 J.Desanges, Commentaire de Pline l'ancien, V, 33, , p. 351

773 Ammien Marcellin, Histoire, T.5, ed. Trad. M. A. Marié, Paris, 1984, C.U.F. XXVIII, 6, 1-2 ;

كان يرجع سبب الاضطرابات التي أحدثتها القبائل، مع بداية القرن 5م إلى ضعف وتخاذل القوات الإمبراطورية وذلك في حدود سنوات

D. Roques, Synesios de Cyréne et la Cyrénaique du Bas-Empire, Paris, 1987, pp.337-340

774 Procope, B.V. I,8,15

775 Procope, B.V. I, 8, 15-24. C. Courtois, V. A. p. 350

وتوجد إشارة ثانية إلى هذه القبائل الصحراوية ، خلال الفترة الوندالية، و ذلك في نص يوحنا J.Malalas، الذي أشار إلى أن: " **جليدريك** [هكذا] (هلدريك) **قد بعث بجيش يقوده جليمار، ضد المور القاطنين المناطق الواسعة من الطرابلسية-لبدة-صبراتة، المزاق** Tripolis, Leptoma, Sabatha et Buzakis **وبعد أن هزمهم، إتحد معهم جليمار و إستعان بهم للإطاحة بهلدريك**

J. Malalas, Chronographia, ed. L. Dindorf, C.S.H.B. Bonn, 1831, p. 351

776 Procope, de Aed., VI, 4, 6-10

777 Procope, B.V. II, 21, 2-22

و إعلان و تأكيد السلم بين الطرفين[778]، و حسب بروكوب دائما، فإن بيدانتيوس Pudentius[779]، قد لعب دورا هاما في إقناع الدوق سرجيوس Sergius باستقبال وفد من الأعيان يمثل هذه القبائل، بينما تبقى البقية خارج أسوار المدينة - وبذلك يتم إيقاف الزحف على لبدة- . ونظرا لطبيعة الاحتجاجات "المورية" التي اتهمت البيزنطيين بانتهاك أراضيهم الزراعية، فقد اشتدت المفاوضات إلى درجة إقدام الدوق على قتل كل أعضاء الوفد "الموري" إلا واحدا فقط، تمكن من الفرار و نقل النبأ إلى القبائل المتمركزة خارج أسوار المدينة، التي سارعت بدورها إلى إعلان الحرب و لعل هذه الأحداث كفيلة بالتوقف عندها[780]، فكون هذه القبائل تحتج على انتهاك محاصيلها، من شأنه أن يؤكد تمسكها بملكية هذه الأراضي، كما يسمح بتصورها غير بعيدة عن المدن البيزنطية مما جعلها عرضة للجيش البيزنطي، و أن ملكيتها ليست حديثة النشأة، بل ترتكز دون شك على قاعدة قانونية أو عرفية تقر الإدارة الإمبراطورية من خلالها بالاستقلال الداخلي و الإقليمي لهذه القبائل، و تتعامل معها من خلال أمرائها، و ما يؤكد هذه الفكرة هو إشارة بروكوب إلى طلب النياشين التي تعود الموريين الحصول عليها، عربونا للتحالف مع الإدارة الرومانية، وبالتالي فيبدو أنها لم تكن وافدة من بعيد، رغم أنها حشدت النساء و الأطفال في تحركها هذا. و قد يكون التحول الذي عرفته السياسة البيزنطية تجاه هذه القبائل الصحراوية، نتيجة الضغط الذي كانت تمارسه طبقة ملاكي الأراضي الزراعية التي تعتبر نفسها صاحبة النفوذ، وريثة روما الشرعية، فهي التي ناشدت البيزنطيين للتدخل ضد الوندال. و بالتالي فيبدو أن مقتل الوفد "الموري" لم يكن من قبيل الصدفة، بل من شأنه أن يوضح أن حدة الضغط الذي كان يمارسه الملاكين. فإذا افترضنا أن هؤلاء الملاكين قد استولوا على الأراضي التابعة للقبائل "الطرابلسية" فقد تسببوا بذلك في نقض الاتفاقيات التي التزمت بها الإدارة البيزنطية . فإن احتجاج هذه القبائل و على رأسها كل من "لواته"و"الأسترياني" كان أولا بطريقة سلمية . إلا أن إدارة المقاطعة الطرابلسية -تحت ضغط الملاكين الكبار- بادرت بتفجير الوضع، إلا أن هذه المبادرة سرعان ما تحولت إلى يد القبائل الليبية بمجرد إعلان الحرب سنة 544م، حيث لم تكتف ببسط نفوذها على المقاطعة الطرابلسية فحسب، بل كثيرا ما أصبحت

---

[778] لقد أوضح بروكوب أن الجنرال البزنطي بليزاريوس في بداية الإحتلال، قد إستقبل وفدا من الإمارات المورية التي أعلنت ولاءها له مقابل إعترافه (باستقلاليتها) وقد توج هذا الإتفاق بالحصول على مجموعة من الهدايا و المنح. B.V. I, 25, 3-9 وهذا ما يجعلنا نرجح نفس العلاقة مع القبائل الطرابلسية

[779] تعرضنا لشخصية بيدانتيوس Pudentius، بإعتباره من طبقة الملاكين الكبار بهذه المقاطعة، و التي كانت تسعى لتوسيع نفوذها أكثر بالمناطق الداخلية. أنظر الفصل الخاص ،،،،،،،.Procope, B.V. II, 21, 3

[780] Procope B.V. II, 21, 4-11. Ch. Diehl, Afr.Byz. pp. 340-341

مقاطعتي المزاق و البروقنصلية ساحة لمعاركها، لاسيما و أنها اتحدت في إطار كونفدرالي جعلها من القوة إلى درجة تهديد الوجود البيزنطي ببلاد المغرب القديم كلها.
و قد تتجلى الصورة أكثر من خلال استعراض مراحل هذا الصراع. فقد تسبب مقتل الوفد الموري الذي استقبله سرجيوس Sergius في اندلاع الحرب بين قبائل لواتة وحلفائها الذين تمركزوا خارج أسوار المدينة، إلا أن الانتصار البيزنطي لم يحسم الأمر، فاشتعلت الحرب في إطار تحالف بزعامة قبائل لواتة ، مما جعل الدوق سرجيوس يسارع لطلب نجدة القائد العام للجيش البيزنطي بإفريقيا " سولومون"[781]. و هو ما صادف أيضا إعلان الأمير أنتالاس الحرب بمقاطعة المزاق، و سعيه للتقرب و التحالف مع القبائل الطرابلسية بزعامة لواتة ، الأمر الذي مكنه من تحقيق نتائج رهيبة[782]. و قد نجد في نص المؤرخ الإغريقي تيوفان Theophane الذي عاش في القرن 9م، بأن المقاطعة الطرابلسية كلها أصبحت في يد المور، حيث أصبحوا يتحكمون في كل المناطق، وبعد أن أسروا عددا من الرومان و استعبدوهم، تحركوا باتجاه Pentapole، إشارة إلى هذه المرحلة. كما أضاف بروكوب أنهم استولوا على مدينة Berenike، ليتوجهوا بعدها نحو قرطاج، وبمجرد وصولهم إلى المزاق، بدءوا في تخريب و نهب شاملين لكل الأراضي والسكان بهذه المنطقة..."[783]. وقد أثمرت هذه التحالفات سلسلة من الانتصارات، جعلت الجيش البيزنطي يتراجع للتحصن بالمدن، ولعل هذا ما جعل سولومون يتحرك لمواجهتهم فكان ذلك بالقرب من تبسه Theveste. ويبدو أن هذا القائد قد فضل استعمال أسلوب المفاوضات السلمية أولا، حيث بعث برسول إلى أمراء لواتة يعاتبهم على نقض التعاهد مع الرومان و يطلب تأكيد السلم بين الطرفين. مع التزام سولومون و تعهده بعدم متابعة المور الثائرين[784]. إلا أنه يظهر أن قوات التحالف الموري كانت في مركز قوة، جعلها ترفض هذه العروض و لا تثق فيها، مذكرة بموقف سرجيوس الذي تعهد هو الآخر بالكتاب المقدس عند استقباله للوفد الموري[785]. و هذا ما تؤكده نتائج المعركة الأولى التي جمعتهم بالبيزنطيين في موقعة قصرين Cillium وذلك في شهر جوان 544م –حيث توجت بمقتل القائد البيزنطي سولومون نفسه–[786]. و بالتالي باشرت هذه القبائل زحفها حتى أسوار مدينة لوربيس Laribus التي تحصن بها الجيش

[781] Procope, B.V. II, 21, 16-17. Ch. Diehl, Afr. Byz., p. 341
[782] Corippe, Joh., II, 28; III, 393-400; IV, 365-366
[783] Procope, B.V. II, 21, 16. Y. Moderan, les Maures et l'Afrique romaine, p. 609-610
[784] Procope, B.V. II, 21, 19, 20
[785] Procope, B.V. II, 21, 22
[786] Procope, B.V. II, 21, 23-28. Corippe, Joh., III, 401-449

البيزنطي. إلى أنها بعد حصار دام بضعة أيام نجدها تعود نحو أقاليمها بالمقاطعة الطرابلسية، و ذلك بعدما فرضت على المدينة غرامة مالية قدَرها بروكوب بـــ 3000 قطعة ذهبية[787].

ومع بداية سنة 545م نجد نفس التحالف ثانية بمقاطعة المزاق، وقد انضم إليه القائد البيزنطي المتمرد ستوتزاس Stotzas ، حيث تمكنت القوات المتحالفة من الاستيلاء على مدينة سوسة Hadrumetum ، بل واصلت زحفها حتى أسوار قرطاج[788]. كانت قيادة القبائل الطرابلسية في هذه الفترة في يد الأمير يارنا Ierna، الذي يظهر أنه كان يجمع بين السلطة العسكرية والزعامة الدينية – حيث وصفه كوريبوس أنه حامي تمثال الإله غرزيل Gurzil.[789] ورغم تعين جستنيان حاكما جديدا على إفريقيا هو أتناسيوس Athanasius رفقة قائد آخر للجيش هو أريوبندوس Areobindus، الذي تميز بقرابته للإمبراطور جستنيان[790]. فقد انهزم البيزنطيون ثانية بموقعة برج مسعود Thacia على بعد حوالي 35 كلم من مدينة الكاف Sicca Veneria، و 125 كلم من قرطاج. بينما قتل بهذه المعركة القائد البيزنطي المتمرد ستوتزاس الذي تحالف مع الأمير أنتالاس. و من ثم يبدو أن قرار جستنيان سنة 546م بتعين جون تروجليتا Jean Troglita على رأس القوات البيزنطية بإفريقية، قد وضع القضاء على تحالف القبائل الطرابلسية بزعامة لواتة Ilaguas، المهمة الأساسية للقائد. بل يتجلى ذلك أكثر من خلال الاقتراحات التي قدمها هذا القائد في تفاوضه مع قوات التحالف الموري، حيث وعدهم بالعفو و السلم التامين، مقابل إطلاق سراح كل المساجين (من الجيش البيزنطي)، و أن تعود القبائل الطرابلسية إلى مواطنها، و أن يدخل أنتالاس تحت النفوذ البيزنطي[791]. و في هذه الحرب(سنة547م)، برزت شخصية يارنا Ierna ، بالقرب من مدينة سوسة Hadrumetum، على رأس قبيلة لواتة، خاصة من خلال الإستراتيجية المعروفة لدى هذه القبائل الصحراوية، بوضع الجمال على شكل دائرة كبيرة لتكسير هجمات الفرسان البيزنطيين[792]،متقمصا في نفس الوقت شخصية خادم الإله غرزيل Gurzil.

و رغم ثقل الهزيمة، و إلزام هذه القبائل على الانسحاب ثانية إلى المنطقة الطرابلسية، حيث سارع القائد البيزنطي جون تروجليتا بإقامة احتفالات ضخمة، مستعرضا وراءه عددا ضخما من النساء و الأطفال المعتقلين[793]. إلا أنها سرعان ما رجعت ثانية، في ظل تحالف

---

787 Procope, B.V. II, 22, 12, 20. Ch. Diehl, Afr. Byz. p. 344
788 Procope, B.V.II, 23, 1-17.Coripe, Joh., IV, 47-48.Ch. Diehl, Afr. Byz. p. 347-349
789 Corippe, Joh., II, 4-5; 18-22; 28-84. Ch. Diehl, Afr. Byz. p. 369
790 Procope, B.V. II, 24, 1-5
791 Corippe, Joh., II, 344-348. Ch. Diehl, Afr. Byz. p 369
792 Corippe, Joh. IV, 1136-1142, 1162. Ch. Diehl, Afr. Byz. p. 370
793 Corippe, Joh.VI, 82-83

جديد تحت قيادة الأمير كاركسن Carcasan ملك الإيفوراس Ifuraces، الذي تمكن من حشد الهمم و إثارة المشاعر بضرورة المقاومة مستعينا في ذلك بتنبؤات المنجمين بدخول قرطاج و انصياع سكانها، بل إقامة إمبراطورية بعد طرد الإغريق منها[794].

و في الواقع يكتسي هذا التحالف طابعا مميزا، حيث تجلت من خلاله طموحات إقامة مملكة بزعامة الأمير كاركسن[795]، مما يجعلنا نفترض أن حدة هذا الخطر هي التي جعلت القائد البيزنطي جون تروجليتا، يلجأ إلى تحالف مضاد يجمع قواته بقوات مجموعة من الأمراء المور، مثل الأمير كوتزيناس Coutsinas على رأس 30000 رجل، و الأمير إيفيسداياس على رأس 10000 رجل، و كذلك ملك الأوراس، الأمير يابداس Iabdas الذي بعث بإبنه على رأس 12000 رجل[796]. وقد وصف كوريبوس مراحل الصراع هذه، موضحا أن القبائل الطرابلسية اختارت أسلوب إرهاق الجيش البيزنطي و حلفائه من خلال التنقل من مكان لآخر، قصد جر القوات البيزنطية نحو المناطق الصحراوية بعيدا عن المدن[797]. و بالفعل فقد نجحت إلى حد ما في ذلك، مما جعل جون تروجليتا يحاول انتزاع

---

[794] Corippe, Joh. IV, 639-641;VI, 195-200

[795] برزت من خلال مواقف عديدة: أولها تنبؤات كاهنة الإله آمون، التي وعدته بالانتصار و بدخول قرطاجة تحت هتافات سكانها، وخضوع الجميع لنفوذه، بل تمكنه من إقامة إمبراطورية مستقلةCorippe, Joh. VI, 167-168 إلى جانب النبأ الذي بعث به رفينوس Rufinus، بأن كاركسن يقود شعوبه نحو أسوار قرطاج العالية، عاقدا العزم على إقامة إمبراطوريةCorippe, Joh. VI, 225-227 . وكذلك الخطاب الذي ألقاه هذا الأمير، حيث ركز فيه على الواجب التحرري الذي ينتظر هذه القبائلCorippe, Joh. VI, 192-200 ، إلى درجة تخيل الزعيم عمر المختار، أو بوعمامة... إلخ. و أخيرا المعلومات التي قدمها أحد رجال الأمير كاركسن و هو فارينوس Varinus. حيث يذكر كوريبوس أنه ألقى عليه القبض، خلال عمليات الملاحقة التي كانت بين الجيش البيزنطي و المور. و أثناء استنطاقه و تساؤل البيزنطيين عن الدوافع التي جعلت هذه القبائل تعلن الحرب، أكد بأنه كله ثقة في قيادة كار كسن و ما يحمله من مشروع، خاصة و أنه يستند على دعم الإله آمون الذي كان دوما بجانبهمCorippe, Joh. VII, 515-517 . كما يشير كوريبوس إلى أن التحالف الجديد، قد تميز بانضمام عدد كبير من القبائل الطرابلسية و السيرتية، التي تجمعت تحت قيادة الأمير كاركسن لتتحرك نحو مقاطعة المزاق، و رغم محاولة القائد البيزنطي جون تروجليتا لقطع الطريق أمامها و مقابلتها خارج إقليم المزاق، فقد التقى الطرفين بمنطقة Gallica مارثا Mareth، جنوب شرق قابس في معركة انتهت بانتصار الجيش الموري و تراجع القوات البيزنطية. فواصلت القبائل الطرابلسية ضغطها و مطاردتها للجيش البيزنطي حتى مدينة عين غريب Iunca، و منها إلى القلعة المحصنة لاريبوس Laribus. Corippe, Joh. VI,439-495; 528-542; 570-572; 595-603. VII, 61, 110-111, 135-149 و إذا كان كوريبوس لم يتحدث عن تحركات الجيش الموري عقب هذه الانتصارات فإن بروكوب قد أوضح أن المور استمروا في تخريب المدن حتى أبواب قرطاج نفسهاProcope, B.V. II, 28, 49 . إلا أن الملاحظ في هذه المرحلة هو حياد الأمير أنتالاس، الذي لم يلتحق بهذا التحالف إلا بعد الانتصارات المذكورة آنفا، مما سمح بدعم النفوذ الموري و امتداده على مقاطعة المزاق كلها، بل أصبح من المنتظر جدا القضاء على النفوذ البيزنطي ببلاد المغرب، لولا تراجع القبائل الطرابلسية للمرة الثانية نحو أقاليمها Corippe, Joh. VII, 283-287.

[796] Corippe, Joh. VII, 262-280

[797] Corippe, Joh. VII, 46, 254-370, 656

المبادرة و قطع الطريق أمامها بالقرب من مدينة لاريبوس Laribus كما وصف لنا نفس المؤلف جانبا من الطقوس التي كانت تمارسها هذه القبائل قبل دخولها المعركة[798].

إلا أن الهزيمة المورية كانت هذه المرة أثقل، ونتائجها أخطر من أي وقت مضى، إذ لم يكتف البيزنطيون بقتل الأمير كاركسن، بل أصروا على طرد القبائل الصحراوية بعيدا عن مناطق النفوذ البيزنطية[799]. و بالفعل فقد صمتت المصادر بعد هذا التاريخ عن هذه القبائل و لا نجد إشارة لها إلا مع بداية القرن 7م، حيث يبدو أنها ساهمت في الحملة التي نظمها بطريق المقاطعة الإفريقية هرقليوس Heraclius سنة 609 على القسطنطينية[800]، للإطاحة بالإمبراطور فوكاس Phocas لتحتل فيما بعد مكانة معتبرة أثناء المراحل الأولى من الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب.

وبالتالي فيمكن اعتبار وجود هذه القبائل المتحالفة بجنوب المزاق بلاريبوس Laribus، أو حتى على أبواب قرطاج لا يعنى أن نمط معيشتها قد تغير، بقدر ما يدخل في منطق الصراع و محاربة العدو المشترك. كما لا يجب أن ننظر إلى هذه القبائل على أنها قبائل رحل بدائية – تجسد كل ما يعاكس التمدن– و إنما قبائل متحالفة في إطار كونفدرالي يجمع بين الرحل المتنقلين بين الصحراء و المناطق الشمالية، و بين المزارعين القاطنين بالسهوب، بل حتى سكان المناطق الجبلية بالمقاطعة الطرابلسية، كما يبدو أنها لم تكن خاضعة للنفوذ الروماني و إنما على اتصال بالإمبراطورية وفقا لتقاليد وأعراف، تعترف لها بحريتها في أقاليمها، و بكيانها السياسي و الثقافي المتميز، خاصة و أننا نعرف أنها ظلت وثنية بعيدة عن تأثير المسيحية. إلا أن تقهقر الإمبراطورية الرومانية قد أتاح الفرصة لهذه القبائل للتوسع أكثر للتوسع و ضم الأراضي الزراعية، مما جعلها تصطدم مع طبقة الملاكين الكبار أولا، ولعل الانقلاب الذي أحدثه بيدانيوس Pudentios ضد الوندال قبل حتى أن تتحرك القوات البيزنطية من القسطنطينية سنة 533م هو تأكيد على هذا الصراع القائم بين ما يمكن تسميتهم بورثة الإمبراطورية الرومانية بالمنطقة أي طبقة الملاكين من جهة و القبائل الطرابلسية من جهة أخرى. و إذا كان البيزنطيون قد تعاملوا مع هذا الواقع منذ احتلالهم لبلاد المغرب القديم، و أقاموا على أساسه علاقاتهم بالقبائل المورية فإن تحول هذه السياسة بعد سنة 543م كان السبب في إعلان الحرب التي استمرت إلى غاية 548، و التي توصلت خلالها هذه القبائل إلى غاية أبواب قرطاج، بل أصبح حلم إقامة إمبراطورية مستقلة يراود أغلب هذه

---

798 Corippe, Joh. V, 25, 26
799 Corippe, Joh. VI, 184-187. Ch. Diehl, Afr. Byz. p. 379
800 Ch. Diehl. Afr. Byz. p. 519

القبائل المتحالفة تحت قيادة الأمير كاركسن، إلا أن الهزيمة التي منيت بها في الأخير، كانت نتائجها و خيمة تجاوزت مجرد الاستسلام، بل ربما طرد هذه القبائل و إبعادها نحو منطقة قرينة Gyrénaique. حيث نجد العديد من النصوص العربية تتحدث عنها بهذه المنطقة، وقد يكون ذلك نتيجة حتمية لدرجة الخطر الذي شكلته هذه القبائل على الاحتلال البيزنطي. و لعل إشارة جوردان Jordanes إلى مقتل أكثر من 17 أمير من أهم أمراء القبائل المورية و على رأسهم كاركسن[801]. ووجود عينات أثرية تدل على حرق مدينة أوجيلا Augila وتخريب معبد غيرزة Guriza[802]، فضلا عن إشارة بروكوب إلى انتشار المسيحية في أوساط مجموعة من القبائل الطرابلسية مثل قبائل الغدابناتيني Gadabitani، وسكان غدامس[803]، مما يؤكد السياسة التي انتهجها البيزنطيون لتفكيك هذا التحالف الموري و القضاء على أسسه، خاصة و أن النصوص لم تتحدث عن أية ثورة بعد هذا التاريخ، بل بعضها أشار إلى المساعدة التي قدمتها نفس القبائل الطرابلسية في الحملة التي نظمها هرقليوس سنة 609 على القسطنطينية[804] – مما يفترض وجود تحالف بين الطرفين بنفس الطريقة التي أشرنا إليها سالفا–.

إمارتي المزاق

تتمحور معلوماتنا ح شخصية أنتالاس Antalas، على نص الشاعر كوريبوس، الذي وصفه على أنه كان أمير الفراكسة[805] (Frexes). إبن الأمير قنفان Guenfan الذي يبدو أنه أسس الإمارة ووحد القبائل ضد النفوذ الوندالي، في نهاية عهدهم [806]، لأن نفس المصدر قد نعتها في بداية الأمر أنها كانت إمارة أو قبيلة ضعيفة[807] Gentes humilis. وقد تميز الأمير أنتالاس عن بقية الأمراء، بما حضي به من اهتمام و عناية من طرف معاصريه، خاصة كوريبوس الذي كان يعتبره سبب البلاء و الاضطراب الذي عرفته بلاد المغرب، كما اعتبره العديد من الباحثين شخصية نموذجية قد تنطبق على أغلب الأمراء المور[808]. فقد أستقبل ميلاده باحتفال خاص، تمثل في توجه والده، الأمير قنفان إلى معبد الإله آمون، يحمل الهدايا

---

801 Jordanes, Histoire Romaine, dans MGH,a.a., T.V, p.51 ;
802 O.Borgan et D.J.Smith, Ghirza, Tripoli, 1985, p. 85, 232 ; D.J.Mattingly, Tripolitania, Londres, 1995, p.215
803 Procope, De Aed. VI,2,15-20
804 Jean de Nikiou, Chronique, CVII, p.541
805 Corippe, Johannide, III, 184- 189
806 Corippe, Joh., III, 66, 107
807 Corippe, Joh., 153.
808 Y.Moderan les Maures et l'Afrique romaine, p. 315-321

و القرابين ليتبرك بهذا الابن و يحاول معرفة ما يخفيه له المستقبل، و هو أمر لا يستفيد منه إلا من كان في مرتبة ولاية العهد[809]. و بالفعل فقد صرحت كاهنة هذا الإله. " **بأن الأيام المقبلة ستشهد سقوط الوندال و تحرير المور، و أن أنتالاس سيلعب دورا إستراتيجيا في ذلك**.."[810]. ولعل التنبؤات التي أشار إليها كوريبوس تؤكد استمرار الديانة الوثنية لهذه الأقوام.

بدأ أنتالاس يتميز من بين أترابه منذ سن السابعة عشر من عمره، بقيامه بمجموعة من الغارات ،التي ذاع صيته من خلالها، وسمحت له أن يكون على رأس مجموعة من الأتباع[811]، وقد أكد كوريبوس أنه في حدود سنة 529م أخذت تحركات الأمير أنتالاس منعطفا جديدا[812]، بتحولها إلى هجمات واسعة على المدن والحقول، بل ضد الجيش الوندالي نفسه في معارك مفتوحة، بعد ما كانت عبارة عن هجمات خاطفة[813]. وأن إفريقيا ظلت تتمتع بمظاهر الازدهار والرفاهية إلى غاية السنة الثلاثون من عمر هذا الأمير[814]. الأمر الذي يقودنا الى الاعتقاد بأن مولده قد صادف بداية القرن السادس ميلادي 499-500م. وإذا كانت معلوماتنا حول هذه الشخصية تعتمد أساسا على الشاعر كوريبوس، فيظهر جليا أن هذا الأخير كان يحاول دوما أن يجعل منه العدو التقليدي والنموذجي للإمبراطورية البيزنطية بكل ما تمثله من قيم، الأمر الذي جعله ينعته بأسماء مختلفة، البربري Barbari، الماسيليMassyli، اللواتيIllaguas ...الخ[815]. مما جعل البعض يقرنه بالقبائل الصحراوية الطرابلسية، خاصة وأنه تحالف معها كما أوضحنا سابقا، لاسيما وأن بصمات نفس الديانة الوثنية للإله آمون نجدها عند الطرفين.[816] إلا أن هذا الأمير قد ظل دوما يربط ذكره بمقاطعة المزاق خاصة عند بروكوب[817]، بينما كانت الأسماء الصحراوية التي أطلقها كوريبوس لا تتجاوز المنظور الشاعري. وهو ما تؤكده قائمة أتباع

---

[809] يذكرنا هذا الأمر بما استعرضته المصادر حول شخصية حنبعل، الذي أخذه والده أميلكار برقة إلى المعبد،،،،

[810] Corippe, Joh., III, 152-154; 87-105

[811] Corippe, Joh., III, 106-141

[812] Corippe, Joh. III, 173-176

[813] Corippe, Joh.,III, 178-181

و لعل الهزيمة التي تلقاها الجيش الوندالي بقيادة هلدمير Hildimir أمام جيش أنتالاس، تندرج في إطار التوسع الذي بدأت تحققه هذه الإمارة. حيث أكد بروكوب أنها كانت هي السبب في ثورة الوندال على ملكهم هلدريك Hilderic (523-530)و الإطاحة به، بزعامة جليمير Gelimer . وإذا كان تاريخ هذا الانقلاب معروف -5 جوان 530 م- فإن ذلك يجعلنا نبحث عن الانتصار الموري في الفترة مابين 527 -529 م.

[814] Procope, B.V. I, 9, 8. C. Courtois, V. A. p. 155,269

[815] Corippe, Joh., IIIII, 73-74

[816] V. Zarini, Recherches sur Corippe et le livre second de la Johannide, p. 81-92

[817] Procope, B.V. I, 25,4-8

هذا الأمير، التي أوردها كوريبوس نفسه.[818] حيث يتجلى أن أغلب هذه القبائل تقطن المرتفعات والسهول الممتدة شمالها، إلى جانب المناطق الصحراوية طبعا. كما اعتبر كل من ديل[819]، كورتوا[820]، أن قبيلة الفراكسة Frexes التي ينتمي إليها أنتالاس يمكن أن تكون من أسلاف قبيلة الفراشيش المعاصرة ، والتي تتواجد مابين منطقة تالا Thala والمدينة القديمة Thelepte . بل ذهب كورتوا إلى أبعد من ذلك حيث اقترح أن تكون منطقة تالا عاصمة لهذه الإمارة[821]. نظرا لكثافة التحصينات البيزنطية التي شيدت بالمنطقة أو حولها بكل من تبسة Theveste ، حيدرة Ammaedara ، المدينة القديمة ، لاريبوس Laribus. بينما إقترح كامبس Camps أن تواجد هذه الإمارة يمكن أن يكون بجنوب غرب مقاطعة المزاق[822]. وقد دعم ذلك مؤخرا موديران Moderan من خلال رصد المناطق التي تواجد بها الأمير أنتالاس والتي تمثل جزء من البروقنصلية وبدرجة أخص مقاطعة المزاق[823]. وبالفعل فقد أشارت إليه المصادر بالقرب من مدينة تبسة، سوسة Hadrumetum ، لاريبوس، تالا Thala، قصرين Cellium، الكافSicca veneria ؟ Thacia، دكيمون Decimum ، هنشير دويميس Mammes، عين غريب Junci. وهي المناطق التي خصت بتحصينات بيزنطية مكثفة أيضا[824]، فضلا عن تميز المنطقة بتعيين جستنيان مدينتي قفصة Capsa والمدينة القديمة Thelepte لتكونان مقري إقامة الدوق في نفس الوقت[825]. الامر الذي يجعلنا نعتقد أن إمارة أنتالاس تمتد جنوب مقاطعة المزاق بينما كانت تسعى لبسط نفوذها على المناطق الشمالية.

يبدو أن إمارة أنتالاس كانت صغيرة، مع بداية القرن الخامس ميلادي، إلا أنها مع نهاية العهد الوندالي، تحولت إلى إمارة قوية و مهابة، فقد اعتبر كورتوا " أن هزيمة هلديمير Hildimer أمام الأمير أنتالاس، لم تكن حادثة بسيطة، بل تعني أن أنتالاس قد أصبح وحده صاحب النفوذ على مرتفعات الظهير الأوسط، و أن كل شيء يؤكد أنه سيواصل عملياته عبر السهول، و التي توجت بتأسيس مملكة مورية، في قلب الدولة الجرمانية"[826]. كما أبرزه بروكوب في سنوات 534-535 أثناء الحروب التي تزعمها كل من كوتزيناس، و يبداس،

---

[818]J.M.Lassére, La Byzacéne meridionale au milieu du VIe s.p.c d'apres la Johannide de Corippus ‹Pallas,Revue d'Etudes Antiques, TXXXI,Montpellier, 1984,p177. Y.Moderan, Les Maures et l'Afrique romaine, p. 315-317
[819] Ch. Diehl, Afr. Byz. p. 303
[820] C. Courtois, V.A. p. 346
[821]C. Courtois, V.A. p. 346
[822] G. Camps, Antalas, Enc.Ber. T5, 1988, pp.706-708
[823] Y. Moderan, les Maures et l'Afrique romaine. P. 321
[824]– أنظر الخريطة الملحقة ص . C. Courtois, V.A. p.346
[825] C.J. I, 27, 2, 4
[826] C. Courtois, V.A. p.347

مواليا للإدارة البيزنطية [827]، مما يفترض أنه كان من بين " الأمراء المور لكل من موريطانيا، نوميديا و المزاق الذين أعلنوا ولاءهم للإمبراطور في ربيع 533 "[828]. و يبدو أن البيزنطيين كانوا يعترفون له بسلطته على القبائل المحيطة به، و التي ظل يمارسها حتى سنه 544 و ذلك مقابل ولائه لهم[829]. و قد شكل تحالفه مع القبائل الصحراوية الطرابلسية، ابتدءا من تاريخ -544م- إلى جانب القائد البيزنطي المتمرد ستوتزاس Stotzas نقطة تحول في حياته، و فصلا جديدا في علاقته بالإدارة البيزنطية، تميز بالحروب و المعارك. وقد أورد بروكوب أن سبب ذلك يرجع إلى السياسة البيزنطية، لأن القائد سولومون قد حرم هذا الأمير من حصته التقليدية من القمح، و التي كانت تسلم له تكريما و تقديرا لموالاته منذ عهد القائد بليزاريوس، و بتزكية من الإمبراطور جستنيان نفسه، فضلا عن مقتل غاريزيلا Guarizila شقيق أنتالاس[830]. و قد يفهم من هذا الحصار الاقتصادي البيزنطي، و مقتل أحد أفراد أسرة الأمير، أن الحادثين يندرجان في سياق واحد لا يمكن الفصل بينهما، و بالتالي قد يكونان بمثابة نتيجة حتمية لعدم التزام الإدارة البيزنطية بالتعهدات التي قطعتها على نفسها أمام المور في أوقات السلم، و محاولتها فرض سيطرتها على هذه الإمارة. و هذا ما نستشعره من استقراء الرسالة التي بعث بها الأمير أنتالاس إلى الإمبراطور جستنيان[831]. و عموما فيمكن القول أن اتصال الأمير أنتالاس بجستنيان قد يؤكد بأنه لم يكن يعتبر نفسه مجرد أمير تابع، و إنما قد التزم مع ممثلي الإمبراطور بمعاهدة ثنائية تضمن السلم بين الطرفين، و تحدد معاملات كل طرف، وهو الأمر الذي لم يحترمه البيزنطيون بقيادة سولومون. لكن هل كان ذلك بمبادرة فريدة من سولومون أم أنها أحد مراحل السياسية البيزنطية تجاه الإمارات المورية؟ ولعل استمرار الحرب و اتساع نطاقها، يفترض أن الإمبراطور جستنيان لم يحجم فقط عن الإجابة على هذه المراسلة، بل كان الموجه لمراحل الصراع هذه و المدبر لها[832].

و قد تميزت هذه المرحلة بسلسلة من التحالفات بين الأمير أنتالاس و بين القبائل الصحراوية الطرابلسية من جهة، و بينه و بين بعض القوات البيزنطية من جهة أخرى سواء

---

[827] Procope, B.V., I, 25, 4 - 8
[828] Procope, B.V., I, 25, 4 - 8
[829] Procope, B.V., I, 25, 4 - 8 Corippe, Joh. II, 34, 35
[830] Procope, B.V., II, 12, 30; 21, 17. C. Courtois, V.A. p.344
[831] Procope, B.V., II,21, 17. Corippe, Joh. IV, 366
تشير هذه المصادر أيضا أن الأمير أنتالاس قد انتظر حتى يمر الوباء الذي أصاب سكان المدن دون أن يمس المور، يعلن عن حربه. انظر:
E. Stein, Histoire du Bas Empire. T.2, p.548
[832] Procope,B.V. , II,22, 7 - 10. Corippe, Joh. III, 442-460 .
يشير بروكوب أن جستنيان بعد تلقيه الرسالة من الأمير انتالاس و قراءتها فضل عدم الإجابة

كانت مع العناصر المتمردة مثل القائد ستوتزاس Stotzas، أو الحاكم قونتاريت Guntharith، أو حتى مع العناصر الموالية للإمبراطورية مثل ماركنتيوس Markentios.
أما بشأن القبائل الطرابلسية فيبدو أنه هو الذي أغراها، و أقنع أمراءها بضرورة توجيه ضرباتهم نحو مقاطعة المزاق[833]، لما تتميز به من خيرات و ثروات، الأمر الذي جعله الحليف الطبيعي في اغلب معاركها ضد الإدارة البيزنطية، حيث نجده منذ سنة 544، رفقة الأمير يارنا Ierna، ومن بعده كاركسن Carcasan، إلى درجة أن وصفه الشاعر كوريبوس بأمير لواته[834] Ilaguas، و اعتبره كذلك كورتوا يمثل أحد فروع هذه القبيلة ذات الطابع الجبلي في حين أن الفرع الآخر هو من الرحل بالمقاطعة الطرابلسية[835]. كما اكتسى تحالفه مع القائد البيزنطي ستوتزاس Stotzas طابعا عسكريا رغم اختلاف أهدافهما[836]. فأهذافه كانت ربما، تحقيق مملكة مستقلة لمقاطعة المزاق، دون الاكتراث لمن يحكم قرطاج، و ذلك ما يتجلي من شروط تحالف هذا الأمير مع الحاكم البيزنطي المتمرد Guntharith سنة 546م[837]. وهو نفس الموقف الذي نتحسسه من رسالة أنتالاس إلى جستنيان، فبالرغم من اعترافه إعلان وخضوعه للإمبراطور[838]. يضاف إلى ذلك سلوكه تجاه سكان المدن، فأثناء احتلاله لمدينة سوسة، لم يترك بها إلا عددا قليلا من رجاله لحراستها. و يذكر بروكوب بأن غضبه كان كبيرا عندما علم بنبأ طرد من تركهم خلفه من البيزنطيين[839]. و قد يكون ذلك أساسا لرغبته في الحصول على دعم سكان هذه المدينة و إدماجهم في مملكته. كما فضل الانسحاب بعد حصار مدينة عين غريب Junci بالرغم من سقوط أسوارها و تفادي التخريب و النهب بها[840].

---

833 Procope, B. V. II, 14; 27, 26

834 Corippe, Joh. I, 467-469 « Laguatan Gentis acerbae ductor magnanimus tibi nos Gunefeius heros Antalas heaec ferre inbet »

"... الأمير القوي لأمة لواتة المهابة، البطل انتالاس ابن قنفان ..."

835 C. Courtois, V.A. p 345

836 Procope, B. V. II, 22, 5; 23, 1; 24, 6. E. Stein, Histoire du bas Empire. T.2, p549

837 Procope, B. V. II, 25, 8-10

حيث اتفق الطرفين على أن يكون الأمير أنتالاس ملكا على مقاطعة المزاق،و أن يتلقي هذا الأمير 1/2 ممتلكات الحاكم البيزنطي أريوبيد فضلا عن حصوله على 1500 جندي روماني لخدمته شخصيا.مقابل أن يساعد هذا الحاكم المتمرد على أن يصبح ملكا على قرطاج و بقية الأراضي الليبية، و الإطاحة بالحاكم البيزنطي أريوبند Areobindos

838 Procope, B. V. II, 22, 7-10

839 Procope, B. V. II, 23, 12, 16, 26-28

840 Corippe, Joh. VII, 481-485

كان ذلك أثناء الحصار الذي فرضه أنتالاس رفقة الأمير كاركسن على هذه المدينة. أنظر:

Ch. Diehl, Afr. Byz. p.169

الأمير كوتزيناس

تختلف صورة هذا الأمير عن بقية الأمراء المور الذين تعرضنا لهم بالدراسة، لأن المصادر قد أبرزته مسالما، خاضعا للنفوذ البيزنطي، رغم أنها نعتته بألقاب مختلفة: فبروكوب قد وصفه بأنه أحد القادة المور، أو أمير البرابرة [841]. و المؤرخ جون ملالاس Jean Malalas اعتبره بمثابة حاكم لشعب المور، اعتاد الحصول على كميات معتبرة من الذهب من طرف الإدارة البيزنطية[842]. في حين قدمه الشاعر الإفريقي كوريبوس، في أكثر من مرة، بأنه قائد المور، حليف الرومان و الوفي لهم، فهو: " روماني بأحاسيسه، وتقريبا بدمه، لطيف في طبعه و لا تيني في مظهره، لا يضاهيه أي محارب في رمي الرماح..."[843]. فإلى جانب كونه من أم لاتينية، حيث كان يفتخر بذلك[844]، كان يتباهى أيضا باللقب الذي أطلقه عليه الإمبراطور، بعد قيادته لقوات مورية، في إطار تحالف تحت قيادة القائد البيزنطي جون تروجليتا، J. Troglita ضد الأمير أنتالاس و القبائل الطرابلسية و هو لقب القائد العام للجيش[845]. كما كان يتمتع و يعتز بقيادة لقوات رومانية خاصة جعلها الإمبراطور في خدمته، أو كحارس خاص له[846]. و لعل هذه المواصفات كفيلة لاعتبار هذا الأمير بمثابة حليف، أو أحد أتباع الإدارة البيزنطية ببلاد المغرب، و ما الصورة التي حاول الشاعر كوريبوس تكريسها، إلا تأكيد على النظرة البيزنطية الإيجابية لهذه الشخصية[847]. كما يبدوا أنه كان من بين الأمراء المور الذين شاركوا في المفاوضات مع القائد البيزنطي بليزاريوس Belisariusسنة 533، و التي توجت باتفاق بين الطرفين، تحصل على إثرها هؤلاء المور على مجموعة من الهدايا كعربون لذلك، وصفها بروكوب بأنها كانت تتمثل في " **صولجان من الفضة (الذهب)، عباءة بيضاء بمقبض ذهبي على الكتف اليمني قميص ابيض مطرز، إلى جانب حذاء مغطى بالذهب ...**"[848]. إلا أن نفس المصدر أوضح أن هذا الأمير، بعد سنة فقط من ذلك – أي حوالي 534م– برز ضمن تحالف موري يتشكل من أربعة أمراء من مقاطعتي نوميديا و المزاق حاولوا الوقوف أمام التوسع البيزنطي، وهم ر مدسنيناس Medsinisas، إيفروتاس Iouphroutes، إيسيليساس Esdilisas، و أخيرا الأمير

[841] Procope, B. V. II, 10, 6
[842] J. Malalas, Chronographia, ed. Dindorf, Bonn, 1831, p.495
[843] Corippe, Joh., III, 405-406; IV, 509-510
[844] Corippe, Joh., VIII, 271
[845] Corippe, Joh., IV, 511-512
[846] Corippe, Joh., VI, 267; VIII, 268-270
[847] Corippe, Joh., VII, 262-264.Ch. Diehl, Afr. Byz. p.315, Y. Moderan, Koutzinas -Cusina- Recherches sur un Maure du VIe s, dans l'Africa Romana Atti del VII convegno di studio Sassari 15- 17 dicembre, 1989, 1990, p. 396
[848] Procope, B.V. I, 25, 3-5,7

كوتزيناس Coutzinas.[849] إلا أنهم انهزموا أمام القائد البيزنطي سولومون ، بموقعه ماماس Mammes، التي تقع على بعد حوالي 30 كلم غرب مدينة القيروان حاليا[850]. و إذا كان يصعب علينا تتبع بقية الأمراء، لأننا لا نجد لهم أثرا بعد هذا الحادث في مختلف المصادر، فإن الأمير كوتزيناس يبدو أنه غير من سياسته تماما تجاه البيزنطيين، حتى يستحق هذه الصورة الإيجابية لاسيما عند كوريبوس كما رأينا سابقا، و لعل الهزيمة هذه كانت سببا في ذلك. فيبدو من هذا الشاعر دوما أن كوتزيناس ينتمي لتركيبة قبلية تدعى ماستريسانيوس Mastrasianus، إلا أنها ظلت مجهولة من بقية المصادر، بالرغم من العثور على بعض النصوص الجنائزية بموقع هنشير الغولة، على مقربة من المدينة القديمة Thelepte والتي احتوت على تسمية Mathacianus. فإن مطابقتهما تبقي صعبة و نسبية[851].

و بالرغم أيضا من تأكيد بروكوب، بأنه، ينتمي إلى قادة المور المنتمين لمقاطعة نوميديا و المزاق[852]، فإن إشارته بأن هذا الأمير كان سنة 534 يقود جيشا من المحاربين، تتبعهم نساؤهم و أطفالهم إلى جانب قطعان الماشية خاصة منها الجمال، و استعمال الجمال في نفس المعركة "ماماس" و بنفس الطريقة التي استعملتها القبائل الصحراوية الطرابلسية و ذلك "**بتشكيل دائرة عمقها حوالي 12 جملا، توضع داخلها النساء و الأطفال، في حين كان الرجال متربصين بأسلحتهم بين أقدام هاته الجمال، و البقية من الفرسان يراقبون الوضع من أعالي الجبل**..."[853]. قد فتحت شهية رواد أطروحة هجرات الرحل نحو المناطق الغربية من بلاد المغرب القديم. حيث اعتبره كورتوا نموذجا لأمير قبيلة من الرحل تعتمد على الجمال قادمة من المقاطعة الطرابلسية لغزو المواقع المرومنة ببلاد المغرب[854]. في حين ذهب ديل إلى اعتبار أنه " بالرغم من إدعائه بالتحضر، فالبربري يتفوق في شخصيته"[855]. و في الواقع، تبدو أنظاره متجهة نحو المناطق الغربية، حيث نجده سنة 534 حليفا للأمراء الأربعة ".. من نوميديا و المزاق" [856]. وسنة 544 حليفا للأميرين يبداس و أنتالاس[857]. بينما توجه بعد هزيمته أمام القائد البيزنطي سولومون سنة 535 بمعركة بورغاون Burgaon، إلى

[849] Procope, B.V. II, 10, 6
[850] Procope, B. V. II, 11, 14-22, 37-56
[851] Corippe,Joh. III, 408. Y. Moderan , Kutzinas -Cusina, ... p. 396. Cf, ILAlg-01, 3825.
[852] Procope, B. V. II, 8, 9; 10, 2
[853] Procope, B.V. II, 11, 16-19
[854] Courtois , V. A. p. 349-350
[855] Ch. Diehl, Afr. Byz. p. 316
[856] Corippe, Joh. VII, 244- 246
[857] وذلك ضمن التحالف الموري الذي شجعه حاكم نوميديا قونتاريث Guntharith والذي ر قرطاجة، فكان الأمير كوتزيناس رفقة يابداس من نوميديا، و أنتالاس من المزاق Procope, B.V., II, 25, 1-3. إلا أن هذا التحالف لم يدم طويلا لأن البزنطيين تمكنوا من إثارة الأحقاد ثانية بين الأمراء المور، وخاصة بين كوتزيناس و أنتالاس.

منطقة الأوراس رفقة أتباعه أين استقبلهم أميرها يبداس[858]. و لعل قراره باللجوء إلى هذه المنطقة يفترض و جود علاقة ما بينه و بين أمير الأوراس، و هذا ما يؤكده استقراره النهائي بالمنطقة فيما بعد، حيث يبرزه كوريبوس، سنة 544 بأنه أصبح حليفا للبيزنطيين، على رأس القبائل النوميدية"[859]. كما نجده سنة 548، أثناء تحالفه مع القائد البيزنطي جون تروجليتا J.Troglita، يقود ثلاثين أميرا موريا، ضد القبائل الطرابلسية المتحالفة مع الأمير أنتالاس[860].

أما من الناحية الشرقية، فمن المرجح أن نعتبر أن الكراهية و الحقد اللذين ميزا علاقة الأمير كوتزيناس، بالأمير أنتالاس، الذين حددنا نطاقه الجغرافي سابقا، لا يمكن فهمهما إلا من خلال صراع إقليمي بين هاتين الإمارتين، الأمر الذي يفترض أيضا تجاورها أو تقاربهما جغرافيا. و بالتالي فمن الممكن أن تمتد هذه الإمارة في النطاق الجنوبي الغربي لمنطقة الشطوط، أو غرب الطريق الرابط بين مدينة قفصه Capsa والمدينة القديمة. خاصة و أن الإمبراطور جستنيان قد خص مقاطعة المزاق، دون غيرها، بمقرين لإقامة الدوق بها. لكن هل يمكن لإمارتين موريتين أن تتبلورا في مثل هذا النطاق الجغرافي الذي ظل يتمتع بكثافة المدن، واستقرار سكاني كبير، فضلا عن نشاطها الاقتصادي و الديني – وهي المظاهر التي طالما اعتمدت كمقاييس لاستمرار الرومنة – أم أن ذلك تأكيد على انسحاب الهيمنة الإمبراطورية، أمام توسع النفوذ الموري، تاركة المدن "الرومانية" وشأنها، تنظم أمورها بنفسها؟ مما جعلها هدفا لهذه الإمارات الناشئة. و بينما اعتبر ديفال N.Duval أنه من " غير الممكن أن البيزنطيين لم يستفيدوا من خيرات الواحات [الممتدة جنوب وغرب شط الجديد] و ثرواتها"[861]، اقترح بريغل Pringle ، على أساس التحصينات التي كانت تحاصر المنطقة، أنها كانت تخضع للقبائل المورية[862]، بل ذهب موديران Moderan إلى اعتبار أن ذلك قد يؤكد مكانة إمارة كوتزيناس، ومحاولة البيزنطيين استمالته لهم و التحالف معه[863].

وعموما فإن تفحص واستقراء تطور علاقة هذا الأمير بالإدارة البيزنطية وتتبع الحروب التي خاضها ضدها، أو بتحالف معها، يجعلنا ننظر إلى هذه الإمارة بنوع من الارتياب، لأن شخصية الأمير كوتزيناس، قد برزت خلال هذه الأحداث، ليس كشخصية فاعلة لها زمام المبادرة أو صانعة الأحداث بمفردها، وإنما كانت دوما شخصية متحالفة إما ضد البيزنطيين

[858] Procope, B.V., II, 12, 29
[859] Corippe, Joh., III, 405-408
[860] Corippe, Joh.,VII, 266
[861] N. Duval, l'état de la recherche ... p.178, N° 37
[862] D. Pringle, The Defence of Byzantine Africa, p. 100
[863] Y. Moderan, Koutzinas-Cusina... p. 400

أو بجانبهم. ولعل هذا ما يجعلنا أيضا نتساءل عن طبيعة نفوذ هذا الأمير السياسي و الإقليمي، حتى وإن علمنا أن قوته العسكرية قد تجاوزت 30 ألف رجل.

. إلا أن بروكوب قد أكد أن الأحقاد التي كانت تميز العلاقة بين كل من أنتالاس و كوتزيناس. هي التي جعلت هذا الأخير يتحين الفرصة تلو الأخرى للإطاحة بالأول[864]، فبينما عقد اتفاقية سرية مع الحاكم البيزنطي أريوبيند Areobindos على خيانة الأمير أنتالاس بمجرد اشتعال نار الحرب، نجده يصبح مناصرا لحاكم نوميديا المتمرد قونتاريب Guntharith بمجرد أن أصبح هذا الأخير معاديا لأنتالاس[865]. ولعل نفس الموقف العدائي نجده عند كوريبوس عند حديثه عن العلاقة بين الأمير كوتزيناس و الأمير إيفيسداياس Ifisdaias، و الذي لا نعرف عنه سوى أنه كان يقود حوالي 100000 رجل في التحالف الذي جمعه القائد البيزنطي جون تروجلينا J.Troglita، فضلا عن الأحقاد التي كانت تميز علاقته كوتزيناس، و التي لم يكن من السهل نسيانها أو تجاوزها لولا تدخل الوساطة البيزنطية التي كانت بحاجة إلى حلفاء ضد الأمير أنتالاس سنة 548[866].

و إذا كانت المصادر لم تحدثنا عن النتائج المباشرة لهذا الانحياز لجيش قونتاريت Guntharith المتمرد، لأنه يظهر منذ هذه الفترة، كحليف و موال للبيزنطيين بقيادة جون تروجليتا و ذلك في صراعه ضد الأمير أنتالاس المتحالف بدوره مع القبائل الصحراوية الطرابلسية. ليصبح على رأس كونفيدرالية حقيقية، تتشكل من ثلاثين أميرا كل منهم على رأس ألف رجل، فضلا عن الحرس الخاص الذي أمده به الإمبراطور و الذي يتألف من أفراد الجيش البيزنطي[867].

وقد نتساءل عن سبب هذا التحول في علاقته بالبيزنطيين؟ و هل كان للجوئه إلى الأوراس تأثيرا على ذلك؟ أم أن الدبلوماسية البيزنطية هي التي و ظفت أحقاده مع بقية الأمراء لاستمالته أكثر؟ ويبدو أن علاقته هذه قد استمرت إلى غاية سنة 563م، حيث ذكر المؤرخ جون ملالاس J.Malalas بأنه كان " أرخون Exarque على شعبه، جرت العادة أن يتلقى في أوقات معينة كميات معتبرة من الذهب ، منذ أن أصبح يقود المور."[868]. وقد يوحي هذا النص إلى الثقة الجديدة التي أصبح يتمتع بها الأمير كوتزيناس بعد فراره إلى نوميديا، والقيادة التي استرجعها والتي اقترنت بتلقيه كميات من الذهب، مما

[864] Procope, B.V., II, 25,15, 21
[865] Procope, B.V. II, 25, 15, 18; 27, 24
[866] Corippe, Joh, VII, 244-272
[867] أنظر الهامش ص:
[868] J. Malalas, Chronographia, p. 495

يفترض رضوخه للشروط البيزنطية وخضوعه لها، كما قد تجسد هذه الإمارة أحد أساليب السياسة البيزنطية في تكسير المقاومة والمواجهة المورية، بإحداث نوع من التوازن الإستراتيجي بين الإمارات المستقلة والخاضعة لسلطاتها.

إلا أن نهاية حياة هذا الأمير ، كانت بمقتله بأمر من الحاكم البيزنطي جون روقاتينوس J.Rogathinos سنة 563م[869]. وبالرغم من جهلنا لأسباب هذا التحول، فإن مقتله بعد تكسير أغلب الإمارات المورية الناشئة أو إضعافها، لم يكن في الواقع إلا تتويجا لنفس السياسة التي وظفته في مرحلة معينة ضد أبناء جلدته، واستعملته في مخططاتها. لكن بعد أن قويت شوكته، واتسع نفوذه، فمن دون شك أنه أصبح هو الآخر يشكل خطرا على الإدارة البيزنطية نفسها[870]. والجدير بالملاحظة أن ابن الأمير كوتزيناس سرعان ما أعلن الحرب بدوره على البيزنطيين، والتي وصفتها النصوص على أنها حروب مورية Bellum Maurorum [871]، شبيهة بالحروب التي قادها بقية الأمراء المور في العهود السابقة، مما يفترض استمرار هذا الكيان السياسي على الأقل طيلة القرن السادس ميلادي .

---

[869] J. Malalas, Chronographia, p. 495

[870] تساءل موديران ما إذا كان العامل الديني سببا في تحول البيزنطيين على الأمير كوتزيناس، رغم تحالفهم معه سنة 548، مقترحا أن يكون هذا الأمير قد ظل وثنيا و إلا لما أهمل ذلك الشاعر كوريبوس، أنظر:

Y. Moderan, Koutzinas-Cusina... p. 406. N°75

[871] J. Malalas, Chronographia. p. 495 ; Théophane, chronographia, ed.C. de Boor, Leipzig, 1883-1885, p. 239 .

مملكة الاوراس

شكلت منطقة الأوراس ظاهرة تاريخية متميزة، فبحكم طابعها الجبلي، كثيرا ما غذت الجدل و النقاش حول مدى اندماجها للخريطة الرومانية، إلا أنها في نفس الوقت، جلبت اهتمام الباحثين، بفعل تزامن العديد من القرائن التاريخية حولها. ففضلا عن شهادتي بروكوب و كوريبوس، اكتشفت بالمنطقة نقيشة أثرية، أقحمت بعدا جديدا في التعامل مع المنطقة، و جعلت العديد من الباحثين يحاول إيجاد توافق بين هذا النص و المصادر الأدبية.

نقيشة آريس[872]	بروكوب	كوريبوس
تحدثت عن "ماستياس" Masties باعتباره ملكا للمور و الرومان ثم أصبح إمبراطورا في نهاية عهده، إلى جانب فارتايا Vartaia الذي وضع هذه النقيشة رفقة إخوته.	تحدث عن الأمير يابداس Iabdas الذي يبدو أنه تحالف مع الأمير ماستيناس Mastinas أمير موريطانيا الأولى، للقضاء على الأمير أورتاياس Orthaias المقيم بالمنطقة منذ زمن قديم. كما تحدث عن الأمير ماسوناس Massonas المعادي بدوره للأمير يابداس لأن هذا الأخير قد أقدم على قتل والده مفانياس Mephanias والذي هو في نفس الوقت زوج والدة يابداس.	تحدث عن الأمير يابداس باعتباره أمير لمنطقة الأوراس، تتبعه مجموعة من القبائل أو الأقوام المتفرقة كما يذكره ثانية في أحداث 548م عند تحالفه مع البيزنطين ضد الأمير أنتالاس

وفرت نقيشة ماستياس، نموذجا أميريا متميزا، يجمع بين الموروث الموري، القبلي من دون شك، و نوع من تقمص الهيكل التنظيمي الروماني، انطلاقا من اعتماد الإشهار بطريقة لاتينية، و توظيف مصطلحات ترتبط أكثر بهرم السلطة الرومانية، إلى التأكيد على الخلفية المسيحية، في منطقة طالما وظفت كمثال لعجز روما على تعميم مؤثراتها الحضارية في الخريطة المغربية. اكتشفت بمنطقة آريس سنة 1941م، وخصت بدراسة قيمة للأستاذ كاركوبينو[873]. و أوضح أن الوظائف المذكورة تمثل المراحل السياسية التي مر بها ماستياس.

[872] *A.Ep.1945,n°97 ;*

D(is) M(anibus) S(acrum). Ego Masties dux/annis LXVII(erator) annis X + qui nun / quam perjuravi neque fide (m) fregi neque de Romaos. neque/de Mauros. et in bellu parui et in / pace et adversus facta mea / sic mecu (m) Deus egit bene.Ego Vartaia hunc edificium cum fratrib(us) me/is fecti. in quod erogavi sil(icas) centu(m).

الترجمة العربية:إجـــــلالي لإلـــــه الأرواح. أنا ماستياس، كنت دوقا مدة 67 سنة، وإمبراطورا مدة 10 سنوات، ما كذبت قط ولا نكثت بعهد التزمت به إزاء الرومان أو المور وقد كان تأني كبيرا في الحرب والسلم على السواء، كما حظيت أعمالي الخيرة برضا الآلهة التي كانت بجانبي. أنا فارتايا ، أقمت هذا التذكار بمساعدة إخوتي فكلفنا مائة (سليكاس).

[873] J.Carcopino, Un Empereur Maure inconnu d'après une inscription Latine récemment découverte dans l'Aurès "R.E.A, 1944, p.94-120

فوظيفة الدوق Dux قد تعكس مهمة رسمية في الإدارة الرومانية كان قد عين بها من طرف الإمبراطور فالنتيان الثالث. بينما يمثل لقب الإمبراطور مرحلة تحول في حياة هذا الدوق، و الذي يفترض أن يكون قد حمله بعد سقوط آخر إمبراطور روماني سنة 476م. و إذا كان كورتوا قد تبني نفس التحليل، معتبرا أن ماستياس قد تقلد منصب Dux من طرف بونيفاس Boniface عقب الاضطرابات التي عرفتها سنوات 420م ثم أعلن نفسه إمبراطورا سنة 455م بعدما فقد الإمبراطور فالنتينيان Valentinien III سيطرته على بلاد المغرب القديم[874]. فقد اقترح فيفري Fevrier نظرة مغايرة تماما، سنة 1988 ، معتبرا أن ماستياس لم يكن إلا قائدا Tribun بمنطقة الليمس، شأنه شأن القادة الذين أشار إليهم بيبليكولا Publicola في رسالته للقديس أوغسطين[875]. و أخيرا فإن القراءة الجديدة التي اقترحها الباحث الفرنسي موريزوا Morizot قد سمحت من جهة بتصحيح النص المتداول في أغلب المراجع و الدراسات، فيما يخص مدة حمل ماستياس للقب الإمبراطور، حيث أوضح أنها كانت عشرة سنوات و ليس أربعين سنة كما كان معروفا لدى كل المختصين و الباحثين الذين سبقوه [876]. وقد ترتب عن هذا التطور، ضرورة إعادة النظر كلية في الإطار الزمني المقترح لحد الآن، حيث اعتبر أن منصب الدوق بالنسبة لماستياس، لا يمكن أن يمثل سوى سلطة قبلية في حين أن لقب الإمبراطور هو بمثابة تأكيد على رغبة هذه الشخصية في بسط نفوذها على كامل المقاطعة الإفريقية بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية طبعا[877]، معتبرا أنه إذا افترضنا أن منصب الدوق يمثل مهمة رسمية في الإدارة الرومانية، فمعنى ذلك أن ماستياس قد تقلد هذا المنصب في سن مبكرة ليظل بهذه المسؤولية مدة 67 سنة –الأمر الذي يصعب تقبله– وهذا ليؤكد في الأخير على ضرورة النظر إلى هذا المنصب على أنه مجرد إمارة قبيلة لا غير[878]. و قد لقيت هذه القراءة تدعيما من طرف موديران Moderan بالعودة للشاعر كوريبوس، الذي كان دوما يستعمل هذا المصطلح لنعت الأمراء المور مثل كوتزيناس Koutzinas، ويبداس Iabdas، او كاركسن[879] Carcasan. أما بالنسبة لمصطلح

أكد فيها من خلال دراسة الشكل الخارجي للنص، أن الأسلوب و الخط يعودان إلى نهاية القرن 5م.

[874] C. Courtois, V.A. pp.337-339

[875] P.A.Février, Masuna et Masties, Ant. Afr. T24, 1988, pp.141-147

[876] P. Morizot, Pour une nouvelle lecture de l'Elogium de Masties, Ant. Afr. T25, 1989, pp.263-284

لقد عرض هذا الباحث هذه القراءة الجديدة على جمعية الأشغال التاريخية و العلمية C. T. H. S سنة 1988 و حظيت بتأييد من أغلب المختصين بتاريخ المغرب القديم.

[877] P. Morizot, Pour une nouvelle lecture de l'Elogium, ... , pp.275-276

[878] Ibid, p.275

[879] Corippe, Joh., II, 14; VIII, 268. Y. Moderan, les Maures et l'Afrique romaine. p.398-412

إمبراطور Imperator فقد صحح موريزوا الفترة الزمنية التي يبدو أن ماستياس قد شغلها[880]، بينما ربط كورتوا هذا التحول بتفاعلات المملكة الوندالية في عهد جنزريق Geiseric [881]، اقترح موريزوا Morizot -بناء على القراءة الجديدة- أن البحث عن تاريخ هذا التحول في حياة الأمير ماستياس يجب أن يكون بعد تقهقر الحكم الوندالي، أي بعد سنة 523م [882]. فقد اعتبر موديران Moderan إن ثورة سكان الأوراس سنة 485م على الوندال وإعلان استقلالهم تشكل التاريخ الأنسب لإعلان هذا الملك نفسه إمبراطورا[883].

ورد في النقيشة: أن ماستياس لم يخن وعدا ولا نقض عهدا سواء بالنسبة للرومان أو المور، و تجلى (بنفس المواقف) في وقت الحرب مثل السلم. كما أن اللّه باركه، وكان بجانبه في إنجازاته. و هي خصال أثارت جدلا كبيرا، بين من اعتبرها تؤكد على الالتزامات التي قطعها ماستياس أمام رعيته من الرومان و المور في نفس الوقت، الأمر الذي يؤكد كذلك المساواة بينهما في الحقوق، شأنه في ذلك شأن الملك مازونا[884]. أو إشارته إلى المعاهدات Fides التي جمعته من جهة بالمور الثائرين، ومن جهة أخرى بالإدارة البيزنطية[885]. وقد تؤكد هذه الفقرة أن ماستياس لم يكن أميرا أو ملكا موريا فقط بل كان ملكا ثم إمبراطورا على المور و الرومان في نفس الوقت، وبدون تفرقة عرقية أو سياسية بينهما، لكن ألا تكون هذه الألقاب مجرد مظاهر للتباهي و الافتخار؟ أو من باب التأكيد على أن نفوذ الملك ماستياس قد تجاوز الإطار الموري؟ وإذا كان يتمتع بهذا النفوذ فلماذا صمتت عنه المصادر الأدبية؟ و لعل هذه الازدواجية التي تميزت بها رعية ماستياس و التي تجلت أيضا في نقيشة أخرى بالغرب الجزائري: ألتافا (أولاد ميمون)، تحمل دلائل على تبلور نموذج جديد من الكيانات المورية ببلاد المغرب تسعى لمحاولة احتواء التركة الرومانية وإدماجها في النفوذ التقليدي الموري، خاصة وأن عينات كثيرة قد لوحظت لدى الشعوب الجرمانية وعلى تخوم الإمبراطورية، يمكن أن نعتبر أنها تحمل نفس الصيغ[886]. مما يجعلنا نعتقد أن ماستياس قد أعلن نفسه وريثا للسلطة الإمبراطورية بالمنطقة. كما يبدو كذلك أنه ظل ثابتا على مواقفه في أوقات الحرب مثل السلم، مما يفترض خوضه لعدة حروب قد يكون بعضها ضد الوندال

---

[880] P. Morizot, Pour une nouvelle lecture de l'Elogium, pp. 274-273 .J. Carcopino, un Empereur Maure inconnu ..., p.102-103
[881] C. Courtois, V.A., p.334
[882] P. Morizot, Pour une nouvelle lecture de l'Elogium, pp. 274-273
[883] Y. Moderan, les Maures et l'Afrique romaine. p. 404-405
[884] J. Carcopino, Un Empereur Maure inconnu, ..., p.109
[885] P. Morizot, Pour une nouvelle lecture de l'Elogium, ..., p.277
[886] P.A. Février, Masuna et Masties, ... p.138

باعتبارهم العدو المشترك للمور و الرومان. ولعل تأكيده بأن الله قد باركه في أعماله، وكان بجانبه دوما في إنجازاته، يحسسنا بالخلفية المسيحية التي كان يرتكز عليها هذا الملك، خاصة وأن موريزوا قد أكد على وجود صليب ضمن النقيشة[887]. وبالتالي فإن الإشارة إلى المباركة الإلهية من شأنها أن تؤكد ثانية أنه لم يتجاوز الحدود التي رسمها لإمبراطوريته، و لم يعتد على أي طرف. لكن ما أشار إليه بروكوب سنة 485م من أن المور قد دمروا مدينة تيمقاد Thamugadi وحرقوها بعد نهبها[888]، يدعونا للتساؤل إلى أي حد يمكن أن ينطبق هذا الاقتناع بالعناية الإلهية الناتجة عن عدله و التزامه بالمعاهدات التي عقدها؟ هل تنطبق على القبائل و المناطق المتحالفة معه فقط؟ ام أن حروبه ضد الوندال والمدن التي يقطن بها الرومان كانت من اجل توسيع نطاق مملكته بدون أن يلحق الضرر بالمجموعات المسيحية؟

وهذا ما يجعلنا نقترح أن ماستياس قد يكون تمكن من توحيد عدد من القبائل الأوراسية ضمن إطار كونفدرالي طيلة حكمه الأولى، وبذلك تأسيس مملكة مورية ، يفترض أن الوندال قد عقدوا معها معاهدات سلم وحسن الجوار مقابل اعترافهم بنفوذها. إلا أن تطورات المنطقة بعد وفاة جنزريق أدت إلى إعلان الاستقلال عن أي وصاية وذلك سنة 485م ، مما جعل هذا الملك يحاول توسيع نفوذه أيضا على المناطق المجاورة بما فيها من أفارقة ورومان، من ملاكي الأراضي والمزارعين القاطنين في هذا المحيط. وربما أصبح المجال مفتوحا لهذا الملك الموري، خاصة بعد تقهقر النفوذ الوندالي– على الأقل بمنطقة الأوراس– وذلك في الربع الأول من القرن السادس ميلادي ، أن يعلن تبنيه للإرث الروماني بضمه للرعايا الرومان وتبوئه للمكانة الإمبراطورية. بل قد يكون ذلك نتيجة حتمية للجوء أفواج كبيرة من المسيحيين الكاثوليك، الذين يكونوا قد فضلوا حكم ملك موري "مسيحي" على الحكم الوندالي[889]. وبالتالي فيجب البحث عن بداية حكم ماستياس في عهد الملك الوندالي جنزريق، الذي يبدو أنه تحالف مع المور في أكثر من مرة. وإذا كان تاريخ 485م كثير الإغراء، ليكون مطابقا لفترة إعلان ماستياس نفسه إمبراطورا، خاصة وأن بروكوب قد أكد أن منطقة الأوراس قد أعلنت استقلالها في هذه الفترة، فإن إهمال الإشارة إلى شخصية ماستياس من طرف نفس المؤرخ تجعلنا نستبعد أن يشكل ذلك نقطة التحول التي نبحث عنها. أما العبارة الأخيرة في هذه النقيشة فقد ظلت هي الأخرى محل نقاش واختلاف كبيرين بين الباحثين، فمنهم من حاول مطابقة شخصية فارتايا Vartaia الواردة في هذا

---

[887] P. Morizot, Pour une nouvelle lecture de l'Elogium, ... p.277
[888] Procope, B.V. II, 13, 26
[889] أنظر الهامش رقم

النص بشخصية اورتاياس Orthaias التي تحدث عنها بروكوب[890]، مما جعلهم يسعون لإحداث نوع من التسلسل التاريخي بين فترة حكم ماستياس، والمرحلة التي سلط عليها بروكوب الضوء –في بداية فترة الاحتلال البيزنطي–. ومنهم من اعتبر ذلك مجرد صدفة بين اسمين متقاربين، نافين بذلك أي علاقة بين المرحلة الأولى و الثانية، خاصة وأن المصادر الأدبية رغم تنوعها لم تتحدث نهائيا عن شخصية ماستياس هذه[891].

يابداس و الشخصيات الأميرية بالأوراس:

إذا كانت المصادر الأدبية، لم تثمن نقيشة أريس، و لم تؤكدها، فقد أوردت عددا من الأمراء، يبدو أنهم كانوا في حالة تنافس أو نزاع بين بعضهم البعض. كانت الشخصية الأساسية، هو يابداس، الذي وصفته المصادر ابتداء من سنة 535م، أثناء استقباله كوتزيناس بعد هزيمته[892]. و قد ذكر بروكوب أن جيشه كان يتجاوز 30000 رجل[893]، كما أبرزه مواليا للقائد البيزنطي المنفصل ستوتزاس[894] Stotzas، رفقة فارتايا، أو أورتاياس Ortaias المعروف في الجهة الغربية لمملكة يابداس[895].رغم أن هذا الأخير قد برز في تحالف، قبل ذلك، مع البيزنطيين في حملة سولومون الأولى على الأوراس، الأمر الذي يبدو أنه قد أثار شكوك البيزنطيين، لأن رجاله قد لعبوا دورا هاما في إفشال هذا الهجوم[896]، و من ثم فلم يلبث أن أصبح حليف الأمير يابداس من جديد [897]. كما أبرزته المصادر مفاوضا مع البطريق جرمانوس Germanos سنة 537م[898]. إلا أنه تميز أكثر، من خلال الحملتين العسكريتين اللتين قادهما سولومون ضده سنة537م[899]، و إذا كانت هزيمته الأولى قد جعلته ينسحب إلى موريطانيا[900] و سنة 539، حيث عمد القائد البيزنطي، إلى حرق المزارع الممتدة حوالي مدينة تيمقاد، حتى لا يستفيد منها الأمير يابداس[901]. ، فقد عاد مرة أخرى إلى الأحداث ابتداء من سنة 546م و ذلك بتحالفه مع القائد البيزنطي المتمرد قونتاريت Guntharth، رغم أنه تعامل مع الموقف بحذر شديد، و اكتفي بمتابعة الأحداث عن قرب

[890] J. Carcopino, un Empereur Maure ..., pp.94-120. C. Courtois, V.A. p.337

م. ب. شنيتي، موريطانيا القيصرية ...، ص ص 712-714

[891] Y. Moderan, les Maures et l’Afrique romaine. p.350-361
[892] Procope, B.V. II, 12, 29
[893] Procope, B.V. II, 13,1.
[894] Procope, B.V. II, 17, 8
[895] Procope, B.V. II,13,19
[896] Procope, B.V. II,13, 28-29
[897] Procope, B.V. II,17,8
[898] Procope, B.V. II, 17, 31
[899] Procope, B.V. II, 19, 11-20.
[900] Procope, B.V. II, 20, 21
[901] Procoope, B.V. II, 19, 20

دون التدخل[902]. إلى جانب مشاركته سنة 548م في التحالف الذي جمعه القائد البيزنطي جون تروجليتا Jean Troglita ضد كل من الأمير أنتالاس و القبائل الطرابلسية. حيث بعث بجيش قدر بحوالي 12000 رجل بقيادة ابنه الذي أنابه عنه[903]. إلا أن اسمه يغيب تماما عن تاريخ بلاد المغرب القديم بعد هذه الأحداث، بالرغم من أن العديد من الباحثين يجدون في شخصية الكاهنة أثناء الفتوحات الإسلامية، امتدادا طبيعيا لهذه المملكة الأوراسية[904]. و لعل معاينة الموقع التي ذكر بها، من شأنها أن تساعدنا على ضبط نطاقه الجغرافي، فبينما وصلت غاراته عبر السهول النوميدية، حتى منطقة عين البرج Thigisis على بعد 50 كلم جنوب شرق مدينة قسنطينة[905].مما يجعلنا نفترض أن نفوذه تجاوز السفوح الشمالية للأوراس، ليصل إلى التلال الشمالية. أما من الناحية الغربية فإشارة بروكوب من أن يابداس قد تحالف مع الأمير ماستيناس Mastinas، أمير المور بمقاطعة موريطانيا، و ذلك للقضاء على إمارة أورتاياس -الذي يبدو أنه مستقر بمواقعه منذ زمن بعيد-[906]. تجعلنا نستخلص امكانية المجاورة و الصراع على أطراف نفس المساحة الجغرافية، مما يجعل مملكة الأمير يابداس تمتد بالضرورة على الجانب الشرقي من نفس السلسلة، في حين أن ماستيناس Mastinas يكون أميرا على موريطانيا السطائفية و الحضنة[907]. و يمكن أن نخلص لنفس الفكرة، من خلال دراسة قائمة الأقوام التي كانت تتبعه، على التخوم الشرقية، و ذلك من خلال حديثه عن منطقة بادس Vades[908]. و بالتالي إذا كانت المعلومات التي أوردها بروكوب بشأن الأمير ماسوناس Massonas الذي يبدو أنه كان يكن العداء ليابداس في سنوات 535م، لأن هذا الأخير قد أقدم على قتل و الده مفانياس Mephanais و الذي كان في نفس الوقت زوج والدة يابداس[909]، قد جعلت كورتوا يقترح أن ممتلكات هذا الأمير قد تكون شرق الأوراس لتمتد على منطقة النمامشة[910]، مدعما في ذلك فيما بعد من طرف كامبس[911]، فإنه حقا ليصعب تفسير هذه القرابة الدموية إلا من خلال قرابة جغرافية و لما لا سياسية. وقد اعتبر كاركوبيو Carcopino أن ماسوناس هذا هو نفسه الملك مازونا Masuna الذي خلدت نقيشة التافا (أولاد ميمون) اسمه، على رأس مملكة واسعة

---

902 Procope, B.V. II, 25, 2. Ch. Diehl, Afr. Byz. p.317
903 Coripe, Joh. II, 140; III, 302; VII, 277-280, VIII, 126
904 C. Courtois, V.A. p.342, N°13. G. Camps, Rex, Gentium, Maur. et Rom. ..., p.199
905 Procope, B.V. II, 13, 5-10. C. Courtois, V.A. p.342
906 Procope, B.V. II, 13, 20
907 J. Carcopino, un Empereur Maure inconnu ... pp 282-283
908 Coripe, Joh, II, 155-158
909 Procope, B.V, II, 13, 19
910 C.Courtois, V.A. p 343, N° 2
911 G.Camps, Rex Gentium Maur. et Rom. p 198

بالمناطق الوهرانية، و الذي سعى بعد حوالى 27 سنة -على الأقل- من اعتلائه العرش، إلى الأخذ بالثأر من الأمير يابداس[912] و هي الفكرة التي وجدت اسئناسا جديدا لدى موريزوا[913]، مقترحا إمكانية امتداد مملكة مازونا/ماسوناس من نواحي تلمسان Pomaria بما فيها المرتفعات المحيطة بمدينة مازونا -الحالية- التي يرى فيها امتداد لنفس الاسم. و في الواقع إذا كانت الإشارة السريعة لبروكوب لا تسمح بأن ننظر إليه كملك للمقاطعة الموريطانية، فإن الحجج التي استعرضها كورتوا Courtois تبدو موضوعية إلى حد ما. مما يجعلنا نعتقد أن ماسوناس لم يكن إلا أحد ورثة مملكة الأوراس، الذين استغلتهم الإدارة البيزنطية لإضعاف قوة الأمير يابداس و القضاء على نفوذ، ثم سرعان ما تخلت عنهم. و بالتالي فقد يكون نطاق النمامشة إقليما مناسبا لهذه الإمارة. لأن الحديث عنه ظل ضمن النطاق الأوراسي، أو في دوائر الأحداث التي تميزت بها هذه المنطقة، كما انه يشبه أورتاياس/فارتايا في كونه سرعان ما تختفي، وتتقدم اخباره.

و قد حاولت في فترات سابقة، البرهنة على أن مملكة يابداس، يمكن معالجها على أساس وحدة سياسية و طبيعية، لها جذورها بمنطقة الأوراس و المناطق المحيطة بها، كامتداد طبيعي لمملكة ماستياس، ربما أوسع منها بحكم مواقع الأطراف المتصارعة، الذين لا يمكن فهم صراعهم، إلا كحلفاء لمملكة الأوراس أو ورثتها، ربما قد وجدوا في يابداس الوريث الذي لم يحفظ الأمانة، و لم يعترف بمكانتهم في هذا التحالف، مما جعلهم يستغلون أية فرصة تتاح لهم للثورة عليه. وهي الصورة التي برزت من خلال تتبع الأطراف المتنازعة حول منطقة الأوراس. كما أن هذا الصراع، ما كان ليأخذ مثل هذا المنعطف، لو لم تتدخل الإدارة البيزنطية لتوظف هذه الأحقاد و الصراعات بين "الإخوة" و تشجع هذه العداءات الإقليمية بين "ورثة مملكة ماستياس". ولعل تبني هذه الرؤية يساعدنا على فهم الغياب السريع لشخصية فرتايا عن الأحداث، خاصة بعد إلحاق الهزيمة بالأمير يابداس، فرغم إشارة بروكوب بأن " **منطقة الزاب و الحضنة إلى جانب موريطانيا السطائفية قد تم إخضاعها من طرف سولومون**"[914]، فإنه لم يشر إذا ما كان الأمير أورتاياس قد استمر إلى هذه الفترة أم لا. و قد نتساءل هل يمكن أن نستنتج من نص بروكوب أن هذا الأمير قد تزعم هو الآخر ثورة ضد البيزنطيين، أم أن سقوط الأوراس أدى مباشرة إلى خضوع هذه الأقاليم.

---

[912] J.Carcopino, Un Empereur Maure inconnu, p. 94-120 ; Ibid, encore Masties, l'empereur Maure inconnu, p.339-348

[913] P. Morizot, pour une nouvelle lecture de l'élogium de Masties, p.282-283

[914] Procope, De Aed. VI,7,9.

المملكة الموريطانية

لا تتجاوز مصادرنا في هذا الموضوع، نقيشة حجرية وبضعة إشارات تاريخية لبروكوب. إلا أن المعطيات التاريخية العامة، والمنجزات العمرانية المتمثلة في أضرحة الجدار وعدد من التحصينات، المورية الطابع بالمنطقة، فضلا عن الاهتمام الذي حظيت به من طرف الباحثين ، جعل استعمالها طيع إلى حد ما، وتوظيفها ممكن في معالجة إجمالية للكيان السياسي الموري منذ نهاية القرن الخامس ميلادي.

مملكة ماسونا، مازونا، ماسوناس

تشكل نقيشة أولاد ميمون Altava[915]، شهادة أساسية في معرفتنا التاريخية، فهي بمثابة حجر تذكاري، لحصن تم إنشاؤه بأمر من الملك ماسونا Masuna، تشيد بهذا الملك، و تسجل أسماء الموظفين الذين أشرفوا على الإنجاز، مؤرخة ببداية القرن السادس ميلادي. و لعل اعتماد طريقة التأريخ المحلي الموريطاني (469) الموافق لـــ 508م قد أكسبها أهمية كبيرة و مصداقية تاريخية أكبر. لإلى جانب ذكرها لمجموعة من المدن (سفار، سفيريانا، التافا)، مما يسمح برسم أو تصور الإطار الجغرافي لمملكة ماسونا، ويجعل البحث عنها في إطار أكثر دقة. لم تكن تختلف، عن التذكارية الإمبراطورية، حيث قارنها فيفري Fevrier، بنقيشة أخرى تعود لنفس المدينة، و تؤرخ في حدود 349-350م، استعملت نفس الأسلوب في ذكرها للإمبراطور قسطنطين، كما طابقها في نفس الوقت بالنصوص القوطية[916]. في حين أوضح كامبس Camps، إمكانية وجود جذور لهذا الأسلوب في النصوص المورية القديمة نفسها، و التي تحدثنا عن قبائل البفار أو البقواط[917]. و مهما يكن فإن المنطقة الموريطانية ظلت غنية

---

[915] توجد هذه النقيشة بمتحف وهران C.I.L. VIII, 9835
cf. J.M Jaubert, les Inscriptions, d'Altava, Aix en provence, 1968, pp 126-127 N° 194

النص الاصلي:

Pro sal (ute) et incol (umitate) , Reg(is) Masunae gent (ium)/Maur(orum) et Romanor(um). Castrum edific(atum) a Masgivini،/pref(ecto) de safar, Iider , proc(urator) ca(stra) severiana, quem/Masuna Altava posuit et Maximus proc(urator) Alt(avae(/pref(ecti), (anno) p (rovinciarum) CCCCLVIII.

الترجمة العربية:

من أجل صحة و دوام مازونا ملك شعب المور و الرومان/شيدت هذه القلعة على يد مسيغيبا حاكم سفار/ عندما كان إيدير و كيلا على قلعة سفريانا./ و هما اللذان أمر مازونا بإلزامهما الى التافا./ وقد أتم البناء مكسيموس حاكم التافا/في تاريخ 496 بتأريخ المقاطعة.

[916] P.A.Fevrier, Masuna et Masties , p. 135- 138 .

[917] G.Camps, Rex Gentium Maur. et Rom. ... p195

بالاكتشافات الأثرية، خاصة منها النصب الجنائزية التي كثيرا ما فسرت باستمرار مظاهر الرومنة و الحياة العمرانية إلى حد ما[918]. الأمر الذي يجعل العثور على مثل هذا النص، بكتابة لاتينية و بمرجعية للإدارة الرومانية لا يدعو إلى غرابة.

كما شكل نصها قاعدة للعديد من الإشكاليات، حيث تعددت المواقف حول شخصية مازونا، و طبيعة حكمه، فاعتبر ديل Diehl أن كلمة Reg تعني Reguli أي أمير[919]. واعتبره كورتوا مجرد أمير على المنطقة الوهرانية، أنشأ حصنه، بالتعاون مع الحكام الإداريين للمدن الثلاث المذكورة سالفا[920]. كما ذهب فيفري أن مازونا لم يكن سوى أحد أحفاد رؤساء القبائل المتحالفة سابقا مع روما، خارج الليمس الموريطاني، و الذي انضم إلى الإدارة الإمبراطورية بالرغم من عدم اندماجه كلية في الحياة الرومانية[921]. بينما تناول كامبس الموضوع من زاوية أخرى، حيث اقترح ترجمة لعبارة Reg(is)une Gent(ium) Maurorum et Romanorum تجعل من مازونا ملكا لشعوب المور و الرومان[922]، عوض" ملك القبائل المورية إلى جانب الرومان"[923]. موضحا أن استعمال كلمة Gens في نص النقيشة، لا يؤدي بالضرورة إلى معنى "القبيلة" بالمفهوم الإداري في العهد الروماني، لأن النماذج التي ورد فيها ذكر أمراء القبائل، كانت تحمل دوما اسم القبيلة نفسها مثل أمير قبيلة البقواط، أو أمير قبيلة البوار أو حتى ملك قبائل الأوكتوماني[924]. و بالتالي فقد اقترح أن الأسلوب المستعمل في هذا النص يؤكد أن مازونا لا يمكن أن يكون مجرد أمير قبيلة مورية فقط، بل أنه ملك يمتد نفوذه على شعب المور – و لعل التعميم في هذا المجال من شأنه تأكيد الطابع الإمبراطوري لحكم مازونا – لأن تسمية المور أصبحت تستعمل على نطاق أوسع، كما أن القبائل المقيمة بالمناطق الوهرانية تكاد تكون معروفة كلها، حيث نجد أغلبها يجتمع حول القبائل البوار[925]. و إذا حصل اختلاف بين الباحثين حول طبيعة هؤلاء المور، فقد أجمعوا على نعت "الرومان" على أنهم سكان المدن بموريطانيا القيصرية، و الذين ظلوا متمسكين بحقوقهم و امتيازاتهم السياسية في هذه المنطقة، رغم غياب الإدارة الرومانية بها. مما يرجح

---

918 M. Benabou, la resistance africaine à la romanisation ...p. 231
م. ب. شنيتي ، موريطانيا القيصرية ،... ص:611.

919 Ch. Diehl, Afr. Byz. p

920 C.Courtois, V.A. p. 335

921 P.A.Fevrier, Masuna et Masties ... p141

922 G.Camps, Rex Gent. Maur. Rom. ... p195

923 وهي الصيغة التي اقترحها فيفري معتبرا أن ذلك لا يشكل فقط مرجعية جغرافية او عرقية بل كذلك قانونية تجعل للمور قانون خاص مقابل القانون الروماني. انظر المرجع السابق ص ص: 141- 142.

924 G. Camps, Rex Gent. Maur. Rom. ...p. 195

925 Ibid, p. 195. Ph. Leveau, l'Aile des Thraces , la Tribu des Mazices et les Praefecti Gentis en Afrique du Nord, p. 153-192

أنهم أصبحوا خاضعين لنفوذ الملك مازونا Masuna، دون شك مقابل حمايتهم و تمتعهم بحقوقهم السياسية الرومانية. ولعل إدراجهم في هذه النقيشة بنفس المستوى مع المور، يجعل لهم نفس الحقوق والواجبات في ظل هذه المملكة، مما يفترض ليس فقط خضوعهم، بل اندماجهم في هذا الكيان السياسي الجديد، و التفاعل معه، و بالتالي فلا غرابة أن تستمر مظاهر الرومنة بهذه الأقاليم دون أن يؤثر تداول الملوك المور على السلطة في ذلك[926]. كما تعبر هذه الظاهرة على الصيغة الجديدة التي أصبحت تتبناها أغلب ممالك الأهالي، سواء تعلق الأمر بممالك المور أو الممالك الجرمانية التي نشأت على أطراف الإمبراطورية الرومانية بعد تقهقرها، فهي من جهة تتمسك بأصالتها العرقية و تقاليدها السياسية، و من جهة أخرى تسعى من خلال ضم الرعايا الرومان و إدماجهم في كياناتها، إلى التبوء إلى المستوى الإمبراطوري، أو بعبارة أخرى إلى مستوى روما[927]. و يمكن أن نتساءل عن سبب ذكر مجموعة من الحواضر في نص النقيشة (ألتافا، سفار، سفيريانا)[928]، هل كان من شأنها أن تحصر عاصمة مملكة مازونا و مركز نفوذه بمدينة ألتافا (أولاد ميمون)؟ أم أن المعطيات الجغرافية التي تحملها هذه النقيشة ليست سوى محطة من محطات من هذه المملكة المورية[929]؟ كما يبدو من خلال قائمة الموظفين الذين سهروا على إنجاز هذا الحصن، أن أغلب أسمائهم مورية،(مسيغينا، إيدير) إلا أن المهام المسندة إليهم: Procurateur, Prefect، مما يدعو لتصور

---

[926] م. ب. شنيتي ، موريطاني القيصرية... ص: 720.

[927] لقد اورد فيفري مجموعة من الصيغ المطابقة لنص النقيشة فيما يخص هذه الثنائية ـــ والتي نقلها المؤرخ كاسيودور ـــ

Universis Gothis et Romanis Derthona Constentibus Theoddoricus rex),Cassiodore, Variae, I,XVIII, MGH auct. ant.,XII, p23 (.Universis Gothis et Romanis circa verrucas Castellum Consistentibus, (Ibid, III, XLVIII, p103 (.Universis Barbaris et Romanis per Pannonian Constitutio (Ibid, VIII, p. 233

[928] فيبدو أن هذه المدن كانت قريبة من بعضها البعض مما جعل كورتوا يقترح أن عملية بناء هذه الحصن كانت بفضل إشتراك وتعاون موظفى هذه المدن الثلاث مع بعضهم البعض

[929] اعتبر دولا بلنشير De la Blanchere أن مملكة مازونا / ماسوناس هي مملكة واسعة الاطراف ، قد تصل الى غرب الاوراس. أنظر:

De la Blanchere, Voyage d'etude dans une partiede la Mauretanie Cesarienne, dans Archives des Missions Scientifiques et litteraires , IIIe serie, TX, Paris, 1888, p88,99 .

كما ذهب كركوبينو Carcopino,Un Empereur Maure inconnu...p.345. الى أن نفوذ هذه المملكة قد يمتد أكثر بإتجاه الغرب حتى حدود "" مملكة ولبلي" Volubilis .. بينما عارض كورتوا ، المرجع السابق، ص 336.هذه المطابقة معتبرا ان المملكة لا تتجاوز النطاق الوهراني، بل مستبعدا حتى أن تكون لها علاقة بأضرحة "الجدار" التي توجد بمنطقة تيارت.

استمرار الطابع الروماني في هيكلة هذه المملكة[930]. حيث اعتبرهم كورتوا مجرد حكام مدن متجاورة، اشتركوا معا لإنجاز هذا المشروع[931]. كما تساءل كامبس عن إمكانية تفسير ذلك، ببسط المور سيطرتهم الكلية على المناطق الغربية من موريطانيا القيصرية؟ رغم وجود أحد الموظفين ماكسيميوس باسمه اللاتيني الواضح. مفترضا أن تدخل هذه الشخصيات المورية، قد يكون له علاقة ببسط الملك مازونا نفوذه على هذه المدن[932]. كما اعتبر الأستاذ شنيتي أن الوظائف المسندة إلى هذه الشخصيات تفترض وجود سلم هرمي لإدارة مملكة مازونا بنفس تقاليد الإدارة الرومانية[933]. وبالتالي فقد تكون مجرد تأكيد على طبيعة حكم مازونا الذي يجمع بين المور و الرومان، و ليس تتويجا لعملية توسع. لكن إذا استبعدنا أن تكون لشهادة بركوب صلة بمملكة مازونا، نظرا لإطارها الزمني المعروف (508م) والذي يسبق فترة الاحتلال البيزنطي بحوالي ربع قرن، فإننا لا نجد أثرا لهذا الكيان السياسي في بقية المصادر الأدبية المعاصرة. مما يجعلنا أمام نفس الإشكالية الخاصة بتاريخ الممالك المورية، والمتمثلة في تقطع الأخبار و الشهادات لدرجة نعجز فيها على تشكيل رؤية شاملة لبضعة سنين، ورغم ذلك فإن هذه النقيشة ليست يتيمة أو منعزلة كما يمكن أن نتصور. بل يمكن توظيف مثل هذه الشهادات إلى جانب الخريطة الأثرية التي تتميز بها هذه المقاطعة في اقتراح وجود أصالة جغرافية، وعراقة سياسية يمكن أن تتبعها إلى غاية فترة الفتوحات الإسلامية.

الأمير ماستيناس/ ماستيقاس:

أورد بروكوب هذه الشخصية في صيغتين مختلفتين، حيث تحدث عن الأمير ماستيناس Mastinas باعتباره حليفا لأمير الأوراس يبداس 535م ضد الأمير أورتاياس، وهذا بصفته "أميرا لبرابرة موريطانيا"[934]. كما وصف في فقرة أخرى الأمير ماستيقاس Mastigas في حدود سنة 535م بأنه يبسط نفوذه على كامل موريطانيا القيصرية، ما عدا مدينة شرشال Caesarea – والتي كانت تدفع له الضرائب- ويبدو أن نفوذه كان يمتد حتى السواحل، لأن البيزنطيين كانوا يتصلون بمدينة شرشال فقط عن طريق البحر[935]. و قد جاءت إسهامات المؤرخين متنوعة، حيث اعتبر كل من كاركوبينو، وموريزوا، أنه يجب التعامل مع هذين الاسمين على أنهما أميرين مختلفين على أساس أن الأول قد نعته بركوب "كقائد للبرابرة" في

---

[930] م.ب. شنيتي ، موريطانيا القيصرية ... ص 718.

[931] C.Courtois, V.A. p. 336

[932] G.Camps, Rex Gent. Maur. Rom. ... pp.193- 197

[933] م. ب. شنيتي ، موريطانيا لقيصرية ...ص 719

[934] Procope, B.V. II, 13, 19

[935] Procope, B.V. II, 20,31

حين كان واضحا بالنسبة للثاني على أنه أمير للمور بموريطانيا القيصرية[936]. في حين اقترح كورتوا نظرة مغايرة تعتمد على مطابقة الاسمين، و اعتبارهما لنفس الأمير، على أساس أن الفرق بينهما لم يكن إلا Nو G Mastinas / Mastigas في نص بروكوب[937]، لكن هل من الطبيعي أن لا نجد أثرا بالمصادر الأدبية، لمملكة بمثل هذا الاتساع ؟ و هل يمكن أن تتربع على مثل هذه الأقاليم بدون أن تكون لها علاقة بمملكة مازونا؟ رغم إدراكنا بأن المصادر اللاتينية لم تتعرض إلا للأطراف التي احتكت أو كانت لها علاقات مع الإدارة الإمبراطورية. مما يجعلنا نفترض أن علاقات هذه المملكة مع البيزنطيين كانت محدودة جدا، الأمر الذي جعل هذه المصادر لا توليها أية أهمية. و لعله بإمكاننا تجاوز هذا الصمت باستقراء الآثار المادية المنتشرة بالمنطقة –الأمر الذي يظل مرهونا بدراسات و معاينات ميدانية جديدة–

الجدار

كانت أضرحة الجدار سبب اقتراح كورتوا تسمية إمارة ماستيناس بمملكة الونشريس أو الجدار، لتحاذي بذلك مملكة مازونا التي حصرها في النطاق الوهراني[938]. و تتمثل في 13 ضريحا مقسمة إلى مجموعتين أساسيتين، الأولى تتألف من 03 أضرحة اصطلح بتسميتها بالحروف التالية : (*A.B.C*) متواجدة بجبل الأخضر، و الثانية متمثلة في 10 أضرحة (*D.E.F.G.H.I.J.K.L.M*) موزعة حول جبل عروي[939]. و هي أهرامات قائمة على قاعدة مربعة، أكبرها ضريح كسكاس وهو ذو قاعدة مربعة ضلعها حوالى 45م و يصل ارتفاعه إلى 48م. تتكون من باحة Area ذات أشكال و أبعاد مختلف تبعا لطبيعة الموقع و المساحة المتاحة للمبنى،، يحيط بها سور قليل الارتفاع. أما هيكل الضريح فهو يتكون من جزأين:– سفلي عبارة عن قاعدة مربعة الأضلاع، ترتفع جدرانها إلى مستوى يفوق قامة الإنسان. و علوي على شكل هرم مدرج. أما المدخل فهو دوما من الجهة الشرقية للهرم، و يتم الوصول إليه بواسطة جسر معلق، يتجه إلى الأسفل عن طريق سلم حجري يوصل إلى الأروقة الداخلية المؤدية إلى غرف الدفن[940]، التي توجد تحت مستوى أرضية القاعدة، رغم الاختلافات الداخلية من حيث عدد الممرات و أشكال الغرف، غير أن جميع الأروقة مرتفعة السقوف و

[936] J. Carcopino, Un Empereure Maure inconnu, ... p.345. P. Morizot, pour une nouvelle lecture de 'Elogium de Masties,... p282
[937] C. Courtois, V.A., p.336
[938] C. Courtois, V.A., p 335-336
[939] F. Kadra, Les Djedars, Monuments Funéraires Berbères de la région de Frenda،OPU, Alger,1983, p.07
[940] م. ب. شنيتي، موريطانيا القيصرية... ص ص 729-731 .F. Kadra, Les Djedars... pp

قصيرة المداخل، تجبر الداخل منها على الانحناء. في حين أن الأبواب الداخلية كلها متشابهة، فهي عبارة عن ألواح حجرية انزلاقية محكمة التركيب[941]. و من الملامح المشتركة لهذه الأضرحة أن أبوابها الرئيسية تتجه نحو الشرق بما فيها الساحة الأمامية Area التي تتصدر هذه المعالم الجنائزية، و كذا مصاطب الدفن و اتجاه اللحود، حيث روعي في وضعها بان تكون متجهة نحو الشرق " شروق الشمس" مما يجعلها تشترك مع الأضرحة الكبرى ببلاد المغرب كالمدغاسن، و الضريح الموريطاني. و أجمع المؤرخون على علاقة هذه الطقوس الجنائزية بعبادة الشمس لدى المجتمع الليبي منذ القديم.[942] ولعل ما تؤكده هذه المعطيات العمرانية أيضا، فضلا عن مهامها الجنائزية، هو مدى قوة و نفوذ الأمراء الذين شيدوا هذه الأضرحة، التي يبدو أنها تطلبت يدا عاملة كبيرة، وإشرافا تقنيا متطورا إلى جانب الوقت الطويل الذي استغرقه إنجازها. مما يفترض استقرارا سياسيا كبيرا سمح لأغلب أمراء و ملوك الأسرة الحاكمة من إنجاز هذه الأضرحة كل حسب مكانته و إمكانياته.[943] يضاف إلى ذلك العديد من النقائش الأثرية التي وجدت على المداخل، أو جدران الغرف الداخلية، و التي بالرغم من استحالة فهم محتواها نتيجة درجة الإتلاف الكبيرة التي تعرضت لها، و قد سمحت للأستاذة قادرة من رصد عدد من الأسماء الليبية، سجلت في اتجاهات مختلف و باللغة اللاتينية، إلى جانب بعض الرسوم الصخرية لمظاهر الصيد[944]. و قد يكون من شأنها التأكيد بأن مشيدي هذه الأضرحة كانوا متأثرين بالتقاليد الرومانية، بل قد توحي النقائش و الرموز المسيحية التي وجدت بأضرحة المجموعة الأولى " A.B.C" أنها شيدت لأمراء مسيحيين[945]. إلا أنها في نفس الوقت تكرس استمرار العادات و التقاليد الجنائزية الليبية بل من ذكرت قادرة، أن الكتابة الليبية تكون قد وجدت في نفس الوقت مع اللاتينية.[946] وعلى العموم فإن حرص بناة " الجدار " على اختيار هذه المناطق المرتفعة و في هذا الإقليم الموريطاني بالذات، قد أثار اهتمام الباحثين و تساؤلاتهم، من جهة حول طبيعة الأسرة الملكية التي أنجزت هذه الأضرحة، و من جهة أخرى حول الامتداد الجغرافي لنفوذها. كما

---

[941] م. ب. شنيتي، موريطانيا القيصرية... ص ص 729-731
F. Kadra, Les Djedars... pp. G. Camps, Rex Gent. Maur. Rom. ... p.204

[942] – م. ب. شنيتي، موريطانيا القيصرية... ص 733
G. Camps, Rex Gent. Maur. Rom. .pp.204-206. F. Kadra, Les Djedars... p.26

[943] م.ب. شنيتي، موريطانيا القيصرية... ص 735

[944] F. Kadra, les Djedars... p. 264 et ss. G. Camps, Rex Gent. Maur. Rom. ...p. 208 "Ballinis - Basilika - Acorain - Ami - Cillia - Cilloa - Zarutum - Bannapus - Istilani

[945] F.Kadra, les Djedars... p360. C.Courtois, V.A. p. 336

[946] F.Kadra, les Djedars ... pp. 361-362 حيث تم العثور على نصوص مكتوبة من اليمين الى اليسار.

استخلصت قادرة أن البنية الهندسية للجدار يبدو أنها لم تتأثر بأي نموذج أجنبي، وأن إنجازها كان من طرف ورشات محلية، وبالتالي فقد استبعدت فرضية غزال St Gsell بأن تكون من إنجاز يد عاملة إغريقية. كما تساءل البعض حول إمكانية امتداد أصول بناة " الجدار" إلى المناطق الصحراوية، على أساس تموضعها الجغرافي في منطقة تربط بين السهوب و الصحراء، و كذلك تأثرها بالأضرحة الجنائزية الجنوبية في شكل أضلاعها المربعة[947]، حيث اعتبر كورتوا Courtois أنه لا يمكن أن ننظر إلى "الجدار" على أنها أضرحة للبدو الرحل، لأن النقائش الأثرية التي تضمنتها توحي بتأثر بناتها بالثقافة الرومانية، بل ربما كانوا على اتصال بالإمبراطورية البيزنطية التي استقدموا منها اليد العاملة الفنية، و بالتالي وجب البحث – حسبه دائما – على المملكة في اتجاه الشمال[948]. في حين أوضح الأستاذ شنيتي" أن منطقة سعيدة الغنية بمعالمها الأثرية تعد امتدادا وظهيرا لإقليم "لجدار" كما تربطه بعالم الصحراء و السهوب من الجهة الجنوبية و الغربية، بينما تقوم سهول السرسو الممتدة شرقي "الجدار" بدور العمق الاقتصادي الذي يجعل من بلاد الونشريس في الشمال الشرقي على صلة وطيدة بمن يسيطر على هذا السهل الخصيب. في حين يعد وادي مينا الذي يجمع روافده في منطقة "الجدار" همزة وصل بين هذه المنطقة و السهول الساحلية الوهرانية، و بالتالي فإننا أمام موقع متميز قلما يوجد مثيله في الشمال الإفريقي من حيث إمكانية الربط بين الأقاليم المناخية و التميز الإستراتيجي"[949]. و قد نجد لهذا التحليل صدى، عند الوقوف على كثافة المنشآت العمرانية من مدن و قرى محصنة و مواقع مختلف ذات الطابع الموري المحلى، و التي اعتبرها نفس الأستاذ من بين أهم الدلائل العمرانية التي شهدت وجود كيانات سياسية مورية بغربي القيصرية[950].

هل هي نفس السلطة والمملكة التي نبحث عن معالمها ؟ وهل يمكن أن تكون هي مملكة بناة "الجدار" فقط، أم أيضا مملكة مازونا ؟ أو ماستيناس ؟ فشهادة بروكوب خلال القرن السادس/م بأن الأمير ماستيناس/ماستيقاس كان يبسط نفوذه على كامل المقاطعة

---

[947] أنظر الخريطة ص:

F.Kadra, les Djedars, ... p. 360. G.Camps, Rex Gent. Maur. Rom. ... p. 207

[948] C.Courtois, V.A. p. 336

[949] م. ب. شنيتي، موريطانيا القيصرية ... ص ص 727-729

[950] لا أدري هل لهذه المواقع و المنشآت العمرانية، علاقة بالكيانات السياسية التي نتحدث عنها، لأن مشكلة تأريخه تبقى نسبية خاصة وأن أغلبها قد أندثر كلية. لكن الأستاذ شنيتي، بعد استعراضه لهذه المواقع، أعتبر أن كثرة العمران و اتساع المدن المحصنة يشير إلى وجود سلطة مركزية قوية بإمكانها فرض النظام والتعايش و الأمن على السكان بذلك الإقليم الواقع خارج الليمس. م.ب. شنيتي ، موريطانيا القيصرية ... ص 726

الموريطانية، إلا مدينة شرشال التي كان البيزنطيون لا يتصلون إلا بها بحرا[951]. ولعل ما يفسر هذا هو حق الحماية الذي حصل عليه القائد البيزنطي المتمرد ستونزاس بعد هزيمته أمام سولومون ، و العيش بهذه المملكة أكثر من 10 سنوات، بل الزواج من إحدى بنات أميرها[952]، هل هو ماستيناس؟ بل حصل نفس الأمر لملك الأوراس يبداس سنة 539 بعد هزيمته أمام سولومون حيث نجده هو الآخر قد لجأ إلى موريطانيا و مكث بها قبل أن يصبح حليفا للبيزنطين[953]. و إذا كان يفهم من مراسلة جستنيان لقساوسة الكنيسة الإفريقية و تعداده أقاليمها: قرطاجة، المزاق و نوميديا، أن إهماله لموريطانيا لم يكن من قبيل الصدفة فذلك ما تؤكده قائمة الجغرافي جورج القبرصي G. de chypre الذي لم يسجل نهائيا اسم المقاطعة في قائمته[954]. و مع ذلك فقد ربط العديد من الباحثين بين هذا الموروث الأثري الموري، و سرعة تشكل الإمارة الرستمية بمنطقة تيارت، مما يكرس تواصل النفوذ القبلي بالمنطقة و تواصله عبر الزمان[955].

الأمير غرمول

لا ندري إلى أي حد يمكن إدراج شخصية غرمول الذي أشار إليه المؤرخ الإسباني ج.دي بيكلار J.de Biclar[956]، باعتباره "ملك قوى" "Fortissimus rex" على رأس شعب المكوريت Maccuritae التي يرجح أنها نفسها قبيلة مغراوة التي تحدثت عنها المصادر العربية[957]، حيث يبدو أيضا أن هذا الشعب قد اعتنق المسيحية في حدود 569م[958]وأن هذا الأمير "غرمول" قد تمكن من الإنتصار على البيزنطيين في أكثر من مرة، لقي ثلاثة حكام بيزنطيين حتفهم على يده وهم: تيودور Theodore سنة 569م[959]، البطريق أو حاكم إدارة البيزنطية بإفريقيا، ثم القائد العام للجيش بإفريقيا تيوكتيستوسTheoctestos سنة

---

[951] Procope, B.V. II, 20, 31
[952] Procope, B.V. II, 17, 24-35
[953] Procope, B.V. II, 20, 12-21
[954] Ch. Diehl, Afr. Byz. p. 260
[955] E. Savage A Gatway to hall.A Gatway to paradize, the north African response to the Arab conquest. Studies in late antiquity and early Islam,7, Princeton, NJ.1997, pp56-67. J.p.Laporte, Les Djeddars? Monuments funéraires berbéres de la region de Frenda et de Tiaret. Dans C.Briand-Ponsart, Identités et cultures dans l'Algerie antique, Rouen, 2005, pp 321-406
[956] J. de Biclar, Chronique, I, 3, a 569. G. Caggero, I Mauri nella storiografia del tardo impero, l'Africa Romana، Atti del VII convegno di studi sassari 17-5 ،Dec,1989, T7, p. 307
[957] م. ب. شنيتي، موريطانيا القيصرية ... ص 688.
[958] J.de Biclar, Chron. a569. I,3
[959] J. de Biclar, Chron. a569. 1,3

570م[960]، وأخيرا القائد العام للجش أمابيليس Amabilis سنة 571م[961]. كما أورد المؤرخ الإسباني ثانية شعب المكوريت، لكن في صورة مسالمة، حيث نجده قد ذكر أن وفدا يمثل هذا الشعب توجه إلى الإمبراطور البيزنطي جستين الثاني سنة 573م يحمل مجموعة من الهذايا، كعربون لمراسيم الولاء و الطاعة[962]. مما يفترض أن مرحلة مفاوضات قد توجت سنوات الحرب هذه. إلا أنه يمكن اعتبار تعين قناديوس Gennadius قائدا عاما للجيش البيزنطي بإفريقيا سنة 574، في سياق الإعداد لحملة عسكرية كبيرة قصد مواجهة هذا الأمير الموري. و بالفعل فقد تمكن هذا القائد من القضاء على الأمير غرمول، على إثر الحملة التي نظمها فيما بين 579/578م[963] رغم اختلاف الآراء حول منطقتها الجغرافية، حيث اعتبر ديل Diehl. أن موطن " المكوريت" هو إقليم موريطانيا القيصرية[964]، بينما افترض ديفورك Ch. Dufourque أن هذه التسمية تطلق على القبائل الجبلية لمرتفعات الونشريس[965]. ومع أننا نجهل مناطق الصراع الذي دار بين الأمير غرمول و القوات البيزنطية في النصف الثاني من القرن السادس /م، والتي دامت أكثر من ثلاث سنوات لقي خلالها الحاكم المدني لإفريقيا وقائدين لقوات الجيش حتفهم على التوالي فإن خسائر بيزنطية بمثل هذا الحجم لا يمكن أن تفسر إلا من خلال صراع متكافئ – خاصة إذا حاولنا مقارنة ذلك بحدة الصراع الذي توج بمقتل القائد البيزنطي سولومون سنة 546م-. لكن إذا كانت جرأتنا كبيرة في اقتراح تواصل سياسي بين هؤلاء الأمراء، معتبرين أن هذه الأسماء هي التي لمعت و برزت نتيجة صراعها مع الاحتلال البيزنطي، و أن التنقيبات الأثرية و حدها قد تكتشف لنا مستقبلا عن حلقات جديدة لهذا الكيان الموري، فهل يمكن أن نتجاوز الإطار الزمني لموضوعنا، و نعتبر أن ما أوردته المصادر العربية عن بعض الأمراء عشية الفتوحات الإسلامية، هم إمتداد طبيعي لنفس الممالك. فقد تحدث ابن خلدون عن الأمير وزمار بن صولات، أنه " **جد بني خزر، و هو يومئذ أمير مغراوة و سائر زناتة، و رفعوه إلى عثمان فأسلم على يده، و مّن عليه و أطلقه و عقد له على قومه، و يقال أيضا و صوله وافدا** "[966]. و لعل وفد مغراوة هذا

---

[960] Ibid, a 570. 1
[961] Ibid, a 571.2
[962] J. de Biclar, Chron. a 576. cf, G.Caggero, op. cit. p.305
[963] J. de Biclar, a 578. P.Goubert, op. cit. p 183
ويعتقد ستين Stein أن جزءا من الخمسة عشرالف مرتزق الذين جندهم الامبراطور تيبريوسTibere ، قد أرسلت نحو إفريقيا لمحاربة الامير غرمول. انظر المرجع السابق ص 85 الهامش رقم 15.
[964] Ch. Diehl, Afr. Byz. pp. 459- 460
[965]Ch.E Dufourcq, Berberie et Iberie medievales, un probleme de rupture ، Revue historique, 1968, p.296
[966] ابن خلدون ، كتاب العبر ... المجلد 6 ،ص: 109. لقد اعتبر الاستاذ شنيتي أن الأمر يتعلق بملك ذي شأن كبير عند قومه، لأنه لم يعلن إسلامه إلا في حضرة الخليفة عثمان، مما يؤكد مكانته السياسية في خريطة بلاد المغرب عشية

بزعامة وزمار بن صولات، كانت له نفس أهذاف وفد هذه الإمارة Maccuritae سنة 573 عندما توجه للقسطنطينية محملا بالهذايا قصد التفاوض مع الإمبراطور جستين II و الحصول على اتفاق ثنائي على مستوى إمبراطوري. كما تحدثت جل المصادر العربية عن كسيله بن لمزم، والذي يبدو أنه ارتقى إلى الإمارة عقب وزمار بن صولات، في سياق مواجهة الجيش الفاتح، حيث أشار ابن خلدون "... **و كانت رئاسة البربر يومئذ في أوربة لكسيلة بن لزم، وهو رأس البرانس، ومرادفه سكرديد بن رومي بن مازرن من أوربة، وكان على دين النصرانية فأسلما لأول الفتح ثم ارتدا ولاية أبي مهاجر**"[967].

ولعل ما يغرينا أكثر لتتبع هذه الشخصية، واعتبارها من ورثة الأمراء الذين تحدثنا عنهم أثناء الاحتلال البيزنطي، هي : صعوده للإمارة في هذا الزمن المضطرب، على رأس قبيلة أوربة (البرنسية) الأمر الذي جعل العديد من الباحثين يعتبرون ذلك دليلا على منطق النظام الكونفدرالي الذي تجتمع حوله الممالك المورية، وتتداول من خلاله الريادة[968]. و تحالفه مع أهل المدن من الأفارقة و الرومان، بحضور سكرديد بن الرومي إلى جانبه، فقد يذكرنا بماكسيميوس الذي كان في خدمة مازونا كما تكرس مشاركة الروم في الحروب التي خاضها، هذه الثنائية التي تجلت لدى رعايا الملك مازونا[969]، رغم أن وقائع الصراع تبرزها المصادر أولا بإقليم تلمسان إلا أن نطاقها الجغرافي شمل أيضا منطقة الأوراس، بل امتد إلى العاصمة قرطاج نفسها والتي أقام بها حوالي 05 سنوات "كملك للبربر"[970]. الأمر الذي يجعلنا أمام نفس الكيان السياسي، رغم اختلاف الإطار الزمني، وعموما إذا تعرضنا إلى هذه الإشارات ليس سوى للتأكيد على أن تاريخ المور يجب لا يدرس في ضوء مراحل الاحتلال الوندالي أو البيزنطي، وإذا كانت هي التي وفرت فرص استكشافها، وإنما يجب محاولة تتبعها بمنظور خاص غير متقطع، يجعل من هذه النتف التي احتوتها المصادر اللاتينية عينات لنفس الكيان. و لعل وفد مغراوة هذا بزعامة وزمار بن صولات، كانت له نفس أهذاف وفد هذه الإمارة Maccuritae سنة 573 عندما توجه للقسطنطينية محملا بالهذايا قصد التفاوض مع

الفتح، مقترحا أن منطقة الاتصال بهذا الأمير كانت تحت سلطة ملوك موريطانيا، الذين بسطوا نفوذهم على البلاد الممتدة من تيهرت إلى الحضنة. م.ب. شنيتي ، موريطانيا القيصرية... ص 776

[967] ابن خلدون، كتاب العبر، ص 109

[968] Ch.E. Dufourcq, Berberie et Iberie, ... pp. 300- 301. G.Camps, Rex Gent. Maur. Rom. ... p217

[969] مثلا أشار ابن عبد الحكم عند حديثه عن مقتل عقبة بن نافع " فعرض له كسيلة بن لمزم في كثير من الروم والبربر" المصدر السابق، ص 267. أنظر كذلك : E.F.Gautier, le Passé de l'Afrique... p. 252

[970] ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار المغرب، ص 18.

E.F.Gautier, le Passe de l'Afrique... pp. 253 -255

الإمبراطور جستين II و الحصول على اتفاق ثنائي على مستوى الدول، و ليس القادة أو الولاة المعنين من السلطة المركزية

التركيبة الاجتماعية للمور

ما هي القرائن التي تسمح لنا بتتبع المظاهر الاجتماعية للمور، كتركيبة اجتماعية متميزة، خلال فترة الاحتلال البيزنطي؟ أو بعبارة أخرى ماهي مواصفات هذه التركيبة و ما الذي كان يميزها عن المجتمع الإفريقي " الرسمي" هل كان ذلك أمرا تاريخيا ثابتا أو أن للأطروحات التاريخية، لا سيما المدرسة الاستعمارية، دور كبير في بلورة صورة معينة لهؤلاء المور؟ و من ثم هل يمكن أصلا أن نرسم صورة تارخية للمجتمع الموري من خلال نصوص الفترة البيزنطية؟

- **التنظيم القبلي و منطق الإمارة أو المملكة:**

رغم أنني حاولت عرض الإمارات المورية من خلال أربعة وحدات جغرافية كبرى، و داخل كل وحدة عدد من الأمراء، أوردهم المصادر، متعاقبين أو متصارعين داخل نفس الإقليم. إلا أنه في حقيقة الأمر، يصعب الفرز بين مصطلح المملكة و الإمارة، أو بين الأمير و قائد القبيلة في مثل هذه المصادر، فالمقاييس التي بحوزتنا لا تتجاوز الإشارة إلى عدد الجند، و مواقع بعض المعارك التي ذكرت من خلالها العديد من الشخصيات، أو مواقف من علاقتها خلال فترات الصراع، مع الإدارة المركزية، و هي لا تكفي لاعتماد التفرقة بين هذا و ذلك؟ و في اعتقادي أنه خلال هذه المرحلة، شكل التقزم السياسي ميزة العصر، فأصبحت كل الأطراف المقيمة على تخوم الإمبراطورية، لا تسعى فقط لتوسيع رقعتها، و تأصيل نفوذها، بل أيضا إلى محاولة تبني هذا الإرث. فمقابل صورة الملك، أو الإمبراطور التي أبرزتها النصوص الأثرية، من خلال شخصيتي ماسونا و ماستياس، أو ملك الأكوتوماني . يمكن الوقوف على نموذج آخر، متمثل في مجلس القبيلة أو الكونفدرالية القبلية، حيث أوضح بروكوب مثلا أن الجنرال البيزنطي بليزاريوس في بداية الاحتلال، قد استقبل وفدا من الإمارات المورية التي أعلنت ولاءها له مقابل اعترافه (باستقلاليتها)، توج هذا الاتفاق بالحصول على مجموعة من الهذايا و المنح[971]. و في حديثه عن الحرب المورية الكبرى، ذكر أن الدوق سرجيوس Sergius، قد استقبل وفدا من الأعيان يمثل القبائل[972] فضلا عن

---

[971] B.V. I, 25, 3-9
[972] Procope B.V. II, 21, 4-11. Ch. Diehl, Afr.Byz. pp. 340-341

تحالف أنتالاس مع القبائل الطرابلسية[973]. كما تحدث كوريبوس عن تحالف أنتالاس بقبائل لواتة، و مناقشات شيوخ القبائل، بعد تلقيهم اقتراحات جون تروجليتا[974]. وهو ما يتجلى من سلسلة التحالفات التي أبرزتها مراحل الصراع مع البيزنطيين، مثل الذي قاده كاركسن أيضا[975]. و قد اعتبر ماتينغلي D.J.Matingly في ضوء هذه النصوص أن التحالف القبلي خلال سنوات 544-548، جعل أغلب القبائل تنصهر ضمن تسمية واحدة و هي لواتة[976]، و هو أمر ينطبق على التركيبة القبلية الكونفدرالية[977]. و بالتالي فقد كرست المصادر اللاتينية صورة، أقرب منها إلى المصادر العربية، التفاعلات القبلية، تحالفاتها و عناصرها، فأبرزت سهلة التشكل و في نفس الوقت سريعة الذوبان، مما يجعلنا نفكر في هذه المرونة بعيدا عن مركزية سياسية، بل في شكل نواة سياسية أميرية سرعان ما يتعاظم نفوذها، بانضمام القبائل الأخرى إليها، إلا أن سرعة اصطدامها بالقوة العسكرية البيزنطية قد يحد من نفوذها، مثلما كان الأمر لمملكة أنتالاس، أو يابداس، إن لم يؤدي الأمر الى انقراضها نهائيا.

- **العلاقة بالأرض**

من واجبنا التساؤل عن درجة ارتباط هذا الحكم القبلي بالجغرافيا، هل تظل صورة الترحال و التنقل مرتبطة بهذه الكيانات؟ أم يمكن الوقوف على معالم تؤكد ارتباطها بمواقع ثابتة؟ و لعل كون المصادر الأدبية لم تتحدث نهائيا عن مدينة أو عاصمة لهذه الإمارات، و إنما فقط عن منطقة و إقليم، هو أمر يدعونا للتفكير في طبيعة العلاقة بالجغرافية أو بالمكان. هل في احتجاج الوفد اللواتي، أمام القائد البيزنطي سرجيوس، إشارة للمدن و مناطق تمركزها؟ أم أن احتجاجهم كان فقط حول المراعي و الحقول الزراعية، مثلما يوحي به نص بروكوب؟ و هل يمكن الحديث عن أي شكل من أشكال التملك؟

و إذا كان من المنطقي أن لا نبحث عن مركزية سياسية شبيهة بروما، فالقبائل التي أوردها بروكوب ظلت مرتبطة بجغرافية متنوعة، فبروكوب أكد تمسك قبائل لواتة و هوارة بملكيتها للهضاب الطرابلسية، رغم طابعها الصحراوي، و التي كانت تمارس بها

[973] Procope B.V., II,21,18
[974] Corippus, Joh.IV,374-375
[975] Corippus, Joh.,IV,242-246 ;250-252 ; VII,283-287
[976] Mattingly,The Laguatan, a Libyan tribal conféderation in the Late Roman Empire, dans Libyan Studies,14,1983, pp96-100 ; cf. Ibid, Tripolitania, p19-37,173-176.
[977] Moderan, les Maures et l'Afrique romaine…p303-305

نشاطها الزراعي[978]. و هو نفس الأمر الذي لاحظناه بالأوراس، من خلال شخصيتي ماستياس ويابداس، أو مملكتي ماسونا و الجدار.

- **المنطق الوراثي**

لم تركز المصادر على أصول أغلب الأمراء و أنسابهم، بل أبرزت أغلبيتهم كشخصيات فاعلة في الزمن، دون تسليط الضوء عن ماضيها، و مع ذلك فقد تسربت بعض الصور التاريخية، التي يمكن توظيفها في موضوعنا. فأنتلاس وصف بأنه ابن قنفان وأن والده قد نقله إلى معبد الإله آمون، يحمل الهدايا و القرابين متبركا به[979]، و هو أمر لا يستفيد منه إلا من كان في مرتبة ولاية العهد. بنفس الصورة التي نقلتها المصادر حول حنبعل، الذي أخذه والده أميلكار برقة إلى المعبد، و لعل إعلانه الحرب بسبب مقتل أخيه غاريزيلا Guarizila تأكيد على ذلك أيضا[980]، كما يمكن الوقوف على العديد من الإشارات، فمثلا وصف الأمير أوتيليتن Autiliten بأنه لم يكن أكثر لينا من والده سيديفان Sidifan، في حرب 546، وأن ابنه قد خلفه بدوره في هذه المكانة[981]. أو الأمير إيفيسداياس Ifisdaias الذي اصطحب ابنه بيتيبتن Bitipten إلى المعركة، أثناء تحالفه مع القائد البيزنطي جون تروجليتا، سنة 546[982]. فضلا عن نص جون مالالاس الذي يشير بأنه بعد مقتل كوتزيناس ، فإن أبناءه هم الذين أعلنوا الحرب انتقاما لأبيهم[983]. كما نعرف عن يابداس بأنه أرسل ابنه إلى المعركة، على رأس 12000 رجل[984]، و هي الصورة التي سرعان ما نقارنها بموقف الكاهنة، وكيف تمكنت من ضمان المكانة الأميرية لابنها، عقب نهاية صراعها مع المسلمين. و بالتالي فالمنطق الوراثي ظل قائما ضمن هذه القبائل أو الإمارات، دون أن تسمح المصادر بتتبعه على نطاق زمني أطول. وقد نفترض أن سلوك الكاهنة بإرضاع خالد بن يزيد ليكون أخا لولديها ووريثا شرعيا[985].

[978] Procope, B.V. II, 21,2
[979] Corippus, Joh., III, 81-153
[980] Corippus, Joh. IV, 365-366 ; Procope, B.V.II,21,17
[981] Corippus, Joh. II,58
[982] Corippus, Joh.,IV,545-546
[983] J.Malalas, Chronographia, p.495.
[984] Corippus, Joh.,VII,277-278
[985] ابن عذاري، البيان المغرب، ص 27

- **المرأة**

وردت عدة إشارات لنساء ضمن حركية القبيلة، فأبرزت كأم[986]، أو محاربة، تشارك في قرع طبول الحرب و حماسة الجند[987]، أو في أعقاب الأمير[988]. بل أبرزت أيضا مشاركة في المعارك[989]، و إذا كرر كوريبوس صورة النساء اللواتي قتلن بسبب ازدحام الحيوانات و تساقطها عليهن[990]. فقد وصف بروكوب كيف قامت أحد النساء بطحن الحبوب، و طهي الخبز، من خلال حديثه عن اختفاء الملك الوندالي في وسط المور[991]. مؤكدا على ظاهرة تعدد الزوجات، حيث أورد من خلال الرد الذي بعث به المور على رسالة سولومون، و التي ناشدهم بالاستسلام، و عدم تعريض ابنائهم للموت، إجابة كرست المنطق العائلي و مكانة المرأة فيه : " .... **بالنسبة لمصير ابنائنا، فلكم أنتم أن تخشوا على أبنائكم، لأنكم ليس لكم الحق إلا في زوجة واحدة، بينما نحن، فباستطاعتنا الزواج بخمسين امرأة، و بالتالي فإننا لا ننقص ابدا من الابناء و الخلف**.."[992]. كما اورد بروكوب صنفا آخر من النساء ، و المتمثل في المرأة الساحرة، حيث ذكرها بصيغة الجمع، على إثر الهزيمة الوندالية، على أنهن قد تنبأن بهزيمة المور على يد هذا القائد الخصي[993].و هو ماكرسته المصادر الاسلامية أيضا من خلال شخصية الكاهنة[994].

- **المور و النظريات التاريخية:**

بالنظر إلى طبيعة المادة الخبرية التي تميزت بها مصادر القرن السادس، فقد تبلورت في الأدبيات التاريخية منذ بداية القرن التاسع عشر، عدة أطروحات، حاولت أن تقولب المعارف التاريخية، وفق نظريات أو صور معينة. فنتجت عدة أطروحات لم تكتف بمحاولة فهم الفترة التاريخية المتعلقة بها، بل حاولت أن تهيكل حركية التاريخ المغربي القديم بأكمله. و قد حاولت تلخيص أهم هذه الرؤى، لاسيما و أنها ترتبط ارتباطا وثيقا بمحاولتنا لفهم مدى تفاعل التركيبة المورية خلال هذه الفترة الانتقالية بين نهاية التاريخ القديم و بداية التاريخ الوسيط.

---

[986] Corippus ,Joh. II,171-172
[987] Corippus, Joh. II,171-172 ; Procope, B.V.II, 9,18-19
[988] Procope, B.V.,II,20,23-24,26
[989] Procope, B.V.,II,9,19; Synésios de Cyréne, Catastases II, ed. N.Terzaghi, Rome, 1944, p 288.
[990] Corippus, Joh. V,268-269
[991] Procope, B.V.II,7,3-5
[992] Procope, B.V.II,9,13.
[993] Procope, B.V.II,8,12-13; 12,28
[994] مثلا: ابن عبد الحكم، فتوح إفريقيا و الأندلس، ص76-78 ، ابن عذاري، البيان المغرب، ص 35-39

– أطروحة الهجرة المشرقية:

إذا كان يظهر، من نصوص كوريبوس أساسا، أن عددا كبيرا من القبائل هي صحراوية تستعمل الجمال في تحركاتها و معاركها، و تتنقل بأطفالها و نسائها حتى في أوقات الحروب فقد وظف المؤرخون هذه الظاهرة في بلورة ما يمكن تسميته بنظرية الهجرات المشرقية نحو بلاد المغرب، و ذلك على أعقاب القائد العسكري الفرنسي Tauxier. الذي حاول من خلال سلسلة مقالات نشرها في المجلة الإفريقية Revue Africaine فيما بين 1862 و 1890 تتبع فيها، أهم مراحل و خلفيات هذه "الهجرات" نحو الغرب منذ التاريخ القديم إلى غاية الفتوحات الإسلامية، مؤكدا أن أغلب المصادر القديمة كانت تخلط بين الأسطورة الدينية التي تعتبر أن سكان المغرب يعودون إلى جالوت، إلا أنه أوضح في نفس الوقت وجود هجرة مستمرة و دائمة للقبائل المشرقية نحو المناطق الغربية[995].

و بالرغم من غياب اسمه من مختلف المراجع التاريخية الخاصة ببلاد المغرب القديم فقد ظلت أفكاره قائمة بل شهدت توسعا أكبر بفضل كل من كورتوا Courtois وفيما بعد كامبس Camps. حيث اعتبر كورتوا أن " **السكان الأصليين للمقاطعة الطرابلسية قد خلفهم سكان جدد يتميزون بأنهم من الرحل أصحاب الجمال** " مضيفا " **أن تدخل هؤلاء الرحل و بروزهم في تاريخ هذه المنطقة يعود إلى نهاية القرن 3م. و ذلك في مقاطعة قرينة Gyrénaique، إلا أنه يبدو أن أنظارهم كانت متجهة أكثر نحو الغرب، بالرغم من تحركهم البطئ، حيث نجدهم في النصف الأول من القرن 6م يصلون إلى مقاطعة المزاق و لا يتوغلون في أقصى المناطق الغربية إلا في عهد الفتوحات الإسلامية ببلاد المغرب**"[996]. كما وصفهم كامبس Camps " **بأنهم رحالة يملكون الجمال، بإمكانهم التنقل عبر مسافات كبيرة على تخوم الصحراء... يبدو أنهم، كانوا يتقدمون تدريجيا عبر العصور، من مقاطعة قرينة Gyrénaique نحو المغرب الأوسط، فالأمر يتعلق بإحدي الدفعات التي ظلت منذ عصور ما قبل التاريخ تحمل مجموعات سكانية من المناطق الشرقية نحو بلاد المغرب** "[997]. و قد جسد هذه الرؤية أكثر الباحث البريطاني ماتينقلي Mattingly الذي لم يكتف بالتأكيد على وجود هجرات مشرقية نحو بلاد المغرب، بل حاول

---

[995] H. Tauxier, Etude sur les migrations des migrations des tribus Bérbères avant l'Islamisme, dans Rev. Afr. T6, 1862, pp353-363

و نجد بنفس المجلة أغلبية مقالات هذا الباحث خاصة سنوات: 1863، 1867، 1877، 1880، 1881، 1890.

[996] C. Courtois, V.A. pp. 103-104

[997] G. Camps, Berbères aux marges de l'histoire ..., p.125

رسم خريطة توضح مرحلة تحرك هذه القبائل نحو المناطق الغربية، على إمتداد أكثر من عشرة قرون فكانت كالتالي[998]:

المرحلة	التاريخ	المنطقة	المصادر المعتمدة
الأولى	القرن الرابع م	منطقة برقة طرابلس	أميان مرسلان –سنسيوس القريني
الثانية	القرن السادس م	المزاق و البروقنصلية	بروكوب–كوريبوس
الثالثة	القرن السابع م	جنوب الأوراس	البكري
الرابعة	القرن الرابع م	الأوراس–تيهرت	إبن خلدون

كما اعتبر الأستاذ شنيتي" أنه إذا تعذر على المؤرخ وضع جدول كرونولوجي دقيق للهجرات التي حدثت في العصور السابقة للإسلام فإن التوافد البشري الذي حدث بعد الفتح لابد أنه سلك سبلا كانت قد إهتدت إليها أقوام في العصور القديمة، لم تكن دوافعها تختلف كثيرا عن تلك التي ألقت برجال الهلاليين و غيرهم ببلاد المغرب.."[999]

و يبدو أن القاسم المشترك بين هؤلاء المؤرخين هو محاولة المطابقة بين ما أوردته المصادر اللاتينية – سابقة الذكر– و بين ما أورده كل من البكري و إبن خلدون من وجود قبائل لواته في كل من الأوراس بل كذلك منطقة تيهرت[1000]. لكن ألا يمكن أن نوظف نفس المصادر للتأكيد على استقرار هذه القبائل بالمقاطعة الطرابلسية على الأقل إلى غاية الفتوحات الإسلامية؟ فالبكري يشير عند حديثه عن هذه المنطقة " **برقة و إسمها بالرومية الإغريقية بنطابلس تفسيره خمس مدن و صار إليها عمرو بن العاص حتى صالح أهلها على ثلاثة عشر ألفا يؤدونها جزية...قال بن سعد كتب عمر بن العاص على لواته في شرطه عليهم أن تبيعوا أبناءكم فيما عليكم من الجزية...**" ثم يضيف بأن " **حول مدينة برقة قبائل من لواته و من الأفارق...**"[1001]. و المسعودي بعد إستعراضه لأسطورة هجرة البربر من فلسطين بعد مقتل جالوت ذكر بأنهم " **إنتهوا إلى ديار المغرب إلى موضع يعرف بلوبية و مراقية، فإنتشروا هنالك فنزل منهم زناتة و مغيلة و ضريسه الجبال من تلك**

[998] D. J. Mattingly, The Laguatan, a Libyan tribal confederation ..., pp.96-108

[999] م.ب. شنيتي، موريطانيا القيصرية، ص،،،،،

[1000] أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقيا و المغرب، تحقيق دوسلان، الجزائر 1857، ص 67-144.

ع. ابن خلدون، تاريخ العبر، ص 118-119.

[1001] أبو عبيد البكري، المسالك و الممالك، ص ص 4-5

الديار و تبطنوا الأودية، ونزولوا أرض برقة، ونزلت هوارة بلاد إياس و هي بلاد طرابلس المغرب أي الثلاث المدن، وقد كانت هذه الديار للإفرنجة و الروم ...."[1002].

أما إبن عبد الحكم الذي يعتبر أقدمهم فقد كتب: " **و كان البربر بفلسطين و كان ملكهم جالوت، فلما قتله داود عليه السلام خرج البربر متوجهين إلى المغرب حتى إنتهوا إلى لوبية و مراقبة، وهما كورتان من كور مصر الغربية، مما يشرب من السماء و لاينالهما النيل، فتفرقوا هنالك، فتقدمت زناتة و مغيلة إلى المغرب، و سكنوا الجبال ،وتقدمت لواتة، فسكنت أرض أنطابلس، و هي برقة، وتفرقت في هذا المغرب، و انتشروا فيه حتى بلغوا السوس، و نزلت هوارة مدينة لبدة، ونزلت نفوسة إلى مدينة سيرت [**هكذا**] و جلا من كان بها من الروم من أجل ذلك، و أقام الأفارق، و كانوا خدما للروم على صلح يؤدونه إلى من غلب على بلادهم. فسار عمر بن العاص في الخيل حتى قدوم برقة،فصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار، يؤدونها إليه جزية على أن يبيعوا من أحبوا من أبنائهم في جزيتهم، حدثنا عبد الملك بن مسلمة، حدثنا الليث بن سعد قال كتب عمر بن العاص على لواته من البربر في شرطه عليهم، أن عليكم أن تبيعوا أبنائكم و بناتكم فيما عليكم من جزية."**[1003]. و نفس الاستعراض نجده تقريبا عند إبن خلدون، مما يجعلنا نعتقد أن هذه المصادر، قد تناقلت نفس الرواية بدون فرز المعلومات المتعلقة بأسطورة انتماء المور إلى الكنعانيين، عن الأخبار المتعلقة بفترة الاحتلال الروماني و البيزنطي[1004].

و يعود الفضل في التنبيه لهذه الفكرة إلى موديران Moderan، من خلال محاولة تتبع الأطروحات التي أنجبتها مدرسة القرن التاسع عشر و مدى مطابقتها للمصادر القديمة، حيث انتهى بإثبات هشاشة هذه النظرية، بالرغم من إقراره بأن تطورا ملحوظا قد عرفته ظاهرة الترحال و الرعي بعد القرن 4م مع انتعاش أكبر للهياكل القبلية، بين أوساط السكان الذين كانوا خاضعين لمراقبة الإدارة الرومانية[1005]. كما اقترح أن هذه القبائل الصحراوية قد عرفت اتساعا في مجال تحركها دون وجود هجرات سكانية منتظمة، حتى القرن 7م أين تمكنت مجموعة من القبائل من الاستقرار في مواقع داخلية و ذلك مواكبة للفتوحات الإسلامية التي جندها[1006].

[1002] أبو الحسين بن علي المسعودي، مروج الذهب و معادن الجوهر، سلسلة أنيس، 1989، الجزائر، ج2، ص ص 114-115

[1003] إبن عبد الحكم، فتوح مصر و إفريقية، المصدر السابق، ص 229

[1004] ابن خلدون، كتاب العبر ،م 6، ص90-99

[1005] Y. Moderan, les Maures et l’Afrique romaine, ..., p.131-151

[1006] Y. Moderan, les Maures et l’Afrique romaine, ..., p.206-207

و عموما إذا كانت أغلب الدراسات الحديثة تقر بوجود ضغط ديموغرافي من الشرق إلى درجة تعويض السكان الأصلين بسكان جدد "البربر الجدد Néo berbères [1007]. فهل يجب أن نتصور أن الصراع مع البيزنطيين ، كان فقط نتيجة غزو و هجرات سكانية داخلية اصطدمت بهذا الاحتلال الأجنبي ؟ و هل من الضروري إحداث علاقة جدلية بين فكرة الهجرات القادمة من الشرق، و فكرة الاضطرابات التي سجلتها المصادر التاريخية؟

إن محاولة تحديد مواقع هذه القبائل المتحالفة مع قبائل لواتة Ilaguas و الإسترياني (هوارة) Austuriani، كونها قبائل تقطن غالبيتها المناطق الداخلية للمقاطعة الطرابلسية، فهي ليست بالضرورة وافدة من خارج الحدود الليبية، بل قد يكون بعضها من المزارعين في المناطق السهبية و الجبلية، والتي تكون قد تحررت من مراقبة الإدارة الرومانية خاصة خلال فترة الاحتلال الوندالي. حيثا تؤكد التنقبات الأثرية التي أجريت بموقع غيرزة Ghirza الواقعة بواحة أوجيلا Augila [1008]، و التي يؤكد البكري استمرار نشاطها إلى غاية القرن 10م[1009]، على وجود معالم دينية، بهذه المواقع لمعبد قد يكون مخصص للإله "آمون"، مما يرجحها أن تكون عاصمة دينية لهذه القبائل الطرابلسية، وعلى رأسها لواته و هوارة، و مما يكرس أيضا فكرة استقرارها بالمناطق الداخلية لمقاطعة طرابلس. و بالرغم من ذلك فإن هاتين القبيلتين الرائدتين قد حافظتا على أغلب مظاهر حياة الترحال، فالنساء و الأطفال بل حتى قطعان الغنم انتقلت مع قوات الجيش أثناء اللقاء الذي جمع أعيانهم بالدوق سرجيوس Sergius سنة 543م، كما تميز هجومهم على مقاطعة المزاق سنة 546م باصطحاب عائلاتهم و حيواناتهم[1010]. ويؤكد بروكوب على تمسك هذه القبائل بملكيتها للهضاب الطرابلسية و التي كانت تمارس بها نشاطها الزراعي[1011]. الأمر الذي يجعلنا ننظر إليهم ليس كقبائل رحالة لا موطن لها، بل أن ملكيتهم لهذه الأراضي تفترض استقرارها ولو لمواسم معينة -إلى جانب نشاط الرعي و الترحال الذي يظل جليا-.

وإذا كان استعمال الجمال في المعركة، و اصطحاب النساء و الأطفال يؤكد الطابع الصحراوي لجيش كاباون، فلا نجد في نص بروكوب ما يؤكد هذا التوغل من المقاطعة الطرابلسية إلى المزاق. و يبدو أن كورتوا قد ترجم كلمة "Tripolis " الواردة في نص

1007 م. ب. شنيتي، موريطانيا القيصرية ...، ص ص 561-567.

G. Camps, Berbères aux marges de l'histoire ..., p. 128.

1008 أنظر لاحقا الهامش رقم ص :

1009 أبو عبيد البكري، المسالك و الممالك، ص 12، أنظر لاحقا الهامش رقم ص :

1010 أنظر لاحقا الهامش رقم ص :

1011 Procope, B.V. II, 21,2

بروكوب بكلمة طرابلس الحالية "Oea". إلا أن هذه الترجمة قد فندت خاصة من طرف موديران Moderan الذي أوضح أن المدينة ظلت تحمل اسم Oea فيما بعد، بينا ما يقصد به بروكوب من كلمة Tripolis هو المقاطعة الطرابلسية عموما[1012]. ففي حديثه عن أسباب اندلاع "الحرب المورية الكبرى" ما بين 544-548 أوضح بروكوب أن جستنيان قد عين سنة 543، دوقا للمقاطعة الطرابلسية من أقارب، القائد البيزنطي سولومون، يسمى سرجيوس Sergius [1013] والذي كانت سمعته سيئة في أوساط الجيش بل حتى مع المور أنفسهم- و بمجرد تنصيبه حشدت القبائل المورية بزعامة، لواتة Laguatan، جيشا ضخما و اتجهت قاصدة لبدة Leptis Magna و ذلك قصد الاحتجاج أمام الدوق الجديد نتيجة انتهاك البيزنطي للأراضي الزراعية و المحاصيل المورية، و تجديد التعاهد مع الإدارة البيزنطية، -بالحصول على الهدايا و النياشين التي تعتبر عربونا لمثل هذه المعاهدات- و في الأخير إعلان و تأكيد السلم بين الطرفين[1014]. و أضاف بروكوب أن بيدانتيوس Pudentius، قد لعب دورا هاما في إقناع الدوق سرجيوس Sergius باستقبال وفد من الأعيان يمثل هذه القبائل[1015]، في حين أن البقية تظل مقيمة خارج أسوار المدينة . فكون هذه القبائل تحتج على انتهاك محاصيلها، من شأنه أن يؤكد أن ملكية هذه الأراضي، هي من جهة ليست بعيدة عن المدن البيزنطية مما جعلها عرضة للجيش البيزنطي، ومن جهة أخرى يبدو أنها ليست حديثة النشأة، بل ترتكز دون شك على قاعدة قانونية أو عرفية تقر الإدارة الإمبراطورية من خلالها بالاستقلال الداخلي و الإقليمي لهذه القبائل، و تتعامل معها من خلال أمرائها، و ما يؤكد هذه الفكرة هو إشارة بروكوب الى طلب النياشين التي تعود الموريين الحصول عليها، عربونا للتحالف مع الإدارة الرومانية. . وبالتالي فيبدو أنها لم تكن وافدة من بعيد، رغم أنها حشدت النساء و الأطفال في تحركها هذا. و قد يكون التحول الذي عرفته السياسة البيزنطية تجاه هذه القبائل الصحراوية، نتيجة الضغط الذي كانت تمارسه طبقة ملاكي

[1012] Y.Moderan , les premiers raids des tribus Sahariennes en Afrique et la Johannide de Corippus, dans les Actes du IVe congres d'Histoire et d'Archeologie de l'Afrique du nord, Strasbourg, 1988, Paris, 1991 pp

[1013] Procope, B.V. II, 21, 2-22

[1014] لقد أوضح بروكوب أن الجنرال البيزنطي بليزاريوس في بداية الاحتلال، قد استقبل وفدا من الإمارات المورية التي أعلنت ولاءها له مقابل اعترافه (باستقلاليتها) وقد توج هذا الاتفاق بالحصول على مجموعة من الهدايا و المنح. B.V. I, 25, 3-9 وهذا ما يجعلنا نرجح نفس العلاقة مع القبائل الطرابلسية

[1015] تعرضنا لشخصية بيدانتيوس Pudentius، باعتباره من طبقة الملاكين الكبار بهذه المقاطعة، و التي كانت تسعى لتوسيع نفوذها أكثر بالمناطق الداخلية. أنظر الفصل الخاص بمراحل الاحتلال البيزنطي. Procope, B.V. II, 21, 3.

الأراضي الزراعية التي تعتبر نفسها صاحبة النفوذ، وريثة روما الشرعية، فهي التي ناشدت البيزنطيين للتدخل ضد الوندال، و يكفي الإشارة إلى شخصية بيداتينوس Pudentius لمعرفة مدى نفوذها[1016].

وإذا كان بروكوب قد اكتفى باستعراض أهم مراحل الصراع مع البيزنطيين فإن كوريبوس قد جعل من هذه القبائل هدفا لقصيدته الطويلة، وذلك بوصفها بكل مظاهر التخلف و الوحشية، ليؤكد للجميع بأن الخطر الحقيقي يتمثل في هجمات القبائل الطرابلسية. و لعل تتبع هذه الأحداث، جعلنا نقف على نوع من التحالف التلقائي بين هذه القبائل في إتحاد كونفدرالي، حسب تعبير Mattingly، الذي اعتبر أن أغلب هذه القبائل المتحالفة سنة 546م قد انطوت تحت اسم لواته Lavathae وذلك في إطار هيكل كونفدرالي[1017]. فبروكوب كان دوما يكرر اسم لواته Levathae، عند حديثه على القبائل الطرابلسية الثائرة فيما بين سنتي 543-548م، أو حتى الوفد الذي استقبل من طرف الدوق سرجيوس، و الذي لا يمكن أن يمثل قبيلة واحدة، إذ كان عددهم ثمانون[1018]. أما كوريبوس فيبدو أنه كان يعطي معنا واسعا للواتة Ilaguas ليضم عددا كبيرا من القبائل. ففي سنة 546 ذكر بأن جستنيان عند تعينه القائد جون تروجليتا، قد كلفه بإخماد الأوضاع في إفريقيا و القضاء إلى القوات الثائرة للواتة Laguatanes، بينما نحن نعرف أن مجموعة من القبائل كانت مشاركة في هذه الحرب إلى جانب لواته ضد البيزنطيين[1019]. كما ذكر نفس المؤلف، بأن الأمير كاركسن Carcasan، عشية إعلانه الحرب على البيزنطيين سنة 547 وعدته المنجمة " **بأنه سيدخل قرطاجة و يبسط نفوذه على كل الشعوب، بل أن الإله آمون Ammon قد وعد المور بإمبراطورية مستقلة**"[1020]. و إذا كنا لا نستطيع إثبات طموح كاركسن في إقامة إمبراطورية مستقلة فعلا، فإن الأفق السياسي لحركته يبدو أنه كان يتجاوز بكثير مجرد تحالف مجموعة من القبائل. و نظرا للعلاقة التي ربطت قبائل "لواته بالأمير أنتالاس، و نعته من طرف كوريبوس بهذا الاسم كذلك، فقد إقترح كورتوا Courtois تقسيمها إلى فرعين: الأولى قبائل صحراوية من الرحل تنتشر أساسا بالمقاطعة الطرابلسية، وأخرى جبلية بزعامة أنتالاس توجد بجنوب مقاطعة المزاق[1021].

[1016] أنظر الفصل المتعلق بالحياة الاجتماعية

[1017] D.J. Mattingly, Libyan and the limes culture and society in Roman Tripolitania, dans Ant Afr. T23, 1987 p. 92

[1018] B.V. II, 21, 2-22; 22, 13-20; 28,47

[1019] Corippe, Joh., I, 143-144

[1020] Corippe, Joh., VI, 166-167. 238

[1021] Corippe, Joh., III, 393-400. C. Courtois, V.A. p. 344-345

لكن قراءة معمقة لكل من بروكوب و كوريبوس تجعلنا لا نرى مجالا لهذا التقسيم، فكون قبائل لواته قد تحالفت مع أنتالاس، ليس بالأمر الغريب، لأن الفوارق الجغرافية بين الصحراء و الجبال أو حتى بين المقاطعة الطرابلسية و المزاق ليست بالضرورة بمثل هذه الحدة التي يعرضها بها العديد من المؤرخين، و بالتالي فوجود هذه القبائل المتحالفة بجنوب المزاق أو بلاريبوس Laribus، أو حتى على أبواب قرطاجة لا يعني أن نمط معيشتها قد تغير، بقدر ما يدخل في منطق الصراع و محاربة العدو المشترك. كما لا يجب أن ننظر إلى هذه القبائل على أنها قبائل رحل بدائية –تجسد كل ما يعاكس التمدن– و إنما قبائل متحالفة في إطار كونفدرالي يجمع بين الرحل المتنقلين بين الصحراء و المناطق الشمالية، و بين المزارعين القاطنين بالسهوب، بل حتى سكان المناطق الجبلية بالمقاطعة الطرابلسية. كما يبدو أنها لم تكن خاضعة للنفوذ الروماني و إنما على إتصال بالإمبراطورية وفقا لتقاليد وأعراف، تعترف لها بحريتها في أقاليمها، و بكيانها السياسي و الثقافي المتميز، خاصة و أننا أوضحنا مسبقا أنها ظلت وثنية بعيدة عن تأثير المسيحية. إلا أن تقهقر الإمبراطورية الرومانية قد أتاح الفرصة لهذه القبائل للتوسع أكثر و ضم الأراضي الزراعية، مما جعلها تصطدم مع طبقة الملاكين الكبار أولا، وما الإنقلاب الذي أحدثه بيدانيوس Pudentios ضد الوندال قبل حتى أن تتحرك القوات البيزنطية من القسطنطينية سنة 533م إلا تأكيد على هذا الصراع القائم بين ما يمكن تسميتهم بورثة الإمبراطورية الرومانية بالمنطقة أي طبقة الملاكين من جهة و القبائل الطرابلسية من جهة أخرى. و إذا كان البيزنطيون قد تعاملوا مع هذا الواقع منذ احتلالهم لبلاد المغرب القديم، و أقاموا على أساسه علاقاتهم بالقبائل المورية فإن تحول هذه السياسة بعد سنة 543م كان السبب في إعلان الحرب التي استمرت إلى غاية 548، والتي توصلت خلالها هذه القبائل إلى غاية أبواب قرطاجة، بل أصبح حلم إقامة إمبراطورية مستقلة يراود أغلب هذه القبائل المتحالفة تحت قيادة الأمير كاركسن. إلا أن الهزيمة التي منيت بها في الأخير، كانت نتائجها و خيمة تجاوزت مجرد الاستسلام، بل ربما طرد هذه القبائل و إبعادها نحو منطقة قرينة Gyrénaique. حيث نجد العديد من النصوص العربية تتحدث عنها بهذه المنطقة. وقد يكون ذلك نتيجة حتمية لدرجة الخطر الذي شكلته هذه القبائل على الاحتلال البيزنطي. و لعل إشارة جوردان Jordanes إلى مقتل أكثر من 17 أمير من أهم أمراء القبائل المورية و على رأسهم كاركسن. و وجود عينات أثرية تدل على حرق مدينة أوجيلا Augila و تخريب معبد غيرزة Guirza فضلا عن إشارة بروكوب على انتشار المسيحية في أوساط مجموعة من القبائل الطرابلسية مثل قبائل الغدابناتيين Gadabitani ، و سكان غدامس. تؤكد السياسة التي انتهجها البيزنطيون لتفكيك هذا التحالف الموري و القضاء

على أسسه، خاصة و أن النصوص لا تتحدث عن أية ثورة بعد هذا التاريخ، بل بعضها يشير إلى المساعدة التي قدمتها نفس القبائل الطرابلسية في الحملة التي نظمها هرقليوس سنة 609 على القسطنطينية – مما يفترض وجود تحالف بين الطرفين بنفس الطريقة التي أشرنا إليها سالفا-. و لعل صورة الأوراس المتفتح على التلال مثل الصحراء ، و الجامع لعناصر مورية متنوعة المشارب، كفيل أيضا بقدرة هؤلاء المور على التفاعل مع الجغرافية التي كانت بحوزتهم[1022]. وبالتالي فقد نخلص، ليس لرفض امكانية وجود هجرات مشرقية للمغرب، فهو أمر يكاد يكون بديهيا، إلا أنه يجب إلى خطورة بناء تاريخي لمراحل التحولات المورية في بلاد المغرب، على عامل الهجرة المشرقية فقط، فاستعمال الجمال و الجغرافية الصحراوية ليس كافيا لتفسير خلفية المقاومة المورية و سعيها لاسترجاع جغرافيتها، من منظور الهجرة المشرقية

- **أطروحة يوغرطة الأبدي:**

لعبت أحداث القرن السادس، دورا كبيرا في بلورة و تكريس تصور تشابه المور في سلوكاتهم و ردود أفعالهم، بالسلوكات النوميدية، أو ما يسمى بالبربرية عموما، عبر مختلف مراحل التاريخ القديم و الحديث، حيث سرعان ما اعتمده أغلب الباحثين. فبعد ديل Diehl الذي أشار إلى الانعدام التام للوحدة في أوساط هؤلاء البربر[1023]، أخذت الفكرة منعرجا جديدا من طرف كورتوا[1024]، الذي تحدث عن "يوغرطة الأبدي[1025]"، مؤكدا أن الحضارات المتعاقبة لم تكن سوى طلاء خارجي، و أن البربر ظلوا أنفسهم، و بمجرد تراجع القوة المهيمنة، أو ضعفها،سرعان ما تمحي، ليعود كل ما يميز هؤلاء البربر للسطح[1026]. معتبرا أن مسؤوليتهم جد كبير، في اضمحلال الحضارة الرومانية بالمنطقة. وقد وجدت هذه الفكرة ذيوعا كبيرا، حتى في أوساط أدبيات ما بعد الاستقلال[1027]. كما تكرست أيضا، من خلال ما أسماه ديل بالعجز الأبدي للبربر على الوحدة الدائمة[1028]، أو ما وصفه غزيل

[1022] يجب أن لا تغيب على انظارنا فكرة المصادرة الرومانية و اجبارها الأهالي على النزوح إلى المناطق الحدودية. و يمكن الاستنارة بهذا الصدد بدراسة الأستاذ شنيتي حول موريطانيا القيصرية، أنظر أيضا: يوسف عيبش، الأوراس في مصادر القرن السادس ميلادي، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، العددالثاني، 2003، ص 97-116

[1023] CH ;Diehl, Afr.Byz. p.314

[1024] C.Courtois, V.A. p. 126 ; 359

[1025] J.Amrouche, « l'éternel Jugurtha .Propositions sur le génie africain », dans l'Arche, XII, 1946, p58-70.

[1026] C .Courtois, De Rome a l'islam, p. 30

[1027] M. Sahli, décoloniser l'histoire, Paris, 1965.

[1028] Diehl, Afr.Byz. p64

"بذهنية الصف"[1029]. ليعطيها غوتيه و كورتوا فيما بعد، أبعادا أكبر، و يجعلانها قاعدة لتتبع مختلف مراحل التاريخ النوميدي أو الموري[1030]. و بقدر ما تظل الأطروحة الأولى شديدة الإغراء، بحكم ما تسمح به من بلورة خطاب "ثوري" أو " وطني" يعتمد على فكرة استمرار المقاومة، فهي تضعنا أمام إشكالية خطيرة. لأن القول بتمسك البربر بشخصيتهم، و عدم ذوبان معالمهم بحكم تعاقب الحضارات، يظل حديثا شديدة الإغراء، إلا أنه يفترض خاصة جمودا حضاريا، وعقما بل عجزا عن التطور[1031]، فكيف نصف المجتمع الذي لا يتأثر بالثقافات المهيمنة، هل عامل المقاومة يظل أبديا؟ و هل ردود الفعل تظل نفسها أمام سياسات الإدارة المستعمرة[1032]. إلا أن فكرة اللاوحدة الثابتة عند الأهالي، تعود أصلا إلى طبيعة تشكل التحالفات القبلية، لأنها كثيرا ما برزت أثناء فترات الصراع، غير متوازي القوى. الأمر الذي يجعل طبيعيا صورة التقزم و التشتت في مثل مراحل النمو البدائية هذه، دون أن تكون صفة ثابتة الديمومة متجذرة متأصلة في الزمان و المكان.

– أطروحة الداخل و الخارج

شهدت سنة 2003 صدور دراسة قيمة لموديران Moderan، تحت عنوان المور و إفريقيا الرومانية les Maures et l'Afrique Romaine ، كان له الفضل فيها، في إعادة فتح هذا الملف من جديد، معتمدا في ذلك بدرجة أساسية على قراءة متجددة لمصادر القرن السادس، و بدرجة أخص كوريبوس و بروكوب، و إذا كانت قدرات هذا الباحث قد جلبت الاعتراف من طرف المختصين، نتيجة توخيه منهجية نقدية صارمة، صححت العديد من المعطيات. فأمام إثباته ضعف الأطروحات السابقة التي تعرضت لمكانة المور في السياسة الرومانية عموما، و في الأدبيات اللاتينية المتأخرة خصوصا، اقترح تصورا أو قولبة جديدة يمكن أن تهيكل طبيعة التصور الرسمي لهؤلاء المور، تمثل في تقسيم القبائل المورية ، خلال القرن السادس طبعا، إلى قسمين أساسيين، فأطلق مصطلح " قبائل الخارج" على أنها وجدت خارج الخريطة

[1029] S.Gsell, dans MEFR,1904,p343

[1030] E.F.Gautier, le passé de l'Afrique du Nord, les siècles obscures, p279 ; C.Courtois, V.A., De Rome à l'islam, Rev.Afr.1942,p37

[1031] Ch.A.Julien

[1032] و هو الأمر الذي روجت له كثيرا المدرسة الاستعمارية، إلى درجة أن أصبح يشبه، سلوك قادة المقاومة الشعبية خلال القرن التاسع عشر ، بمواقف أمراء التاريخ القديم ، أنظر مثلا : G .Boissier, l'Afrique romaine, Paris, A£1901, p354. و قد كتب فيفري: "لم يتناول مؤرخينا لبلاد الغال الموضوع بنفس الطريقة أصلا، فقد لاحظوا أشكالا أخرى للعلاقة بين الأهالي و القادمين الجدد، لكن هل يعود فقط، لطبيعة المصادر ؟ " Approches du Maghreb, T.I.p 88

الرومانية، و ظلت تنعت بأنها نازحة من الخارج، سواء كان من الشرق أو الجنوب. و تمثلت هذه القبائل أساسا في القبائل الطرابلسية و قبائل خليج السيرت، و التي كثيرا ما ارتبطت بها صورة الهجرة المشرقية نحو المغرب، مفسرا أنها تحركت بفضل ضعف الإدارة المركزية.كما أطلق مصطلح " قبائل الداخل" على تلك العناصر، التي تمت مطابقة مواقعها مع ما يسمى بالخريطة الرومانية، و اعتبرها أنها استفادت من تدهور نفوذ الإدارة المركزية، للتطور على تخوم هذه، متميزة بمرحلة وسطى بين تركيبة " المور" و تركيبة "الإفري"، فحافظت، من خلال نماذج أنتالاس على نفس معالم الموري، بما فيها الديانة الوثنية. و بالتالي فقد شكلت العلاقة بين هذه الكيانات و السلطة المركزية، رومانية كانت أم بيزنطية، أساس التقسيم الذي اعتمده هذا الباحث. إلا أنه إذا تجاوزنا حالة الانبهار، أمام القدرة على توظيف المصادر اللاتينية و قراءتها[1033]، و تريثنا في النظر إلى الموضوع بنوع من العقلانية، نجد أن هذه الصورة قد كرست فعلا عند كوريبوس، من خلال تأكيده على العناصر التي تهدد الأمن الداخلي، مثلما كرستها المصادر الإسلامية من خلال ثنائية البتر و البرانس . إلا أنها لا تعطي خصوصية هذه الكيانات حقها بمثل هذا التصنيف. فإذا اعتبرنا الأوراس من القبائل الداخلية، ألم يكن يبداس أورتاياس أو الكاهنة، يتميزون بنفس مواصفات أمير لواته؟ كيف يمكن أن ندرج مملكة ماسونا ضمن المناطق الداخلية بالمقارنة مع نعرفه عن خريطة الرومنة ابتداء من القرن الخامس؟ ما مكانة مملكة ماسونا أو إمارات إقليم الجدار التي نعرف ابتعادها عن مواقع الإدارة المركزية؟ الأمر الذي يلزمنا على الابتعاد عن التصنيف الخارجي وفق قوالب جاهزة، و السعى أكثر لفهم درجة التداخل و الاختلاف حتى داخل القبيلة أو الإمارة الواحدة. و من ثم إذا كانت طبيعة العلاقة السياسة و الجغرافية تسمح لنا برصد خرائط تموقع هذه الكيانات المورية، فاعتقادي ان ذلك ليس كافيا لموازات الأنماط المعيشية و خلفياتها الاجتماعية و الاقتصادية، لان مراحل الصراع ، و تراجع النفوذ المركزي، لعبا دورا كبيرا في حركيات تشكل هذه الجغرافيات السياسية، و بالتالي عدم ثباتها. و لعل عمليات استعراض نماذج هذه الكيانات كانت كافية لتبيان الوجه "البربري" أو "البدوي" لبعض الشخصيات مثل أنتالاس، كوتزيناس، يابداس. و نفس الشخصيات تبرز بصور مغايرة تماما في حالة تحالفها الضرفي مع الإدارة المركزية[1034].

[1033] يجب أن نسجل أهمية العمل الذي أنجزه هذا الباحث، و قدرته على تطويع النصوص اللاتينية، و البرهنة على النقص في تركيب العديد من الأطروحات التاريخية

[1034] أنظر نماذج الإمارات المورية ص ص

- **المعتقدات المورية:**

تظل إشكالية معالجة موضوع المعتقدات المورية مطروحة بحدة، كونها ترتبط أكثر بمنطق التنظيم القبلي، و الهياكل الاجتماعية المنتشرة خارج الإطار السياسي و القانوني للمدن. مما يجعلنا نتساءل في البداية عن إمكانية الاكتفاء بالقرائن الأثرية و النصوص الأدبية اللاتينية المعروفة[1035]؟ و إمكانية تزمين معالجتنا للموضوع و تحقيبها، أو إحداث قراءة عمودية، قد تصعد إلى فترات فجر التاريخ؟ إلى أي درجة يمكن توظيف الموضوع في ثنائية الصراع بين القوة المركزية، رومانية كانت أم بيزنطية، و العناصر المحلية؟ و في الواقع، فقد شكلت مصادر فترات نهاية التاريخ القديم، قاعدة للعديد من الباحثين، ليس فقط للتأكيد على استمرار الديانة الوثنية في أوساط هذه القبائل، بل كانت، أيضا بالنسبة للكثير أساسا للتأكيد على انتشار الديانة اليهودية و المسيحية. وإذا كانت مصادرنا، لا تسمح بتتبع و إحصاء كل المعتقدات المغربية، فقد يكون استعراض بعض العينات،من الأهمية بمكان، لاستقراء هذا العمق الثقافي و الديني، دون المغامرة في إعادة التنقيب عن جذور و أصول هذه الشواهد التاريخية، ليس لقلة أهميتها، و إنما رغبة في تسليط الضوء أكثر على الثنائية الاجتماعية، بخلفياتها الثقافية، عشية مرحلة الفتوحات الإسلامية.

- **الوثنية:**

يمكن الوقوف على العديد من الإشارات التي تؤكد تجذر الديانة الوثنية في أوساط المجتمع الموري، و لعل أهمها، خلال فترة دراستنا:

قبائل الجنوب حسب القديس أوغسطين

أورد القديس أوغسطين صور لبعض القبائل كانت على اتصال بالإدارة الرومانية على تخومها الجنوبية من خلال مراسلته لبيبليكولاPublicola والتي يتحدث فيها عن وثنية المور الذين يقسمون بآلهتهم أمام الحاكم العسكري للمناطق الجنوبية[1036]

نموذج القبائل الطرابلسية:

أبرزت المصادر القبائل الطرابلسية، تعبد الإله آمون Ammon الذي تمتد جذوره إلى أعماق تاريخ المغرب القديم، حيث ظل الإله الأكبر لسكان هذه المناطق التي سميت بالناسمون Nasamons ، إلى درجة اقتراح العديد من الباحثين قراءة مغرية تجعل منهم "ناس آمون" أو "

[1035] أنظر الفصل الخاص بالأوضاع الدينية

[1036] Saint Augustin, Lettre 46,1(CSEL,T34,p123) ; cf. Y.Moderan, Les Maures et l'Afrique romaine, p.514

أبناء آمون"[1037]. وإذا كان لهذا الإله جذور تاريخية بهذه الأقاليم، فإن الإله غرزيل Ghurzil قد وصفه كوريبوس على أنه ابن لآمون: "...**لقد ذكرت هذه القبائل أن والد [غرزيل هذا] هو آمون الذي يحمل القرون، وأن والدته هي بقرة متوحشة**..."[1038]. وعموما فيبدو أن عبادة الإلهين قد ظلت قائمة جنبا إلى جنب في أوساط هذه القبائل الطرابلسية[1039]. حيث اعتبرت واحة أوجيلا Augila عاصمة دينية لهذه الديانة، خاصة وأن بروكوب قد أكد في كتاب المنجزات بعد وصفه مدينة برقة أنه:"... **توجد مدينتين تحملان نفس الاسم، كل واحدة منها تدعى أوجيلا، كانتا بعيدتين عن برقة Borcium حوالي أربعة أيام سير بالنسبة لمسافرين غير مثقل بالبضائع، وذلك باتجاه الجنوب. وكانتا كلتيهما بمثابة مدينتين حقيقيتين، حافظ سكانهما على تقاليدهم القديمة، حيث كانوا جميعهم يمارسون الديانة الوثنية حتى وقتنا الحاضر، وكان هنا أيضا منذ زمن بعيد، مجموعة من التماثيل المقامة للإله آمون، وإسكندر المقدوني، كما كان الأهالي يقدمون لها القرابين حتى عهد جستنيان، و أيضا كان بها عدد كبير من الذين يدعون بالأتباع**..."[1040]. و بالتالي فبفضل موقعها، تكون مدينة أوجيلا Augila قد ظلت بعيدة عن السيطرة الرومانية، بل مركزا هاما للقبائل الطرابلسية على الأقل من القرن 4م، و بفضل معالمها الدينية هذه تكون بمثابة نقطة وصل بين سكان الناسمون Nasamons وقبائل لواته وهوارة Ilaguas, Avsturiani[1041]. كما قد يكون إلاه غرزيل Gurzil مجسدا في أحد الأصنام التي تحدث عنها بروكوب.في حين اقترح الباحث البريطاني Mattingly، من خلال اكتشافاته الأثرية بموقع غيرزة Ghirza[1042]. أن تكون هي الأخرى عاصمة دينية لهذا الإله ابتداء من القرن 4م، حيث عثر بها على نقائش تمثل طقوس دينية قدمت الثيران كقرابين. إلى جانب نقيشة تشير بدورها إلى ذبح 51 ثورا و 39 عنزة كقرابين بمناسبة احتفال ديني، كما عثر على معبد وثني كبير، يحتوي على عدد من التماثيل، إلى جانب أثار النيران التي تحملها بقايا هذا الموقع الأثري، و التي تم تأريخها بمنتصف القرن 6م، مما جعل نفس الباحث يحاول تفسير ذلك في ضوء الهزيمة التي تعرضت لها قبائل لواته Ilaguas سنة 548 على يد القائد

[1037] J.Desanges, Commentaire de Pline l'ancien, V, 33, dans C.U.F. 1980, p
[1038] Corippe, Joh., II, 110-120. V,25
[1039] "Hi mactant Gurzil, aliitibi, Corniger Ammon ," Joh., VIII, 304
[1040] Procope, de Aed., VI, 2,14,18
[1041] R. Rebuffat, Routes d'Egypte de la libye interieure, dans Studii Maghrebini, III, 1970, p. 6-7, Idem, les Fermiers du desert, dans l'Africa Romana, 5,Atti del V convegno di studi ، Sassari, 1987,N°94, p59
[1042] D.J. Mattingly, Libyan and the limes ,dans Ant. Afr. ,23, 1987, pp 89-90

البيزنطي جون تروجيتا J.Troglita[1043]. قد نجد في نص للبكري، تأكيدا على هذه العلاقة بين إلاله غرزيل Gurzil و موقع غيرزة Ghirza، وذلك في وصفه للطريق الرابط بين طرابلس وودان. " **و أوجلة قرى كثيرة فيما نخل و شجر كثير وفواكه... ومن سلك من طرابلس إلى ودان فإنه يسير في بلد هوارة نحو الجنوب في قياطن و بيوت شعر و هناك مرئيات و منازل إلى قصر إبن ميمون و ذلك كله من عمل أطرابلس ثم من قصر إبن ميمون ثلاثة أيام الى صنم من حجارة مبني على ربوة يسمى كرزة [غيرزة] و من حواليه من قبائل البربر يقربون له القرابين و يستشفون به من أدوايهم و يتبركون به في أموالهم إلى اليوم...**"[1044]. و قد نتساءل هل كانت عبادة الإله غرزيل Gurzil، خلال القرن 6م، عبادة المور في حالة الحرب فقط، أم هي أكبر المعتقدات المغربية؟ فأمير لواته Ilaguas، يارنا Ierna كان في نفس الوقت كاهنا أو خادما للإله غرزيل Gurzil وملكا على هذه القبائل[1045]، في حين وظف الأمير كاركسن Carcasan نفس الإطار الديني في خطابه عند تجنيد القبائل الطرابلسية، حيث كان يردد: " أن المساعدة الإلهية لم تتخل عنا في هذه الأراضي، فآمون لم يرض أبدا بهذا الوضع، ولا غرزيل هو الآخر، الذي يتألم لما تعرضت له قدسيته..."[1046]. وتتجلى هذه الخلفية الدينية أيضا من خلال لجوء نفس الأمير إلى كهنة الإله أمون Ammon[1047]. و قد وصف بركوب نفس الظاهرة في حديثه عن موقف المور عقب الإنزال البيزنطي سنة 533. الناتج عن تنبؤات المنجمين، مضيفا أن النساء فقط كان لهن هذا الامتياز. [1048] و رغم أن هذه العبادة لم تذكر إلا في سياق الحرب، فمن الصعب أن نقصرها على ذلك فقط. فإشارة كوريبوس بأن هذه القبائل، كانتا تمارسان طقوسا دينية وثنية أخرى، غير المخصصة للإله غرزيل، و ذلك في معابد خاصة، مثل عبادة ماستيمان Mastiman، التي وصفها بأنها عبادة الجحيم، و التي كانت تتطلب تقديم أضاحي بشرية[1049]،

[1043] نفس المرجع ص 89-90. أنظر ايضا :

D.J. Smith, " Ghirza" dans Town and Country in Roman Tripolitania, B.A.R. international Series, 274, 1985, p. 238 .O.Borgan et D.J.Smith, Ghirza: A Romano- Libyan settlement in Tripolitania Antiquities series I, Tripoli, 1985, p.262.

[1044] أبو عبيد البكري، المسالك و الممالك، ص:

[1045] Corippe, Joh., II, 109. « Ierna Ferox Tris Ductor erat Gurzilque Sacerdos ».

[1046] Coripps,Joh., VI, 114-117 .

[1047] Coripps, Joh., VII, 534-536. Y. Moderan, Berberes et Byzantins ... pp 117-121

[1048] Procope,B.V. II, 8,13

[1049] Corippus, Joh.VIII,307-309

رغم مبالغته الشاعرية، من شأنها أن تؤكد تعدد الطقوس الدينية و الآلهة، و أن بعضها قد شيدت لها معابد خاصة مثل التي ذكرها بروكوب بأوجيلا[1050].

- **مكانة الثور في هذه الديانة**

يتجلى من نصوص الشاعر كوريبوس في وصفه لأحدى المعارك: " ... **فجأة، و بواسطة عمل سحري، أطلق ثور من صفوف المور و هو الثور الذي قام الكاهن Ierna بتدريبه، و الذي بفضل الرعاية الإلهية لأمون، يجسد تنبؤات الإله غرزيل** [Gurzil] "[1051]. و قد ذهب العديد من المؤرخين في تفسيرهم لهذا النص، إلى إعتبار غرزيل بمثابة الإله الثور، في حين ربط البعض الآخر هذه الطقوس بعبادة العجل[1052]، التي اشتهر بها بنو إسرائيل. إلا أن الثور خلال هذه الفترة لم يكن في الواقع، سوى حيوان يقدم كقربان لهذا الإله، ولعل النصوص الأثرية التي اكتشفت بـــ غيرزة تؤكد ذلك، بل نجد كوريبوس نفسه يشير إلى أن المور " **يقودون الحيوانات إلى مكان التماثيل و يسيلون وديان من الدم على مقربة منه، تعظيما للإله غرزيل** [Gurzil]"[1053]. وبالتالي إذا كانت غيرزة Guirza تتمتع بكل هذه الأهمية بالنسبة للقبائل الطرابلسية، فليس غريبا أن نجد الجيش البيزنطي في حربه مع القبائل سنة 548، لم يكتف بإلحاق الهزيمة بها فقط، بل عمل على تحطيم مركز نفوذها الديني و السياسي بتخريب و حرق هذه المنطقة.

- **نموذج أنتالاس:**

استعرض كوريبوس، مراحل حياة الأمير أنتالاس، والذي كان يعتبره سبب البلاء و الاضطراب الذي عرفته بلاد المغرب[1054]. فقد أستقبل ميلاده باحتفال خاص، تمثل في توجه والده، الأمير قنفان إلى معبد الإله آمون، يحمل الهدايا و القرابين ليتبرك بهذا الابن و يحاول معرفة ما يخفيه له المستقبل. و هو أمر لا يستفيد منه إلا من كان في مرتبة العهد. و بالفعل فقد صرحت كاهنة هذا الإله. " بأن الأيام المقبلة ستشهد سقوط الوندال و تحرير المور، و أن أنتالاس سيلعب دورا استراتيجيا في ذلك.."[1055]. و بالفعل فإن سلوك الأمير قنفان من شأنه أن يحسسنا أن أنتالاس كان ولي العهد، و أن الأنظار متجهة لملك يأخذ على عاتقه

1050 Procope, B.V. VI, 2, 14-18 ; R.Rebuffat, routes d'Egypte et de Libye intérieure, Studi Maghrebini, III,1970, p .6-7. Y.Moderan, les Maures et l'Afrique romaine, p.243-245

1051 Corippe, Joh., V,25, 26

1052 A.F.El Mayer, the bull- God. Gurzil, dans Libyan studies, 13, 1982, p.49
Y. Moderan, les Maures et l'Afrique romaine ... p. 235-243

1053 Corippe, Joh., VII, 302-304.

1054 اعتبره العديد من الباحثين شخصية نموذجية قد تنطبق على أغلب الأمراء المور

1055 Corippe, Joh., III, 152-154; 87-105

مهام أمته. الأمر الذي جعله يحضى بهذه العناية منذ نشأته من بني جلدته، و مما جعل كذلك كوريبوس لا يجد عناءا في جمع المعلومات حول هذه الشخصية: "..**بعد تقديم الذبائح، و سيلان دمائها على الأصنام، كانت الكاهنة تستقرئ الأحشاء و تسألها، ثم تضع قطع اللحم فوق لهب النار المتوهجة و في جو مهيب كانت تغمس السكاكين في أجزاء جسمها فينتصب شعرها كما تبرز عيناها. ثم تنهض تدور حول نفسها و جسمها يتمايل،فيكسو وجهها إحمرار رهيب من تأثير إلهامها، بينما تنبعث من أعماق صدرها أصوات حادة، و تمتمة غامضة بكلمات متداخلة وزهيق يملأ أحشاءها.**[1056]"من الجلي أن التنبؤات التي أشار إليها كوريبوس تؤكد استمرار الديانة الوثنية

- **نموذج الكاهنة:**

أبرزتها المصادر العربية أثناء صراعها مع حسان ابن النعمان تحمل تمثالا ضخما من الخشب على ظهر أحد الجمال، مما جعل فرضية استمرار الطقوس الوثنية جنبا إلى جنب مع الديانة المسيحية[1057]، أكثر قابلية من أطروحة اليهودية التي سوف نعلق عليها لاحقا. أليست هي نفس الطقوس التي مارسها الأمير يارنا Ierna عندما كان يحمل تمثال إلاله غرزيل Gurzil على ظهر جمل إلى أرض المعركة. و قد اعتبر فنطر أن التمثال الذي تحمله الكاهنة، قد يكون لإله الحرب، أو حامي القبيلة، إن لم يكن من حفدة عشتارت[1058] Ashtart .

- **المصادر المسيحية ووثنية المور**

إشارة فيكتور الفيتي Victore de vita في نص سريع إلى أن أحد القساوسة يدعى مارتينيانوس Martinianos قد تم نفيه رفقة إخوته الثلاث، في عهد الملك الوندالي جنزريق إلى مملكة كبسوس Capsus المورية (« Gentilis rex Maurorum Capsus « Capsur) والتي يبدوا أن نفوذها كان يمتد حتى المناطق الصحراوية، كما أن سكانها ظلوا وثنين، بل يرجع الفضل إلى هذا القس لنشر المسيحية في أوساطهم[1059]. اقترح كورتوا بتحفظ امتداد هذه الإمارة، بالمناطق الجنوبية الغربية لمقاطعة المزاق[1060]. أورد سينيسيوس القريني"أنهم حرقوا الكنائس، و خربوها، و أخذوا ما وجدوه بها من حلى وأشياء

[1056] Corippus, Joh, III, 176-195
[1057] Cf : T.Lewicki, prophétesn divins et magiciens chez les bérberes médievaux, in Folia Orientalis,7,1965, p.6 ; G.Marçais, la Berberie musulmane et l'Orient au Moyen Age, p. 34
[1058] M.H.Fantar, la Kahina, reine des Berberes, dans Reppal, 3, 1987, p. 169-184.
[1059] Victor de vita, Historia persecutionis Africanae, I, 35, p. 112-113
[1060] C. Courtois, Victor de Vita et son oeuvre , etude critique, Alger, 1954, p.37 . Idem, V.A. p.340

مقدسة، تستعمل في طقوس العبادة، ليقدموها لآلهتهم"[1061]. كما ورد في مجمع قرطاج لسنة 397 إلى أن قبائل وثنية، تعترض سبيل القساوسة بين منطقة أرزوقيس Arzugis و المقاطعة الطرابلسية، و تعيق تحرك القساوسة، مما جعل موديران يتساءل إن لم يكونوا نفس القبائل الذين وردت الإشارة إليهم من طرف بيبليكولا Publicola ، في رسالته للقديس أوغسطين[1062]، حيث ذكر بأنهم كانوا يقسمون باسم آلهتهم أمام قادة المواقع الحدودية[1063]. بل تأخذ صورة المور منعطفا جديدا، عند فيكتور الفيتي V.Vita الذي ربط بين مرحلة الاضطهاد الديني و سياسة النفي، التي مارسها الوندال ضد الكنيسة الإفريقية، و ملوك المور، في كل من قفصة و طبنة، و الذين يبدو من حديثه أنهم تكلفوا، باستقبالهم و الإشراف على تنفيذ هذه السياسة بكل وحشية[1064].

- **انتشار المسيحية في أوساط المور**

وفرت لنا النصوص الأثرية، عددا من الشخصيات التي يمكن اعتبار، دخولها المسيحية، مرحلة جديدة في تبلورها السياسي، إلا أن غياب التسميات المورية من قوائم المجامع الدينية[1065]، رغم تعدد الأبرشيات الممثلة، و التي لم تكن كبيرة أو معروفة، يجعلنا نتساءل عن طبيعة العلاقة بين الموروث الثقافي الموري و إمكانية الإقبال على الديانة المسيحية، هل الواحدة تنفي الثانية، وإن كانت الثانية تفترض تحولا ثقافيا، هل يبدأ ذالك بالحالة المدنية، و إلا كيف نفسر هذا الغياب الموري من الهرم الكنسي، و تسرب أسماء مورية في الهرم السياسي و العسكري؟ مثل عائلة نوبل أو ماسونا و ماستياس. حيث اعتنى هذا الأخير على التأكيد بأن الله قد باركه في أعماله، وكان بجانبه دوما في إنجازاته، الأمر الذي شكل إجماعا حول الخلفية المسيحية التي كان يرتكز عليها هذا الملك، خاصة وأن الباحث موريزوا قد أكد على وجود صليب ضمن النقيشة[1066]. و إذا كانت العديد من المعاينات الأثرية قد أكدت على انتشار المخلفات الكنسية في منطقة الأوراس، فلدينا نص لكوانفولدوس

[1061] Synésios de Cyréne, Catastase II, ed.Terzaghi, Rome,1944,p 290
[1062] moderanp514
[1063] Saint augustin
[1064] Victor de vita, Historia persecutionis Africanae, I,33-36, p.111-113
[1065] يبدو أن مجمعا دينيا للقساوسة الكاثوليك قد انعقد عند قبائل المزاسيMazaci بنوميديا في حياة القديس أوغسطين، أنظر: Y.Moderan les Maures et l’Afrique romaine, p.467, 515.
[1066] P. Morizot, Pour une nouvelle lecture de l'Elogium, ... p.277

القرطاجي Quendvuldeus، صورة لواقع مغاير[1067]، حيث أشار أنه لاحظ بنفسه سكان منطقة الأباريتاني و قساوستها، يخفون تماثيل قديمة، في المغارات، و يستعملونها خفية[1068]. مما يجعلنا نعتقد أن الديانة الوثنية قد ظلت متجذرة في أوساط المور، و إن الإقبال على الديانة المسيحية لم يكن إلا سطحيا. و لعل ثورة كوانفولدوس، كانت أكثر بالنسبة لقساوسة المدينة الذين يبدو أنهم انجروا وراء الممارسات الدينية الوثنية، لسكان المنطقة[1069]. كما وظف كامبس Camps نقيشة "ملك الأوكوتوماني" للتأكيد على احتوائها على هذه الثنائية الدينية و السياسية، فضلا عن تبنيها الخطاب اللاتيني[1070]. كما يبدو أن القديس أوغسطين كان يربط بين خضوع هذه القبائل للإدارة الرومانية و إقبالها على الديانة المسيحية، مما يجعل القبائل الخارجة على النفوذ الروماني، لا تسير فقط من طرف ملوكها، و أنما أيضا لا علاقة لها بالمسيحية[1071].

- **سياسة الكنيسة تجاه المور:**

إن دراسة النصوص التشريعية التي صاحبت الحملة البيزنطية، تجعلنا نكاد لا نفرق بين الرغبة في توسيع الحدود الجغرافية، و بسط الهيمنة العسكرية، و بين نشر المسيحية، فصورة الإمبراطورية المسيحية، التي طالما ركز عليها جستنيان، تدعونا أيضا للتساؤل على إمكانية الوقوف على سياسة تبشيرية، خارج النطاق المرومن، أو الخاضع للنفوذ المركزي؟ هل يمكن العثور على دلائل تؤكد سعي الكنيسة الرسمية، و محاولتها نشر المسيحية في الأوساط القبلية؟ أم أن فكرة الإقصاء، و التفرقة بين العالمين المختلفين، كانت هي القاعدة؟ و كيف نفسر تجلى بعض الأمراء بصورة " الأمير المسيحي" أو تأكيد بعض المصادر على تحول عدد من القبائل إلى المعتقد المسيحي؟ فمثلا تحدث المؤرخ الإسباني ج.دي بيكلار J.de Biclar[1072]، عن الأمير غرمول باعتباره "ملك قوى"Fortissimus rex" على رأس شعب المكوريت Maccuritae ، الذي يبدو أنه اعتنق المسيحية في حدود 569م[1073]. كما وردت إشارة في نص للقديس جريجوار الكبير Gregoire le Grand بعث بها إلى هذا القائد، يهنئه

[1067] أشرنا في الفصل المتعلق بالأوضاع الدينية ص: ،،،، نصا أخر لنفس المؤلف يصف فيه استمرار معبد كايلستيس، و استمرار نفوذ الوثنيين في قرطاج

[1068] Quodvultdeus, Livre des promesses et des prédictions de dieu, III,45, p.579

[1069] Desanges, Abaritana ou Avaritana provincia, Enc.Ber.T1.Aix,1984, p57 ; Idem, Une mention des Abaritani dans Arnobe ?, dans Mélanges M.LeGlay, Bruxelles, 1994, p.95-99.

[1070] Camps (G), "Rex Gentium Maurorum et Romanorum, p.199-200 : « (in pa)ce + (christi) in monti Mux / (Dei s) erbus et rex gentis Ucutaman(orum)

[1071] St.Augustin , Lettre, 199,XII, 46(CSEL T.57, p.284-285)

[1072] J. de Biclar, Chronique, I, 3, a 569. G. Caggero, I Mauri nella storiografia del tardo impero, l'Africa Romana، Atti del VII convegno di studi sassari 17-5 ،Dec,1989, T7, p. 307

[1073] J.de Biclar, Chron. a569. I,3

فيها،بعد انتصاره على هذا القائد، و يذكره بأن الحرب " لم تكن من أجل سفك الدماء، و إنما من أجل توسيع حدود البلاد المسيحية ... و حتى ينتشر اسم المسيح، بين كل الأمم الخاضعة.. "[1074]. وقد ربط غوبير P. Goubert هذه الأحداث، بنص للقس يوحنا دي نيكيو Jean de Nikiou يتحدث فيه عن انتصارات القائد قيناديوس Gennadius سالفة الذكر[1075]. وقد نستشف من هذين النصين الأخيرين، أن المور الذين كان يحاربهم القائد العام للجيش "قناديوس" لم يكونوا مسيحيين. و يجب البحث عن فترة اعتناقهم المسيحية، بعد الانتصارات البيزنطية، كما يتجلى من مراسلة أخرى، إلى جانياريوس، قس كاغلياري Cagliari بسردينيا، و التي يحثه فيها على ضرورة توجيه العناية بنشر المسيحية في أوساط الفلاحين الذين لا زالوا وثنيين، تكرس نفس الثنائية[1076]، طبيعة الحد الجغرافي لتتدخل الكنيسة، و بالتالي طبيعة الارتباط بين فكرتي انتشار الرومنة، و انتشار المسيحية. و مع ذلك فقد وردت بعض الإشارات التي تربط بين استتباب الأمن و انتشار المسيحية، فقد علق بروكوب أن مور الطرابلسية بدؤوا يدخلون المسيحية بفضل جهود جستنيان[1077]. بينما اعتبر جون دي بيكلار J.de Biclar أن قبائل الغرامانت بالفزان فضلا عن كونهم قد تحالفوا مع الرومان، فقد دخلوا في نفس الوقت في المسيحية[1078]، و لعله نفس الأمر بالنسبة لقبائل الماكوريتاي الذين بعثوا كعربون صداقتهم للإمبراطور البيزنطي جستين الثاني، وفدا يحمل أنياب الفيلة و زرافة[1079]. إلا أنها إشارات إلى خضوع هذه المناطق أكثر من أي أمر آخر.

- **انتشار اليهودية في أوساط المور:**

يعود مصدر هذه الأطروحة للمصادر الإسلامية، و بدرجة أخص لنص ابن خلدون، الذي كثيرا ما حمل أكثر من طاقته: الأمر الذي يلزمنا الانطلاق قبل استعراض أطراف هذا الطرح: "...**وكذلك ربما كان بعض هؤلاء البربر دانوا بدين اليهودية أخذوه عن بني إسرائيل عند استفحال ملكهم، لقرب الشام و سلطانه منهم كما كان جراوة أهل جبل أوراس قبيلة الكاهنة مقتولة العرب لأول الفتح** "[1080]و يكمل الفقرة

[1074] Grégoire le Grand, Lettres,... 1,73
[1075] P. Goubert, Byzance avant l'Islam, p183
[1076] Grégoire le Grand, Lettres .., 3,59
[1077] Procope, de Aedificis,VI,4,12)
[1078] J. De Biclar, Chronique p 212, cf A,Di Vita, la diffisione des cristianesimo nell'interno della Tripolitania... dans Quaderni di Archeologia delle Libia,5,1967,p.121-142
[1079] J.de Biclar, année 573
[1080]ابن خلدون ، كتاب العبر ،م6 ص 108.

"...فكان البربر بإفريقية و المغرب قبل الإسلام تحت ملك الفرنج و على دين النصرانية الذي اجتمعوا عليه مع الروم"[1081].

و قد وجدت هذه الأرضية مجالا للعديد من الأطروحات، انطلاقا من سلوشز N .Slouschz[1082]، سيمون M.Simon[1083]، أو هيرشبارغ W. Hirschberg [1084]. الذين وظفوا هذه المرحلة من التاريخ القديم للتأكيد على تجذر الديانة اليهودية، و اقتراح علاقة ما بين ما سجلته المصادر من يهودية جبل نفوسة، و قبيلة جراوة، بل ذهب البعض إلى ربط صورة غرزيل عند كوريبوس، بطقوس عبادة العجل المعروفة عند بني إسرائيل[1085]. و إذا كان كورتوا قد علق على التشابه الموجود بين اسم يابداس -يوداس Iaudas-Iabdas و بين الاسم اليهودي Judas، بدون أن يذهب أبعد من ذلك[1086]. قد اعتبر غوتي Gautier، أن قبيلة جراوة التي تنتمي إليها الكاهنة أثناء القرن 7م هي قبيلة يهودية، و أن عددا من سكان الأوراس في نهاية التاريخ القديم هم من البربر الرحل ذوو الأصل اليهودي، القادمين طبعا من المناطق الشرقية[1087]. بينما أوضح محمد طالبي، أن إمكانية أو احتمال اعتناق مجموعة من القبائل البربرية الديانة اليهودية يمكن أن يعود إلى زمن بني إسرائيل، و أن قبيلة جراوة من المحتمل جدا أن تكون مسيحية خاصة و أن زناته القبيلة الأم قد ناصرت البطريق جريجوار Patrice Grégoire في بداية الفتوحات الإسلامية[1088]. بل أكد مؤخرا محمد حسين فنطر على طابعها الوثني من خلال حملها لهذا التمثال الخشبي أثناء دخولها المعركة،[1089] إلا أن فتح ملف هذه الشخصية يوفر لنا أيضا أدلة أخرى على مسيحيتها، في نفس المصدر.[1090] مما يجعلنا ننظر إلى النص على أنه فسحة تاريخية، في أصول البربر، مثلما كان شائعا في المصادر الإسلامية، أكثر منه إشارة إلى حدث أو معلومة تاريخية مضبوطة في المكان و الزمان.

[1081] نفس المصدر ، نفس الصفحة
[1082] N.Slouschz, Judéo-Hellénes et Judio-Berbéres, Paris, 1909, p 163-166.
[1083] M.Simon, le judaisme berbére dans l'afrique ancienne, dans Recherches d'hisoire judéo-chrétienne, Paris, 1962, p.74-75.
[1084] H. Z. (J. W.) Hirschberg, The Problem of the Judaized Berbers, *The Journal of African History*, Vol. 4, No. 3. (1963), pp. 313-339.
[1085] A.F.El Mayer, the bull- God. Gurzil, dans Libyan studies, 13, 1982, p.49 ; Y. Moderan, Les Maures et l'Afrique romaine, p.
[1086] C. Courtois, V.A. p.341, N°7, p.342
[1087] E.F. Gautier, Le passé de l'Afrique..., pp. 255-256
[1088] M. Talbi, un nouveau fragment de l'histoire de l'occident Musulman (26-196/ 682-812), l'epopée d'al-Kahina, Cah. Tun. N° 73/74.
[1089] M.H.Fantar, la Kahina, reine des Berberes, p.169-184.
أنظر ص .... الهامش رقم:.... و في الواقع قد نقارب هذه الصورة بما سجلته المصادر حول شخصية أمير لواتة، يارنا، الذي يبدو أنه كان يحمل نفس التمثال.
[1090] ابن خلدون، كتاب العبر، ص 108

- **المور و الحضارة الرومانية**

هل يمكن الخروج بتصور يختلف عن هذه الجدلية التقليدية التي تضع دوما المور ضمن ثنائية السهل و المرتفع، أو البدو و الحضر، إن لم تكن المسيحية و الوثنية، هل يمكن أن ندرس هؤلاء المور لذاتهم، وتحسس طبيعة علاقتهم بالحضارة الرومانية؟ دون خلفية التفوق التي طالما ميزت الدراسات الأوربية. وأمام تكرس "الاختلاف الموري" الذي طل حاضرا في الكتابات التاريخية، و تطرف المدرسة الاستعمارية التي وجهت بطريقة أو بأخرى أصابع الاتهام للمور، حول تقهقر الحضارة الرومانية بإفريقيا، هل يمكن أن نرسم صورة تتجاوز الزمن البيزنطي، و مصادر القرن السادس؟ و رغم صعوبة التخلص من الركام الاستعماري، فقد تجلت العديد من الكتابات الوطنية و الأجنبية، تحمل أطروحات جديدة، و تحاول إبراز الوجه الآخر للرومنة مثل دراسة بن عبو، فيفري أو كامبس و التي بلورت خطابا تاريخيا يضع موضع الشك أغلب الأطروحات السائدة، و يثمن فكرة الأصالة المحلية، أو دراسة الأستاذ شنيتي حول انعكاسات هذه السياسة الرومانية، كما ظهرت أخيرا دراسة قيمة لموديران حول المور و إفريقيا الرومانية، أثبتت عقم العديد من النظريات التاريخية المتوارثة. إلا أن تجربة البحث خلال هذه الفترة المحدودة، تجعل من الضرورة بمكان، التعامل مع موضوع المور، من خلال قراءة عمودية خلال مختلف أحقاب التاريخ القديم، كمحور أساسي، بعيدا، طبعا، عن محاولات التنظير الإيديولوجية، بتوظيف مختلف أنواع القرائن و المناهج، و ضبط و تدقيق المفاهيم، التي كثيرا ما يجد الباحث المبتدأ نفسه أمامها، بل يصعب تجاوزها. فمن بين المشاكل التي يمكن طرحها، ما علاقة المور بالحضارة الرومانية، أو بصيغة أخرى هل للمور دور في هذه الحضارة الرومانية، و هل ما ينعت بالأفارقة ينطبق بالضرورة على تلك التركيبة الوافدة في إطار الهجرة الاستيطانية الرومانية، و احتوائها للجغرافية الفيزيائية دون العنصر البشري؟ أم أن تفاعل هذه العناصر لم يكن بالجغرافية الطبيعية فحسب، و إنما أيضا كان من خلال حركية تأثير و تأثر بالعنصر البشري المحلي؟ و إذا كان لنا أن نتساءل بدورنا عن مكانة المور الحقيقية، في هذه المرحلة الحرجة من التاريخ القديم، فيجب أن نتساءل أولا عن طبيعة الاستقرار البشري، عن تركيبة السكان داخل المدن و الأحياء، و عن ميكانيزمات التحولات الثقافية و المدنية التي واكبت ذلك. كما يجب أن نتساءل أيضا، مثلما فعل موديران[1091]، عن مكانة الاحتلال البيزنطي نفسه من تطورات الأوضاع الإفريقية، ألم تكن الإدارة البيزنطية هي التي أخلت بالتوازن الذي ظل يترسب بين

[1091] Moderan, les Maures et l’Afrique romaine, p817

هياكل الإدارة الرومانية، و هؤلاء المور، و ذلك بمحاولتها القضاء على كياناتهم، دون معرفة حقيقية بالواقع الإفريقي؟

فإذا كانت النصوص و المصادر الأثرية، رغم قلتها، تسمح بمعاينة نموذج من المجتمع، يتبنى الحرف اللاتيني، و الإشهار السياسي على الشاكلة الرومانية، مثلما يوحي بإقباله على الديانة المسيحية، فإلى أي حد يمكن تعميم هذه الظاهرة؟ و هل يمكن إدراجها كنماذج لتطور اجتماعي يجمع بين الموروث القبلي و موروث المدينة؟ أم مجرد طفرات سياسية محدودة في الزمان و المكان.

- **العلاقة بالمدينة :**

كثيرا ما اعتبرت المدينة الواجهة التي ميزت الحضارة الرومانية، إن لم تكن المصطلح المرادف لها، و هو الأمر الذي جعل غالبية الباحثين في تناولهم لعلاقات الصراع مع العناصر المحلية، يعتبرها اهم مقاييس درجة الرومنة في الأقاليم. إلا أنه بقدر إقرارنا بكثافة العمران و انتشاره على نطاق اوسع من أي مقاطعة رومانية أخرى، بقدر ما ظل اعتبار العنصر المحلى خارج هذه العملية و بعيد عنها. ورغم أن المصادر اللاتينية لم تترك لنا ، في غالب لحيان، سوى الصور السياسية للتنظيم القبلي[1092]. فإن تفحص بعض النماذج الأميرية، مثل يبداس، ماستياس أو كوتزيناس و أنتالاس، يجعلنا مثلما نقر بارتباط هذه الشخصيات بأقاليمها الجغرافية، منذ زمن بعيد، نقف على تأثرها و لو بدرجات متفاوتة بالحضارةالرومانية و الديانة المسيحية، فكوريبوس قد سجل أن كوتزيناس فضلا عن كونه من أم لاتينية، كان يتحدث هذه اللغة أيضا، نفس الأمر بالنسبة للشخصيات التي تركت نصوص و نقائش على الشاكلة الرومانية. إلا أنه في نفس الوقت لا يمكننا نفي استمرار أساليب التنظيم الاجتماعي التقليدية. و إذا كان فيفري قد اعتبر أن مصطلحي المور و الأفارقة، لم يكونا سوى وجهين لعملة واحدة، و أن التفرقة بين هذا و ذاك قد تعود ببساطة لدرجة العداء و الصراع التي ميزت كل منهما بالنسبة للامبراطورية[1093]. فقد ذهب مؤخرا موديران الى اعتبار أن الموروث التقليدي المتمثل في القبيلة و تضاده مع منطق المدينة، بمفهومها السياسي الروماني Polisهو اساس التفرقة التي ظلت تميز المور عن الأفارقة و الرومان[1094]، و بالتالي فمهما كانت مكانة الاندماج السياسي، فطالما ظلت هذه الكيانات مرتبطة بمنطق

[1092] لا يمكننا رسم صورة متكاملة المعالم عن التنظيم السياسي و الاجتماعي للقبيلة أو الإمارة، و ما الصورة الباهتة التي تركتها المصادر إلا انعكاس لمنطق الصراع، اكثر منه تأكيد لنمط معيشي ثابت.

[1093] PAFévrier, Le Maure Ambigu….p 291-304

[1094] Moderan, les Maures et l’Afrique romaine, op cit p 418-420

القبيلة فهي أبعد من تحمل الموروث الروماني، و لعل هذا الطرح يجعلنا نتساءل: هل ظلت القبيلة تطارد المدينة و تلاحقها في بلاد المغرب ، و البداوة تصارع الحضر ؟ و هل يمكن اعتبار التضاد مجرد استرداد لواقع معيشي ظل محافظ على نفس مواصفاته الثقافية ؟ أم أنه بناء جديد؟ أو أن الظاهرتين متوازيتان دون أن تؤثر إحداهما على الأخرى؟

- **المور و المصادر الإسلامية**

إذا حاولنا تجاوز إطارنا الزمني، فصورة الحياة الاجتماعية التي تبرزها المصادر الاسلامية، بقدر ما تكرس المنطق القبلي على شاكلة القبائل العربية بشبه الجزيرة العربية، فهي تحمل اشكاليات جديدة، بالنسبة لمؤرخ التاريخ القديم، على الأقل. فالغياب الكلي لمصطلح " المور" و تعويضه في المصادر بمصطلح "البربر" [1095].في نفس الوقت الذي استمرت فيه العديد من المصطلحات اللاتينية الأخرى، مثل الأفارق، الروم، أو أسماء المدن و المواقع، مع نسبة معينة من التحريف، و التي أساسا، قد تعود لطبيعة الانتقال اللغوي، و خصوصيات الحروف الصوتية و الصامتة. يضاف إلى ذلك غياب كلي للخلفية التاريخية القديمة، في النصوص العربية، فدون الحديث عن أسطورة أصل البربر و العودة بهم إلى جالوت و أبناء نوح، على نمط أسطورة بني اسرائيل، و التي نجدها تتكرر في أغلبية المصادر[1096]. لا نجد إشارة لأي كان من الممالك النوميدية، أو لشخصيات في الفترة الرومانية، بل حتى الإمارات المورية المعروفة من خلال مصادر القرن السادس، نجدها هي الأخرى غائبة في هذه النصوص. مما جعل بعض الباحثين يتساءلون[1097]، عن امكانية حدوث تحول اجتماعي كبير، يكون قد حصل خلال هذه الفترة الانتقالية، دون ان ترصده لنا المصادر أو تنبهنا إليه؟ كبديل للصورة التي تعتبر أن هذه المصادر قد استقت مادتها من نصوص مشرقية، و أن هاجسها الأول هو تتبع الفتوح، فطابقت مجتمع بلاد المغرب على المجتمع المغربي. في حين شكلت الثنائية الاجتماعية ل "البتر" و "البرانس" قاعدة مغايرة لمؤرخي مراحل التاريخ الاسلامي، تبرز قبائل المغرب متجذرة في مراحل التاريخ القديم، متنوعة المشارب، و إن عادت حسبها دائما، إلى اليمن أو فلسطين، متعددة العناصر والتفرعات، بتسميات تحمل النكهة العربية أو المعربة. ومع ذلك فيمكن تحسس بعض الأصداء القديمة في هذه النصوص العربية، مثل لواتة، التي أبرزناها باسم لوفاتايLevathae أو إيلاقواسIllaguas ، أو هوارة

[1095] قمت بتجربة بسيطة من خلال موقع الوراق الشهير سمحت لي بالوقوف كم مرة على كلمة بربر في حين غاب مصطلح المور نهائيا

[1096] أنظر الجدول رقم الخاص بأسطورة اصل البربر

[1097] Moderan, les Maures et l'afrique romaines, p 695

التي تجلت عند كوريبوس باسم الأستورياني Austuriani، أوكتامة من خلال تسمية الأوكوتوماني Ucutumani.

إلا أنه بعيدا عن الخوض في موضوع قد يحتاج إلى جهد كبير لجمع شتاته، و الذي لا أنفي أن قراءة التاريخ الاجتماعي من خلاله، كبيرة الأهمية. فان الصورة الاجتماعية التي تكرسها المصادر الاسلامية، تثمن عددا من الخلفيات ذات الحضور في نهاية التاريخ القديم، أهمها استمرار المنطق القبلي و تنظيم الحياة على اساسه، حيث تسمح القراءة السريعة لهذه المصادر بالوقوف على أهمية الروابط الدموية، و تحالفات الزعامات المحلية. و استمرار الوثنية و المسيحية جنبا إلى جنب، ليس في المدن فحسب، بل حتى في الأوساط القبلية [1098].

[1098] أنظر بهذا الصدد

المدن و العمران

أولا: المصادر:

كثيرا ما امتزج الحديث عن الحركة العمرانية التي شهدها الفترة البيزنطية ببلاد المغرب، بسلسلة التحصينات العسكرية من قلاع وحصون، إلى درجة ان أصبح يصعب التفرقة بين هذه وتلك، ولعل طبيعة الموروث الذي ميز الفترة البيزنطية قد ساعد على تفاقم هذه الصورة، الى درجة التساؤل هل فعلا يمكن الحديث عن عمران وحياة عمرانية لهذه المرحلة؟ أم يجب الاكتفاء بصورة التحصينات والمنشآت العسكرية وموازاتها بالموروث العمراني الروماني؟ ما هي المقاييس التي يمكن تطبيقها للوقوف على طبيعة هذا العمران؟ وإلى أي درجة يمكن تقبل بعض المصطلحات أو وضعها في سياقها التاريخي؟ فمثلا هل ظل معنى المدينة قائما بمواصفاته التشريعية والهيكلية ؟ وهل استمرت المؤسسات المحلية لتسيير المدينة بنفس الصيغة؟ ونفس التساؤلات يمكن طرحها باتجاه معاكس، أي علاقة هذا الموروث بكل تراكماته، مع طبيعة استقرار الفترة الاسلامية، وإلى أي حد يمكن الوقوف على معطيات تسمح لنا بمعرفة مدى استعمال الهياكل البيزنطية في حركية الفتوحات الاسلامية وبناء كيانها الأولي؟

لقد وجدنا أنفسنا ننطلق من نفس الأرضية المعلوماتية لطرح اشكاليات مختلفة، بل مجبرين على توظيف نفس المادة الخبرية في محاولات الاجابة على تساؤلاتنا، وهذا طبعا في انتظار امكانية القيام بحفريات أثرية دقيقة مثلما جرت في بعض المواقع التونسية مؤخرا. وعموما فهذا الموضوع أيضا يطرح العديد من الصعوبات، رغم أهميته في فهم تطورات وتفاعلات الخريطة المغربية أثناء فترة الاحتلال البيزنطي وما بعدها، لاسيما وأنه ظل من اهم المقاييس التي تم من خلالها محاولة تفسير الفترة الانتقالية بين نهاية التاريخ القديم والتاريخ الوسيط[1099]. فقد تميز الخطاب التاريخي الذي نقلته لنا المصادر الأدبية بامكانية استعماله في صورتين متقابلتين، الأولى تطنب في ربط حركة الإحياء العمراني بالمرحلة الجستنيانية واعتبار الامبراطور شخصيا، المحرك الأساسي، ليس فقط لاسترجاع الممتلكاات الرومانية، بل أيضا في إعادة الحياة للمدن مثلما كانت في مجدها[1100]. بينما تكشف الثانية عن طبيعة المصاعب

[1099] اعتبرت هذه المرحلة بمثابة فترة القطيعة بين مرحلتي التاريخ القديم و الوسيط، انطلاقا من الخلفيات الإيديولوجية والحضارية أكثر من دراسة ميدانية موضوعية لمواضع الاستقرار.

[1100] في حوزتنا العديد من النصوص الأثرية التي تكرس فكرة البناء أوالترميم برعاية الامبراطور جستنيان شخصيا، وتنفيذ الحاكم العام. بل لدينا أمثلة أخرى عن مدن تحصل على الاسم الامبراطوري، كقرطاج الجستنيانية، أوزابي الجستنيانية...أنظر لاحقا

التي واجهت المشروع البيزنطي والحروب التي اضطر جستنيان خوضها[1101]، فضلا عن التضحيات المادية والبشرية التي تم تقديمها، وليس أدل من كتاب التاريخ السري لبروكوب للوقوف على الوجه الآخر لصورة جستنيان وامبراطوريته[1102].

كما سمحت المصادر الدينية بالوقوف على عدد كبير من المواقع ضمن الخريطة العمرانية[1103]، جعلت الكثير من الباحثين يطبق معادلة رياضية بسيطة مفادها أن كل **قس = أبرشية** وكل **أبرشية= مدينة**[1104]، رغم كل ما شكلته هذه المعادلة من مخاطرة أومبالغة في عدد المدن والمواقع العمرانية، باعتبار أن بعض المدن كانت تحتوي على أكثر من كنيسة أورجل دين، وأن هذه القوائم لا تعطي أية فكرة عن طبيعة هذه المدينة، حجمها، أومكانتها من الناحية العمرانية. ومع ذلك فتبقى أهميتها كبيرة في مطابقة العديد من التسميات لا سيما وأن عددا منها لازال لحد الأن غير معروفا[1105]. أما بقية المصادر الأثرية، فمثلما تعرضنا لذلك في الفصول السابقة، رغم حجمها الكبير، مقارنة بالمصادر الأدبية وتنوعها، فانها لا تسمح أبدا باستكمال صورة الحياة العمرانية[1106]. وما في حوزتنا من تقارير ودراسات يرتبط أكثر بجانب التحصينات والمنشآت العسكرية[1107]، وما دون ذلك فهو يتعلق بالآثار المسيحية بما فيها الكنائس والأبرشيات[1108]. فقلما وجدنا عناية أثرية لتتبع طبقات الاستقرار البشري لما يسمى بالطبقات المتأخرة من التاريخ القديم[1109]. وبالتالي تبقى

[1101] يشكل كتاب الحروب لبروكوب دليلا كافيا، للتأكيد على أن عملية الاسترجاع التي تغنت بها نصوص جستنيان، لا تعكس الحقيقة ميدانيا، بل أبرزت الدراسات النقدية أن ما أسماه بروكوب شخصيا بحرب الوندال " Bellum Vandollorum" كان من الأفضل تسميته بالحروب المورية، لأن الصراع استمر لفترة أطول، بعد سقوط المملكة الوندالية. أنظر: Av.Cameron, Procopius and the sixth century, Londres,1984

[1102] Procope, Histoire secréte,Trad.P.Maraval,Paris,1990

[1103] Ch.Saumagne, Etude sur la propriété ecclésiastique à Carthage, p.77-87.

[1104] S.Lancel, Evechés et cités dans les provinces Africaines (III-Ve Siècles), dans l'Afrique dans l'occident Romain, Ier siecle Av.J.C-IV siecle Ap.J.C. Collecion EFR, 134 ; J.Mesnage, L'Afrique chrétienne.

يجب الإشارة إلى أن ماير Maier قد نشر أكثر من 450 أبرشية في دراسته خلال فترتي الاحتلال الوندالي والبيزنطي:

J.L.Maier, l'épiscopat de l'Afrique romaine, vandale et byzantine, p.85-91.

[1105] I.Gui, N.Duval et J.P.Callet, Basiliques chrétiennes d'Afrique du Nord, Iventaire d'Algerie, 2 tomes , Etudes Augustiniennes,N° 129-130, Paris, 1992 ; N.Duval, Une nouvelle édition des listes épiscopales africaines, Rev.des Etudes Augustiniennes,20,1974,313-322.

[1106] تبقى الصورة التقنية للمنشآت العسكرية البيزنطية أكثر ما يشكل المادة الخبرية لهذه الفترة

P.A.Fevrier, Approches récentes de l'Afrique Byzantine, ROMM,35,1981,1, p.25-54

[1107] Ch.Diehl, rapport des deux missions archéologiques en Afrique du Nord (1892-1893) dans nouvelles archives des mission,4,1893, p285-434 ; D.Pringle, The Defence of Byzantine Africa.op.cit ; J.Durliat, les dédicaces des ouvrages de defense..op.cit

[1108] I.Gui, N.Duval et J.P.Callet, Basiliques chrétiennes d'Afrique du Nord ,2 tomes.

[1109] تظل الدراسة التي أنجزها فيفري في سطيف، وديفال في سبيطلة نموذجيتين في امكانية تتبع المراحل المتأخرة من التاريخ القديم، ولومن خلال معطيات مغايرة لفترات التاريخ الروماني الأخرى.

الدراسات المعاصرة، رغم جاذبية هذا الموضوع واحتلاله مكانة هامة في الإشكاليات التاريخية الحالية، تعاني من صعوبة الخوض فيه مباشرة، واللجوء لمقاربته من خلال إشكاليات جانبية[1110]، أومن خلال جغرافية متقطعة إن لم تكن انتقائية.

– إشكاليات دراسة الموروث المعماري

وعموما فأمام أعمال ديل Diehl وكورتوا Courtois ظلت أغلبية الدراسات مرتبطة باشكاليتين أساسيتين: تمثلت الأولى في دراسة القلاع البيزنطية وطابعها التقني والعسكري، واعتنت الثانية بدراسة المنجزات والهياكل الدينية المسيحية. فأبرزتا في صورة اعادة توظيف نفس المساحة العمرانية القديمة بمستويات متفاوتة من الاختزال وإعادة توظيف مواد البناء المختلفة، مما يدعوالى الاعتقاد بانهيار معالم الحياة العمرانية التقليدية. ورغم أن هذين الموضوعين قد جلبا اهتمام العديد من الباحثين، فلم تعالج البتة هذه المنشآت في شكلها العمراني أو في سياق أوسع، بل ظلت تتعامل معها فقط كوحدات منفصلة[1111]. مما جعلنا دوما في مواجهة التساؤل الأساسي، المتعلق بمكانة هذه المعالم المكتشفة من النسيج الحضري، هل كانت تشكل جزءا من هيكل المدينة، أم أنها وجدت منفصلة يتيمة؟ وهل يمكن تشكيل تصور أوضح حول كيفية انتقال هذه المدن من مظاهرها القديمة ومواصفاتها الرومانية العتيقة ، إلى المدن التي كثيرا ما تنعت بالوسيطة أو الإسلامية؟ إلى أي درجة يمكن الوقوف على هذه الاستمرارية في المدينة؟ بل هل استعمل المسلمون نفس المؤسسات واستغلوا نفس المساحة العمرانية؟ ما هي الهياكل التي يفترض أنها ظلت قائمة خلال العصور الأولى من الفتوحات الاسلامية؟ ومع أن قائمة التساؤلات في هذه المجال مفتوحة، فالاجابة معلقة إلى حين.

[1110] لعل أحسن نموذج هوالرسالتين اللتين نوقشتا مؤخرا في فرنسا، حيث كانت الأولى تحت عنوان:

Ridha Ghaddhab, le fait urbain en Afrique du Nord, De la ville du Bas-empire à l'agglomération médiévale A travers des exemples Tunisiens, 3 tomes, Bordeaux. 2002(dacty)

أما الثانية فقد نوقشت في نانتير تحت عنوان:

M.Bennabes, l'Afrique byzantine face au arabes, dir Cl.Lepelley, ParisX, 1992

وفي كلتا الحالتين نجد أنفسنا أمام جدول زمني قد يعود إلى القرن الثالث ميلادي إلا أنه يصبح متقطعا ابتداءا من القرن الخامس ميلادي،أوالإكتفاء بالنماذج التونسية لا سيما منها المتعلقة بالولاية البروقنصلية، واعتقادي أن دلك لا يعود إلى تقصير الباحثين بقدر ما يعود إلى صعوبة المادة الخبرية، خاصة بالنسبة لكل من نوميديا والموريطانيتين

[1111] رغم أهمية الدراسة التي أنجزها لاسوس حول تيمقاد، إلا أنها لم تتمكن من معالجة اشكالية الاستقرار البيزنطي بمنطقة الأوراس. بل حتى علاقتها بمدينة تيمقاد نفسها، وربما يعود الفضل لفيفري لطرح مثل هذه التساؤلات بطريقة أكثر دقة، أنظر:

P.A.Fevrier, approches de l'Afrique byzantine, p. 27-53

وبالتالي إذا كان من باب المستحيل الاجابة على هذه التساؤلات، دون المغامرة في حفريات علمية جديدة، فان محاولة رصد بطاقيات لعدد من المواقع، تشمل المعطيات التاريخية والأثرية، بما فيها النصوص والقياسات المختلفة، من شأنه تقريب الصورة وتجاوز هذا العقم المرحلي. فمهما كانت صعوبات هذا الموضوع فقد حاولنا جرد مختلف الإشارات المتعلقة بمظاهر العمران، والتي تحمل مواصفات المرحلة البيزنطية، بما فيها المنشآت الكنسية والدينية، للمنطقة الأقل دراسة لحد الآن وهي نوميديا وموريطانيا السطائفية، وهوالنطاق الذي يشمل منطقة الشرق الجزائري.

ولعله من الضروري أولا، ضبط بعض المصطلحات التاريخية حول المدينة، مفهومها، مساحتها، إطارها السياسي والتشريعي، قبل الخوض في معالجتها خلال فترة اهتمامنا. فحسب المصادر المتعلقة بالموضوع، يمكن اعتبار مصطلحات civitas, oppidum, polis كمفاهيم تؤدي الى نفس التعريف للمدينة، لكونها أصلا ترتبط بالمؤسسات البلدية التي تمتلكها، بالفعل الإداري الذي تمثله مجالسها أوشخصياتها، أوبطبيعة الخدمات العمومية التي تنجزها[1112]. كما أنها تعرف بناءا على وضعيتها القانونية وهياكلها المعمارية[1113]. حيث يمكنها مراقبة ورعاية عدد من القرى والأقاليم المحيطة بها، مهما كان حجمها أومساحتها. إلاأنه إذا كانت هذه المصطلحات تنطبق عموما على مجمل التاريخ الروماني، فلنا أن نتساءل أيضا، إلى أي حد يمكن اعتمادها في تحقيقاتنا بالنسبة لنهاية التاريخ القديم، في غياب النصوص الأثرية المعهودة؟ فهل كان لها نفس المعنى؟ وهل كانت تتميز بنفس الحقوق والواجبات؟

فقد سجل كاسيودور Cassiodore، الذي عاش في إيطاليا خلال القرن السادس ميلادي و كان في خدمة القوط، قبيل دخول البيزنطيين لروما، مقابلة مهمة بين المدينة التي اعتبرها مكان الثقافة، بفضل مدارسها الفنية وتعايش طبقاتها الأرستوقراطية ومكان العدالة وممارسة الحقوق، حيث كانت الصراعات والمشاحنات لا تعالج إلا في إطار القانون. و بين الضياع الريفية و التي كان فيها الملاكين مثل النسور يعالجون مختلف قضاياهم بالقوة، وأبناءهم يفتقدون لكل مواصفات التعليم طالما ظلوا يعيشون خارج المدينة[1114]. كما نجد في نص بروكوب Procope في حديثه عن مدينة راس كابوديا[1115] Capput Vada

[1112]J. Peyras, le telle nord-est tunisien dans l'antiquité, paris 1991,p175 ; P.A.Fevrier, Approches récentes de l'Afrique byzantine …p31.
[1113] C.Courtois, V.A, p 109
[1114]Cl. Lepelley, un éloge nostalgique de la cité classique dans les 'Variae' de Cassiodore VII,31: M.G.H.,a.a, p.259-260, dans Haut Moyen Age, Culture, éducation et société,études offertes à Pierre Riché(réunies par M.Sot) ;Paris,1990,p.34-47.
[1115] Procope, De Aedificis,VI,6,8 et 13-14

خلفية أخرى لمفهوم المدينة في تلك الفترة، فقد اعتبرها بمثابة قرية صغيرة تحت السيطرة الوندالية، حولت بقرار سياسي إلى بلدية، بفضل مرسوم امبراطوري يقضي بإقامة مجلس بلدي فيها وإقامة المباني العمومية بها. ونفس الأمر نلاحظه في باجة، حيث أورد بروكوب: **"كانت مدينة بدون أسوار تحمل اسم باجة(...) قرر الامبراطور إحاطتها بحصون وأرجعها أهلا لتكون بوليس، قادرة على توفير الأمن لسكانها"**[1116]. مما يجعلنا نستشعر أن مجرد وجود الأسوار، بالنسبة له، جعلها ترتقي لهذه المكانة. كما استعمل جورج القبرصي مصطلح بوليس polis لنعت المدينة وتمييزها عن القلعة، حيث ألح على اعتبار مدينتي حيدرة وصبيطلة كقلاع Castra وليس كمدن [1117].

وقد نستشف من هذه النصوص، بعض المقاييس التي تحدد المدينة في ذهنية مصادر القرن السادس، وعلى رأسها الأسوار والقدرة على حماية السكان وتوفير الأمن لهم، لكن أيضا استمرار الحياة السياسية بها. إلا أن التمعن في نصوص بروكوب نفسه، تجعلنا نقف على عدد من المواقع يعتبرها في مستوى بوليسpolis، رغم أنها لم تكن تحتوي على أسوار، لأنها هدمت من طرف الجيش الوندالي[1118]. ولعل النقيشة المكتشفة بعين جلولة Cululis، من شأنها التأكيد على طبيعة تصور السلطة نفسها لمكانة المدينة وهيكلتها[1119]: **" ايتها المدينة أهنئي بأن أصبح لك سيد عادل، وانظري ابتداءا من الآن، كم انقضتي من هموم، وبأي حلى انت الآن تتمتعين، فقد انتزعتي من خوف المور، وحصلتي على سلطة الإدارة، على الاستقرار السياسي، على المواطنين، على القانون، على الأسوار، وعلى البذخ، فقد أعطتكي زوجة الامبراطور اسمها. مادامت يد جستنيان قد طردت المور فلدينا الوقت لكل شي، ونحن نشيد هذه التحصينات الضخمة"**. وبالفعل إذا حاولنا ترتيب هذه الإشارات التي يحملها النص، نجدها غنية بالمعاني السياسية والقانونية، ولوأنها تحمل جانبا كبيرا من الدعاية الإيديولوجية: فالحلي، سلطة الإدارة، الاستقرار السياسي، المواطنين، القانون والأسوار، كلها عناصر أقل ما يقال عنها أنها ضرورية لتوفير وحدة حضرية أو مدينة بمفهومها القانوني. إلا أن عدد القرائن التي تؤكد ثبات هذه الوظائف و حيويتها في المدن تبقى محدودة، ويكفي استعراض قائمة النصوص الأثرية الرسمية للوقوف على خلفية

1116 Procope, De Aedificis,VI,5,12-13
1117 Georges de Chypre, a653.
1118 أورد بروكوب أن الوندال جنزريق قد أقدم على تحطيم كل أسوار المدن حتى لا يتحصن بها السكان المحليين، وحتى لا تطمع الفرق المرسلة من روما لاسترجاه هذا لموقع أوذاك، Procope,B.V.I,V,8.
1119 J.Durliat, les dédicaces. ..N15, p37-42 ; Y.Moderan, la renaissance des cités dans l'Afrique du VI siècle, p. 85-114

أخرى من عملية التشييد، تتمثل في استرجاع الأمن بعد القضاء على المور، والرعاية الامبراطورية لذلك.

و بالتالي إذا حاولنا مقابلة صورة هذا المورو ث البيزنطي بالصورة التي تسمح بها عملية جرد المعطيات التاريخية والأثرية، كالنقائش وقوائم المجامع الدينية أوالنصوص الأدبية، والتي أعطت أكثر من 500 مدينة أو موقع عمراني ببلاد المغرب القديم[1120]– دون أن ننسى أن ما وصل إلينا من المصادر أوما سمحت الظروف باكتشافه قد لا يمثل إلا شطرا من الصورة الحقيقية– فاننا نجد أنفسنا أمام إشكالية كبيرة، ونفس الأمر عند مقابلة ذلك بشهادات ونصوص المصادر العربية، باعتبارها لا تتجاوز في أكثر الأحيان 20 موقعا[1121]. وبالتالي فلا غرابة أن تتسارع للأذهان ظاهرة تقهقر وانكماش الخريطة العمرانية الرومانية و أن تتوالى التساؤلات عن الفترة الزمنية التي تسببت في ذلك. وإذا كانت أولى الاستنتاجات التاريخية، قد اعتبرت أن تقهقر الموروث الروماني و بداية انقراضه يعود أساسا لعامل الفتوحات الاسلامية وما حبلت به من تطورات جديدة[1122]. بينما حاول البعض الآخر تفسير ذلك من خلال تفاقم ظاهرة البداوة وانتقالها الى مستوى الهجوم على الأقاليم الشمالية، واعتبار فترة القرن الخامس ميلادي بداية لهذا التحول، كونها استغلت مرحلة الضعف المركزي الذي تميزت به المملكة الوندالية وبعدها الإدارة البيزنطية[1123]. وافترضت أن حالة التقهقر قد تفاقمت أكثر مع الفتوحات الاسلامية لتبلغ ذروتها في حدود القرن الحادي عشر. معتبرة أن البلاد الإفريقية قد انتقلت من مستواها العمراني الروماني إلى حالة البداوة وأن المدن السابقة والضياع مثل معاصر الزيتون والمنشآت الدينية لم تصبح إلا خراب وصحاري[1124]. وفي الحقيقة يجب الإشارة إلى أن أغلب الدراسات التي اهتمت بهذه الفترة الانتقالية، لم تعتن بالاشكالية حقيقة، بل ظلت في غالبيتها تبحث عن متسبب مسؤول عن الانهيار الروماني، وكثيرا ما طرح السؤال بصراحة، تنم عن الخلفية

[1120] تشكل دراسة لوبللي حول المدن أرضية مهمة لتتبع هذا النسيج العمراني إلى عاية نهاية التاريخ القديم، أنظر:
Cl.Lepelley, les cités,TII, Notices d'histoire municipale, op.cit

[1121] Cambuzat, l'évolution des cités, TII, monographies, op.cit.

[1122] تعود أطروحة تقهقر المدن والأحياء إلى حدود نهاية القرن التاسع عشر، وذلك بفضل المدرسة الألمانية، ليعتمدها فيما بعد عدد من المؤرخين أمثال روستفزييف Rostovsief ، وفرديناند لو F.Lot، ويفسر على أساسها كامل التاريخ الروماني. وعموما فقد ظلت رائجة في مختلف الأوساط التاريخية، بينما تجلت أكثر، بالنسبة لبلاد المغرب، في عمل كورتوا وشارل أندري جوليان، حيث اعتبر أصحاب هذه الأطروحة أن السبب الأساسي في التقهقر هوضعف سياسة الرومنة، التي انعكست بالضرورة على الحياة الحضرية، وما نتج عنها من اضطرابات ونعرات دينية، كأسلوب لرفض ومقاومة هده الرومنة.

[1123] Ridha Ghaddhab, le fait urbain en Afrique du Nord, p75

[1124] C.Courtois De Rome à l'Islam,Rev.Afr.T.86,1942,p.24-55 ; Ch.E.Dufourq,Berberie et Ibèrie médievales, un probleme de ruptures, Revue Historique,488,1968, p.293-324.

الإيديولوجية للبحث، لماذا اختلف مصير هذه المنطقة التي طالما تميزت بمكانتها الحضارية في العالم الروماني، والتي اشتهرت بهذا العدد الهائل من المدن والكنائس إلى جانب موروثها اللاتيني المتميز، عن مصير أوربا[1125]؟ وقد نتصور أن الإجابة هي غير بعيدة عن طريقة طرح السؤال، وبالتالي فإن مصير إفريقيا لم يكن بعيدا عن مصير روما. فإذا كانت هذه الأخيرة قد عرفت، فضلا عن تقهقرها، عمليات الدمار بفعل الهجمات الجرمانية، فقد كانت إفريقيا عرضة لهذه وتلك.

ولعله من المفيد أيضا أن نثير ثانية الأطروحة التي اعتبرت أن السبب الرئيسي لهذا الانهيار يعود لضعف أوعجز سياسة الرومنة اصلا، فقد اعتبر كورتوا في محاولته لتبييض وجه الفترة الوندالية، أن البحث عن الأسباب الحقيقية للتقهقر الروماني في المقاطعة الإفريقية لا يمكن البحث عنه في قدوم الوندال ومرحلة احتلالهم لهذه المنطقة وانما في عجز روما على إدماج العنصر البربري، وبالتالي فالوندال لم يمثلوا سوى مرحلة من مراحل الضعف، إذا ما قورنوا بما أسماه بـــ " اليقظة البربرية"[1126]، خاصة من خلال ما أبرزته المصادر ابتداءا من القرن الخامس ميلادي، وكرسته المنشآت الدفاعية البيزنطية، ابتداءا من القرن السادس ميلادي[1127]. ورغم اختلاف طبيعة الخطاب التاريخي فقد كانت دراسة بن عبو Benabou تصب في هذا الاتجاه، معتبرا أنه مهما كانت ضخامة الحضارة الرومانية، فهي لم تتمكن من استيعاب العنصر المحلي بأكمله، بل ظلت مظاهر مقاومة الرومنة جلية طيلة فترات الاحتلال، في مجالات مختلفة، كان من شأنها أن تنتهي بتقويض أركان هذه الحضارة نفسها[1128]. واستكملت بفضل الدراسة الألمانية التي قدمها بوريان Burian[1129] حول نهاية التاريخ القديم. فضلا عن ابحاث موديران Moderan[1130] حول العهود الأولى من الاحتلال

[1125] أنظر مقال كامبس:
G.Camps, Comment la berberie est devenur le Maghreb arabe, ROMM,35,1983-1, pp7-24
[1126] C.Courtois, V.A. p. 126 ; 359
[1127] ورغم أن الباحث يفرق بين نوعين من القبائل المورية: القبائل الداخلية الجبلية والمتمثلة في نموذج قبائل الظهير التونسي (ص 325-348)، وقبائل البدوالجمالة والتي بدأتن تمارس ضغطها على بلاد المغرب انطلاقا من الصحراء المصرية، خلال الفترة الوندالية، وتسسب في الهجمات وعمليات الدمار.ص 102-104و349-351، فهويعتر أنهما سبب التقهقر الذي حصل في إفريقيا
[1128] M.Benabou, la resistance africaine à la romanisation, edition commentée par M .Christol, la découverte, paris 2005
[1129] J.Burian, Die einheimishe bevolkerung nordafrikas, in der spatantike bis zue reinwanderung der wandale, in Die araber in der Alten Welt,TV,1, éd.F.Altheim et R. Stihel, Berlin, 1968, 170-304
[1130] Y. Moderan, Moderan, Bellis libycis, Bérbéres et Byzantins en Afrique au VIe s Thése Doctorat, Université de ParisX,1990; les Maures et l'Afrique Romaine, ecole francaise de Rome, 2003

البيزنطي. إلى درجة أن طرح هذا الأخير تساؤلا جديدا حول امكانية كون البيزنطيين أنفسهم هم سبب نهاية ما أسماه بحضارة التاريخ القديم. معتبرا أن بلاد المغرب باحتضانها الحضارية الرومانية "كان يمكن لها لو لم يصطدم فيها التوسع الموري بالاحتلال البيزنطي، أن تضمن استمرارية محلية أكثر استقرار، مثلما حصل بالنسبة للميروفنجيين في الغال. وأن الانتصارات البيزنطية السهلة في بداية الأمر قد كانت سبب هذه القطيعة في نفس الوقت الذي كانت تعتقد أنها أنقذت الموروث الروماني"[1131]. وقد حاولت المساهمة في هذا الجدل التاريخي أثناء تقديمي رسالة الماجستير، والتي سعيت من خلالها إبراز الثنائية الاستراتيجية التي تقاسمت الخريطة المغربية خلال القرن السادس ميلادي، و تبوأ هذه التركيبة المورية ليس فقط إلى مكانة الانفصال والاستقلال عن الكيان المركزي، وهو ما اعتبر سبب البلاء الإفريقي، وإنما إلى محاولة تبني الإرث الروماني، خاصة من خلال الشخصيتين الأميريتين المعروفتين باسم ماوسونا بألتافا، وماستياس بالأوراس.[1132]

ولعل محاولة التساؤل عن طبيعة تطور العمران في فترات نهاية التاريخ القديم والمؤثرات الاجتماعية، السياسية والاقتصادية التي أثرت فيه، قبل أن ينتقل أصلا إلى الفترة الإسلامية، من شأنه أن يسمح لنا بتماثل طبيعة البنية التي انطلقت على أساسها هذه المرحلة الجديدة من التاريخ المغربي، بدقة أكثر. لأن الوقوف على مراحل التطور أوالتحول في العصور المتأخرة من التاريخ الروماني يلزمنا أيضا البحث عن مظاهر التحول هذه منذ نهاية القرن الرابع ميلادي، رغم ان دقة الاجابة تبقى مرتبطة بطبيعة المصادر وخصوصيتها، لاسيما الأثرية منها. فمعارفنا حول الموروث المعماري خلال الفترة المتأخرة من التاريخ الروماني، أقل بكثير من تلك المرتبطة خاصة بالقرن الرابع ميلادي، كما ظلت معالجة هذه الفترة أيضا مطبوعة بالصور التقليدية المتوارثة من المصادر، و بدرجة أخص الشاعر الإفريقي كوريبوس. ومع ذلك فبفضل الدراسات المنجزة، خاصة من طرف دورليا، فيفري، محجوبي وتيبير، والتي أفضت أغلب استنتاجاتها الى أطروحة استمرارية الحياة الحضرية خلال الفترة الوندالية، قد سمحت ببلورة فرضية انتعاش وحيوية الخريطة العمرانية أثناء مرحلة الاحتلال

أنظر ايضا مقدمة الطبعة الأخيرة لكتاب بن عبو، لكريستول حيث أحدث نوع من المقارنة بين صاحب أطروحة المقاومة الافريقية و أعمال موديران من خلال كتابه المور و إفريقيا الرومانية، ليخلص في الأخير إلى أن البناء التاريخي الذي قدمه هذا الباحث هو امتداد لنفس التصور مع تحديث الاشكاليات التاريخية .

M.Benabou, la résistance africaine à la romanisation, préface inédite de M.Christol, Paris,2005,p V-XX

[1131] Y.Moderan, les Maures et l'Afrique romaine, p.817

[1132] يوسف عيبش، المور والبيزنطيون خلال القرن السادس ميلادي، رسالة ماجستير، قسنطينة. 1996 ، نفس المؤلف، الأوراس في مصادر القرن السادس ميلادي/ مجلة العلوم الآداب والعلوم الانسانية، جامعة الامير عبد القدر قسنطينة.

البيزنطي. وإذا كانت الرغبة كبيرة في إنجاز نفس التحقيق الذي حققه لوبللي حول المدن الإفريقية، فطبيعة المادة الخبرية و أحيانا الانعدام الكلي للمصادر، مادية كانت أم أدبية، جعلتنا نقف عاجزين عن تكملة عدد كبير من الثغرات.

و مع ذلك فأغلب الدراسات الميدانية، والتقارير الأثرية لا تختلف حاليا في أن عمليات البناء والترميم لم تتوقف بعد أزمة القرن الثالث ميلادي[1133]، بل استمرت إلى غاية القرن الخامس ميلادي أوحتى بعده. وذلك من خلال الدراسات التي أنجزها ديفال[1134] Duval في كل من سبيطلة Sufetula وحيدرة Ammaedara ، حيث تجلى أن مساكنها ظلت عامرة ليس فقط الى أواخر العهد الروماني بل حتى الفترة البيزنطية. أوتنقيبات فيفري Fevrier بسطيف Sitifis وجميلة Cuicul حيث تجلى أن المحيط العمراني لهذين المدينتين قد ظل مستغلا إلى حد ما، حتى نهاية العهد الروماني، بل يبدوأن مدينة جميلة قد عرفت توسعا في أحيائها مما يفترض زيادة سكانها[1135]. وهوما أكدته بلانشيرليمي Blanchard-Lemée في نفس المدينة، من خلال دراسة أحد المساكن الأرستقراطية، وما احتوته من فسيفساء تم تأريخ أجزاء منها إلى غاية القرن 6م، معتبرة أن ذلك دليل على استمرار هذا الفن الرفيع لمدة أطول مما كان يعتقد، بالموازاة مع ثراء ورفاهية المواطنين من الطبقات الأرستقراطية في مثل هذا الظرف المتأخر من التاريخ القديم[1136]. وهي نفس الملاحظات تقريبا التي استخلصتها وحدة البحث التي شكلتها المدرسة الفرنسية بروما لدراسة موقع بولاريجيا Bulla Regia[1137]، إلى جانب الحفريات التي نظمت في كل من هنشير الفوار Belalis Maior والجم Thysdrus[1138]. وإذا كانت دراسة لوبللي Lepelley قد ظلت تشكل

[1133] اعتبر تيبير Thebert أن كون المقاطعة الإفريقية قد سلمت من هجمات الشعوب الجرمانية، بفضل موقعها الجغرافي جنوب البحر المتوسط، مما جعلها لا تتعرض لأزمة القرن 3م مباشرة، رغم أنها تأثرت بطريقة غير مباشرة بثقل الضرائب التي فرضتها الإدارة الإمبراطورية لمواجهة التكاليف العسكرية. أنظر:

Y.Thebert, l'évolution urbaine dans les provinces orientales de l'Afrique Romaine tardive, O P U S. II, 1983,1, p 101

[1134] N.Duval, recherches archéologiques à Haidra, Rome, 1975, observations sur l'urbanisme tardif de sufeutula. p 87 - 103

[1135] P.A. Fevrier, Notes sur le développement urbain en Afrique du Nord, les exemples comparés de Djemila et de Setif, dans Cah.arch. 14,1964 ;Ibid, le fait urbain dans le Maghreb du IIIème S. les signes d'une crise?, Bullettino dell'Istituto Archeologico Germanico di Roma. 150e Anniversario Mainz. 1982. pp. 50-76.

[1136] M.Blanchard-Lemmée, Maisons à mosaïques du quartier central de Djemila (Cuicul ، Aix en province, 1975. Ibid,la Maison de "Bacchus" A Djemila, B.A.C.T.H.S. Ns 17b.Paris, 1984. pp 131-143.

[1137] A.Antit, H.Broise et Y.Thebert, Recherches Archéologiques Franco-Tunisienne A Bulla - Regia,I.Mescellanea,Rome,1983. A.Beschaouch, R.Hanoune, Y.THebert, Les Ruines de Bulla-Regia,Rome,1974,pp54-64

[1138] A. Mahjoubi, Permanences et transformations de l'urbanisme Africain a la fin de l'antiquité،Bulletino del l'Istituto Archeologico, op.cit. pp 77-83. Ibid, de la fin de l'Antiquité

المرجعية النظرية، من خلال إحصائه مئات النقائش الأثرية التي تؤكد استمرار التقاليد الإدارية والسياسية على مستوى المدن في الفترة ما بين القرن 3م وفترة الاحتلال الوندالي[1139]، بما فيها أكثر من 300 نقيشة تؤكد بناء أوترميم منشآت عمرانية عمومية بهذه المدن. فقد صدرت في السنوات الأخيرة دراسة شاملة حول الحمامات الرومانية الإفريقية، لتيبير Thebert ، تكرس نفس الفكرة وتؤكدها[1140]. وهوما سعى الوصول إليه غضاب Ghedhab مؤخرا[1141]. فضلا عن الكنائس التي أصبحت تحتل مكانة كبرى من هذه الإنجازات مع بداية القرن 5م[1142].

وبالتالي فإن أغلب هذه الدراسات قد أكدت أنه ما كان لهذه الاستمرارية في الإنجازات، والحفاظ على الألقاب الرسمية بما فيها تلك التي تتميز بعبادة الإمبراطور أن تستمر، لو لم تكن بلاد المغرب القديم أصلا تتمتع بالرفاهية التي تجعلها تولي اهتماما كبيرا للحياة السياسية والاجتماعية بمدنها[1143]. وهوما سمحت بالوصول إليه التوجهات الحديثة في الميدان الأثري، والمتمثلة في البحث عن المعالم العمرانية خارج المدن، وذلك بالوقوف على كثافة الأرياف وحيويتها من خلال دراسات لوفو Ph.Leveau حول منطقة شرشال[1144]، والتقنيات التي أجراها بيراس J.Peyras بجانب من حوض مجردة[1145]، فضلا عن الأبحاث التي يقوم بها الأمريكي Hitchner حول منطقة قصرين Cillium، والتي كشفت عن ما يزيد عن 47 مزرعة أوقرية فلاحية[1146]. أوالدراسات الفخارية التي بدات تسمح

Au Haut Moyen Age, Héritages et changements dans l'urbanisme Africain, Actes du IIIe colloque sur l'histoire et l'archéologie d'Afrique du Nord ‹ Montpellier, 1985. pp391-405

[1139] Cl. Leppelley, Les Cites Africaines Romaines au Bas-Empire,2 vol. Paris,1979., T.1, pp. 72-120

حيث اعتبر أن أثارالأزمة كانت أقل ضررا من بقية المقاطعات، بدليل أن القرن 4م قد تميز بمواصلة الحركة العمرانية وذلك ابتداء من عهد دقلديانوس

[1140] Y.Thébert, Thermes Romains d'Afrique du Nord, leur contexte Méditerranéen, études d'Histoire er d'archéologie, Ecole francaise de Rome, 2003.

[1141] Ridha Ghaddhab, le fait urbain en Afrique du Nord, p.

[1142] Cl. Leppelley, Les Cites Africaines Romaines au Bas-Empire, T.1 pp 72-120 et 295-297 ; I.Gui, N.Duval et J.P.Callet, Basiliques chrétiennes d'Afrique du Nord ; .S.Lancel, Evéchés et cités, op.cit.

[1143] C. Lepelley, Peuplement et richesses de l'Afrique Romaine Tardive" Réalités Byzantines" Hommes et richesses dans l'empire Byzantin, IV-VIIs, Paris, 1989. p.29

[1144] Ph. Leveau, La ville antique et l'organisation de l'espace rural: villa, ville, village ‹dans Annales ESC, 1983. p.920-942 ; Id, l'organisation de l'espace agricole en Afrique à l'epoque Romaine, dans l'Afrique dans l'Occident Romains Is av. JC. IVes Ap JC, Ecole Française de Rome, 1990. N°134. pp129-141.

[1145] J.Peyras, paysages agraires et centuriations dans le bassin de l'oued Tine (Tunisie du nord) dans Ant.Afr.19, 1983. p.209-253 .Id. le Tell Nord-Est Tunisien dans l'antiquité,Paris, 1991.

[1146] Hitchner, Kasserine, Archaological survey. 1982-1986. dans Ant. Afr. N°24, 1988. pp

بمقروئية جديدة للمواقع المغربية من خلال تواجد أنواع كثيرة من نماذج الفخاريات الإفريقية عبر أغلب أقاليم البحر الأبيض المتوسط، بما فيها الشرقية ابتداء من القرن 3م، إلى غاية العهد البيزنطي. ويعود الفضل الى مصنف هايس J.W.Hayes في لفت الانتباه إلى أهمية فخاريات العصور التاريخية القديمة المتأخرة، ليس فقط في عمليات التأريخ للطبقات الأثرية، وانما في تتبع حركية الانتاج والتصدير الاقتصاديين[1147]. كما سمحت الحملة الدولية بقرطاج (1972-1979) بتكملة مصنف أوسع للأشكال والنمادج الفخارية، رفقة إطارها التاريخي وأعطت أرضية جديدة لامكانية فهم التتطور الاقتصادي لهذه المرحلة[1148] – ولوعن طريق هذه الدلائل الهشة– وبالفعل فقد بلورت اشكالية أولية مفادها، أن ورشات انتاج السيحيلي **D**، من خلال النماذج التونسية، قد عرفت انتعاشا في بداية القرن الرابع ميلادي، يبدوأنه استمر إلى غاية القرن السابع ميلادي. رغم أن مطابقة الجداول الزمنية لقوائم هذه الأشكال ظلت محل جدل بين العديد من المدارس، خاصة المدرسة الإيطالية والأنجلوسكسونية[1149].

[1147] J.W.Hayes, Late Roma Pottery, British School at Rome, London, 1972.

[1148] S. Tortorella, La sigillata Africana in Italia nel VI e nel VII secolo d.C: problemi di cronologiea e distribuzione, Dir. Sagui, 1998, p. 41-69; J.W.Hayes, Pottery : Stratified Grous and Typology, in Excavations at Carthage, I,1976,p.97 ; Excavations at Carthage : the British Mission. I.2.1984; T.Ghalia,M.Bonifay,Cl.Capelli, l'atelier de Sidi-Zahruni : mise en évidence d'une production d'amphores de l'Antiquité tardive sur le territoire de la cité de Neapolis (Nabeul,Tunisie), in the First Conference on Late Roman Coarse Wares, Cooking Wares and Amphorae in the Mediterranean : Archeology and Archaeometry(Barcelone,14-16 Marsh 2002),Oxford; S.J.Keay, African amphore, in Ceramica in Italia : VI-VII secolo, Atti del Convegno in onore di John W. Hayes (Rome,11-13 maggio 1995), dir,L.Sagui,Firenze,1998,p.150-151; M. Mackensen, Centres of African red slip ware production in Tunisia from the late 5th ti the 7th century, in Sagui,L.,dir.,Céramica in italia VI-VII secolo, Atti de Convegno in onore di Joh, W.Hayes(Rome,11-13 mais= 1995,Firenze,1998,p23-40

[1149] بينما اعتبر فيلفورد M .G.Fulford, أن دراسة هذه الأشكال تسمح بالوقوف على أزمة اقتصادية في الفترة الممتدة بين 400 و 450، وهايس Hayes الذي أكد أن السيجيلي الإفريقية عرفت تقهقرا سريعا نتيجة الاحتلال الوندالي، ثم انتعاش أثناء الفترة البيزنطية :

M.G.D.Fulford, et D.P.S.Peacok, Excavations at Carthage : the British Mission. I.2.1984, the avenue du président habib Bourguiba, Salambo. The pottery and other ceramic objects from the site, Sheffield.1984; Id., Excavations at Carthage : the British Mission,II,2: The circular Harbour, north side. The pottery, Oxford, 1994

نجد كل من تورتوريلا Tortorellaوكاراندييني Carandiniيتعاملان مع الملف بطريقة مختلفة.أنظر:

S.Tortorella,Ceramica di produzione africana e rinvenimenti archéogici sottomarini della media e tarda éta imperiale : analisi dei dati e dei contributi reciproci, MEFRA,93,1981, p. 355-380. Id., La ceramica africana, un bilancio dell'ultimo decennio di ricerca, Ve Colloque d'histoire et d'archéologie de l' Afrique du Nord antique et médiévale, Pau,1993 : I,Production et exportations africaines, CTHS,Paris,79-101 ; A.Carandini, Produzione agricola eproduzione e il commercio della ceramica africana in eta imperiale : Apunti sull'economia della Zeugitana e della Bizacena. Studi mischellanei,15, 1970, p.95-124 ;

وبالتالي فقد أصبحت أطروحة الحيوية والنشاط خلال العهود المتأخرة من التاريخ القديم أحد أهم عناصر التحليل التاريخي في الدراسات المتأخرة، وبديلا حقيقيا لفهم خصوصية تطور بلاد المغرب القديم[1150]. حيث أقر تيبير Thebert أن " ما عرفته المدينة من تحولات ليس إلا مظهرا من مظاهر التحول التي شهدها المجتمع عموما، والتي تترجم إعادة تنظيم النفوذ والسلطة على النطاق المحلي واعتبر "أن السلطة الدينية ظلت تسعى لتجاوز نفوذ الأعيان والمجالس البلدية، وبالفعل فقد أصبحت تتمتع بصلاحيات واسعة، تجلت أكثر فأكثر في الجانب العمراني"[1151]. ومن دون شك فقد شملت هذه التحولات الأقطاب الرئيسية للمدينة العتيقة بما تمثله من هياكل وثنية ومعابد، لتتحول تدريجيا، ابتداء من نهاية القرن 4م، إلى المراكز الجديدة للمدينة ذات الطابع المسيحي، والمتمثلة في الكنائس وملحقاتها[1152]. وبالتالي يمكن القول أن تبوء هذه "الأوليجاركية العقارية" إلى مستوى المدينة قد صاحبه تعاظم لنفوذ رجال الدين والذين غالبا ما كانوا من نفس الطبقة، الأمر

[1150] بدأت المطالبة بإعادة النظر في أطروحة التقهقر التي روجها كورتوا، وغوتييه، منذ الستينات، وذلك في أعمال بيكار

G .ch.Picard, La Carthage du Saint Augustin ,Paris, 1965,p.17et26 ; H.I.Marrou ; A propos de : « deP.Brown, Augustine of Hippo » REL ;1967,p.179

حيث اشار مارو في عرضه لكتاب براون حول القديس أغسطين، بأن المؤلف يبدوأنه تجاهل النتائج المعاصرة للأبحاث التي تؤكد على الحيوية والنشاط الذين تميزت بهما المدن إفريقية في نهاية التاريخ القديم. تبعتها العديد من الدراسات مثل:

K.Belkhodja, De la crise de la civilisation romaine à l'Islam, Histoire de la Tunisie, l'Antiquité,Tunis, 1971;P.A. Fevrier, Toujours le donatisme,A quand l'Afrique§,Rivista du Storia e Litteratura religiosa,2, 1966, 234-240 ; Id., Le fait urbain dans le maghreb du III eme siècle. Le signe d'une crise?,150 Jahe-Feier Deusches Archaologisches Institut Rom,1983, p. 50,76

و التي اعتبرت أن المدن ظلت زاهية حتى الفترات المتأخرة من التاريخ القديم بل حتى الفترة الإسلامية، أوأعمال ديفال والتي كرست نفس التوجه، أنظر :

N.Duval, Observations sur l'urbanisme tardif de Sufetula, p.87-105 ;Id, Nouvelles recherches d'archéologie et d'epigraphie à Sufetula, MEFRA,68, 1965,p. 246-298 ;Id., Sbeitla et les églises africaines à deux absides,I. Les églises de Sbeitla à deux sanctuaires opposés(recherches archéologiques à Sbeitla,I) Paris, 1971.

[1151] Y.Thebert, l'evolution urbaine dans les provinces orientales de l'Afrique Romaine tardive‹. p 99-131 ; Id., Permanences et mutations des espaces urbains des villes de l'Afrique du Nord orientale : de la cité classique à la cité médiévale,Cah .Tun,34,1986, p.34-46. Id., et J.L.Biget, l'Afrique après la disparition de la cité classique : Cohérence et rupture dans l'histoire maghrebine, l'Afrique dans l'Occident romain (1er siècle av.J-C.-IV e siècle ap.J-C). Actes du colloque organisé par EFRome et Institut d'archéologie et d'art de Tuinis, (Rome,3-5 décembre 1987), Rome, 1990,p.575-602 ;

دون أن ننسى دراسته للحمامات الرومانية في المدن المغربية ، مؤكدا من خلالها على ظاهرة الاستمرارية والحيوية الى نهاية التاريخ القديم، أنظر الهامش رقم: 31

[1152] A. Mahjoubi, De la fin de l'Antiquité au haut moyen age, p.399

الذي جعل أغلب الباحثين يقرون أن انتشار نفوذ الكنيسة لم يؤد إلى القطيعة مع الطبقة الأرستقراطية بل كان إضافة إلى نفوذها السياسي والاقتصادي[1153].

إلا أن غالبية هذه الدراسات التاريخية بقدر ما وجدت نفسها لا تجد إحراجا في تبني فكرة استمرارية الحياة الحضرية ورقيها في الفترات المتأخرة من التاريخ الروماني، عكس ما عرفته بقية المقاطعات الرومانية، بقدر ما ظلت صامتة أمام تأكيد المصادر على العديد من السلوكات والتي لا يمكن فهمها إلا في سياق التقهقر، مثل تفاقم ثقل الضرائب على كاهل طبقة الأعيان[1154]. وتفشي ظاهرة فرارهم من التزاماتهم الحضرية[1155]. إلى جانب ارتفاع عدد النصوص والتشريعات القانونية الصادرة بشأن محاربة التجاوزات المسجلة في تسيير المدن، في إيقاف عمليات الهروب من أداء الواجبات الحضرية، والحفاظ على المدن والهياكل العمومية بها[1156]. وبالتالي غياب صورة الرفاهية والازدهار.

ورغم أننا حاولنا في الفصول السابقة، الاجابة على جانب من هذه التساؤلات، إلا أنه من الضروري فتح الملف ثانية، لاستكمال الصورة وفهم خلفيات الواقع العمراني الإفريقي من جهة، والخلفيات البيزنطية بالمنطقة من جهة أخرى. فبالإضافة إلى صور الرفاهية التي تعكسها نسبة الغنائم التي تحصل عليها الجيش البيزنطي أثناء مراحل صراعه مع الوندال أو المور[1157]. فضلا عن قوائم المدن القائمة بهيكلها المعماري (خاصة الأسوار و

1153 Y.Thebert, l'evolution urbaine dans les provinces orientales de l'Afrique Romaine tardive, p 106

1154 J.Gascou, la possession du sol, la cité et l'état à l'époque protobyzantine, et principalement en Egypte(recherche d'histoire des structures agraires, de la fiscalité et des institutions au V et VII siècles

1155 تعرض بروكوب في حديثه عن عناصر الجيش الوندالي التي أقامت في القصور المحاطة بالبساتين الكبيرة و المزينة بنافورات الماء التي تلطف الجو، و هي صورة عن الضياع و القصور الضخمة التي أصبحت تلجأ إليها طبقة الأعيان قبل مصادرتها من طرف الجيش الوندالي: Procope,B.V.I,17,9-10

1156 CTh,XV,1,31-32 ;XVI,1,18, éd. Th.Mommsen et P ;Meyer,Berlin,1905,pp805,808 ; Codex.Just.VIII,11,10, p.338-339.

أنظر أيضا قراءة هذه النصوص في :

J.Durliat, les dédicaces d'ouvrages de defense. p.93-94 ;

1157 يسمح لنا كتاب بروكوب من رصد كمية معتبرة من الكنوز الوندالية انتقلت إلى الخزينة الامبراطورية أو الجنود البيزنطيين، مثل أبهة القصر الملكي بقرطاج و أوانيه الفاخرة: Procope, B.V.I,21,1، أو الكنوز التي تم الاستيلاء عليها في معركة تركامارومن إلى درجة أن عجز بليزاريوس الحفاظ على الانضباط في صفوف الجيش Procope, B.V.I,10,26; II,3,25; 4,3-8، كما أورد إشارة الى الكنوز التي أوكلها جيليمر إلى بونيفاس، الذي يبدو أنه من أصل إفريقي، مكلفا إياه التوجه بها إلى اسبانيا في حالة أي أمر طارئ Procope, B.V.II,4,33-34,36-37,41 . بل تحدث نفس المؤلف عن الكنوز الكبيرة التي نقلت إلى القسطنطينية، إلى درجة أن وصف بليزاريوس يلقي بكؤوس الفضة و أحزمة الذهب على مستقبليه

الأبواب)، و مجالس أعيانها[1158]. أورد إفاغريوس[1159] Evagrius في كتابه Hist.Ecclesiastique : **" قام جستنيان 150 مدينة بإفريقيا، بعضها تم إعادة بناؤها كلية، والبعض الأخر، والتي قد تعرضت للخراب في أجزاء منا، قد قام بترميمها بدقة وجمال. وقد أحاط هذه المدن بكل أشكال الزخرفة والجمال كالبناءات العمومية الخاصة، أوأسوار المدن والمنشآت الجميلة التي تزين المدينة وفي نفس الوقت ترضي الله. وقد ضاعف من المنشآت المائية للضرورة والجمال، وبالنسبة للمدن التي لم يكن بها هذه المعالم فقد أنشأها من جديد، بينما أصلح ورمم ما تطلب الإصلاح بالمدن الأخرى، بطريقة تعيد لها جمالها ورونقها القديم"**. وبالتالي تتجلى من النص صورة الرغبة الإمبراطورية في إعادة الرفاهية لإفريقيا، مثلما تطرقت إلي ذلك المصادر الأخرى، فضلا عن طبيعة الجهود التي قام بها ، حيث يقسمها النص الى نوعين : الجهود الترميمية بالنسبة للمدن القائمة، والتي تدهورت بعض معالمها، وحركة تشييد مواقع جديدة من أساسها. كما يسمح أيضا بالوقوف على العناصر الأساسية للمدينة والتي تعتبر ضرورية في إعادة الحياة لها، وهي: الأسوار، المنشآت العمومية، المساكن الخاصة، قنوات وخزانات الماء بما في ذلك ربما الحمامات، والكنائس التي بقدر ما تزين المدينة تكرس السلوك الديني للمجتمع. وبالتالي فأهمية النص كبيرة في التأكيد على عودة متطلبات رفاهية المدن والسكان، مثلما التزم بذلك الإمبراطور جستنيان في مرسومه الأول[1160]. ولعل هذه العناصر هي التي يكرسها بروكوب في حديثه عن تأسيس مدينة كبودية CaputVada، من طرف الإمبراطور جستنيان، حيث أشار : **" كان أيضا، موقع أخر على سواحل المزاق، يسميه الأهالي كابوت فإذا..... قرر الإمبراطور جستنيان تحويل هذا المكان الى مدينة (بوليس) والتي خصت بالأسوار وأصبحت أهلا لذلك بكل ما حقق بها من انجازات."**[1161]

Procope, B.V.II,9, 4-9,15 كما يمكن الاشارة الى الكنوز التي قد استولى عليها أثناء هجومهم على روما سنة 455، و التي يبدو أن بليزاريوس قد استرجع نصيبا منها: Procope, B.V.I,V,3-5

[1158] Procope, B.V.I,16,9-11 ;17,8-9,11, 15
[1159] Evagrius, Hist. eccl.,IV,18 . Diehl,387
[1160] Ch.Diehl, Afr.Byz.p.388
[1161] Procope,De Aed., VI,8-13,pp.385-387

وبالفعل قد يكون جستنيان قد تدخل بشكل أوبآخر لمساعدة 150 مدينة رغم أن فكرة بناء 150 مدينة أوقلعة في عهذه تظل محل شك، كما أشار بروكوب أيضا في كتابه De Aedificiis إلى وجود 28 مدينة و07 حصون تم تأسيسها أوإعادة ترميمها من طرف جستنيان[1162] – بالرغم من أن البعض يعتبر هذا النص غير كامل- حيث أهمل العديد من المدن والقلاع التي تؤكدها الدراسات الأثرية[1163]، وقد أكد في أكثر من مرة في كتابه الحروب إلى مساهمة القادة البيزنطيين في تحصين وترميم المدن[1164]. كما يؤكد ملف النقائش البيزنطية المتعلقة بالتحصينات على وجود 17 أو18 قلعة أومدينة في عهد جستنيان والتي نجد 06 منها قد وردت في قائمة بروكوب[1165]. وقد نلاحظ من خلال قراءة النقائش الأثرية لهذه الحصون والقلاع، أن عددا من المدن أصبحت تحمل اسما إمبراطوريا: حيث أصبحت قفصه[1166] Justiniana Capsa, وحيدرة Hadrumetum[1167] Justiniana وبشليغة[1168] Zabi Justiniana مثلما أصبحت قرطاج[1169] Carthago Justiniana. وهوما يفترض هبات إمبراطورية كبيرة أوامتيازات خاصة تجعلها من الناحية المادية في مستوى الاسم الإمبراطوري.

لدينا العديد من الأمثلة التي تؤكد فيها المصادر الأدبية على حركة التعمير داخل المدن، على الأقل خلال فترة حكم جستنيان، فقد أشار بروكوب أن مدينة لبدة وجدها البيزنطيون في حالة دمار، بل كانت في حالة تكاد تغطيها الرمال، إلا أنها بأمر من الإمبراطور، قد تم إعادة بنائها[1170]. ويمكن أن نتحسس ذلك من عدد الكنائس التي تعود إلى هذه الفترة، وما شهده القصر السيفيري المشهور من ترميمات فضلا عن إصلاح حمامات المدينة[1171]، فضلا عن عدد من المعالم الكبيرة[1172]، وهونفس الأمر الذي حصل

1162 Procope,De Aed., VI,2-7,pp.361-393

1163 D. Roques, les constructions de Justinien de Procope de césarée, Actes du colloque de Londres 25-26 septembre 1998 : Le De Aedificiis de Procope, éd.J.M.Carrié et N.Duval, Ant. Tard. 8, 2000, pp.31-43.

1164 Procope, B.V.I,13 ; II,20,29

1165 J. Durliat, la lettre L dans les inscriptions byzantines d'Afrique, pp.156-167.

1166 CIL 08, 00102 (p 925) = CIL 08, 00116 = CIL 08, 11229 = CIL 08, 11234 = AE 1934, 00170

Felicissimis temporibus piissimorum do]min[orum nostro]rum [Iustiniani et Theodo]rae perp(etuorum) Au[gg(ustorum) per] / [Solomonem exc]elle[ntissimum magistrum m]ilitum [praefectum praetori]orum Afric(a)e [ex con]sule a[c] / [patricio] mur[i felicissim(a)e Iustinian(a)]e Ca[ps(a)e civitatis aedificati sunt(?) fu]ndamenti[s et veloci]ter per[fecti]

1167 Corippus, Joh. IV,64 et 75 ; Procope De Aed.VI,6,1; 6,6 ,

1168 CIL 08, 08805 = ILCV 00807 = AE 2002, +01693

(A)edificata est a fundamentis huic ci/vi[tas N]ova Iustiniana Zabi sub tem/po[ribus] dom(i)ni nostri Piissimi et Invictiss(imi)

1169 Procope, De Aed. VI,5,2 p.379 ; Novelle. Just. XXXVII,

1170 Procope, DeAed,VI,4,1-3, p335-337

1171 R.G.Goodchild, Fortificatificazioni e palazzi bizantini in Tripolitania e Cerenaica, in Corsi di cultura sull'arte ravennate e bizantini, XII, 1966, p.225-250.

بصبراتة [1173]، أوبالمدن التي حصلت على الاسم الإمبراطوري مثل حيدرة[1174]، ولعل ما يشير إليه نفس المصدر بالنسبة لإحياء الأسواق أو الموانئ[1175]، هوتأكيد على انتعاش في الحياة الحضرية واستعادة لنشاط المدن. لكن هذه الصورة المثالية، سرعان ما تصطدم بالصورة المعاكسة التي أوردها بروكوب نفسه في كتابه الشهير، التاريخ السري[1176].

ثانيا :أصناف العمارة البيزنطية

انطلقت أغلب هذه الأطروحات إما من خلفية الحكم على ما آلت إليه المدينة، أو باشرت عملية البحث من خلال القرائن المادية التي قد تعود إلى ما قبل الفترة البيزنطية، فالفخار المتأخر، مهما كانت دقة تأريخه فإطاره الزمني عادة ما يتجاوز الحدث التاريخي، واستعماله قد يستمر فترة أطول بعد انتاجه. وهو ما يجعلنا نسعى للبحث على معالم هذه الحركة داخل المدن نفسها، والانطلاق من رصد العناصر المكتشفة في ما يمكن تسميته بالمساحة العمرانية البيزنطية. رغم انحصارها في العمارة العسكرية و الدينية و غياب صورة عمارة المسكن والاستهلاك الخاص :

أ – العمارة العسكرية:

رغم أن الهاجس الأمني وإستراتيجية الصراع الذين كانا يميزان هذا النوع من العمارة، يظلان أكثر المظاهر بروزا في هذه العمارة، فضلا عن كون أغلب هذه المنجزات تعود للفترة الجستنيانية أوجستين، فإن الحفاظ على بقائها كمنشآت دفاعية إلى غاية فترة الفتوحات الإسلامية، واستمرارية استعمالها خلال هذه الفترة، قد تطلب من دون شك المواظبة على الصيانة والترميم طيلة هذه الفترة[1177]. ومن ثم فحركية البناء قد أدرجت هذه الهياكل الدفاعية في النسيج العمراني المغربي، إلا أن الحفاظ عليها يفترض استمرارية عمليات التمويل والرعاية المادية، ولعل هذا ما يتجلى من رصد أهم التدخلات البيزنطية في عهد جستنيان :

[1172] Procope, De Aed, VI,4,1"- 5,11, p376-379
[1173] Procope, De Aed , VI,4,13,p.377
[1174] Procope, De Aed.VI,5,12.p.383
[1175] De Aed, p341-342, et sur le port, Joh.,I,372-373
[1176] Procope, Histoire secréte, XXIII,1-23.p 114-116
[1177] لدينا العديد من النقائش المؤرخة في نهاية القرن السادس وحتى منتصف القرن السابع، والتي تحفظ عمليات الصيانة والبناء في هده الفترة المتأخرة، مثل نقيشة هنشير القصر، على مسافة 2 كلم غرب تبسة، والتي يمكن تأريخها ما بين 612 ــ641، (CIL 12036) الى جانب نقيشة قصر لمسة والمؤرخة ما بين 581و598 (CIL 12035)(10681).

الظروف التاريخية للسياسة التحصينية في المغرب:

كما سلف وأن أوردنا في دراسة أوضاع المغرب عشية الاحتلال البيزنطي، فانه من الصعب تأكيد فكرة إعادة بناء كل أسوار وقلاع الخريطة المغربية خلال الفترة الجستنيانية، أونفيها ما دامت الدراسات الأثرية لم تأخد بعين الاعتبار هذه المرحلة الانتقالية، وبالتالي تظل سياسة التحصينات الجستنيانية محل تساؤل، رغم أننا نمتلك بعض القرائن التي تساعدنا على فتح هذا الملف فمثلا :

1. جرت أغلبية المعارك العسكرية التي قادها بليزاريوس في مناطق مفتوحة، فلم تذكر الأسوار إلا في عدد قليل من المواقع مثل:

قرطاج	يخبرنا بروكوب بأن أسوارها قد رممت في حدود 425 وكانت عشية حملة بليزاريوس في حالة متدهورة
حضرموت	سلم أهلها مفاتيح المدينة للقائد البيزنطي
هيبون	نعرف عنها أن الوندال قد حاصروها

مما يجعلنا نعتبر أن إشارة بروكوب بأن الوندال قد هدموا كل أسوار المدن، لم تكن في الواقع سوى مجرد حملة دعائية بيزنطية ضد الوندال، وبالتالي لا يمكن تقييم أهمية المنجزات العسكرية التي حققها جستنيان إلا إذا تمكننا من معرفة حقيقة الخريطة العسكرية خلال الفترة الوندالية، بل معرفة طبيعة الأسس التي شيدت عليها هذه المنجزات، وإذا كانت بعض الدراسات الأثرية قد حاولت معالجة الأمر في كل من صبيطلة، لبدة، صبراتة، حيدرة، دوقة، الجم، أوسطيف، فلم تنجز دراسات استراتيغرافية إلا في بعض أحياء قرطاج، لبدة أوصبراتة، وبدرجة أقل سطيف، مما يجعل المعرفة التاريخية غير كافية لتعميم أحكام شاملة. كما يطرح ملف النقائش الأثرية، الدي طالما شكل قاعدة لدراسة هذه المنجزات، صعوبات كثيرة في تأريخها، وفي مطابقة محتواها، أوالفصل بين طبيعة الفعل الدي تسجله والدعاية السياسية التي تهدف إليها، بل كثيرا ما اعتبرت عبارة edificata est fundamentis التي تكررت في هذه النصوص[1178]، بأنها لا تعكس الحقيقة التاريخية بقدر ما تهلل للدور الجستنياني في هذه المرحلة الحرجة.

[1178] وردت في 07 نقائش، أشرف عليها كلها القائد سولومون، و ذلك في كل من مداوروش، تبسة، تاورة، تيمقاد(وحدها 03 نصوص)و أخيرا زابي.

ويظل من الصعب رسم صورة دقيقية عن أهمية وحجم التحصينات البيزنطية، بل تبقى هذه الصورة مضطربة وغير دقيقة رغم الشواهد والمصادر المتنوعة، ، فإيفاغريوس بإشارته إلى تدخل الامبراطور جستنيان في حوالي ب 150 مدينة، سواء بإقامة الأسوار أو أعمال أخرى، جعل من الصعب مطابقة الخريطة الأثرية مع هذا الرقم، الأمر الذي جعل أغلبية الباحثين يقرون صعوبة تقبله باعتباره يمثل حقيقة المدن والقلاع البيزنطية[1179]، رغم اقتراح ديل Diehl بأنه قد يمثل عدد المواقع التي كانت تدفع الضريبة في زمن جستنيان[1180]. في حين شكل نصا بروكوب موضوع جدل حول جغرافية المدن وتوزيعها عبر الولايات، فكونه اعتبر هيبون[1181] وبولاريجيا[1182] أوقالمة، حيدرة و الكاف[1183] في الولاية النوميدية، جعل البعض يتحفظ من فرضية توزيع جغرافي جديد[1184]، بيما اعتبر برينغل Pringle أن الولاية النوميدية قد اكتست أهمية كبيرة ابتداء من العهد الجستنياني[1185]، وبالتالي لا محالة أن تكون حدودها قد اتسعت باتجاه الشرق والغرب، ومع ذلك فقائمة بروكوب المشكلة من 28 مدينة و07 حصون، لا تمثل كل التحصينات المعروفة، فمن مجموع 18 نقيشة رسمية نشرها دورليا تمت مطابقة 08 مواقع وردت في نص بروكوب. وحسب برينغل فمجموع التحصينات المنجزة في عهد جستنيان وحده يمكن تقديرها بحوالي 38 قلعة يضاف إليها أكثر من 17 حصنا صغيرا، إلى جانب حصني موفت و أولاد تبان الذين تعرفت عليهما شخصيا[1186]. وبالتالي رغم اعتبار هذا الرقم كحد أدنى نتيجة اندثار بعض التحصينات نهائيا في مواقع متعددة، فاننا نظل بعيدين عن الرقم الذي أوره إفاغريوس.

كما أثيرت إشكالية رزنامة المنجزات الدفاعية البيزنطية، قصد الإجابة على هاجس السرعة ومزامنة الثورات الأهلية، والتي يبدوأنها فرضت حلولا استثنائية في الميدان. وإذا كانت دراسة النقائش الرسمية قد جعلت دورليا يقترح أن الإطار التاريخي لأغلبية هذه المنجزات يمكن أن يعود إلى العهدة الثانية لفترة ولاية سولومون بإفريقيا، والمؤرخة بالفترة الممتدة بين 539-540، وهوما يناسب في اعتقاده فترة السلم التي عقدت مع المور، بعد حروب الأوراس[1187]. فقد أقر الباحث البريطاني بريغل فرضية ديل Diehl ثانية، مؤكدا بأن برنامج التحصينات يعود أصلا الى الفترة الممتدة ما بين 534و544 ، وبالتالي فهولا يرتبط

[1179] N.Duval, l’etat actuel des recherches sur les fortifications.p ;171-172
[1180] Ch.Diehl, Afr.Byz. p387
[1181] Procope, B.V.II,4, 26
[1182] Procope, B.V.I,25,1
[1183] Procope, de Aed. 7,10-11
[1184] Ch.Diehl, Afr.Byz. p.240; J.Desanges, …..1963.p.65-67
[1185] D.Pringle, The Defense of Byzantine Africa, p.61
[1186] أنظر لهامش رقم بالنسبة لموقع موفت، أما بانسبة لنقيشة أولاد تبان فهي تحت الطبع.
[1187] Durliat, Les Dédicaces d’ouvrages de defense,p97 cf N° 13

بعهدة واحدة[1188]. وعموما إذا كان من الصعب تأريخ كل المعالم بدقة، فان طبيعة الأشكال الهندسية المعتمدة والمواصفات التقنية التي تميزت بها هذه العمارة العسكرية، فضلا عن ملف النقائش من شأنها أن تؤكد أنها تندرج ضمن برنامج دفاعي واحد.

وتسمح الخلفية التشريعية بتحسس أهمية هذا المشروع العمراني العسكري عند الإمبراطور جستنيان، حيث شكلت عملية جمع السلطات المدنية والعسكرية في يد القائد سولومون حلا استثنائيا لتجاوز كل ما يمكن أن يعرقل السياسة التحصينية . وهوما تؤكده العديد من النقائش الرسمية التي تجعل الاسم الامبراطوري على قمة الهرم، في حين ظل القائد سولومون ينعت كمجرد مشرف على التنفيد، وهذا ما أوحى للعديد من الباحثين بأن المشروع العسكري لا يمكن أن يكون إلا رسميا على أساس شهادة كل من بروكوب وإيفاعريوس. وبالتالي فقد كان تمويل عمليات الإنجاز في أغلبية المواقع، من صندوق الخزينة الامبراطورية[1189]، رغم وجود عينات أخرى من النقائش سجلت أسماء العديد من الشخصيات التي أشرفت على عملية الإنجاز، مثل بولس Comes Paulus في قالمة ، أونونيس Nonus في جلولة[1190].

المواصفات التقنية والهندسية للمنشآت العسكرية

كثيرا ما وصفت العمارة العسكرية البيزنطية، بأنها عمارة غير راقية، اعتمدت على توظيف المخلفات المعمارية للفترة الرومانية، لا سيما الكتل الصخرية الضخمة، وعادة ما تميزت جدران التحصينات باستعمال هذه الكتل الضخمة على واجهتي السور، بشكل متوازي، وملء الفراغ بالحجارة الصغيرة أوالإسمنت، قصد تقويتها وتمتينها أكثر. وإذا كانت فكرة توظيف حجارة المنشآت الرومانية القديمة، قد أسالت حبرا كبيرا حول فكرة استمرارية المدينة أوخرابها، أوحول بساطة وسذاجة الهندسة المعمارية اليزنطية، فيمكن التنبيه أيضا إلى أن إعادة استعمال مواد البناء الموجودة في المحيط العمراني، يعود أيضا إلى عاملي السرعة والتكلفة في الإنجاز، وهوما أكدت عليه العديد من النصوص التشريعية [1191]. كما

1188 D.Pringle, The Defense of Byzantine Africa, p 90, pp24,29 ; Diehl, Afr.Byz., 168-169

1189 قد تحمل الهبات الامبراطورية هده شكل تحويل مداخيل الضياع الامبراطورية، أومداخيل الضرائب المباشرة أوغير المباشرة ، أوالغنائم التي تم الحصول عليها من خلال الانتصارات المحققة على المور مثلما تسمح باستقرائه العديد من النقائش، لا سيما بعد حرب539.

1190 D. Pringle, The Defense of Byzantine Africa, p89

1191 Code. Theodosien.,ed. T.Mommsen et P.Meyer, Berlin, 1905, XV, 1, 36 (397)

يمكن الإشارة أيضا إلى مراسلة القديس أوغسطين رقم: 20، أنظر الهامش رقم:... و التي تحدثت عن ظاهرة بناء المساكن باستعمال حجارة البنايات القديمة أو التي أصبحت خرابا.

استعملت أنواع أخرى من الحجارة الكلسية أواللبن والآجر، خاصة في المناطق التي لا تتوفر فيها مواد البناء المعروفة بكثرة. وحسب ديفال فتقنية l'opus africanum لم تستعمل سوى في الأسوار الثانوية، وإذا وجدت مثلما هومعروف في Thubursicu Bure فهي تقتصر على منشآت قديمة تم ترميمها فقط.[1192]

وعموما، فقد تميز متوسط سمك الأسوار البيزنطية بحوالي 2م (مما يفترض أن جانبي السور يمكن تقديرهما بمتوسط 50سم الواحد، لتبقى حوالي 1م تخصص للحشو بالحجارة الصغيرة والمتوسطة). ويكون هذا السمك أكبر في قاعدة السور، مع توظيب الحجارة الكبيرة بدقة أكثر[1193]. وقد اعتبر ديفال أن هذا السمك يعتبر قليلا بالمقارنة بالتحصينات البيزنطية المتواجدة بالشرق، ولعله يعكس جانب من الخلفية الدفاعية البيزنطية التي لم تكن تخشى آليات الحرب باعتبارها تواجه القبائل البدوية غير المعتادة على الحروب والمعارك المنظمة.[1194] كما تميزت الأبراج بنتوئها عن خط الأسوار، وشكلها المربع في أغلب الأحيان

وفي الواقع، تفرق النصوص بين العديد من المنشآت العسكرية[1195]:المدن المحصنة Civitas، الحصون الكبيرة Castra، القلاع الكبيرة Castel، الأبراج Bvrgi، الأسوار Clissvrae. الأمر الدي يجعل استعراض نماذج منها بإختصار شديد، ضروري لاكتمال الصورة ووضوحها.

1- المدن المحصنة:

توجد حوالي 17 مدينة يمكن إعتبارها من المدن المحصنة وتتجاوز مساحتها 03 هكتار، نقسمها كالتالي:

أ- كل من قرطاجة وشرشال قد حافظتا على مساحتهما القديمة، قرطاجة 390ه، شرشال 370ه[1196].

ب- المدن التي تتراوح مساحتها ما بين 50 و25هـ وهي: طرابلس Oea ، سوسة Hadrumetum، قسنطينة Constantina، لبدة Leptis Magna التي تقلصت مساحتها من 130ه إلى

[1192] Duval ,l'état actuel, p182 , cf ch.diehl,Afr.Byz., p178 , D. Pringle, The Defense of Byzantine Africa, p.136

[1193] يبدوأن وحدة القياس كانت القدم البيزنطي على اعتبار أن القياس النمودجي يتراواح بين 6و7 قدم

[1194] N.Duval, l'etat actuel de la recherche, p183

[1195] Cod. Just. I,27,2,4,8,14,15. Ch. Diehl, Afr. Byz. p 185.St. Gsell, les Monuments Antiques p. 44

[1196] N. Duval, l'etat de la recherche... p185

44ه، وصبراتة Sabratha التي تقدر مساحتها ب 28ه[1197]. كما يمكن إعتبار مدينة تامنتفوست Rusigniae قريبة من هذه المدن حيث قدرت مساحتها بـــ 20ه[1198].

ج- أما النموذج الثالث فيتمثل في المدن التي تقدر مساحتها ما بين 03 و10 هـــ ويمكن الوقوف على حوالي 12 مدينة أهمها: بغاي Bagai، تبسة Theveste ، برج هلال Scillium ، زيامة منصورية Choba، هنشير لوربيس Laribus ، عين البرج Tigisis، عين جلولة Cululis[1199].

2-الحصون الكبيرة:Castra

توجد حوالي 07 أو08 حصون، يرجح أنها كانت تأوى وحدة عسكرية أوإثنين من Numeri، وتقدر مساحتها ما بين، 0.5 و1.5 ه - مثل تيمقاد 0.75ه-[1200] وغالبا ما تكون على شكل مستطيل إذا كانت الطبيعة ملائمة، كما تحتوى في أغلب الأحيان على 04 أبراج في الزوايا مع برج وسيط من كل جهة مثل: قصر بلازما، تامالولا، طبنة، أو تيمقاد إلى جانب قفصة التي كانت مقر قيادة الحاكم العسكري لأقليم المزاق، قصر عثمان، تاورة.[1201]

3-القلاع : Castellum

توجد حوالي 08 مواقع أثرية تمثل تحصينات بمساحة تقدر ما بين 1.5ه و3ه، من بينها القلعة الموجودة بقالمة، قلعة سيدي يحي بالقرب من صبراتة، وكذلك الموجودة بكل من طبرسوك Thubursucubure [1202]. فضلا عن القلاع المستطيلة الموجودة بكل من سطيف و التي تقدر بمساحة 1.69ه وسبيبة: بمساحة 1.09ه ، و تتشابه هاتان القلعتان مع قلعة المدينة القديمة[1203]. كما توجد قلاع أخرى غير منتظمة، تخضع لطبيعة الموقع الجغرافي مثل قلعة

1197 Id., 185

1198 نفس المرجع ص 186، St Gsell, les Monuments... p349

1199 أنظر القائمة التي أوردها: D. Pringle, The Defense of Byzantine Africa. p126 وبالنسبة لتبسة :
C.A. Moll Mémoire historique et archéologique sur Tébessa (Theveste) et ses environs (suite et fin), Ann. Const. 1860-61, p 209

1200 J. Lassus,la forteresse byzantine de Thamugadi, pp. ? P.A. Fevrier, Approches recentes de l'Afrique Byzantine... pp 28-31

1201 D. Pringle, The Defense of Byzantine Africa, p 85-88, 235-236. N.Duval, l'etat de la recherche ... p189

1202 D .Pringle, The Defense of Byzantine Africa, p. 243-244 ; N.Duval, l'etat de la recherche ... p188

1203 N.Duval, l'etat de la recherche ... p188 ; St.Gsell, Les Monuments, p.375-376 ; Ch.Diehl, Afr.Byz.258,280-281,290,

كاف ابن زيون Zattara ، حيدرة، تيفاش Tipaza [1204]، ويرجح حسب مساحة هذه القلاع أن مهمتها لم تكن فقط إيواء وحدات الجيش بل كذلك إستقبال السكان اللاجئين في حالات الحرب[1205].

4-الحصون الرباعية QUADRIBVRGIA

وجد هذا النموذج منذ العهد الروماني، وحسب القائمة التي أوردها الأستاذ برينغل، توجد حوالي 20 حصنا من هذا النوع[1206]. فهومربع الشكل يحتوى مبدئيا على 04 أبراج جانبية ومدخل رئيسي، وتتراوح مساحته ما بين 0.80ه، برج Upenna 0.38 ه، عين تونقة Thignica ولعل المخطط الأكثر شهرة في هذا النموذج هوبرج قصر لميسة بمساحة تقدر ب 0,10ه.

وإلى جانب المخططات المنتظمة، تم العثور على العديد من التحصينات التي تم إنشاؤها بسرعة بالإعتماد على البقايا الأثرية السابقة مثل: حصن دوقة، خميسة Thvbrsicv Nvmidarvm، ومكثار Mactar.[1207] ويمكن أن يشكل هذا النموذج Quadribvrgivm، تحصينات أوسع مثل ما نجده في كل من عين البرج، بغاي، وهنشيرلوربيس[1208].

5-الأبراج والحصون الصغيرة: BURGI

وجدت هي الأخرى منذ العهد الروماني، لاسيما على الحدود بكل من الطرابلسية، المزاق، نوميديا. وعادة ما تكون مربعة الشكل، طول ضلعها يتراوح ما بين 10 و20م، وفي بعض الأحيان تكون مجرد ضياع محصنة[1209]، ويمكن أن تتمحور مهمتها في المراقبة، أوالخطوط الأمامية للدفاع حيث نجدها تتقدم القلاع والحصون الضخمة مثل عين زانة، مكثر، حيدرة. وغالبا ما كانت تحصينات هذه المواقع عبارة عن قوس النصر أحيطت به اسوار ليحول إلى حصن[1210].

يعلق ديل أن خريطة إفريقيا أثناء الإحتلال البيزنطي مليئة بمثل هذه الأبراج والحصون، المتواجدة بالقرب من المدن أوحتى بداخلها، لتوفر للسكان ملاجئ في حالة أي خطر

1204 Ch.Diehl, Afr.Byz. pp.74,286-287 ; St.Gsell, les Monuments, p.360-362.
1205 St- Gsell, les Monuments ... p350; N.Duval, l'etat de la recherché.p.189.
1206 D. Pringle The Defense of Byzantine Africa. p 90
1207 N. Duval, l'etat de la recherche ... p 190
1208 N.Duval, l'état de la recherche..p191
1209 N.Duval, l'état de la recherche..p191
1210 N.Duval, l'état de la recherche..p193

عليهم[1211]. بينما تتميز عملية البناء فيها بأنها أقل إتقانا، وأقل إتساعا من بقية التحصينات وذلك لأنها من جهة ترجع إلى ما بعد عهد جستنيان، ومن جهة أخري كثيرا ما كانت ثمرة مبادرات محلية غير رسمية[1212]. إلا أن هذه التحصينات بالرغم من كثرة عددها، يجب أن لا توحى لنا بأن بلاد المغرب أثناء فترة الأحتلال البيزنطي كانت كلها بمثابة قلاع وحصون فقط أوأنها كانت مدججة بتحصينات منغلقة على نفسها تعيش دوما على هاجس الخوف واللاإستقرار. بل يجب الإشارة إلى وجود مدن كانت تنعدم فيها التحصينات والأسوار، عرفت نشاطا إقتصاديا لايقل اهمية عن المدن المحصنة، كما شهدت هذه الفترة أيضا حركة عمرانية في المجالات غير العسكرية، خاصة منها بناء وترميم الكنائس والأديرة، والتي إستمر نشاطها إلى ما بعد القرن 7م[1213]. كما يوحى هذا العدد الضخم من التحصينات المنتشرة عبر مناطق بلاد المغرب القديم، وجود جيش ضخم للسهر عليها، إلا أن المصادر أكدت عكس ذلك. بل أنه قليل العدد، يعتمد على نسبة كبيرة من الفرسان فضلا عن التحالفات مع القبائل المورية، ومن ثم يمكن إعتبار أن هذه التحصينات وجدت لتعوض النقص فى تعداد الجيش، بالرغم من اللجوء إلى سياسة "الجيش" "الحدودى" من المزارعين القاطنين على تخوم الليمس[1214]. ولعل إستعانة البيزنطيين بالسكان المحليين تتجلى أكثر في بروز فئة الأعيان وكبار الملاكين ليقترن إسمها في العديد من النقائش مع إسم الامبراطور أوالحاكم العسكري للمقاطعة على جدران العديد من التحصينات[1215]. مما يؤكد من جهة، تجمعها حول مجالس المدن بل إحتكارها لإدارة هذه الأخيرة، وجمع الضرائب بها، ومن جهة أخرى تقلص العنصر الشرقي وإقتصاره على المراكز القيادية الكبري[1216]. وهذا ما يجعلنا نتساءل، هل حقا أصبحت "إفريقيا" بيزنطية؟ مثل ما نجده شائعا في كل المراجع.

ويمكن الإشارة إلى فكرة أخرى، وهي تذبذب وتراجع خريطة الإحتلال البيزنطي حيث نجدها غير ثابتة بالنسبة للحدود بين المقاطعة نفسها، كما نلاحظ ميدانيا الفرق بين الخريطة التي تصورها جستنيان من خلال مرسوم 534م، والتي تتبنى الموروث الامبراطوري الروماني، والخريطة التي أملتها طبيعة الأمر الواقع، وذلك بتحويل الطرابلسية إلى مصر

[1211] Ch. Diehl,Afr. Byz. p 211
[1212] St. Gsell, les Monuments ... p 350, J. Durliat, lesGrands proprietaires ... p75.Id, les Dedicaces d’ouvrages de défense, p109,114
[1213] N.Duval, Observations sur l'urbanisme tardive de Sufetula (Tunisie), p87-103; Id, Influences sur la civilisation chretiennes de l'Afrique du nord, pp XXVI-XXX
[1214] Ch. Diehl, Afr. Byz. pp. 16-17.
[1215] J. Durliat, les Dedicaces ... p113-114
[1216] J. Durliat, les Dedicaces ... p113-114

والتنازل على الموريطانيتين: الطنجية والقيصرية فضلا عن ضم السطائفية إلى الأقليم النوميدي[1217].كما تسمح لنا العديد من المصادر العربية من تأكيد فكرة بقاء هذه القلاع قائمة إلى ما بعد الفتوحات الإسلامية[1218].

ب – العمارة الدينية:

تشكل المنجزات الكنسية أكثر المعالم العمرانية انتشارا في الخريطة البيزنطية، وأهميتها في هذا الفصل لا تكمن في الوقوف على طابعها الديني فقط وإنما تسمح لنا بقياس حجم جانب من هذه الحركة العمرانية، ولنا أن نتصور كم تتطلبه كل كنيسة من مواد بناء، وزخرفة وأخشاب وغير ذلك من المواد التي تتطلب في أحيان كثيرة استيرادها من خارج المقاطعة الإفريقية ، وقد حاولت رصد جدول للمدن التي اكتشفت بها هذه المعالم، أوسجلت شواهد على عمليات التشييد.

- **المعالم الزخرفية للعمارة البيزنطية**

لا يجد الباحث صعوبة كبيرة في إقرار حركية إعادة توظيف مختلف مواد البناء الرومانية في المنشآت البيزنطية، كما لا يمكن نفي تواجد مواد بناء تحمل مواصفات مشرقية أو متأخرة، مقارنة بالمواد الزخرفية الرومانية أو التي تعود إلى فترات عليا من التاريخ القديم، ورغم صعوبة الجزم بعودة هذه المعالم الزخرفية لفترة دقيقة من التاريخ البيزنطي، فانها تسمح باستئناسها في انتظار امكانية بروز بحوث متخصصة في هذا المجال، على شاكلة ما أشرف عليه ديفال في كل حيدرة و صبيطلة او ما حاول القيام به فيفري في منطقة جميلة و سطيف. و قد نكتفي بالتطرق لبعض العينات تتميز بحضورها في المتاحف الوطنية أو المواقع الأثرية:

- **التيجان:**

كثيرا ما لوحظ وجود أشكال مختلفة للتيجان المستعملة في المواقع الأثرية[1219]، والتي لا تندرج ضمن القوائم المعهودة للفترات الرومانية، فقد اشتهر ما يسمى بالتيجان "القسطنطينية" من خلال أعمال حرازي و تتبعه لإعادة توظيف هذه القطع في العمارة

[1217] أنظر الخرائط والمخططات الموجودة بالملاحق

[1218] A.Mrabet, L'état économique de l'Afrique byzantine, p133

[1219] M.Pinard, Chapiteaux byzantins de Numidie actuellement au Musée de Carthage, Cah.Byrsa, I,1950, p.231-239,14pl.

الاسلامية، حيث أقر بان هناك أشكالا عديدة يفترص استيرادها من القسطنطينية. و إن كان استعمال هذا النوع من الزخرفة المعمارية في المنشآت الدينية، ليس حكرا على الفترة البيزنطية، فان فرضية الاستيراد تكتسي أهمية أكبر خلال القرن السادس ميلادي. فأغلب النماذج التي تم جردها هي التيجان المشكلة، ذات الأوراق المسننة و العنق المثلث بطريقة سهمية، أو الوسطي المنتفخ، و هي نماذج تفترض أيضا تبلور ورشات محلية رغم استيرادها للقوالب الفنية المشرقية. وإذا كانت نسبة هذه التيجان في مدينة داخلية مثل كويكول تبدو ضئيلة من خلال الدراسة التي أنجزها أونيس[1220]، فهي لا تنفي فرضية استيراد هذه النماذج أو على الأقل، استجلاب قوالبها. كما يجدر الإشارة إلى حمولة مارزميمي Marzememmi التي اكتشفت بسواحل صقلية، و التي يبدو أنها غرقت في منتصف القرن السادس[1221]، حيث اقترح سوديني Sodini أنها كانت متجهة إلى قرطاج أو سواحل المزاق[1222]، وقد اكتشف بها 28 قاعدة لأعمدة من الرخام، و28 قطعة من الأعمدة نفسها بتحزيزاتها على الأطراف، فضلا عن عدد مماثل من التيجان الكورنثية، بعضها احتوت على علامات الورشات أو العمال الذي أنجزوها، فضلا عن 05 قطع رخامية مزينة بـــ Chrisme و صليب من كل جهة، و هو ما جعل هذا الباحث يطرح فرضية استيراد هيكل كنيسة كاملة، مشيرا أن عملية استيراد هذه المادة هو ليس بالجديد، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، حيث أورد نصا من كتاب Miracula للقدس ديميتريوس Demetrius [1223]، و الذي سجل أحد كرامات هذا القديس لقس إفريقي باسم كيبريانوس Cyprianus، من مدينة عين غريب Junca بالجنوب الشرقي التونسي، حيث أنقذه القديس ديميتريوس من يد قراصنة البحر، و نقله إلى كنيسته بتساليا فأقام بها حوالي نصف سنة، كما أحاطه برعايته لاستجلاب العديد من المواد الداخلية وعتاد داخلي، من أعمدة رخامية و منبر...إلخ، عندما أرادها القس الإفريقي أن يشيد كنيسة مشابهة لكنيسة القديس ديميتريوس Demetrius، وذلك بمدينته بافريقيا. و ما يهمنا من هذه الرواية هو الاستنتاج الذي أفضى به سوديني Sodini و المتمثل في اعتبار أن تجارة الرخام قد ظلت ثابتة، بل أصبحت جد حيوية في الفترة البيزنطية[1224].

[1220] أونيس ميلود، تيجان مدينة كوكول دراسة معمارية، رسالة ماجستير، قسم الآثار، جامعة الجزائر، 2004

[1221] G.Kapitaen, Elementi architecttonici per une basilica dal relitto navale del VI seculo di Marzameme(Siracuza),Corsi di Cultura sul'arte Ravennate e Bizantina,XXVII,71-136.

[1222] J.P.Sodinie Le commerce du Marbre, dans hommes et richesses dans l'Empire byzantin,I,IVe-VIIe siècles,Paris, 1989, pp163-186

[1223] P.Lemerle, Les plus anciens recueils de miracles de saint Demetrius, Paris,1979, p.238-239

[1224] J.P.Sodinie Le commerce du Marbre. p. 163-186

– **الفسيفساء:**

أعطت دراسة العديد من البلاطات فرصة الحديث عن استمرار حيوية العمران إلى ما بعد القرن السادس، رغم ما تحمله من خصوصيات مادية، دينية وفنية[1225]. فالحفاظ أو إعادة استعمال البلاطات القديمة جعل أرضية العديد من الكنائس مثلا غير متجانسة، رقعت في مواضع دون أخرى. إلا أنها كرست استعمال نفس الفضاء المعماري، ولعل ظاهرة الأضرحة المرصعة بالفسيفساء داخل الحرم الكنسي نفسه هي تحول جديد في استهلاك هذه المساحة العمرانية الدينية[1226]، أو الانتشار الواسع لفكرة الإهداءات و النصوص المكتوبة على الأضرحة والبلاطات المحيطة بها، و هي كلها معطيات تؤكد استمرار التعامل مع هذه التقنية دون استعمالها لنفس الغرض المعهود في المنازل أو البنايات العمومية[1227]. وقد أكد ديفال أن تطور أشكال هذه البلاطات إلى استعمال قطع حجرية أكبر و خطوط تصويرية أقل دقة لا يعكس بالضرورة انحطاطا فنيا بقدر ما يدل على ذوق جديد مرتبط بمحيط الموقع وبامكانياته . كما سمح تأريخ هذا النوع من الانتاج إلى إقرارتواجد عدد من الورشات المحلية بأذواقها المختلفة، وبخصوصياتها الفنية[1228]. وفضلا عن استمرار الاشكال الهندسية الافريقية، فقد اعتبر أغلبية الباحثين أن استعمال أشكال وريقات النخيل المصففة على شكل صليب بحرف ، للحصول على أزهار مشكلة، هو صنف من الزخرفة يمكن أن يعود لورشات مشرقية استقدمت رسميا نحو إفريقيا، بل هي نفسها التي نقلت هذه النماذج" المشرقية–الإفريقية" إلى رافينا[1229]. ورغم استمرار النقاش الدائر حول مصدر أشكال وريقات النخيل، هل هو مشرقي أو محلي إفريقي، فان اكتشاف نفس التقنية الزخرفية في مواقع مختلفة من حوض البحر المتوسط، خاصة البحر الأدرياتيكي، من شأنه التأكيد على عدم تقوقع المقاطعة الإفريقية في المنشآت العسكرية بل تميزها بقابلية التفاعل مع

[1225] P.A. Février, Remarques sur les mosaïques de basse époque à Djemila, dans Bull. de la Soc. Nat. des Ant. de Fr., 1965, p. 85-92.

[1226] N.Duval, les nécropoles chrétiennes d'Afrique du Nord,dans , l'Afrique du Nord antique et médievale, Monuments funéraires Institutions autochtones, VI Colloque international sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du Nord, Pau,1993, CTHS,1995,pp.187-205

[1227] N.Duval et P.A.Fevrier, le décor des monuments chrétiens d'Afrique, Actas del VIII Congreso international de Arqueologia cristiana, Barcelone, 5-11 octobre1969, Rome-Barcelone,1972, p.5-125,pl.I-XXXIV

[1228] أكدت بلانشير ليمي من خلال دراستها لبلاطات الفسيفساء بجميلة، أن تقنية الإنجاز قد اختلفت من لوحة لأخرى مما يوحي بتنوع الورشات المحلية، أنظر:

M.Blanchard-Lemée, Maisons à mosaiques du quartier central de Djemila(Cuicul) , Paris, 1975. p.

[1229] C.Dunbabin, Mosaics of the Byzantin period in Carthage. Problems and directions of research, Cahiers des Etudes Anc.,17,1985, 5Carthage VII), p.9-29.

التيارات الفنية المعاصرة[1230]. كما اقترح ديفال وجود عدد من الورشات المحلية من خلال دراسته لبلاطات الكنائس في كل من بولاريجيا، شمتو، الكاف حيدرة، و غيرها[1231]. و هو عامل لا يقل أهمية في تتبع خصوصيات المدينة البيزنطية، إذا نظمت حفريات جديدة.

استعمال القباب Voutes:

سمحت دراسة المواصفات الهندسية للعمارة الدينية بالوقوف على توظيف طريقة جديدة في أسقف الكنائس و ملحقاتها، تمثلت في استعمال القباب Voutes و تصفيف العروق بطريقة جانبية، و هو ما لوحظ في حيدرة، الكاف أو طبرقة. و قد أكد ذلك ديفال بطريقة مقنعة في دراسته للعمارة البيزنطية بحيدرة، مشيرا أن تقنية البناء المعتمدة على تصفيف الحواف المحدبة أو القباب Voutes، و التي عادة ما ترتكز على الأسوار الجانبية أو تدعم بأعمدة وتيجان ملتصقة بالأسوار هي تقنية بيزنطية قد ساعدت على انتشار توظيف القباب في تسقيف المنشآت الكنسية مثل ما يبدو في سبيطلة[1232].

ولعل ما يتطلب التأكيد عليه، هو أن المقاربة الهندسية يمكن أن تسمح بجرد المعالم العمرانية و المؤثرات الفنية التي أصبحت تميز المدينة في نهاية التاريخ القديم. و ما يمكن استنتاجه من مختلف الدراسات التي جرت، أغلبيتها بالمواقع التونسية، أنه يمكن الحديث عن ظاهرة الانفتاح على الورشات المشرقية، ولو بشكل محدود، إلا أن ذلك ارتبط أكثر بالمؤسسات الدينية و المنشآت الكنسية.

وعموما فان قائمة الأعمال المرصودة في المواقع المدروسة، أوالتي تمت فيها عمليات التأريخ بطريقة علمية، تؤكد على استمرار حركية التشييد في بلاد المغرب إلى غاية فترة الفتوحات الإسلامية، وأن ذلك لم يقتصر كما ظل شائعا على العمران العسكري من قلاع وحصون، فالعمارة الدينية مثلما كرست طبيعة التحول الاجتماعي في المدينة، واحتوائها للفعل العمراني، يمكن اعتبارها دليلا على استمرار هذه الرفاهية، التي طالما تميزت بها طيلة العصور

[1230] N.Duval,Comptes rendus de cathage VII, in Cahiers des etudes Anciennes,XVII, 1985, Université de Quebec,1986, p.64-66.

[1231] N.Duval et P.A.Fevrier, le décor des monuments chrétiens d'Afrique, Actas del VIII Congreso international de Arqueologia cristiana, Barcelone, 5-11 octobre1969, Rome-Barcelone,1972, p.5-125,pl.I-XXXIV.

[1232] N.Duval, Eglise et temples en Afrique du Nord, Note sur les instatllations chrétiennes dans les temples à cour, à propos de l'eglise dite de Servius à Sbeitla,BAC,n.s.,1071,p.265-296., Id., Les églises africaines à deux absides. Recherches archéologiques sur la liturgie chrétienne en Afrique du Nord.,T.II : inventaire des monuments, Paris,1073, p.177-180.

السابقة بالاهذاءات العمومية. كما يفترض أن تأثيث مختلف هذه المنشآت قد تطلب وجود حركية تجارية، خاصة وأن عددا كبيرا من المواد المكتشفة تؤكد مصدرها المشرقي أوعلى الأقل من شمال البحر البيض المتوسط. وبقياس عدد البلاطات المنجزة بالفسيفساء[1233]. أو بالوقوف على ظاهرة تبجيل القديسين التي وجدت ذيوعا كبيرا في هذه الفترة، حيث أصبحت قواعد الأعمدة وأسس الطاولات تزخر برماد هؤلاء القديسين، فقد سمحت الاكتشافات الأثرية بالوقوف على هذا الشكل الجديد من الاهذاءات بالعثور على أضرحة كاملة داخل الحرم الكنسي أو تحت أرضية الكنيسة نفسها[1234]، يمكن التأكيد على استمرار حركية المجتمع الحضري، وتفاعلاته في النسيج العمراني، إلا أنه عوض أن يظل مرتبطا بالساحة العمومية " الفوروم"، أومؤسسات عبادة الإمبراطور والهياكل الوثنية، مثلما جرت العادة حسب التقاليد الرومانية ، تمكنت الكنيسة من استقطاب هذه الحركية وقولبتها في المنظور المسيحي الكنسي.

قائمة المدن والمواقع النوميدية والموريطانية

يجب الإشارة إلى فكرة إدراج المناطق الشرقية من الولاية النوميدية والتي ظلت تعرف في الفترة الرومانية بنوميديا البروقنصلية، لا تنطلق من الهاجس الوطني فحسب، بل أيضا من خلال الخلفية التاريخية لمصادر القرن السادس ميلادي، ففي ذهنية بروكوب نفسه، كانت نوميديا أقرب منها إلى التقسيمات المعروفة زمن الممالك النوميدية[1235]، من تلك المعروفة بعد الإصلاحات الرومانية، كما أكد كل من ديفال Duval وشاستانيول Chastagnol على استمرارية الحنين إلى الصورة التقليدية لنوميديا[1236]. وعموما يمكن يمكن القول فان محاولة تتبع مواقع الاستقرار والتمكز البيزنطيين، في هذا الجزء الغربي من الخريطة البيزنطية المغربية، قد طرح عدة إشكاليات:

- اشكالية المشروع العمراني البيزنطي، هل حقا أعيد إنشاء هذ المدن أم خصت سياسة تحصينات المدن بجانب دعائي كبير ، يعطي للفعل الامبراطوري دور الفاتح والمؤسس ؟

[1233] N.Duval, influences byzantines sur la civilisation chrétienne de l'Afrique du Nord, pXXVI-XXX et « l'architecture chrétienne en Byzacene » MEFRA 84,1972,p1127-1172.
[1234]N. Duval, et F.Prévot, recherches archéologique à Haidra,I ? les Inscriptions, Ecole française de Rome, 18, 1975,p.325-330
[1235] Cf.Desanges,
[1236] وهوما أكده قبل ذلك أيضا ديزانج في الدراسة التي نشرها حول بروكوب ؟؟؟؟ مقل ديفال وشاستانيول

- اشكالية المساحة العمرانية المستعملة، فما مكانة مصطلح القلعة أوالحصن من مصطلح المدينة، هل وجدا داخلها، ضمن أحيائها، أوكبديل عنها، وهل إقامة القلعة في مداوروش على جانب من مساحة الفوروم، يدعوبالضرورة إلى استنتاج توقف نشاط هذا الأخير؟ وما مصير بقية أطراف المدينة إذا ؟ ألا يمكن تصور هذه المنشآت كمؤسسات جديدة تندرج في سياق التطور العمراني للمدينة، دون أن تلغيها؟
- إشكالية امتداد الحدود البيزنطية، سواء كانت باتجاه الجنوب مما يطرح اشكالية الحديث عن امتداد النفوذ البيزنطي جنوب الأوراس، أو باتجاه وقبول أورفض اعتبارالسطائفية أقصى امتداد للنفوذ البيزنطي، وما ينجر عنه من تساؤلات حول طبيعة الجغرافية الداخلية لموريطانيا القيصرية

- طبيعة المادة الخبرية، فيجب الإشارة إلى أن شواهدنا ومعلوماتنا تتمحور في غالب الأحيان بنماذج البروقنصلية والمزاق، نتيجة تمركز عدد كبير من الأحداث في محيطها، لكن أساسا بحكم استفادت هذه الأقاليم من حفريات ودراسات متجددة سمحت بتوفير القرائن العمرانية، مثل حيدرة، صبيطلة أوقرطاج. في حين تظل المعطيات النوميدية والموريطانية نتاج الفترة الاستعمارية، وهي فترة لم تكن تنظر للتاريخ البيزنطي، نظرة موضوعية، فضلا عن عدم دراستها للقى الأثرية مثلما هومعمول به في الفترات المتأخرة.

وعموما فقد قمت برصد أكثر من 50 بطاقية لمواقع أومدن، وردت الإشارة إليها بصورة أو بأخرى في مصادر الفترة البيزنطية، سواء كإشارات في المصادر الأدبية والنصوص الأثرية أو من خلال أرشيف التقارير الأثرية و معاينات المدرسة الاستعمارية، قصد جرد المادة الخبرية المتعلقة بها. ومحاولة تشكيل صورة ولو أولية، بفضل الاستعانة بالمصادر العربية والقيام بقراءة متعاكسة عبر مرحلتي التاريخ القديم والوسيط. ورغم كل ما طرحته هذه العملية من صعوبات في البحث عن تسلسل منطقي للاستعراض أو التنقيب عن الإشارات المهمة في النصوص، فقد أفضت بتراكم كمية معتبرة من المعطيات المتقطعة، يصعب استعمالها في تحليل التطور الإجتماعي أو المادي، لكنها تمهد لعمل أوسع. ويجب الإشارة إلى أن دراسة شبيهة قامت بها مقرانت[1237] في هذا المجال، على أعقاب دراسة كومبيزا Cambuzat[1238] إلا

[1237] B.Moukraenta, l’Algérie antique (Maurétanies Césarienne,Sitifienne à travers les sources arabes du Moyen Age), Dir.J.P.Morel, Aix en-provence,2005
[1238] P.L.Cambuzat, l’évolution des cités du tell en Ifrikiya du VII^e au XI^e siècle

أنها انطلقت من قائمة الإدريسي للمدن المغربية محاولة العودة إلى النصوص و المصادر القديمة، إلا أنها كانت أبعد من أن تعطي صورة واضحة عن طبيعة العمران في فترة دراستنا.

المواقع و المدن : دراسة نموذجية لمواقع الشرق الجزائري

A.A.Alg.4.16		Caesarea	شرشال	رقم:01

الإسم التاريخي للموقع : Iol - Caesarea

مكانته في الخريطة الجغرافية:

تحولت العاصمة يول Iol الى قيصرية في زمن يوبا الثاني وظلت تحافظ على مكانتها التاريخية كعاصمة لموريطانيا، بعد ضمها الى الامبراطورية. وإذا كانت قد اشتهرت بحركية مينائها، فان أحداث القرن الرابع ميلادي سجلت ثورة فيرموس الشهيرة، حيث أبرزته المصادر قد استولى على المدينة في حدود371-372 وخربها[1239]. إلا أن بروكوب وصفها بأنها " كانت منذ القديم مدينة مهمة وعامرة بالسكان"[1240]

مكانته من طرق المواصلات:

اعتبر بروكوب أن امكانية الاتصال بهذه المدينة كانت فقط بواسطة البحر مما يفترض انقطاع أو اضطراب المسالك الداخلية التقليدية

خرائط الطرق الرومانية:

وجدت في أغلبية الخرائط الرومانية

المصادر المسيحية

نعرف العديد من قساوستها، ما بين سنوات 340 و484، كما حفظت قائمة المجمع الديني بقرطاج اسمي القسين الدوناتي والكاثوليكي[1241]. وقد أشارت التقارير الأثرية إلى وجود بناء لكنيسة فوق أرضية الساحة العمومية للمدينة العتيقة[1242]

المصادر البيزنطية:

وردت في المرسوم الجستنياني لسنة 534[1243] ، باعتبارها عاصمة موريطانيا القيصرية، ومقر إقامة دوقها. كما أورد بروكوب أن بليزاريوس قد بعث بها وحدة من الفرسان، تحت قيادة يوحنا John في شتاء 533-534. مثلما أشار أنه في نفس الوقت الذي كان سولومون يقود عملياته العسكرية بموريطانيا السطائفية كانت بقية المناطق الغربية، عدا قيصرية، في يد ملك المور ماستيناس، وأنه لم يكن بالامكان الاتصال بهذه المدينة إلا عن طريق البحر[1244].

[1239] Ammien Marcelin , 29,5 ,17
[1240] Procope,B.V.II,5,5
[1241] J.L.Maier, l'épiscopat de l'Afrique romaine, vandale et byzantine, p.120
[1242] N.Benseddik, « De Caesarea à Shershel : premiers résultats de la fouille du forum», Actes du IIe Coll. Intern. sur l'Hist. et l'Arch. de l'Afrique du Nord, Grenoble, 1983,= BCTH, 19b, 1983, p.451-456
[1243] Cod.Just.,I,27,2,1a
[1244] Procope,B.V.II,5 ,5;10,29;20,31-32

المصادر العربية:

اعتبرها الإدريسي: " صغيرة القدر. لكنها متحضرة. و بها مياه جارية. و آبار معينة عذبة....."[1245] و أشار البكري إلى أنها " مدينة عظيمة"[1246] ، كما اشترك ابن حوقل[1247] والاستبصار[1248] مع البكري في الاشارة إلى مينائها و إلى كون المدينة غير آهلة بالسكان[1249] وفضلا عن الميناء الذي اعتبر أكثر المعالم ترددا في المصادر العربية، فكثيرا ما اعتبرت في حالة خراب، فقد أشار ابن حوقل " هي الآن في خراب، لكن ميناؤها موجود دائما"، أما البكري فقد ذكر " وكانت لمدينة شرشال مبني ارتدم وفيها رباطات .."[1250]، فضلا عن إشارة صاحب الاستبصار إلى " بنيان عجيب يسمى محراب سليمان، قد علا في الهواء"[1251]. وهو ما نتحسسه من نص القزويني الذي تحدث عن أربعة أعمدة اسطوانية ، ثلاثة منها ظلت قائمة[1252]، رغم صعوبة الفصل في طبيعة العمارة التي اعتبرها هذا المصدر بمثابة قصر أميري.

النقائش:

البيبلوغرافيا المعاصرة

Gérin-Ricard, Casserole avec contremarque byzantine provenant de Cherchel et conservée au Louvre. BSNAF, 1910, p. 248 ; P.M.Duval, Cherchel et Tipasa, Paris, 1946 ; Ph. Leveau, N. Benseddik et S. Ferdi, Alger, 1983. Ph.Leveau : Caesarea de Maurétanie: une ville romaine et ses campagnes Collection de l'école Francaise de Rome 70, Rome (EFR), 554 p. ; 1992 ; Id., Caesarea Mauretaniae (Iol), Enc. Berbère, XI (1992), 1698-1706 ; T W, Potter,

---

1245 الادريسي، نزهة المشتاق، ص 79

1246 أبو عبيد البكري، المسالك و الممالك، ص 81

1247 ابن حوقل، صورة الأرض، ص77 " و لشرشال مدينة أزلية قد حربت و فيها مرسى و بها آثار قديمة و أصنام من حجارة و مبان عظيمة.."

1248 كتاب الاستبصار، ص 132

1249 أبو عبيد البكري، المسالك و الممالك، ص 82

1250 أبو عبيد البكري، المسالك و الممالك، ص 82

1251 كتاب الاستبصار، ص 132

1252 **القزويني، ..الإقليم الثالث.ص؟** " مدينة بالمغرب من أعمال بجاية على ساحل البحر. حدثني الفقيه أبو الربيع سليمان الملتاني أنه رأى بها أربع **أسطوانات مفرطة الطول**: ثلاث منها قوائم، والرابعة ساقطة، طول كل واحدة نحو خمسين ذراعاً، وعرضها لا يحوطها باع رجلين. وانها في غاية الملاسة والحسن والهندام كأنها جعلت في الخرط، وعلى كل أسطوانتين جائزة حجرية أحد رأسيها على هذه، والأخرى على هذه، وقد هندمت الجائزة أيضاً مربعة مفرطة الطول والأسطوانات زرق، والجوائز بيض وقد سقط بسقوط إحدى القوائم جائزتان وبقي على القوائم الثلاث جائزتان، فلو اجتمع أهل زماننا على إقامة الأسطوانة الساقطة ووضع الجائزتين الساقطتين عليهما، لا يمكنهم إلا ان يشاء الله. وقد اشتهر بين أهل تلك الديار أنها أثر قصر بناه بعض الملوك لابن له، وقد حكم المنجمون انه تصيبه لذعة من عقرب يخاف منها عليه التلف، فبنى هذا القصر من الحجر لئلا يتولد العقرب فيه لحجريته، ولا يصعد إليه لملاسة أسطواناته، فاتفق انه حمل إلى القصر سلة عنب كان فيها عقرب، فهم ابن الملك أن يتناول العنب من السلة فلذعته ومات منها."

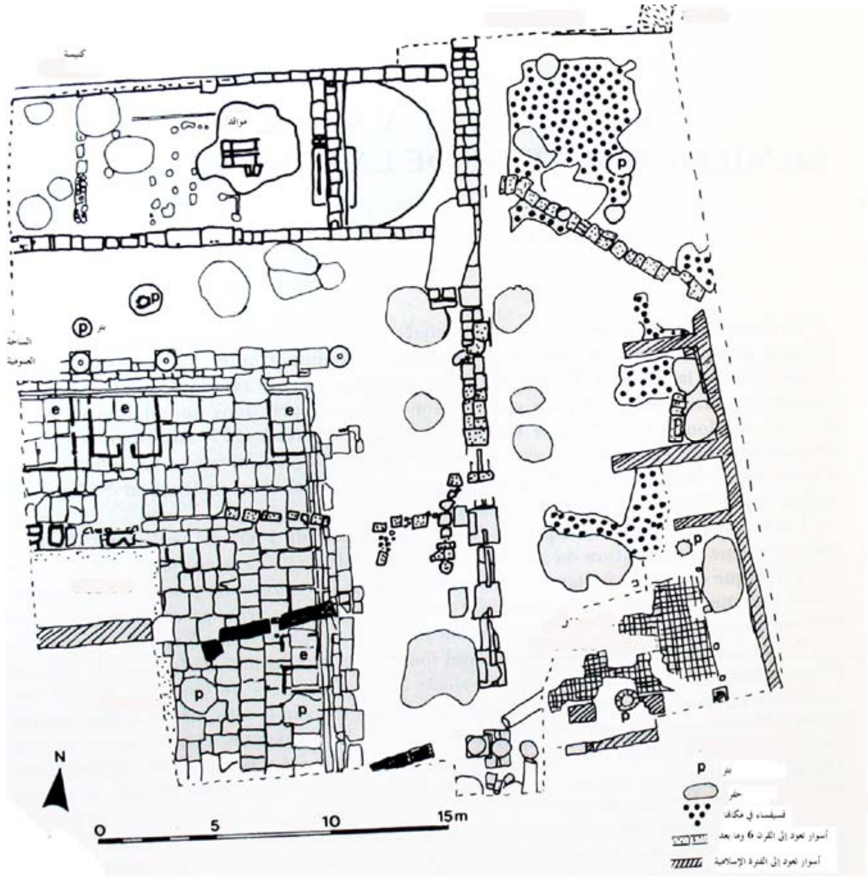
Towns in Late Antiquity: Iol Caeasrea and its Context , 1995, Sheffield ; N.Benseddik, « De Caesarea à Shershel : premiers résultats de la fouille du forum», Actes du IIe Coll. Intern. sur l'Hist. et l'Arch. de l'Afrique du Nord, Grenoble, 1983,= BCTH, 19b, 1983, p.451-456. ;

تطور وضعية الموقع أوالمدينة في الفترة ما بين القرن الخامس والسابع

يشكل الميناء أحد المعالم البارزة التي استقطبت أغلبية المصادر، فإشارة بروكوب إلى أن الإدارة البيزنطية لم تكن تتصل بهذه المدينة إلا عن طريق البحر، هوتأكيد على حيوية الميناء أمام صعوبة أو استحالة المسالك البرية. وهوما كرسته المصادر الاسلامية. ورغم استفادة المدينة من عدة حفريات إلا أن مصير المدينة ظل محل جدل وفرضيات كثيرة، فالحفريات كشفت عن عدة مراحل ميزت المدينة في نهاية التاريخ القديم، قد نكتفي بالنسبة لمجال دراستنا: بحالة الخراب والحريق التي سجلت في حدود بداية القرن الخامس، بل حتى منتصف القرن السادس، والتي كثيرا ما ربطت بثورات فيرموس من جهة أو الاحتلال الوندالي من ناحية أخرى، فضلا عن معالم تعمير المدينة في النصف الثاني من القرن السادس، بينما تحدث ديفال عن معالم التحصينات البيزنطية، فقد أقرت التقارير الأثرية، خاصة الحفريات الجزائرية البريطانية باستمرارية الحياة العمرانية حول الفوروم، رغم ملاحظة بدايات التحول مع القرن الخامس، من خلال سلسلة الترميمات، إلى جانب تشييد الكنيسة المسيحية وتبليطها بالفسيفساء . وبالتالي اقترحت استمرار حيويتها إلى غاية القرن السادس.

نظرة تقيمية للموروث:

تميزت المدينة بخاصيتين اساسيتين بالنسبة للفترة البيزنطية: فكونها ظلت بيزنطية تتصل ببقية المناطق عن طريق البحر، يجعلنا نتصورها آهلة بأرستوقراطية تجارية تشرف على الميناء وتسيير المدينة. وكونها أصبحت منعزلة في الجغرافية المورية ، تجعلنا نطرح العديد من التساؤلات حول طبيعة علاقاتها بمناطق انتاج الحبوب والمواد الفلاحية التي طالما أبرزها لوفو Leveau في مراحلها الرومانية السابقة، إلا أن مظاهر التحول في المدينة تبدو جلية، ليس فقط.... هل يمكن أن نتصور ذلك في المرحلة الثانية من فترة الاحتلال البيزنطي؟



الشكل رقم:1 مخطط الساحة العمومية ابتداءا من القرن الخامس حسب بن صديق، ص:452

A.A.Alg ;5.36	Rusguniae	تامندفوست (البرج البحري)	**رقم:02**

الإسم التاريخي للموقع : Rusguniae

مكانته في الخريطة الجغرافية:

يوجد الموقع على بعد حوالي 26كلم شرق مدينة الجزائر الحالية، مشكلا بذلك نقطة الوصل بين Ruscurru دلس و Caesarea شرشال

مكانته من طرق المواصلات:

يفترض أن أهمية الموقع ظلت مرتبطة بالحركة التجارية، وبالتالي نفتقر إلى المعلومات حول علاقة هذه المدينة بالمناطق الداخلية، على الأقل خلال الفترة البيزنطية.

خرائط الطرق الرومانية:

ورد في أغلب المسالك الرومانية مثل ، بطليموس[1253] ، المسلك الأنطوني[1254] ، أوجغرافية رافينا[1255] ، لكنها دوما كمدينة ساحلية.

المصادر المسيحية

وجدت في قائمة 484 رقم 63، كما سمحت العديد من النصوص الأثرية، من تتبع بعض الشخصيات الدينية، واقرار استمرارها كأبرشية الى غاية القرن السابع، لا سيما من خلال الحفريات التي جرت داخل الكنيسة سنة 1900[1256].

ويبدو أنها مرت بمرحلتين : الأولى تعود إلى نهاية القرن الخامس، تميزت بطبقة من الرماد ، تليها المرحلة الثانية والتي تتوافق مع فترة ترميمها من طرف هذه الشخصية التي تركت بصماتها داخلها وذلك بحيازة جانب من الكنيسة ليدفن بها رفقة ابنيه، وهي عادة أصبحت حد منتشرة في الفترة البيزنطية[1257].

1253 Ptolémée, IV,2,2
1254 Itinéraire Antonin, P.7
1255 Géographie de Ravenne, p155
1256 H.Chardon, Fouilles de Rusguniae, B.C.T.H.,1900,p130 ; Ibid, Fouilles de Rusguniae, Alger, 1900, p38 ; St.Gsell, Note sur la basilique de Rusugniae découverte par le lieutenant Chardon, CRI,1900,p51 ; N.Duval, les Byzantins,..p 341-360. ; D.Pringle, The Defense of Byzantine Africa, p 222-223 ; J.Durliat, Recherche sur l'Histoire de l'Afrique Byzantine, p.134-135

مثل بونيفاتيوس (484) Bonifatius Rusguniensis، أو لوكيوس Lucius في نهاية القرن السادس.

Zyper، أو زيبر (Maier, l'épiscopat de l'Afrique romaine, vandale et byzantine, p.192)

1257 أنظر نماذج مشابهة لعمليات الدفن داخل الكنيسة في كل من حيدرة و صبيطلة:
N Duval..Les necropoles chrétiennes d'afrique du Nord, in l'Afrique du Nord antique et medievale,2, Monuments funéraires, institutions autochtones : actes du VI colloque international sur l'Histoire et l'Archéologie de l'Afrique du Nord(Pau, 1993),Paris, 1995,p187-206 ; Anna Leone, l'inumazione in « spazio urbano » a Cartagine tra VeVII secoloD.C., ant.Tard. 10,2002,pp233-248

المصادر العربية:

خصها الإدريسي بوصف جميل:." مرسى حسن عليه مدينة صغيرة خراب وأكثر سورها قد تهدم...بها بقايا بناء قديم و هياكل و أصنام حجارة، و يذكر أنها كانت من أعظم البلاد كبرا و أوسعها قطرا"[1258] هل يمكن أن نفهم من إشارة الإدريسي وجود معابد، هل هو الكنيسة؟ و لعل إشارة الحسن الوزان إلى أن خرابها كان على يد القوط من الأهمية بمكان، لافتراض أن تقهقرها كان خلال الفترة الوندالية. كما ذكرت في عدد كبير من المصادر[1259].

النقائش:

اكتشفت بهذه المدينة عدة نقائش بيزنطية، تؤكد ليس فقط الوجود البيزنطي بها ، بل أيضا سمحت بإقرار نشاط عمراني وديني إلى غاية القرن السابع ميلادي، ويمكن الحديث عن ثلاثة نقائش أساسية :

-نقيشة Flavius Ziper والتي سجلت أنه كان قائدا لوحدة عسكرية امبراطورية مقيمة بالمدينة، وقد مارس وضيفته هذه لمدة 12 سنة. وهونص أثار جدل كبير حول استمرارية واستقرار المناصب الإدارية في المدن الإفريقية[1260].

- نقيشة موريس Maurice وابنتيه باتريسا Patricia وكستنتينا Constantina. حيث تؤكد أن هذا الشخص قد اشتغل لمدة 5سنوات رفقة الحاكم العام للمقاطعة الافريقية ، وأنه شيد خلالها كنيسة بهذه المدينة، إلى درجة أن اقترح برينغل أن يكون نفسه دوق موريطانيا القيصرية[1261].

- نقيشة القس لوكيوس Lucius والتي تم تأريخها في الفترة ما بين القرن السادس والسابع[1262]،

البيبلوغرافيا المعاصرة

H.Chardon, Fouilles de Rusguniae, B.C.T.H.,1900, p130; Ibid,Fouilles de Rusguniae, Alger,1900, p38 ; Diehl, 1896,262. ; Gsell, Note sur la basilique de Rusugniae découverte par le lieutenant Chardon, CRAI, 1900, p51 ; N.Duval, les Byzantins, p 341-360. ; Pringle, p 222-223 ; Durliat.J, Recherche sur l'Histoire de l'Afrique, Inscrp.n°59-61,p. 215-222 ; Duval et alii, inventaire, p 52-56 ; Id , Le destin des mosaiques de Rusguniae(Matifou ou Tamentfoust) deux fragments nouveaux, MEFR, 97,1985,p.1113-1124 ; P. A. Fevrier, Approches, I, p.31,103 ; II, p.129. S.Lancel, Actes,I, p.150

[1258] الإدريسي، نزهة المشتاق، ص159

[1259] ياقوت الحموي، ج1، ص812. الحسن الوزان،وصف إفريقيا، ج2،ص 42 ابن حوقل، صورة الأرض، ص76-77

[1260] CIL 08, 09248 = CIL 08, ILCV 00442
Mem(oriae) Fl(avi) Ziperis / trib(u)n(i) n(umeri) pr(i)m(anorum) Fel(icium) / Iust(inianorum) depositus est / in p(a)c(e) agens tribu/natu Rusg(uniis) ann(os) XII
Cf. Durliat, Recherches sur l’histoire sociale, N° 59-61. p 215-223; Pringle, The Defense of Byzantine Africa, p 73, cf Duval, les byzantins de rusugnae, colloque de Grenoble,p343

[1261] I.L.C. N° 234 a, Mem(oria) Constantinae, filiae dom(ni) / gl(oriosi) Maurici, mag(istri) m(i)l(itum), qui edifivia/ circumlapsa diu in hanc s(an) c(t)a basi/lica restauravit. Deposita est in/ pace, ann(orum)/ III, die k(a) l(endarum) no(ven)br(ium), ind(ictione)VIIII.
و حسب التقارير الأثرية فقد وجدت نقيشتين أيضا صيغتا بقطع الفسيفساء على ضريحي كل من هذا القائد موريس و ابنته الأخرى باتريسيا، إلا أن ما يسمى بحفريات القرن التاسع عشر تحت إشراف العسكري شاردون، قد حطمتهما للوصول الى الجثث. أنظر: الهامش السابق

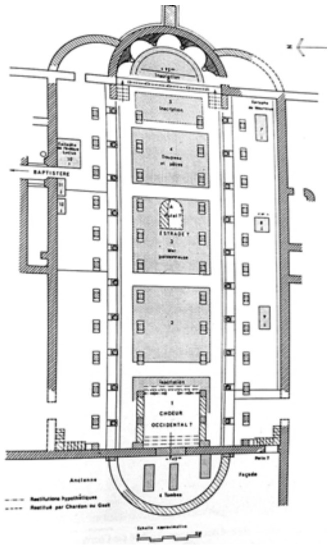
[1262] I.L.C. N° 1111 : Mem(oria) patr(is) nostri/ Lucie p(i)sc(op)i./ Durab(i)t in(?) / ep(i)sc(o)patu/annis XXII/ et mensibus V./In pace. Cf. Duval, les byzantins, p345

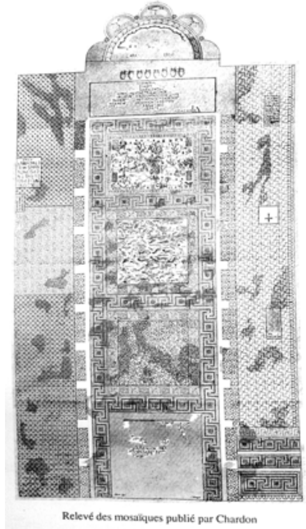
تطور وضعية الموقع أوالمدينة في الفترة ما بين القرن الخامس والسابع

رغم غياب المعالم الأثرية الخاصة بالقلعة البيزنطية، فان المعطيات التي وفرت النصوص الجنائزية، من إشارة إلى وظائف عسكرية رسمية في عهد الامبراطور جستنيان، جعلت العديد من الباحثين يتساءلون عن طبيعة هذه المدينة ومكانتها من الخريطة البيزنطية[1263]، بين من اقترح العودة بهذه النصوص الى القرن الخامس، ومن حاول تحميلها قراءات أكبر من طاقتها[1264].

نظرة تقيمية للموروث:

ترك لنا بربروغير شهادة مهمة خلال العقد الأول من القرن التاسع عشر حيث سجل أنه لم يبق من المدينة القديمة سوى بقايا حامل قناة المياه، و خزان للمياه، و بناية كبيرة يعتقد أنها بقايا ورشات للتمليح "salines" ، فضلا عن الكنيسة و عدد من الطرقات... و لعل ما يهمنا من هذا الوصف هي هذه المعالم الاقتصادية لمدينة ساحلية[1265].





Relevé des mosaïques publié par Chardon

الشكل رقم:2 مخطط الكنيسة بفسيفسائها حسب شاردون Chardon و تعديلات ديفالDuval

[1263] أنظر تعليقات سالاما و فيفري حول مداخلة ديفال بشأن البيزنطيين بهذه المدينة :
Duval, les Byzantins,..p 361

[1264] اعتبر دورليا هذه النقائش دليلا قاطعا على استمرار التقاليد الإدارية و العسكرية الرومانية، و إعادة احتضانها من طرف الأرستوقراطية البيزنطية و التي رغم كونها دخيلة فقد تمكنت من الأقلم و الاستقرار، أنظر:
Durliat (J), Recherche sur l'Histoire de l'Afrique Byzantine. p 234

[1265] A. Berbrugger, de la necessité de coloniser la Cap Matifou, Paris, 1845, p.6-13

A.A.Alg.6.87		Iomnium	تيقزرت	رقم:**03**

الإسم التاريخي للموقع : Iomnium

مكانته في الخريطة الجغرافية:

توجد على بعد حوالي 100كم شرق الجزائر العاصمة

خرائط الطرق الرومانية:

ذكرت في المسلك الأنطوني، في الواح بوتينجر وأيضا في جغرافية رافينا، رغم الغموض الذي ظل يكتنف المطابقة التاريخية لهذه المدينة بالموقع المعروف باسم روسوكورو[1266] Rusuccuru.والتي وردت الإشارة غليها في قائمة جورج القبرصي[1267]، أو في المصادر العربية باسم تدلس[1268].

المصادر المسيحية

مثل هذه المدينة في مجمع قرطاج لسنة 411 القس الدوناتي هونوراتوس Honoratus[1269] بينما كانت المدينة المجاورة روسكورو Rusuccuru ممثلة من طرف كل من فورتوناتوس وأوبتاتوس، وقدسمحت المعاينات الأثرية من الوقوف على كنيستين تعودان إلى منتصف القرن الخامس[1270].

البيبلوغرافيا المعاصرة

P.Gavault, Etude sur les ruines de Tigzirt, Bibl.d'Archéologie africaine,2, Paris, 1897, p.128-134 ;J. Carcopino,mélanges d'épigraphie algérienne.III :Tigzirt et Taksebt, Rev.Afr. LVII,1914,p. 342 ; J.Mesnage,Eveches.p.494. E.Cat, Essai sur la province romaine de la Maurétanie Césarienne, p.99-102 ; E.Frezouls et A.Hus, Un probléme de topographie antique : l'identification des villes de la cote de Kabyle à l'ouest de Bougie, MEFR,66,1954,p.147-163M.Euzenat, l'histoire municipale de Tigzirt, MEFT, 67, 1955, p.127-148 ; J-L.Maier, Episcopat. p. 155 ; A.Mandouze, Prosopographie, p.568, 1267 ;P.A. Fevrier,Princeton enc.,s.v. Iomnium,p.414 ; J.Gascou, la politique municipale.II,p.247-250 ; D.Pringle, The Defence.p.296-297 ; S.Lancel, Actes,IV,p.1398.

تطور وضعية الموقع أوالمدينة في الفترة ما بين القرن الخامس والسابع

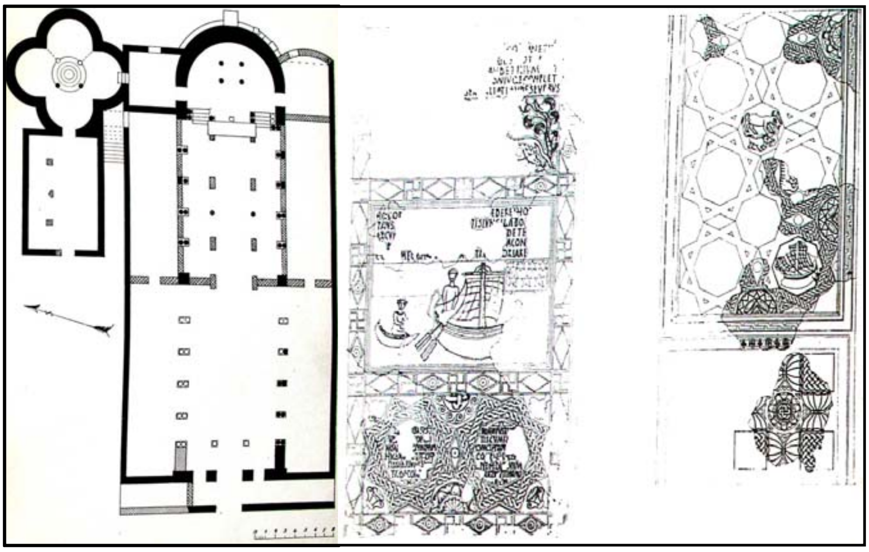
تؤكد التقارير الأثرية اكتشاف طبقتين من الرماد يتوسطهما مستوى الفترة البيزنطية، التي يبدوأنها قد انتعشت، بفضل ترميم أوتشييد الكنيستين، وأسوار القلعة ، فضلا عن الحصن المشار إليه سابقا، كما سجلت كميات كبيرة من الفخاريات المسيحية والمتأخرة في هذا

[1266] يتميز أوزينا الذي قام بحفريات بالموقع بتبنيه مطابقة تيقزرت بروسكورو:
M.Euzenat, l'histoire municipale de Tigzirt, MEFR, 67, 1955, p.127-148
و هو أمر لا نجده عند أغلب الباحثين، أنظر: P.A. Fevrier,Princeton enc.,s.v. Iomnium,p.414، أنظر أيضا:
J.Desanges, ed.Pline, p.171
[1267] Georges de chypre, 668
[1268] E.Frezouls et A.Hus, Un probléme de topographie antique : l'identification des villes de la cote de Kabyle à l'ouest de Bougie,MEFR,66,1954,p.147-163
[1269] S.Lancel, Actes de la conference de Carthage 411, IV,p. 1398
[1270]

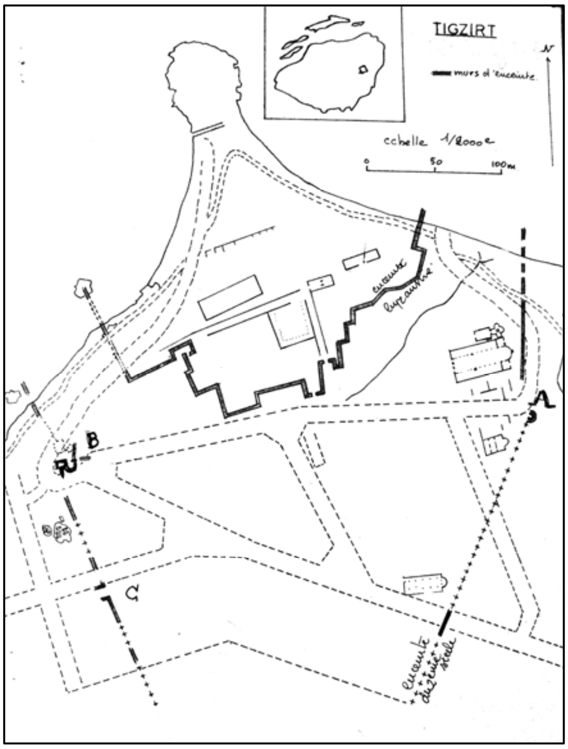
المستوى، وبالتالي فيمكن افتراض نوع من الانتعاش داخل الأسوار بحكم استرجاع الميناء، إلا أن ذلك لم يعمر طويلا



الشكل رقم: 03 صورة البازيليكا الكبرى



الشكل رقم: **04** مخطط البازيليكا الكبرى وجانب من فسيفسائها – حسب غزيل



الشكل رقم: 05 مخطط المدينة مع معالم القلعة البيزنطية –أرشيف فيفري

رقم: 04	أوزيا-عين بسام؟	AUZIA		A.A.Alg.XIV,28,

الإسم التاريخي للموقع :

مكانته في الخريطة الجغرافية:

يوجد بالقرب من مدينة عين بسام الحالية، ويفترض أنه يمكن مطابقته بالموقع المعروف في المصادر بأوزيا.Auzia رغم أنه يطرح صعوبة في ربطه بطرق المواصلات المعروفة[1271].

مكانته من طرق المواصلات:

رغم أنه يخرج عن الولاية السطائفية إلا أنه يدعوإلى التساؤل ثانية حول جغرافية الخريطة البيزنطية، باعتباره يسمح بتطويق جبال بابور من الناحية الغربية، كما يفتح الطريق نحوالمناطق الداخلية الغربية.

خرائط الطرق الرومانية:

يشير أميان مارسلان Ammien Marcellin الى قلعة Audiense في معارك فيرموس(XXIX,5,44)

المصادر المسيحية

لم نتمكن من مطابقة هذا الموقع مع إشارات المصادر المسيحية

النصوص الأثرية البيزنطية:

لم يتم العثور على نصوص بيزنطية، وانما وجدت العديد من النصوص الأثرية وظفت في السور الذي يفترض أنه بيزنطيا[1272]

المواصفات التقنية للقلعة البيزنطية

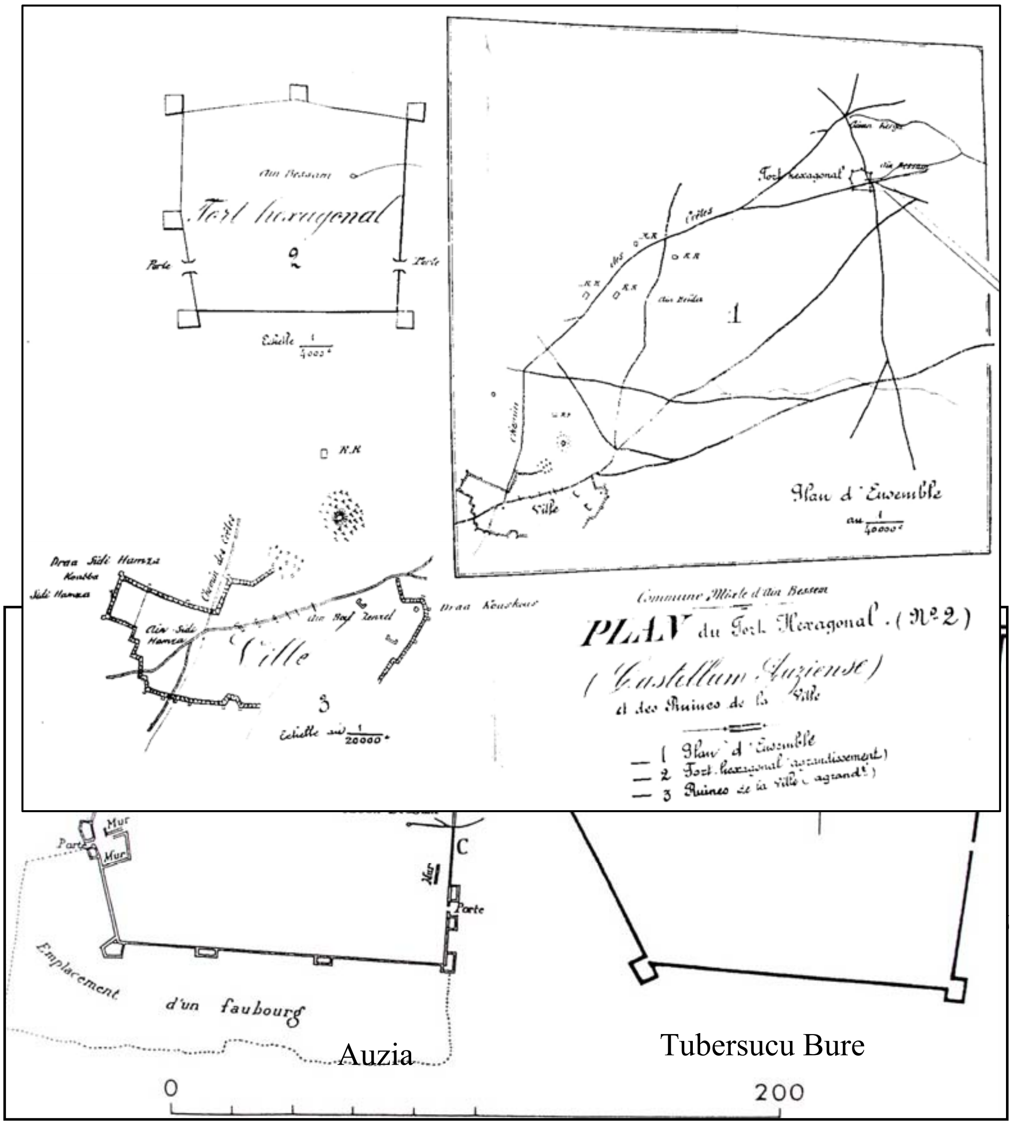
سجلت معاينات رجال الجيش في بداية القرن التاسع عشر، و جود مخطط شكل غير متوازي الأضلاع، و التي تتراوح بين 56م و 120م، فحسب تقرير روبير كان طول الضلعين الشرقي و الجنوبي، بينما قدر الضلعين الغربين 48و 60م على التوالي، في حين تراوح الضلعين الشماليين ما بين 56مو 70م. و رغم أن الشكل كانت له ستة زوايا، فيبدو على شكل شبه مربع[1273]. ولا يمكننا التعامل مع هذا الموقع إلا من خلال مخططات القرن التاسع عشر، لاندثار كل معالمه، و مع ذلك فهو يتقارب مع القلاع البيزنطية المعروفة في المنطقة، ويبدو من خلال تقرير روبار، أن مواد البناء المستعملة في هذه القلعة تعود للفترة المتأخرة من التاريخ القديم، حيث تجلى توظيف عدد من النقائش التي تعود للقرن الثالث في مواد البناء. وقد اقترح لابورت[1274] Laporte العودة إلى فرضية كانيا[1275]Cagnat، خلافا

[1271] أنظر تاريخ الموقع و تطوره : محمد البشير شنيتي، موريطانيا القيصرية، ص411-430
[1272] CIL,VIII, 9181-9193
[1273] A.Robert, Notes sur les ruines de castellum Auziense, p.50
[1274] J.P. Laporte, Zabi,Frki : Notes sur la Maurétanie et la Numidie de Justinien ,. p.155
[1275] R. Cagnat, L'Armée romaine,p 638,N3

لفرضية ديل Diehl[1276]، حول امكانية اعتبار هذه القلعة بيزنطية. مما يعطي قراءة أوسع للخريطة البيزنطية باتجاه الغرب. إلا أن صعوبة تأريخ هذا الموقع وغياب قرائن أثرية أخرى يجعل الفكرة في حاجة الى تدقيق أكثر

البيبلوغرافيا المعاصرة

E .Masqueray, Inscriptions inédites,Bull de corr.afric.I, 1882,p 225 ; R.Cagnat, l'Armée Romaine,p 63 ;ch. Diehl, Afr.Byz. p.261; A.Robert, Notes sur les ruines de castellum – auziense (Ain Bessem), RSAC, 37,1903,p.49-54 ; J.P.Laporte, Zabi,Friki : Notes sur la Maurétanie et la Numidie de Justinien, Ant.tard. 10 .2002,p 158



[1276] Ch.Diehl, Afr.Byz.p261

رقم :05	قصر تارمونت	Aras Tarmount		A.A.Alg.,25,11

الإسم التاريخي للموقع : .

مكانته في الخريطة الجغرافية:

يقع على التخوم الغربية للحضنة، ليشرف على السهول الممتدة بين هذه الأخيرة ووادي اللحم. ويتربع الموقع الأثري على متوسط 30هكتار، على ارتفاع 590م كما يندرج ضمن الطريق الرابط بين زابي وأوزيا

خرائط الطرق الرومانية:

وجد اسم الموقع في المسلك الأنطوني، على الطريق الممتد بين سطيف وأوزيا، حيث وضع على مسافة 30 ميل من زابي و18 ميلا من موقع تاتيلتيTatilti، كما سجل ارسم في عدد من الشواهد الميلية .

المصادر الأدبية والنقائش:

ورد اسم أراس بصيغ مختلفة في العديد من النصوص المسيحية مثلما عثر عليه في العديد من النقائش[1277]

المواصفات التقنية للقلعة البيزنطية

أجريت حفريات أولية من طرف ماسييرا في بداية الثلاثينات،إلا أنه لم ينشر إلا التقرير الأولي[1278]، كما تمكن مؤخرا لابورت باطلاعه على الملف الأرشيفي في الوكالة الوطنية للأثار من اقتراح مخطط عن القلعة البيزنطية (على أساس الوصف المسجل)[1279]، وعموما فالقلعة تمثل شكلا مستطيلا يمثل 170/200 م، تتميز بأربعة أبراج دائرية الشكل في الزوايا، و10 أبراج أخرى مربعة الشكل على الأطراف، فلا عن المداخل التي يفترض هي الأخرى أن تكون مدججة بابراج لحمايتها. أما سمك الأسوار فقد قدر ب 1.80م ، ولعل ما يلفت النظر هي تقنية السوار الدائرية التي نلاحظ مثلها في بغاي وحيدرة. كما يجب الإشارة إلى أن التقارير الثرية تحدثت عن تقنيات مختلفة للبناء في الأسوار والأبراج المعاينة ، مما يفترض استغلالا متواصلا لنفس القلعة. كما يجب الإشارة إلى أن التنقيبات قد سمحت بالعثور على معالم كنيسة، وبعض موادها الزخرفية، اعتبرت بفضل مواصفاتها الفنية تعود للفترة البيزنطية المتأخرة

البيبلوغرافيا المعاصرة

J. Mesnage, évèches, p 377,402-403, Audollent, DHGE,s.v.Aras, 1438-1439. Lancel, Actes,I, p165, IV, 1313-1314, J-L.Maier, Episcopat. p105, A.Mandouze,Prosp.1249. M.Christofle, Rapport sur les travaux de fouilles et consolidations effectués en 1930-1931-1932 par le services des monuments historiques de l'Algerie, Alger,1935,p276-285 et 287-288. J.P.Laporte, Zabi, Friki. Pp54-156 ;N.Duval et alii..,Inventaire , N°19, p73-74

[1277]

[1278] M.Christofle, Rapport sur les travaux de fouilles et consolidations effectués en 1930-1931-1932 par le services des monuments historiques de l'Algerie, Alger,1935,pp. 213-270, 276-285 et 287-288.

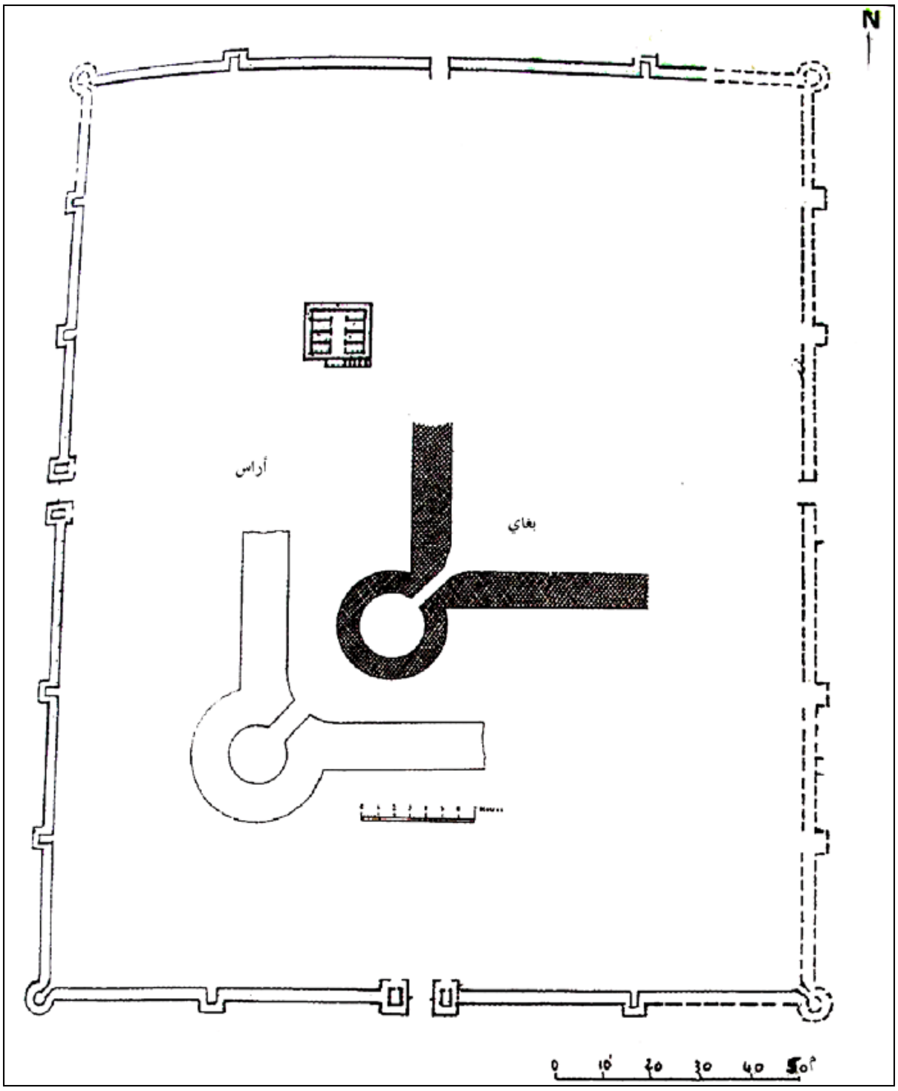
[1279] J.P.Laporte, ant.tard. pp….

تطور وضعية الموقع أوالمدينة في الفترة ما بين القرن الخامس والسابع

يصعب علينا تثمين هذا الموقع في تحليل تطور العمران، ومع ذلك فهويوفر معطيات أثرية تسمح باستغلالها لتسجيل العديد من الملاحطات أهمها: التقارب مع قلعة بغاي أو حيدرة في إعطاء الشكل الدائري للأبراج، فضلا عن تسجيل التقرير الذي تركه ماسيرا حول حفريته لتواجد العديد من المخلفات الكنسية واقتراح استمرار الاستقرار العمراني إلى غاية نهاية القرن السابع .

نظرة تقيمية للموروث:

قد يمثل هذا الموقع أهمية جغرافية أكثر منها عمرانية، باعتباره يفترض توسيع حدود الاحتلال البيزنطي للولاية السطائفية أكثر نحوالغرب، ورغم أن عملية التنقيب لم تسمح باعطاء فرشة زمنية، إلا أنه يمكن أن يندرج في سلسلة التحصينات التي اشرف عليها غيناديوس في المنطقة، والمواكبة للفترة الثانية من التوسع البيزنطي، دون شك بعد فترة الصراع مع الأمير غرمول .



الشكل رقم"08 مخطط القلعة البيزنطية بتارمونت حسب ماسيرا Massiera (Laporte)

رقم:06	خربة القصر	أولاد عيسى		

الإسم التاريخي للموقع :

مكانته في الخريطة الجغرافية:

تبعد حوالي 15 كلم جنوب برج بوعريريج

المصادر المسيحية

النصوص الأثرية البيزنطية:

لم يتم العثور على أي نص يعود للفترة البيزنطية

المواصفات التقنية للقلعة البيزنطية

تبدوقلعة مستطيلة تقدر 75م /57م، فضلا عن وجود حصنين يبعدان عن بعضهما بحوالي 11م، الأول مربع الشكل تقدر أضلاعه بحوالي 18م وسمك أسواره 2م، والثاني مستطيل يقدر بحوالي 13,50/ 11.50م، ويحيط بهذه الأخير سور نصف دائري[1280].

البيبلوغرافيا المعاصرة

A.Robert, Antiquités de la commune mixte des Maadid, RSAC,37,1903,p.55-71

تطور وضعية الموقع أوالمدينة في الفترة ما بين القرن الخامس والسابع

من خلال المواصفات التي تركت تتجلى البناية بالمواصفات البيزنطية، إلا أن فرضية استغلالها كقلاع مورية هي أيضا غير مستبعدة. ورغم أنها لا تكتسي قيمة كبيرة من حيث المواصفات العمرانية، إلا أنها تندرج ضمن خريطة المواقع والمواصلات الموجودة في الشريط الداخلي





الشكل رقم: 09 صور القلعة بأولاد عيسى حسب روبير

[1280] A.Robert, Antiquités de la commune mixte des Maadid, RSAC,37,1903,p.55-71



الشكل رقم: 10 مخطط القلعة حسب روبير

رقم:07	أولاد عقلة- الحمادية -سطيف	Equizeto	"5.91'58°35N 4°41'47.52"E	A.A.Alg.f15,N°91

الإسم التاريخي للموقع :

مكانته في الخريطة الجغرافية:

يعتبر من بين المواقع المشرفة على المعابر الشمالية لمنطقة الحضنة نحو السهول العليا لموريطانيا السطائفية

خرائط الطرق الرومانية:

ألواح بوتينجر (segmII,I) الشواهد الميلية التي تضعها على مسافة 10 أميال غرب خربة زامبيا (CIL,VIII,9045 ;10427,10428 ;10429)، رغم أن اشكالية اشكالية مطابقة هذا الموقع مع أولاد عقلة بالحمادية تبقى مطروحة.

المصادر المسيحية

وردت في قائمة المجمع الديني بقرطاج لسنة 411: (Gesta I,201,I,55,p.864) . Lancel, Actes, IV,1375) كما وردت في قائمة أساقفة 484 باسم equizotensis

المواصفات التقنية للعمارة البيزنطية

لم تحصل الإشارة إلى منشآت عسكرية بيزنطية، رغم التعرف منذ منتصف القرن التاسع عشر على بقايا كنيسة، يبدو أنها كانت موضوع حفريات من طرف أحد ضباط الجيش الفرنسي ميلهافاتMilhavet[1281]، كما علق عليها غزيل في مواضع مختلفة [1282]، دون إعطاء تأريخ دقيق لهذا المعلم.

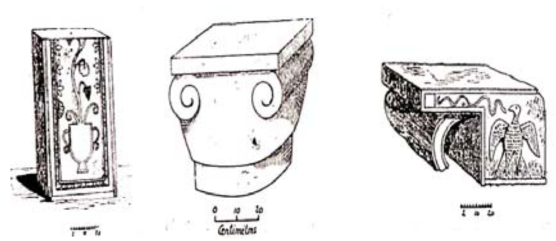
البيبلوغرافيا المعاصرة

L.de Mas-Latrie, Anciens évechés de l'Afr.sept. dans Bull. de corr. Afr Alger, 1886, p 93 ; M.Toulotte, Geogr. de l'Afr.chr..Maurétanies, 1894 ; Mesnages, Afr. Chr., p 321 ; H.Jaubert, Ancient évechés de la Numidie et de la Sitifiennes, RSAC, XLVI,1912,p.116-7 ; J.Ferron, DHGE ,15,660 ; A.Milhavet, Note sur les ruines du village de Lecourbe, BCTH,1898, p.359-362 ; S.Gsell, recherches archeo. P. 278-279 ; Id. Les Monuments, II,n°97 bis, p. 244 ; J. Gascou, politique municipale, II, p. 256-257 ; J. L. Maier, Episcopat, p. 140 ; A. Mandouze, prosopographie,p. 807,1168,1262 ; S. Lancel, Actes, IV,p.1375 ; I.Gui, N.Duval et J.P.Callet, Basiliques chrétiennes d'Afrique du Nord, p.74-76. P.A Fevrier, dossier Ouled Agla, Archives de l'auteur, déposé aux archives départementales des Bouche des Rones, par l'université d'Aix en provence.

م.ب.شنيتي، موريطانيا القيصرية، ص 175

1281 A.Milhavet, Note sur les ruines du village de Lecourbe,BCTH,1898,p.359-362.

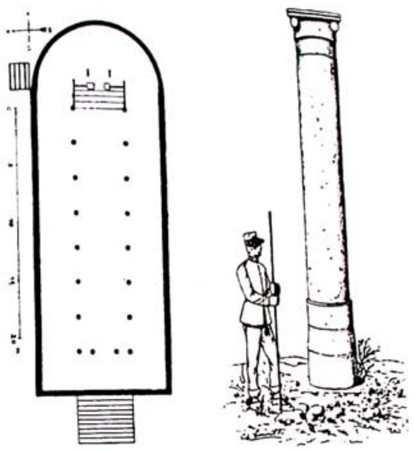
1282 S.Gsell, recherches archeologique. P.278-279 ; Id. Les Monuments,II,n°97 bis,p.244.



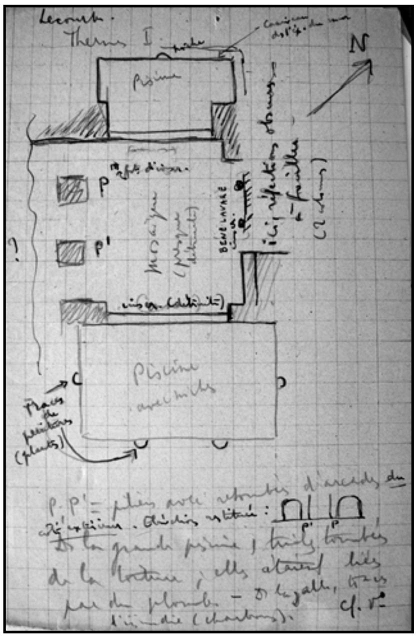
الشكل رقم: 09 نماذج من مخلفات الكنيسة في موقع أولاد عقلة حسب غزيل



الشكل رقم: 10 الأشكال الزخرفية لهذه الكنيسة: لا زالت موجود في متحف الجزائر



الشكل رقم: 11 مخطط الكنيسة و أحد الأعمدة التي اكتشفها ملهافت



الشكل رقم: 12 مخطط أولي للحمامات في أولاد عقلة من خلال أرشيف فيفري

رقم:**08**	رأس الوادي – تامالولا	Thamallula		A.A.Alg., 26, 19

الإسم التاريخي للموقع :Thamallula

مكانته في الخريطة الجغرافية:

يمتد على المرتفعات الشمالية المحاذية لجبال الحضنة، ويشرف على سهول مجانة. وبذلك فهويتوسط الطريق بين زابي وسطيف، حوالي 45كلم، ولايبعد عن مدينة راس الوادي إلابـــ 1كم جنوبا. شيد على هضبة بالقرب من منبع مائي (توماللة)

مكانته من طرق المواصلات:

يتوسط الطريق الرابط بين وزابي ، كما وجدت شواهد ميلية تربط الموقع بحمام قرقور Ad sava، والأخرى باتجاه Equizito، وربما أيضا باتجه طبنة وزراي

خرائط الطرق الرومانية: أوردته ألواح بوتينجار

المصادر الأدبية والنقائش:

وردت العديد من النقائش التي كرست اسم الموقع، وارتقائه الى مستوى البلدية، فضلا عن عدد من الشواهد الميلية

المصادر المسيحية

ذكر في قائمة 411 وجود قسين رغم أن غزيل يفترض وجود موقع يحمل نفس الاسم في الجنوب التونسي، كما ورد في وثيقة Notitia Dignitatum التي أشارت إلى المشرف عن الليمس التيميللي praepositus limitis THAMALLOMENSIS

المصادر البيزنطية:

تشير المعاينات الاثرية خلال فترة القرن التاسع عشر على وجود معالم كنيسة، تم التنقيب عليها من طرف القس غوتيه [1283] J.Gauthier في حدود سنة 1907.حيث قدرت مقاساقما ب 11,85 x18,20م

النصوص الأثرية البيزنطية:

لم يتم العثور على أية نقيشة بيزنطية، بينما اكتشفت عدة نصوص مسيحية، قد تعود للفترة البيزنطية

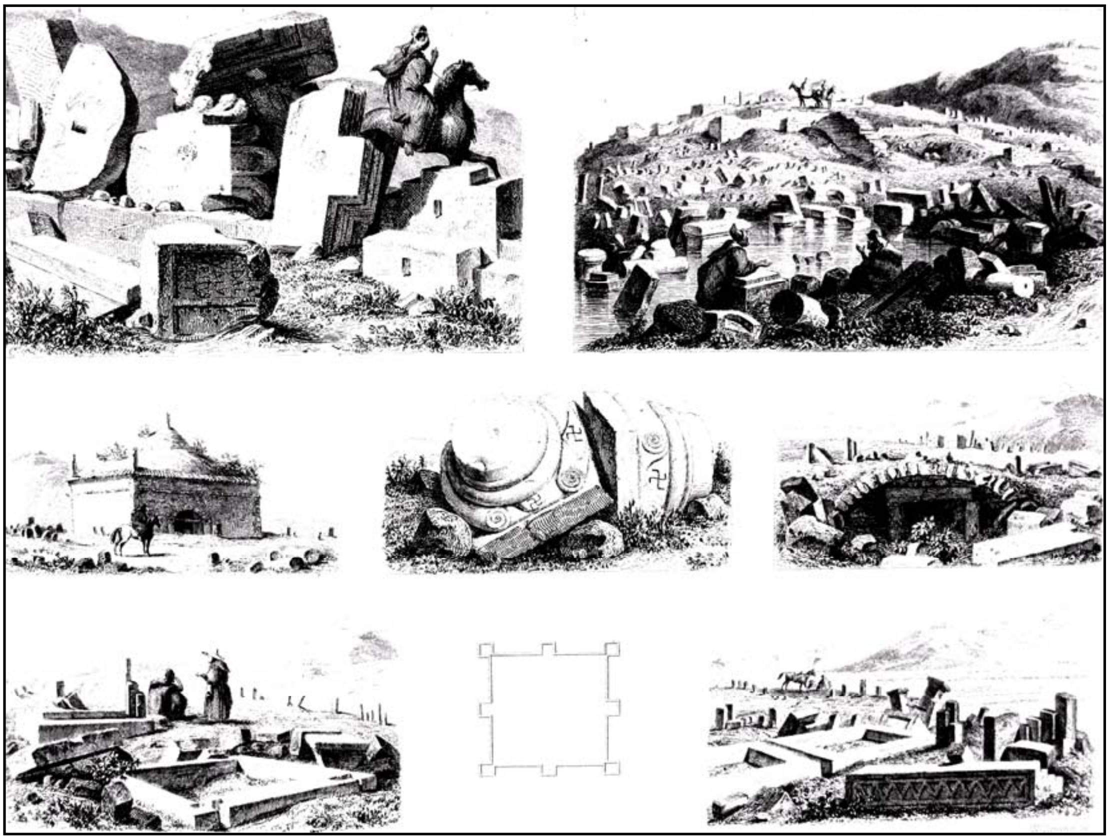
[1283] J.Gauthier, Découverte d'une basilique chrétienne à Tocqueville, RSAC,41,1907,p.232-235 ; Id. la chapelle de Thamallula,RSAC,42,1908,p.111-114 ; Id.Chapelle chrétienne de Tocqueville, BCTH, 1909, p.54-58

المواصفات التقنية للقلعة البيزنطية:

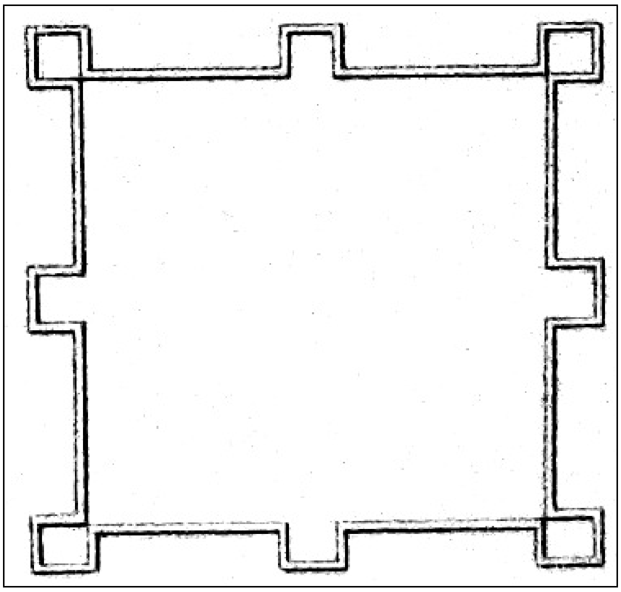
يبدو أن الحصن قد شيد على هضبة مرتفعة بمحاذات منبع مائي، ويتميز بشكله المربع 105x105م مما يعطينا متوسط 1.10 هكتار، و قد دعم ب 8 أبراج رباعية الشكل بمتوسط 10م^2، وطريقة البناء المسجلة، تكرس نفس المواصفات البيزنطية المعروفة في القلاع الأخرى، بسمك يقدر ب 2,5م، وباستعمال عدد كبير من مخلفات العهود الاسبق.

البيبلوغرافيا المعاصرة

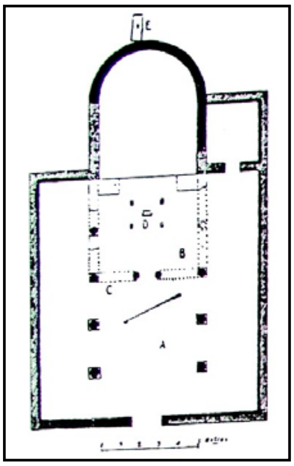
Delamare ,Exploration ; M.Boisnard, L'inquiète Byzance africaine, p.35; Ch.Diehl, Afr.Byz, 255-256; fig. 55; St.Gsell recherches archéologiques, p. 270-271 (no. 145); fig, 95; Id.,'Satafis (Périgotville) et Thamalla (Tocqueville). MEFR 15,1895, 33-70; Ibid, Monuments, p. 37; Id, Texte explicatif des planches de De la Mare, Paris, 1912. p.68 ; Pelletier 1861. Entre Sétif et le Bou-Taleb, Rev.Afr.5,1861, p.447_455; J.Gauthier, Découverte d'une basilique chrétienne à Tocqueville,RSAC,41,1907,p.232-235 ; Id. la chapelle de Thamallula, RSAC,42,1908,p.111-114 ; Id.Chapelle chrétienne de Tocqueville, BCTH, 1909, p.54-58 ; P.Romanelli, Topografia, p.405-406. J.Mesnage, Eveches, p389-390 ; J.L.Maier, Episcopat, p214, Mandouze, prosp.1286 ; Gascou, la politique municipal,II ,p.257-258 ; lepelley, les Cités, II,p510 ; Pringle,The defence. p267, Kolendo, Thamallula, Municipium, actes IV coll. Afr.Strsbg.1988,II, 1991, p471-477, Y.Duval, Loca, p339-341 ; S.Lancel, Actes, IV,1482. م.ب.شنيتي، موريطانيا القيصرية، ص 174



الشكل رقم: 13 البقايا الأثرية لتامالولا من خلال ألواح دولامار



شكل رقم:14 مخطط القلعة البيزنطية حسب ألواح دولامار



شكل رقم:15 مخطط الكنيسة حسب غوتييه

رقم: 09	بشليغة	Zabi		AAAlg, f.XXV, 85

الإسم التاريخي للموقع :

إلى جانب اسم زابي Zabi ، تمت مطابقة العديد من الأسماء، لا سيما في المصادر العربية مثل: أزبة، أربة، أدنة أوبشليغة[1284] وهوالإسم الحالي للموقع. افترض غزيل أن يكون اسمها ممتد من كلمة بازيليكا Basilica

مكانته في الخريطة الجغرافية:

توجد في الزاب الاوسط

مكانته من طرق المواصلات:

تشكل أحد المعابر الهامة لمنطقة الحضنة نحوالشمال، من خلال أشرافها على الطريق المحاذي لوادي القصب. وكانت على امتداد الطريق القادم من طبنة، لتشكل إلى جانب هذه الأخيرة نقطتي مراقبة هذا المعبر الصحرواي. كما كانت تربطها معابر مع تامالولا، سطيف وزرايا عن طريق أولا تبان

خرائط الطرق الرومانية:

ورد ذكر الموقع المسلك الأنطوني .Itineraire d'Antonin, p12حيث يضع زابي في طريق يربط بين سطيف وأوزيا. الأمر الذي يفترض انحرافا كبيرا نحوالجنوب. وصفها جولويس هونوريوس[1285] بــــ Zabi oppidum

المصادر الأدبية والنقائش:

في حوزتنا العديد من النقائش التي أوردت تسمية الموقع، أوبعض شخصياته، فحسب غزيل أوردت النصوص الحديث عن المكلف بالحدود الزابية praepositus limitis **Zabensis**، رغم أنها أوردت ثانية نفس التسمية بالنسبة لنوميديا (Not.,Num.,70) مما يطرح اشكالية مطابقتها

المصادر المسيحية

أشار القديس أوبتات الميلي إلى أساقفة الزاب نعرف 03 قساوسة ينعتون بــــ,Zabensis .lucius4(…411),Possessor (..484-520),Iustinus(524)". كانت أيضا ممثلة في المجمع الديني

[1284] Cambuzat, note sur un toponyme du Zab au Moyen Age, revue d'histoire et de civilisation du Maghreb, 9,1970, pp

[1285] Julius Honorius, opud, Riese, Geographi latini minores, p48

بقرطاج سنة 411 من طرف القس الدوناتي لوكيوسLucius، والذي يحمل رقم 138 من القائمة (Gesta,I,198,I,67,p854)

المصادر البيزنطية:

اعتبر بروكوب زابي ما وراء الأوراس من جهة الغرب، بموريطانيا الأولى وعاصمتها سطيف، كما ذكر بان القائد سولومون قد احتلها في 539[1286].

المصادر العربية:

ورد اسمها كثيرا في المصادر العربية أهمها: الرقيق القيرواني[1287]، البكري[1288]،النويري، الذي أورد أنها " مدينة يقال لها أزبة فيها الملك، وهي مجمع ملوك الزاب، وحولها ثلاثمائة قرية وستون قرية كلها عامرة."[1289] وقد حاولت مقابلة هذا الرقم بكثافة الأبرشيات المسيحية التي أوردتها المصادر الأدبية و الأثرية[1290]. اليعقوبي[1291]، المقدسي[1292]، ولعل نص الواقدي ملفت بدوره للانتباه لكونه يحسسنا بأهمية هذا الإقليم و علاقته أيضا بسطيف[1293]. كما يمكن اعتبار إشارة المصادر إلى بناء مسيلة في القرن العاشر، دليلا على أن زابي قد ظلت قائمة إلى قبيل هذه الفترة، رغم أننا نجهل أسباب سقوطها، وتعويضها بالمسيلة، التي لا تبعد عنها إلا بحوالي 3كم . حيث تبرزها النصوص على مسافة يومين من طبنة ويوم واحد من مقرة، كما تتحدث عنها المصادر بأنها عاصمة للروم بالمنطقة، بل يضيف ابن الأثير أن الروم قد لجأوا إلى مدينتهم الكبيرة و ليس إلى القلعة[1294]

[1286] Procope, B.V.II,20,

[1287] الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية و المعرب، ص42

[1288] أبو عبيد البكري، المسالك و الممالك، أشارإلى وجودها بالقرب من موقع معروف بالقباب، فضلا عن وجود قنوات المياه التي تعود إلى ما قبل الفترة الاسلامية. و هي التي عرفها بمصطلح تارفا أنوودي، أو تارقا أنوودي و الذي أعطاه تفسير ساقية السمن. ص 59

[1289] النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ص 191، أنظر أيضا ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صار للطباعة بيروت،1957، ج1، ص.169. محمد بن عبد المنعم الحِميري، كِتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة ص : 18 " وهي مدينة رومية قديمة، وكان حولها ثلاثمائة وستون قرية للروم كلها عامرة، وهي كانت مملكة الروم بالزاب"

[1290] موضوع مداخلة قدمتها في جامعة كان Caen- فرنسا- ، حول العمران في موريطانيا السطائفية، في 17 فيفري 2007

[1291] اليعقوبي، البلدان، حيث اعتبرها آخر بلاد الزاب، ص 191

[1292] المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص، 185، حيث اعتبر أن :" الزاب مدينتها المسيلة و لها: مقرة، طبنة، بسكرة، بادس، تهودا، طولقا، جميلا، بنطيوس، أدنة، أشير". مما يعطينا فكرة عن خريطة هذا الإقليم.

[1293] الواقدي، فتوح إفريقية، ص 154-156

[1294] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م.4، ص105

النصوص الأثرية البيزنطية:

اكتشفت النقيشة التي تشير إلى تحصين الموقع سنة 1857 ورغم ضياعها فقد ظل النص المنقول يكرس الفعل الامبراطوري:

AEDIFICATA EST FVNDAMENTIS HUIC CI/VI/CI[tas n]OVA IVSTINIANA ZABI SUBTEM/PO[ribus] DOMNI NOSTRO PIISSIMI ET INVICTISSI[imi---[1295]

المواصفات التقنية للقلعة البيزنطية

لم يبق من القلعة ما يسمح بأخذ مقاساتها، ويبدوأن الأمر كان كذلك منذ الفترة الاستعمارية.

البيبلوغرافيا المعاصرة

H. Nicolle, Bechligha(Zabi), R.A.3 , 1858, p. 395-396 ; A. Poulle, Ruines de Bechligha (ancienne Zabi), Rev. Afr. 5,1861, p.195-197. L. Renier, Inscriptions Romaines d'Algerie, paris, 1958, N°3457. Ch. Diehl, Afr. Byz. p. 254-255 ; J. Mesnage, Afrique chrétienne, p439-440 ; E. Cat. Essai sur la Maurétanie Césarienne, p.224. A. Feraud, Histoire des villes de la province de Constantine, RSAC,15,1872,322-326 ; S. Lancel, Actes de la conference de carthage 411, IV, p. 1530-1531; J.Desanges, Un témoignage, p.41-49; Y.Duval, la Maurétanie,p.157-161; D.Pringle, The Defence..p.252, J.Durliat,les Dédicacesd'ouvrages de defenses.p.57-58 ; Cambuzat, l'Evolution des cités, T.I, p 21-24. J.P.Laporte, Zabi, Friki :Notes sur la Maurétanie et la Numidie de Justinien,Ant.Tard.10,2002, pp. 151-167.

تطور وضعية الموقع أوالمدينة في الفترة ما بين القرنين الخامس والسابع

- لا نعرف عن المنشآت المعمارية التي وجدت بهذا الموقع، غير الإشارات الطفيفية التي وردت إما في المصادر العربية مثل البكري، أوالملاحظات التي سجلت خلال القرن التاسع عشر، وأهمها: التموين بالمياه، حيث أورد البكري مثلا قنوات المياه[1296]، أو المنشآت العمومية، حيث تم الحديث عن القباب، هل كانت تمثل بقايا الكنيسة؟ فضلا عن التحصينات و الأسوار المعروفة.

نظرة تقيمية للموروث:

فضلا عن مشكلة مطابقة الموقع، تطرح منطقة زابي عدة خصوصيات، كالأهمية التي اكتستها منطقة الحضنة خلال الفترتين البيزنطية والاسلامية وإصرار المصادر على ربط الزاب بموريطانيا الأولى، إلى جانب اكتشاف كمية كبيرة من النقود[1297].

[1295] CIL,VIII,8805

[1296] أبو عبيد البكري، المسالك و الممالك، ص. 59

[1297] S.Deloum, Notes sur le trésor monétaire de M'sila (fin du Ve siècle, début du VI siècle aprés J.C) in Procedings of the 10th International Congrés of Numismatics, London, Septembr,1986, London 1989,p.305-313.

ورغم أنه يصعب علينا رسم صورة للتطور العمراني، فإن أهمية الموقع تتمثل في استمراره طيلة القرنين الثامن والتاسع، ورغم أن حاجة المسلمين لإقامة قاعدة عمرانية جديدة "مسيلة"، فلم تكن بعيدة عن المنطقة، مما جعل ماسييرا يتساءل مثلا، لماذا لم تنشأ في نفس مكان بشليغة؟، سؤال آخر يمكن طرحه ولوبنوع من التحفظ وهوما دامت مطابقة الموقع كانت فقط على أساس اكتشاف النقيشة، فهل كونها اكتشفت بالمسيلة الحالية يعني أنهاهي التي انتقلت، أم أن الموقع البيزنطي كان اصلا في هذه المنطقة، مما يفترض أن عملية بناء المدينة في القرن العاشر قد وضعت على نفس الأسس.



رقم: 10	أولاد تبان	IAMNEGVS ?		

الإسم التاريخي للموقع: IAMNEGVS **?**

لم يكن هذا الموقع معروفا، و لم يسجل لا في الأطلس الأثري لغزيل و لا في أدبيات جمعية قسنطينة

مكانته في الخريطة الجغرافية:

يقع في المرتفعات الشمالية لمنطقة الحضنة بين جبال الحضنة و مرتفعات بوطالب، و رغم أنه وجد في حوض تحيط به المرتفعات مثل جبل تندار 1423م و شلنجي 1756م، لإلا أن مجرى وادي سوبيلا جعله من المعابر القادمة من الحضنة.

النصوص الأثرية البيزنطية:

عثرت على قطعة من نص لاتيني لدى السيد لخضر صبحي

SCTI INCOLAE QUINO I
RNITIS VRBEM IAMNEGVS
INDERE MVROS QVO SVA
S MELIORIBVS OPTO AVX
IS SA PERPETVO MVNERE
NADIVS CVNCTIS SIC
ANTAS FVNDAR ET LIMI

والنص عبارة على القسم الأيمن من نقيشة يفترض أنها كانت مثبتة على واجهة البناية التي أعتقد أنها بيزنطية. حيث تقدر مقاساتع ب 53.6 على 44.5سم، مما جعلنا نفترض بناءا على دراسة طبيعة المصطلحات التي احتواها و التي يمكن استكمالها بأن ما ينقصه يقدر بحوالي ثلثي ما لدينا.و بالتالي فليس بحوزتنا إلا القسم الأول من النقيشة. و هو أمر يجعل عملية القراءة التركيبية لهذه النقيشة أكثر صعوبة. و مع ذلك ففضلا عن الخط الذي يشبه نماذج كثيرة من النصوص الرسمية البيزنطية خاصة و انه يحمل علامات في بعض الحروف، يعتبرها المختصون بمثابة أشكال للخطوط البيزنطية مثل حرف A باستعمال قاطعتين تشكلان صليبا داخليا أو ال B ذات البطن السفلى المنتفخة. فالكلمات التي احتواها، قد ذاع استعمالها أكثر في الفترة البيزنطية مثل كلمة :Vrbem أو Defendere Mvrus أو Melioribvsو يكفي أن نأخذ نص نقيشة سولومون بقالمة[1298] ، أو نص نقيشة خنشلة زمن الامبراطور موريس[1299]، لنتحسس نفس الصياغة. إلا أن غياب الأسلوب التقليدي الذي يبدا بالإسم

[1298] CIL 08, 05353 = CIL 08, 17491 = ILAlg-01, 00277
Abbena veniens [qui] / urbem meliorata(m) in[tueris] / disce Solomonis patrici
esse la[bor(em) quem ip]/sius iusso Paulus com(es) perfecit Cala[mensibus]

[1299] CIL 08, 02245 = CIL 08, 17671 = ILCV 00795 = CLE 01807 = D 09350 = AE 1895, 00115 = AE 1948, 00108
Haec quoqu[e pr]aefectus cons/truxit m(o)enia Thomas sed decus his / aliud
melioris roboris addens / T{h}iberiam [d]ixit de nomine / Caesaris urbem domino

الامبراطوري و اسم الشخصية القيادية التي أشرفت على العمل، يجعل التعامل مع هذه الصياغة بطريقة مميزة. فبداية النص بمصطلح Incolae يضفي صفة الفعل ليس إلى شخصية و إنما إلى سكان المنطقة المذكورة.و هي المدينة التي ذكرت مباشرة خلف كلمة Vrbem. بصيغة Iamnegus، و هي أشكالية نؤجلها إلى حين. لآن تسلسل القراءة يعطي لنا معني الدفاع عن الأسوار و تحسينها و ضمان الخدمات العمومية: Mvnere أبديا، معطيا بعدها الشطر الثاني لكلمة مبتورة يمكن قراءتها بغيناديوس: [Ge..]Nadivs و هو أمر لا يتنافى و طبيعة التطورات التاريخية لمراحل الاحتلال البيزنطي، حيث نعرف من خلال نقيشة زابي، و نصوص بروكوب ان هذه الشخصية هي التي أشرفت على توسيع الاحتلال باتجاه الغرب، بل استمرت ولايته في النصف الثاني من القرن السادس إلى ان اصبح أرخونا بالمقاطعة الإفريقية.

أما تسمية الموقع التي افترضنا من خلال قراءة هذا القسم من النقيشة أنها : IAMNEGVS فهي أيضا فرضية تجد سندا في استقراء قوائم الأبرشيات التي شاركت في المجامع الدينية بقرطاج، حيث سرعان ما نجد موقع Emmentianus في قائمة المجمع الديني بقرطاج لسنة 411 من خلال مشاركة القس الدوناتي مارسيانوس، كما ورد في قائمة البرشيات لسنة 484 من خلال شخصية فيكتور Victor Eminentianensis [1300]، و إذا كانت أغلب النصوص أو التعاليق لم تجد أحراجا في ربط هذا الموقع بموريطانيا السطائفية، فمطابقته ظلت مجهولة لحد الآن، و هو ما جعلنا نفترض هذه المقاربة على امل العثور على بقية النص ان نصوص اخرى تحسم الموقف.

وحسب توجيهات الأستاذ كرستول، فانص يمكن أن يكون نصا تشريعيا يلخص صياغة قانونية، خاصة و أن المصطلحات التي يستعملها تتقارب في معناها من الفقرة ... من المرسوم الجستنياني[1301].

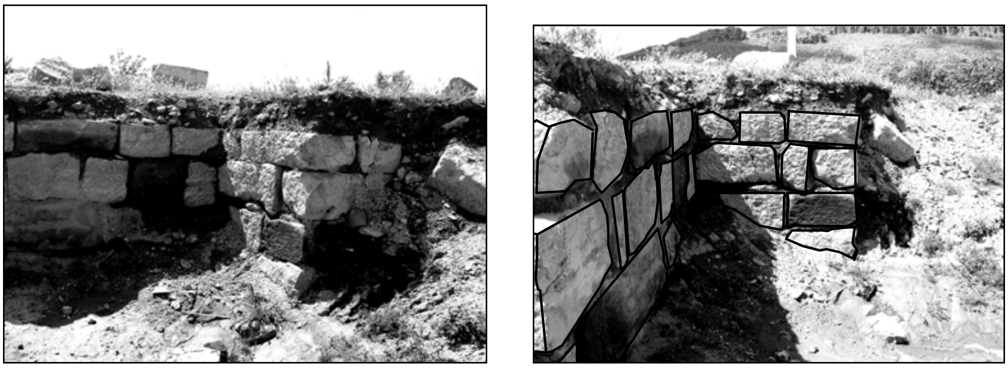
المواصفات التقنية للقلعة البيزنطية

تجلت جوانب من القلعة، التي أعتقد أنها بيزنطية ، أثناء عملية تسوية أرضية مزرعة بموقع كراشين، حيث تم الكشف عن السور الغربي و جانب من البرج الشمالي الغربي، و لعل شكل الربوة التي يوجد بها هذا المعلم تعطينا الشكل الأولي للقلعة، حيث تتبعتها من خلال رصد بعض النقاذ بواسطة جهاز GPS و هو ما أعطاني مخططا أوليا لشكل مستطيل غير متوازي الأضلاع، قدر طول الضلع الشمالي ب 65,4م بينما الضلع الشرقي ب 33,6م و هي مقاسات لا يمكن إلا أن توجه الباحث قبل بداية عمليات الجس أو التنقيب، كما يتجلى البرج الشمالي الغربي. بعرض بنتوء 2.7 م مقاسا من الخارج، دون أن أتمكن من قياس عرضه الحقيقي. أما مواد البناء المستعملة فهي التي لفتت الامنتباه باعتبارها وظفت العديد من المواد منها معاصر الزيتون و الحجارة الموظبة بأشكال مختلفة .

Chr(isto) / a(d)iubantes s(uos) pos(uit) co(n)firmante I(m)p(e)r(atore) d(omino) I(nvictissimo) Tiberio / A[u]g(usto) Gennad[io] m(a)g(istro) m(i)l(itum) Arpa[g(io)] duci Bigor(!) tr(i)b(u)n(u)s

1300 S.Lancel, Actes de la conference de Carthage 411 , Gesta,I,208,I,8 , p.896; IV, p.1374; Notitia, (Setif) N°14.

1301 تعمدت تلخيص الفكرة الأساسية لهذه النقيشة دون استعراض كل الحجج و القرائن البيبلوغرافية و التي هي على أبواب النشر.



الشكل رقم: **17** صورة لجانب من السور و أحد الأبراج المكتشفة



الشكل رقم: **18** صورة عن النقيشة المكتشفة

A.A.Alg, F 16.N 364		Sitifis	سطيف	رقم:**11**

الإسم التاريخي للموقع : Sitifis

مكانته في الخريطة الجغرافية:

مدينة محصنة بأسوارظل بعضها قائما حتى الوقت الحاضر،تشرف على سهول وادي بوسلام، كما تسمح بمراقبة جبال القبائل الصغرى وجبال بابور.

مكانته من طرق المواصلات:

تحتل المدينة أهمية بالغة باعتبارها ظلت في مفترق الطرق بين الجنوب والشمال، وبين الشرق والغرب، فضلا عن أهميتها الاقتصادية نظرا للسهول الواسعة التي تحيط بها، تشرف على السهول المحاذية لوادي سلام، وتراقب المناطق الجبلية الممتدة من القبائل الصغرى ألى بابور. وبالتالي كانت تشرف على أكبر المسالك المؤدية للشرق والجنوب.

خرائط الطرق الرومانية:

وردت في أغلبية المسالك الرومانية، مثل ألواح بوتينجر[1302]، المسلك الأنطوني[1303]، بل قبل ذلك في جغرافية بطليموس[1304]

المصادر الأدبية والنقائش:

قد أصبحت عاصمة ولاية متميزة بفضل إصلاحات دقلديانوس، كما يبدوأنها بعد احتلال ضرفي من طرف الوندال رجعت ثانية أواسترجعت للحظيرة الرومانية بمقتضى اتفاقية 442، وهوما يفترض هيكلة جغرافية جديدة، أوغريبة تجمعها بما تبقى من الأراضي النوميدية. وهوما يفسر اشارة بعض المصادر لها ضمن القائمة النوميدية. ورغم إعطائها نفس المكانة في المرسوم الجستنياني فيبدوأنها سرعان ما رجعت لوضعية نهاية القرن الخامس، والمتمثلة في ارتباطها بنوميديا[1305].

المصادر المسيحية

كانت بمثابة أبرشية من دون شك منذ بداية الفترة المسيحية، رغم أننا لا نعرف قساوستها إلا ابتداءا من فترة القديس أوغسطين[1306]، مثل نوفاتوس الذي كان يراسله هذا الأخير، كما وجدت في قائمة المجمع الديني بقرطاج لسنة 411[1307]، وقائمة 484، وأيضا قائمة مجمع 525 . كما سمحت الحفريات الأثرية بالكشف عن كنيستين وحي مسيحي بمحاذاة القلعة البيزنطية، كما تحفظ القوائم الكنسية أسماء عدد من الشخصيات الدينية مثل:

1302 Table peutinger IV,4
1303 Itinéraire d'Antonin p.13,15
1304 Ptolémée IV,2,7
1305 Y.Duval, la Mauretanie sitifienne, 157-161
1306 S.Lancel, le recrutement de l'Eglise
1307 (Gesta,I,143,1.4,p790 ;I, 188,1.18,p.838) ; Fevrier, Fouilles de setif; Mesnage,p 366.

سيفيريوس Severius في حدود 400م، نوفاتوس Novatus(403–440) والذي يبدوأنه كان على اتصال بالقديس اوغسطين، ماركينوس Marcianus(411)، لورنتيوس (452) دوناتوس (484)، أوبتاتوس(525) كريكيتوروس (ق6)

المصادر البيزنطية:

أعيد تحصينها من طرف سولومون ، خلال الفترة الثانية من وجوده في بلاد المغرب بين 539–544 حيث يذكر بروكوب أنه بعد القضاء على المور بالأوراس، تمكن من التوسع باتجاه الفرب ، وكثيرا ما اعتبرت آخر المواقع البيزنطية بإتجاه الغرب. كما ذكرها بروكوب من بين المدن البيزنطية في كتاب المنجزات، بينما اعتبرها جورج القبرصي أحد مدن نوميديا[1308]، وهوما طرح إشكالية التقسيم الجغرافي البيزنطي، هل كان بالضرورة يلتزم بنفس المواصفات الموروثة من الفترة الرومانية؟

المصادر العربية:

وصفتها أغلب المصادر العربية بالمدينة المحصنة، فاعتبرها البكري " مدينة كبيرة جليلة أولية" جد زاهية بالخيرات وبالأسواق. محاطة بسور قديم خربته... كتامة[1309]، و هي نفس الإشارة التي وردت عند صاحب الاستبصار السور المبني بالحجارة ، و الإدريسي " ... حصن سطيف كبير القطر. كثير الخلق. كالمدينة.[1310] " بينما أشار الوزان إلى أنها "مدينة شيدها الرومان" و إلى طبيعة الحجارة التي تميز هذا السور[1311]. ولعل إشارة الواقدي إلى"صاحب سطيف"و على رأسه تاج من الؤلؤ الأبيض فضلا عن قسمه بالمسيح، و صاحب الزاب الذي جاء لنصرة الجيش البيزنطي. من شأنها تأكيد فعالية المدينة البيزنطية[1312].

النصوص الأثرية البيزنطية:

تم العثور في بداية الاحتلال على جزء من نقيشة ورد فيها اسم سولومون بعد رمز صليب :

ANTIQVAMC---/*SOLOMOFORT*- -

[1308] George of Cyprus, 667; Procopius, IV, 20, 30; de Aed., VI, 7, 9 .

[1309] أبو عبيد البكري، المسالك و الممالك، ص 76، هل الإشارة إلى كتابة على أنها هي المتسبب في تحطيم السور تأكيد على ثبات هذا الأخير؟

[1310] الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 125-126 :

[1311] الحسن الوزان،ج 2،ص 52-53، أنظر أيضا ابن حوقل، صورة الأرض، ص 93

[1312] الواقدي، فتوح إفريقية، ص 147-152

كما كشفت الحفريات عن قائمة من الشخصيات المسيحية التي تركت بصماتها في شواهد القبور والفسيفساء ، غلى أطراف القلعة البيزنطية

المواصفات التقنية للقلعة البيزنطية

تتمثل أهم منشآتها في قلعة مستطيلة الشكل، مساحتها 107x158م، مما يعطينا مساحة 1,69هكتار، مدعمة ب11 برجا مستطيلا. يبدوأنها شيدت في حدود سنة 540م، على جانب من الساحة العمومية القديمة. رغم أن فيفري يعتبر أنها تحتل جانبا من مساحة الساحة العمومية[1313]، وقد سمحت ألواح رافوازي بمعاينة شكل القلعة قبل استغلالها من طرف الجيش الفرنسي. تتراوح مساحتها بين 8 و10م^{2}.

البيبلوغرافيا المعاصرة

Peyssonnel, Voyage dans la régence, p209-210,369 ; Ravoisie Exploration,,I,66-73pl.57-60;A.Delmare, pl.68-87; Boisnard l'Inquiéte Byzance africaine, Bull. Soc. Géog. d'Alger, 1935, p.37; de la Mare, Exploration, 1850, pl. 68-69; ch.Diehl, Archives des missions,, p.293-296; Ibid, Afr. Byz., 258; 290; fig. 56-57; Féraud Histoire des villes de la province de Constantine, RSAC, 15,1872, 49; Gsell, Monuments,, 370-376; Gsell , Texte explicatif des planches de De la Mare, paris, 1912, 69-70 ; Leschi Algerie antique, paris, 1952, 157; P.A.Fevrier, Fouilles de Sétif, les Basiliques chrétiennes du quartier nord-ouest,Paris, 1965, fig. 2-3; P.A.Fevriér, Gaspary et Guery, Fouilles de Sétif (1959-1966) Quartier nord-ouest, Rempart et cirque Supp. Bull.Arch.Alg.I, Algerie 1970, 9; 26-31; 38-40; fig. 13, 18-19, 69; Remanelli, Topografia e Archeologia dell'Africa romana, enciclopedia Classica, sect.3, vol.10,7,Turin,1970, p.405, Pringle, The Defence, 227-229 ; Mohamedi et alii, Fouilles de Sétif'1977-1984, p.55-72 ; J.Durliat, dédicaces, 55-56 ; E.Fentress,Sétif, les thermes du V siècle,l'Africa Romana,6,1988,p.320-337 ;Id., The economy of inIand city :Sétif,..p.117-128.

تطور وضعية الموقع أوالمدينة في الفترة ما بين القرن الخامس والسابع

سمحت الحفريات التي جرت من طرف فيفريFevrier، وبعده فنترسFentress من العثور على مستويات استقرار تمتد إلى الفترة الاسلامية، لا سيما خارج الأسوار البيزنطية، مما يدعم الصورة التي سجلتها النصوص التاريخية، باستمرار حيوية هذه المدينة طيلة الفترة البيزنطية وانتعاشها أكثر أثناء الفترة الاسلامية

نظرة تقيمية للموروث:

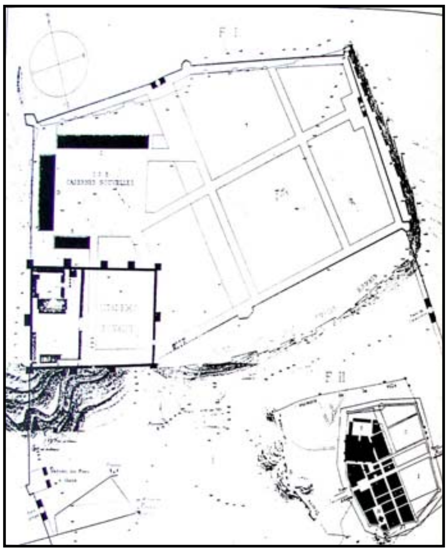
تكتسي أهمية كبيرة، باعتبارها استفادت من حفريات بعد فترة الاستقلال، وبهدف التنقيب ايضا عن المدينة الإسلامية، إلا أن قائمة المواد المكتشفة لا تسمح بإعطاء جدول زمني أكثر دقة من النصوص الأدبية، وقد كان تفسير الأثريين المعنيين بهاتين الحفريتين، كونهما

[1313] PAFevrier. Approches recentes,p 34

نقبا في جانب من المدينة خارج الأسوار البيزنطية، بينما وسط المدينة الإسلامية يمكن البحث عنه فوق نفس طبقات المدينة الرومانية العتيقة.



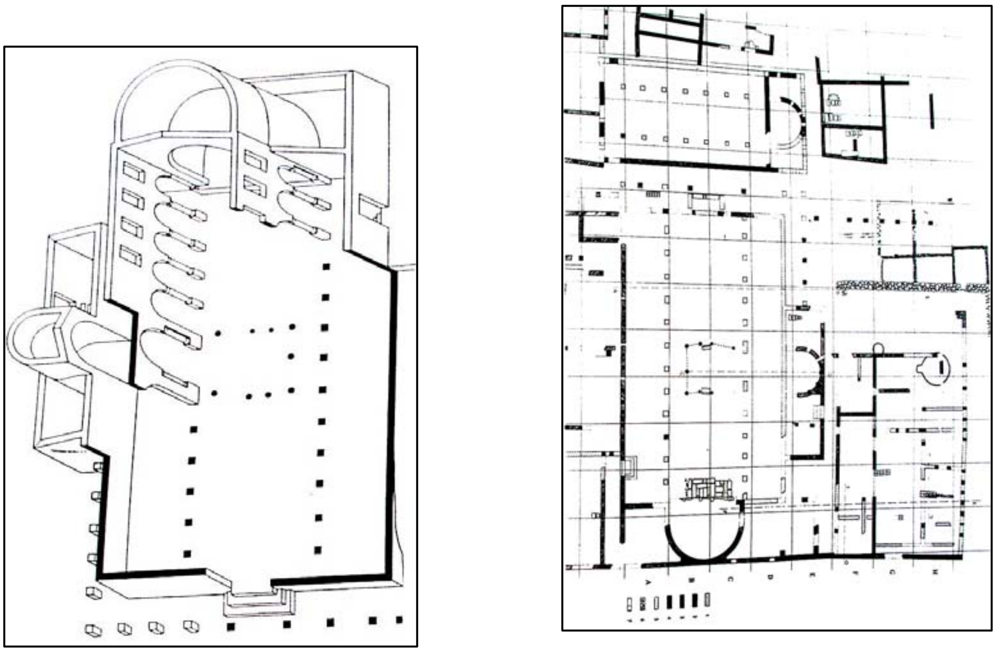
الشكل رقم: 19 القلعة البيزنطية من خلال ألواح دولامار



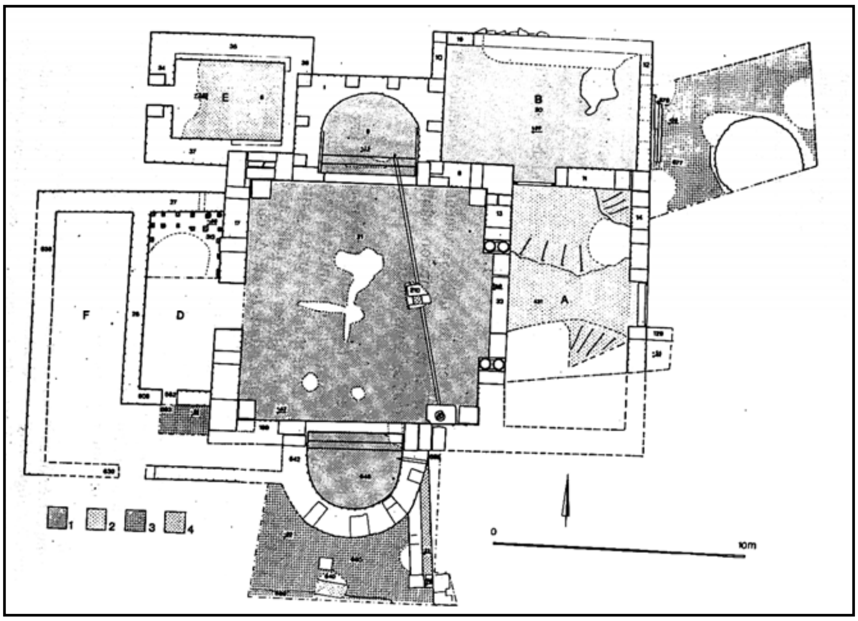
الشكل رقم: 20 مخطط وأسوار القلعة البيزنطية



الشكل رقم:21 الأسوار المتبقية من القلعة



الشكل رقم: **22** مخطط الحي المسيحي من خلال حفريات فيفري مع مقاربة للبازيليكا الكبرى



الشكل 23 مخطط الحمامات التي يبدو أنها استغلت إلى نهاية القرن الخامس حسب حفرية فنترسE.Fentress

A.A.ALg.16.196		Mopht	موفت	رقم **12**

الإسم التاريخي للموقع : Mopht

مكانته في الخريطة الجغرافية:

موقع صغير يتوسط مدينتي سطيف و جميلة على الطريق الروماني الرابط بينهما، يوجد بالقرب من جبل مسطاوة و المرتفعات المحيطة، ليشرف على الضفة الغربية للوادي الكبير"لامبساغا"، وكثيرا ما اعتبر بمثابة مدينة 'حدودية' بين نوميديا و موريطانيا. و إذا كان بروكوب قد أورد أن بليزاريوس بعد القضاء على المور بالأوراس، تمكن من التوسع باتجاه الغرب، فلنا أن نفترض نفس المصير لموقع موفت.

مكانته من طرق المواصلات:

وردت في ألواح بوتينجر[1314]

المصادر المسيحية

وردت الإشارة لهذا الموقع في مجمع قرطاج سنة 411، بفضل شخصية ليو Leo الذي ارتبط أيضا اسمه بنوفاتوس من سطيف، و ذلك في مجمع قرطاج لسنة 419، بل يفترض لانسيل أنه نفس الشخص الذي يمكن العثور عليه في قائمة مجمع ميلة سنة 416[1315].

النصوص الأثرية البيزنطية:

تمكنت من نشر نقيشة معروفة منذ الفترة الاستعمارية دون أن تدرج في سياقها التاريخي، و هي عبارة عن نص مبتور نقش في قطعةحجرية تحمل نقيشة أصلية تعود إلى ما بين 169-171م[1316]

(croix) INPERANTE +++[---/ RATA BARBARI L[--- / BATVS BENE DE R[---

وبفضل مطابقة الصليب البيزنطي و مصطلح inperante- Imperante، الذي وجد ذيوعا كبيرا في النصوص الأثرية البيزنطية الرسمية، فضلا عن معطيات تقنية أخرى مثل الكتابة، يمكن اعتبار هذا النص من النصوص البيزنطية و إن كان تأريخها يضل محل غموض، هل تعود إلى زمن جستنيان و التحصينات التي أشرف عليها سولومون مثل قلعة ميلة و سطيف، أن أنه يرجع إلى الفترات المتأخرة لا سيما بعد الانتصارات التي حققها القائد البيزنطي غيناديوس في بلاد الزاب؟

[1314] Table peutinger IV,4
[1315] S. Lancel, *Actes* de la conference de Carthage 411, t. IV, p. 1429.
[1316] Aibèche, Y. et Christol, M. Une inscription byzantine de Mons (Algérie), Aouras, 3, 2006, pp. 365-374. ; Id., Remarques sur les inscriptions de Mons (Algérie) : autour de la redécouverte d'une inscription byzantine, Actes de la rencontre d'épigraphie franco-italienne de Macerata, a cura di Gianfranco Paci, 9-11 septembre 2005, p.249-276

المواصفات التقنية للقلعة البيزنطية

عبارة عن حصن مستطيل الشكل، يقدر ب 46.40م على 34م، و يتراوح سمك أسواره ما بين 1.50م و 1,90م، له ابربعة ابراج على الزوايا. بينما وجدت معالم أسوار تحتضن هذا المعلم دون معرفة تاريخها، قدر أضلاعها غزيل بين 50 و 60م و هو ما لم نتمكن من تاكيده ميدانيا. أما الأبراج فقد كشفت حفريات غينتر P. Guinter و من بعده غالون L.Gualand

البيبلوغرافيا المعاصرة

Shaw M.D voyages dans plusieurs provinces de la Barbarie et du levant ; Ch. Nodier, journal de l'expédition des portes de fer ; Ravoisié ,exploration scientifique ; Delamare, exploration scientifique planche 92 ; Ch.Diehl, Afr.Byz., p. p. 604-605 ; P. Ginther, *L'occupation romaine de l'Afrique du Nord et la région de Sétif*, Constantine, 1940 , p. 137-140; Id., le département de Sétif et ses environs ; Id., « Mons. Première campagne de fouilles », *B.S.H.G.Sétif*, 2, 1941, p. 73-88; Gsell, Id. Monuments, II ; L.Jacquot, les voies romaines de la région de Sétif ; Id., Forts et puits romains de la région de setif ; Id., Huileries romaines de la région de setif ; P. Massiéra, « Inscriptions de la région sitifienne », *BSGH de Sétif*, 2, 1941, p. 105-106 ; *Id*., « Sur des inscriptions nouvelles découvertes à Mons (Algérie) », *BCTH*, 1941-1942 [1944], p. 134-136 (communication transmise par L. Leschi) ; *Id*., « Inscriptions de Mons », *BCTH*, 1946-1949 [1953], p. 334-335 (communication transmise par L. Leschi). L. Galand, « Mons, Mopth(…) et Mopti : fouilles et topographie africaines », *MEFR*, 61, 1949, p. 35-91.; P. Salama, « Les voies romaines de Sitifis à Igilgili : Un exemple de politique routière approfondie », *Ant. Afr*., 16, 1960, p. 101-133 ; Fevrier, PA, aux origines de l'occupation romaine dans les hautes plaines de Sétif, CT, 15, 1967 pp. 51 ss. ; J. Gascou, « La politique municipale, p. 136-229. ; Y. Duval, « La Maurétanie sitifienne à l'époque byzantine », *Latomus*, 29, 1970, p. 157-161 ; Id., *Loca sanctorum Africae. Le culte des martyrs en Afrique du IV^e au VII^e siècle*, I, Paris, 1982, p. 287-293, n° 136 et 137 ; J.Eingartner, Mons …Mopht……. Africa romana; S.Lancel, actes de la conférence de Carthage 411 ,t1,p 135 ;145 .2 ;195, Gesta,I,143,180 ;28 ; T4,P1428 ; Aibèche, Y. et Christol, M. Une inscription byzantine de Mons (Algérie), Aouras, 3, 2006, pp. 365-374. ; Id., Remarques sur les inscriptions de Mons (Algérie) : autour de la redécouverte d'une inscription byzantine, Actes de la rencontre d'épigraphie franco-italienne de Macerata, a cura di Gianfranco Paci, 9-11 septembre 2005, p.249-276 ; Id, « Sur une inscription de Mons (Algérie) de l'époque de Marc Aurèle », *ZPE*, 158,2006, p.251-258. Id., « Municipium Mopti : le municipe de Mopt(h)i, entre Sétif et Cuicul », a paraitre dans Ant.Afr. 2007.

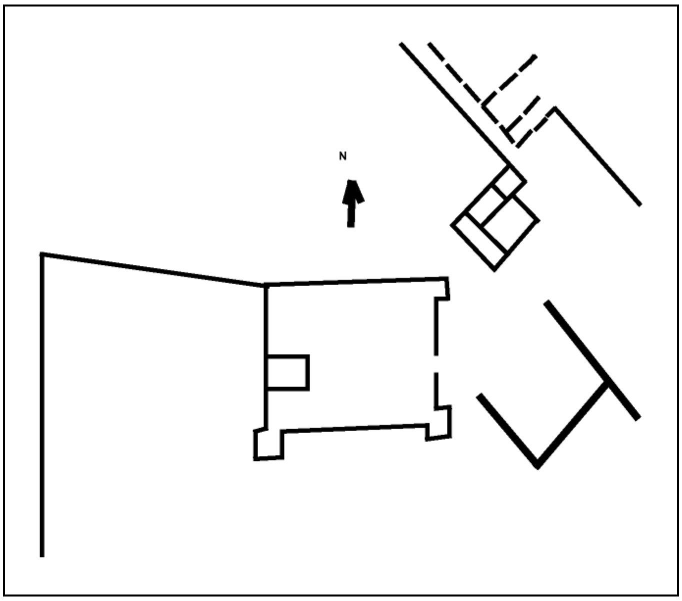
تطور وضعية الموقع أوالمدينة في الفترة ما بين القرن الخامس والسابع

لا نعرف أي شيء عن تطور الموقع، سوى أصبح في التسميات المحلية يسمى "القصر" مما يكرس فكرة امتداد وظيفية قلعته، كما سمحت لي معايناتي الميدانية من العثور على كمية معتبرة من الفخارية الاسلامية ذات الطلاء

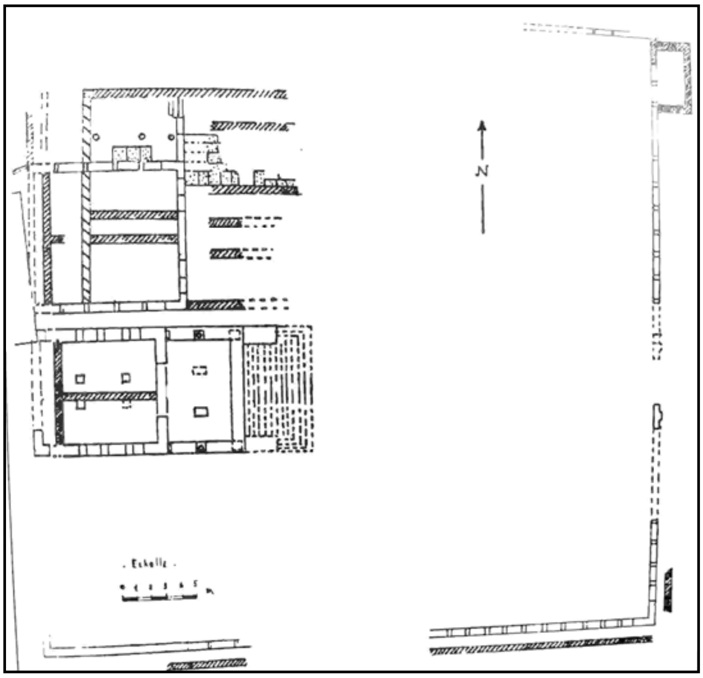
نظرة تقيمية للموروث:

شكل هذا الموقع خلال فترة طويلة مجال تكويني الميداني من خلال سلسلة المعاينات و القياسات الميدانية، و بقدر ما محدود من حيث فضاءه العمراني، بقدر ما يسمح بتتبع تاريخي من منتصف القرن الثاني إلى غاية الفترة الاسلامية، ففي حوزتي كبيرة من الفخاريات

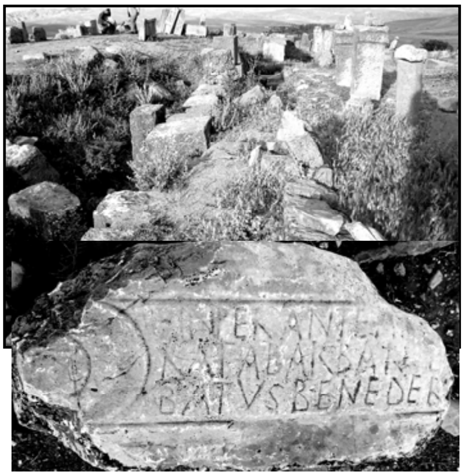
الاسلامية، فضلا عن عدد من الأسوار التي ظلت قائمة و التي صنفت اثناء حفريات غالو بأنها متأخرة جدا، مما يفترض استمرار الحياة الحضرية بها.



الشكل رقم: 24 مخطط الموقع و القلعة البيزنطية حسب ألواح دولامار



الشكل رقم: 25 مخطط الموقع الأثري ومعالم القلعة البيزنطية التي تحيط به، حسب Gualand



الشكل رقم: 26 جانب من السور الجنوبي للقلعة



الشكل رقم:27 وجهي النقيشة البيزنطية

A.A.Alg.7.68		CHOBA	زياما منصورية	رقم: **13**

الإسم التاريخي للموقع :

مكانته في الخريطة الجغرافية:

يوجد الموقع على الضفة الغربية لوادي زياما، ويتوسط الطريق الساحلي الرابط بين إجيلجيلي وسالداي، لكن يبدوأن أهميته الأكبر تكمن في كونه من أهم المعابر نحوسطيف وكويكول، وقد تمت الإشارة أكثر من مرة إلى أهمية هذا الميناء في ربط مناطق موريطانيا السطائفية بالعالم المتوسطي.

خرائط الطرق الرومانية:

ذكر في جغرافية بطليموس (Geographie IV,2,9)، في المسلك الأنطوني، ألواح بوتينجر، وجغرافية رافينا[1317].

المصادر المسيحية

ذكرت في قائمة 484

المصادر البيزنطية:

لم تتعرض المصادر الأدبية لهذا الموقع

المصادر العربية:

أوردها الإدريسي باسم "حصن المنصورية"[1318]، أما البكري فقد وصفه باسم مرسى "سبيبة"[1319]،

النقائش:

وجدت نقائش رومانية عديدة[1320]، لكن لم يتم العثور على نصوص بيزنطية

البيبلوغرافيا المعاصرة

Ch.Diehl,Afr.Byz.p.259,605 ; St.Gsell,ruines de Ziama(petite Kabylie),BACTH,1899, p.CLIX,445-449 ,plXLIII ; Ibid, les Monuments,II, p.42,48,392 ; E.Pousset, Notes sur les ruines du Municipium Aellum Choba, RSAC,43,1909, p.181-192 ; D.Pringle,The Defence, p.255-256, J.P.Laporte, Ziama, Antique choba municipium,dans Actes du colloque international sur l'Histoire de Setif,Setif 9-10 decembre 1990,7eme supplément du Bull.Arch.ALg. 1992, p.45-82, P.L.Cambuzat, l'évolution des cités, p 148-149 ; S.Lancel, Actes ,I,p.145,n°2

المواصفات التقنية للعمارة البيزنطية

وصفها غزيل بأنها قلعة شيدت على أنقاض الأسوار الرومانية، بعد تقليص المساحة الأولية التي كانت تقدر ب 14ه، مؤكدا أن معالمها تكاد تندثر، ومع ذلك فقد أشار إلى أن سمك الأسوار (1.8م) وطريقة البناء ذات الوجهين، فضلا عن توظيف مواد البناء القديمة ، هي

[1317] Géogtaphie de Ravenne,III,5,V,4 ; Chova municipium

[1318] الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 169، 174

[1319] أبو عبيد البكري، المسالك و الممالك، ص 82

[1320] CIL VIII, 08374-08378

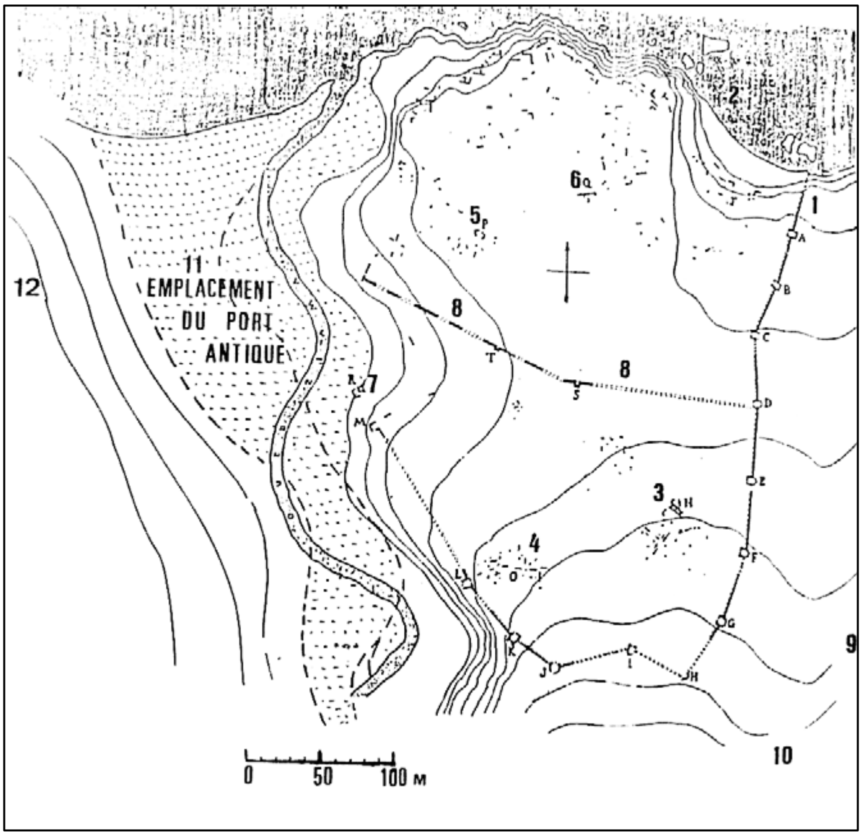
معالم تؤكد بيزنطيتها. كما لا حظ وجود برجين بمقاسات بسيطة (1.5/ 4م) . وقد نظمت حفريات، سنة 1909 من طرف الضابط العسكري بوسيت Pousset والذي أكد نفس المعطيات التي أشار إليها غزيل[1321]، إلا أنه أشار إلى إمكانية "عد إتمام بناء القلعة البيزنطية، من الجهة الغربية". وهوأمر يذكرنا بمداوروش و......

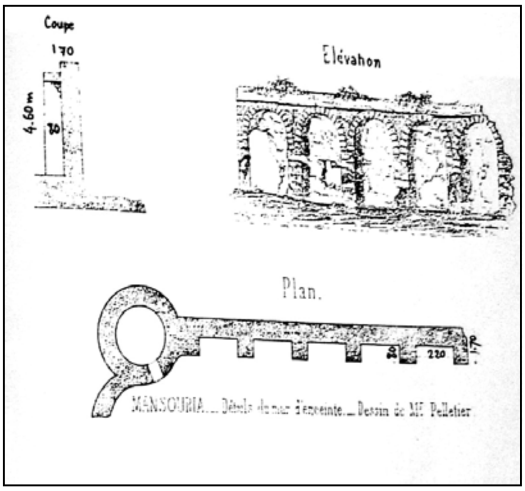
تطور وضعية الموقع أوالمدينة في الفترة ما بين القرن الخامس والسابع

رغم المساحة المتواضعة التي يمكن أن تمثلها هذه المدينة، فإن أهميتها تكمن في استمرار نشاطها كميناء يربطها ببقية المدن الساحلية، وبمدن موريطانيا السطائفية. ولعل وجود مدينة المنصورية على مسافة 3.5كلم، يجعلها امتداد لنفس الموقع، لا سيما وأن الميناء، الذي يتوسط المدينتين الرومانية والإسلامية، قد كان حلقة الوصل أيضا من الناحية الزمنية. كما يبدوأن أهميتها قد تعاظمت أكثر خلال الفترة الفاطمية، ثم الحمادية بعد استقرار هؤلاء ببجاية[1322].

[1321] E.Pousset, Notes sur les ruines du Municipium Aellum Choba, RSAC,43,1909, p.181-192

[1322] Cambuzat,l'évolution des cites, II, 149-149









الشكل رقم: 29 بقايا من قلعة زياما حسب بيلليتيPelletier

رقم:**14**	جميلة	Cuicul		

الإسم التاريخي للموقع : Cuicul

مكانته في الخريطة الجغرافية:

تشكل نقطة وصل بين ميلة وسطيف، ولعل أهميتها تكمن في كونها توجد في أقصى الحدود الغربية للولاية النوميدية، وبالتالي فهي تراقب الطريق المتجه نحوسطيف، مثلما تراقب الطريق المتوجه من الحضنة نحة اليواحل مثل شوبا Choba وجيجل Igilgili. يفترض أن مكانتها قد تعاظمت بفعل التطورات الناتجة عن تراجع الاحتلال الوندالي عن الجزء الغربي من بلاد المغرب، واسترجاع الامبراطورية الرومانية ذلك، مما جعل بعض الباحثين يغامر بفرضية احتضانها للعاصمة النوميدية، على الأقل خلال هذه الفترة.

خرائط الطرق الرومانية:

ذكرت في جغرافية بطليموس[1323]، وفي أغلب المسالك مثل الواح بوتينجر أوجغرافية رافينا.

المصادر المسيحية

سجل حضورها في أغلب المجامع الدينية، 256،411، مثل قائمة 484. وقد شكلت مشاركة شخصية كريسكونيوس Cresconius في مجمع القسطنطينية 553

المصادر العربية

وردت الإشارة لكلمة جميلا في نص المقدسي من بين مدن الزاب، دون القدرة على الجزم بأنه يقصد هذه المدينة أصلا، وإن كان ذلك فيفترض أن التسمية ليست حديثة[1324].

النقائش:

رغم غياب نصوص أثرية بيزنطية ، فكثيرا ما دار الجدل حول اعتبار الفسيفساء التي اكتشفت بالحي المسيحي أنها تعود إلى القرن الخامس والسادس ميلاديين.

البيبلوغرافيا المعاصرة

Ravoisié, Exploration, pl.45; pl. 29 ; Ch.Diehl,Afr.Byz.p. 258; 290; 297 ; P.A. Février 1971b, 23-24; Ballu 1921, 209-210; P.Romanelli, Topografia, pl. 3 ; P.A. Février, Princeton enc., s.v. Cuicul, p. 249-250; Id. Notes sur le développement urbain en Afrique du Nord, p. 1-26; Id, Approches, I, p. 69-70, II, p. 28, 33.J. Gascou, Politique municipale, p. 108-115 ; Politique, I, p. 177-178 ; E. Josi, Enc. catholique, IV, s.v. Djemila, col. 1774; A. Berthier, DHGE, s.v. Cuicul, col. 1095-1097 ; J. Mesnage, Évêchés, p. 283-284 ; J.-L. Maier, Épiscopat, p. 135 ; A. Mandouze, Prosopographie. Afrique, p. 1261, cf. Adeodatus 16, p. 41, Cresconius 10, p. 240 ; Elpidephorus, p. 338 ; lustinus (?), p. 621: Parcentius, p. 808 ; Turasius, p. 1119 ; Victor 67, p. 1177 ; S. Lancel, Actes, 1V, p. 1368. Cl. Lepelley, Cités

[1323] Ptolémée, IV, 3, 7

[1324] المقدسي، أحسن التقاسيم وفي معرفة الأقاليم، مطبعة ليدن، ص188

Afrique, II, p. 402-415 ; D. Pringle, Defense of Africa, p. 294 ; I.Gui, N.Duval et J.P.Callet, Basiliques chrétiennes d'Afrique du Nord,I,92-103

تطور وضعية الموقع أوالمدينة في الفترة ما بين القرن الخامس والسابع

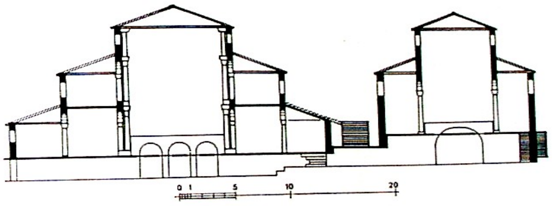
تعتبر من المواقع التي وفرت كمية هائلة من النصوص الأثرية طيلة التاريخ الروماني، إلا أنها مع بداية القرن السادس لا تتجاوز بعض الإشارات أو الفرضيات، و لعلها من النماذج التي تدعو إلى التفكير في طبيعة المقاييس التي يجب تتبعها لمعالجة ما يمكن تسميته بمدينة القرن السادس. فقد كشفت عن رفاهية كبيرة بعد القرن الرابع مع احتمال استمرارها إلى ما بعد القرن الخامس، لا سيما من خلال بعض المساكن الفخمة[1325].

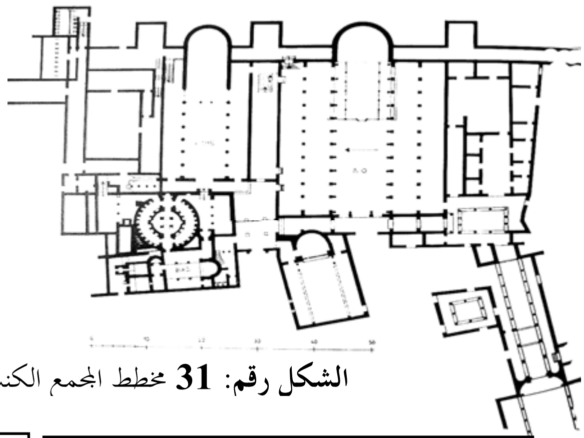
عن حي عمراني جديد تمثل في المجمع المسيحي الذي يفترض أنه أصبح أهم أقطاب المدينة، و بفضل الكنيستين اللتان أبرزتا و لواحقهما أمكن بلورة تصور استمراريتها إلى ما بعد القرن السادس، وذلك من خلال تأريخ فسيفساء الكنيسة الجنوبية بشخصية كريكونيوس الذي يبدو أنه شارك في المجمع الديني بقرطاج سنة 553[1326]. وقد رجعت في السنوات الأخيرة إشكالية الاحتلال الوندالي لهذه المدينة، لا سيما من خلال النقيشة التي نشرها فيفري [1327]، حيث بدأت تتبلور فرضية تحول المدينة إلى عاصمة جهوية لدوق نوميديا، و اعتبار مسكن باخوس نموذجا لذلك.



الشكل رقم: 30 صورة جوية للموقع الأثري

[1325] P.-A. Février, Notes sur le développement urbain en Afrique du Nord, op. cit., p. 13-24 ; J.Lassus, La salle à sept absides de Djemila-Cuicul, Ant. Afr., 5, 1971. p. 193.-907
[1326] P.A. Février, Remarques sur les mosaïques de basse époque à Djemila, dans Bull. de la Soc. Nat. des Ant. de Fr., 1965, p. 85-92.
[1327] P.A.Fevrier, Inscriptions chrétiennes de Djemila, BAA,I,1962-1965, p.207-214
و هي النقيشة التي استعملت ما يسمى بسنوات الملك الوندالي كأسلوب للتاريخ، مثلها مثل نقيشة الماء الأبيض

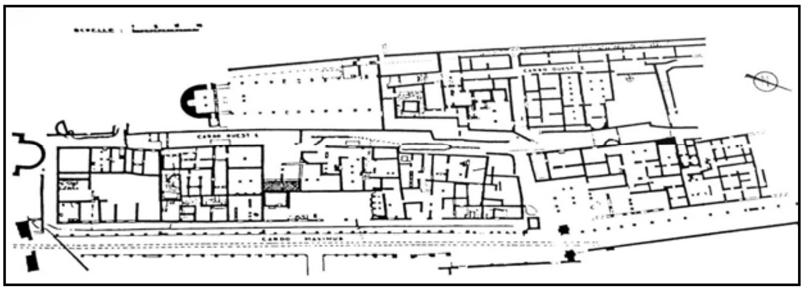




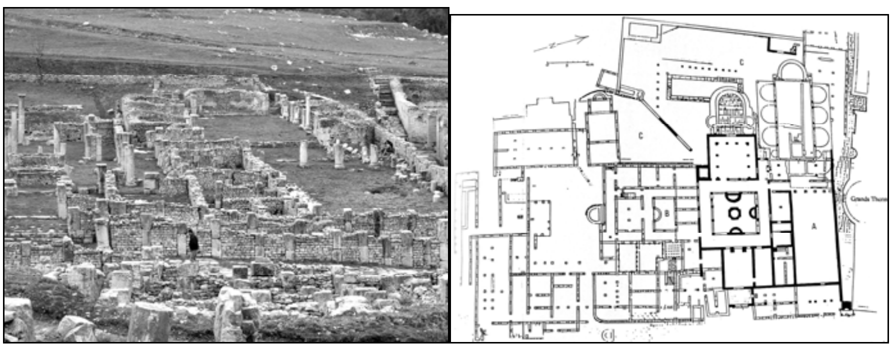
الشكل رقم: 31 مخطط المجمع الكنسى مع تمثيل الكنيستين حسب



الشكل رقم: 32 صور الكنيستين (المجمع المسيحي)



الشكل رقم: 33 مخطط الحي الغربي للمدينة مع البازيليكا



الشكل رقم: 34 صورة و مخطط مسكن باكوس الذي يحتمل أن الاستقرار قد استمر به إلى القرن السادس – حسب بلانشير ليمي

رقم:15	ميلة	MILEV	6°17, E 36°27	A.A.Alg.17,59

الإسم التاريخي للموقع

مكانته في الخريطة الجغرافية:

ظلت أحد المحطات الأساسية في الطريق بين سيرتا وسطيف، وبذلك فقد ارتبط تاريخها بهاتين المدينتين، ولعل أهميتها الاستراتيجية تكمن في مراقبتها المعابر الشمالية المؤدية إلى منطقة جيجل، والقل، في نفس الوقت الذي تشرف فيه على المناطق الجبلية حول وادي الرمال.

مكانته من طرق المواصلات:

تتوسط بين كل من قسنطينة وسطيف، وبدرجة أقل تيديس وجميلة. ويبدوأن مكانتها كنقطة عبور ظلت قائمة حتى الفترة الاسلامية، مما جعل مصيرها يرتبط بكل من سيرتا، خاصة وأنها لزمن طويل شكلت أحد أطراف الكونفدرالية السرتية، وأيضا بجميلة من جهة الغرب.

خرائط الطرق الرومانية:

ورد ذكرها في أغلبية المسالك، مثل المسلك الأنطوني[1328] ،ألواح بوتينجر[1329] ، أو في جغرافية رافينا[1330] ، فضلا عن العثور عن عدد من الشواهد الميلية باتجاه جميلة وقسنطينة.

المصادر المسيحية

لدينا العديد من النصوص الدينية المتعلقة بمكانة المدينة ابتداءا من القرن الخامس، ويعود الفضل إلى القديس أوبتات الميلي، أومراسلات القديس أوغسطين، مثلما نجد اسم المدينة في عدد من قوائم المجامع الدينية مثل ، مجمع قرطاج لسنة 256 وأيضا 411. كما تشتهر باحتضانها لعدد من المجامع الدينية حسب إشارات المصادر وذلك في سنوات: 397،402، 416

المصادر البيزنطية:

اعتبرها بروكوب من المدن النوميدية التي حصنها جستنيان، كما أشارت المصادر البيزنطية إلى اسم المدينة في المجمع الديني المنعقد بالقسطنطينية سنة 553، فضلا عن إشارة جورج القبرصي ضمن المدن النوميدية[1331].

المصادر العربية:

[1328] Itinéraire Antonin,p.11
[1329] Table de Peutinger,IV,4
[1330] Geographie de Ravenne,p.149
[1331] George de Chypre, p.56, 659a ; Maier, l'épiscopat, p.173 (Mileon [553]); Procopius, de Aed., VI, 7, 8 .

تجمع أغلب المصادر على ثبات قلعتها و أسوارها المبنية بالحجارة، فقد و صفها اليعقوبي بالمدينة القديمة المحصنة " مدينة عظيمة جليلة، يقال لها ميلة، عامرة محصنة، لم يلها والٍ قط، ولها حصن دون حصن"[1332]، كما أشار البكري إلى جانب الأسوارإلى الأبواب والعين الشهيرة بها والقنوات التي تجلب لها المياه.[1333]. و نفس الأمر نجده عند صاحب الاستبصار[1334] والإدريسي[1335]، كما وصف القاضي النعمان القلعة البيزنطية " و دخل جميع من فيها إلى الحصن فانحصروا به"

النصوص الأثرية البيزنطية:

تم العثور على نص بيزنطي في المدينة القديمة، يذكر الامبراطور جستنيان و زوجته تيودوراإفلا جانب القائد سولومون، يمكن مقاربته بنص مداوروش[1336] فضلا عن وجود عدد من الشواهد المسيحية

ILAlg-02-03, 08543
] / [Iu]stinia[ni et Theodorae p]roviden[tia Solomonis gloriosissimi] ex con[sule [---]/---.

المواصفات التقنية للقلعة البيزنطية

ارتكزت أغلب الدراسات على المعاينة الأولية التي قام بها الضابط الفرنسي شيفللر والتي نشرها دولامار، وبالفعل فقد شكل حينها طول السور أكثر من 1200م، ليحتضن مساحة حوالي 5.14 هكتار، كما تميزت طريقة البناء باستعمال نفس التقنية المتمثلة في السور بواجتين موظبين بسعة 2.20م وضعت بينهما الحجارة الصغيرة دون تصفيف. كما دججت القلعة ب 17 برجا[1337]. ولعل من مواصفات القلعة أيضا هي ادماجها لأحد أقواس النصر الذي ينسب لكاراكالا ضمن سورها التحصيني[1338]، مما يجعلها مثل قلعة تبسة في توظيفها لهذا النوع من المعالم

البيبلوغرافيا المعاصرة

A.Ravoisie Exploration. 1846, p.43-44; pl. .X2-V-XXVI; S.A.Baghli, Bilan des activités archéologiques dans la wilaya de Constantine de 1963-1969,RSAC,71, 1969-1971, p.14; Delamare ,Exploration, 1850, l. 108- 112; Ch.Diehl Afr.Byz, 258; 290; 603-604; St. Gsell, Notes sur quelques forteresses antiques du departement de Constantine, RSAC,32,1898, p.295-297; Id., les Monuments, p.365-366; fig. 158; Gsell, texte axplicatif, p.109-111;J. Lassus, une Tour de l'enceinte byzantine(face est), dans J.Lassus et M.Leglay, Fouilles à Mila, Campagne préléminaire(Juin-Juillet 1957) Libyca AE,4,1956, p.232- 239; fig. 3-4,

[1332] اليعقوبي، البلدان ،" مدينة عظيمة جليلة يقال لها ميلة عامرة محصنة ... لها حصن دون حصن.."ص.190

[1333] أبو عبيد البكري، المسالك و الممالك، ص 64

[1334] كتاب الإستبصار " فيهاآثار الآوائل تدل على أنها مدينة كبيرة...عليها سور صخر جليل من بناء الأولين و في وسط المدينة عين خرارة عذبة من بناء الأوائل.." ص 166

[1335]الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 94

[1336] أنظر النقيشة رقم : ILAlg.I,2114

[1337] Lassus, 232- 239

[1338] Lassus, 232- 239

17-21; pl. IV; M.PergolaLes fouilles à :,RSAC,58, 1927, p.66-68; P.Romanelli Topografia, p.402, 404 ; S.Lancel, Actes, IV, 1427 ;D.Pringle, The Defence, p.219-220.

تطور وضعية الموقع أوالمدينة في الفترة ما بين القرن الخامس والسابع

ظلت تحافظ على أسوارها البيزنطية، والتي يبدوأنها كانت نفسها طيلة الفترة الاسلامية، ولعل أهم التغيرات في هذه الأسوار جرت بفعل استقرار الجيش الفرنسي ، خاصة من الجهة الغربية والجنوبية الغربية.

نظرة تقيمية للموروث

رغم أهمية المدينة في النصوص التاريخية، قديمة كانت أووسيطة فهي تطرح نفس المشاكل المتعلقة بوفرة القرائن التي تسمح بتتبعها عمرانيا، ما الذي شيد في محيطها فضلا عن القلعة؟ هل ظلت الكنائس التي أشارت إليها المصادر الأدبية قائمة؟ وهل يمكن اعتبار مشاركتها في المجمع الديني بالقسطنطينية عربونا على استمرارية هذه الفعالية التي سنها القديس أوبتات؟

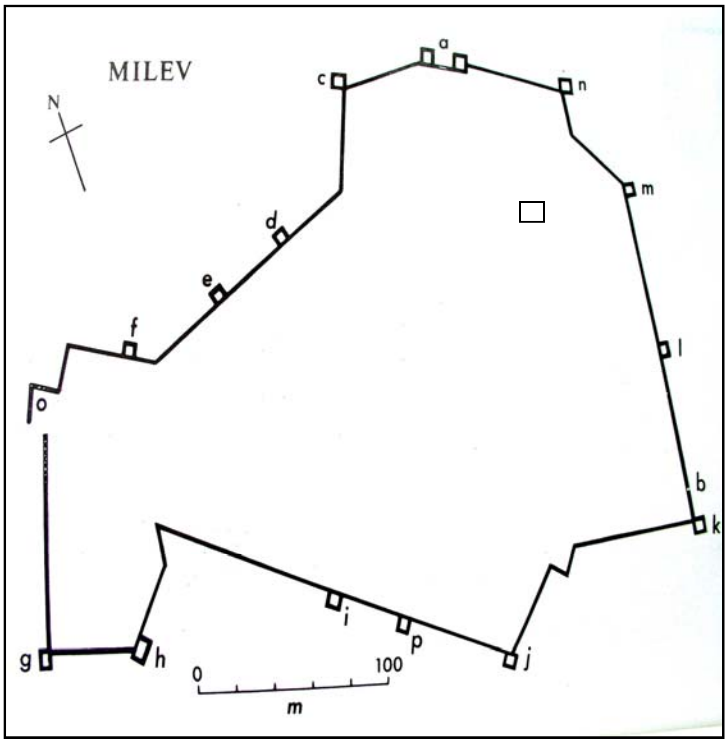
كما تسمح لنا المعالم الاسلامية القائمة ، لا سيما مسجد سيدي غانم من تحسس طبيعة المحيط العمراني المستعمل ابتداءا من القرن الثامن . ورغم غياب التقارير الأثرية عن عمليات التنقيب التي قام بها دوكالي[1339] في السبعينات، إلا أن المعاينة الأولية للمستويات التي تتجلى في المناطق التي حفرها، لا تسمح بالوقوف على استغلال مزدوج للمعالم الرومانية القديمة خلال الفترتين البيزنطية والاسلامية فحسب، بل أيضا في توظيف قواعد هيكل المعبد في أسس المسجد، فضلا عن العدد الكبير من النقائش الوثنية والرسمية ومواد البناء و الزخرفة الرومانية الأخرى مثل الأعمدة والتيجان في هياكل المسجد، وبالتالي فهي تؤكد من دون شك وظيفية نفس المساحة العمرانية وبقائها كنواة للمدينة

[1339] أجرى هذا الباحث عمليات جس لطبقات الاستقرار داخل و خارج مسجد سيدي غانم. إلا أنه لم ينشر أبحاثه، بل يبدو أنه لم يتمكن من بلورة تصور علمي دقيق، مما يطرح إشكالية القدرة على القراءة العلمية للطبقات المتأخرة، بل يبدو أن أدنى شروط التقارير العلمية لم تتوفر في أرشيف هذه الحملة . أنظر أيضا أرشيف بغلي في الوكالة الوطنية للآثار تحت رقم: DAC/A2/N°394, 580, /MM:





الشكل رقم: 35 باب البلاد و أحد أبراج القلعة البيزنطية



الشكل رقم:36 القلعة البيزنطية بميلة حسب ديل



الشكل رقم: 37 العين الشهيرة بميلة – أحد أسوار القلعة مرممة في الفترة الاستعمارية



الشكل رقم: 38 توظيف مواد البناء القديمة في بناء مسجد سيدي غانم – التيجان

رقم:**16**	زراي	ZARAI		A.A.Alg.,26, 69

الإسم التاريخي للموقع :

مكانته في الخريطة الجغرافية:

توجد في طرف المنخفض الممتد من نقاوس، وهذا ما يسمح لها بالإشراف على العديد من المعابر من خلال مجاري وادي بريكة، تمتد جنوبها سلسلة مرتعات عالية تغلق منخفض الحضنة.

مكانته من طرق المواصلات:

تتجلى في خريطة سالاما مرتبطة بالطريق التي تفصل بين نوميديا وموريطانيا، ورغم ابتعادها عن الخط الحدودي الجنوبي، فتبدو في مفترق الطرق نحوكل من طبنة، بسكرة، نقاوس وزابي، إلى جانب ديانا، لامبيز وسيرتا من الناحية الغربية، وشمالا الى سطيف وكويكول. كما تستمد شهرتها من النقيشة التي اكتشفت بها والتي تحمل تسمية "أسعار زراي[1340]"

خرائط الطرق الرومانية:

وردت في المسلك الأنطونيني وفي ألواح بوتينجر

المصادر المسيحية

نجد اسمها في قائمةالمجمع الديني لسنة 411[1341]، فضلا عن قائمة الأبرشيات سنة 484، كما اكتشف بالموقع كنيستين، إحداهما كبيرة الحجم(لم نعثر على تحديد المقاسات) [1342]

المصادر العربية:

ابن خلدون فقط[1343]

المواصفات التقنية للقلعة البيزنطية

يشرف الموقع على السهول المواجهة من خلال تمركزه المرتفع نسبيا، وإلى غاية القرن التاسع عشر ظلت أسوار القلعة البيزنطية قائمة إلى حد ما. وتتمثل في حصنين يربط بينهما خند تحت الأرض[1344] ورغم تأكيد كل من راغووغزيل على سمك الأسوار الذي قدر ب 2.10م فلم تعط المقاسات الحقيقية، رغم أن غزيل قد نشر مخططات هذه المعالم ، ويمكن تقديرها من خلال المخطط ب 65/50م. كما يمكن القول انها لم تكن من الحجم الكبير بل من القلاع الصغيرة، غلا ان الخصوصية تكمن في هذه الإزدواجية وهذا الربط بين القلعتين.

[1340] P.Trousset, le Tarif de Zarai : essai sur les circuits commerciaux dans la zone présaharienne, Ant.Afr.38-39,2002-2003, p.355-373.
[1341] S. lancel,Actes, Gesta,I,128,I,78,p736, IV,p1531-1532
[1342] St.Gsell, recherches, p 142-156
[1343] ابن خلدون، كتاب العبر، م6
[1344] W.Ragot, Le Sahara de la province de Constantine. p 243, St.Gsell, Recherches. P. 142

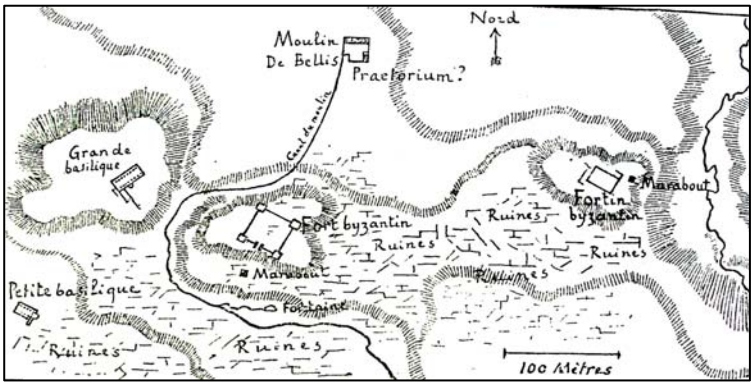
كما يمكن الإشارة إلى عدة مواد يفترض انها تعود للفترة البيزنطية قد تمت الإشارة إليها، كبعض التيجان والمعالم الزخرفية

البيبلوغرافيا المعاصرة:

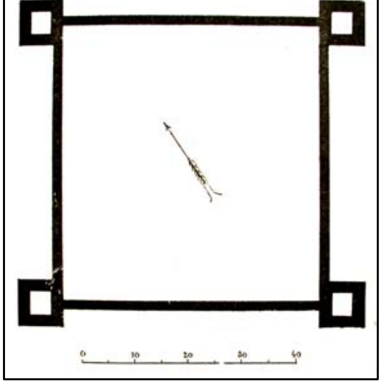
M. Boisnard, L' Inquiète Byzance africaine, p.38; Cagnat, l'Armée romaine, p. 580; Ch. Diehl, Afr.Byz. 252; fig. 53; S.Gsell, Recherches archéologiques en Afrique, 1893, p.142-155, fig. 11-12; S. Gsell, Monuments, p.367-368;J.Mesnages, Eveches, p.400 ; W.Ragot, Le Sahara de la province de Constantine, p.244-246; D.Pringle, The défence, pp277-278, N.Duval, Inventaire, p 148, S.Lancel, Actes 411,IV, p. 1531-1532 ; P.Trousset, le Tarif de Zarai : essai sur les circuits commerciaux dans la zone présaharienne, ant.afr.38-39,2002-2003, p.355-373 ; م.ب.شنيتي، موريطانيا القيصرية، ص .169

تطور وضعية الموقع أوالمدينة في الفترة ما بين القرن الخامس والسابع:

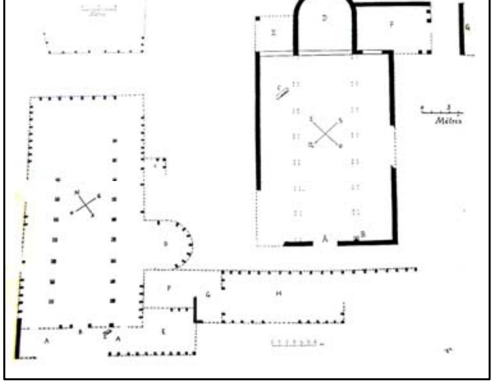
تمثل بالنسبة لنا أهمية في استكمال صورة التحكم في الطرق الاستراتيجية الرابطة بين المناطق الجنوبين، الشرقية وموريطانيا السطائفية، فتتأكد عمليا أهمية منطقة الزاب، من خلال هذه التحصينات. كما شكل اكتشاف المعالم المسيحية عاملا إضافيا لاعتمادها كأحد المواقع العمرانية التي يفترض أنها استمرت طيلة الفترة البيزنطية.



الشكل رقم: 39 مخطط القلعة البيزنطية و بعض المعالم المسيحية حسب غزيل



الشكل رقم: 40 المخطط الرباعي للقلعة حسب غزيل



الشكل رقم 41 مخطط الكنيستين حسب غزيل

رقم: 17	طبنة	Tvbvnae		A.A.Alg.37.10

الإسم التاريخي للموقع :

وردت بصيغ مختلفة: ... Tobonis,Tubunas, Tubuniensis

مكانته في الخريطة الجغرافية:

توجد على بعد حوالي 4كم من مدينة بريكة الحالية، بين وادي بريكة ووادي بيطام، تتميز أرضيتها بأنها سهول مرتفعة نسبيا إلا أنها تخترقها المجاري المائية الفصلية، مما جعلها عرضة للطمي، وأهميتها تكمن إلى جانب مراقبتها للطرق المتوجهة نحوالغرب، فهي نقطة عبور المسالك القادمة من بغاي، نقاوس ، أو المتجهة نحو الشمال مثل سطيف. فهي تشكل نقطة مراقبة الواجهة الشرقية للحضنة ، وبالتالي تشترك مع زابي في حراسة ومراقبة هذا المعبر الجنوبي الهام، لا سيما ما بين الحضنة وجبل متليلي. و عموما فقد ورد الحديث عنها دوما في إقليم الزاب.

مكانته من طرق المواصلات:

تحتل موقعا موازيا لزابي Zabi ، وبذلك فهي تشرف على الحضنة وتشكل زاوية مراقبة الطريق القادم من لا مبيز فضلا عن المعابر الجنوبية. كثيرا ما اعتبرت أقصى النقاط الغربية للمقاطعة النوميدية.

خرائط الطرق الرومانية:

ذكرها بطليموس في جغرافيته(IV,2,7)، وتقع على امتداد الطربق القادم من لامبيز،. مثل بلين (V,37)، كما تضعها ألواح بوتينجر في مفترق الطرق أحدها يتجه نحوسطيف و قد ورد اسمها (IV,5) بعبارة ساليناس نوبونونيسيس Salinas nubonenesis، مما جعل غزيل يقترح تصحيح كلمة الموقع الى Tvbonenesis ويعتبرأن السبخة قد استمدت اسمها من الموقع.

المصادر الأدبية والنقائش:

تم اكتشاف عدد من النصوص الأثرية التي تسمح بالوقوف على تسميتها، ومجلسها البلدي، فضلا عن عدد من شخصياتها ، هذا ألة جانب مكانتها في قيادة مركز الليمس.

المصادر المسيحية

تحدث عنها القديس سان سيبيريان، ويبدوأن الكونت بونيفاس قد زارها وأقام بها قبل تاريخ427، حيث التقى بالقديس أوغسطين في هذه المدينة[1345]. وقد وردت الإشاره إليها في المجمع الديني لسنة 256، في مجمع سنة 411 وفي قائمة سنة 484 (رقم 72)

المصادر العربية:

[1345] ST.Augustin, Lettres 82, p.3,12.

ظلت تكتسي أهمية كبيرة الى غاية الفترة الاسلامية، حيث تذكر المصادر أن عقبة قد تفادى حصارها ، اعتبرها كل من ابن الحكم و ياقوت الحموي، أنها على تخوم إفريقيا وإقليم الزاب[1346] بينما جعلها ابن عذاري و اليعقوبي و الإدريسي قاعدة الزاب[1347]. يبدو أن سورها كان مبنيا بالطوب[1348]، كما ورد الحديث عن " قصر وأرباض "[1349]. حيث تحدث البكري عن قصر عظيم و غرف مبنية بالحجارة، لإسكان القادة، عليه باب من حديد.. [1350]. في حين أورد الإدريسي أنها " ..مدينة حسنة. كثيرة المياه و البساتين و الزروع و القطن و الحنطة و الشعير. و عليها سور من تراب. و أهلها أخلاط. و بها صنائع و تجارات ..." [1351] كما يمكن الاشارة إلى تأكيد هذه النصوص على وجود الروم و البيزنطين[1352]. كما يجب الإشارة إلى تأكيد كل من البكري[1353] و الإدريسي على رفاهية المدينة، بفضل وفرة مياهها و نظام السقاية الموجود بها، بل نجد الإشارة إلى خزان الماء الكبير الذي يغذيه وادي بيطام. و قد أكد غزيل اكتشاف معالم سد مائي على مقربة من المدينة[1354].

النصوص الأثرية البيزنطية:

وجد نص جزء من النقيشة في أحد الأسوار المرممة بتقنية، يبدوأنها متأخرة عن الفترة البيزنطية ،وقد نشرها ألبرتيني، إلا أنها أهملت في قوائم نصوص التحصينات البيزنطية:

[providentia patri]cii Solomoni[s...ex]consule

المواصفات التقنية للقلعة البيزنطية

يتميز الحصن بالشكل المربع، ويحمل نفس مواصفات قصر بلزمة، فهوعبارة عن قلعة مستطيلة الشكل، تبلغ أطرافها 61.90/ 80.50م ، مدججة ب8 أبراج مربعة الشكل تقدر بين 7.10و7م، توجد أربعة منها على الزوايا، والبقية على الأطراف، وتتميز هذه الأخيرة بمقاسات أكبر(6.10/8,30). ورغم إشارة

[1346] ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1957،م4 دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت 1957، جزء 4، ص 21

[1347]ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص 207، اليعقوبي، البلدان....ص190. الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 93

[1348] اعتبرها صاحب الاستبصار ص 172:" مدينة كبيرة قديمة عليها سور من طوب و لها حصن قديم غيه سور من صخر جليل ضخم متقن البناء من عمل الأوائل و لها أرباض واسعة..."و هي نفس الإشارة التي نجدها عند الإدريسي، إلا أنني أتساءل هل هو فعلا سور من الطوب أن من الصخور الكلسية الهشة ، حسبما عاينته أثناء زياراتي للموقع، خاصة و أن المنطقة ليست صخرية.

[1349] ياقوت الحموي، معجم البلدان جزء 4،ص 21

[1350] أبو عبيد البكري، المسالك و الممالك، ص 50-51

[1351] الإدريسي، نزهة المشتاق ، ص119

[1352] أبو عبيد البكري،المسالك و الممالك ص.51، اليعقوبي،البلدان، ص190

[1353] أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، ص 51، فضلا عن الإشارة إلى الأبواب التي تكرس نفس هيكلة القلعة البيزنطية

[1354] St.Gsell, Enquete administrative sur les travaux hydrauliques anciens en Algerie,..p84-87

قرانج[1355] إلى مواصفات السور الشمالي والبراج التي تدعمه، فمعارفنا تظل ضعيفة حول هذه القلعة المهمة ، هذا فضلا عن وجود معالم كنيسة في مياحة السور.

البيبلوغرافيا المعاصرة

M. Ville, Voyage d'exploration dans les bassins du Hodna et du Sahara, Paris, 1869, p.111; P. Blanchet, Excursion archéologique dans le Hodna et le Sahara, RSAC, 33,1899, p. 288-293; M. Boisnard, L' inquiète Byzance africaine, Bull.Soc.Géo.Alger, 1935,p.38. ch.Diehl, Arch.des Miss, p.306-309 ; ibid, Afr.Byz. p.202,250, fig .9; S.Gsell, de Tobna' , BACTH,1900, CBCXIII-CBOCV ; Ibid. Monuments, II, p.374-375; R.Grange, Monographie de Tobna(Thubunae),RSAC,35,1901,p.16-65; J.Baradez ,Fossatum Africae, p.78, 293 ; Romanelli Topografia,p.405,pl 352 ;J.Gascou, La politique Municipale.p190; D.Pringle, The Defence, p274-276 ; P.L.Cambuzat, l'évolution des cités. p. 21-24.
م.ب.شنيتي، موريطانيا القيصرية، ص380-387

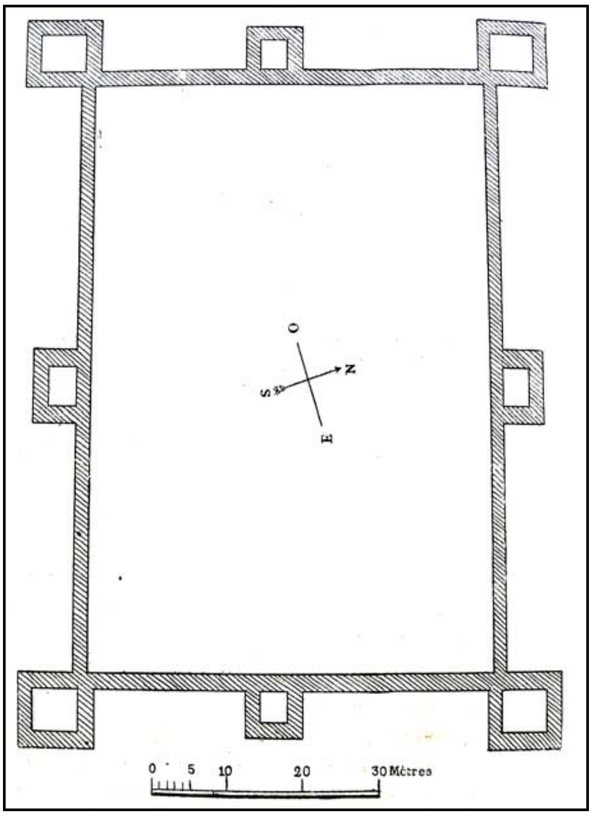
تطور وضعية الموقع أوالمدينة في الفترة ما بين القرن الخامس والسابع:

تتجلى أهمية الموقع ابتداءا من النصف الثاني للقرن الثامن، إلى غاية تأسيس مدينة المسيلة، ويبدوأنها ظلت تلعب دورها الاستراتيجي إلى غاية القرن العاشر. فمثلا يذكر غرانج Grange أن حفرياته قد سمحت له بالوقوف على خزانات إسلامية، ويفترض وجود مسجد في القسم الشرقي من القلعة وقصر لممثل السلطان في الجزء الغربي للقلعة.

نظرة تقيمية للموروث:

تمثل قلعة طبنة، إلى جانب أهميتها الاستراتيجية في سلسلة التحصينات البيزنطية في إشرافها على أحد نقاط العبور الجنوبية، ومراقبتها لمنطقة الحضنة، معلما هاما لتتبع تطور العمران وتوظيف الهياكل المتوارثة من الفترة البيزنطية إلى حدود القرن العاشر، لكن إذا كانت النصوص تؤكد على ذلك فامكانية التأكد من هذه المعطيات لا يمكن أن يكون إلا باجراء ، ولوعمليات جس في مواقع معينة من القلعة. كما يجب الإشارة إلى الإشكالية التي أثارها بن عباس في رسالته، دون الخوض في مناقشتها، و المتمثلة في إعادة النظر في قراءة موقع "طنجة" في مصادر الفتوح في الحملة التي قادها عقبة بن نافع بموقع "طبنة"[1356]. الأمر الذي يجعل استرتيجية الصراع لا تتجاوز منطقة تلمسان، و تثمين لإقليم الزاب و بدرجة أخص مدينة طبنة.

[1355] R.Grange, monographie de Tobna, RSAC, 1901,pp65-73
[1356] M.Bennabes, l'Afrique Byzantine face à la conquete arabe, p325-334 ،
وهو نفس الموضوع الذي قدمه في ملتقى روان بفرنسا سنة 2003.
Id., les premiers raids arabes en Numidie byzantine : questions toponymiques,dans



الشكل رقم: 42 مخطط القلعة



الشكل رقم: 43 بقايا من القلعة البيزنطية

رقم: 18	بلزمة	Lamasba		A.A.Alg, 27,86

الإسم التاريخي للموقع :

يظل اسم الموقع التاريخي مجهولا، فقد اقترح ألبرتيني[1357] مطابقته مع موقع لاماسبا المعروف (مروانةالحالية) والذي يبعد بمسافة 5كم من مكان القلعة.

مكانته في الخريطة الجغرافية:

يوجد الموقع في وسط سهول بلزمة، والتي تحدها شمالا مرتفعات بلزمة، ومن الشرق جبل مسطاوة ، أما من الناحية الجنوبية فيحاذيها وادي بريكة، الذي يمتد حتى طبنة وشط الحضنة. هذا فضلا عن اكتشاف الشواهد الميلية التي تربط الموقع بالمناطق المجاورة.

مكانته من طرق المواصلات:

يقع على بعد حوالي 30كم شمال غرب لامبيز ، و80كم جنوب شرق سطيف، وبالتالي فهويندرج في الطريق الرابط بين تيمقاد زرايا، كما يفترض أن يربط بين عدة مواقع أهمها: زانا، زاراي وسطيف.

خرائط الطرق الرومانية:

فضلا عن الشواهد الميلية Bornes miliaires التي اكتشفت على أطراف الموقع، فقد تكرر اسمه في المسالك الرومانية مثل المسلك الأنطوني، أوالواح بوتينجر، ومن ثم فقد كانت معبرا نحوالشمال وأيضا نحوالمناطق الغربية

المصادر المسيحية

المشاركة في المجمع الديني لقرطاج سنة 256، و411 . تضعها La Notitia ضمن القائمة النوميدية، كما وردت الإشارة الى وجود كنيستين، حيث جرت بها بعض التنقيبات الأولية في نهاية القرن التاسع عشر

المصادر البيزنطية:

تم اكتشاف نقيشة تؤكد على مسؤولية سولومون في إنجاز الحصن في الفترة ما بين (536-544):

PROVIDENTIA PATR]CII SOLOMONI[s…ex]CONSVLE [..[1358]

المصادر العربية:

تحدثت أغلبية النصوص العربية عن امتدادها في التاريخ القديم، فأشار البكري إليها باعتبارها "حصن أولي"[1359]، ووصفها الإدريسي بأنها :" حصن لطيف، وفي أهله عزة و منعة، ولها ربض و سوق، و بها آبار طيبة.... و بناؤه من الحجارة الكبيرة القديمة" [1360]، كما اعتنى نفس المصدر بالتأكيد على أقدمية

[1357] E.Albertini, la forteresse byzantine de Ksar bellezma, BSNAF,1934, pp 156

[1358] A.Ep.1935,n°62,p.20.

[1359] أبو عبيد البكري، المسالك و الممالك، ص 50

[1360] الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 99

الموقع، إذ أرجعه حسب مصادره إلى عهد المسيح، و تأكيده ببقائه عاليا إذا ما نظر إليه من الخارج، بينما هو في خالة دمار من الداخل. و يبدو من نص ابن حوقل أن سورها قد شيد من تراب[1361] .و مع ذلك يبدوأنها اكتست أهمية كبيرة ابتداءا من القرن الثامن، حيث تحصن اهلها بالقلعة أثناء زحف ابراهيم بن الأغلب[1362].

المواصفات التقنية للقلعة البيزنطية

يتميز الحصن بالشكل المربع تقريبا، وتبلغ أطواله 112X125 م، مما يعطينا متوسط 1,4 هكتار. يذكر غزيل أن حجارتها وضفت مخلفات البنايات الأقدم كمعاصر الزيتون أوالأعمدة والمواد الزخرفية الاخرى[1363] وحسب وصف راغوا فجدران هذه القلعة، يصل سمكها الى 2م، مبنية بالحجارة الموضبة من واجهتي الجدار وفي وسطهما صففت الحجارة الصغيرة . ويضيف ديل أن القلعة كانت مدججة بأربعة حصون في الزوايا تقدر بـــ 10,70م/9,30م، وقد نشر ألبرتيني تقريرا عن حفريات أولية سمحت باكتشاف النقيشة التي تسجل اشراف سولومون، لكن أيضا المدخل الرئيسي للقلعة والذي قدر بـــ 2.40م، وحصن داخلي يشبه ما وجد ببغاي، وتقدر مقاساته بـــ 6.35 /6.10م[1364].

البيبلوغرافيا المعاصرة

St.Gsell, Recherches, p 105-106 , Mon.Ant. II,p373; Diehl, Rapport sur deux missions archéologiques IV,1893, p303-305; Ragot, Le Sahara de la province de Constantine, RSAC,15,1873-1874,p238-243 ; J.Gagé, Eglise et reliquaire d'Afrique, MEFR, 44,1927, p. 103-118 ; Albertini, la forteresse byzantine de Ksar bellezma, BSNAF,1934,pp 156-158 ; L.Leschi, l'archéologie algérienne en 1939,Rev.Afr.84,1940, 146-148 ; J.Birebent, Aquae Roamanae..p.341-406 ; Romanelli, Topografia.p.p.405 ; Y.Duval Loca sanct. N°228, p.440-441 ; Id., D. Pringle, Defence..p.204-205 ; E.Fentress et alii, Prospections dans le Bellezma, dans Actes du colloque international sur l'Histoire de Setif, Setif 9-10 decembre 1990,7eme supplément du Bull.Arch.ALg. 1992,pp 107-119

تطور وضعية الموقع أوالمدينة في الفترة ما بين القرن الخامس والسابع:

تتجلى أهمية الموقع، في استمرار مناعته وتوظيف أسواره في الصراعات التي ميزت المنطقة خلال القرنين التاسع والعاشر ميلاديين، فضلا عن تأكيد المصادر على وفرة اسباب الرفاهية الاقتصادية وهي المياه والأشجار المثمرة، والتي سبق وأن أشرنا غلى علاقتها بالموروث الروماني المتمثل في النقيشة التي تسجل عملية توزيع اقصاط المياه في السقي. هذا فضلا عن إشارة ألبرتيني بان المعاينات الأثرية التي أجريت في الثلاثينات، سمحت بمعاينة ترميمات في

[1361] ابن حوقل، صورة الأرض، ص 93

[1362] النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ص191

[1363] Gsell, recherches archeologiques en Algerie, Paris, 1893, pp 105-106

[1364] Albertini, la forteresse byzantine de Ksar bellezma, BSNAF,1934,pp 156-158

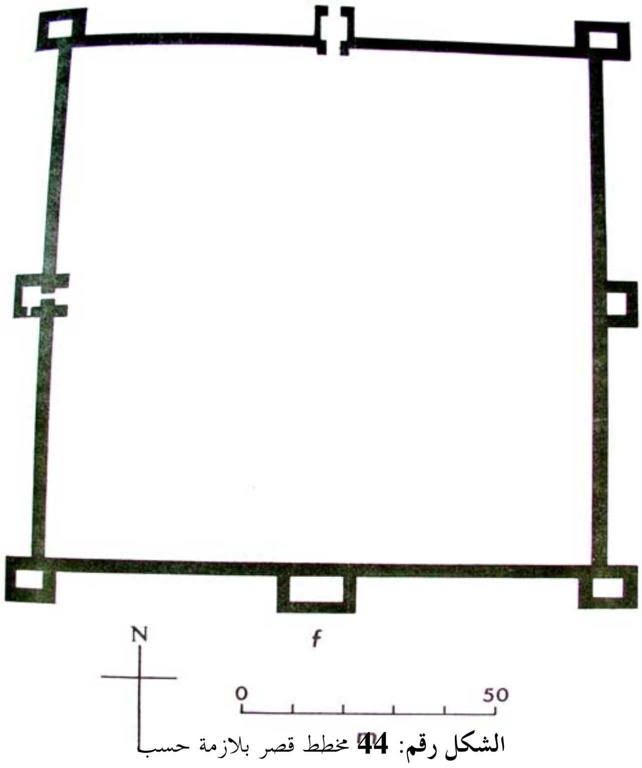
جانب من أسوار القلعة، وتقديمه لفرضية أنها متأخرة وفقا للتقنية المستعملة وكونها عثر فيها على النقيشة البيزنطية كأحد مواد البناء المستعملة.

نظرة تقيمية للموروث:

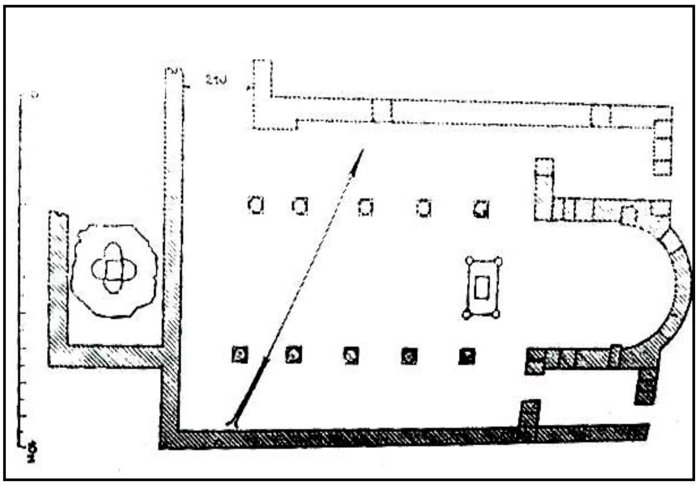
هل يمكن الربط بين رفاهية و ازدهار الموقع من خلال مصادر العصور الوسطى و قائمة لاماسبا الشهيرة، هل يمكن العثور على معالم قنوات المياه أو الفوقارات؟ أم يجب الاكتفاء بتعليق ديل بأن المكان لم يكن يلعب إلا الدور الثانوي في الخريطة البيزنطية؟ وهل عرفت المدينة فعلا أهمية أكبر مع بداية الفتوحات، كامتداد لمنطقة الزاب؟ وهل أصلا لامازبا هي نفسها بلازما؟

يمكن أيضا إثارة إشكالية قراءة مصطلح لميس أو لميش الذي أوردته المصادر العربية و مطابقته بلامازبا ؟ مثلما اقترحت ذلك ديفال[1365]، وهو الأمر الذي يثمن هذه الأهمية التي يكتسيها الموقع، و يجعل وصف المعارك و صلابتها أمرا مقبولا.

[1365] Y.Duval, Lambése chrétienne, la gloire et l'oubli. P.151-163



الشكل رقم: 44 مخطط قصر بلازمة حسب



الشكل رقم : 45 مخطط الكنيسة حسب غاجي Gagé

رقم19	حصن زانة	Diana Veteranorum		A.A.Alg.27.62

الإسم التاريخي للموقع :

مكانته في الخريطة الجغرافية:

يوجد على امتداد الطريق الممتد من لامبيز. على مسافة 40 كلم من ناحية الشمالية الغربية . بين السفوح الشمالية لمرتفعات بلازمة و كل من جبل مستاوة و زانة.

خرائط الطرق الرومانية:

يعتبر الموقع غير بعيد عن مفترق الطرق، القادمة من قصر بلازمة أولامبيز باتجاه طبنة، زرايا أو سطيف فضلا عن قسنطينة من الناحية الشمالية الشرقية.

المصادر المسيحية

تحفظ قائمة المجمع الديني لسنة 411 اسم قس دوناتي، رغم الإشكال القائم حول في تسمية الموقع حول هو زانة النوميدية أم قصر قلال Castellum Dianense الموجود بموريطانيا السطائفية[1366].

المصادر البيزنطية:

يمكن قراءة نص بروكوب في كتابه المنجزات Gaiana[1367] بصيغة Daiana

المصادر العربية:

تظل فرضية قراءة أدنة، أذنة في المصادر الإسلامية قابلة للطرح، رغم أن أغلب الباحثين قد طابقوها بأزبة أو زابي " بشليغة"

البيبلوغرافيا المعاصرة

Ch. Tissot Geographie, II, p.484-485 ; Ch.Diehl, Rapport sur deux missions archéologiques, p. 299-302; Id.,Afr.Byz, p. 182, 253 et fig. 54; St.Gsell et Graillot, Ruines romaines au Nord des monts de Batna. p. 544-546; Id., Les Monuments, II, 367, 388 ; Boisnard, l'inquiete byzance, p. 38;; J. Christofle, Rapport sur les travaux de fouilles et consolidations effectués en 1930-1931-1932 par le service des Monuments Historiques de l'Algerie, Alger,1935, p.179 , 183-184; Id., 1938, 238-241; W.Ragot Le Sahara de la province de Constatine, p.225; P. Romanelli Topografia, p.405; D.pringle, The Deence, p. 256-258 ;N.Duval, la Basilique de Zana(Diana Veteranorum), MEFRA,1977,89,2,p.847-873 ;

المواصفات التقنية للقلعة البيزنطية

شيد الحصن على الجانب الشرقي من الساحة العمومية، و هو بشكل مربع مدعم بأربعة أبراج على الزوايا. نظمت به حفريات في حدود 1881 من طرف برنارد[1368]M.Bernard، ثم ما بين 1950-1953 من طرف غودي Godet الذي نقب على الباب الشمالي الغربي فضلا عن عمليات جس في البرج الشمالي[1369]. حيث أكد أن سمك السور يتراوح بين 1.60 و 1.70م، بينما قدر سمك أسوار الأبراج بين 2,10 و 2,30م و قدرت مقاساته ب 57.50 x49.5

[1366] اعتبر ديفال و ماندوز إلى جانب لانسيل أن هذا القسم يعود إلى الموقع النوميدي

[1367] Procope, De Aedificiis, VI ,7,8.

[1368] M.Christoffle, rapport sur les travaux de fouilles et consolidations effectuees en 1933-36 par le service des monuments historiques de l'Algerie, Alger, 1935,p.179-184 ;1938,p.238-241

[1369]

مما يعطي متوسط =0.29هكتار.و الأبراج x9.40 x8.50-9.60 8.30. كما تجلى من طريقة البناء استعمال المواد العتيقة بما فيها النقائش الوثنية.

و على مسافة 100م تم تحويل قوس النصر بإضافة أسوار على الجانبين، ليشكل حصنا ثانيا، حيث تم غلق واجهتي قوس النصر، و تقليص اتساع المدخل الأساسي[1370]. للحصول على شكل شبه مربع 20/24م

واعتبره ديل يعود إلى القرن السابع، مشبها إياه بحصن حيدرة الأمامي الذي يحتضن بدوره قوس النصر، أو حصن مكثر[1371]، بينما اقترح برينغل ارتباطه بسلسلة التحصينات الجستنيانية اعتمادا على قراءة في نص بروكوب لكلمة Gaiana[1372].الموجودة بنوميديا

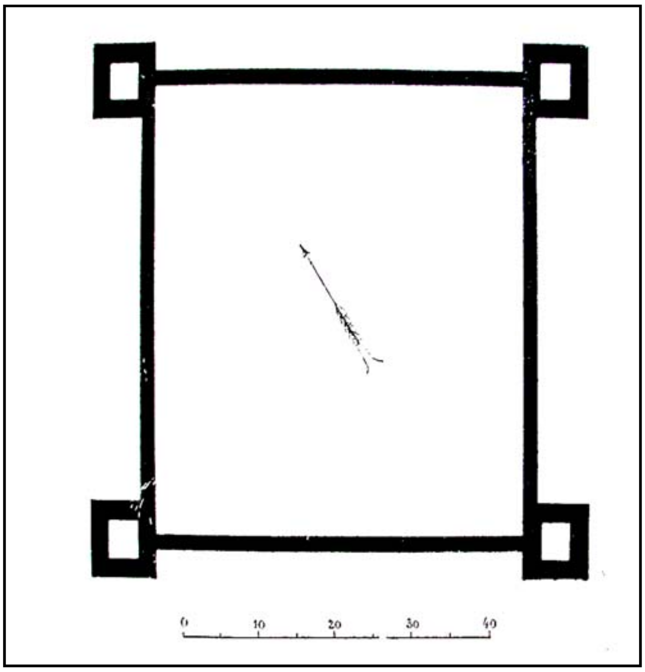
تطور وضعية الموقع أو المدينة في الفترة ما بين القرن الخامس والسابع

إلى أي حد يمكن الحديث عن مطابقة الموقع الذي تحدثت عنه المثادر العربية مع ما نعرفه عن موقع ديانا Diana Veteranorum؟ فالتقارير الأثرية تحدثت عن قلعة و حصن بيزنطيين على شاكلة موقع حيدرة، فضلا عن الكنيسة التي شيدت فوق الساحة العمومية واستمرت إلى نهاية القرن السادس[1373].مما يجعلنا نتصور درجة التحول التي عرفتها المساحة العمرانية، و استمراريتها من خلال هذين القطبين الرئيسين للمدينة الانتقالية و المتمثلين في القلعة و الكنيسة.



الشكل رقم: 46أ –بقايا الحصن البيزطي الذي شيد بمقربة من قوس النصر

1370 Ch.Diehl, Afr .Byz.p182
1371 Ch.Diehl, Arch.Miss.p.299-302
1372 D.Pringle, The Defense of Byzantine Africa,p.256-258
1373 N.Duval, la Basilique de Zana (Diana Veteranorum), MEFRA,1977,89,2,p.847-873 ;



الشكل رقم: 46ب– مخطط القلعة البيزنطية





الشكل رقم:47 جانب من العمارة البيزنطي





الشكل رقم: 48 البازيليكا المسيحية

رقم:20	سريانة	Lamiggiga		A.A.Alg.27.73

الإسم التاريخي للموقع :

مكانته في الخريطة الجغرافية:

رغم ما تطرحه هذه التسمية من صعوبات ، باعتبارها تكررت في المصادر في مواقع كثيرة، فقد اقترح موقع سريانة ، الموجود شمال غرب باتنة، على الطريق الممتدة بين تيمقاد وزانة.

المصادر المسيحية

ورد ذكر هذا الموقع في مجمع قرطاج 411، مثل قائمة 484، كما أشارت أحد مراسلات القديس جرجوار الكبير، إلى شخصية أرجنتيوس اللاميجي[1374] Argentius Lamigiggensis

النقائش:

تم العثور على نقيشة جنائزية، يفترض أنها تعود إلى القرن السادس، والتي تذكر أيضا شخصية أرجنتيوس[1375] . « Dignis digna Patri Argentio coronam Benenatus tessellavit » ، رغم أن مونصوا Monceaux قد اعتبرها تتحدث عن القس الدوناتي أرجنتيوس الذي مثل المدينة في مجمع 411[1376]

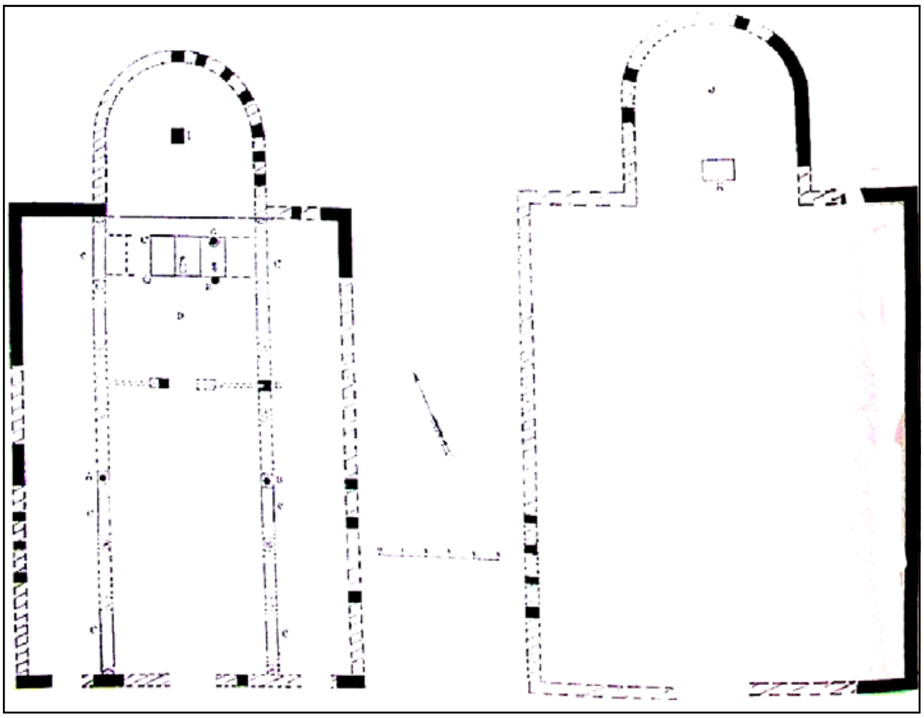
البيبلوغرافيا المعاصرة

J.Mesnage, Eveches, p. 349 ; L.Domergue, Seriana- rapport fait à la sociéte archeologique (Avec planche), 27, 1892, p.154 ; Moliner-Violle, Seriana (Lemiggi), 30, 1895-1896, p.101-102 ; S. Gsell, et H. Graillot, MEFR, 14 ,1894, p.5 12-515 ; J . L.Maier, Episcopat, p. 158 ; A. Mandouze, Prosopographie, 1269 ; S. Lancel, Actes,IV, p. 1402-1403 ;Y. Duval, Grégoire et l'église d'Afrique, dans Gregorio Magnio e il suo tempo(Colloque,Rome,1990), Rome, 1991, p.129-158.

تطور وضعية الموقع أوالمدينة في الفترة ما بين القرن الخامس والسابع

لعل ما يلفت الانتباه إلى هذه المدينة هو إشارة القديس جريجوار الكبير إلى حالة الصراع التي كانت تعاني منها الكنيسة الكاثوليكية، حيث بلغت حدة الرشوة إلى تنصيب قساوسة دوناتيين على رأسها، و هو ما جعل القديس جرجوار يتدخل مطالبا بتطبيق القوانين و محاكمة المتسببين في ذلك[1377].

[1374] Grégoire le Grand, Epist.1,82(aout 591), p.212
[1375] Gsell, Monuments ,II,p 255 ; Id., exploration archéologique dans le département de constantine,MEFR,1894, p512, Lancel, actes, p 1403
[1376] P.Monceaux, Enquete sur l'epigraphie chrétienne, IV, Martyrs et reliques, Mem.Acad.des inscript.,12,1908, p.308-309
[1377] J.R.C.Martyn, The Letters of Gregory the Great,I, p. 212



الشكل رقم:49 مخططي الكنيستين حسب غزيل و غرولي

رقم 21	المعذر	Casae		A .A.Alg.27.141

الإسم التاريخي للموقع :

مكانته في الخريطة الجغرافية:

يوجد شمال مدينة باتنة الحالية، وفي الواقع وجدت هذه التسمية في أكثر من موقع، مما جعل الإسقاطات التاريخية كثيرة[1378] . ويفترض أنه على الطريق الممتد من لامبيز باتجاه الشمال

النقائش:

وجدت به نقيشة[1379] ،مثبتة في مدخل الحصن فوق الباب. تم تأريخها في حدود القرن السادس، بفضل نوعية الصليب الموجود عليها، ويذكر نصها شخصية أرجنتيوس باعتباره مشيد هذا الحصن. ورغم قراءة أودولون[1380] Audollent قد اقترح غزيل ومن بعده برينغل مطابقة هذه الشخصية بالقس أرجنتويس الذي تحدثت عنه مراسلات القديس جريجوار الكبير[1381]، في حدود سنة 591، كممثل لكنيسة Lamiggiga لاميجيقا، والتي طابقها لونسيل مع مدينة سريانة[1382].

البيبلوغرافيا المعاصرة

A.Audollent, Mission épigraphoique en Algerie de MM. Aug.Audollent et J.Letaille, octobre 1889 à Fevrier 1890, MEFR, 10, 1890, p.562-563 ; P.Blanchet, Note sur le castellum byzantin de Tolga et le fortin d'el Madher, BACTH, 1898,p. 332-333, ch.Diehl Archi.Miss. p.297-298 ; Ibid, Afr.Byz.,p.295 ; Gsell, Les Monuments,II,p.388 ; Gsell et Graillot, ruines romaines au nord de l'Aures (suite), MEFR, 1894,p.75 , 512 ; P.Monceaux, Enquete sur l'epigraphie chrétienne, IV, Martyrs et reliques, Mem.Acad.des inscript.,12,1908, p.308-309 ; J-L.Maier, Episcopat p. 257 ; D.Pringle, The defence.,p.291 ; S. Lancel, Actes, p1402

المواصفات التقنية للعمارة البيزنطية

عبارة عن حصن صغير، يقدر ب 11م/9.40م، بأسوار يصل سمكها إلى 1.40م، شيدت بنفس الطريقة ذات الوجهين. بأربعة أبراج على الزوايا (3م/3.60م) . وقد لوحظت الباب في

[1378] أنظر بشأن تعدد هذه التسميات قوائم المجمع الديني بقرطاج، أو قائمة 484 في الفهرس الملحق بالتحقيق الذي قام به لونسيل لقوائم المجمع الديني بقرطاج: Lancel, actes, p.

[1379] CIL 08, 04353 (p 956) = CIL 08, 18539 = ILCV +01228
Argentius / diacon(us) // SECECIS / vivas // fec(it?) [

[1380] A.Audollent, Mission épigraphoique en Algerie de MM. Aug.Audollent et J.Letaille, octobre 1889à Fevrier 1890, MEFR, 10, 1890,p.562-

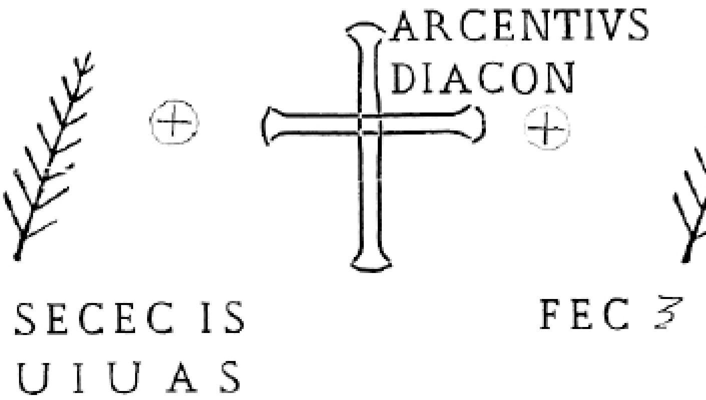
[1381] Grégoire le grand, I,82= CCL 140, p89,1,2-3 cf Monceaux, CRAI, 1908,p 308-309.

[1382]. و هي عبارة عن نقيشة جنائزية مسيحية على الفسيفساء : CIL VIII, 1774
Lancel, actes, p. 1402-1403. (A.A.Alg.27.73)

وسط السور الشرقي، تميزت باحتوائها على نقيشة، اعتبرت بيزنطية من خلال شكل الصليب الذي وجد في مقدمتها.

تطور وضعية الموقع أوالمدينة في الفترة ما بين القرن الخامس والسابع

من الواضح أن هذا الموقع هومجرد حصن صغير، لكنه يكتسي أهمية أخرى من خلال تسجيل هذا الفعل العمراني من طرف القس أرجنتيوس. واذا انطبقنا من فرضية أن هذه الشخصية تنتمي لمدينة أخرى، فاننا نجد أنفسنا مع شكل من أشكال تسيير المدن الصغيرة



الشكل رقم: 49 مكرر نقيشة أرجنتيوس حسب قراءة أودولون التي أعطت أركنتيوس

A.A.Alg,27,255		Thamvghadi	تيمقاد	رقم:22

الإسم التاريخي للموقع :

مكانته في الخريطة الجغرافية:

تحتل مكانتها في الخريطة الرومانية منذ تأسيسها في حدود القرن الأول، باعتبارها معبرا ضروريا للطريق القادمة من تبسة، وأيضا لأهميتها في مراقبة منطقة الأوراس. حيث تربطها طرق بمنطقة ماسكولا (خنشلة) ، بغاي وتبسة من الناحية الشرقية، ومن الناحية الغربية كل من لامبيز وطبنة، أما من الناحية الشمالية فقسنطينة ولقد ظلت المدينة تستمد خيراقما من السهول المحيطة بها. وإذا كانت القلعة تتميز بكونها قد شيدت على أطراف المدينة، أي حوالي 600 م جنوب الساحة العمومية، فخصوصيتها تكمن في اختيار مكان مصدر مائي مهم، حيث ظلت معالم حمامات ربما تعود إلى القرن الثالث ميلادي، لكن يبدوأنه أعيد توظيفها في الفترة البيزنطية.

خرائط الطرق الرومانية:

وردت في أغلب الخرائط والمسالك الرومانية

المصادر الأدبية والنقائش:

تعتبر مدينة نموذجية من حيث توفر المادة الخبرية والأثرية اللتان تسمحان بتتبع تطورها، رغم أنها تصبح شحيحة مع نهاية القرن الخامس، ومع ذلك فلدينا العديد من النصوص حول بعض المنشآت المسيحية

المصادر البيزنطية:

حسب بروكوب، كانت المدينة مهجورة من سكانها من طرف المور، الذين يتزعمهم يابداس، وذلك خلال الفترة الوندالية، كما حطمت أسوارها خشية استغلالها من طرف الوندال ... وأيضا أشار إلى المدينة في كتابه المنجزات، حيث اعتبر أن تحصينها وإعادة الحياة لها كان في زمن جستنيان. في حوزتنا نصوص أخرى حول الصراع البيزنطي الموري في الأوراس، حيث يؤكد بروكوب مرة أخرى أن سولومون نفسه قد ،،،،،،،،،،،

المصادر العربية:

لم تتعرض المصادر العربية لهذا الموقع رغم الأهمية التي اكتستها بغاي و زانة في هذه الأدبيات، مما يجعلنا نتساءل هل حقا افتقدت مكانتها المعهودة في استراتيجية الطريق الجنوبي، رغم أننا نعرف بفضل النصوص الأثرية أن حركية البناء كانت موجودة إلى عاية منتصف القرن السابع.

النصوص الأثرية البيزنطية:

اكتشفت ثلاثة نصوص بيزنطية، متشابهة في شكلها، يبدوأنها كانت مثبة على الأبواب، مما يفترض امكانية اكتشاف واحدة أحرى، ، حيث تشير إلى مسؤولية سولومون في تشييد المدينة خلال السنة الثالثة عشر من حكم جستنيان، مما جعل برينغل يقترح مثلا تاريخ (1أفريل 539–أو540)، ويجب الإشارة إلى أن نصوص تيمقاد هي الوحيدة التي أمكن تأريخها بدقة، مما يعطيها أهمية أكبر.

وقد تم العثور على نقيشة بيزنطية أخرى خارج القلعة، في الجهة الجنوبية للمدينة الرومانية، تتحدث عن عملية ترميم أشرف عليها الدوق يوحنا دوق تيجيسيس وذلك في فترة حكم كونستانس الثاني Constance II، وهوما يناسب أيضا بطريقية جريجوار(642–647)

وتعتبر قلعة تيمقاد من المواقع القليلة التي استفادت من حفريات متتالية ، وأيضا بهدف محاولة فهم هيكلتها وليس فقط في سياق المدينة الرومانية، توجت بدراسة لاسوس. إلا أنها ظلت تطرح العديد من الصعوبات في فهم وظيفية هياكلها

المواصفات التقنية للقلعة البيزنطية

تتميز القلعة بالشكل المستطيل طول أضلاعه 67.50 x 111.25م، بسمك يقدر بين 2.4 و2.7م، مدعم بأربعة أبراج على الزوايا وأربعة أخرى على الأضلاع، مما يجعل المساحة الداخلية تقدر بحوالي 0.70هكتار موزعة كالتالي:

- في القسم الشرقي: تتوالى العديد من الغرف، مصففة، وموالية السور الشرقي، تقدر مساحتها بمتوسط 2.60/4.40م، وتتوسطها طرقات صغيرة
- في القسم الغربي: يتجلى مزيج من البناءات البيزنطية وما سبقها، مثل الحمامات المبنية بالآجر، وما اعتبره لاسوس بأنه مركز القيادة العامة، إلى جانب الكنيسة ، فضلا عن عدد من المباني بالحجارة الضخمة والتي أحيانا تتقاطع معها. ومهما تطرح عمليات التنقيب التي جرت في الموقع من صعوبات من المنظور العلمي[1383]، فانها سمحت على الأقل في هذا الجانب من الكشف على إعادة توظيف العديد من الهياكل القديمة مثل أكوا سابتيميانا Aqua septimiana والمعبد الذي يرتبط بها.

وقد أثيرت العديد من الإشكاليات التاريخية حول طبيعة الغرف المتوازية، لاسيما وأن التقارير الثرية تتحدث عن امكانية وجود طابقين، فبينما بقى لآسوس مترددا، اقترح برينغل امكانية استعمالها كاسطبلات للخيول، إلا أن فيفري اعتبر ذلك مجرد خيال وتصور نظري.

[1383]أنظر تعليق فيفري على هذه الحفريات في مقاله :
Approches récentes de l'Afrique Byzantine, p 28-30

نفس الأمر طرح لما سمي بمكركز القيادة، حيث اعتبر فيفري ، على أساس أطروحة لاسوس أن البناية يفترض أنها غير مكتملة مما يطرح أسئلة حول طبيعة استغلالها، أوالتخلي عنها؟

البيبلوغرافيا المعاصرة

A.Ballu, les ruines de Timgad (Antique Thamugadi), Paris,1897, 236-238; fig. 40; Ibid.,Guide de Timgad (Antique Thamugadi), 1897, p.68-69; Ibid., Timgad, BCTH,1910,231-301; Boisnard, l'inquiéte Byzance africaine, Bull. Soc. Géog. Alg.,1935, p.38; G.Boissier, l'Afrique romaine, Promenades archéologiques en Algérie et en Tunisie,Paris, 1901, pp.178; 208-209; R.Cagnat, Carthage, Timgad, Tebessa et les villes antiques de l'Afrique sous les Empereurs, 2Vol.Paris, 1909, p.139; pl. p. 128; C.Courtois, Timgad, Antique Thamugadi, Alger, 1951, p.60-67; ch.Diehl, Rapport sur deux missions archéologiques 1893, p.310-316; pl.II-IV; plans. VII-IX; Ibid.Afr. Byz., p. 201-205; 243; fig. 37- 40; 23) ; Ibid., Justinien,fig.88; Gsell, Monuments, II,p. 370- 373; fig. 162; pl. XCVIII ; J. Lassus,Thamugadi, Timgad, Fouilles et découvertes, FA1, p. 417-418, pl. 70-04-VLII ; Algerie, Constantine, 1960; Ibid., La forteresse byzantine de Thamugadi, Actes du XIVe Congrès internationale des Etudes byzantines. Bucarest 6-12 septembre, 1971, 2 Bucharest 1975, 463-474 ; Leglay 1954a, 162; D Leglay 1954b; Leglay 1955, 195; Leschi 1940, 147; Leschi, L' archéologie algérienne en 1942, Rev, afr., 87,1943, 145-148. Ibid., Découvertes récentes a Timgad: Aqua Septimana Felix, CRAI,1947,p. 87-99 ; Ibid.,Rapport d' enquete sur les travaux archéologiques réalises en Algérie pendant la guerre depuis 1942 , BACTH 1946-49, 131-136 ; Ibid.,Rapport sur 1' activité archéologique en Algérie au cours des dernières années' , BACTH 1950, p.37-45 ; E. Masqueray, Rapport à M. le Général Chanzy, Gouverneur Général de 1' Algérie, sur la mission dans le sud de la province de Constantine. Tarngad, Rev. Afr., 20 1876, pp.164-172; 257-266; 352-366; 456-469 ; A.Poulle, Nouvelles inscriptions de Thimgad, de Lambèse et de Marcouna RSAC., 22, 1882, 331-406 ; W.Ragot, Le Sahara de la province de Constantine , Rec. Const., 16,1873-74, p.91-299. ; P.Romanelli, Thamugadi ,p.793-798; fig. 914-915 ; Ibid., Topografia e Archeologia dell' Africa romana (Enci¬clopedia Classica, sect. 3, vol. 10, 7: Turin 1970, p.404; 406; pl. 1, 37, 356b ; C.Tissot, Géographie comparée de la province romaine d' Afrique, ed. S. Reinach, 3 vols. Paris 1884-1888, 489-490; von Petrikovits 1976, 68-70; fig. P.A. Février, économiques et à la fin de l' antiquité, CCARB, 17, 1970, pp de conditions d'en Afrique d'artistique de sociales de la création. 161-189, 2 ; Ibid., art de l' antiquité d'Algerie, Paris, 1971, pl. XCIII ; Ibid. Travaux et en Algérie, cristiana de de Arqueologia d'internacional de congreso d'Actas del VII, Barcelone 5-11 Octobre, 1969= Studi di Antichita Cristiana, 30, Vatican-Barcelone, 1972, pp de découvertes. 299-324, 16 ; pl.. 16; pl. CXXVIIIbid, Approches, récentes de l'Afr.byz. p31 ; Y..Duval, Lambese Chrétienne la Gloire et l'oubli ; col , etudes Augustiennes, 144, Paris, p99-100 ; P.Morizot, Timgad et son territoire, dans l'Afrique, La Gaule, la Religion à l'époque romaine, Mélanges Leglay, dir.Y.LeBohec, Latomus,Bruxelles,1994,pp 226-244

تطور وضعية الموقع أوالمدينة في الفترة ما بين القرن الخامس والسابع

تظل القلعة البيزنطية لمدينة تيمقاد أحد النماذج المهمة في دراسة التموضع العسكري البيزنطي، نظرا لبقاء معالمها قائمة لحد الآن، ولاستفادتها من العديد من الدراسات، فهي تمثل نموذج القلاع المبنية على هامش المدينة، وبالتالي يفترض أنها كانت تأوي فقط رجال الجيش، رغم أن الدراسة الإحصائية للمساحة المتوفرة قد لا تسمح إلا لعدد محدود من الجند، وبالتالي قدمت فرضية استقرار وحدات الجيش العادي خارج القلعة ايضا.

سمح موقعها بالنسبة للمدينة القديمة بتقديم فرضية استمرار الحياة الحضرية التقليدية، رغم ما تميزت به مواد البناء المستعملة في أسوار القلعة من إعادوتوظيف مواد العهود السابقة. ولعل

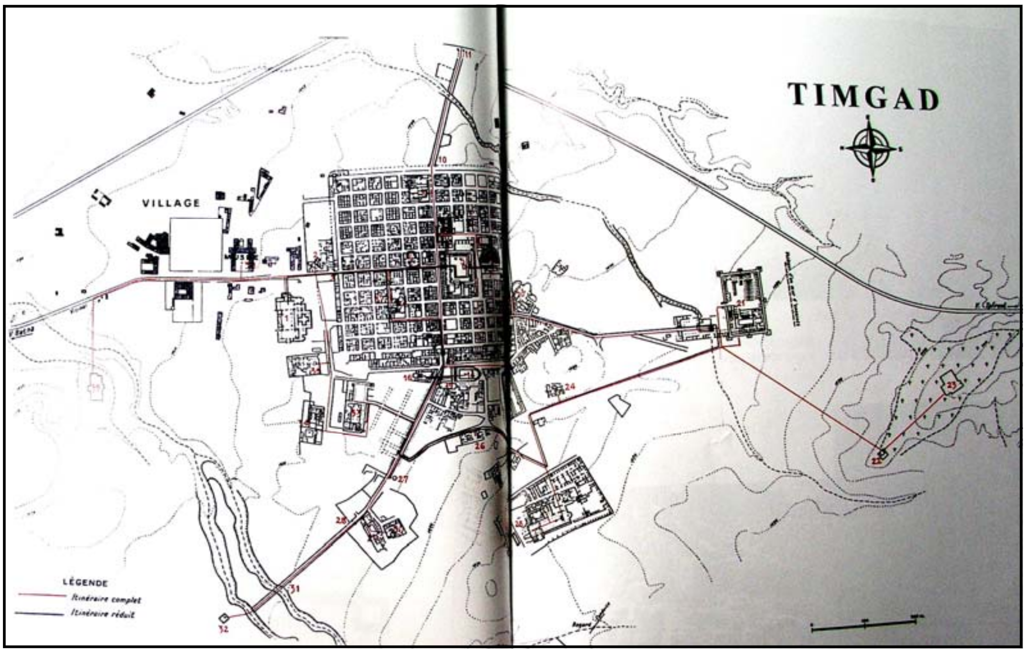
ما أضاف إلى أهمية المدينة هواكتشاف النقيشة المتعلقة بدور حاكم تيقيسيس يوحنا Jeanفي عملية بناء كنيسة بتيمقاد، باعتباره من ملاكي منطقة مدينة تيمقاد.

نظرة تقيمية للموروث:

تذكر التقارير الأثرية أن أحد النصوص البيزنطية الثلاث المشهورة ، قد اكتشف في الواقع في الجهة الشرقية، في جهة يبدوأنه أعيد ترميمها في فترات متأخرة عن القرن السادس، مما يفترض استمرار أعمال الصيانة والاستقرار بهذه القلعة[1384]. إلا أن إحجام المصادر الاسلامية عن الإشارة للمدينة في مرحلة الفتوحات يفترض أنها لم تحافظ على نفس مكانتها بعد الفتوحات.[1385]دون الذهاب إلى فكرة انقراض الحياة الحضرية بها.



الشكل رقم: 50 منظر عام للقلعة البيزنطية



الشكل رقم: 51 مخطط المدينة الأثرية بتموضع القلعة على أطرافها

[1384] P.A.Fevrier, Approches, récentes de l'Afr.byz. p31

[1385] P.Morizot, Timgad et son territoire, dans l'Afrique, La Gaule, la Religion à l'époque romaine,Mélanges Leglay, dir ;Y.LeBohec,Latomus,Bruxelles,1994,pp 226-244





الشكل رقم: 52 السورالشرقي للقلعة البيزنطية

الشكل رقم: 53 الواجهة الشمالية الغربية للقلعة البيزنطية





الشكل رقم: 54 الهياكل الداخلية للقلعة



(أ)BCTH,1941-1942, (1944)



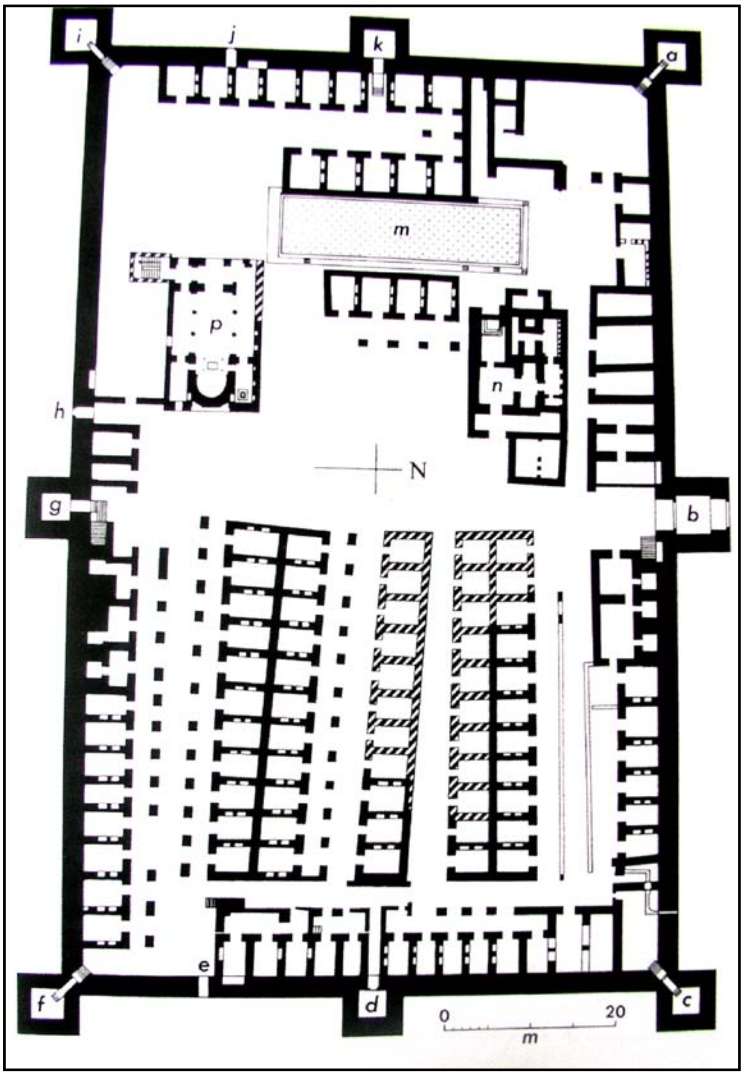
AE 1941, 00049b (ب)



بال

(ج)AE 1941, 00049 = AE 1953, 00264 A.Ep.1911,n°118

الشكل رقم: 55(أ–ب–ج) النصوص الأثرية البيزنطية المكتشفة



الشكل رقم: 56 مخطط القلعة البيزنطية حسب لاسوس

رقم:**23**	لامبيز	Lambaesis		A.A.Alg,27,222-224

الإسم التاريخي للموقع :

مكانته في الخريطة الجغرافية:

تستمد شهرتها من كونها أصبحت عاصمة لنوميديا، ثم بعد إصلاحات دقلديانوس عاصمة نوميديا العسكرية ، لتفقد هذه المكانة في عهد الامبراطور قسطنطين حيث تسترجع قسنطينة (سيرتا) مكتنتها، كما تستمد شهرتها من احتضانها لوحدات الفيلق الثالث

مكانته من طرق المواصلات:

المصادر الأدبية والنقائش:

تغيب عن مصادر الفترات المتأخرة من التاريخ القديم، رغم شهرتها باحتضان جلسة محاكمة القس السيرتي سيلفانوس في 13ديسمبر 320[1386].

المصادر المسيحية

رغم أهميتها العسكرية منذ تأسيسها واعتمادها كعاصمة للفيلق الثالث، تتميز هذه المدينة بغيابها عن المجامع الدينية، واندثار معالمها المسيحية في هذه الفترة المتأخرة من التاريخ القديم، بل حتى في المصادر المسيحية التي سجلت صراعات الدوناتية[1387]. ويعتبر لانسيل أن الأبرشية بهذه المدينة أصبحت غير موجودة بعد القرن الثالث[1388].

المصادر البيزنطية:

تغيب كلية من المصادر الأدبية البيزنطية، فرغم اعتناء بروكوب بإعطاء صورة عن الأوراس في مرحلة الصراع مع البيزنطين، إلا أنه لم يذكر المدينة نهائيا، ونفس الأمر بالنسبة لبقية المصادر

المصادر العربية:

ظلت تطرح إشكالية مطابقة موقع لاميس في المصادر الإسلامية مع مدينة لامبيز أصلا، العديد من ردود الأفعال، بين مؤيد ورافض لها، رغم الاجماع على كون المعارك قد دارت بمقربة من الأوراس. فقد أوردها النويري تحت رسم "لميش"مباشرة بعد بغاي[1389]، و قد تجلى في نص ابن شباط هذا التردد في المطابقة حيث أورد أنه عثر في المخطوطات على

[1386] Y.Duval, Lambese Chrétienne la Gloire et l'oubli ; col , etudes Augustiennes, 144, Paris, p99-100 ; Mesnage, p 319

[1387] أنظرY.Duval, Lambese .

[1388] Lancel, Actes de la conference de 411, I, ,p. 287-289

[1389] النويري،نهاية الأرب في فنون الأدب، ص 191 وردت في هذه الطبعة باسم "بليش"

الصيغتين: مامس و لميس[1390]. مثل إشارة ابن خلدون. كما اعتبرها الواقدي بمثابة قصر، و بلدة حصينة على بعد يوم ونصف غرب قسنطينة[1391]

النصوص الأثرية البيزنطية:

لم يعثر على أي نص بيزنطي، يسجل عملية انجاز عسكري

المواصفات التقنية للقلعة البيزنطية

رغم مبالغة ديل في اعتباره من النقاط الهامة التي تراقب المعابر الجنوبية[1392]، فحصن لامبيز يعتبر من القلاع الصغيرة نسبيا، فهوفي شكل مربع طول ضلعه 55م، مدعم بأربعة أبراج على الزوايا، وبرج خامس في منتصف السور....، والذي يفترض أن يحاذي مدخل القلعة، مما يعطينا مساحة حوالي 0.75م^2 ، وهوبذلك يضاهي قلعة زانة، ويمثل نصف قلعة تيمقاد

الببيلوغرافيا المعاصرة

W.Ragot Le Sahara de la province de Constantine, p.191- 192; Tissot Géographie comparée de la province romaine d’Afrique, p.500 ;Ch. Diehl, Rapport sur deux missions archéologiques p. 297; Id., Afr. Byz. p. 224-245; Janon, Recherches à Lambése, Iet II,Ant. Afr.7, 1973, 220-221; Id., Lambése capitale militaire de l’Afrique romaine,ed. de la nerth, 2005; Marcillet-Jaubert 1976, 478-479; Y.Duval, Lambése chrétienne, la gloire et l’oubli. De la Numidie romaine à l’ifriqiya, Paris, I.E.A.1995.

تطور وضعية الموقع أوالمدينة في الفترة ما بين القرن الخامس والسابع

رغم ارتباط العديد من النصوص التاريخية، بفكرة لامبيز العسكرية، والتي احتظنت الفيلق الثالث، فيبدوأن هذه المدينة قد فقدت أهميتها، و لم يصبح لها نفس الوهج الاستراتيجي، فلم تذكر في المصادر الأدبية، و لم يتم العثور على نصوص أثرية تعود لهذا العهد. وبالتالي فغيابها من المشروع الدفاعي الجستنياني قد يسمح بطرح بعض التساؤلات[1393]، هل أصبحت ضمن الخريطة المورية؟ أم أنها غابت عن استراتيجية الطريق وعوضتها مسالك أخرى؟ ألا يمكن أن نقرأ عودة قيمتها بالنسبة للمصادر الاسلامية في ضوء منطق الكيان الموري لمملكة الأوراس؟ وبالتالي كونها دخلت في دائرة هذه المملكة منذ عهد ماستياس أوقبل ذلك قد يفسى غياب هذه الشواهد المسيحية التي تعودنا عليها في بقية المواقع.

وإذا كانت مطابقة لامبيز بلميس أو لميش التي أوردتها المصادر العربية، موضوع جدل منذ ترجمة نص ابن خلدون من طرف دوسلان، فقد شكلت فرضية إيفات ديفال، محاولة للتوفيق بين حجم الموروث المادي، للتحسينات البيزنطية و خريطة المعارك الاسلامية، فقد

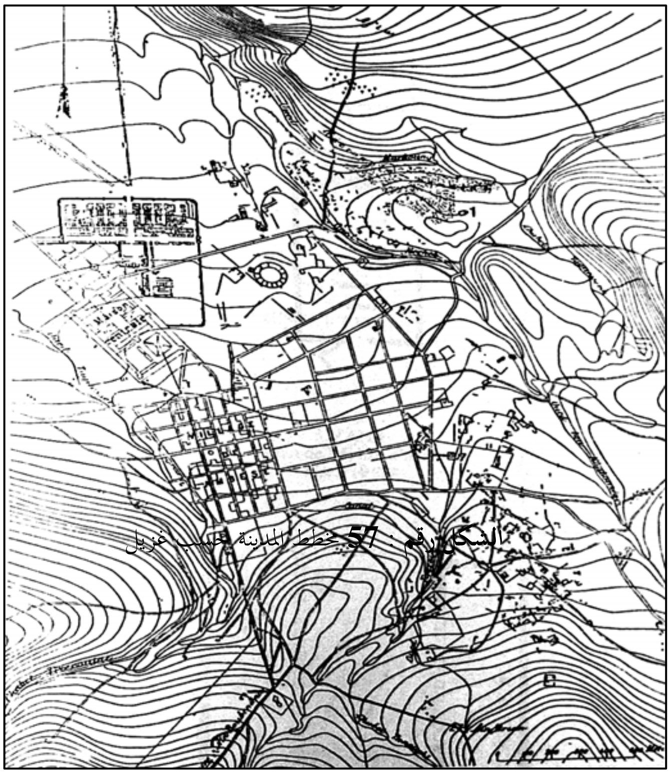
[1390] ابن خلدون، كتاب العبر، ص 109

[1391] محمد الواقدي، فتوح إفريقية، ج1،ص 136-137

[1392] Ch.Diehl, Afr ;Byz.244-245

[1393] اعتبر جانون في كتابه الأخير أن التفسير المعقول لغياب لامبيز و فقدانها مكانتها المعروفة، يمكن البحث عنه في تمسكها بوثنيتها في فترة أصبحت المسيحية و الكنيسة تهيمن على كامل المجتمع، ص 70

اقترحت هذه الباحثة في دراستها لمراحل حياة هذه المدينة، أنه يجب البحث عن موقع المعركة التي تحدثت عنها المصادر العربية في موقع بلزمة، أو لآماسبا[1394] Lamasba .و هو في اعتقادي أكثر موضوعية.


الشكل رقم : 57 مخطط المدينة حسب غزيل

[1394] Y.Duval, Lambése chrétienne, la gloire et l'oubli. P.151-163

رقم 24	برج القصور	Bordj el Ksour		A.A.Alg.27.116

الإسم التاريخي للموقع :

مكانته في الخريطة الجغرافية:

يوجد بين مرتفعات بلازمة والأوراس، على طول الطريق الرابط بين تيمقاد لامبيز وطبنة، وقد اعتبرته معاينات القرن التاسع عشر كحصن بيزنطي، رغم أننا نفتقد إلى معطيات دقيقة. لأن السند الوحيد في ذلك هوالقراءة الاجتهادية للنقيشة المهشمة CIL VIII, 02525

النقائش البيزنطية:

تم العثور على جزء من نقيشة بيزنطية ، تشير إلى الإمبراطور موريس Maurice [1395]

[I]mp(erator) [c]ris(tianissimus) Ma[uricius // por]tas(?) [

البيبلوغرافيا المعاصرة

Ch.Diehl, Afr.Byz.,p. 245 ;J.Durliat, la Lettre L, n° X, p.166; D.Pringle, The Defence,p.279-280

تطور وضعية الموقع أوالمدينة في الفترة ما بين القرن الخامس والسابع

رغم اكتشاف هذه النقيشة التي تعود إلى زمن الامبراطور موريس، فالمكانة الاستراتيجية للموقع تجعله يندرج ضمن الطريق الجنوبي منذ القرن السادس

1395 CIL 08, 02524]lividen[//]quid duc[ )
CIL 08, 02525 (p 953)
[I]mp(erator) [c]ris(tianissimus) Ma[uricius // por]tas(?) [

رقم 25	هنشير قساس			A.A.Alg.27.293

الإسم التاريخي للموقع : لم تتمكن الدراسات بربط هذه الموقع بأية تسمسة تاريخية، رغم فرضية موقع Ad Lali الواردة في ألواح بوتينجر[1396]

مكانته في الخريطة الجغرافية:

توجد شمال الأوراس في نفس وضعية بغاي، حيث يسمح لها موقعها خلف تيمقاد بمراقبة معبر منخفض وادي الشمرة، و طريق فم قسنطينة. وإذا مانت أهميتها تبرز في مراقبة هذا المعبر االجنوبي، فقد أقر غزيل أنها لم تكن ذات أهمية كبيرة خلال الفترة الرومانية، قياسا بحج مواد البناء الرومانية المكتشفة بالموقع

النقائش البيزنطية:

لم يتم العثور على نصوص أثرية

المصادر العربية:

انفرد البكري بذكرها باسم مدينة قساس و اعتبرها على امتداد الطريق القادم من بغاين مثل ارتباطها بضريح مدغاسن: "مدينة قديمة على نهر و في غربيها جبل شامخ، و منها إلى قبر مادغوس وهو قبر مثل الجبل الضخم مبني بأجر رقيق قد خرق وبني طيقانا صغارا وعقد بالرصاص وصورت فيه صور الحيوان من الأناسي و غيرهم و هو مدرج النواحي و في أعلاه شجرة نابتة وقد أجمع على هدمه من سلف فلم يقدر على ذلك .."[1397]

البيبلوغرافيا المعاصرة

Ch.Tissot, Géographie, II, p. 511- 512 ; St. Gsell et H. Grailot, Ruines romaines au nord de l'Aures, MEFR, XIII, 1893, p. 473- 474 ; XIV, 1894, p. 51- 56, fig. 14 ; St. Gsell, Les Monuments, II, p. 205 N° 58,59 ; 359-360 ; Ch.Diehl, Arch.Miss., p.316-317 ; Id., Afr. Byz., p. 244, fig. 51 ; L. Leschi, ,la basilique chrétienne en Algérie, Atti del VI Congr.int. di archologia cristiana, 1938, I, Rome, 1940, p. 147 ; Id., l'archéologie algérienne en 1939, Rev.Afr.84,1940,p.147 ; P .A.Fevrier, Travaux et découvertes en, Algérie, dans Actas del VIII Congreso internacional de arqueologia cristiana, Barceleona 1969,1972, p.314-316, fig.17-25 ; D.Pringle, The Defence,p.296 ; W.H.C.Frend, The end of byzantine north Africa : some evidence of transitions,da,s IIe Colloque international de l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du Nord-Bull.Arch.N.S.(Afrique du Nord), 19, 1983,[1985], p.387-397 ; N.Duval, Une nouvelle basilique à »double-chœur » ? à Henchir Guessès, au nord de Timgad, MEFR, 1985, 97,II, p.1063-1078 ; I.Gui, N.Duval et J.P.Callet, Basiliques chrétiennes d'Afrique du Nord, p.250-254

المواصفات التقنية للعمارة البيزنطية

تميز الموقع باكتشاف قلعة كبيرة لازال الجدل قائما حول تأريخها، فقد اعتبرت في كتابات القرن التاسع عشر بيزنطينية وهو ما لم يشكك فيه أي من الباحثين مثل لاسو Lassus فيفري Fevrier وديفال Duval، باعتبارهم تعرضوا للموقع. و هي تتقارب في شكلها الخارجي مع قلعة بغاي. ويبدو أن

[1396] Ch.Tissot, Géographie, II,p. 511

[1397] أبو عبيد البكري، المسالك و الممالك، ص 50

حفريات قد جرت في الثلاثينات تحت إشراف السيدة ألكيي Alquier [1398] ، إلا أن أرشيفها لم يعرف الضوء بسبب سرقة أو حريق بمنزلها[1399]. و مع ذلك فقد اعتبر غزيل منذ نهاية القرن التاسع عشر أن طريقة البناء المتمثلة في استعمال الحجارة غير الموضبة و عدم اكتشاف معالم عمرانية رومانية، يجعلان الموقع ذو أهمية محدودة قبل فترة الاحتلال البيزنطي[1400]. بينما شكك برينغل أصلا في فكرة الأصل البيزنطي لهذا المعلم، حسث اعتبره يعود إلى القرن الرابع أو الخامس[1401]. و القلعة هي عبارة عن مضلع غير متساوي الأضلاع قدر طولها بحوالي 450م و عرضها ب 360 ، بمساحة تقدر بحوالي 11.5 ه. بينما قدر سمك الأسوار ب 2.10م. وقد اختلفت التقارير في عدد الأبراج حيث أعطى مخطط غزيل الذي اعتمده ديل وعدد من الباحثين بعدهما حوالي14 برجا نصفهم دائري الشكل، بينما أعطى مخطط موني Meunier 22 برجا لمجموع القلعة من بينهم 8 دائرية الشكل.[1402]و هي مواصفات تدعو لمعالجة المعلم بنوع من الحذر، و تجعل شكوك برينغل في محلها. بل يمكن أن نفترض أن الموقع قد شيد في حدود القرن الرابع و ذلك عندا نأخذ بعين الاعتبار هذه الأبراج الدائرية التي تشبه تحصينات الليمس في المواقع الجنوبية، دون أن يفقد من مكانته من جعله يستفيد إما من إضافات أو ترقيعات جديدة. كما تدعو فكرة البناء التي أضار إليها غزيل وطبيعة الموقع إلى التساؤل إن لم يكن هناك استقرار للملكة الأوراسية ؟ دون القدرة على الخوض في احتمالات جوفاء قبل القيام بعمليات جس بالمعلم. إلا أن أهمية الموقع لا تكمن فقط في هذه القلعة الكبيرة و أنما في الوقوف على المعالم الأثرية لأربعة كنائس، وجدت الأولى داخل القلعة بينما وزعت الأخريات في محيط أوسع خارج الأسوار.

تطور وضعية الموقع أوالمدينة في الفترة ما بين القرن الخامس والسابع

مهما كانت صعوبة تأريخ هذه المعالم، و بالتالي استحالة اعتبارها بيزنطية من الوهلة الأولى، فان احتواء هذه المدينة على مثل هذه الأسوار و الكنائس من شأنه أن يسمح بافتراض انتعاش يناسب فترة نهاية التاريخ القديم، لكن غياب الإشارة إلى هذا المكان في المجامع الدينية بقرطاج أو غيرها، يفتح أيضا فرضية التملك المحلي أو الموري لمثل هذا الموقع؟

نظرة تقيميمة للموقع:

إذا كانت أهمية الموقع خلال الفترة الرومانية تبدو محتشمة ، فإن مقاسات القلعة تؤكد الدور الاستراتيجي الذي اضطلعت به. وإذا كان مخطط القلعة يختلف نسبيا عن القلاع البيزنطية فمن الضروري الإشارة أن القلعة لم تستفد من حفريات حقيقية ولم تعرف سوى بعض الأشواط التنقيبية المتقطعة عن المعالم المسيحية، الأمر الذي جعل أشكالا مختلفة تبدو متداخلة في المخطط الذي سجله مونيي بطلب من محافظ قطاع الآثار في الأربعينيات، دو أن يتم التساؤل عن علاقة هذه الهياكل ببعضها البعض، ولا عن حقيقة

[1398] L.Leschi, ,la basilique chrétienne en Algérie, Atti del VI Conge.int.di archologia cristiana, 1938,I,Rome, 1940,p.147

[1399] N.Duval, Une nouvelle basilique à »double-chœur » ? à Henchir Guessès, au nord de Timgad, MEFR,1985,97,II,p.1068,n°5.

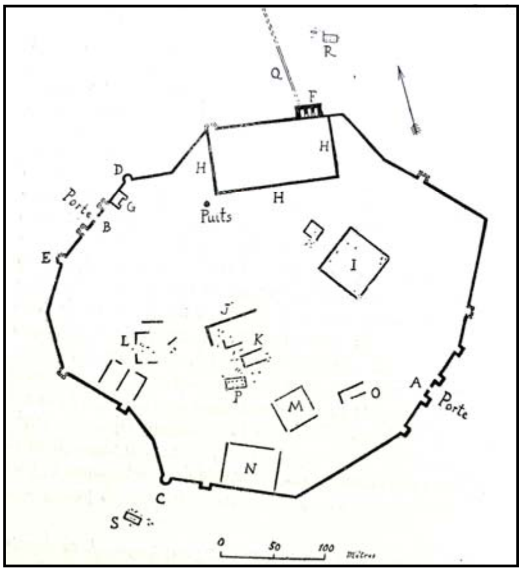
[1400] St.Gsell, les Monuments,II, p. 359

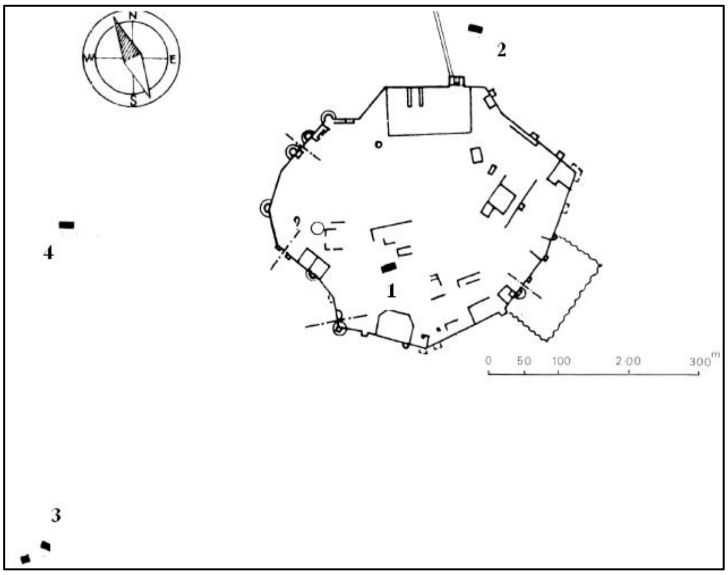
[1401] D.Pringle, The Defense of Byzantine Africa, p. 296

[1402] و هو المهندس الذي كلفه لاسوس بوضع مخططات المواقع الأثرية المدروسة من طرف جهاز الآثار بالجزائر. أنظر :

P .A.Fevrier, Travaux et découvertes en, Algérie, p.314-315

تأريخها. وفي الواقع تقترب هذه القلعة في شكلها الخارجي مع كل من قلعتي بغاي و تيجيسيس(عين البرج)ن إلا أن الجزن بذلك يتطلب معاينات ميدانية أكثر دقة و لما لا عمليات جس أولية.
و إذا كان لنا أن نتساءل عن هذه الأهمية، ألا يمكن أن نربط ذلك بعملية حرق تيمقاد حسب ذكر بروكوب؟ أو بتوسع مملكة الأوراس نحو الأوراس؟ خاصة و أن شهادة البكري على استمرارها تكرس دوما هذه العلاقة بمنطقة الأوراس.

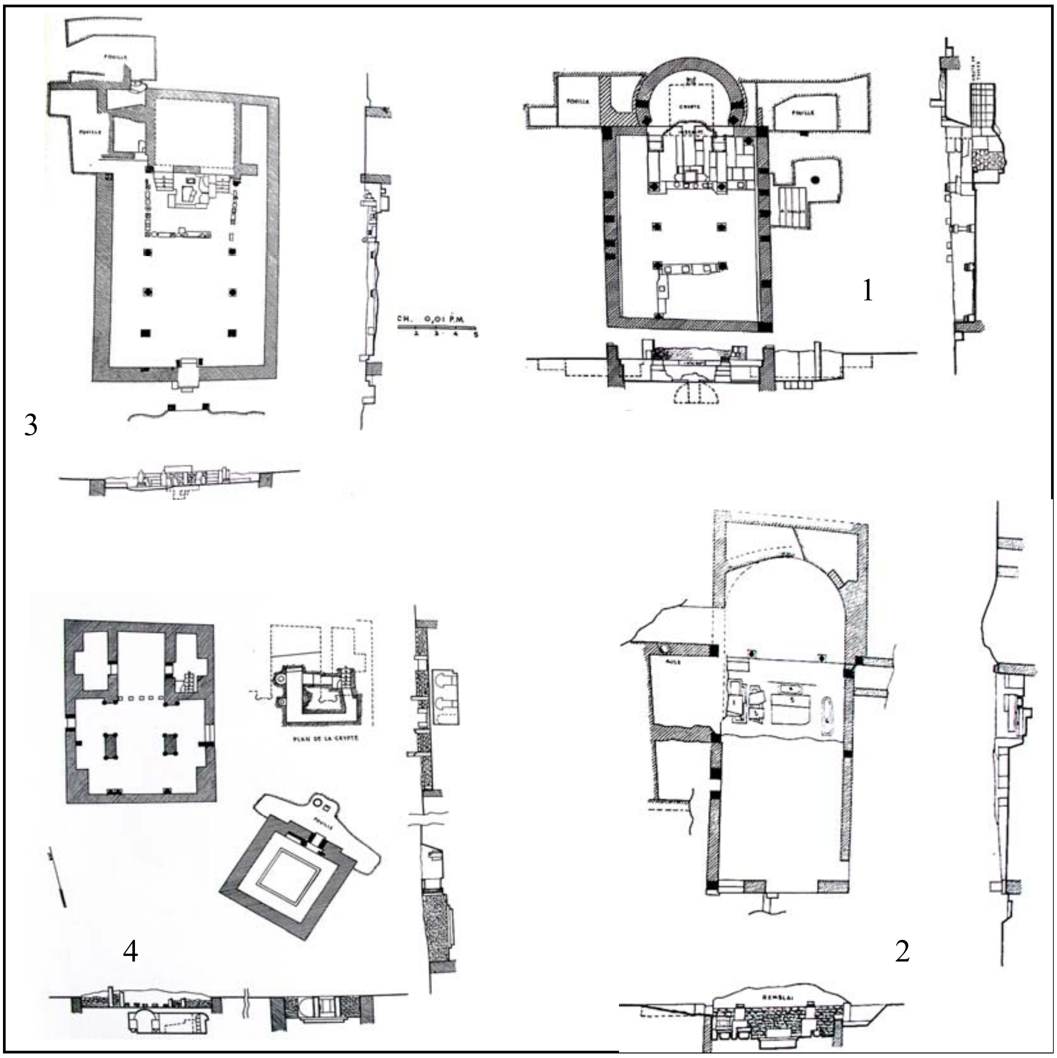




الشكل رقم: 58 مخطط القلعة حسب غزيل **الشكل رقم: 59** توزيع الكنائس الأربعة بالنسبة للقلعة حسب مخطط مونيي (فيفري)



الشكل رقم: 60 أحد مداخل الحصن المحاذي للكنيسة رقم3 حسب فرند Frend



الشكل رقم: 61 مخططات الكنائس الأربعة حسب مونيي – فيفري-

رقم:26	تاهودة	Thabudeos		A.A.Alg.27.363-365

الإسم التاريخي للموقع : Thabudeos

مكانته في الخريطة الجغرافية:

توجد على بعد حوالي 16كم جنوب شرق بسكرة، و4كم شمال مدينة سيدي عقبة. وتستمد شهرتها أكثر مما تركته المصادر الإسلامية عن فصول الفتوحات الإسلامية ومقتل عقبة بن نافع على يد الجيش الذي كان تحت قيادة كسيلة. ورغم القراءة الاجتهادية التي يظل عامل الشك فيها يتجاوز البرهان، فكثيرا ما اعتمد هذا لتكريس فكرة تشييد قلعة بيزنطية في المرحلة الثانية من زمن قيادة سولومون، وتبني فكرة امتداد الحدود الجنوبية للنفوذ البيزنطي إلى جنوب الأوراس

خرائط الطرق الرومانية:

أوردها بطليموس في كل من موريطانيا و نوميديا (IV,2 ,7 ;3,7) ، كما وردت في ألواح بوتينجر

المصادر المسيحية

ورد اسم الموقع في المجمع الديني لقرطاج سنة 411. وفي قائمة 484

المصادر البيزنطية:

Procope, de Aed. VI,7,8.

المصادر العربية:

تحتل مكانة معتبرة في النصوص العربية ، سواء في سياق الفتوح أو في الجغرافيا[1403]. فقد أشار النويري إلى أن الروم " أغلقوا أبواب حصونهم دونه، وشتموه، ورموه بالنبل والحجارة" [1404]رميهمالبكري:" مدينة أولية بنيانها بالحجر و لها أموال كثيرة و حولها ربض..."[1405] كما تحدث عن الخندق، الذي يحيط بالقلعة، و الذي يملأ بالمياه المستقدمة من جبل أوراس في أوقات الحرب، فضلا عن كونها مدينة آهلة بالسكان فيها أكثر من مسجد، وسوق وفنادق[1406]. كتاب روض المعطار في خبر الأقطار:".. مدينة أولية بنيانها بالحجر الجليل وعليها سور عظيم، ولها ربض ويدور بجميعها خندق، ولها نهر كبير ينصب إليها من جبل أوراس، فإذا كان بينهم وبين أحد حرب وخافوا النزول عليهم أجروا ماء ذلك النهر في الخندق المحيط ببلدهم فامتنعوا به وشربوا منه" كما تعرض لها صاحب الاستبصار:".."[1407]

[1403] ابن خرذاذبه، ابن حوقل، أبو عبيد البكري، صاحب الاستبصار، ياقوت الحموي، ابن عذاري، النويري، ابن خلدون

[1404] النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ص؟؟

[1405] أبو عبيد البكري، المسالك و الممالك، ص 72

[1406] نفس المصدر، نفس ص

[1407] كتاب الاستبصار، ص 175

النقائش البيزنطية:

وجود بقايا نصين مهشمين، نشرا من طرف البرتيني[1408] Albertini، ثم براديز[1409] Baradez.

البيبلوغرافيا المعاصرة

Ch.Diehl, Afr.Byz. p.237-245; E.Albertini, Ostrakon byzantin de Négrine(Numidie), extr. Cinquentenaire de la aculté des Lettres d'Alger(1881-1931),Alger, 1932, p. 7; J.Baradez, Fossatum Africae,p.281-287 ;P.Trousset, les fines antiquae, dans BCTH,Grenoble,1983, p. 361-376 ;Id., Les Limites sud de la réoccupation byzantine, Ant.Tard.10,2002,p.143-150 ; J.Durliat, les dedicaces d'ouvrages de défenses p.86-87, N°35-36 ; D.Pringle, The Defence. P.287,307 ; P.Morizot, archéologie aérienne de l'Aures, Paris, 1997,p46-47; Id., A propos des limites méridionales de la Numidie byzantine, Ant.Afr.35,1999,p.151-167 (résumé dans BCTH ns,25B,1996-1998,p.125-126 ;

المواصفات التقنية للعمارة البيزنطية

من خلال الصور التي تركها براديز Baradez، يبدوأن المواصفات الخارجية للقلعة لا تختلف عن قلعة تيمقاد، وهوما يؤكده تروسي في دراسته حول الشريط الحدودي[1410]. فهوعلى شكل مستطيل غير متوازي الأضلاع، يصل طول السور من الناحية الجنوبية 118مومن الشمال 100م ، أما من جهتي الشرق والغرب فيقدر ب 65م. بسمك قدر بمتوسط 1.90م. وقد دعمت هذه القلعة بأربعة ابراج على الزوايا

تطور وضعية الموقع أوالمدينة في الفترة ما بين القرن الخامس والسابع

اقترح تروسي مقاربة جديدة تتمثل في مطابقة الموقع مع التسمية التي وردت في نص بروكوب دابوسيس Dabousis، رغم ما تطرحه من صعوبات ، خاصة وأن صاحب الحروب الوندالية قد تحدث عن موقع آخر باسم بابوسيس[1411] Babosis.

نظرة تقيمية للموروث:

شكل هذا الموقع موضوع جدل لا زال قائما حول امتداد الحدود البيزنطية جنوب الأوراس، انطلاقا من القرينتين الوحيدتين اللتين يمكن إرجاعهما إلى هذا الموقع، والمتمثلتين في نص بروكوب في كتاب المنجزات – الذي أشار إلى 05 مدن تحيط بالأوراس –، وشطري النقيشة، أوالنقيشتين المبتورتين، واللتان تظل قراءتهما جد نسبية. حيث اقترح برينغل أن يكون الموقع أصلا عبارة عن حصن شيد في حدود القرن الرابع ورمم في الفترة البيزنطية، مع إمكانية استعانة البيزنطيين بقادة أوأمراء محليين لمراقبة هذه المواقع الجنوبية. فقد ظل تروسي متمسكا بفكرة امتداد النفوذ البيزنطي جنوب سلسلة الأوراس، من خلال خط

[1408] E،Albertini, Ostarkon byzantin de négrine, p59

[1409] Baradez,Fossatum Africae,,p28O

[1410] Trousset, les Fines Antiquae, p245-262

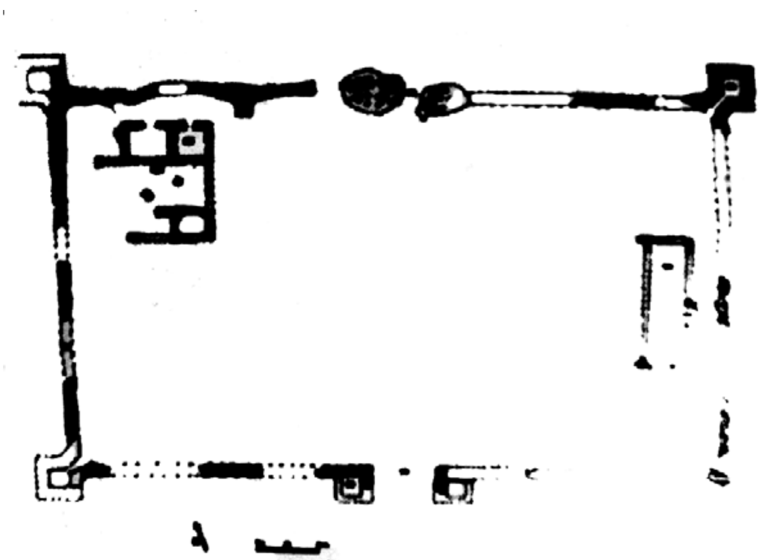
[1411] في الواقع أثير جدل كبير حول مطابقة هذه التسميات، لا سيما من طرف موريزوا، الذي بفضل معايناته الميدانية يحاول فرض تصور تاريخي جديد لمنطقة الأوراس، أنظر في هذا المجال:

P.Morizot, Achéologie aérienne de l'Aures, Paris,1997,p46-47 ;

يمتد من طبنة حتى الجريد التونسي[1412]. في نفس الوقت الذي يصر فيه موريزوا على استحالة مرور مسالك بيزنطية، وبالتالي مراقبة هذه الأخيرة للمواقع الجنوبية للأوراس[1413]. إلا أن البعد الموري، ومكانة هذه الإمارة خلال القرنين السادس والسابع لم تؤخذان قط بعين الاعتبار ، فهل يمكن العودة على اقتراح برينغل والتوفيق بين فكرة سيطرة المور على الأوراس وفكرة التحصينات الرسمية، أم يجب مزامنة ذلك مع فترة القضاء على الإمارة الأوراسية؟



الشكل رقم: 62 صورة جوية لموقع تاهودة



الشكل رقم: 63 مخطط القلعة حسب حاجي من خلال الصورة الجوية

[1412] P. Trousset, Les Limites sud de la réoccupation byzantine, Ant.Tard.,10,2002, p 146
[1413] P.Morizot, A propos des limites méridionales de la Numidie byzantine, Ant.Afr.35,1999, p. 151-167 ; Ibid, Economie et société en Numidie méridionale. L'exemple de l'Aurés, Africa Romana 8, tti del VIII convegno di studio, Caglairi, 1990, Sassari,1991,429-446



الشكل رقم: **64** قطعتين من نقيشة بيزنطية اكتشفتا من طرف باراديز



الشكل رقم: **65** قطع زخرفية تستعمل في التوافذ تحمل نقوشا متأخرة حسب موريزوا

رقم:27	بادس	Bades		A.A.Alg. 49.51

الإسم التاريخي للموقع : Badiensis- Ad Badias(CIL 17968)، كما ذكرت باسم بادياس Badias في ألواح بوتينجر، وفاديس Vadis عند كوريبوس [1414]

مكانته في الخريطة الجغرافية:

قلعة وأبرشية، تمتد جنوب المقاطعة النوميدية –البيزنطية– ويعتبر هذا الموقع دلالة على امتداد النفوذ البيزنطي جنوب الاوراس، ومن الناحية العسكرية تشكل الى جانب مدينة تاهودة نقطي مراقبة السهول الممتدة جنوب الاوراس والمناطق الممتدة حول وادي العرب. و يمكن العودة الى نصوص موريزوا الذي سعى الى التأكيد على مطابقة هذا الموقع في الخريطة، انطلاقا من قائمة 484[1415] التي أوردت تسمية praepositus limitis Bazensis، و عدد النقائش التي تعود الى القرن الثالث مؤكدة اسم الموقع[1416].

خرائط الطرق الرومانية:

أوردها بطليموس[1417]، كما وردت في ألواح بوتينجر (IV,5)، تبرزها الخرائط على اتصال بتبسة، لامبيز و بغاي إلى جانب تاهودة.

المصادر المسيحية

سجلت مشاركتها في المجامع الدينية لسنوات 256، [1418]411، كما وردت في قائمة 484 باسم: Vadensis ecclesia[1419] . و في قائمة جورج القبرصي كأبرشية أيضا ضمن القائمة النوميدية[1420].

المصادر البيزنطية:

اعتبرها بروكوب من بين المدن التي حصنها جستنيان[1421]، و أشار إليها الشاعر كوريبوس خلال القرن السادس ميلادي متحدثا عن المور المقيمين بأقليم بادس، والذين شاركوا في حروب 546م ، و ممارستهم لزراعة محصولين في السنة[1422].

المصادر العربية:

وصفها البكري بأنها " حصنان لهما جامع و أسواق و بسايط و مزارع جليلة يزدرعون بها الشعير مرتين في العام على مياه سايحة كثيرة"[1423]كما اعتبرها رفقة تاهودة من أهم المدن التي توجه إليها عقبة في

[1414] Corippe,Joh.II,156-157
[1415] La Notitia ,Occid. XXV,5et 23
[1416] CIL VIII, 2451=17954
[1417] Ptolémée(IV,6,13)
وقد طرحت هذه المطابقة العديد من الإشكاليات، باعتبارها وضعت الموقع بالقرب من مدينة ميلة ووادي الكبير، مما جعل دوزانج يبعد هذه الفرضية. و يعتبر أنه يجب إبعاد مطابقة هذا الموقع.
[1418] Gesta,I,180,I.19,p 822
[1419] رغم أنها أوردت تسميتين متشابهتين في كل من رقم :7 و رقم: 117، إلا أن
[1420] Georges de chypre , descriptio orbis romani, p 34
اعتبر برينغل أن فرضية دوزانج بمطابقة الموقع بالقرب من وادي الكبير لا تجد سندا كبيرا
[1421] Procope, de Aed, VI, 7, 8
[1422] Corippus, Joh.,II,156-7, cf Diehl1896,,p248, 350
[1423] أبو عبيد البكري، المسالك و الممالك، ص 74

فتوحه. وهي نفس الفكرة التي نجدها عند صاحب الاستبصار الذي اعتبرها من المدن التي أولاها عقبة اهتماما خاصا بعد وصوله إلى المحيط، فضلا عن إقراره بتمركز عدد كبير من المسيحين و البربر[1424]. أما الإدريسي، ففضلا عن تأكيده على بقاء الحصن، أشار إلى علاقة هذه المدينة بالأوراس و اعتبرها على ثلاث مراحل فقط[1425]. و قد أشار ياقوت الحموي، إلى التفرقة بين "بادس الزاب" و بادس الثانية بمنطقة فاس[1426].

المواصفات التقنية للعمارة البيزنطية

أشار غزيل الى بقايا قنوات الري التي تعود الى العهد الروماني[1427]. كما تعرف موريزوا على قصر بادس، من خلال الصور الجوية.[1428] و حسب نفس الباحث فإن أسوار هذا القصر تقدر بحوالي 125م **X**110م، مبنية بالطوب فضلا عن استعمال الآجر في بعض المستويات السفلى ، و هو ما اعتبره مخصصا للأبراج، و قد تعرف على آثار حوض يحاذي القصر شبهه بنفس الحوض المعرفوف على أطراق قصر لمسة بتونس.[1429]

البيبلوغرافيا المعاصرة

Ch.Tissot, Geographie,T.2,p529 ; W.Ragot, le Sahara de la province de Constantine, RSAC,16,1873-1874,p.284 ; J.Birebent, Aquae Romanae, p.501-502 ; ch.Diehl, Afr.Byz.p.248 ; J.Alquier, les ruines de la valée de l'oued el-Arab (Aurés),Rev.Afr.,82,1941,p.31-39.P.Trousset, Badias (Badis, Bades),Enc.ber., IX,p.1299-1301 Ibid., Les fines Antiquae ..p.370, ; Ibid., L'idée de frontiére au sahara d'après les données archéologiques, Enjeux sahariens, Tables Ronde CRESM, Nov.1981,Paris,1984,p.47-78 ; J.Desanges, le témoignage de Procope, p. ; P.L.Cambuzat, l'évolution des cités ,T.2,p .72 ; D.Pringle,The Defence..p.183; P.Morizot, A propos des limites meridionales de la Numidie,..p.152-160 ;Ibid., Archéologie aérienne de l'Aurés, Paris,1997,p254 ; S.Lancel,Actes, IV,p.1321.

تطور وضعية الموقع أو المدينة في الفترة ما بين القرن الخامس والسابع

إذا افترضنا تطابق التسميات التي أشرنا إليها، بالنسبة لاستمرار الأسقفية إلى غاية القرن السابع، مع قائمة جورج القبرصي، فتأكيد المصادر الاسلامية على أهمية الموقع مع فترة الفتوحات، يكرس فكرة استمرار حيويتها ، رغم أننا نجهل الكثير عن تطورها العمراني من الناحية الأثرية

نظرة تقيمية للموروث:

شكل هذا الموقع مثل كل من تاهودة، و مدليلي ، ليس فقط نقطة للتأكيد على امتداد النفوذ البيزنطي، بل أحد المحاور المهمة في معالجة اشكالية الأوراس، من جانب امتداد النفوذ البيزنطي إليه، و أيضا من جانب فاعلية المور مع جغرافيته، و بالتالي فمن خلال يبرز المور ليس كقبائل بدوية محاربة و لا تنتمي لجغرافية ثابتة، بل يتحكمون في تقنيات الري و الانتاج الفلاحي، بطريقة رهيبة، جعلتهم بتوظيفها في صراعهم الحربي يوفرون لنا أدلة قطعية، بأنه ليس كل ما هو عمران هو روماني أو بيزنطي.

[1424] كتاب الاستبصار، ص 175

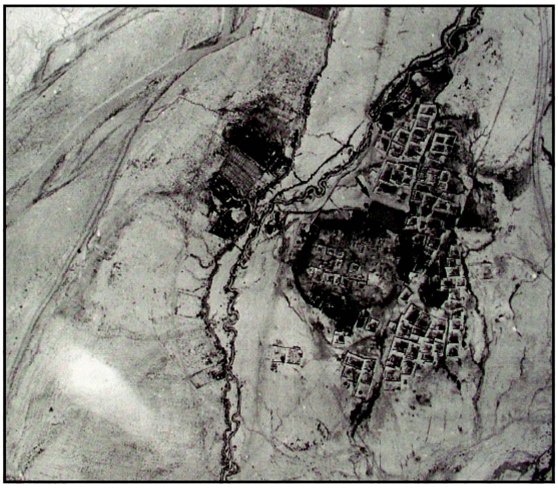
[1425] الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 165

[1426] ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1،ص559

[1427] Gsell,Atlas,f49,n51- Diehl,246-247

[1428] P.Morizot, A propos des limites meridionales de la Numidie,..p.162-160

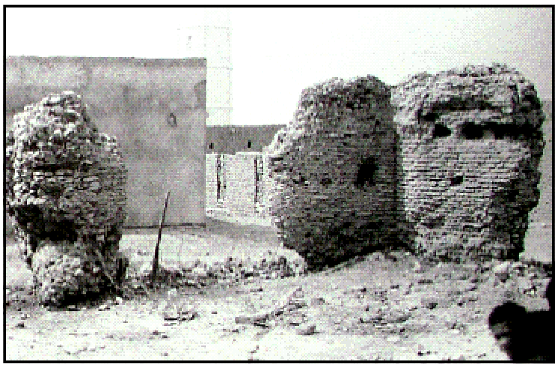
[1429] P.Morizot, A propos des limites meridionales de la Numidie,..p.160



الشكل رقم: 66 صورة جوية لقصر بادس حسب موريزوا موريزوا



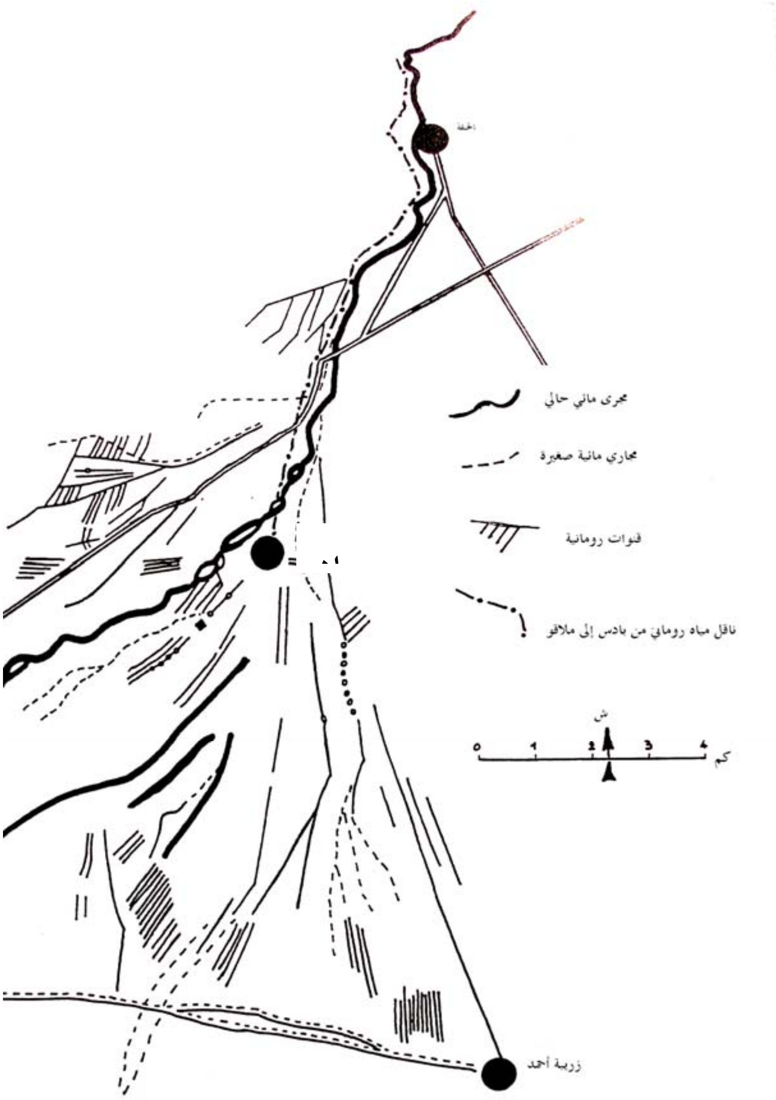
الشكل رقم 67 صورة لقصر بادس



الشكل رقم: 68 أسوار من قصر بادس- موريزوا موريزوا



الشكل رقم: 69 ما تبقى من قصر بادس-



الشكل رقم: **70** نظام الري حول بادس حسب تروسي

رقم:**28**	هنشير مديلة	Medlili		A.A.Alg.50.23

الإسم التاريخي للموقع :

مكانته في الخريطة الجغرافية:

يوجد على مشارف السهول المحيطة بوادي الهلايل، شمال غرب نقرين[1430]، بمنطقة تبسة. اعتبرها Masquery ماسكوري بقايا أثرية بربرية، لطبيعة مواد البناء المستعملة في الأسوار[1431]، والمتمثلة في الآجر. وتتميز بموقع استرتيجي مهم: كونها على أبواب هذا المسلك الموجود بين الأوراس والنمامشة. كا اشار لوفوإلى اهميتها من حيث نمط استغلال المياه جنوب الأوراس.[1432]

المصادر المسيحية

أشير إليها في العديد من المناسبات: القس إيادير Iader سنة 256 ، أوخلال المجمع الديني لسنة 411، حيث كانت ممثلة بقس دوناتي[1433]. كما أشارت إليها قائمة 484 ضمن الولاية النوميدية، من خلال شخصية فلورنتيانوس المديلي Florentianus Midilensis، والذي يبدوأنه كان من بين القساوسة الذين تعرضوا للنفي، نتيجة رفضه المشاركة في المجمع الوتدالي الذي نادي به هلدريك[1434]. كما يجب الإشارة إلى أنه فضلا عن ألواح ألبرتيني الشهيرة، اكتشفت نصوص بير تروش Bir trouch في الجهة الغربية من هذا الموقع[1435].

المصادر البيزنطية:

تحدث بروكوب عن هذا الموقع في كتابه المنجزات، ضمن القائمة النوميدية بين كل من بادس وبغاي. إلا أن تروسي حاول مطابقته مع ما أورده بروكوب[1436] تحت اسم : فلورنتيانا Florentiane ، من خلال تسمية القس المعلن عليه في قائمة 484 فلورنتيانوس، لكن ذلك يظل مجرد فرضية في انتظار قرائن علمية.

المصادر العربية:

وردت لدى البكري إشارة إلى مدينة "مليلي" بالقرب من بسكرة، دون التمكن من الجزم هل هي نفس الموقع الذي نحن بصدد دراسته[1437].

النقائش:

[1430] Albertine, 1952
[1431] Masqueray, 1878,
[1432] Leveau 1978,p121
[1433] Actes de la conference de 411,IV,1991,p 1426 ; N.Duval et V.Saxer,p 252
[1434] Mandouze, prosopographie,p467
[1435] Fevrier, 1966-1967, p239-249
[1436] De Aed. VI,7,11
[1437] أبو عبيد البكري، المسالك و الممالك، ص 52

اكتشاف (reliquaire)نقيشة جنائزية مسيحية سنة 1980، رفقة كنز من النقود، دون أن نعرف ظروف وملابسات الاكتشاف[1438].

البيبلوغرافيا المعاصرة

Leveau, une vallée agricole des Nmenchas dans l'antiquité romaine, BCTH,10-11b, 1974-1975, p 103-121 ; N.Duval et V.Saxer, un nouveau reliquaire africain et l'éveché Midilensis, in Syria,75,1998(mel. G.Will) p245-262 ;

المواصفات التقنية للعمارة البيزنطية

من خلال الصور الجوية التي تركها باراديز، تبدوهذه القلعة مشابهة إلى حد بعيد قلعة تاهودة، من حيث المخطط الخارجي والأبراج المربعة على الزوايا، فضلا عن توجه المدخل الرئيسي نحوالجنوب. بل اشار باراديز أيضا إلى تشابه تقنيات البناء وأنواع الآجر المستعملة، وهي عبارة عن قطع صغيرة (38/28سم)، وهونفس الأمر الذي لاحظه موريزوا بموقع بادس[1439]. وعموما فرغم اختلاف التقارير حول مقاسات هذه القلعة، فتصل إلى 100م طولا على 60 عرضا، بمتوسط 0.645ه، وهوما يكرس هذا التشابه مع قلعة تاهودة. فضلا عم وجود أربعة أبراج على الزوايا

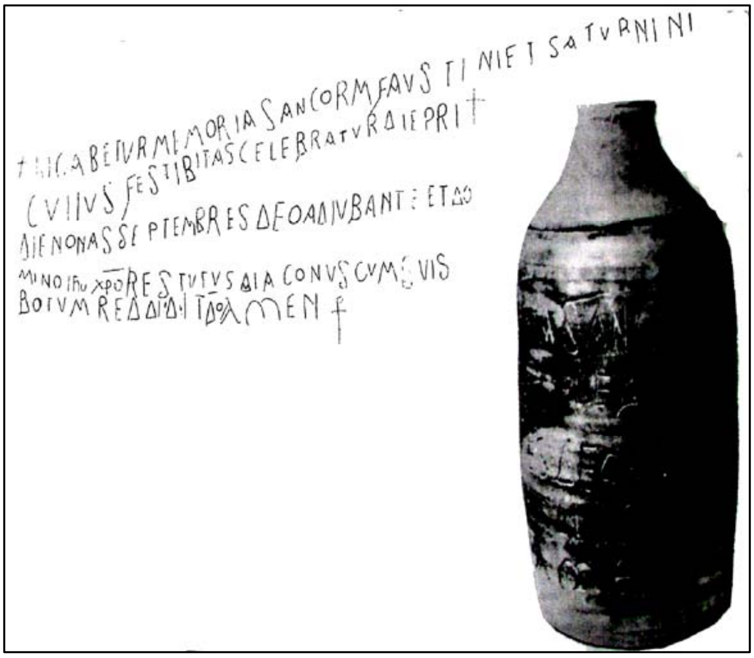
[1438] N.Duval et V.Saxer,un nouveau reliquaire africain et l'éveché Midilensis, in Syria,75,1998(mel. G.Will) p245

يشير المؤلفان أن مصدر المادة الخبرية هو: Institut pontifical d'archéologie chrétienne

[1439] P.Morizot, A propos des limites méridionales de la Numidie byzantine, p. 161-163



شكل رقم: 71 صورة جوية لقلعة مديلة حسب باراديز



شكل رقم: 72 نص النقيشة الجنائزية

رقم: 29	بغاي	BAGAI	7° 07’E 35° 32’N	AAAlg, F.XXVIII, 68

الإسم التاريخي للموقع: ، قصر بغاي أوبغاية

مكانته في الخريطة الجغرافية:

توجد جنوب الأوراس، غير بعيد عن وادي بورغال، الذي يفترض أنه نفسه الموجود في نص بروكوب باسم أبيقاس(B.V.II,19) وهوما اعتبره كامبس تأكيدا على علاقته بالمدينة[1440].

مكانته من طرق المواصلات:

يوجد الموقع على هضبة تشرف على السهول المجاورة والممتدة حتى شمال الأوراس، ومن خلال معاينة الموقع يبدوأنه كان يشرف على الطريق القادم من تبسة، المحاذي لوادي العرب باتجاه الزاب، مما يجعل منه أحد المنافذ التي تراقب الطريق الصحراوي، ومما أعطاه أيضا أهمية استراتيجية كبيرة في الفترتين البيزنطية[1441] والاسلامية .

خرائط الطرق الرومانية: لم يرد ذكر الموقع في المصادر الجغرافية الرومانية

المسالك في العصور الوسطى: تذكرها المصادرالاسلامية في الطريق الرابط بين القيروان والزاب، على مسافة محطة من مسكيانة شرقا، أما من الجهة الغربية فيبدوأن الطريق تتجه عبر بلزمة ومدراسن

المصادر الأدبية والنقائش:

تسجل لنا بعض النقائش وجود مجلس بلدي في منتصف القرن الثاني (CIL,VIII,2275)

فضلا عن عدد محدود من الإشارات، خاصة وأن الموقع لم يستفد من أية حفرية.

المصادر المسيحية

تسمح المصادر المسيحية بتتبع بعض محطاتها، فقد ذكرت كأسقفية في المجمع الديني المنعقد بقرطاج في سنة 256. كما يبدوأنها سرعان ما أصبحت أحد المعاقل الهامة للدوناتية[1442]. ويبدو حسب القديس أوغسطين أنها احتضنت مجمعا دينيا سنة 394، شارك فيه 310 قس دوناتي[1443]. كما شاركت في المجمع الديني لسنة 411 بقس دوناتي دون نظيره الكاثوليكي[1444]. و مع ذلك فلم يعثر على معالم كنيسة أو بازيليكا[1445] .

[1440] G.Camps, Abigas, Enc.Ber. I,77-78
[1441] P.Trousset, Baghai, enc.Ber. IX,1307-1310
[1442] Saint optat de Milev, traite contres les donatistes, III,1,4
[1443] Saint Augustin, Contra Cresconius,III,IV
[1444] Actes de la Conference de Carthage 411, trad. et comment de S.Lancel ; Gesta,I,176,1.9. p 818 ; IV,pp 1321-1322
[1445] St.Gsell, les Monuments,II,p.173.

المصادر البيزنطية:

يخبرنا بروكوب أن المدينة كانت مهجورة، أثناء الحملة البيزنطية سنة 539، وقد سارع البيزنطيون إلى تحصينها، وإعادة الحياة العمرانية لها[1446]. حيث أكد ثانية مكانتها في كتاب المنجزات بذكرها من بين الخمسة مدن التي تحيط بالأوراس[1447]، كما اكتشفت بها سنة 1967 نقيشة تؤكد إشراف سولومون شخصيا على ذلك[1448]. فضلا عن ذكرها في قائمة جورج القبرصي [1449].

المصادر العربية:

تبدومن خلال المصادر الاسلامية أنها كانت محصنة، فقد تجلى أن عقبة بن نافع قد تفادى حصارها سنة 683. وأنها ظلت لفترة تحت نفوذ الكاهنة وجيشها[1450]. وصفها الإدريسي بأنها :" ... مدينة كبيرة عليها سوران من حجر وربض عليه سور وكانت الأسواق فيه ... ولها واد يجري إليها من جهة القبلة وشربهم منه ولهم أيضاً شرب من آبار عذبة وكانت لها بواد وقرى وعمارات ...وحولها عمارات برابر يعاملون العرب وأكثر غلاتهم الحنطة والشعير وقبض معاوينها وتصرف أحوالها لأشياخها." [1451] و هي نفس الصورة التي نجدها عند كل من البكري[1452]، المقدسي[1453]، ابن حوقل[1454]أو صاحب الاستبصار[1455]. كما نقلت المصادر فكرة تحطيم الكاهنة لأسوار هذا الحصن، و إخراج الروم منها[1456]. فضلا عن استمرار وجود الأفارقة بها[1457].

النقائش البيزنطية:

[1446] Procope,II,19,7
[1447] Procope, de Aed. VI,7,8
[14481448] P.A.Fevrier, Recherche archéologique en Algérie (1964-1966) CRAI,1967, Paris, p.92-109.
[1449] G. de Chypre, 658 .

[1450] ابن عبد الحكم، البيان المغرب، ص 24، الرقيق القيرواني، فتوح إفريقية و المغرب، ص 41-42.

[1451] الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 103-104

[1452] أبو عبيد البكري،كتاب المغرب في ذكر بلاد لإفريقية و المغرب (المسالك و الممالك)،طبعة وترجمة دي سلان: ed.M.G.deSlane, paris, 1965 ص50

[1453] المقدسي، أحسن التقاسيم وفي معرفة الأقاليم، مطبعة ليدن، ص188: " كبيرة ميورة تحت جبل يقال لخ أوراس يجري إليهم منه ماء، كثيرة البساتين"

[1454]ابن حوقل، كتاب صورة الأرض،الطبعة الثانية، القسم الأول، ليدن 1967، ص84-85

[1455]كتاب الاستبصارفي عجائب الأمصار، وصف مكة و المدينة و مصر و بلاد المغرب لكاتب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري، نشر و تعليق د. سعد زغلول، دار النشر المغربيو، الدار البيضاء، 1985 ص 163

[1456] الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية و المغرب، ص 55

[1457] اليعقوبي، البلدان، تقديم محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية لبنان، الطبعة الأولى 2002، ص. 190: " بها قبائل من الجند، وعجم من أهل خراسان، وعجم من عجم البلد من بقايا الروم.."

اكتشفت النقيشة سنة 1967 من طرف فيفري، وهي تسجل إشراف سولومون على عملية تحصين الموقع، تحت الرعاية السامية للامبراطور جستنيان و زوجته.[1458]

AEDIFICATUS EST SUB PIIS / MIS DOMINIS NOSTRIS JUSTINI(ANI) ET THEODORA PERP (ETUIS) AUGUSTUS /ROVIDENTIA SOLOMONSIS MAGIS / TRO MILITUM EXCONS(ULARI) PRAEFECT(O) AFRICAE PATRICIUS(crois)

المواصفات التقنية للقلعة البيزنطية

لا نعرف عن المدينة سوى جانب من أسوار القلعة البيزنطيةـــ والتي تبدوفي شكل مربع غير متوازي الأضلاع، ويقدر طول الأسوار بحوالي 1172م، تتربع على مساحة 8.2ه ويبلغ سمك السور متوسط 2.2م، تتجلى فيه مواصفات العمارة البيزنطية، وذلك بترتيب الحجارة على الوجهين، وملأ الفراغ الداخلي بالحجارة الصغيرة. كما يبدوأن القلعة كانت مدججة بـــ36 حصنا، تحمل في الزوايا شكلا دائريا، وفي الأطراف الشكل المربع. وقد تمت معاينة بابين للقلعة ، الأول من الجهة الغربية والثاني من الجنوب الشرقي. ومن خصوصيات القلعة أيضا، هو احتوائها في الجهة الشمالية الغربية على حصن أوبناية تابعة تقدر بـــ 63X70م، مدججة بحصون على الزوايا وفي وسط الأضلاع، وبداخله أيضا حصن أصغر يقدر بـــ 26X26م. وقد وردت بعض الأشارات عن مواصفات هذه القلعة لدى كل من ابن حوقل والمقدسي مما يفترض استمرار حيويتها إلى غاية منتصف القرن العاشر.

البيبلوغرافيا المعاصرة

J. Birebent, Aquae Romanae. p. 247, 249. P.L. Cambuzat, L 'Evolution des Cites p. 46-57. G.Camps, "Abigas", Enc.Ber., I, 1984, P. 77-78 ; ch. Diehl.Afr.Byz. p. ; J. Desanges, Temoignage, p. 41-69. Id., Abaritana Enc.Ber. I, 1984, P. 57-59 ; J.Durliat, Dedicaces.p. E. Fagnan, L'Afrique Septentrionale Au XIle Siecle, RSAC, T. XXXIII, 1898, p. 1-229; S.Gsell, Monuments, T. II, P. 357-359, Fig. 155 ; P.A.Fevrier, Recherches archéologiques en Algerie(1964-1966) CRAI, 1967, p.217-228 ; J-M. Lassere, Ubique Populus.p. 262; Y. Le Bohec, La Troisieme Légion Auguste. p. ; JL Maier, Episcopat, p .110 ;D. Pringle, The Defence, Vol. 1, p. 183-185; Vol. 2, P. 570, Fig. 21, pl. VI. Talbi M., L'emirat Aghlabide. p. 263; P. Trousset, Baghai, dans Enc. Ber, IX, 1991, p.1307-1310 ; Lancel, Actes,IV,p.1321-22

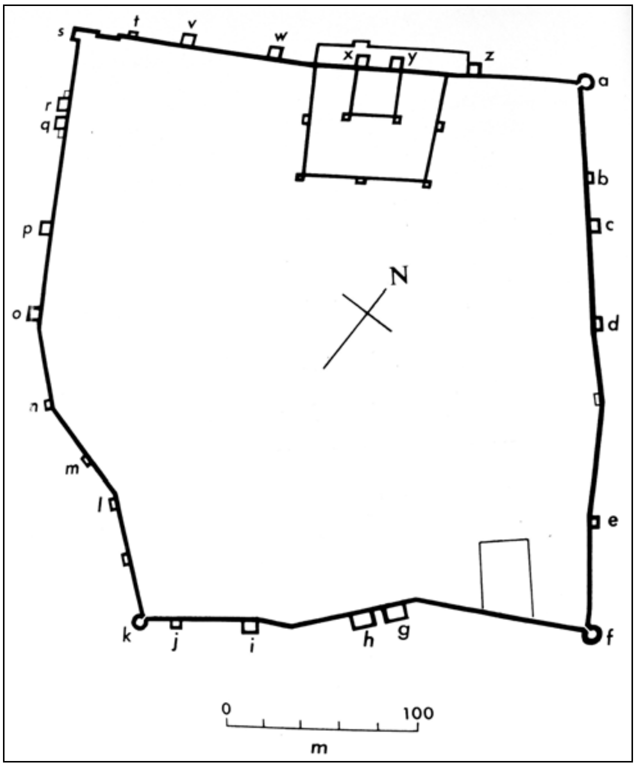
تطور وضعية الموقع أوالمدينة في الفترة ما بين القرن الخامس والسابع:

تكتسي المادة الخبرية التي في حوزتنا، طابعا تقنيا عن القلعة وليس المدينة وعمرانها، فيتجلى الهاجس العسكري والدفاعي أكثر من الحياة الحضرية، لكن من الطبيعي أن نتصور أن هذه لا تتناقض مع تلك، مما يسمح لنا بافتراض استمرار المدينة بهياكلها الداخلية ما دامت أسوارها قائمة

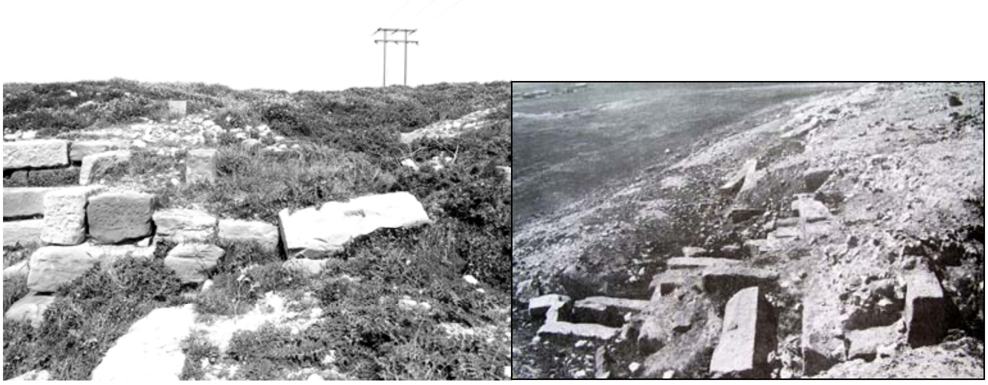
نظرة تقيمية للموروث:

[1458] P.A.Fevrier, Recherche archéologique en Algérie (1964-1966),92-109 ; J.Durliat, les Dédicaces d'ouvrages de defense . pp 43-44, .D. Pringle, The Defense of Byzantine Africa. pp183-185

يمكن تسجيل استمرارية أهمية الموقع في السياسة الدفاعية البيزنطية، إلى غاية فترة الفتوحات الإسلامية، فقد تجلى ارتباط هذه المدينة بالنطاق الأوراسي وربما أيضا بالمملكة الأوراسية، باعتبار ما تجلى من نفوذ الكاهنة، فضلا عن التركيبت البشرية المتمثلة في "الروم"، مما يفترض امكانية العثور على مستويات تميز تطور الموقع في نهاية القرن السابع، ولعل حفاظه على نفس الاستراتيجية في مرحلة الفتوح خلال الصراعات المغربية ما بين القرنين التاسع والعاشر، يكرس فكرة الحفاظ على نفس الهياكل العمرانية. كما سمحت المعاينة الميدانية لهذا الموقع من الوقوف على أن الموقع كان منفتحا على السهول المجاورة و أنه يفتقد إلى تحصينات طبيعية مما يدعم فرضية التشديد من الأسوار و الخندق الخارجي.



شكل رقم: **73** مخطط القلعة البيزنطية لبغاي حسب ديل



الشكل رقم: 74 أحد أبراج القلعة مع ما تبقى من السور الشرقي



الشكل رقم: 75 النقيشة البزنطية حسب صورة فيفري

قم:30	خنشلة	MASCVLA TIBERIA		A.A.Alg.28.138

الإسم التاريخي للموقع :

مكانته في الخريطة الجغرافية:

لا شك أن مكانتها بين كل من مدينة تبسة وتيمقاد، فضلا عن كونها لا تبعد عن بغاي سوى 12كلم، وباشرافها على المعبر الموجود بين مرتفعات الأوراس والنمامشة، تحتل مكانة استراتيجية كبيرة، إلى درجة أن تساءل بعض الباحثين عن احتمال استقرار وحدات الفيلق الإوغسطي الثالث بها، قبل تشييد لامبيز[1459]

خرائط الطرق الرومانية:

ذكرت في المسلك الأنطوني

المصادر المسيحية

ذكرت في أغلب المجامع الدينية بقرطاج، 256، 411، إلا أن اسم المدينة يرتبط أكثر بالحركة الدوناتية وبداياتها الأولى[1460]. فضلا عن مشاركتها في المجمع الديني لسنة 525 مما جعل غزيل يقترح أنها ظلت إلى هذا الحين تحت السيطرة الوندالية،

النقائش:

تم العثور على نقيشة مهشمة، إلا أنها سمحت بقراءة المدينة ضمن التسمية الرسمية الامبراطور تيبيريوس[1461]، مما سمح بتأريخها بحدود 578-582. ولعل أهمية النص تكمن في :

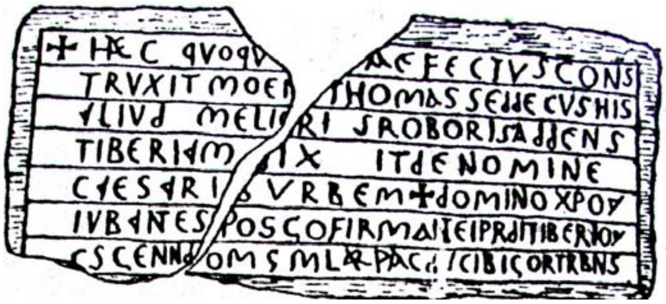
- كونه يذكر عدد من الشخصيات التي كان لها حضور في هذا الانجاز مثل الحاكم العام غيناديوس، البطريق توماس والقائد فيكتور، فضلا عن تزكية الامبراطور
- التأكيد على تتويج عملية التحصين بإعطاء المدينة الاسم الامبراطوري وتسميتها تيبيريا، لا يمكن أن يكون إلا عربون مرحلة جديدة من الدعاية الامبراطورية، لا سيما بعد سلسلة الانتصارات التي حققها غيناديوس

Haec quoqu[e pr]aefectus cons/truxit m(o)enia Thomas sed decus his / aliud melioris roboris addens / T{h}iberiam [d]ixit de nomine / Caesaris urbem domino Chr(isto) / a(d)iubantes s(uos) pos(uit) co(n)firmante I(m)p(e)r(atore) d(omino) I(nvictissimo) Tiberio / A[u]g(usto) Gennad[io] m(a)g(istro) m(i)l(itum) Arpa[g(io)] duci Bigor(!) tr(i)b(u)n(u)s

[1459] St.Gsell, A.A.Alg.28.138
[1460]Saint optat, I,13 ; S. Lancel, actes de la conference de Carthage, T.IV, p.1417
[1461]CIL VIII, 02245 = CIL VIII, 17671 = ILCV 00795 = CLE 01807 = AE 1895, 00115 = AE 1948, 00108 ; J.Durliat, les dedicaces d’ouvrages de defense, p 67-71 N° 28

البيبلوغرافيا المعاصرة

A.héron de Villefosse, Arch.Miss. T.2,1875, p.453, n° 128 ; A.héron de Villefosse et ST ;Gsell, Inscriptions latines de Khenchela, BSNAF,1895,169-171; St.Gsell et Graillot, exploration archéologique,I,p.500;Ch.Diehl, Arch. Miss. p.324 ; Ibid, Afr.Byz., p.242; ch.Vars, Khenchela, RSAC,30, 1895-1896, p.251-301 ; P.Monceaux, Enquete épigraphique chrétienne d'Afrique du Nord, Rev. Archéo.4, 1906, n°197 ; J. Durliat, les Dédicaces des ouvrages,67-72; D.Pringle, The Defence, p.218.



شكل رقم:**76** صورة عن النقيشة البيزنطية بشطريها حسب(1895) H.de Villefosse et Gsell



شكل رقم:**77** صورة الشطر الأيمن من النقيشة حسب مونصوا(1906) Monceaux

A.A.Alg .f17.126		Constantina	**قسنطينة**	**رقم: 31**

الإسم التاريخي للموقع :

مكانته في الخريطة الجغرافية:

تظل أهمية المدينة في المواصلات أحد أسباب رفاهيتها، فقد كانت طيلة التاريخ القديم محطة مفترق الطرق بين الشرق والغرب، وبين الجنوب والشمال، كما أعطتها مكانتها الإدارية كعاصمة إقليمية. ويجب الإشارة إلى أن أهمية المدينة من الناحية التاريخية، لم تضاهيها نفس المكانة من حيث مخلفاتها المادية، وبالتالي فان اتساع العمران طيلة العصور السابقة واستغلال نفس الموقع، جعلنا لا نعرف سوى القليل عن معالمها الأثرية. ويشكل الصخر تحصينا طبيعيا، لا سيما في واجهته الممتدة من الجنوب الغربي حتى الشمال الشرقي، ليرتبط بعدها بجبل شطابة وجبل الوحش. يضاف إلى مناعته كونه محاطا بوادي الرمال الذي يزيد عمقه عن 100م. وقد امتدت المدينة الرومانية على مساحة هذا الصخر، الذي يصل اتساعه الى حوالي 1كم ممتدا من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي. وقد اكتشفت

خرائط الطرق الرومانية:

ذكرت في أغلب المسالك مثل المسلك الأنطوني، وألواح بوتينجر

المصادر الأدبية والنقائش:

يبدوأنها اكتسبت مناعة استراتيجية جديدة بفضل إعادة تعميرها من طرف الامبراطور قسطنطين، خاصة من خلال الأسوار التي ربما يشير إليها سالفيان، بأنها كانت قائمة عشية الاحتلال الوندالي[1462]. كما تسمح لنا النصوص الأثرية بإضاءة جانب كبير من مراحل تطور المدينة، هياكلها ومؤسساتها

المصادر المسيحية

ورد الحديث عن المدينة في العديد من المصادر المسيحية أمثال القديس أوغسطين أوأبوتات الميلي، لا سيما فيما يتعلق بمرحلة الاستشهادات المسيحية، حيث نعرف.... وشارك قساوستها في مجمع، 256 ، 411 [1463]،مجمع ميلة 402، كما يبدوأنها احتضنت مجمعا دوناتيا في حدود 395. ويبدوأن التسمية القديمة قد رجعت للاستعمال في العديد من النصوص مع نهاية القرن الخامس، فقد ذكرتها باسمها القديم السرتي: قائمة 484[1464]، قوانين تويدوسيوس، وتشريعات جستنيان، مثل بوسيديوس اسقف كالاما. ويجب الاشارة أيضا إلى النقيشة البيزنطية، التي نشرها كانيا Cagnat حول الفتاة أولبيا كونستانتيا Ulpia Constantia التي

1462 Salvian, De Gvbernatione Dei, VI, 69
1463 Gesta,I.138, I.13-139,I,3p.786 ; I,65,I.4-6,p.676
1464 Notitia de 484,Num 83=CSEL 7,122 : Victor Cirtensis

صيغت بالإغريقية على الفسيفساء، حيث اعتبرها نموذجا للجالية الإغريقية التي تكون قد رافقت الجيش والإداريين باعتبارها ولدت ببيزنطة[1465].

المصادر البيزنطية:

وردت في مرسوم جستنيان المؤرخ في 534، باعتبارها عاصمة لدوق نوميديا[1466]. بينما ذكرها بروكوب فقط عند الإشارة بأن ما يفصلها عن موقع قصر صبيحي هومسافة يومين[1467]، إلى جانب إدراجها في قائمة جورج القبرصي[1468]. كما يجب الإشارة إلى غياب قوائم أساقفتها خلال القرن السادس.

المصادر العربية:

أهميتها جعلتها تذكر في أغلبية المصادر الجغرافية مثل مصادر الفتوح. فالبكري:" مدينة أولية كبيرة آهلة ذات حصانة و منعة ليس يعرف أحصن منها و هي على ثلاثة أنهار... و تقع..في خندق..قد عقد في أسفله قنطرة على أربع حنايا قم بني عليها قنطرة ثانية ثم على الثانية قنطرة ثالثة من ثلاث حنايا .."[1469]، و لعل إشارة الواقدي تؤكد حقيقة على حصانتها " ليس لنا إلا أن نتحصن في بلدنا و نترك العرب و ى نقاتلهما أبدا.."[1470]. أما الادريسي فقد وصفها :" و مدينة قسنطينة على قطعة جبل منقطع مربع. فيه بعض الاستدارة.لا يتوصل إليها من مكان إلا من جهة باب في غلربيها. ليس بكثيرالسعة. و هناك مقابر أهلها. حيث يدفنون موتاهم. و مع المقابر أيضا بناء قائم من بناء الروم الأول. و به قصر قد تهدم كله إلا قليل منه. و به دار ملعب من بناء الروم شبيه بملعب ثرمة من بلاد صقلية..... و ليس للمدينة من داخلها سور يعلو أكثر من نصف قامة. إلا من جهة باب ميلة. و للمدينة بابان. باب ميلو في الغرب. وباب القنطرة في الشرق..... و ليس في المدينة كلها دار كبيرة و لا صغيرة إلا عتبة بابها حجر واحد و كذلك جميع عضادات الأبواب، فمنها من يكون بحجرين و منها ما يكون من أربعة احجار." [1471]

النصوص الأثرية البيزنطية:

[1465] Monceaux, enquete sur l'épigraphie chrétienne d'Afrique du Nord,rev.arch.1903, p 240-241 ; CIL,VIII.p.620.C.

\+ Ἐνθάδε κα|τάκειτε τῆς | μακαρίας μνή|μης Οὐλπία ἡ καὶ |
Κωνσταντία, | Βυζαντία | γειναμένη, | θυγάτηρ Ὡρή |
ας τῆς ἀθλίας, | ζήσασα ἐν εἰ|ρήνε ἔτη ζ.

وحسب الوصف الذي سجله Monceaux فالنص عبارة على فسيفساء جنائزية بيزنطية، عدد أسطر النقيشة 11 يتقدمها صليب إغريقي، و تتحدث هذه النقيشة عن الفتاة أولبيا كونستانتيا Ulpia Constantia المتوفاة في سن 7 سنوات، و قد ولدت ببيزنكة من أن إغريقيز : أوراريا Oraria.

[1466] Cod.Just.I,27, 2,1a

[1467] Procope, II,15,52

[1468] George de Chypre, 666

[1469] أبو عبيد البكري، المسالك و الممالك، ص 63، أنظر أيضا: ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تحقيق اسماعيل العربي، بيروت 1970.ص:.. أبي الفداء، تقويم البلدان، طبعة رينوج و ديسلان، باريس1830،ص 139

[1470] الواقدي، فتوح إفريقية، ص 115، مثل إشارته إلى طول حصار المدينة لمناعتها

[1471] الإدريسي، نزهة المشتاق، ص- 95-96

نفتقر إلى نصوص أثرية بيزنطية مثل الهياكل العمرانية التي تكون المدينة قد احتضنتها، رغم احتواء المتحف على كمية من العملات تعود لعهد جستنيان بل حتى موريس[1472]، فضلا عن النقيشى التي أوردتها كتابات القرن التاسع عشر للفتاة كونستانتيا، و التي صمت صياغتها ايضا بالإغريقية

المواصفات التقنية للقلعة البيزنطية

تظل المواصفات المنسوبة إلى القلعة البيزنطية مستمدة من ألواح رافوازي ومعاينات الفترة التي صاحبت مرحلة الاحتلال

البيبلوغرافيا المعاصرة

J. A.Peyssonnel, Relation d'un voyage sur les côtes de Barbarie fait par ordre du Roi en 1724 et 1725 , in M. Bureau de la Malle (ed.), Voyages dans les Régences de Tunis et d' Alger, 1. 305-307 ; R. L. Desfontaines Voyage dans les Régences de Tunis et d' Alger (1783-1786), in M. Dureau de la Malle (ed.), 2, p. 349-351; Piese 1885, 298- 299; Poiret 1789 , 166; Ravoisie Exploration, I, p. 29-31, pl. II, VI-VII; Temple et Falbe, relation d'une excursion à Constantine, p. 96 ; A. Delamare, Exploration, p. ; Ch. Diehl, Rapport sur deux mission archéologique, p. 362; Diehl, Afr.Byz. p.289- 290 ; St. Gsell Monuments, p.365; Gsell, Texte explicatif, p. 114-128; P.Monceaux, enquete épigraphique chrétiennes d'Afrique, Rev.Archeo.1903,4s ,2,p.248-253 ; J. Mesnage, évéchés, p.275-279 ; Ch.Vars, Inscriptions inédites de la province de Constantine, RSAC, 30, p. 251-301; 32, p.341-396; A. Berthier, DHGE, s.v. Cirta, col. 842-844, et s.v. Constantine, col, 623-625 ; J.Heurgon, Fronton de Cirta, RSAC, 70, 1957-1959, p. 141-153 ; J-L. Maier, Episcopat, p. 133 ; A. Mandouze, Prosopographie, p.1259 ; H-G. Pflaum, Remarques sur l'onomastique de Cirta, Limes Stdudien, 1957(1959),p.96-133=Scripta Varia, I, Paris, 1978, p.161-187 ; ILAlg. II, A, p. 40-42 ;P.A.Fevrier, Princeton enc.S.S Cirta,p.224-225 ; J.Gascou, Politique municipale,p.111-115 ; Cl.Lepelley, les Cités ,II,p.383-399,D.Pringle, the Defense,p.194-195.J.Desanges, La Cirta de Salluste et celle de Fronton, l'Africa romana,IV,1987,p.133-135 ; S.Lancel,Actes,IV,p.1365-1566. F.Bertrandy, Cirta, Enc.Ber.XIII,p1964-1977. Y.Aibeche, de Cirta à Constantine, repéres et histoire, dans Cl.Briand-Ponsart(dir), Identités et Cultures dans l'Algérie antique,Rouen,2005,pp ;23-34.

تطور وضعية الموقع أوالمدينة في الفترة ما بين القرن الخامس والسابع

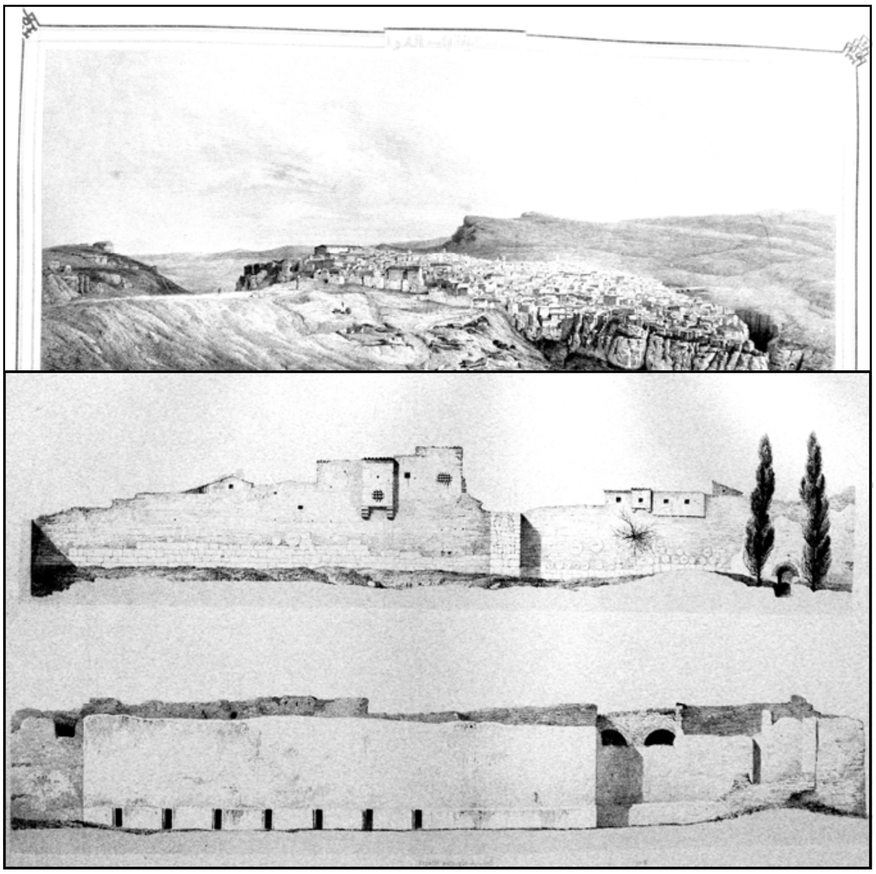
ولعل تعرض المدينة طيلة تاريخها للهجمات ــ تسبب في اندثار تحصيناتها، والتي يبدوأن بعضها ظل قائما إلى غاية الحملة الفرنسية[1473]، وهوما يتجلى من نصوص القرن التاسع عشر:

– حسب رافوازي فان السور الممتد في الجهة الجنوبية الغربية والذي يربط الأبواب الثلاث: باب الجديد، باب الوادي وباب الجابية، كانت بنايته بالحجارة الرومانية وكانت فتحاته مبنية أيضا بحجارة أعيد استعمالها من الفترة الرومانية ،ن حيث وجد من بينها النصب والنقاش اللاتينية

[1472] P.Monceaux, enquete épigraphique chrétiennes d'Afrique, Rev.Archeo.1903,4s ,2,p.248-253

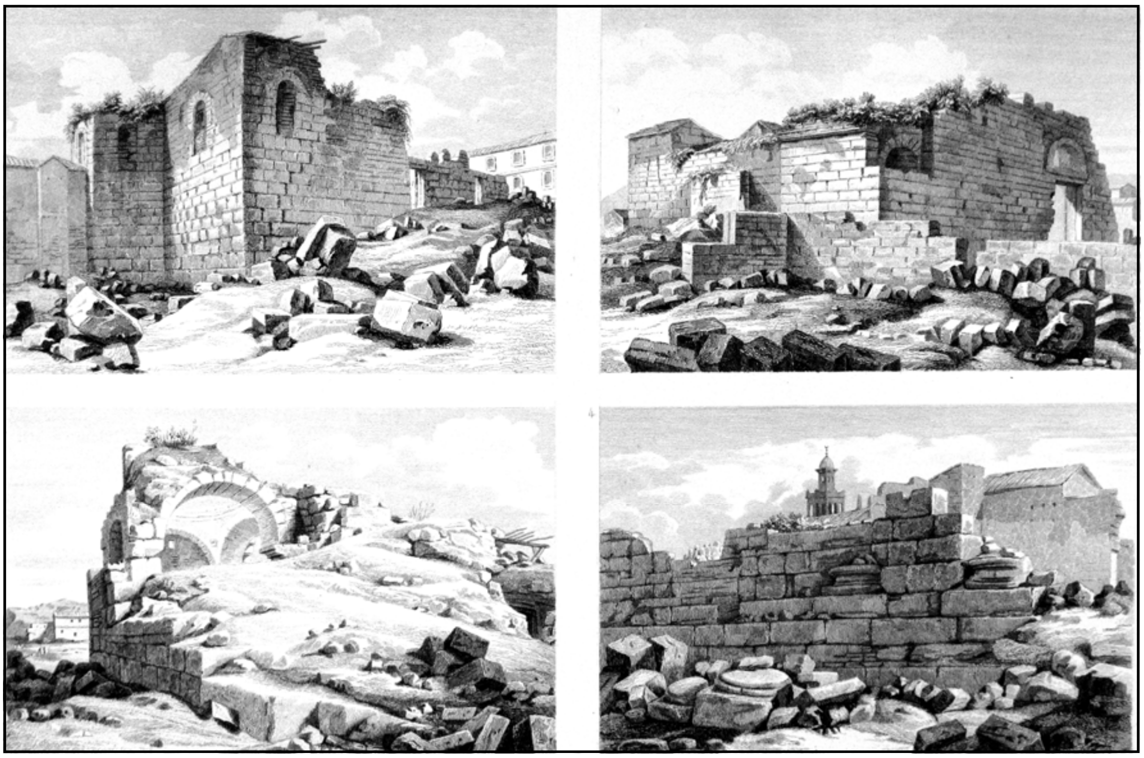
[1473] يبدو أن أسوار المدينة ، عشية الحملة الفرنسية ، كانت تحتوي على معالم بناء يعود إلى الفترة الرومانية، أو البيزنطية

- كما أشار فار Vars[1474] بأن عملية حفر الأسس لبناية البلدية Hotel de ville قد سمحت باكتشاف أسس البناية العتيقة تحمل مواقفات التحصينات البيزنطية، أوعلى الأقل تعود إلى العصور المتأخرة من التاريخ القديم. وحسب برينغل فالسور الشرقي للقصبة يبدوأنه شيد على نفس الأسس للبناية الرومانية أوالبيزنطية، وهوما يتجلى من نصوص رافوازي، الذي يشير بأنه في عمق ثلاثة أمتار نعثر على كتل البناء الرومانية.



الشكل رقم: 78 قسنطينة في ألواح رافوازي

[1474] Ch.Vars, inscriptions inédites de la province de constantine, RSAC,1898,p 343



شكل رقم 79 المخلفات الأثرية بقسنطينة من خلال ألواح دولامار

A.A.Alg., 17, 89	CASTELLVM TIDDITANORVM	تيديس	رقم: **32**

الإسم التاريخي للموقع :

مكانته في الخريطة الجغرافية:

تمثل محطة العبور الأساسية انطلاقا من قسنطينة باتجاه الغرب، ولعل موقعها كمدينة نوميدية على مشارف سيرتا، ثم إحدى مدن الكونفدرالية السيرتية، جعلها ترتبط بتطورات هذه الأخيرة

مكانته من طرق المواصلات:

لا تبعد عن مدينة سيرتا سوى، ويبدومن خلال نشاطها الحرفي ووبفضل منشآتها المسيحية

خرائط الطرق الرومانية:

تمثل نقطة العبور الضرورة من وإلى سيرتا من جهة الغرب، فضلا عن ارتباطها بالمسالك المؤدية نحوجيجل.

المصادر الأدبية والنقائش:

لم يتم العثور على نصوص بيزنطية، رغم وجود العديد من النصوص المسيحية

المصادر المسيحية

وردت في قائمة 484

النصوص الأثرية البيزنطية:

لم نعثر على نصوص بيزنطية

المواصفات التقنية للقلعة البيزنطية

ترتكز معلوماتنا على تقارير برتيي Berthier الذي اعتبر أن بقايا البرج وجانب من السور اللذان يشرفان على الجهة الشرقية من المدينة يعودان للفترة البيزنطية، بحكم طبيعة البناية التي أعادت استعمال مواد البناء القديمة، وقدرت مقاسات هذا البرج ب 9م /4.5م. وبالتالي فقد اعتبرها تمثل بقايا القلعة البيزنطية، رغم أنه لم يتم العثور على الجهات الأخرى لم وامتدادات هذه البناية بل أشار الباحث نفسه الى وجود معالم السور الروماني، وحتى النوميدي، مما يفترض امكانية مواصلة نفس السور باصلاحه وإدخال الترميمات الضرورية

المنشآت المعاصرة للعمارة البيزنطية

تحدثت التقارير عن وجود كنيستين:

1. بازيليكا بثلاثة أروقة، على جانب الطريق الرئيسي للمدينة[1475]
2. بازيليكا ثانية اشار إليها فيفري[1476]

[1475] Berthier, Tiddis..

[1476] P.A.Fevrier, travaux et découvertes en Algerie, dans actas del VIII congresco .... p 316-317

البيبلوغرافيا المعاصرة

Ch. Diehl, Afr. Byz. p. 297; A. Berthier, Tiddis, Antique Castellum Tidditanorum, Alger, 1951, p. 16; 54-55; plan; Id., Tiddis, Haut lieu de l'Algerie antique, Archeologia, 42, 1971, p.14; Id., Tiddis, Antique Castellum Tidditanorum, Alger , 1972, p. 52; fig. 29; plans; Id., Tiddis cité antique de Numidie,mémoires de l'Académie des inscriptions et belles lettres, NS, TXX, Paris, 2000 ; A. Berthier et M. Leglay , Le sanctuaire du sommet et les stéles à Baal-Saturne de Tiddis, Libyca AE ,6, 1958, p.23-73; J. Lassus l'archéologie algérienne en 1958, Libyca AE,7,1959, p.294-300; fig. 68;

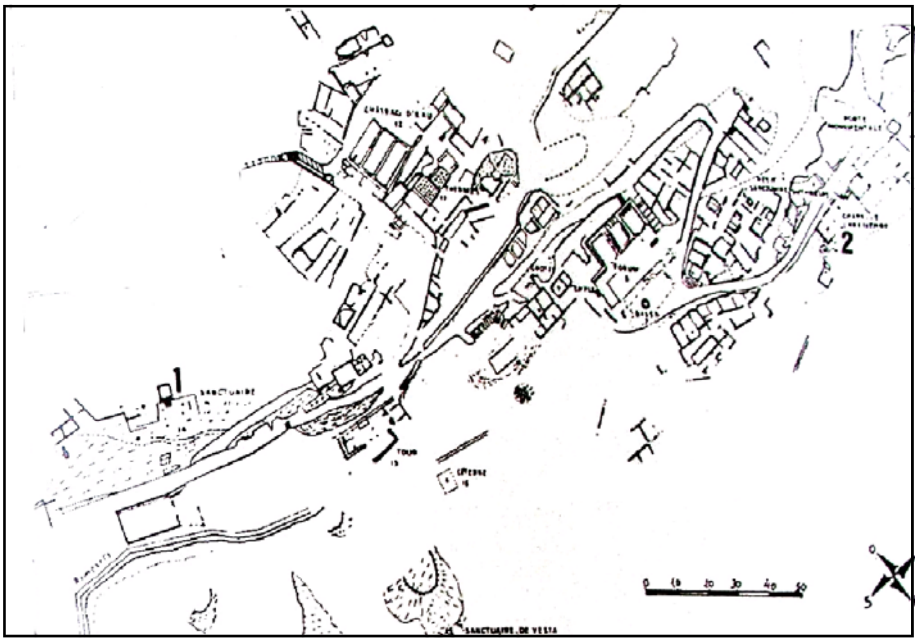
تطور وضعية الموقع أوالمدينة في الفترة ما بين القرن الخامس والسابع

يصعب الحديث عن تطور العمران في الفترة المتأخرة من التاريخ القديم، فرغم اكتشاف المعالم الكنسية وما يمكن اعتباره جانب من القلعة البيزنطية، تظل قراءة الموقع ترتبط بمنك الطريق الرابط بين قسنطينة وبقية المواقع، دون القدرة عن استعراض تطورها الداخلي. و مع ذلك فقد ثمنت اكتشافات بيرتي لكمية معتبرة من الفخار ذي الطلاء و التي تعود إلى غاية القرن 11م، رغم إقراره بوجود فجوة تاريخيةكبيرة في تاريخ هذه المدينة بين فترة الفتوحات و الفترة الفاطمية[1477].



الشكل رقم: 80 صورة جوية لموقع تيديس Berthier

[1477] A.Berthier, Tiddis cité antique de Numidie, mémoires de l'Académie des inscriptions et belles lettres, NS,TXX,, Paris,2000, p.459-461



الشكل رقم: 81 مخطط موقع تيديس



الشكل رقم: 82 البرج البيزنطي لموقع تيديس حسب قراءة بيرتي

رقم:33	برج القصر	Sila		A.A.Alg.17.333

الإسم التاريخي للموقع :

مكانته في الخريطة الجغرافية:

توجد جنوب شرق قسنطينة، على بعد 32كم، ولا يفصلها عن سيقوس سوى 10كم وبالتالي فهي على امتداد الطريق الممتد بين جبل تساليا وجبل فرطاس. وتتميز بابتعادها عن الطريق القادمة من قرطاج باتجاه قسنطينة، حيث لا يربطها بهذا المسلك سوى الطريق التي تمر على سيقوس نحو قسنطينة

المصادر المسيحية

ذكر الاسم في عدد من المجامع الدينية: 256، 411، 484 ، إلا أن الموقع تميز باكتشاف بقايا كنيستين تعودان إلى نفس الفترة[1478]، وعدد من النصوص الجنائزية المسيحية ، خاصة منها بقايا رفاة المستشهدين، حيث تم العثور على عدد من النصوص التي أكدت الفرشة الزمنية التي تصل على نهاية القرن السادس[1479].

النقائش:

تميز أحد النصوص الجنائزية لدفن بقايا رفاة المستشهدين ال108 رفقة رفاة كل من القديس ماركوس Marcus وأوبتات Optat. بإدراجه المرجعية التاريخية المتمثلة في الامبراطور تيبيريوس Maurice Tiberius وزوجته قسطنطينة، فضلا عن الإشارة إلى القائد العام للجيش البيزنطي غيناديوس Gennadius. مما أدى إلى اقتراح الفترة ما بين 585و591م[1480].

« In nomine patris et / fili(i) et sp(iritu)s s(an)c(t)i deposi/t(a)e sunt r(e)l(i)q(uia)e s(acto)r(u)m m(a)r(tyru)m / Marci Optati et CVIII / d(i)e pri(d=Z)ie N(o)n(as) Mai(i)as / ind(ictione) III a v(i)ro be(a)tissi)mo / Bonifatio ep(is)c(op)o / et propri(i)s / [M]an[ib]us // **I(m)p(erantibus) d(o)m(i)no n(ostro) Mauricio / Tiberio et Co(n)stantina / Aug(ustis)** te(m)p(o)r(i)b(u)s gl(o)r(io)si / **Gennadi m(a)g(istri)** m(i)l(itum) / Af{f}ric(a)e et ex c(onsu)l(e) / fel(i=E)(cis)s(i)m(i) pr(es)b(yteri) mart(y)r(i)s / Cresc(oni) ob re(d=Z)i(bi)c(ione)s / p(ri)(d=Z)(ie)s M CNI »

البيبلوغرافيا المعاصرة

Cherbonneau, Excursion dans les ruines de Mila, Sufevar, Sila et Sigus, pendant l'été de 1861, RSAC,XII, 1868, 412-419 ; Ch.Diehl, Arch.Miss. p.350, Id., Afr. Byz., p.287 ; Ch. Tissot, Géographie, II, p. 400 ; A. Poulle , Inscriptions diverses de la Numidie et de la Maurétanie Sétifienne, RSAC, 26, 1890- 1891, p. 317-319 ; St. Gsell, Mosaique romaine de Sila, RSAC, 39, 1905, p. 2- 3 ; Alquier, Epigraphie latine et lybique du département de Constantine, 1926- 1931 ; A. Berthier, F. Logeart et M. Martin, deux basiliques chrétiennes de Sila, Constantine 1942, p. 40- 43 ; P. Goubert, Byzance avant l'Islam p.187- 189 ; Y. Duval, Loca Sanctorum, I, p. 215- 231, N°106- 111 ; D.Pringle, The Defence, p. 300 ;J. Durliat, les dédicaces d'ouvrages de Défense, p.163, N° : 47- 49 ;Y. LeBohec, de Sila a Gadiaufala, p.295-298

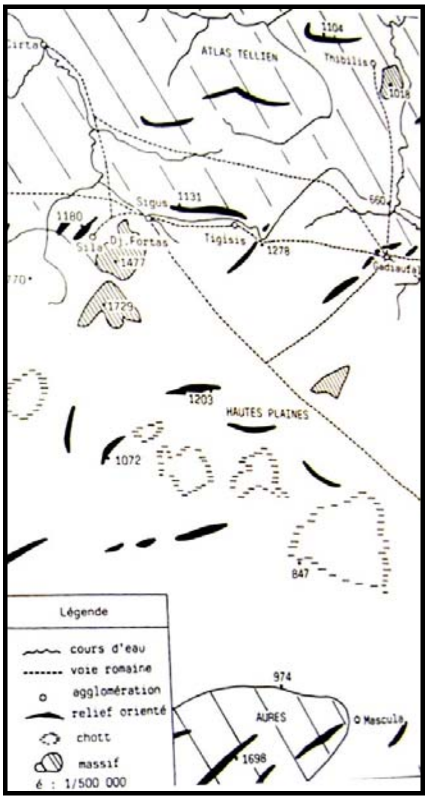
[1478] A.Berthier, F.Logeart et M.Martin, 1942, p40-43
[1479] Y.Duval,1982,I,p 215-231, N°106-111
AE 1937, 00148 = AE 1946, 00241 = ILAlg-02-02, 07200
[1480] Y.Duval,1982,I,p 2 20; Durliat la lettre L, p163 N° :47-49

المواصفات التقنية للعمارة البيزنطية

عبارة عن حصن مربع الشكل، يقدر ب 50م/50م، تدعمه أربعة أبراج وضعت حسب التقارير ليس في الزوايا وإنما في وسط الأسوار. وقد بلغ سمك الأسوار بين 1.40م و2.19م، بنفس التقنية البيزنطية. وقد لوحظ توظيف كبير للحجارة المستعملة، لا سيما حجارة معاصر الزيتون. وقد أشار بولل Poulle إلى وجود اسوار قلعة أوسع لكن يصعب الربط بينها و بين القلعة البيزنطية[1481] .

نظرة تقيمية للموقع

يشكل الموقع رفقة كل من فج درياس قصر صبيحي، سلاوة أنونة و تيجيسيس(عين البرج) شبكة من المدن ليس فقط لمراقبة الطريق الريسي القادم من قرطاج و إنما أيضا من أهم مواقع إنتاج القمح و الزيتون، و لعل هذا ما يبرر امتداد الصراع البيزنطي الموري لهذه المناطق



الشكل رقم: 83 خريطة المواقع والمواصلات التي تربطها بعين القصر

[1481] A. Poulle , Inscriptions diverses de la Numidie et de la Maurétanie Sétifienne, RSAC, 26, 1890-1891, p. 318

A.A.Alg.17.340		TIGISIS	عين البرج	رقم:34

الإسم التاريخي للموقع :

مكانته في الخريطة الجغرافية:

شيدت فوق مرتفع يصل إلى حوالي 950م، ويتميز بانحدار الشديد من جهة الشمال ، ليشرف بذلك على السهول الواسعة. وبذلك فهي تحتضن رفقة كل من قصر صبيحي وفج بودرياس على شكل نصف دائرة سهول وادي زناتي،، كما تشرف من جهة الجنوب الغربي على حوض البحيرة الطويلة. كما تشكل محطة أساسية على الطريق المتوجه إلى قسنطينة من قرطاج، حيث لاتبعد إلا بمسافة 40كلم جنوب شرق قسنطينة، كما تتوسط الطريق بين قصر الصبيحي وسيلا. ويجب الإشارة إلى منبع الماء الذي يسيل بغزارة، حسب تعبير بركوب والموجود في الجهة الغربية.

خرائط الطرق الرومانية:

ذكرت في الواح بوتينجر

المصادر الأدبية والنقائش:

خضع الموقع لعدة حفريات، كانت أولاها من طرف الضابط العسكري بول Poule سنة 1860، تبعتها الدراسة التي نشرها شاباسيير Chabassiere بناءا على حفريات كل من Goytو Luciani ، وفي سنة 1955 نظمت أخر حفرية من طرف كل من بوتييه Pouthier ولانسيل Lancel . لكنه لم يحض بأية دراسة علمية طويلة المدى، مما جعله أكثر عرضة للإندثار.

المصادر البيزنطية:

اكتسبت المدينة شهرة خاصة بفضل نص بروكوب في حديثه عن أصل المور: " وقد شيدوا....." فضلا عن إشارته لها في أثناء حديثه عن المعركة التي دارت بين الأمير الأوراسي يبداس والقائد البيزنطي ألتياس [1482]، ورغم أن الحفريات الأثرية لم تتمكن من العثور على هذين النصين[1483]. وفضلا عن تكرار ذكرها من طرف بروكوب، فقد اعتبرها جورج القبرصي في حدود 600[1484] من بين المدن النوميدية، كما وردت ضمن مراسلات القديس جريجوار الكبير، في حدود 602 حيث أشار إلى قس هذه المدينة المدعو: بولينوس Paulinus[1485]. وقد أشرنا إلى النقيشة الإهدائية المكتشفة بتيمقاد والتي أنجز صاحبها، Ioannesكنيسة بصفته دوق تيقيسيس، فكان لهذا التأكيد أهمية كبيرة ليس فقط في إصراره

1482 B.V.II,13,2-3. أنظر البطاقية الخاصة بفج بودرياس

1483 Procope,BV,II,10,21-22 ;13,5; de Aed., VI, 7, 10

1484 George de Chypre, 664

1485 Gregoire le Grand, Ep. 12,28-29, p. 824

على ذكر مركز سلطته بل في استمرار هذه السلطة الى منتصف القرن السابع، باعتبار النقيشة قد أرخت في الفترة ما بين 642و647.[1486]

المصادر العربية:

أوردها اليعقوبي، بأن فيها العجم و البربر[1487]. أما ابن حوقل فقد اعتبرها "مدينة لها سور و ربض قد استدار من قبلتها إلى بحريها و سوق صالح و ماء جار من عين تعرف بتبودا"[1488] البكري" مدينة أولية شامخة البناء كثيرة الكلأ و الربيع"[1489]، " عليها سور صخر رومي و لها ربض و بها أسواق..."[1490]، فضلا عن الأهمية التي اكتستها في الفترة الحمادية[1491].

النقائش:

اكتشفت سنة 1956[1492]، نقيشة بيزنطية ترجع بناء القلعة إلى زمن الامبراطور جستنيان، وقد سمحت قراءة ما تيسر منها بإرجاعها إلى الفترة الثانية من عهد سولومون، رغم إشكالية قراءة JUSTI الموجودة في السطر الأول ، هل هي جستنيان أوجستين.

[D(omino)]N(ostro) Im(erante) <u>Iusti[niano]. ?. Iusti[no]</u> ? factus est..

البيبلوغرافيا المعاصرة

Ch.Tissot Géographie, p. 420- 423; M.Boisnard, L'inquiete Byzance africaine, p. 35; J. Chabassiere, Fouilles faites à Ain el Bordj (Ticisi) RSAC,22, 1882,222-231, pl .XIV-XVI; ch. Diehl Archi des Miss, p.356-362; Id.,A Afr.Byz. p. 74, 193, 267, fig. 50; St.Gsell Les Monuments, II, p. 362-364; fig. 157; S.Lancel, et Pouthier , premiere campagne de fouilles à Tigisis, MEFR,69,1957, p.247-253; J.Lassus, l'Achéologie Algérienne en 1955, Libyca AE,4, 1956, p.180; fig. 5-9; Id., Rapport sur l'activité de la Direction des Antiquités de l'Algérie, CRAI,1956, p.54-55; Id. Tigisis, Ain el Bordj (Constantine), FA,10,1957, p.540-541; C.A.Moll, Inscriptions romaines trouvées à Tebessa et dans ses environs, pendant les années 1860 et 1861, Ann.Constantine,1860-61,p.252-263; p1. VI; A.Poulle, Inscriptions de la Maurétanie Sétifienne et de la Numidie,RSAC, 1878, p.375-377; .Romanelli Topografia, p.404.

المواصفات التقنية للقلعة أوالمدينة البيزنطية

تتميز بشكلها الهندسي المضلع، والذي يقدر بحوالي 217م طولا و190م عرضا. بمساحة 3,96ه[1493]. شيدت أسوارها بنفس التقنية البيزنطية ذات الوجهين، وبسمك يتراوح بين 2.30م و2.50م.

[1486] CIL 08, 02389 = CIL 08, 17822 = ILCV 01832 :
In temporibus Constantini Imperatori(s) Bel(licio?) Gregorio patricio / Ioannes dux de Tigisi offeret domum die Armenus ; cf. Durliat, 1979a, p162,N° 36

[1487] اليعقوبي، البلدان، ص 190

[1488] ابن حوقل، صورة الأرض، ص 87

[1489] أبو عبيد البكري، المسالك و الممالك، ص53

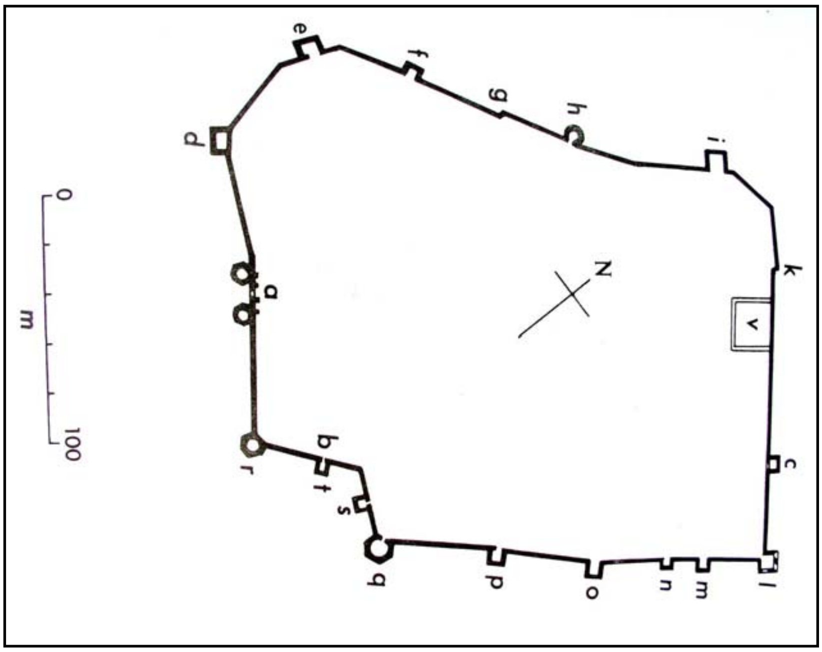
[1490] نفس المصدر، ص 63

[1491] P.L.Cambuzat, l'évolution des cités, II, p. 220-223

[1492] S.Lancel et P.Pouther, premiere campagne de fouilles à Tigisis, MEFR,69,1957, p.251-253 ; cf, Durliat,les Dédicaces d'ouvrages de defense, p 52-54, Pringle, The Defense of Byzantine Africa, pp 246-248

ويبدوأن ارتفاع أسوارها في بداية القرن التاسع عشر، كان يتجاوز 6م خاصة من الجهة الشمالية الغربية[1494].

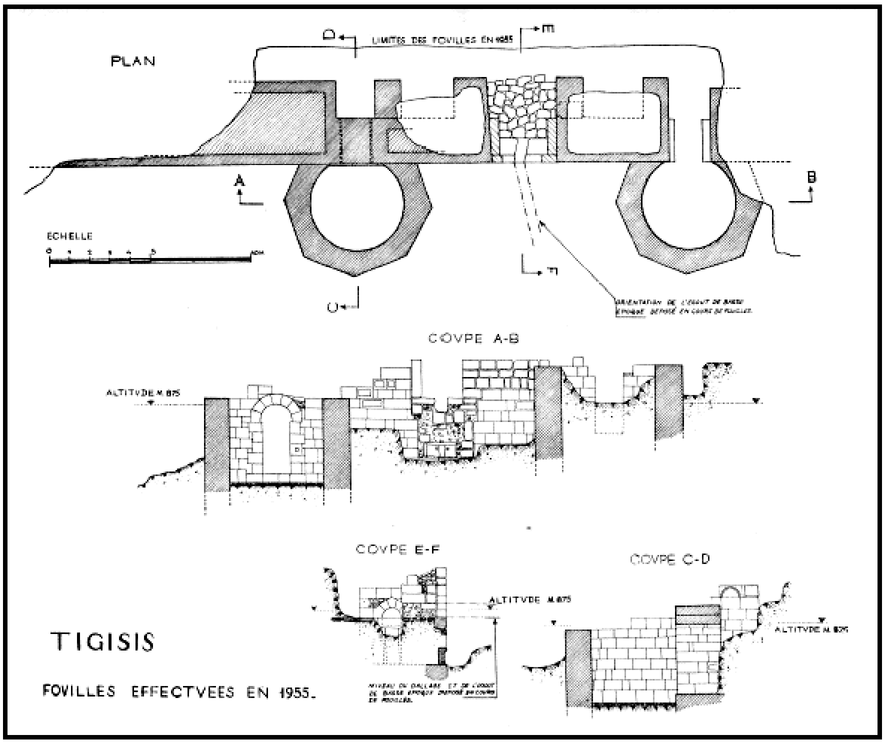
كما تتميز بوجود 15برجا موزعة على محيط القلعة، بعضها مستطيل والبعض الآخر خماسي الأضلاع، أوأكثر، فضلا عن وجود بناية مستطيلة داخلها (17/27م)، في قمة المرتفع من الجهة الشمالية الشرقية للقلعة.كما كشفت حفريات 1955 عن بناية مماثلة (16/17م) اعتبرت بمثابة خزان الحبوب.



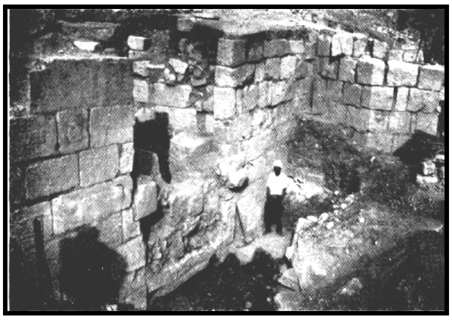
الشكل رقم: 84 مخطط القلعة حسب شاباسيي

1493 Diehl,Archi.Miss.,p361 ; Gsell,les Monuments,II,362-364

1494 Chabassiére,1882, 222-231 ; Diehl,1896, p219 و يلاحظ ديل درجة التشابة الكبيرة بين قلعة تيقيسيس و تيفاش

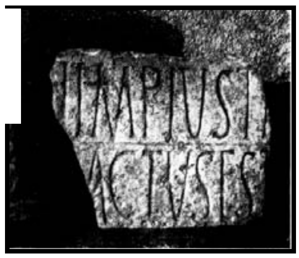


الشكل رقم:85 مخطط الأسوار و الأبراج حسب حفريات لانسيل Lancel و بوتييPouthier

الشكل رقم: 86 صور عن القلعة

[D(omino)] N(ostro) Imp(erante) Iusti[niano].
factus est...



الشكل رقم: 87 صورة النقيشة البيزنطية

رقم 35	قصر صبيحي	GADIAVFALA		A.A.Alg.18.159

الإسم التاريخي للموقع :

مكانته في الخريطة الجغرافية:

يوجد جنوب شرق قسنطينة على مسافة حوالي 66كلم و حوالي 35كلم شمال غرب عين البيضاء.في موقع مرتفع يشرف من جهة على سهول الحراكتة الواسعة و من جهة أخرى على المناطق المرتفعة التي تغذي مجرى وادي شارف و روافده. و تكمن أهمية الموقع في إشرافه على ملتقى الطرق الرئيسية، الطريق الرابط بين قرطاج و سطيف، والذي يمر عبر تيفاشTipasa و خميسة Thubursicu Numidarum، ثم تيجيسTigisis إلى سيرتا Cirtaو الطريق الرابط بين سيرتا و تبسة Theveste ، فضلا عن المسلك المؤدي بسلاوة أنونة Thibilis و قالمة Calama

خرائط الطرق الرومانية:

وردت في المسلك الأنطوني[1495] مثل طاولة بوتينجر كما اعتبرها بروكوب على مسافة يومين من قسنطينة.[1496]

المصادر المسيحية

نعرف شخصيات المدينة في المجامع الدينية لسنوات 256 و 484. كما سجلت تقارير القرن التاسع عشر وجودكنيسة بيزنطية بثلاث أجنحة (25م على 12م)[1497] ولعلها نفسها التي اشار إليها بروكوب عند حديثه عن لجوء الدوق النوميدي مارسيليوس و رفقائه و اختفائه بها أثناء حركة التمرد التي قادها ستوتزاس. حيث تم اللحاق به و قتل الجميع.[1498]

المصادر البيزنطية:

أوردها بروكوب باسم Gazophyla في حديثه عن حركة التمرد التي قادها ستوتزاس

النقائش:

لم تكتشف النقيشة كاملة و إنما تمت قرءتها من خلال الشطرين الذين اكتشفا في محيط القلعة[1499]

Deo iubante temporibus / Iustiniani et Theodorae piis/[si]m{m}orum Aug(ustorum) dominorum nostrorum // {AVGDN} // dominorum nostrorum / providentia Solomonis excellen/tissimi magistri militum ex consule / bis pr(a)efecto praetoriorum Africae {h}ac / patricio fa[bric]atum est

البيبلوغرافيا المعاصرة

Bernelle, Notice sur les ruines et les voies romaines de l'Oued Cherf,p.514-515; Ch. Diehl, Afr.Byz. p. 287,601-603, 607-609; St.Gsell, Notes sur quelques forteresses antiques, p.267-271; plans; Id., les Monuments, II, p.368-369; H. Dessau, Gadiaufala, dans RE, XIII, 1910, col. 461-462; Ch. Tissot, Géographie, p.418 ; J.Maguelonne, Chronique archéologique, RSAC,42,1908, p.301-302 J. Mesnage, Evêchés, p. 364 ; P. Romanelli Topografia,

1495 Itinéraire Antonin, 42,1,p.6
1496 Procope, B.V.II,15,52
1497 St.Gsell, les Monuments,II,71,p.217
1498 Procope, B.V.II,15,59
1499 CIL 08, 04799 = ILAlg-II-02, 06173 = ILCV 00797
أنظر دورليا: J.Durliat, les dédicaces des ouvrages de defenses, p.198.

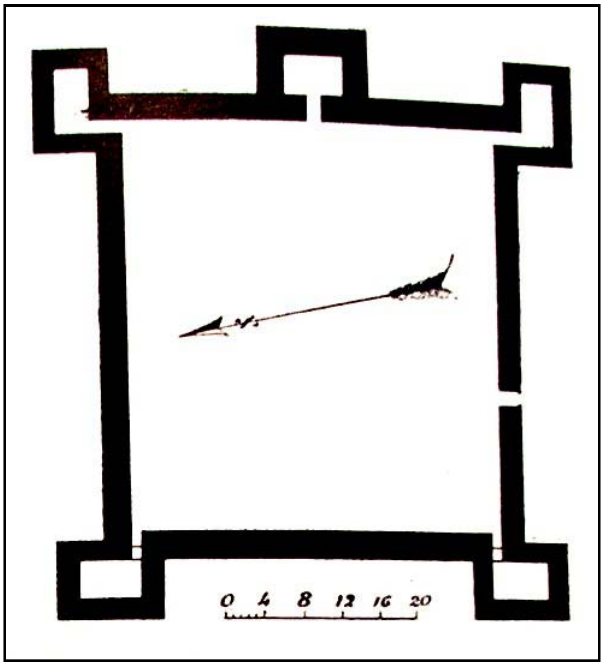
p.447,487,534. J-L.Maier, Episcopat, p.144 ; A. Mandouze, Prosopographie, p.1264 ; H-G.Pflaum, ILAlg. II, 2, 1976, p. 575 ; I.Gui, N.Duval et J.P.Callet, Basiliques chrétiennes d'Afrique du Nord,p.325-326 ; J.Durliat, Les Dédicaces de fortifications, p.44-46 ;D.Pringel, The defence, p.198 ;Y.LeBohec, De Sila à Gadiaufala, p.310-313 ;

المواصفات المعمارية

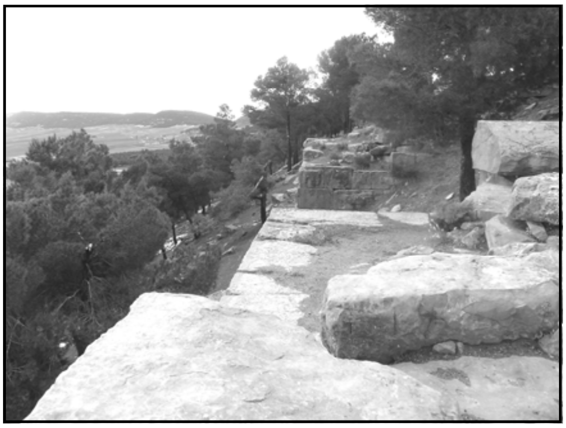
عبارة عن حصن صغير يقدر ب 47م طولا على 44م عرضا، تدعمه أربعة أبراج مربعة على الزوايا و برج خامس، مستطيل يتوسط الواجهة الشرقية[1500]. كما يبدو أنه في بداية القرن 19 كانت الأسوار تتجاوز بضعة أمتار ارتفاعا. في حين بلغ سمكها 2.60م في الأسوار و البرج الخامس، و 2م في بقية الأبراج. و يشير غزيل إلى أن القلعة البيزنطية قد أعادت استعمال نفس مواد البناء المستعملة في القلعة الرومانية التي شيدت في نفس المكان[1501]. كما يبدو أنه كان يحيط بهذا الحصن سور بسمك 1.5م على مسافة مابين 20 و30م من البناية المركزية، دون أن يتم التأكيد على طبيعته و تأريخه، مما جعل غزيل يميل لفرضية أن يعود لفترة متأخرة جدا؟

وعموما فمقاسات هذه القلعة تسمح بافتراض إشرافها على المعابر الأساسية، دون أن تلعب نفس الدورالذي حضيت به قلعة تيجيسيس.

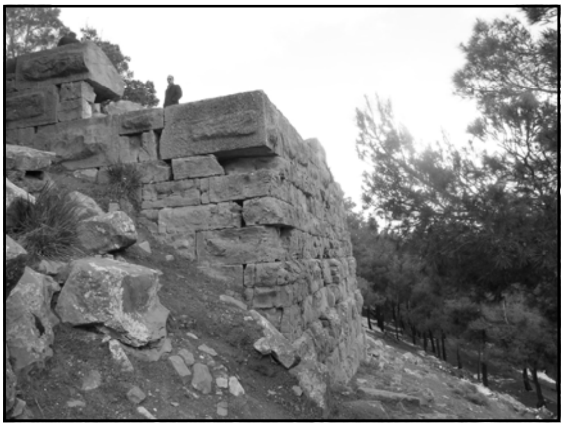
[1500] سجل برينغل مقاسات أخرى داخية: 41.8 على 38,8م بمتوسط 0.16هكتار:
D.Pringle, The Defense of Byzantine Africa, p.198
[1501] St.Gsell, les Monuments, II,p.368



الشكل رقم: **88** مخطط القلعة البيزنطية حسب غزيل



الشكل رقم: **89** السور الشرقي
الشرقي



الشكل رقم: **90** البرج الشمالي



الشكل: نقيشة .....قصر صبيحي...

رقم 36	سلاوة أنونة Announa	Thibilis		A.A .Alg.18,107

الإسم التاريخي للموقع :

مكانته في الخريطة الجغرافية:

توجد على امتداد الطريق الممتد بين قلاما وقسنطينة، وقد شيدت المدينة على سفوح مرتفعات أنونة، التي تحميها من الجهة الغربية. مما أعطاها أهمية استراتيجية كبيرة في الاشراف على هذا المسلك وعلى السهول المحيطة بها

المصادر الأدبية والنقائش:

المصادر المسيحية

شاركت أبرشية المدينة في مجمع قرطاج سنة 411، كما ذكرت في قائمة 484

النقائش:

رغم أنه لم تكتشف نقائش بيزنطية ذات مدلول عسكري، فقد اعتبرت نقيشة فوستينيوس الذي دفن داخل الكنيسة بمثابة دليل على استمرار الحياة الحضرية بهذا الموقع[1502]:

« F[au]stinus,depos'situs), in pace,vixit annos… ; d(p)ositus)s(u)b d(ie) XII k(a)l(enda)s maia[s,ind(ictione)V » (crois monogramatique)

البيبلوغرافيا المعاصرة

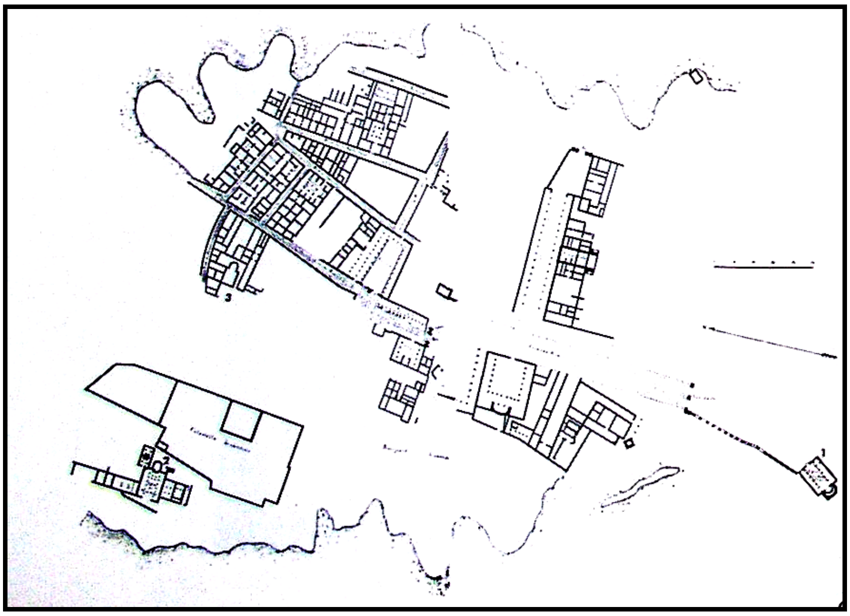
A.Ravoisie, Exploration scientifique de l'Algerie, pl. 3-4; R.Bernelle, Notice sur les ruines et les voies romaines de l'oued Cherf, (Departement de constantine), BACTH,1892,p.500; M.Boisnard, l'inquiéte byzance, p. 35; Diehl, Rapport sur deux missions archéologiques. p.366-370; Id., Afr.Byz. p. 289; St.Gsell, Les Monuments, p.391-392 n°3; Id.,Texte explicatif des planches de De La Mare, p.144; Gsell et Joly Kahamissa, Mdaourouch, Announa, Fouilles executées par le Service des Monuments Historiques de l'Algérie, 1914, p.44-45; Pl. XII; C.A.Joly, Thubursicum Numidiarum (Khemissa), RSAC, 39,1905, p.243-244 ; E.Mercier, Notes sur les ruines et les voies antiques del'Algerie, BACTH, 1888,p.111; A.Poulle, Inscriptions diverses de la Numidie et de la Maurétanie Sétifienne, RSAC,26, 1890-91, p.339 - 344; P.Romanelli,Topografia,pl. 42

المواصفات التقنية للعمارة البيزنطية

تحدثت تقارير القرن التاسع عشر عن سور من الناحية الجنوبية لحماية المدينة، شيد بالحجارة الضخمة المستعملة من مقبرة وثنية، كما يبدوأنه كان مدعما بأبراج مستطيلة الشكل. كما أشار غزيل أن قوس النصر الجنوبي على أنه أصبح من المداخل المحصنة للمدينة[1503]. كما تمت الإشارة إلى نقيشة فوستينوس الذي يبدو أنه دفن في الفترة البيزنطية المتأخرة في

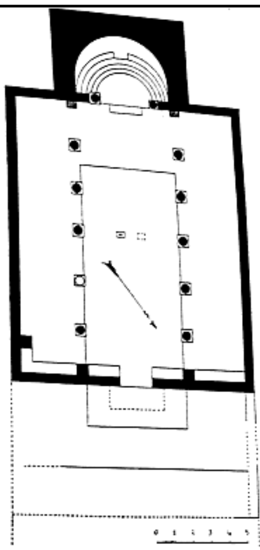
[1502] Gsell et Joly Kahamissa, Mdaourouch, Announa, p.99,n°1, ILAlg-02-02, 06091
[1503] St.Gsell, Les Monuments, p.392 n°3

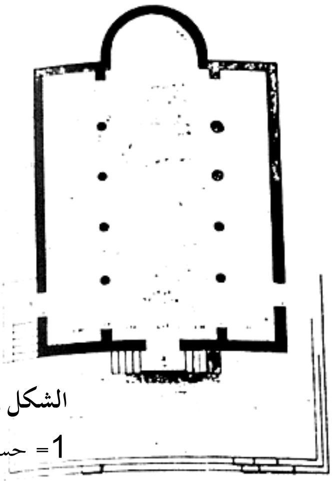
البازيليكا المسيحية[1504] ، مما سمح بافتراض عودة نفس المجمع الكنسي للفترة البيزنطية، و هو ما تدعمه بعض الاكتشافات الأخرى.



الشكل رقم: **91** المخطط المعماري لسلاوة أنونة مع توزيع المنشآت الكنسية، حسب عزيل و جولي

[1504] ILAlg-02-02, 06091





الشكل رقم: **92** مخططي الكنيسة:

1= حسب رافوازي

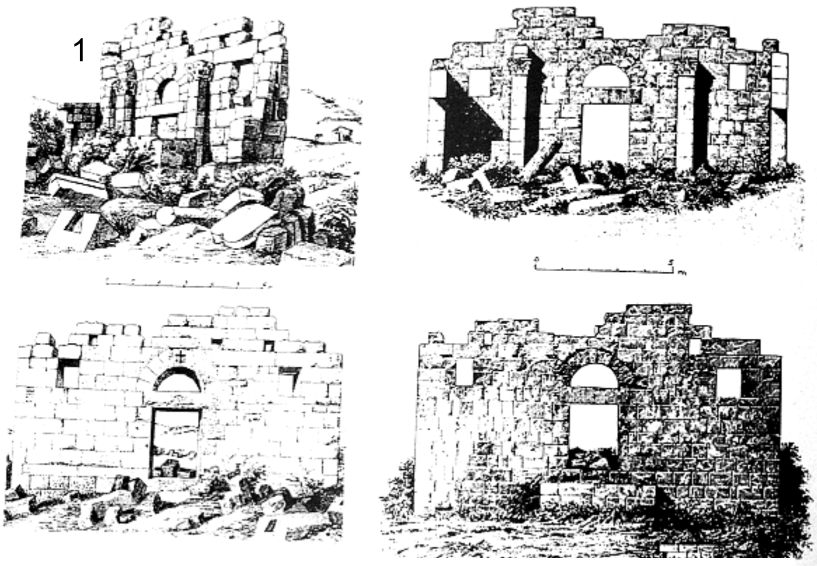
2= حسب غزيل و جولي

2



صورة لسلاوة أنونة حسب الواح رافوازي

1



الشكل رقم: **93** صور عن كنيسة سلاوة حسب الواح رافوازي

رقم: 36	قالمة	Calama		A.A.Alg. 9, N°146

الإسم التاريخي للموقع :

مكانته في الخريطة الجغرافية:

توجد على سفوح جبال ماونة، وتشرف على حوض سيبوس وسهول الحبوب الواسعة حولها. ولعل أهميتها ترتبط أكثر بعراقتها في التاريخ القديم، فبفضل الشواهد الليبية والبونية تأكدت مكانتها في التشريعات الرومانية، حيث تم الحفاظ على تنظيم الأشفاط كتكريس لتقاليدها الحضرية قبل فترة الاحتلال الروماني[1505]. كما تكمن أهميتها بالنسبة لفترة دراستنا في تأرجحها بين الولاية البروقنصلية والنوميدية[1506].

خرائط الطرق الرومانية:

رغم عراقتها في التاريخ، فلم يرد اسم المدينة في المسالك الرومانية

المصادر الأدبية والنقائش:

اقترح لونسيل Lancel[1507] مطابقة نص بول أوروز P.Orose[1508] مع موقع سوتول الذي اشار إليه سالوست Salluste، والقريب من قالمة والذي يفترض أنه احتضن الموقعة الشهيرة التي جمعت بين يوغرطة والقائد الروماني بوستيموس A.Postumius. ويجب الإشارة الى الاكتشاف الأثري لحوالي7499 قطعة نقدية رومانية تعود أغلبها إلى القرن الثالث ميلادي[1509]

المصادر المسيحية

كانت بمثابة مدينة محصنة وأبرشية ، وبفضل اسقفها الشهير بوسيديوس[1510]، الذي كان صديقا للقديس أوغسطين وأحد مراسليه، فضلا عن كونه من المعارضين الأشداء للمذهب الدوناتي. كما تخبرنا مراسلات القديس أوغسطين أن كريسبينوس الدوناتي قد حاز على قطعة أرض من الأملاك الامبراطورية[1511]. وقد ارتبط اسم المدينة أيضا بفترة الاستشهادات

[1505] أنظر شنيتي ، سياسة الرومنة، ص:

[1506] Apres avoir ete placee en numidie, elle fut sous l`Autorite de Proconsul d`Afrique au temps de Diocletien.

[1507] S.Lancel , Actes p 13…

[1508] P.Orose, (V,15,6)

[1509] -G.Souville,Enc.Ber. XI ,p 1707,1708.

[1510] شارك الأسقف بوسيديوس لوحده في مجمع قرطاج لسنة 411، لكون خصمه الدوناتي كريسبينوس قد وافته المنية

أنظر أيضا : Mandouze ،Gesta,I,139,1. 15-20,P 786 et 788) - Crispinus–a,prosopographie,p 890-896,1254.

[1511] C.Lepelley, deux Témoignages de saint Augustin sur l'acquisition d'un domaine impérial ;dans, Aspects de l'Afrique romaine, pp 231-242

المسيحية التي رافقت فترة الامبراطور دقلديانوس[1512]. كما وردت في مجمع قرطاج 411، وفي قائمة 484 ضمن القائمة النوميدية،

المصادر البيزنطية:

أورد بروكوب أن منشآت دفاعية هامة قد أقيمت في عهد جستنيان، كما أوردها جورج القبرصي في القائمة النوميدية[1513].

المصادر العربية:

ذكرت في القرن الثاني عشر من طرف الإدريسي كمحطة على مسافة يومين من قسنطينة.[1514]

النصوص الأثرية البيزنطية:

أقيمت القلعة في نفس موقع المدينة الرومانية مع تقليص مساحتها، حيث وجدت ثلاث نقائش[1515] : تؤكد النقيشة الأولى بالافتخار برفع الأبراج الثلاثة عشرو أبواب القلعة، تحت رعاية الشهديدين كليمونس و فينكونتيوس. بينما اعتنت النقيشة الثانية بالتأكيد على مساهمة الكونت بوليس Paulus[1516]، تحت قيادة القائد سولومون. وهوأمر قلما نجده في النقائش الرسمية البيزنطي.[1517] ورغم أن النقيشة الثالثة مهشمة إل أنها احتوت على البطريق سولومون مما يجعلها لا تخرج عن النقيشة الأولى في تكريس تدخل هذا القائد في تشييد القلعة.

[1512] Y Duval, chrétiens d'Afrique a l'aube de la paix constantinienne, p. A. Mandouze, *Pros, Afrique*, I, p.1254, el *Crispinus 1, p, 252-253 ; Donatus 1, p.* 289-290 ; *Megalius, p. 741-742 ; Possidius* 1, p. 890-896 ; *Quothiundeus 16, p. 953*

[1513] Procope. deAed. VI,7,10. Georges. Chypre. 655

[1514] الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 161، 167

[1515] **لم أتمكن من العثور على هذه النصوص في المدينة**

1- CIL VIII, 05352 (p 1658) = ILAlg-01, 00276 = ILCV 00791 = ILCV +02103 :

« *Una et bis senas turres crescebant in ordine totas / mirabilem operam cito constructa videtur posticius / sub termas balteo concluditur ferro nu[ll]us malorum / poterit erigere man(um) patrici Solomon(is) insti[tu]tion(em) nemo / expugnare valevit defensio martir(um) tuet[u]r posticius ipse / Clemens et Vincentius martir(es) custod(iunt) introitum ipsu(m) Una et bis senas turres crescebant in ordine totas / mirabilem operam cito constructa videtur posticius / sub termas balteo concluditur ferro nu[ll]us malorum / poterit erigere man(um) patrici Solomon(is) insti[tu]tion(em) nemo / expugnare valevit defensio martir(um) tuet[u]r posticius ipse / Clemens et Vincentius martir(es) custod(iunt) introitum ipsu(m)* »

2- CIL VIII, 05353 = CIL 08, 17491 = ILAlg-01, 00277 = ILCV +00118 = ILCV 00803 :

« *Abbena veniens [qui] / urbem meliorata(m) in[tueris] / disce Solomonis patrici esse la[bor(em) quem ip]/sius iusso Paulus com(es) perfecit Cala[mensibus]* »

3- *CIL 08, 05346 = 05359 = 17529 = 17579 = ILAlg-01, 0278.* ILCV 01622

[In h]oc si[g]num vincimus inimic[os 3 pat]ri[c]iu(m) Solom[onem

[1516] CIL 08, 05353 = 17491 = ILAlg-01, 0277; J.Durliat, les dédicaces p.14-16

[1517] Durliat, les dédicaces, p 11-14

كما تحدثت العديد من نصوص القرن التاسع عشر عن موقع Aqua thibilitanae، حمام دباغ حالي، حيث تمت معاينة برجين بارتفاع يقدر بحوالي 5م، مما يعطي حصنا يقدر بحوالي 33/30م، وجد بداخله أيضا خزانا للمياه قدرت طاقته بحوالي 80هل[1518].

المواصفات التقنية للقلعة البيزنطية

تتميز القلعة البيزنطية، بأنها شيدت في المكان الأكثر ارتفاعا في المدينة الرومانية، وهي نفس القلعة التي أعاد تشييدها الفرنسيون في بداية الاحتلال، باحتضانها بناية الحمامات الرومانية القديمة والتي يعود تأسيسها الى حدود القرن الثاني ميلادي، وهي عبارة عن مضلع غير متساوي الأضلاع، يصل طوله 278م وعرضه 219م ، وقد دعمت القلعة ب 13 برجا[1519].

ويبدوأن تشييد القلعة قد مر بمرحلتين، حيث تمت حسب معاينات رافوازي وغريللوا Grellois التفرقة بين القسم الغربي وابراجه الخمسة، والذي يبدوعلى شكل مربع. وبقية أجزاء القلعة، والتي تتميز ب8 أبراج.

وهوما جعل كل من ديل غزيل يعتبران أن هذا القسم يعود الى فترة ما قبل الاحتلال البيزنطي.[1520] بينما تجلى الشطر الثاني من القلعة على أنه شيد في فترات لاحقة[1521]. وقد اقترح برينغل[1522] تصورا مماثلا إلا أنه اعتبر أن المرحلتين المتميزتين قد تتناسبان مع فترتي قيادة الضابط البيزنطي سولومون، ومن ثم تكون الفترة الأولى في حدود 534 بينما تعود الفترة الثانية والتي شيد فيها الجزء الثاني من القلعة ب 8 ابراج الى ما بين 539و544. وعموما فان المساحة الاجمالية للقلعة البيزنطية تقدر بحوالي 4.33 ه. مما يجعلها من بين المواقع البيزنطية الكبيرة.

البيبلوغرافيا المعاصرة

J.Mesnage, Èvéchés, p. 296-298. E.Audollent, dans DHGE11.334-337 ;A. Berbrugger, 1843-4-,14-15. A.Boisnard. l'inquiéte byzance , p. 36. De la Mare,Exploration, pl, 171,173, 176. Ravoisié, Exploration, p. 19-21; 27-29;Dr.V. Reboud, Excursion dans la Mouna et ses contreforts(avril 1881), RSAC, 22 , 1882, p.24-25;38-42, ch.Diehl, Afr.Byz. p.. 179-180. Gsell, les Monuments, II. p.364-365. J-L,Maier, Episcopat, p.121; CIL, VIII,p. 521;S.Gsell,ILALg,I,p 20; Souville, Princeton enc.s.v. Calama, p. 185 ;Gascou, Politique municipale, p.106-108 ; Ibid, I, p.176-177 ; Ibid,II, p. 271; Romanelli, 1970, 402;404; Lepelley,Cites Afrique, II. p. 90-103 ; D.Pringle, Defense of Africa, p. 188-190; J. Durliat, Dedicaces, n° 3-5, p.11-18; Y, Duval, Loca Sanct, n° 85-88, p.176-182 ; S. Lancel, Actes, IV, p,1340-1341.

[1518] E .Grellois, étude archéologique sur Ghelma(ancienne Guelma), dans Mémoires de l'Académie de Metz, Metz, 1852, p. 65-67

[1519] وجد تأكيد على هذه الأبراج في نص النقيشة VIII, 5332

[1520] Diehl, nouvelles archives des missions, p 371-372

[1521] Pringle, The Defense of Byzantine Africa, p 189-190

[1522] Pringle, The Defense of Byzantine Africa, p 190

تطور وضعية الموقع أوالمدينة في الفترة ما بين القرن الخامس والسابع

يمكن الإشارة أولا إلى صيغة أحد النقائش والتي تجمع في الإشهار بحماية الموقع ليس فقط بالأسوار والأبراج الثلاثة عشر وانما برعاية شخصيتين دينيتين من المستشهدين وهوعنصر في اعتقادي مهم في إبراز التفاعل بين المؤسسة العسكرية والرغبة في إعادة الحياة الرومانية. كما يشير نفس النص إلى احتضان القلعة للحمامات الرومانية، إلا أنه يصعب علينا التأكيد هل كانت وظيفية حقا ، أم أن إشارة النص تتحدث عن الهيكل فقط؟

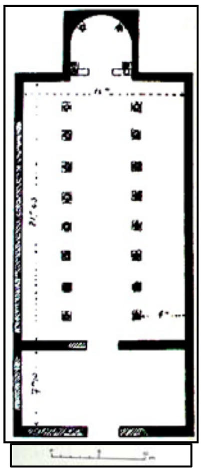
نظرة تقيمية للموروث:

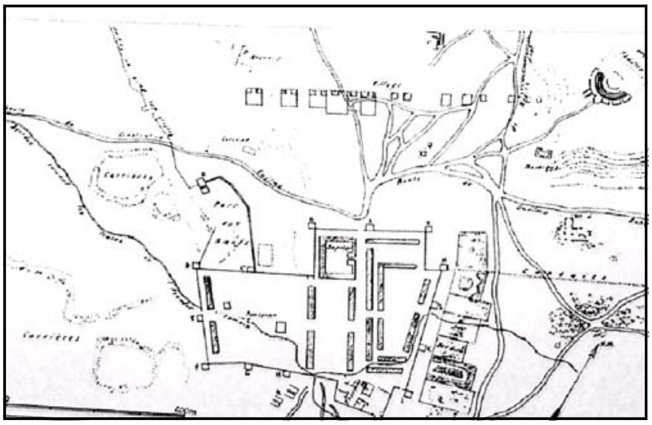
رغم أن أغلب المعطيات المتعلقة بالقلعة البيزنطية ترتكز على أدبيات بداية الحملة الفرنسية، فإن المكانة الدينية للمدينة، زمن القديس بوسيديوس، وعلاقته المميزة مع القديس أوغسطين. تجعلنا نتصور استمرار الحياة الحضرية الى ما بعد الفترة البيزنطية، ولعل آثار الدفن reliques المكتشفة تؤكد ذلك[1523] . كما يجب الإشارة إلى ما سجلته الدراسات من تدرج في عملية أنجاز القلعة، وهوما يعطينا مثالا شبيها بما وجدناه في مداوروش، ويحملنا على التساؤل عن مدى احتضان الهياكل القديمة في البناية البيزنطية الجديدة، لاسيما وأننا نعرف أن الحمامات أصبحت تشكل من المساحة البيزنطية.



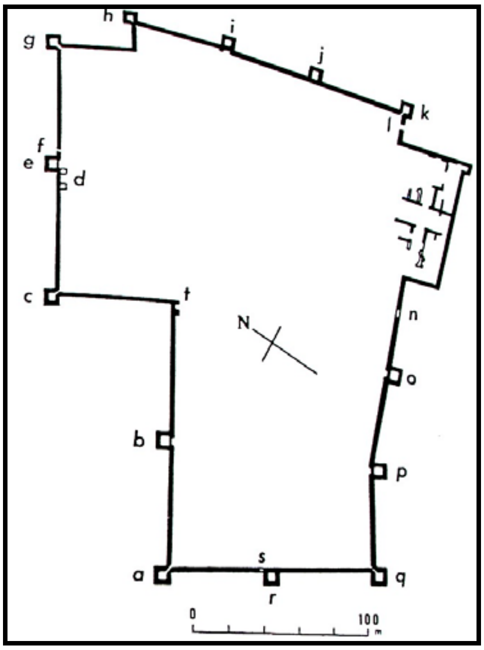
الشكل رقم: 94 النقيشة رقم 2 (CIL VIII, 05353 = CIL 08, 17491 = ILAlg-01, 00277)

[1523] Y.Duval, Loca Santo, II,p.176-182





الشكل رقم: 95 مخطط القلعة البيزنطية داخل المدينة و الكنيسة حسب ألواح رافوازي



الشكل رقم: 96 مخطط القلعة البيزنطية



الشكل رقم: 97 تاج بيزنطي



الشكل رقم 98 قاعدة عمود وجد بالكنيسة

A.A.Alg, 18, 233	ZATTARA	Kef Benzioune	**كاف بن زيون**	رقم:**38**

الإسم التاريخي للموقع : ZATTARA

مكانته في الخريطة الجغرافية:

توجد على بعد حوالي 18كم جنوب شرق قالمة، على الضفة الشرقية لوادي حمام الرومية. وأهميتها تمكن في أنها نقطة وصل بين كل من قالمة وقلعة سيدي يحي،من جهة ومن جهة أخرى بين كل من خميسة وتيفاش.

المصادر الأدبية والنقائش:

أوردت مجامع النقائش اللاتينية قائمة حوالي 15 نقيشة[1524].

المصادر المسيحية

ذكر الموقع في العديد من المصادر المسيحية مثل مجمع قرطاج لسنة 411[1525]– قائمة 484[1526] التي أوردت اسم Lattarensis– .كما ورد اسم شخصية فيليكس Felix مرتبطا بهذا الموقع في مجمع 525، و535. وشخصية كريسكونيوس Cresconius في مجمع القسطنطينية 553[1527].

البيبلوغرافيا المعاصرة

R.Bernelle, Vestiges antiques de la commune mixte de l'Oued-Cherf, RSAC,27,1892 p.79-80 ; Id., Notice sur les ruines et les voies romaines de l'oued-Cherf, BACTH,1892,p. 512 ;C.De Vigneral, Ruines romaines de l'Algerie, Subdivision de Bone. Cercle de Guelma, Paris, 1867,p. 27-28 ; Ch.Diel, Rapport sur deux missions archéologiques.,p.363 ; Id., Afr.Byz.,p. 288-289,295,609-610 ; St.Gsell, Notes sur quelques forteresses antiques, p. 265-267 ; Id., Les Monuments, p.391-392. J-L.Maier, Episcopat, p .244 ; D.Pringle, The Defence, p.278.

التقنية للعمارة البيزنطية

من خصوصيات الموقع، هوالاكتفاء بتقنية السور، باعتبار الموقع يتميز بحصانة طبيعية، فقد شيد فوق القمة الصخرية لكاف الريح، والتي لا تسمح بالوصول إليها إلا من جهة الغرب، وهوالأمر الذي يفسر تشييد سور بطول يقدر بحوالي 360م، تدعمه 8 أبراج. من الجهة الغربية والاكتفاء بركام من الحجارة الصغيرة على الجهة المحصنة طبيعيا. مما جعل مساحة الموقع حوالي 2.74ه. ويحمل السور نفس مواصفات البناء البيزنطي، بسمك يقدر ما بين 1.8 و2م

تطور وضعية الموقع أوالمدينة في الفترة ما بين القرن الخامس والسابع

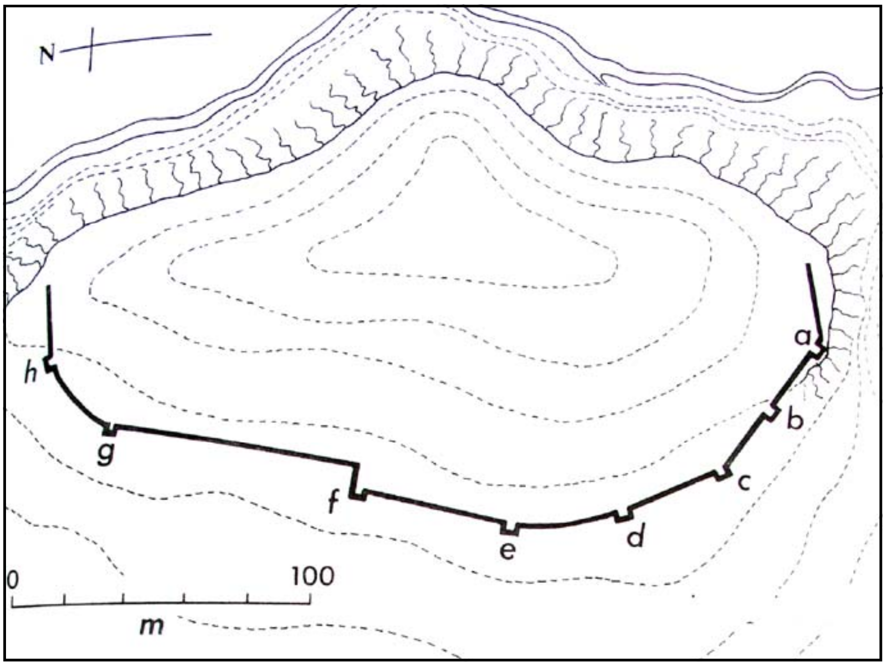
1524 CIL 08, 05177 -05193
ILAlg-01,00119-00122; 00533-00534, 00536, 00539, 00543, 00545, 00553, 00555, 00557

1525 Gesta, I,128,35 ;II,101 ; IV,p1532

1526 N° 50.

1527 Mesnage, 1912,p.398 ; Maier,

رغم أن العمران المتفق عليه لحد الآن بأنه بيزنطي، لا يدعوللاهتمام بهذا الموقع من زاوية التطور المعماري، لكن حضوره في قوائم المجامع الدينية، يدعونا إلى ترك الملف مفتوحا، في انتظار امكانية إجراء التنقيبات الأثرية.



الشكل رقم:99 مخطط القلعة حسب غزيل

A.A.Alg.18.193		Kasr Othmane	قصر عثمان	رقم:**39**

الإسم التاريخي للموقع :

مكانته في الخريطة الجغرافية:

يشرف على السهول الممتدة ما بين وادي شارف ووادي السبت. على مسافة حوالي 20كم جنوب غرب مدينة قالمة، على امتداد المسلك الرابط بين خميسة Thubursicu Numidarum وتيفاش Tipasa مع سلاوة أنونةThibilis

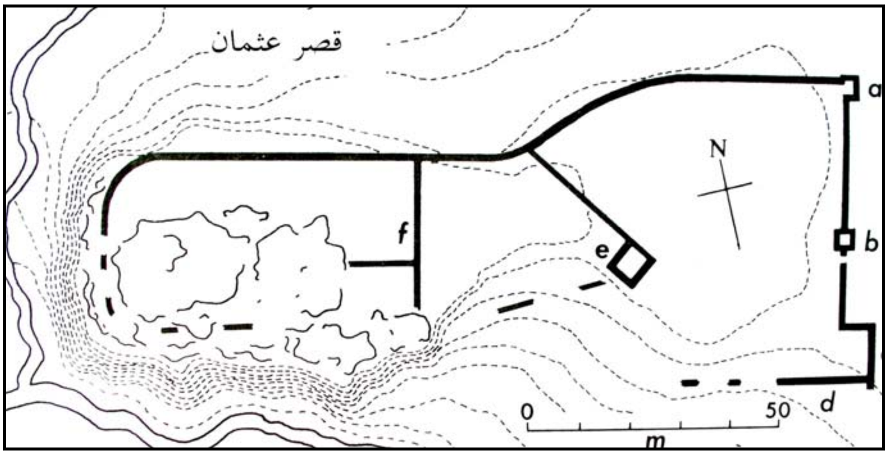
البيبلوغرافيا المعاصرة

R. Bernelle, Vestiges antiques de la commune mixte de l'oued-Cherf, RSAC, 1892, p.61; Ibid, Notice sur les ruines et les voies romaines de l'oued-Cerf(Departement de Constantine), BACTH,1892, p.504; De Vigneral, Ruines romaines de l'Algérie, Subdivision de Bone, Cercle de Bone, Paris, 1867,p.29-30,plIV; Ch.Diehl, Afr.Byz., p .611-612 ; St.Gsell, Notes sur quelques forteresses du departement de Constantine, p.252-255,plan ; Id, les Monuments,II,393-394; D.Pringle The Defence,p263-264

المواصفات التقنية للعمارة البيزنطية

تقدر مقاسات القلعة ب 150 م/60م، شيدت فوق قمة مرتفعة، شديدة الانحدار من جهة الشمال والشرق(ترتفع بحوالي 100م)، مدعمة بثلاث ابراج من الجهة الشرقية. إلى جانب معاينة خزان كبير للماء، يبدوأنه كانت مرتبط بالمنبع المائي الموجود في سفح المرتفع. وقد لاحظنا نفس النموذج في قلعة تاورة thagura. وقد تمت قراءة مخطط هذه القلعة في شكل عدة أسوار متوازية من الشرق إلى الغرب، مربوطة بسور طويل من الجهة الشمالية، إنطلاقا من النماذج الملاحظة في كل من .....لكن، رغم حالة التدهور التي بلغتها، يبدوأنها تمثل قلعة مستطيلة، ولعل المنحدر الشديد من الجهة الشرقية والجنوبية هوالذي أدي إلى اضمحلال أسوارها، بفعل الإنزلاق. بل يمكن قراءة السوار الداخلية ليس كتحصينات موجهة لدعم القلاع الخارجية، كما اقترح غزيل[1528]، وإنما مجرد هياكل داخلية لهذه القلعة. ورغم الإقرار بعودة هذه القلعة للفترة البيزنطية، فاننا نفتقر إلى قرائن تسمح بتأريخه بدقة.

[1528] St.Gsell, les Monuments,II,p393. D.Pringle, The Defense of Byzantine Africa, p. 263



الشكل رقم: 100 مخطط قصر عثمان حسب غزيل

رقم:40	قلعة سيدي يحي		A.A.Alg.18.247

الإسم التاريخي للموقع :

مكانته في الخريطة الجغرافية:

توجد على بعد حوالي 8كم شمال شرق مدينة سدراتة ، على ارتفاع يصل إلى 1200 م، مما جعلها من خلال التقاء وادي العار ووادي الشعير، تشرف على السهول الممتدة حول سدراتة، كما تشرف على الطرق القادمة من كل من خميسة أوقالمة. فضلا عن مراقبتها لمصادر المياه التي تتجه جنوبا نحوسهول سدراتة.

النقائش:

لم يتم العثور على أية نقيشة بيزنطية

البيبلوغرافيا المعاصرة

R. Bernelle, Vestiges antiques de la commune mixte de l'oued-Cherf, RSAC, 27, 1892, p.63-64 ; Id., Notice sur les ruines et les voies romaines de l'oued - Cherf, BACTH, 1892, p. 506 ; Ch. Diehl, Rapport sur deux missions archéologiques. p. 362-363 ; Ibid, Afr. Byz., p.287, 606-607 ; St. Gsell, Notes sur quelques forteresses antiques du departement de Constantine, RSAC, 32, 1898, p. 262-265 ; Ibid, les Monuments, II, p.377-378 ; D. de Vigneral, Ruines romaines de l'Algerie, Subdivision de Bone, Cercle de Guelma, Paris,1867, p.35-36 ; A. Robert, Henchir Sidi-Yahia, RSAC, 30,1895-6, p. 119-122; Id., les ruines romaines de la commune mixte de Sedrata, RSAC, 33, 1899, p.248-249 ; D.Pringle

المواصفات التقنية للعمارة البيزنطية

يبدوأن بناة القلعة قد حاولوا التاقلم مع الخصوصية الاستراتيجية التي يوفرها هذه الكتلة الصخرية، حيث بلغ ارتفاعها من الجهة الشمالية والجنوبية، ما بين 60و70م ، الى جانب منحدرات كل من وادي الشعير ووادي العار. ولعله الأمر الذي جعل المهندسين يأقلمون مخططهم مع طبيعة الموقع، فنتج شكل هندسي مضلع، بلغت مقاساته حسب Vigneral وBernelle حوالي 145م من الشرق إلى الغرب، بينما تتقلص لتعطي حوالي 100م عرضا في الشرق، و50م فقط في الغرب. وبينما أعطى روبير Robert مساحة 1,83ه، نجد المقاسات التي نشرها غزيل لا تتجاوز 1.1 ه، في حين أعطى Vigneral مساحة 2.1ه. مما يحسسنا بضرورة مراجعة ذلك ميدانيا، ومع هذا فلم أتمكن من معاينة الموقع رغم تنقلي لعين المكان. أما الأسوار فتبدو بنفس المواصفات البيزنطية، بسمك يقدر ما بين 1.7 و1.8م، وزعت على طولها، بطريقة غير متجانسة، أكثر من 09 أبراج . فضلا عم بناية داخلية مستطيلة ب22م/19م تشبه تلك التي أشرنا إليها في قلعة تيجيسيس. كما يجب الإشارة الى خزانات الماء التي اكتشفت بداخلها، والتي يفترض أيضا ربطها بقنوات جوفية[1529]

[1529]C. de Vigneral, Ruines romaines de l'Algerie. Subdivision de Bone, Cercle de Guelma, Paris,1867, p.35-36, pl VI ; A.Robert, Henchir Sidi-Yahia, RSAC, 30,1895-6, p119-122

رقم:**41**	**كاف الخراز**			A.A.Alg.18.255

الإسم التاريخي للموقع :

مكانته في الخريطة الجغرافية:

يشرف على السهول الممتدة على طول نهر وادي نيل ووادي شارف، بفضل موقعه المحصن، بنفس الطريقة التي شيدت بها قلعة سيدي يحي. ونلاحظ مرة أخرى عملية توظيف المرتفع الصخري كعنصر اساسي في عملية التحصين. حيث نجده بفضل هطه الكتل الصخرية المرتفعة لا يمكن التوغل فيه إلا من الجهة الشمالية.

خرائط الطرق الرومانية:

يندرج في الطريق الرابط بين خميسة وقصر صبيحي. إلا أنه لم يذكر في هذه المصادر

البيبلوغرافيا المعاصرة

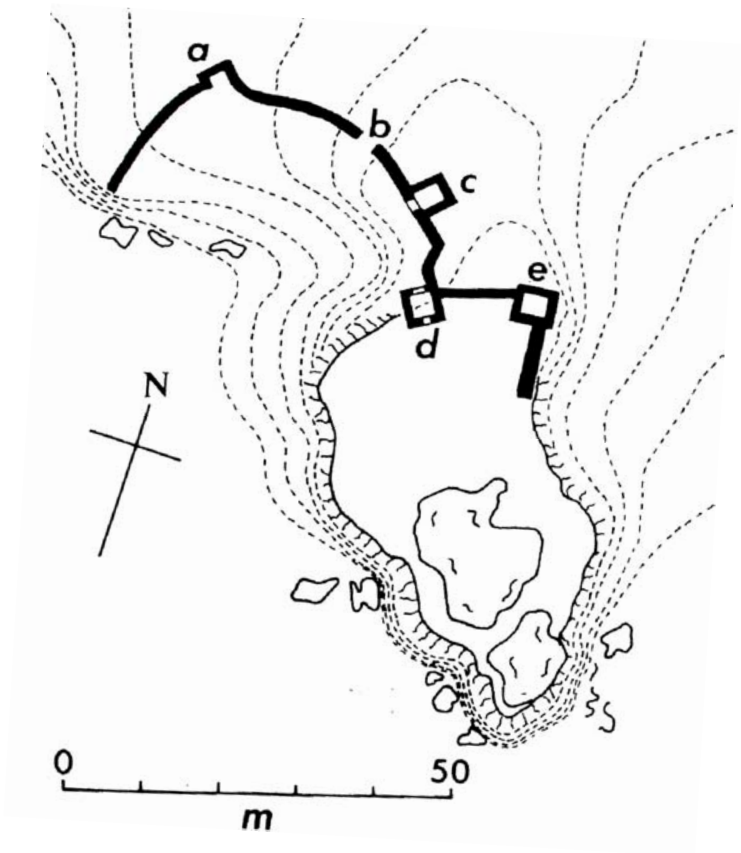
A.A.Alg.18.247 ; Bernelle, 1892a, 100 ; Bernelle, 1892b,519; Diehl,1896, 602, 613 ; Gsell, 1898,26O-261 ; Ibid,1901,II, 394-395; Pringle, 1981, 260

المواصفات التقنية للعمارة البيزنطية

وصفها غزيل أنها مجرد ملجأ، باعتبار مساحتها الصغيرة، في نفس الوقت الذي اقر فيه طابعها البيزنطي، بحكم طبيعة البناء، والأبراج التي تدعم الأسوار. ويجب الإشارة إلى ظاهرة الاكتفاء ببناء حواجز من الجهة الشمالية، على شكل أسوار مدججة بعدة أبراج، إلى جانب بناية قدرت ب 30/50م، اعتبرها غزيل الملجأ النهائي.

تطور وضعية الموقع أوالمدينة في الفترة ما بين القرن الخامس والسابع

إذا كان من البديهي أن لا نبحث عن معالم الحياة العمرانية في هذا الموقع، فمن الشروري أيضا التساؤل عن وظيفية هذا النوع من المنجزات، هل يجيب على الهاجس العسكري فقط؟ وهل يجب النظر غليه على أنه بيزنطيا أصلا؟



الشكل رقم: 101 مخطط كاف الخراز حسب غزيل

رقم:43	عنابة	Hippo Regius		A.A.Alg.,f 9,59

الإسم التاريخي للموقع :

مكانته في الخريطة الجغرافية:

تعتبر من المستوطنات الفينيقية، معروفة منذ حملة أغاتوكليس، ذكرها ديدور الصقلي[1530] ولعل اسمها الملكيRegius يؤكد مكانتها أيضا في التاريخ النوميدي، كما ذكرها بطليموس[1531] فضلا عن أهميتها الإدارية باعتبارها كانت مقر إقامة أحد أعوان البروقنصل، وبفضل مكانتها في الأنونا كانت مقر إقامة عدد من الشخصيات المهمة في الإدارة الرومانية[1532] . اعتبرها بروكوب احد مدن نوميديا[1533].و هو ما أثار النقاش حول طبيعة امتداد البروقنصلية. كانت تربطها عدة مسالك بالمدن: ساحلية مثل روسيكادا أوداخلية مثل تاغاست، تبسة، سيرتا، شمتو وتيفاش. كما وردت في المسلك الأنطوني[1534]، وألواح بوتينجر.

المصادر المسيحية

وردت في المصادر المسيحية باعتبارها مقر كنيسة القديس أوغسطين، لكن قبل ذلك أيضا، في مجامع قرطاج 256،411. أوالمجامع التي احتضنتها المدينة أصلا: 395،393، 403، 427.

المصادر البيزنطية:

تحدث عنها بروكوب [1535]، خاصة من خلال تتبع مراحل فرار الملك الوندالي جليمير.كما أوردها جورج القبرصي ضمن قائمة المدن النوميدية[1536].

المصادر العربية:

تعتبر من المدن ذات الحضور الكبير في نصوص المصادر العربية[1537]، ذكرها ابن عذاري باسم بونة[1538]، مثل ابن حوقل[1539]، بينما ميز البكري بين مدينة بونة الحديثة و ما أسماه

[1530] XX,57,6

[1531] IV,3,2 ; G.Camps, Enc.Ber. p678-679

[1532] S.Lancel, D.H.G.E. TXXIV , p 622-623

[1533] Procope, B.V.II,4,26

[1534] Itineraire Antonin,p. 8

[1535] Procope, B.V.,I,3,31-34,II,4,26,32,34,36,39

[1536] Georges de Chypre, p.56,n°657

[1537] المقدسي، أحسن التقاسيم. ص188، الإدريسي، نزهة المشتاق، ص.191،175-192 صاحب الاستبصار ص.127، ياقوت الحموي،معجم البلدان، ج1، ص 764، الحسن الوزان،وصف إفريقية، ج2 61-62، أبي الفداء، تقويم البلدان، ص 161 (المتوفي سنة 732)

[1538] S.Dahmani, le port de Buna au Moyen Age, Actes du Ve Colloque international sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du Nord, Avignon, 1990, Paris, p. 363-365

[1539] ابن حوقل، صورة الأرض، ص 75

بمدينة زاوي كما أكد انها مدينة القديس أوغسطين "افشتين العالم بدين النصرانية"[1540]، وقد أشار أيضا إلى بئر النثرة الذي حفر في صخرة، اعتبر من عمل الأول[1541]. وهو ما يمكن ربطه بناقل المياه Aqueduc الذي تحدثت عنه معاينات القرن التاسع عشر[1542].

النصوص الأثرية البيزنطية:

تم العثور على نقائش بيزنطية أهمها: نقيشة أمابيليس الذي كان قائدا لوحدة المشاة[1543] numerus، و بيرايدو الجندي في نفس الوحدة[1544]، ونقيشة تيودوسيوس، المتوفي بعنابة في سن 10 سنوات[1545]

البيبلوغرافيا المعاصرة

Tissot, 1888,2,98 ; Ch.Diehl, Afr .Byz.296 ;S. Gsell, ILAIg, I, p. 1; Leclercq, DACL, s.v. Hippone, col. 2484-2489 ; J. Mesnage, Évêchés, p. 263-267 ; P. Romanelli, Enc. art. ant., 2, s.v. Bona, p. 132-134 ; E.Marec, Monuents chrétiens d'Hippone, Paris, 1955,p.38-41 ; J. Lassus, Princeton enc., s.v. . Hippo Regius, p. 394-396 ; Gascou, Politique municipale, p. 34-35 ; Politique, 1, p. 141 a 164 ; Maier, l'Épiscopat, p. 152 ; A. Mandouze, Pros. Afrique, p. 1267, Faustinus 3, p. 386 ; Leontius 1, p. 632 ; Macrobius 2, p. 662¬663 ; Proculianus, p. 924-926 ; Valerius 2, p. 1139-1141 ; CI. Lepelley, Cités Afrique, 2, p. 113-125 ; D. Pringle, Defence of Africa, p. 200-201; P.-A. Février, Approches; N. Duval, RAC, XV, s.v. Hippo Regius, col. 442-466; S. Lance!, Actes, IV, p. 1393-139 ; S.Dahmani, Hippo regius, Alger,1973;I.Gui, N.Duval et alii,Bailiques chrétiennes d'Afrique,I,346-347.

تطور وضعية الموقع أوالمدينة في الفترة ما بين القرن الخامس والسابع

شكلت نصوص القديس أوغسطين أرضية لمعرفة عدد من الكنائس والمنشآت المسيحية في المدينة، والتي يفترض أن نشاطها قد استمر خلال العقود اللاحقة ولوبنسبة اقل[1546]. ورغم الصورة القاتمة التي تركها كل من القديس أوغسطين[1547] و بوسيديوس القالمي[1548] عشية الاحتلال الوندالي، يبدو أنها أصبحت عاصمة لهذه المملكة الوندالية في مرحلتها الأولى[1549].

[1540] أبو عبيد البكري، المسالك و الممالك، 54

[1541] نفس المصدر، ص 83

[1542] A.Delamare, Exploration pl.190,fig.1-3 ; St.Gsell, Exploration, textes explicatifs,p.178

[1543] CIL VIII 17414 ,ILAlg ,1 ,82

D(is) M(anibus) s(acrum) / Maxe[n]ti(u)s
senator de nu/mer(o) bis elect(or)um
fide/lis vixit in pac[e] ann(os) LXX / (q)uie(v)it
sub d(ie) Non(as) Au/gus(tas) ind[i]c(tione) XV

صححت هذه الجملة من طرف دورليا، بصليب و كلمة إيمابيليس؟

J.Durliat, recherche sur l'histoire sociale,p.245-247

[1544] CIL 08, 05229 = CIL 08, 17401 = ILAlg-01, 00081 = ILCV 00549
Buraido milex(!) / de num(ero) Hipp(onensium) Reg(iorum) / vixit in pace / ann(os) XL milita/(v)it XVIII (q)uie(v)i(t) / s(u)b d(ie) III N(onas) Iul(ias) indi(c)/t(i)on(e) nona

[1545] E.Marec, les monuments chrétiens d'Hippone,p.97,101.

[1546] عدد Lancel أكثر من 08 كنائس من خلال نص القديس أوغسطين، فضلا عن أقرار الجميع بأن هناك كنائس دوناتية قد ظلت قائمة في المدينة، أنظر المرجع السابق: S.Lancel, D.H.G.E. txxiv , p 622-623

[1547] St.Augustin, Epist.I.CCXXVII.

[1548] Possidius,Vita Augustini,XXVIII,éd.H.T.Weikotten,p.112-116

[1549] C.Courtois, V.A.p.159-168

بل أشار بروكوب انها كانت من بين المدن التي لم تهدم أسوارها.[1550] و إذا كنا نفتقد إلى معالم قلعة بيزنطية متميزة، فيبدو أن الأسوار الرومانية قد أعيد توظيفها و استغلالها. ورغم أن المصادر الاسلامية ابتداء من البكري تسمح بالوقوف على بونة الحديثة، فيفترض ان التحول العمراني لم يحصل إلا بعد القرن التاسع[1551].

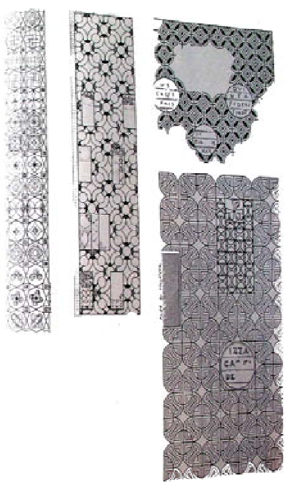
نظرة تقيمية للموروث:

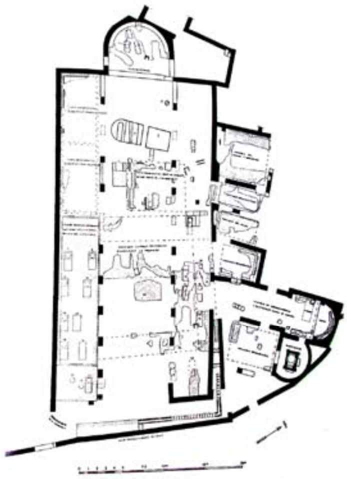
رغم افتراض برينغل Pringle بأن أحد الأسوار الرومانية قد وظفت في القلعة، التي يفترض تحدثت عنها المصادر، فالميناء هو أغلب المعالم التي صبغت المصادر، وإذا كانت محاولات ماريك Marec، في مطابقة المجمع الديني المكتشف بكنيسة القديس أوغسطين ظلت مجرد فرضيات تقريبية، و الأمر نفسه بالنسبة لكنيسة القرن السادس\ن رغم النقائش الجنائزية المتأخرة

(croix de Malte, crois, crois de malte=/(crois= thedosius,/fidelis/ hic qui/escit peregrinu(s)/ patriq(ue) relinqui(t)/ doloris nomine/ funus. Ann(is) X vix(it) Mairicio imp(erante), idus dec(em)b(res), ind(ictione)/ esxta croix) quieb(it)



الشكل رقم 102 نقيشة تيودوسيوس

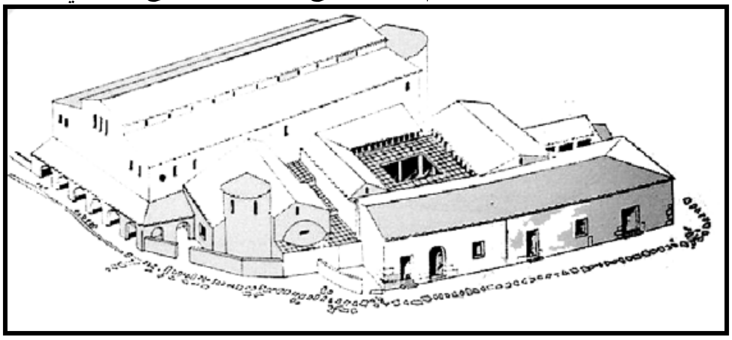




الشكل رقم: 103 مخطط الكنيسة
حسب ماريك Marec

[1550] Procope, B.V.,I,3,31-34
[1551] S.Dahmani, le port de Buna au Moyen Age, Actes du Ve Colloque international sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du Nord, Avignon, 1990, Paris, p. 363-365

الشكل رقم: **104** نماذج من فسيفساء المجمع الكنسي بعنابة



الشكل رقم: **105** تجسيد كنيسة عنابة حسب ماريكMarec



الشكل رقم: **106** جانب من الحي المتأخر للمدينة

A.A.Alg.,f 28.297		Tubusrsicu Numidarum	خميسة	رقم:44

الإسم التاريخي للموقع : Tubusrsicu Numidarum

مكانته في الخريطة الجغرافية: يقع على حوالي 32كم جنوب شرق سوق أهراس، على مقربة من موقع تيفاش الذي يعتبر نقطة الوصل بين العديد من الطرق الأساسية بين تبسة و عنابة مثل قرطاج و قسنطينة. إلا أن أهمية خميسة تكمن في تموقعها في نقطة تقسيم المياه بين وادي مجردة ووادي سيبوس. و لايبعد عنها القصر الإفريقي إلا حوالي 6كم باتجاه الجنوب الشرقي.

المسالك في العصور الوسطى:جغرافية رافينا

المصادر المسيحية:

القديس أوغسطين، مجمع 411[1552]، في قائمة 484 [1553](فريمانتيوس)

البيبلوغرافيا المعاصرة:

A.Ballu Rapport sur les fouilles exécutées en 1902 à Khamissa (Thubursicum Numidarum), *BACTH*, 1903, p. 568-569; Id., Rapport sur les travaux de fouilles effectuées en 1907 par le Service des Monuments Historiques en Algerie, BACTH, 1908, p. 234; Id. Rapport sur les fouilles en 1917, BACTH, 1919, p. 57-64; fig. 1; J. Chabassière, Recherches à Thubursicum-Numidiarum, Madauri et Tipasa, RSAC, 10, 1866, p. 108- 127, pl. II; Ch Diehl Arch. Miss.,p. 364- 366; Id.,Afr.Byz., p.288; 295; 609; St. Gsell, Notes sur quelques forteresses antiques, p. 274- 277; plan; Id.,les monumenst, II, p.387; St.Gsell et C.A. Joly, Khemissa, Mdaourouch, Announa, I, p.43-44; C.A Joly, Thuburbrsicum Nulidiarum (Khemissa), RSAC, 39,1905, p. 172; J. Maguelonne, Chronique archéologique, RSAC, 41,1907, p. 268. D. Pringle, the Defence, p.268-269; S. Lancel,Actes de la conference de carthage de 411, IV,p.1492; Id. Victor de vita, p.255 (N° 22.Num) ; I.Gui, N.Duval et J.P.Callet, Basiliques chrétiennes d'Afrique du Nord, I, 1992, p. 334, n° 119

المواصفات التقنية للبناية البيزنطية:

سجلت المعاينات الأثرية للقرن التاسع عشر أكثر من معلم بيزنطي في هذه المدينة:

1. شيد الأول في الربوة المرتفعة التي تشرف على المسرح، بالجهة الشمالية الشرقية، كما تسمح بمراقبة الطرق القادمة من سهول المجردة المقابلة، وتيفاش[1554]. يطلق عليه اسم القصر الكبير و هو عبارة على مربع طول ضلعه 15م بأسوار مزدوجة[1555].

2. واعتبر غزيل أن قلعة واسعة بطول قدر بحوالي 85م و عرض يصل إلى 66م و سمك قدر ب1م. كانت تحيط بهذا الحصن، علما أن طريقة البناء كانت نفسها الملاحظة في أغلبية المواقع البيزنطية و المتمثلة في تصفيف الحجارة على واجهتي السور- كانت غالبيتها قد أعيد استعمالها من معالم أخرى- و ملأ الفراغ الداخلي بالحجارة الصغيرة. فضلا عم إدماج قوس النصرالروماني في السور الشمالي

[1552] S.Lancel, Actes de la conference, IV,p.1492
[1553] S.Lancel, Victor de Vita, p.255 (N° 22.Num)
[1554] St, Gsell, Monuments, II, p.387
[1555] Ch.Diehl, arch. Miss. p.365
يعطي هذا العالم مقاسات مختلفة 13.80 \12.05م ، كما يشير إلى وجود الصليب Monogramme

الشرقي لهذه القلعة، و ذلك بغلق الفتحتين الجانبيتين و جعل الفتحة الرئيسية المدخل الأساسي للقلعة. و مهما كانت احتمالات قراءة هذا الانجاز فهو يدعو للتفكير باعتباره لايحتوي على أبراج على الطريقة المعروفة في الحصون و القلاع، مما جعل غزيل يقترح أنه مجرد إنجاز محلي كملجأ للسكان[1556]

3. يضاف إلى ذلك الحصن البيزنطي الذي شيد فوق الحمام الروماني القديم، والذي شبه بحصن مكثر الذي شيد بنفس الطريقة، مما يدعو للاعتقاد بتوقف نشاط هذا المعلم الروماني لاسيما و أن الحصن البيزنطي قد أعاد استعمال السور الجنوبي و الشرقي دون تغير. و إذا كانت الحفريات لم تهتم بمحاولة فهم العلاقة بين المعلمين[1557]، فما تبقى منهما يسمح بفهم المحاولة الترقيعية للبناية البيزنطية مع خروج طفيف في الواجهة الشمالية و الغربية.

4. كما سجلت المعاينات الأثرية معالم كنيسة محصنة في المنحدر الشمالي الغربي، بين الحصن البيزنطي المسمى بالقصر الكبي و الساحة العمومية الجديدة[1558].بأسوار سميكة أعيد فيها استعمال حجارة البنايات القديمة

تطور وضعية الموقع أو المدينة في الفترة ما بين القرن الخامس والسابع

اعتبر ديل أن عدم تشييد قلعة محصنة مثلما حصل في تيفاش جعل البيزنطين يشيدون عددا من الحصون الصغيرة[1559]، إلا أن غزيل قد أعطى مخططا لقلعة تحتضن القصر الكبير و تضم قوس النصر في اسوارها، فضلا عن إشارته إلى عدد من الأسوار التي يمكن أن تشكل بدورها تحصينات، ربما في زمن مغاير. و هو ما يجعلنا نعتبر هذه المعالمكشواهد على استغلال المساحة العمرانية وفقا لمنطق جديد لا يعطي الأهمية للساحة لعمومية التقليدية و إنما يعتمد على هذه الثنائية الموزعة بين الحصن و الكنيسة.

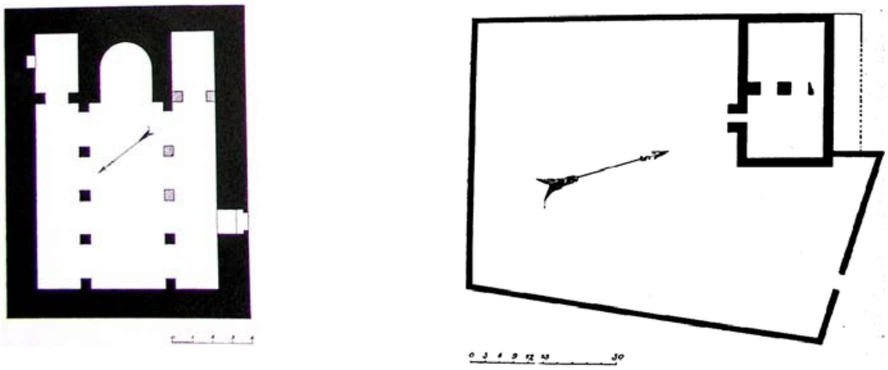
1556 St.Gsell, notes sur quelques forteresses antiques.. p.277

1557 سمحت الحفريات التي قادها جولي في هذا المكان سنة 1907، بابراز اقسام الحمام الروماني، خاصة القاعة الباردة بفسيفسائها و التي يبدو قد تحولت إلى اسطبل للخيول ،أنظر:

A.Ballu,Rapport sur les fouilles exécutées en 1907 par le service des Monuments Historiques en Algérie, BACTH,1908, p234

1558 St.Gsell et Jolly, Khemissa, p43

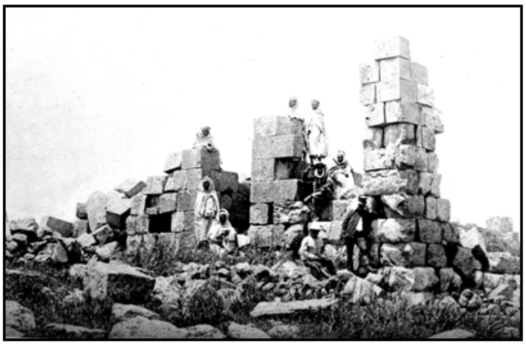
1559 Ch.Diehl, Arch.Miss. p366



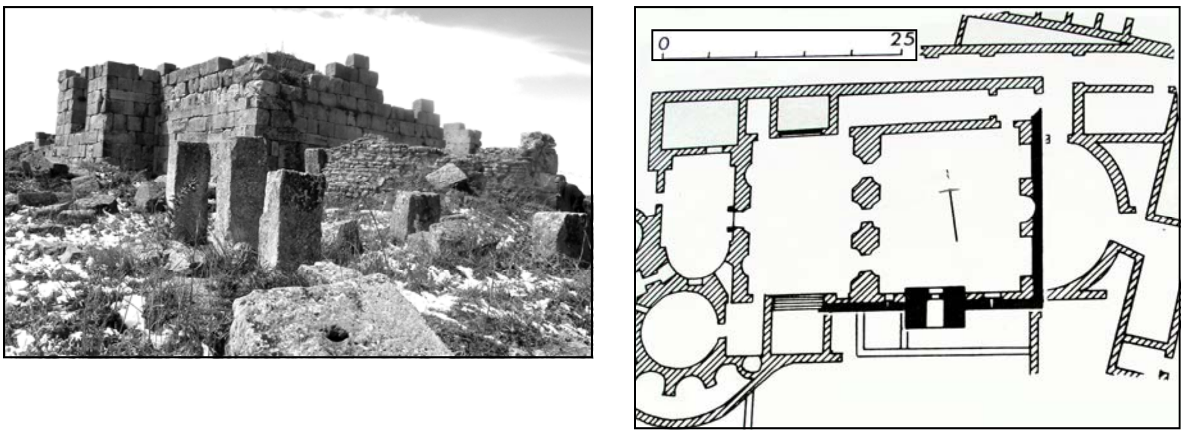
الشكل رقم: 107 مخطط القلعة البيزنطية و الكنيسة حسب غزيل



الشكل رقم 108 القصر الكبيرحاليا



الشكل رقم:109 القصر الكبير حسب غزيل



الشكل رقم: 110 صورة ومخطط الحصن البيزنطي محتضنا الحمام الروماني

رقم:45	تيفاش	Tipasa		A.A.Alg.18.391

الإسم التاريخي للموقع :

مكانته في الخريطة الجغرافية:

توجد على بعد حوالي 31كم جنوب غرب مدينة سوق أهراس، وتتميز بحصانة كبيرة من خلال تموقعها في المرتفعات الشمالية، بجبل تيفاش، وإشرافها على السهول الممتدة بين وادي سيبوس والروافد الأولى لوادي مجردة. كما تشرف على الطريق الرئيسي قرطاج– قسنطينة، وعلى المسالك التي تؤدي إلى كل من خميسة Thubirsicu Numidarum وعنابة HippoRigius.

خرائط الطرق الرومانية:

ذكرت في المسلك الأنطوني، ألواح بوتينجر وأيضا في جغرافية رافينا

المصادر المسيحية

ذكرت في قائمة 484، ضمن القائمة النوميدية (رقم 65)، كما يفترض أن القس روستيكوس Rusticus قد شارك في المجمع الديني المنعقد بروما في 13مارس 487ـ تحت إشراف البابا فيليكس الثاني ، حيث نوقشت فكرة إدماج القساوسة الذين تعرضوا لعمليات الطرد والمصادرة من طرف الوندال[1560].

كم ذكر اسم القس فيرموس Firmus في العديد من المجامع الدينية: لسنة 525، [1561]553، والذي يبدوأن انتقل إلى القسطنطينية في إطار أزمة الفصول الثلاث، كما يبدوأن من الشخصيات التي قبلت إمضاء المرسوم الإمبراطوري في نهاية الأمر، رغم أنه لم يذكر من بين الحاضرين في الجلسات الأخيرة[1562].

المصادر العربية:

اعتبرها الإدريسي: " مدينة أولية قديمة. عليها سور قديم بالحجر و الجيار. و بها عين ماء جارية و لها بساتين و رياضات. و أكثر غلاتها الشعير"[1563] والبكري " مدينة أولية شامخة البناء.. فيها عيون و مزارع كثيرة..و فيها آثار للأول كثيرة"[1564] كما اعتبرها ياقوت الحموي: " مدينة أزلية بإفريقية،

[1560] J.Mesnage, Eveches, p.228 ; C.Courtois, V.A.,p.227n°10.
[1561] Maier, p225 (Tipasensis)
[1562] Victor de Tonnena, chron.,a.552/2 MGH.a.a.,TXI,p202

[1563] الإدريسي، نزهة العشاق، ص 159

[1564] أبو عبيد البكري، المسالك و الممالك، ص 53

شامخة البناء و تسمى تيفاش الظالمة، ذات عيون و مزارع كثيرة و هي في سفح جبل"[1565]، أما ابن حوقل فقد أكد أنها:" مدينة..أزلية أولية قديمة عليها سور قديم بالحجر والجير.."[1566]

النقائش:

تم العثور على ختم من النحاس والبرونز يحمل اسم البطريق جريجوريوس:[1567]

Gre/gor/ius // pat/ric(ius) // Gregoriu(s) pat/rici/u(s) // Barnabas pa/trici/us // Petru(s) pa/tri/ciu(s)

البيبلوغرافيا المعاصرة

ch. Tissot Géographie, p.387-389 ; M.Boisnard l'inquiéte byzance, p.38; J.Chabassiere, Recherches à Thuburrsicul-Numidiarum, Madauri et Tipasa, RSAC, 10, 1866, p.115;, pl. VIII-X; ch.Diehl, Archi.Miss. p. 351-356; Ibid. Afr. Byz.p. 74, 286-287; fig. 21, 49; St. Gsell, Notes sur quelques forteresses antiques du department de Constantine,p. 278-281; Id. les Monuments,II, p.360-362; fig. 156; Pl. XCVII; A. Robert, Les ruines romaines de la commune mixte de Sedrata, RSAC,33,1899, p.251-252; J.Mesnage, Eveches, p384 ; P. Romanelli, Topografia,p. 402, 404; D.Pringle, The Defence, p. 272-274 ; Cambuzat, evolution des cités, p.223-226.

المواصفات التقنية للعمارة البيزنطية

يتميز الموقع بحصانة رهيبة، بحكم ارتفاعه من جهة الشمال والجنوب، الأمر الذي أدى إلى تشييد قلعة بشكل شبه مستطيل، غير متوازي الأضلاع، يصل طوله إلى 230موعرضه 128م، وتوزيع للأبراج التسعة التي تتميز بها القلعة بطريقة تتفاعل مع هذه الجغرافية.(04 أبراج في الغرب- 03 في الشرق- و02 في الجنوب). أما طريقة البناء، فرغم حالة التدهور التي أصبحت عليها[1568]، فالأسوار تحمل نفس المواصفات، ويقدر سمكها ما بين 1.60و2.50م، ويجب الإشارة إلى ملاحظة كل من ديل[1569] وغزيل[1570] إلى احتمال وجود ترميمات في هذه الأسوار في الفترات المتأخرة من التاريخ البيزنطي ، أوما بعد ذلك.

تطور وضعية الموقع أوالمدينة في الفترة ما بين القرن الخامس والسابع

شكلت أهمية المنطقة في حركة المواصلات، وفي إستراتيجية التحكم في المنافذ الرئيسية، أحد أسباب استمرارية فعاليتها خلال الفترة الإسلامية، وإذا كانت تنقصنا المصادر عن تطور القلعة خلال الفترة البيزنطية، فيجب الإشارة:

- أولا إلى أن مكان القلعة يعتبر على هامش المدينة القديمة، أين توجد معالم الكنيسة وهياكل أخرى، مما يدعوإلى التساؤل عن إمكانية استمرار نشاط المدينة؟

1565 ياقوت الحموي،معجم البلدان، م2، ص 26-27

1566 ابن حوقل، صورة الأرض، ص 87

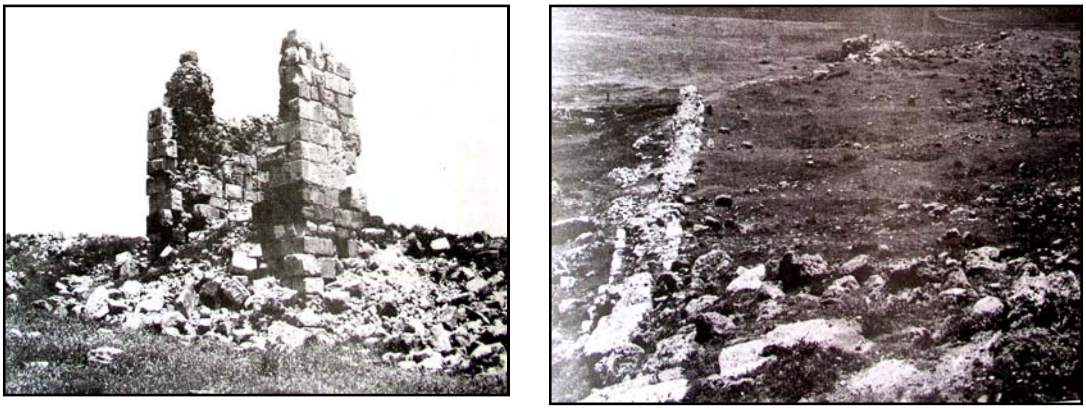
1567 CIL 08, 10965 (p 2281) = CIL 08, 22656,23 = ILCV 00228; cf., Bull.Acad.Hipp. N°15,pVII,N°16,ppXX,XXIII.

1568 رغم أن تقارير فترة القرن التاسع عشر، كانت تتحدث عن أسوار مرتفعة إلى حدود 16م، أنظر :
Chabassiére, Recherches à Thuburrsicul-Numidiarum, p. 115

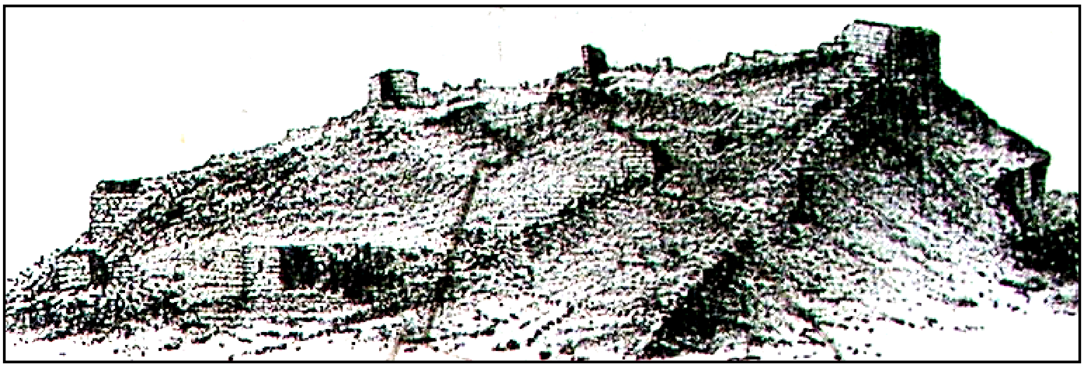
1569 Ch.Diehl, Arch.Miss.,p 351-356

1570 St. Gsell, Notes sur quelques forteresses antiques,p. 278-281

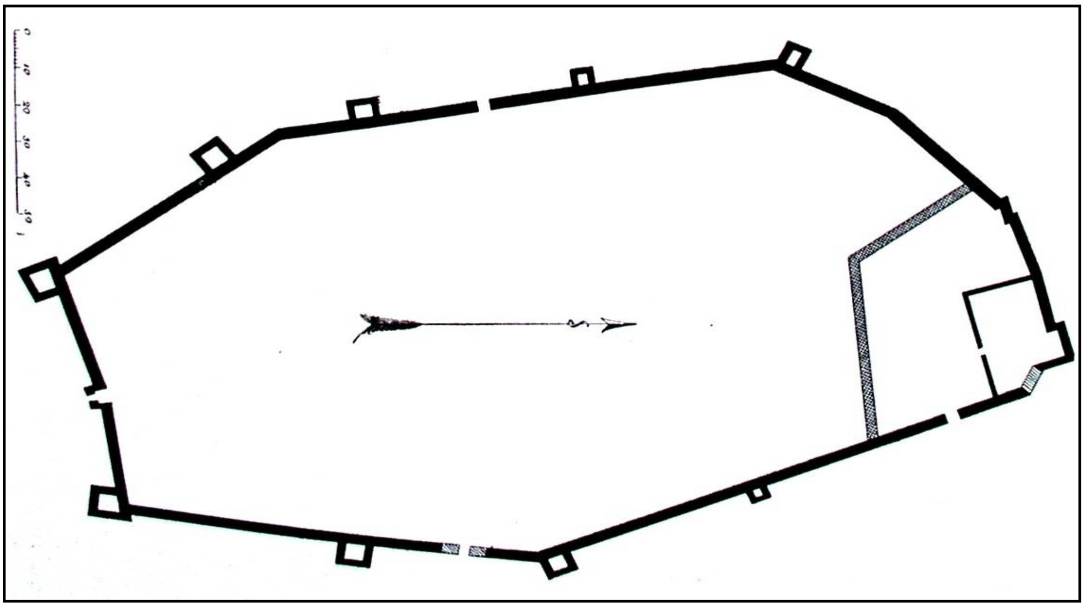
- حضور اسم الموقع في المجامع الدينية، بل حتى في صراع الفصول الأربعة، لا يمكن أن يدل على وجود القلعة العسكرية فقط، بل حياة عمرانية تعكسها فعاليات كنيستها
- استمرار فعالية الموقع في الصراعات التي ميزت المغرب الإسلامي إلى غاية القرن الحادي عشر، لا يمكن تجريده



الشكل رقم: 111 جانب مما تبقى من أسوار و أبراج



الشكل رقم: 112 صورة القلعة حسب تيسوا Tissot



الشكل رقم: 113 مخطط قلعة تيفاش حسب غزيل

A.A.Alg.19.80		THAGVRA	تاورة	رقم:46

الإسم التاريخي للموقع :

مكانته في الخريطة الجغرافية:

توجد على الطريق الرابط بين قرطاج وسيرتا، بين كل من تيفاش ومداوروش، فهي على بعد حوالي 26 كلم جنوب شرق سوق أهراس. ولعل تشييد الموقع فوق مرتفع يتوسط المناطق المنخفضة أعطاه إمكانية مراقبة كل المنافذ، وأكسبها استرتيجية كبيرة

خرائط الطرق الرومانية

ذكرت في كل من المسلك الأنطوني، وألواح بوتينجر مثل جغرافية رافينا

المصادر المسيحية

ذكرت في أغلب المجامع الدينية: 411 مثلا أوقائمة 484، كما ذكرت في مراسلات القديس أوغسطين، كما اشتهرت بتلك الستشهدة المسيحية كريسبينا Crispine

النقائش:

اكتشف بالقلعة البيزنطية شطرين لنقيشة بيزنطية باللغة الإغريقية[1571]، على رخام أبيض، ترجع تشييد الأسوار إلى الحاكم العام سولومون، تحت رعاية الامبراطور جستنيان وزوجته، ورغم حالة التهشم التي تميز بها النصان، بل ضياعهما فيما بعد، فقد حضيا بالكثير من التعليقات، باعتبارهما صيغا باللغة الإغريقية رغم أن أسلوب الكتابة لم يخرج عن الصيغة الإشهارية التقليدية[1572]

البيبلوغرافيا المعاصرة

J.Lewal, Taoura et ses inscriptions (cercle de Souk Harras), Rev.Afr.,3, 1858, p.23-44 ; Ch.Tssot, Géographie,II, p.383 ; P.Monceaux, Enquete sur l'épigraphie chrétienne d'Afrique,II , Rev.Arch. 1903, p.147 ; St.Gsell, les Monuments. II, p 376 ; ch.Diehl, Afr.Byz. p.286, 605-606 ;M.Christofle, Rapport sur les travaux de fouilles et consolidations effectuées en 1930-1934-1935-1936 par le service des Monuments Historiques de l'Algerie, Alger, A938,p.264 ; P.Romanelli, Topografia, p405 ; J.Durliat, les Dédicaces de fortifications,P25,85, D.Pringle, The Defence, p.231,232

[1571] CIL VIII, 16851 :

[.... 'Ἐποίησεν ἡ πό]λις αὕτη Ταγούρα ἐπὶ τῶν [εὐσε]ββ. βασιλέων... |
['Ιουστινιανο]ῦ καὶ Θεοδ[ώ]ρας, [προν]οίᾳ τοῦ ἐν[δ]οξ[οτάτου |
[ὑπατικοῦ, στρατηγοῦ καὶ ἐπάρχου τῆς 'Αφρικῆς, Σολόμωνος].

رغم الإختلافات الشكلية في القراءات بين الباحثين فقد أعطت ترجمة النص نفس النموذج المستعمل في النقائش اللاتينية، بالنسبة لصياغة الإعلان: "هذه المدينة شيدت تحت الرعاية الكريمة للامبراطور ..... جستنيان و تيودورا، و بفضل عناية العظيم جدا سولومون....." أنظر

Monceaux, enquete épigraphique,1903, p ; 247

[1572] J.Durliat, les dédicaces d'ouvrages de defense,, p 25

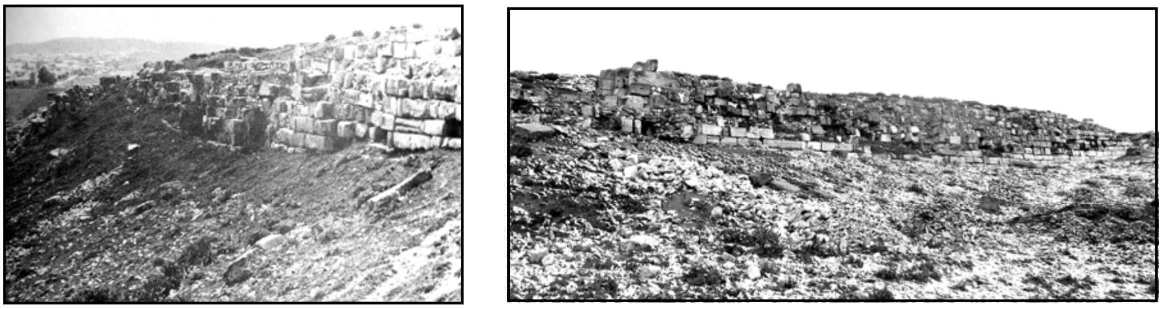
المواصفات التقنية للعمارة البيزنطية

تتميز القلعة البيزنطية بشكلها المضلع، وبكونها شيدت فوق قمة هضبة صخرية، منحدرة من الجهة الشرقية، إلا صعبة المنال من الجهة الغربية، بفضل الصخر الذي شيدت عليه، ولعله السبب الذي جعل بناتها يشيدون برجين في زاويتي الواجهة الشرقية، بينما يكتفون بالأسوار في الجهة الغربية[1573]. تقدر مقاساتها من الداخل ب 100م طولا غلى 65م عرضا، بطريقة البناء المعرفة في العمارة البيزنطية(سمك الأسوار 2.2م)، ونظرا لمساحتها الصغيرة 0.53ه، يفترض أن هياكلها العمرانية كلنت محدودة. إلا أنه يجب الإشارة إلى احتوائها على خزان للمياه في الجهة الغربية، يبدوأنه كان مربوطا بعين قطار بواسطة قنوات جوفية.

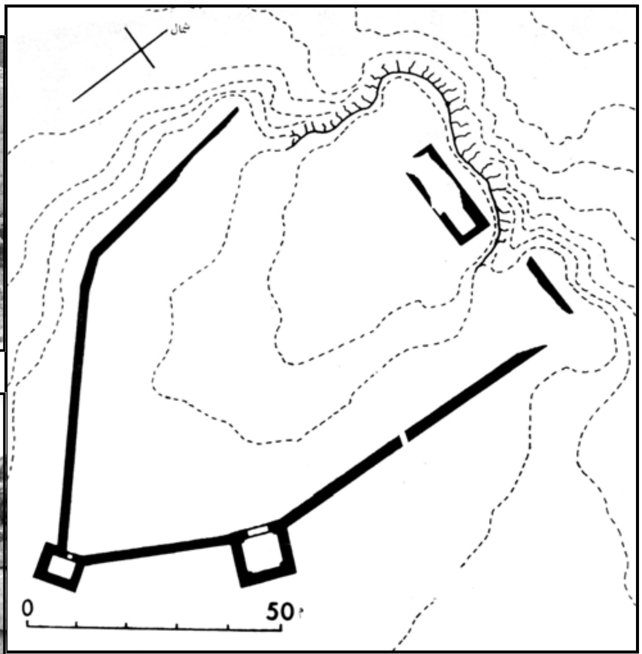
تطور وضعية الموقع أوالمدينة في الفترة ما بين القرن الخامس والسابع

تتميز ببقاء جانب كبير من أسوارها قائما إلى حد الآن، وبدرجة صيانة نسبية تجعلها مؤهلة لأن تكون موقع دراسة نموذجية للاستقرار في الفترة البيزنطية داخل وخارج الأسوار. خاصووأن خزان الماء وجانب من القنوات التي كانت تربطه بعين قطار لازالا يسمحان بمثل هذه الدراسة. ولعله من الضروري الإشارة إلى هذه الخصوصية في النصوص الإغريقية، والتي تشبه إلى حد بعيد نص مداوروش، رغم أن الخطاب الإشهاري يظل نفسه، فهل يفترض وجود جالية مشرقية بالمدينة، ام مجرد نزوة محلية؟ لكن أبعادالقلعة م مقاساتها تجعلنا نصنفها من بين المواقع الصغيرة والتي تكون أهميتها استراتيجية أكثر منها عمرانية.

[1573] Ch.Tissot,Géographie comparée,II,383. Gsell, les Monuments, p.376-377



الشكل رقم: 114 ما تبقى من أسوار القلعة البيزنطية



الشكل رقم: 115 مخطط القلعة البيزنطية حسب غزيل



الشكل رقم: 116 أحد أبراج القلعة



الشكل رقم: 117 السور الجنوبي الغربي

رقم:46	مادوروس	Madavrus		A.A Alg., 18, 472

الإسم التاريخي للموقع :

مكانته في الخريطة الجغرافية:

توجد المدينة على ارتفاع حوالي 800م، على السفوح الشمالية لمرتفعات سوسو، لا يفصلها عن مدينة تاغاست إلا 35كلم ، وبذلك فهي على امتداد الطريق الروماني الممتد من قرطاج باتجاه تبسة، كما تربطها مسالك بكل من تاقورة شرقا وتيفاش وقصر الصبيحي غربا.

مكانته من طرق المواصلات:

تمثل محطة لعدد من الطرق الرومانية، وقد ورد ذكرها في جغرافية رافينا، مثلما ذكرها بطليموس (IV,3,7) ولعلها ترتبط أكثر بشخصية أبوليوس الذي اشتهر بالمادوري، حيث اعتبرها تتوسط نوميديا وجيتوليا[1574]

المصادر الأدبية والنقائش:

تعتبر المدينة من المواقع التي أنجبت عددا كبيرا من النقائش والنصوص الأثرية في الفترة الرومانية، مما جعلها تصنف من بين المدن التي شهدت مستوى ثقافيا عاليا.

المصادر المسيحية

وردت في العديد من نصوص القديس أوغسطين، وكذلك في تواريخ المجامع الدينية التي احتصنتها المدينة خلال القرن الرابع، والتي شاركت فيها مثل مجمع سنة 411، كما وردت في قائمة أسقفيات سنة 484

النصوص الأثرية البيزنطية:

وجود النقيشة البيزنطية التي تمت صياغتها باللغتين الإغريقية واللاتينية[1575]، والتي تؤكد على مسؤولية سولومون في تشييد القلعة، كما أورد دورليا[1576] نقيشة ثانية تم نشرها في 1892، مقروئيتها تطرح العديد من الصعوبات، سوى أنها تحتوي على كلمة سولومون ومكانته التي طالما وصف بها في النقائش: excellentissimi . فضلا عن عدد من النقائش المسيحية والتي من بينها نقيشة تتحدث عن شخصية مارونتيس Marentus

المواصفات التقنية للقلعة البيزنطية

لا يوجد من هذه القلعة سوى واجهتين: الشمالية الشرقية والحنوبية الشرقية. ويبدوأن المخطط الأولي للقلعة كان يتضمن مستطيلا يقدر ب 42مْ/ 66م، تتجه أضلاعه الطولية باتجاه

1574 Apulée, Apologie, 24

1575 CIL,VIII , 4877=16869

تشترك في هذه الخصوصية مع موقع برج هلال بتونس، رغم الإشارة إلى أجزاء من نصوص أغريقية في كل من تاغورة Thagura و سيفاس Sufes، أنظر :-Durliat, les dedicaces, N° 2,p9-11 ; 6,p 18-21 ; 10,p25-26 ;14,p 35-37

1576 J.Durliat, les dedicaces, p 21-22

(ج-ش وش-غ) وأن المدخل الأساسي من الناحية الشرقية، فضلا عن الأبراج التي يفترض أن تكون على الزوايا وفي وسط الأضلاع[1577]. إلا البناية البيزنطية قد اكتفت فقط بالواجهة الشرقية للقلعة وبرجين على الأطراف، وتذكر التقارير الأثرية بأنه عثر على مخلفات قاعدة البناية في القسم الغربي مع أبراجها دون أن تستكمل، بل سرعان ما استغلت بناية بناية المسرح وربطت باسوار القلعة من الناحية الغربية، كما استغلت أسوار أحد المعابد لاستكمال عملية الربط هذه. مما أعطى شكلا غريبا للبناية البيزنطية. وقد لاحظ جولي أن الواجهة الشرقية قد تميزت باتقان كبير في عملية الانجاز، فضلا عن المواصفات المعروفة فيما يخص سمك السوار وطريقة البناء والارتفاع[1578].

البيبلوغرافيا المعاصرة

Ch.Tissot ,Geographie, p. 816. R. Cagnat Carthage , Timgad ; Tebessa..p.129; J.Chabassiere, recherches à Thubursicum-Numidiarum, Madauri et Tipasa, RSAC,10, 1866, p.114; pl, V, VII; A.Ballu, Monuments historiques de l'Algerie, rapport sur les travaux de fouilles et de restauration executés en 1919, Rev.Afr.61, 1920, p.316; Ch. Diehl,Archi. Des Miss, p. 344-350; pl. VII-XI; Ibid., Afr.Byz., p.74,180, 202, 205, 286, 601-602; fig. 4, 14-15, 41; pl. VII; Ibid., 1901, fig. 86; St.Gsell, Notes sur quelques forteresses antiques, p. 281-284; plan; Id., Les Monuments, p. 378-383; fig. 164-165; pl. 100-101; St. Gsell et Joly, Khamissa, Madaourouch, Announa, p. 53-54; 126-132; pl.I-III,IX-XI,XVI-XVII,XXII-XXIII;J.Mesnage, Eveches, p. 33_-339 ; A.Berthier, l'Algerie et son passé, Paris, 1951, fig. 76-77; P. Romanelli, Madauros, EAA,1961, p. 762-764; Id., Topografia, p.402,404-406; pl. 358a; D.Pringle, The defence, p.214-217 ; J.Durliat, les Dedicaces d'ouvrages ,p.18-22 ; P.A.Fevrier, Approches récentes, p… Cl.Lepelley,Cités,II,p.762-764; J-L.Maier, Episcopat, p.164 ; I.Gui, N.Duval et J.P.Callet, Basiliques chrétiennes d'Afrique du Nord, p.327-332.

تطور وضعية الموقع أوالمدينة في الفترة ما بين القرن الخامس والسابع

تتميز بشكلها الغريب، حيث تم تشييدها على جانب من الساحة العمومية للمدينة العتيقة، بشكلها المستطيل العادي، إلا أنها بادماجها المسرح الروماني في البناية البيزنطية، جعلت أغلبية الباحثين يتساءلون عن العلاقة بين الهيكلين المعماريين. فقد اعتبر جولي[1579] Joly أن بناء القلعة البيزنطية قد بدأ في الواقع على أساس المخططات البيزنطية، إلا أن سببا ما جعل المشرفين يتخلون عن إكمال البناية والاكتفاء بغلق مداخل المسرح وربطه بأسوار القلعة، وهو اقتراح ظل مقبولا لحد الآن، في انتظار القيام بحفريات علمية، فقد دعمه غزيل مؤكدا أن ذلك يعود أساسا إلى حالة الاضطراب التي تكون قد شهدتها المنطقة[1580]. إلا أن فيفري قد اقترح تصورا مغريا، حيث اعتبر من جهة أن كون المدينة صغيرة نسبيا إذا ما قورنت بتيمقاد، قد جعلها تساهم في هذا المشروع الامبراطوري بامكانياتها المحدودة ومن ثم تشيد القلعة على جانب من الفوروم، مع حفاظها على الجانب الآخر، حسب ما تؤكده التقارير

[1577] Gsell et Joly, Khamissa,Mdaourouch, Announa, seconde partie, Mdaourouch, Paris, 1922, p 126-132
[1578] Ibid,p 127
[1579] Gsell et Joly, Khamissa,Mdaourouch, p 126-127
[1580] نفس المرجع

الأثرية، ومن جهة أخرى تساءل حول فكرة تزامن بناء الأسوار البيزنطية التي تحمل إمضاء سولومون، وفترة إلحاق المسرح للقلعة البيزنطية، ليفتح بذلك الباب أمام فرضية جديدة، مفادها أن إلحاق المسرح قد يكون متأخرا عن النصف الأول من القرن السادس[1581]. ومهما كانت خلفية الباحث في التقليل من فكرة الخطر التي اعتمدها مدرسة القرن التاسع عشر، فمدينة مداوروش تضعنا أمام نفس الإشكالية التقليدية والمتمثلة في علاقة المساحة العمرانية الموروثة بالسياسة الدفاعية البيزنطية، ومكانة سكان المدينة من ذلك، هل ظلوا مقيمين بها يمارسون حياتهم طبيعيا، أم اختزلت المدينة في تلك الأسوار؟

نظرة تقيمية للموروث:

تشكل دراسة القلعة البيزنطية بمادوروس أحد المفاتيح الأساسية في تتبع منظور التطور العمراني في المدينة المغربية، فكونها شيدت في نقطة تجمع بين الساحة العمومية و المسرح، جعلها تبدو كبديل جديد في توزيع المعالم الأساسية للمدينة، إلا أن غيابها من النصوص العربية يفسح المجال لتصور الإنهيار أكثر من استمرارية فعاليتها، لاسيما و أن موقعها لو يكن بعيدا عن مناطق الصراع و الاصطدامات التي ميزت مرحلة الفتوح. كما سمح النص الإغريقي الذي رافق النص اللاتيني في النقيشة البيزنطية ببلورة تصور استعمال هذه اللغة المشرقية في مثل هذه المدينة، أو تواجد فئات اجتماعية كانت في حاجة إلى توظيفها للحرف اللاتيني للتأكيد على استهلاكها لهذه الثقافة، لآنه لا يمكن فهم إصرار المشرفين على إعداد النص الإشهاري الرسمي مترجما، إلا إذا كان يؤدي إلى هدف ما.

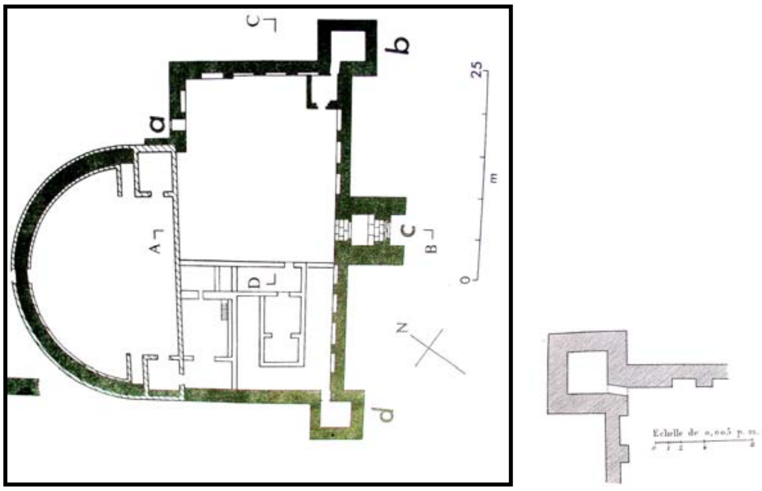


الشكل رقم: 118 المدخل الرئيسي للقلعة البيزنطية

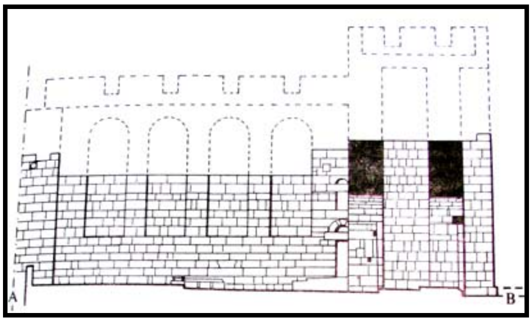


الشكل رقم: 119 صورة جوية للقلعة البيزنطية مرتبطة بالمسرح من جهة و بالساحة العمومية من جهة أخرى

[1581] P.A.Fevrier, approches récentes de l'afr.Byz. p 33-35, cf aussi ,Ibid, Permanence et héritage.... p 107



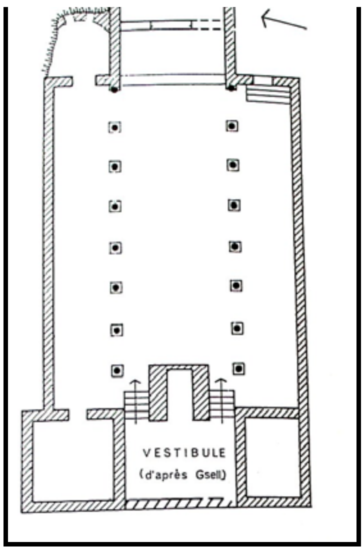
الشكل رقم: 120 مخطط القلعة و البرج الجنوبي الشرقي



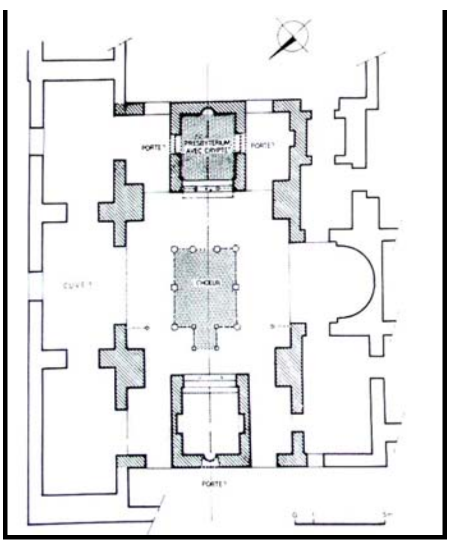
الشكل رقم 121 صورة تخطيطية للواجهة الجنوبية الشرقية للقلعة البيزنطية



الشكل رقم: 122 صورة للواجهة الجنوبية الشرقية للقلعة البيزنطية



الشكل رقم: 123 مخطط الكنيسة حسب ديفال



الشكل رقم:124 مخطط الكنيسة حسب ديفال

رقم:47	قصر الافريقي	Frigui		*A.A.Al,*. VII, 61

الإسم التاريخي للموقع :

مكانته في الخريطة الجغرافية:

يوجد شرق تيفاش غير بعيد عن الطريق التي تربط هذه الأخيرة بموقع تيجيسيس عين البرج، شمال شرق سدراتة وجنوب شرق مدينة خميسة Thubursucu Numidarum فموقعه الاستراتيجي مستمد من إشرافه على سهول وادي عين الصفا، وعلى حوض سدراتة، ولا زالت اشكالية مطابقة الموقع مع التسمية المحلية قصر الفريغي، حيث تظل الفرضية التي اقترحها مسناج Mesnage بمطابقتها بمدينة بريكة أيضا محل نقاش، الأمر الذي قد يغير كلية علاقتها بالمصادر الاسلامية

مكانته من طرق المواصلات:

يشكل محطة بين كل من تيفاش وخميسة

المصادر البيزنطية:

يكتسي نص بروكوب في كتابه المنجزات شهرة كبيرة، كونه ظل محل جدل حول مطابقة مصطلح فريكي الذي ذكره هذا المؤرخ من ضمن المدن النوميدية[1582]، ويكفي العودة لمقال ديزانج حول الأوراس[1583].

المصادر العربية:

أورد البكري أن قصر الإفريقي يوجد في المسلك الممتد من القيروان باتجاه قلعة أبي الطويل، ويصفها بأنها مدينة جامعة ..ذات مسارح و مزارع كثيرة[1584] و اعتبرها ابن حوقل بمثابة مدينة لا سور عليها[1585]، و هو نفس الأمر عند الادريسي: " و لا سور لها و بها مزارع و رياضات جمة في الحنطة و الشعير" [1586].

النصوص الأثرية البيزنطية:

رغم غياب نصوص أثرية تؤكد الموقع وتسميته اللاتينية، فيعود الفضل لكامبوزا في التنبيه لهذا الموقع دون التمكن من مطابقة نص بروكوب، وقراءة ديزانج، ليأتي لابورت Laporte

[1582] Procope, *De aedificiis, VI, 7 7,* 10
[1583] J.Desanges, Un témoignage peu connu, p.

[1584] أبو عبيد البكرين المسالك و الممالك، ص53
[1585] ابن حوقل، صورة الأرض، ص 78، كما ذكرها المقدسي بجانب مدية ركوى أو أكوىAqua
[1586] الأدريسي، نزهة المشتاق، ص 159

[1587] ويثمن بطاقية كومبيزا من خلال العودة إلى نصوص الوحدات الطبوغرافية للجيش الفرنسي خلال القرن التاسع عشر، التي أعطت مقاسات الهياكل الاثرية القائمة زمانها.

المواصفات التقنية للقلعة البيزنطية

يتمثل في قلعة مضلعة، يبلغ ذول سورها الممتد من الجنوب للشمال 7,20، والسور المتجه من الشرق الى الغرب 7.50م، وقدرت تقارير الوحدات الطبوغرافية ارتفاع الأسوار بأنها كانت تقدر ما بين 4و5م، فضلا عن طريقة البناء المعروفة بوجهي السور وعملية الحشوفي الداخل، وذلك بسمك يقدر ما بين 1.5 و2م.

البيبلوغرافيا المعاصرة

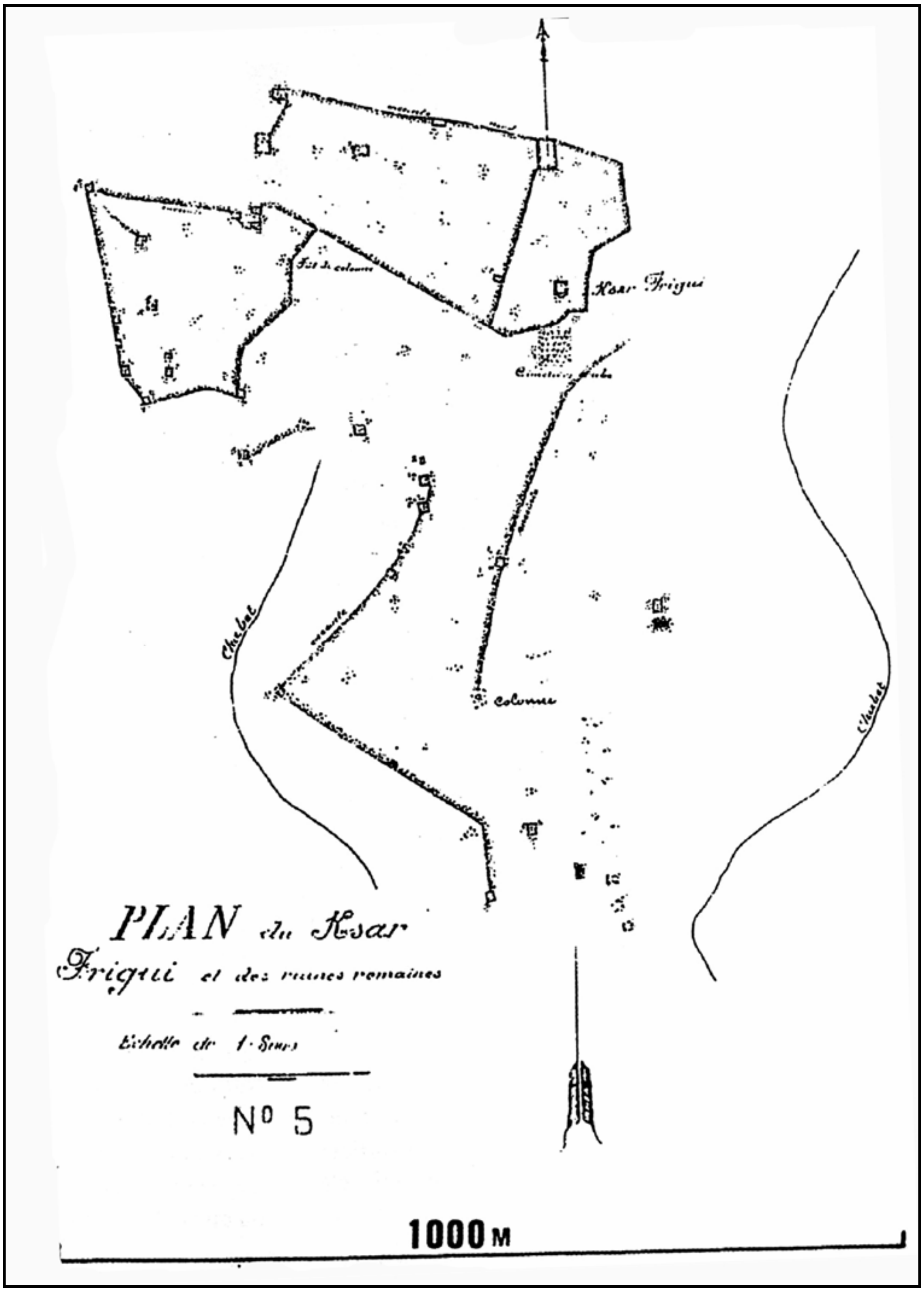
A. Robert, les Ruines romaines de la commune mixte de Sedrata, R.S.A.C, 33, 1899, p. 246-247 et pl ; R. Cagnat, in BCTH, 1895, p. 320 et 1896, p. 241-242 ; Y. Duval, La Mauréetanie sitifienne, p. 157-161. ; J. Desanges, Un temoignage, Les(n. 3), p. 41-69 ; Mesnage, Afr. Chr., 1912, p. 405 ; Cambuzat, I ,pp134-154 ; Laporte, ant.tard.

تطور وضعية الموقع أوالمدينة في الفترة ما بين القرن الخامس والسابع

تشكل مطابقة هذا الموقع لنص بروكوب ، أهمية كبيرة ليس لإي إضافة موقع بيزنطي جديد، وانما في فهم ما كتبه بركوب في كتاب المنجزات، بأنه ليس قائمة للمدن حسب مناطقها الإدارية وانما تحدث عن المنجظات البيزنطية مع إعطاء أمثلة ولومتباعدة جغرافيا. وبالتالي فقصر فريكي، يكرس لنا من جهة امتداد النوميدية نحوالشرق، ومن جهة أخرى أهمية الموقع الذي سوف تتحدث عنه المصادر الاسلامية في المرحلتين الأغلبية والفاطمية

ولعل فاعلية الموقع في العصور الأولى من الفتوحات الاسلامية تكرس الأهمية التي اكتسته في الفترة البيزنطية ، فكون المدينة كانت مقر إقامة الفقيه النعمان أبوالمنذر، في منتصف القرن التاسع، كما تعرضت لهجوم قبائل هوارة ووزداجة ضد الأغالبة، وخربت على أيديهم، مثل تعرضها لزحف أبوعبد الله الشيعي، لتحصن بعد ذلك خلال فترة الحكم الفاطمي وتنعت بالكتامية، وتنعت خلال القرن العاشر مرتبطة بكل من قسنطينة وتيجيس.....كل هذه المعطيات تجعلنا نتحسس أهمية الموقع في استرتيجية الطرق والقلاع ليس فقط البيزنطية بل حتى الاسلامية.

[1587] J.P.Laporte, notes sur la Maurétanie et la Numidie de Justinien, Ant.Tard.10,2002,pp 161-167



الشكل رقم125 : مخطط قصر فريكي حسب روبيرRobert

رقم:**48**	هنشير القوسة	GASTAL		A.A.Alg.29.56

الإسم التاريخي للموقع :

مكانته في الخريطة الجغرافية:

يوجد على مسافة حوالي 22كم شمال شرق مدينة تبسة، على الطريق القادم من حيدرة باتجاه موقع مورسوت Morsott[1588]. محاذيا السفوح الشمالية لجبل الدير . وقد اقترح غزيل أن يكون مصدر اسم قاستال هوCastellum. فضلا عن إشرافه على مصدر مائي مهم.[1589]

البيبلوغرافيا المعاصرة

L. De Bosredon, Promenade archéologique dans la région de Tebessa, RSAC,18,1877, p.412 ; ch.Diehl,Rapport sur deux missions archéologiques.,p.327-328 ; Ibi,Afr.Byz.,p.238 ,602-603 ; St.Gsell,Notes sur quelques forteresses antiques,p290-292 ;St.Gsell,les Monuments,II, p.9 ,369-370, fig.161 ; P.Romanelli, Topografia,p.405 ; D.Pringle, The Defence, p. 258-259

المواصفات التقنية للعمارة البيزنطية

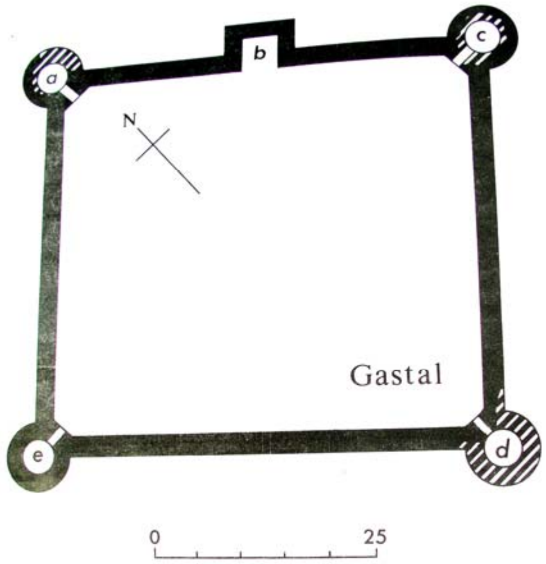
عبارة على شكل مستطيل ، طوله 49.5م /43م ، ومساحة 0.215ه[1590] . يحتوي على أربعة أبراج اسطوانية الشكل في الزوايا، وأخر مسطيل في منتصف السور الشمالي، قد يكون محاذيا للمدخل الرئيسي. أما الأسوار فسمكها يتراوح بين 2,25و2.40م، بنيت بنفس التقنية البيزنطية ذات الوجهين. وقد اعتبر برينغل أن مخطط هذا الحصن يشكل خصوصية هندسية، لانه يشبه أكثر رباطات القرن التاسع، مثل هرقلة أوالمنستير[1591] . رغم أن الشكل الأسطواني للابراج قد وجدناه في كل من بغاي وعين جلولة، والشكل المستطيل بخمسة ابراج نجده بقصر صبيحي، غير بعيد عن هذه المنطقة.

[1588] تحدث غزيل عن مسلك و جسر اكتشف بهذا الموقع يؤكد توجه هذه الطريق أنظر:

[1589] Gsell, Les Monuments,II,p9.

[1590] أعطي غزيل Gsell, les Monuments,,II,p370 مقاسات مختلفة نوعا ما: 47.5/45م. و هي نفس المعلومات التي يضيفها ديل Diehlكملحق في كتابه رفقة مخطط الحصن.

[1591] D.Pringle, The Defense of Byzantine Africa, p258



الشكل رقم: 126 مخطط حصن هنشير القوسة حسب غزيل 1898

رقم:**49**	**تبسة**	Theveste		A.A.Alg.29,101

الإسم التاريخي للموقع :

مكانته في الخريطة الجغرافية:

تعود المدينة إلى حدود القرن الثالث قبل الميلاد[1592]، كما أقامت بها وحدات الفيلق الثالث، وقد ظلت تعتبر ضمن قائمة نوميديا البروقنصلية. بفضل موقعها شرق نهر ميلاقو، تمثل نقطة عبور استراتيجية بين الشمال والجنوب، أوبين التل والمناطق الصحراوية، توجد على ارتفاع حوالي 850م، على حواف مرتفعات دوكان، والتي تشكل امتدادا لسلسلة الأوراس الشرقية، وبذلك فهي تشكل نقطة الربط بين بلاد الزاب وإفريقيا، فمن خلالها يمكن العبور إلى مسكيانة وبغاي غربا، مثلما يسهل العبور إلى عين البرج(تيجيسيس) وقسنطينة في الشمال الغربي، وفي نفس الوقت لا يفصلها عن حيدرة إلا مسافة.... كم . وقد أورد ديل بأن الطريق المؤدية إليها كانت محفوفة بالقلاع الصغيرة مما يفترض أيضا ارتباطها بها[1593] .

خرائط الطرق الرومانية:

اعتبرت دوما ضمن الطرق الرئيسية القادمة من الشرق أومن الجنوب، فقد ورد ذكرها في المسلك الأنطوني، في ألواح بوتينجر، فضلا عن جغرافية رافينا.

النقائش:

تم العثور على عدد من الشواهد الجنائزية المسيحية، التي تعود إلى الفترة البيزنطية، ورغم أن أغلبيتها هي شواهد جنائزية مسيحية، إلا أنها سمحت بمطابقة بعض الشخصيات الدينية[1594]

المصادر المسيحية

ورد اسم المدينة في أغلبية المجامع الدينية، خلال 256، [1595]411 وفي قائمة [1596]484 يقترح مسناج Mesnage ربط النقيشتين المتعلقيتين بشخصية Faustinus ، وذلك في الفترة البيزنطية[1597]. كما اكتشفت العديد من النقائش المسيحية تعود للعهد البيزنطي، بالنظر إلى مواصفات نصوصها، لا سيما وجود الصليب في مقدمة النص[1598].

[1592] Diodore de Sicile, IV,18,1 . XXIV,10,2 ; Polybe,I,73,1
[1593] Ch .Diehl, Afr.Byz. P 186, 238, 530
[1594] CIL,VIII,
[1595] Lancel, actes, I, Gesta,I,121,p714 ; IV,p1486
[1596] Notitia, Num.75+CSEL 7,p122
[1597] CIL,VIII, 2079=16684 ; CRAI,1906,p142
[1598] St. Gsell, Musée de l'Algerie.., Tebessa,1902, p12-13, N°5,6,7 ; p 221

المصادر البيزنطية:

وردت الإشارة إليها في نصوص بروكوب[1599]، كما اشار إليها في قائمة مدنه، في حدود 600 جورج القبرصي، حيث اعتبرها في نهاية القرن السادس أبرشية[1600]

المصادر العربية:

ذكرت في أغلبية المصادر باعتبارها محطة اساسية في المواصلات، فوصفها البكري بأنها: "مدينة كبيرة... مبنية بالصخر الجليل أخرب بعض سورها أبو اليزيد..."[1601] و اعتبرها صاحب الاستبصار بأنها تأتي بعد قرطاج مباشلرة في الأهمية ".. فيها دار ملعب قد تهدم أكثره، أغرب ما يكون من البناء. و فيها هيكل .....و في داخل أقباء معقودة بعضها فوق بعض، و بيوت تحت الأرض و آزاج كثيرة لها منظر هائل، ويقال أن ذلك الهيكل كان لاستنزال الروحانيات، لأن في آثار الدخان، وفيه جميع صور الحيوانات وصور شاذة .. وفي وسط المدينة هيكل عظيم، مبني على سواري رخام عظام، وقد صور خارج حيطان هذا الهيكل من صور جميع الحيوانات بأغرب ما يكون من التصوير...... و المسكون اليوم من تبسا إنما هو قصرها و عليه سور من حجر جليل، متقن العمل كأنما فرغ منه بالأمس.." [1602]وهي صور تجعلنا ناول مطابقة البازيليكا المسيحية و معبد مينرف في وسط القلعة، كما تتكرس صورة الإتقان في عملية البناء، أو على الأقل حالة الصيانة التي كانت تتميز بها الأسوار، وبينما اعتبرها الحسن الوزان بأنها " مدينة عتيقة بناها الروم"[1603]،أكد ياقوت الحموي أنها " بلد قديم به آثار الملوك وقد خرب الآن أكثرها "[1604]

النصوص الأثرية البيزنطية:

أهما ألواح ألبرتيني الشهيرة[1605]. ولدينا أيضا نقيشة بيزنطية تذكر أن سولومون هوالذي أشرف على بناء المدينة من اساسها، وقد ثبت في مدخل القلعة، في واجهة قوس كاراكالا الذي أدمج ضمن الهيكل التحصيني لهذه المدينة[1606] :

] nutu divino feliciss(imis) temporib(us) piissimor(um) dom/minor(um) nostror(um) Iustiniani et Theodorae / Augg(ustorum) post abscisos ex Africa Vandalos / extinctamque per Solomonem gloriosiss(imo) / et excell(entissimo) magistro militum ex consul(e) praefect(o) / Libiae ac patricio universam Maurusiam gentem / provi[dentia eius]dem aeminentissimi viri The/veste [civitas] a [f]undament(is) aedificata est

و أخرى ورد فيها إسم سولومون[1607]:

[1599] Procope,B.V. II,21, 19-21
[1600] G.Chypre, 656; Maier, 216 (Tebestinus (_550);

[1601] أبو عبيد البكري، المسالك و الممالك، ص، 49، 145

[1602] كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، ، ص162

[1603] الحسن الوزان، وصف إفريقية ص؟

[1604] ياقوت الحموي، معجم البلدان، ص 13

[1605] أنظرفصل الحياة المادية

[1606] CIL 08, 01863 = 16507 = ILAlg-01, 3059.
[1607] CIL 08, 01864 = ILAlg-01, 3042.

Ant]onino Au[g(usto) // S]olomonis / praefecti

المواصفات التقنية للقلعة البيزنطية

اعتبرها ديل[1608]، تبعا لمول Moll [1609] " أنها أحسن نموذج لفن العمارة الذي كان سائدا بين أوساط مهندسي القرن السادس". شيدت القلعة على شكل مربع تقدر أضلاعه ب 260X290م مما يعطينا مساحة 7.5هكتار، وتتميز بادماجها قوس كاركالا في السور الخارجي وجعله أحد أبواب المدينة[1610]، وقد تطلب ذلك انحرافا نحوالشمال، كما دعمت بأربعة عشر برج، ظل أغلبها قائما إلى غاية فترة الاحتلال الفرنسي، وهوما يتجلى من ألواح دولامار. أما طريقة البناء فانها تتميز بكل المواصفات البيزنطية، بأسوار سمكها 2.××إلى 2,10م، وقد بلغ ارتفاع الأسوار حسب ملاحظات مول حوالي 10 أمتار، مقسمة إلى طابقين، بينما تصل الأبراج إلى حوالي 18م.

البيبلوغرافيا المعاصرة

C.A.Moll, Mémoire historique et archéologique sur Tébessa(Theveste) et ses environs, Ann.Constantine, 1858-59, p. 26-86 ; Id. 1861(suite et fin), p.194-208; 215-216; Boisnard L'inquiéte Byzance africaine, p. 37-38; R.Cagnat Cathage, Timgad, Tebessa et les villes antique de l'Afrique du Nord, Paris, 1909, p, 133, 135-137, 156; Ch. Diehl, Archi. Miss. p. 325-331; Id. p.179-180; 186-190; St.Gsell, Les Monuments, II, p. 354-357; fig. 154; pl. XCVI; Ch. Tissot Geographie, p.466-468; Maitroit de la motte capron, Theveste,Etude militaire d'une cité romano byzantine(70-705), RSAC, 45,1911, p.135-144; K.A.C.Creswell Early Muslim architecture, Umayyads, early Abbasids et Tulunids,II, A.D. 751-905, oxford, 1940, p.116-117; De Roch,Tebessa, Antique Theveste, Alger, 1952, p.57-62; J.Lassus, Une mission d'inspection dans le constantinois Algerien, BACTH, 1957, p.74--89; L.Leschi, L'Algerie antique, Paris, 1952, p.47; 60-61; P.Romanelli,Topografia, p.402-403; pl. 104, 357b; R.Lequement, Fouilles à L'Amphithéatre de Tebessa(1965-1968),Alger,1979 ; D.Pringle, The Defence, p.238-243 ;

تطور وضعية الموقع أوالمدينة في الفترة ما بين القرن الخامس والسابع

استعمل مول Moll طريقة حسابية غريبة، لكنها مثيرة لا ستخراج متوسط عدد الأيام واليد العاملة التي يفترض أنها سهرت على إقامة القلعة[1611]، ومهما كانت مرجعية المؤلف التاريخية، فقد اعتبر أن إعادة بناء القلعة من أساسها قد تطلب متوسط 800 إلى 850 عاملا قد سهروا لمدة سنتين، مستنتجا أن هذا الانجاز ، إذا ما قوبل بسلسلة المنشآت العسكرية يجعل من المستحيل تقبل فكرة أن يكون فقط من طرف رجال الجيش، وبالتالي حدوث انتعاش اجتماعي في المدينة بفضل تجنيد سكانها في عملية البناء وما تبعها من حرف.

[1608] يبدو أن ديل لم يزر الموقع، و انما اعتمد على معاينات شاهد عيان مثلما يذكر نفسه، مما جعل المقاسات تختلف عما وجد في بقية التقارير، أنظر:
Ch. Diehl 1896, p. 186

[1609] Moll, Mémoire historique et archéologique sur Tébessa ,RSAC,1860,p.204

[1610] Diehl Afr.Byz. p. 74; 179-180

[1611] Moll, Mémoire historique et archéologique sur Tébessa ,RSAC,1861, p.207

كما يمكن اعتبار الكنيسة البيزنطية امتدادا طبيعيا لهذه القلعة، بفضل ما سمحت باكتشافه من نقائش تعود للقرن السادس، خاصة وأن التقارير الأثرية تتحدث عن تحصين لهذه المؤسسة بسور مدعم ب12برج[1612].

يضاف إلى ذلك ما سمحت به استنتاجات الحفرية التي أشرف عليها لوكمون R. Lequement، حيث تم الوقوف على معالم استقرار سكاني بصحن المسرح الروماني، وتهيئة لأسوار لم تكن متقنة التوظيب تستند على أسوار المسرح، وبناء مساكن خاصة، أعطت عمليات تأريخها متوسط 900+أو- 150[1613].

نظرة تقيمية للموروث:

كثيرا ما اعتبرت اكتشافات ألواح ألبرتيني بمثابة دليل على حالة التقهقر التي وصلتها منطقة تبسة في الفترة الوندالية، حيث اصبحت الطبقة الفرحية المتوسطة مجبرة على بيع ممتلكاتها بأثمان زهيدة، في حين تطرح صيغة النقيشة البيزنطية المثبتة في مدخل القلعة، هاجس آخر هو الخطر الموري. مما يفترض أن الانتعاش كان فعلا بعد انتصارات سولومون.

كما تطرح القلعة البيزنطية بفضل بقاء معالمها إلى غاية القرن التاسع عشر فرضية إقرار استمرارية نشاط العديد من الهياكل داخل أوخارج المساحة البيزنطية، مما يجعلنا نقر تبعا للعديد من الباحثين، أن تواجد القلعة في حد ذاتها داخل المساحة العمرانية التقليدية الرومانية لا يشكل انهيار كل معالم هذه الأخيرة وانما إعادة هيكلتها من جديد وفقا لجاذبية تختلف عن فترة التخطيط العمراني الفيتروفي.



الشكل رقم: **127** قوس كاراكالا الذي حول إلى مدخل القلعة و ثبتت فوقه نقيشة سولومون

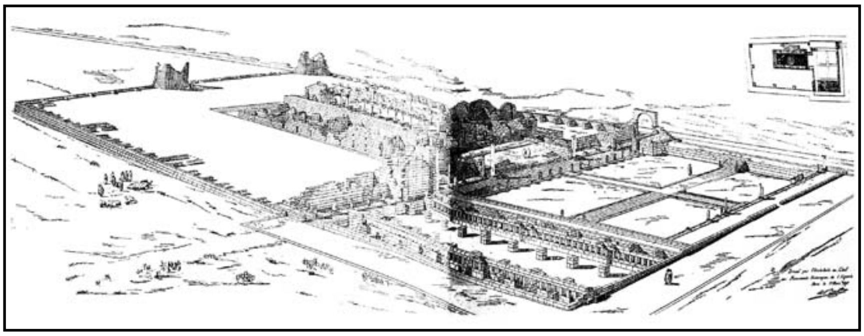


الشكل رقم: **128** أحد أسوار القلعة البيزنطية
ب

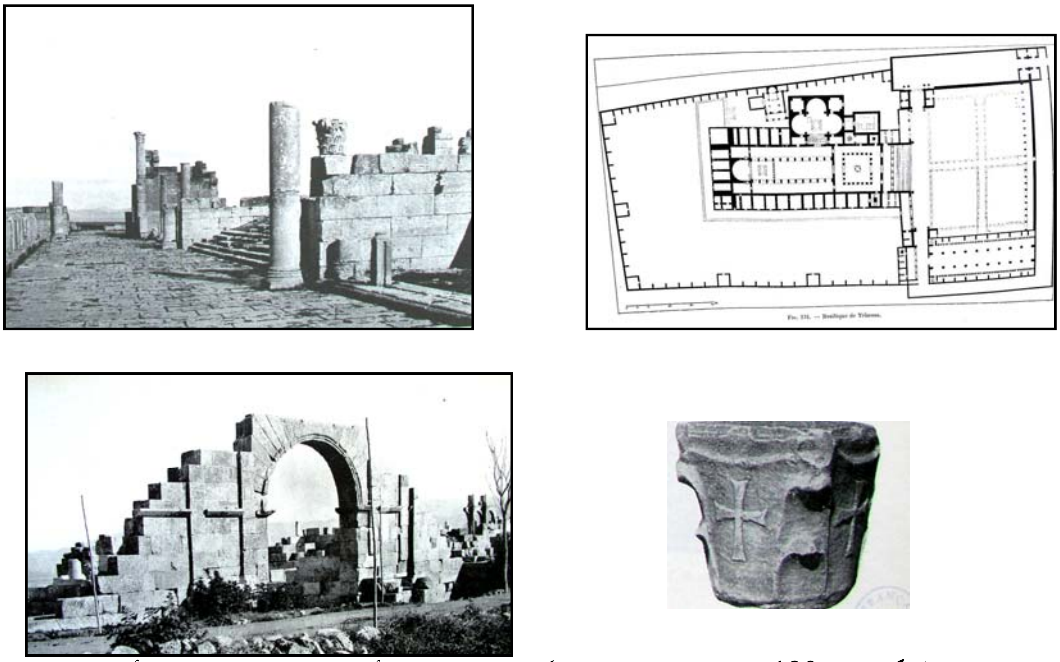
[1612] إلى درجة أن يقارب المؤلف بين وصف المدينة والوصف الذي أعطاه بروكوب لمدينة قرطاج أثناء حركة التمرد 545

(Procope,B.V.II,27,17):أنظر Moll, RSAC,1860,209

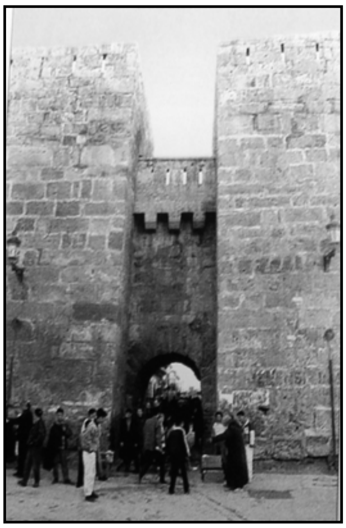
[1613] R.Lequement, Fouilles à L'Amphithéatre de Tebessa(1965-1968),Alger,1979

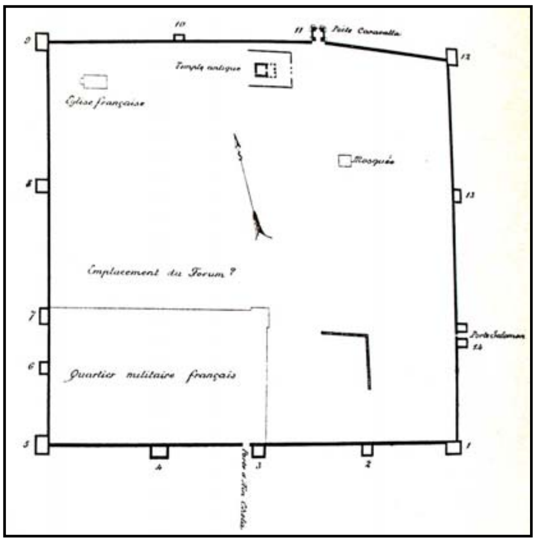


الشكل رقم: 129 تشكيل البازيليكا المسيحية حسب ديل



الشكل رقم: 130 مخطط و صور عن البازيليكا المسيحية لتبسة و أحد التيجان البيزنطية ذات الأوراق الملساء اكتشف بها





الشكل رقم: 131 أحد أبواب القلعة

الشكل رقم: 132 مخطط القلعة البزنطية

A.A.Alg.40.62		Ain bou Driess	هنشير عين بودرياس	**رقم 50**

الإسم التاريخي للموقع :

مكانته في الخريطة الجغرافية:

يوجد بالقرب من تبسة، على الطريق الرابط بين هذه الأخيرة و قفصة مرورا بمدينة تليبت Thelepte (المدينة القديمة)، غير بعيد عن المركز الحدودي مع تونس(بوشبكة)[1614].
رغم أن دورليا يضع الموقع ضمن قائمة ولاية المزاق، ففي اعتقادي هو يندرج ضمن هذا القسم النوميدي المسترجع من الولاية البروقنصلية، وبالتالي فهو يرتبط أكثر بمدينة تبسة.

المصادر الأدبية والنقائش:

المصادر المسيحية

وجود بازيليكا مسيحية[1615]

المصادر البيزنطية:

تشير المعاينات الأثرية الى وجود حصنين بيزنطيين متقابلين شمال منبع مائي، الى جانب عدد من الأبار المتصلة ببعضها البعض بفصل قنوات[1616].

النقائش:

اكتشفت نقيشة بيزنطية[1617]، مثبتة في سور أحد الحصنين، ترجع بناء الحصن الى زمن الامبراطور جستنيان، ، ورغم ما تطرحه من صعوبات في القراءة، فيبدو أنها نقشت زمن قيادة الأركان من طرف سولومون أي في الفترة الممتدة بين 534 و544

Propitio deo et spi[ritu s(anc)to tempori]/[b]us piissimorum do[minorum nos]trorum Iusti[ni]an[i et Theodorae] / A(u)gg(ustorum) pro<v=B>iden[tia patrici Solomonis]

البيبلوغرافيا المعاصرة

E.Diehl, I.L.C.V.,n°797; CILVIII, N°2095 et 10663; Berbrugger, Epigraphie numidique, Rev. Afr.IX,1865,p278 ; M.Boissnard,L'inquiéte Byzance africaine. p.36; Ch.Diehl, Arch. des Miss., p.327;336; Id., p.234;238; St.Gsell, Romanelli,Topografia, p.406-407; D.Pringle, The Defence, p.178-179; J.Durliat, la lettre L , p, 159; Ibid, dedicaces d'ouvrages de defense, p.27-29 .

[1614] Berbrugger, Epigraphie numidique, Rev.Afr. IX,1865,p.278
[1615] Gsell, A.A.Alg.40,62
[1616] Berbrugger, Epigraphie, p278
[1617] CIL VIII, 02095 (p 943) = ILAlg-01, 03809 = ILCV 00797

المواصفات التقنية للبناية البيزنطية

قدرت أبعاد الحصن الذي وجدت به النقيشة ب 33×33م، مع وجود أربعة أبراج على الزوايا

تطور وضعية الموقع أوالمدينة في الفترة ما بين القرن الخامس والساب

يجب الإشارة إلى أن اكتشاف النقيشة مستعملة في الحصن، يوحي إما باعادة ترميمه في الفترات البيزنطية المتأخرة، أوإعادة إستغلاله فيما بعد ذلك. باعتبار أن النقيشة تعطينا الحد التأريخي الأقصى، يضاف غلى ذلك تأكيد المعاينات الأثرية على وجود عمليات التهيئة لقنوات والمياه والابار، مما يجعلنا نتساءل هل كانت تندرج فقط في سياق الهاجس العسكري، أم كانت لها وظائف أخرى؟

نظرة تقيمية للموروث:

في غياب حفريات أثريةــ تظل قراءتنا للموقع مرتبطة بالشريط العسكري المحاذي للطريق المؤدي إلى تبسة، دون أن نتمكن من معرفة علاقة المنطقة بالجغرافية.

الخاتمة

الخاتمـــــة

ظلت مسألة الانتقال التاريخي لبلاد المغرب القديم نحو التاريخ الإسلامي موضوع غموض و مزايدات تاريخية و إيديولوجية كبيرة، بين من حاول تقييم الموروث الروماني و عوامل تعثره أو البحث عن الخلفيات البشرية و الجغرافية في عدم استمرار هذه " الرومنة" أو هذه" المسيحية الغربية" باعتبارها الوريثة الشرعية للحضارة الرومانية، في تعاقب حالة التقهقر خلال فترتي الاحتلال الوندالي و البيزنطي. و بين من اعتبر الفتوحات الاسلامية قد بدأت أصلا صفحة جديدة، لا علاقة لها بوثنية المغرب القديم أو مسيحيته، مطابقين صورة شبه الجزيرة العربية على المجتمع المغربي، ببداوتها و قبليتها و إقبالها على الديانة الجديدة. وإذا كان للمصادر دور كبير في صقل هذه الثنائية فإن دراسة عينات من تطور المجتمع المغربي خلال مراحل من فترة الاحتلال البيزنطي قد سمح لنا بتناول فكرة التقهقر و الانهيار من زاوية أخرى، حيث تجلى أن العوامل السياسية مهما كانت درجة تأثيرها على صيرورة الأحداث فللتحولات الاجتماعية والاقتصادية الداخلية والخارجية تأثيرا أكبر. فقد اتضح من خلال تقييم مرحلة الاحتلال الوندالي أن الخريطة المغربية ظلت تحتكم للمؤسسات الرومانية، بل كشفت ألواح ألبرتيني على استمررية المقاييس التشريعية الرومانية حتى في المناطق البعيدة عن المدن، كما أكدت العديد من الدراسات على استمرارية حركية التجارة الإفريقية في البحر المتوسط من خلال جداول العملات و الفخاريات المكتشفة في الموانئ المتوسطية.

كما اتضح أن مراحل الاحتلال البيزنطي، و إن كانت سريعة في سنواتها الأولى سرعان ما اصطدمت بعمق مغربي لم يكن في الحسبان، وأن شعارات "الاسترجاع" أو « la reconquete» لم تعرف في واقع الأمر طريقها للتجسيد، رغم بسط النفوذ العسكري على عدد كبير من المواقع و المدن. ففضلا عن تميزها بهاجس الخوف و اللااستقرار، مثلما تؤكده أغلب النصوص الأثرية المثبتة على أبواب القلاع و الحصون، سمحت لنا دراسة الأوضاع الاجتماعية بالوقوف على هاجس آخر و المتمثل في خيبة الأمل الإفريقية في هذا الوريث الرسمي، حيث تجلى أن سرعة الانتصارات كان يفترض أن تعيد الرفاهية لفئة الأفارق وترجع لهم أراضيهم و كنائسهم، أو بصورة أخرى هيمنتهم الاجتماعية. إلا أنهم مالبثوا أن اكتشفوا رغبة امبراطورية مغايرة للتملك وتوزيع مصادر الثروة، بل في فرض الضرائب المجحفة و مصادرة أو "تأميم" كل ما طاب للامبراطورية، وهي معطيات كافية لخلق حالة تشجنج جديدة، ترجمت أحيانا برغبة انفصالية رفعت رايتها أوى المؤسسة الكنسية في مجامعها، و تحولت تدرجيا للحكام والبطارقة، و لعل نموذجي هيرقليانوس و جرجوارأو"جرجير" المصادر العربية كفيلين بتكريس هذه الحالة. يضاف إلى ذلك عجز الامبراطورية البيزنطية عن إحداث بديل بشري مشرقي أو على الأقل إحداث موازنة بشرية جديدة، حيث ظل العنصر المشرقي محدودا، مقتصرا على المناصب القيادية العليا، غير قادر على التوغل الحقيقي في طبقات المجتمع الحضرية، و هو ما كرسته النصوص الأثرية الجنائزية. وبالتالي فقد أضحت طبقة الملاكين الكبار والأفارقة بصورة أعم، أكثر نفوذا وهيمنة على حركية المجتمع، وإن كانت حاجتها إلى جيش نظامي يقف أمام زحف

الإمارات المورية قد جعلتها في نفس الوقت تدعم هذا الحضور المشرقي. كما تبين في نفس الأمر أن صورة المدينة والحضارة العمرانية لم تصبح المظهر الاجتماعي الوحيد لبلاد المغرب، بل أصبحت تنافسها صورة القبيلة و البداوة في الأدبيات التاريخية لنهاية التاريخ القديم و بداية الفترة الاسلامية. وإذا كان من السذاجة التفكير في أن هذه الظاهرة هي وليدة الفترة البيزنطية، فمن المؤكد أنها وجدت في التحولات السياسية لنهاية التاريخ القديم الفرصة المناسبة لمحاولة توسيع تملكها للأرض والعمران.

إلا أن خصوصية المغرب هذه لم تبق بمعزل عن المؤثرات الخارجية، فرغم ما كانت تتمتع به الكنيسة الإفريقية من محن وجرأة في مواجهة النعرات و حتى المواقف الرسمية للإمبراطور، إلا أنها ظلت في موقف الدفاع عن قيمها التقليدية في مواجهة المؤثرات المشرقية دون التمكن من الوقوف أمامها، ويكفي الإشارة إلى انتشار المونوفيزيتية أو ظاهرة تبجيل القديسين المشارقة للتدليل على أن أعناق الأفارقة كانت أيضا متجهة للشرق ولو أن الموقف الرسمي للكنيسة الإفريقية ظل يشهر تبعيته لكنيسة روما بدلا من القسطنطينية.

وقد حاولت التعرض للأوضاع المادية انطلاقا من سؤال أساسي وهو مدى استمرارية الثراء الإفريقي الذي طالما تغنت به المصادر، و حجم تأثير التحولات السياسية على الحياة الاقتصادية والمادية في بلاد المغرب، فتبين أنها قد حافظت على رفاهيتها الإقتصادية إلى حد بعيد، حيث أبرزت خرائط الفخاريات المكتشفة وورشات إنتاجها، خاصة في المناطق التونسية، أن توزيعها قد استمر إلى ما بعد القرن السابع ميلادي، كما اتضح أنها لم موجهة فقط للموانئ الخارجية بل كثيرا ما وجدت عيناتها في الأقاليم الداخلية، و هي فرضية مغرية تشجعنا على توسيع دائرة المعاينات الميدانية والمسح الأثري، وتشكيل المصنفات الأولية ولو من خلال الإلتقاط السطحي كمرحلة أولية. وإذا كانت الاستنتاجات في ميدان الدراسات النوميسماتية، فالرفاهية الفلاحية تجد أكثر من سند، ليس فقط بسبب توقف حركية الأنونا وانعكاس ذلك على الاستهلاك المحلي، بل من خلال طبيعة التملك الفلاحية، واضطلاع تركيبة "المعمرين" إلى مستوى الاستغلال والتحرر من قيود طبقة الملاكين الكبار، ولعل حيوية ورشة صك العملة بقرطاج وتكرار ظاهرة الانفصال عن القسطنطينية كفيلين بالتأكيد على صورة إفريقيا القادرة على تحقيق اكتفائها ماديا و اقتصاديا. كما حاولنا التأكيد على ذلك من خلال البرنامج المعماري المنجز في الفترة البيزنطية سواء تعلق الأمر بالعمارة العسكرية من حصون و قلاع أو أسوار للمدن، أو عمارة دينية من كنائس ومعالم دينية.

وقد اكتسى الحديث عن المدن والحركة العمرانية طابعا مميزا، حيث انطلقت من هاجس التساؤل عن حقيقة الاتصال والانفصال في هذا الموروث المعماري، وإذا كان من الصعب تجاوز مستوى إقرار استمرارية المدينة، بل استحالة تحديد ماهي المؤسسات والمعالم التي استمرت أوانهارت داخل نفسها، فقد حاولت إنجاز بطاقية نموذجية وفقا للتقسيم التاريخي المناسب لنوميديا و موريطانيا السطائفية، أو القسم الغربي من الخريطة البيزنطية، عنيت فيها بالدرجة الأولى بالقيام بمسح بيبلوغرافي إلى جانب القيام بقراءة متقاطعة لمصادر التاريخ القديم مع المصادر الإسلامية، فتجلت العديد من النقاط مثل

استمرارية الهيكل الخارجي للمدينة، والمتمثل في الأسوار أو بعض المعالم الاستراتيجية كخزانات المياه والقصور الداخلية مثل الأسواق، بل حتى الحمامات، إذا اسطعنا تعميم وظيفية حمامات سطيف حسب حفريات فنترس. وبالتالي فإقرار استمرارية هذه المدن من شأنه التأكيد على استمرارية المسالك والمواصلات التقليدية، مثلما سمح بتحسس أهمية بعض المجمعات في كل من جنوب المزاق، الأوراس أو بلاد الزاب، و التي بدأت تبرز في شكل كوكبة من المدن المتقاربة، يدعمها نفوذ محلي أو قبلي، سرعان ما احتلت مكانة معتبرة في استراتيجية الفتوحات الاسلامية. وبالتالي فإذا ارتبط الحديث عن الموروث المعماري البيزنطي بالقلاع و الحصون، فتتبع بطاقيات هذه النماذج من المواقع في ضوء الاشارات التاريخية و الأثرية، من شأنه التأكيد على ضرورة مراجعة أحكامنا و التعامل مع هذه المدن كوحدات متكاملة، قد تكون أقل كمالا من النماذج الرومانيى العالية، إلا أنها بقطبيها العسكري و المسيحي كانت تحاول ممارسة كل وظائف المدينة.

إلا أن الحديث عن هذه الجوانب التقليدية للمجتمع الإفريقي لايمكن أن ينسينا وجهه الآخر، فمكانة المور في تاريخ المغرب "البيزنطي" جعلتنا نحاول البحث عن صوره التاريخية، ليس فقط في المصادر الأدبية والأثرية بل أيضا في النظريات التاريخية، فتبين أن الصورة التي صقلت له ليست سوى تراكم عصور من الأحقاد و الأحكام الإيديولوجية، فإذا كانت مصادرنا الحالية لاتوحي إلا بصورة الثائر والمتمرد في هذه الإمارات، فقد سمحت متابعتنا لهذا الملف بالوقوف على عينات تصبو إلى الملك بمفهومه الجغرافي و التشريعي أو على الشاكلة الرومانية، وهو أمر عجزت عن نقله حتى المصادر الإسلامية باعتبارها أخضعت بدورها مقروئية هذه المرحلة من التاريخ المغربي للقوالب القبلية بشبه الجزيرة العربية. وبالتالي فأدبيات المتمرد الأبدي لايمكن أن تكون المقياس الأمثل لمعالجة هذا الملف، ومفهوم القبيلة ليس منافيا بالضرورة لمصطلح المدينة، فإذا سمحت طبيعة العلاقة السياسة والجغرافية برصد خرائط تموقع هذه الكيانات المورية، فاعتقادي ان ذلك ليس كافيا لموازات الأنماط المعيشية وخلفياتها الاجتماعية والاقتصادية، لان مراحل الصراع وتراجع النفوذ المركزي، لعبا دورا كبيرا في حركيات تشكل هذه الجغرافيات السياسية، وبالتالي عدم ثباتها. ولعل عمليات استعراض نماذج هذه الكيانات كانت قد كافية لتبيان الوجه "البربري" أو "البدوي" لبعض الشخصيات مثل أنتالاس، كوتزيناس، يابداس. بينما برزت هذه الشخصيات نفسها بصور مغايرة تماما في حالة تحالفها الظرفي مع الادارة المركزية. و بالتالي فأدبيات المتمرد الأبدي لايمكن أن تكون المقياس الأمثل لمعالجة هذا الملف. أما الصورة الاجتماعية التي كرستها المصادر الاسلامية، قد ثمنت عددا من الخلفيات ذات الحضور في نهاية التاريخ القديم، أهمها استمرار المنطق القبلي و تنظيم الحياة على اساسه، حيث سمحت القراءة السريعة لهذه المصادر بالوقوف على أهمية الروابط الدموية، و تحالفات الزعامات المحلية. و استمرار الوثنية و المسيحية جنبا إلى جنب، ليس في المدن فحسب، بل حتى في الأوساط القبلية

البيبلوغرافيا

المصادر العربية

1. كتاب الاستبصارفي عجائب الأمصار، وصف مكة و المدينة و مصر و بلاد المغرب لكاتب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري ن. و. ت. د. س. زغلول. الدار البيضاء، دار النشر المغربية.
2. ابن.الأثير . الكامل في التاريخ، دار بيروت للطباعة. 1982
3. ابن.حوقل . كتاب صورة الأرض، ليدن. 1967
4. ابن.خلدون، ع. . كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. ت. ت. ف. المصطفى. بيروت، دار احياء التراث العربي. 1999
5. ابن.عبدالحكم. فتوح مصر و المغرب. ت. د. ع. م. عمر، مكتبة الثقافة الدينية. 1995
6. ابن.عذاري.المراكشي (1950). البيان المغرب في أخبار المغرب. بيروت.
7. أبو.عبيد.الله.البكري (1965). ،كتاب المغرب في ذكر بلاد لإفريقية و المغرب (المسالك و الممالك(، paris, .طبعة وترجمة دي سلان M.G.deSlane
8. أبي.الفداء . تقويم البلدان. ط. ر. و. ديسلان. باريس. 1830
9. الإدريسي . نزهة المشتاق في اختراق الافاق " القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس". ت. و. ت. ا. العربي. الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية. 1983
10. البلاذري . فتوح البلدان-Publications of the Institute for the History of Arabic- . Islamic Science, Islamic geography. M.J.Goeje. Vol.42,1992.
11. الحسن.الوزان وصف إفريقيا.
12. القاضي.النعمان . إفتتاح الدعوة ت. ف. الدشراوي. تونس. 1975
13. القيرواني، ا. تاريخ إفريقية و المغرب. ت. و. ت. ا. الكعبي. تونس.
14. المسعودي، أ. ا. ب. ع. . مروج الذهب و معادن الجوهر. سلسلة أنيس. الجزائر. 2. 1989
15. المغربي، ا. س. . كتاب الجغرافيا. ت. ا. العربي. بيروت. 1970
16. المقدسي أحسن التقاسيم وفي معرفة الأقاليم، مطبعة ليدن.
17. النويري . نهاية الأرب في فنون الأدب. في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط. ت. و. ت. د. م. أ. ض. أحمد. الدار البيضاء، دار النشر المغربية. 1984
18. الواقدي . فتوح إفريقيا. ت. ا. محمدي. **1**. 1966
19. اليعقوبي . البلدان. ت. م. أ. ضناوي، دار الكتب العلمية لبنان. 2002
20. ياقوت.الحموي . معجم البلدان. بيروت، دار بيروت للطباعة و النشر. م4 1957

المصادر اللاتينية و الإغريقية

1. Ammien.Marcellin Histoire. Livre XXIX. T.VI, Paris, 1999
2. Apulée Apologie. t. H. Clouard. Paris. 1933
3. Augustin.st Les Lettres de saint Augustin découvertes par Johannes Divjak. coll.des études Augustiniennes. e. J. Divjak. Paris ; Lettres. CSEL. e. A.Goldbacher. Vienne. T.34,44,57 ; Œuvres de saint Augustin : III, traités anti-donatistes. Bibliotheque Augustinienne, N° 30. t. G.Finaert. Paris. 30.
4. Claudien De Bello Gildonico. e. T. E.M.Olechowska, Leyde ; La Guerre contre Gildon. Oeuvres complétes. T. J.L.Charlet. Paris. TII,2.
5. Code.Theodosien. e. T. M. e. P.Meyer. Berlin.
6. Collectio.Avellana: epistulae imperatorum pontificum, aliorum, AD 367-553. CSEL. e. O. Guenther. Vienne. **35**.
7. Corippus . Johannide. Revue Tunisienne. T. J.Alix**:** 1899, p.31-39,148-160,314-324,453-462 ; 1900, p. 106-120,184-195,372-377,477-488 ; 1901, p. 210-213,327-335 ; 1902, p. 83-120 ; Johannide. J. D. e. F. R. D. Goodyear. Cambridge. 1970
8. Diehl, E. Inscriptiones latinae christianae veteres. Berlin. 3 vol.
9. Evagrius (1898). Histoire ecclésiastique. J. B. e. L.Parmentier. Londres ; Byzantion. T. A.J.Festugiére. 45: 187-488. 1975
10. Georges.de.Chypre. Descritio orbis Romani. dans Corpus Bruxellense Historia Byzantinae: Forma imperi Byzantini1. E.Honingman. Bruxelles: 49-70. 1939
11. Grégoire le Grand, The Letters of Gregory the Great. Medieval Sources in Translation 40. trl. J.R.C.Martyn. Canada, PIMS. 3 v; Lettres (Livres I- II). Sources Chrétiennes. S.-M.-d.-L. P.Minard. Paris. 370-371. 1991
12. Honorius, J. . Cosmographia. Geographi latini minores. e. Riese. Heilbronn. 1878
13. ILAlg, Inscriptions latines de l'Algerie. Ed. St.Gsell, T.I, la proconsulaire,1922 ; ed. H.G.Pflaum, T.II,1-2, 1957, 1976 ; ed.X. Depuis. T.III.3Paris, 2003.
14. J.Divjak-et.alii . Œuvres de Saint Augustin. é. augustiniennes. 1987
15. Jean.de.Biclar . Chronique. MGH,a.a. é. Mommsen. Berlin. XI,1. 1894
16. Jean.de.Nikiou . Chronique. Notices et extraits des manuscrits de la bibiliothéque Nationale. e. t. H.Zotenberg. Paris. 24. 1883
17. Joannes.Dominicus.Mansi Sacrorum conciliorum nova et amplissima collectio. Paris, Leipzeig. 50 tomes en 55 vol.
18. Jordanes . Histoire des Goths. t. O. Devilliers. Paris. 1995
19. Justin.I Novellae. Corpus Juris Civilis. e. R. S. e. G.Kroll. Berlin. III.
20. Justin.II Novellae constitutiones imperatorum post Justinianum. e. C. E. Z. v. Lingental. Leipzig. ParsIII.
21. Justinian Codex Justinianus. Corpus Juris Civilis. P.Kruger. Berlin. 2.
22. Justinian Novellae Justiniani. Corpus Juris Civilis. é. S. e. Kroll. Berlin. III.
23. Nicéphore.le.Patriarche Brevarum. t. C. Mango. Washington ; ed. D. Boor. Leipzeig. 1880
24. Notitia.Dignitatum . e. O.Seeck. Berlin. 1876
25. Notitia.provinciarum.et.civitatum.Africae (2002). Victor de vita. e. T. S. Lancel. Paris, les Belles Lettres.
26. Paul.Orose Historiae adversus paganos. M-P.Anaud-Linder. Paris, CUF. 3 tomes.

27. Pline.l'Ancien Histoire Naturelle. e. T. J. Desanges. Paris, CUF.
28. Possidius . Vita Augustini. Patrologie Latine, col. 54-55. éd.Pellegrino. XXVIII. 1955
29. Procope Histoire Secréte. t. P.Maraval. Paris, la roue a livre.1990 ; les Aedificis. Coll. Loeb. e. H.B.Dewing. Londres. 1953-1960 ; La Guerre contre les Vandales(Bellum Vandalorum). T. D.Roques. Paris, Belles Lettres. 1990
30. Prosper.Tiro Chronica. MGH,a.a. e. Mommsen. Berlin. IX.
31. Ptomémée Géographie. é. C.Muller. Paris. T.I,2.
32. Quodvultdeus Liber Promissionum et Praedictorum Dei. Sources Chrétiennes. e. T. R.Braun. Paris. 101-102 ; Sermo II de tempore barbarico. dans Corpus Christianorum, S, Latina. ed.R.Braun. t.60.
33. S.Lancel . Actes de la conférence de Carthage en 411. Sources Chrétiennes. N°195. 1972
34. Salvien De gubernationne Dei. SC. é. G. Lagarrique. 220.
35. Strabon Geographie. Coll. Loeb. e. H.L.Jones. Londres. Livre XVII ; Géographie, . e. G.Aujac, CUF. Livre II.
36. Symmaque Lettres,. T. J.P.Callu. Paris. Tome I,II.
37. Synésios.de.Cyréne Lettres. trad. D. Roques. Paris, CUF. 2Tomes.
38. Table.de.peutinger. e. K.Muller. Stuttgart.
39. Theophane Chronographia. t. C. Mango. Oxford.
40. Theophyclate.de.simocatta Histoires. t. M. e. M.Whitby. Oxford.
41. Valentinien . Novelle. e. M.Meyer. Berlin. 1962
42. Victor.de.Tonnenna Chronique MGH. aa. Berlin. T XI,1.
43. Victor.de.Vita Historia persecutionis Africae provinciae. t. S. Lancel. Paris, les belles lettres.2002
44. Vita.Fulgentii. ed. T. G.Lapeyere. Paris.1932
45. Zosime . Histoire nouvelle. T. F.Paschoud. paris, les belles lettres. 1986-1989

المراجع باللغة العربية:

فايز.نجيب.اسكندر . الحياة الإقتصادية في الشمال الافريقي في عهد الوندال. الاسكندرية.، مطبعة الجبلاوي البولاقية. 1987

الهادي.سليم. . حول البطريق جرجير. تاريخ السباسب العليا من العصر القديم إلى العصر الوسيط. ت. ف. البجاوي. سبيطلة، فعاليات ملتقى سبيطلة 1998-1999: 2001 ، ص: 35-40

شنيتي، م. ب. موريطانيا القيصرية. دراسة حول لليمس الموريطاني، رسالة دكتوراه دولة، جامعة الجزائر، 1991-1992

لقبال موسى ، دور كتامة في تاريخ الحلافة الفاطمية، الجزائر، 1979.

عيبش يوسف ."يبداس أمير الأوراس ".مجلة الحوار الفكري **01**، مخبر البحوث و الدراسات التاريخية، كلية العلوم الانسانية و العلوم الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة.: 2001 ،ص: 42-**47**

عيبش يوسف. . المور والبيزنطيون في بلاد المغرب، خلال القرن السادس م. قسم التاريخ، جامعة قسنطينة.1996

عيبش يوسف، حقل مدن المغرب في نهاية التاريخ القديم، مجلة سيرتا، 12، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 1999، ص: 27-37

عيبش يوسف، الأوراس في مصادر القرن السادس م، مجلة الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، العدد2، 2003، ص: 97-116

منصوري محمد الطاهر. ملامح بعض الفئات الاجتماعية في إفريقيا في العهد البيزنطي 533ـ 709. المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي. إ. م. م. ا. ت. د. ا. التيمومي، المجمع التونسي للعلوم والأداب والفنون، وزارة الثقافة، بيت الحكمة قرطاج.

حسين.مؤنس فتح العرب للمغرب ,مكتبة الثقافة الدينية.

أونيس ميلود .تيجان مدينة كوكول دراسة معمارية ,جامعة الجزائر قسم الآثار، .**رسالة ماجستير**.2004

المراجع و الدراسات باللغات الأجنبية

1. Aibèche, Y. (2003). Le Mausolée royale de la Soumaa. l'Algérie au temps des royaumes Numides. G. S. e. C. Colonna. Rouen**:** 97-100.

2. Aibèche, Y. (2005). De Cirta à Constantine, repéres et histoire. Idendités et Cultures dans l'Algérie antique. C. poinsot. Rouen**:** 23-34.

3. Aibèche-M.Christol, Y. (2005). Remarques sur les inscriptions de Mons (Algérie) : autour de la redécouverte d'une inscription byzantine. Actes de la rencontre d'épigraphie franco-italienne de Macerata, .

4. Aibèche-M.Christol., Y. (14 octobre 2006). Municipium Mopti : le municipe de Mopt(h)i, entre Sétif et Cuicul communication à la SFER, Centre Glotz.

5. Aibèche-M.Christol., Y. (2006). "Sur une inscription de Mons (Algérie) de l'époque de Marc Aurèle " ZPE **158**: 251-258.

6. Aibèche-M.Christol., Y. (2006). "Une inscription byzantine de Mons (Algérie)." Aouras **3**: 365-374.

7. Albertini, E. (1928). "La Route Frontiére de la Maurétanie Césarienne entre Boghar et Lalla- Maghnia." Bull. Soc. Geog. d'Oran,: 33-48.

8. Albertini, E. (1932). "Ostrakon de Negrine (Numidie)." dans Cinquantenaire de la Faculté des Lettres.

9. Albertini, E. (1934). "la forteresse byzantine de Ksar bellezma." BSNAF.

10. Albertini, E. (1937). l'Afrique du Nord Française dans l'histoire. Paris.

11. Albertini, E. (1955). L'Afrique romaine. Alger, [Impr. Officielle].

12. Albertini, E. and A. Chastagnol (1970). L'Empire romain. Paris, Presses universitaires de France.

13. Alfoldy, G., E. Evrard, et al. (1991). Histoire sociale de Rome
14. Publications en langue francaise concernant la societe romaine et parues depuis 1971. Paris, Picard.

15. Allais, Y. "le quartier chrétien."

16. Allais, Y. (1971). "le quartier occidental de Djemila." Ant.Afr **5**: 95-119.

17. Amann, E. (1934). "la doctrine de Théodore de Mopsuete." Revue des sciences religieuses **14**: 161-190.

18. Amrouche, J. (1946). "L'éternel Jugurtha. Propositions sur Le génie Africain." L'Arche **XII,**: 58-70.

19. Andrau, J. "les financiers romains entre la ville et la campagne, Richesses."

20. Andrau, J. (1997). Patrimoines échanges et préts d'argent économie romaine,. Roma, L'ERMA di Bretschneider.

21. Andrau, J. (2005). "les patrimoines sénatoraux, remarques sur les intérets patrimoniaux de l'élite romaine." Cahiers Glotz **XVI**: 57-77.

22. Andreas.Schwarz the Settlement of the Vandals in North Africa. Vandals Romans and Berbers. A.H.Merills**:** 49-58.

23. Anna.Leone (2002). "l'inumazione in 'spazio urbano' a Cartagine tra V e VII secolo d.c." Ant.Tard **10**: 233-248.

24. Antit-H.Broise-Y.Thebert, A. "Recherches Archeologiques Franco-Tunisienne A Bulla- Regia." Mescelllaea,Rome **I**: pp161-190.

25. Arnaud-Portelli, A. (2005). L'Afrique romaine de l'Atlantique a la Tripolitaine de 69 a 439 approches de la question. Paris, Hachette.

26. Arthur, P. "Eastern Mediterranean amphorae between 500 and 700 : a view from Italy." Ceramica in Italia.

27. Audollent, A. (1890). "Mission épigraphique en Algerie de MM. Aug.Audollent et J.Letaille, octobre 1889à Fevrier 1890." MEFR **10**: 562-.

28. Avshalon.Laniado (2002). recherches sur les notables municipaux dans l'empire protobyzantin. Paris, collége de France.

29. Badel, C. (2005). La noblesse de l'empire romain, les masques et la vertu. Seyssel, Champ-Vallon.

30. Badel.A.Berenger, C. (1998). L'empire romain au IIIe siecle apres J.-C textes et documents. Paris, Societe d'edition d'enseignement superieur.

31. Ballu, A. (1908). "Rapport sur les fouilles exécutées en 1907 par le service des Monuments Historiques en Algérie." BACTH.

32. Baradez, J. (1949). Fossatum Africae. Paris, Arts et metiers

33. Baratte.F.Béjaoui.Z.Ben.Abdallah, F. (1999). Recherches archéologiques à Haidra, Miscéllanea 2. Rome.

34. Baratte.F.Béjaoui.Z.Ben.Abdallah, F. (1999). "Recherches archéologiques à Haidra,Miscéllanea,2." CEFR, **17/2**.

35. Barnes, T. D. (1982). Aspects of the background of the City f God. l'Afrique romaine, les conferences Vanier 1980. O. University**:** 69-85.

36. Barnwell, P. S. (1992). Emperors, Perfects and Kings, The Roman West, 395-565. London.

37. Barraud.M.Bonifay.F.Dridi.J.F.Pichonneau, D. l'Industrie céramique de l'Antiquité tardive. Uthina(Oudhna).

38. Bechaouch, A. and Y. T. R.Hanoune (1977). Les Ruines de Bulla Régia. Rome.

39. Belkhodja, K. (1970). "l'Afrique Byzantine a la fin du Vie et au début du VIIs." R.O. M.M **n°spécial**.

40. Belkhodja, K. (1971). De la crise de la civilisation romaine à l'Islam. Histoire de la Tunisie, l'Antiquité. Tunis.

41. Benabbés, M. (2004). l'Afrique Byzantine face à la conquete arabe, recherche sur le VII siècle en Afrique du Nord. Paris X,. Paris.

42. Benabed.M.Bonifay.M.Fixot-avec-la-collab.de.C.Michel.d'Annoville-et-P.Reynaud, A. (13-18 novembre 1995)). Note préliminaire sur le céramique de la basilique orientale de Sidi Jdidi (Tunisie) (V-VII s),. La Céramique médiévale en Méditérranée, actes du VI Congrés de l'AICEM, Aix en Provence, Aix-en-Provence.

43. Benabou, M. (2005). la résistance afriaine à la romanisation. Paris.

44. Ben-Lazreg-M.Bonifay-A.Drine-P.Trousset, N. (1993). Production et commercialisation des salsamenta de l'Afrique ancienne. VI Colloque de l'Afrique, Pau, Paris.

45. Bennabes, M. (2005). les premiers raids arabes en Numidie byzantine : questions toponymiques. Idendités et Cultures dans l'Algérie antique. C. poinsot. Rouen**:** 459-492.

46. Benseddik, N. (1983). De Caesarea à Shershel : premiers résultats de la fouille du forum. Actes du IIe Coll. Intern. sur l'Hist. et l'Arch. de l'Afrique du Nord. Grenoble, BCTH, 19b.

47. Berbrugger, A. (1845,). de la necessité de coloniser la Cap Matifou. Paris.

48. Berbrugger, A. (1865). "Epigraphie numidique." Rev.Afr. **IX**: 396-398.

49. Berebent, J. (1962). Aquae Romanae. Recherches d'hydraulique Romaine Dans L'est Algerien.

50. Berthier, A. (1943). Les vestiges du christianisme antique dans la numidie centrale. Alger.

51. Berthier, A. (2000). Tiddis cité antique de Numidie. Paris.

52. Berthier, A., R. Charlier, et al. (1952). Le sanctuaire punique d'El-Hofra a Constantine. Paris, Arts et metiers graphiques.

53. Bertrandy, F. and M. Coltelloni-Trannoy (2005). L'Afrique romaine
54. de l'Atlantique Áa la Tripolitaine (69-439). Paris, A. Colin.

55. Beschaouch, A. (1995). Carthage, legendes et realites
56. l'histoire, sa trace et son echo" [au] Musee du Petit Palais, 9 mars - 2 juillet 1995. Paris, Arts et Âeducation.

57. Beschaouch-R.Hanoune-Y.THebert, A. (1974). Les Ruines de Bulla-Regia. Rome.

58. Besnier, M. and G. Glotz (1937). L'Empire romain de l'avÁenement des Severes au Concile de Nicee. Paris, Presses universitaires de France.

59. Bianchi Bandinelli, R. and J.-C. Picard (1970). Rome, la fin de l'art antique l'art de l'Empire romain de Septime SÂevÁere Áa ThÂeodose 1er. Paris, Gallimard.

60. Bien, S. Des niveaux du VII s. sous le Music-Hall de l'Alcazar à Marseille. First Conférence on Late Roman Coarse Wares,.

61. Blanchard.lémée, M. "dans les Jardins de Djemila." Ant.Afr **34**: 185-197.

62. Blanchard.lémée, M. (1975). Maisons à mosaïques du quartier central de Djemila (Cuicul). Aix en province.

63. Blanchard-Lemmée(M) (1984). "La Maison de (Bacchus) A Djemila." B.A.C.T.H.S Ns **17B**(Paris): pp131_143.

64. Bohec, Y. L. "de Sila a Gadiaufala: Urbanisation et municipalisation dans la Numidie Cirtéenne méridionale." l'Afrique dans l'occident Romain I-IV siecle **134**: 291-313.

65. Boissier, G. (1901). l'Afrique romaine. Paris.

66. Bonifay, M. (2002). "les ultimes niveaux d'occupation de sidi jdidi,

Pupput et Neapolis : difficultés de datation par la céramique." An Tard **10**.

67. Bonifay, M. (2003). "la céramique africaine, un indice du développement économique." An Tard **11**: ??

68. Bourgarel.Musso, A. (1979). "Recherches économiques sur l'Afrique romaine." Cahier de Tunisie **107-108, T. 27, I-II**: 109-208.

69. Brett.E.Fentress, M. (1996). The Berbers / Michael Brett and Elizabeth Fentress. Oxford, UK ; Cambridge, USA, Blackwell.

70. Briand-Ponsart, C. and C. Hugoniot (2005). L'Afrique romaine
71. de l'Atlantique a la Tripolitaine 146 av. J.-C. - 533 ap. J.-C. Paris, A. Colin.

72. Brisson, J.-P. (1958). Autonomisme et christianisme dans l'Afrique romaine de Septime Severe a l'invasion vandale. Paris, E. de Boccard.

73. Brisson, J.-P. (1973). Carthage ou Rome ? Paris, Fayard.

74. Brogan.D.J.Smith, O. (1985). Ghirza: A Romano- Libyan settlement in Tripolitania Tripoli.

75. Brun, J. P. (2004). Archeologie du vin et de l'huile dans l'Empire romain. Paris, Ed. Errance.

76. Brun, P. (2003). "Les pressoirs à vin d'Afrique et de Maurétanie à l'époque romaine." Africa, **N/S,1,**: p.7-30.

77. Burdeau.N.Charbonnel.M.Humbert.J.Gaudemet, F. (1964). Aspects de l'Empire romain. Paris, Presses universitaires de France.

78. Burian, J. (1968). Die einheimishe bevolkerung nordafrikas in der spatantike bis zur einwanderung der wandalen. Berlin.

79. Bussiére, J. (2000). Lampes antiques d'Algérie. Montagnac.

80. Cabouret, B. (2005). L'Afrique romaine, de 69 Áa 439. Nantes, Editions du temps.

81. Caggero, G. (5-17 Dec,1989). "I Mauri nella storiografia del tardo impero." l'Africa Romana ,Atti del VII convegno di studi sassari **7**.

82. Cagnat, R. (1885). "Rapport sur une mission en Tunisie." Arch.des Missions **3s, XII,1881-1882**.

83. Cagnat, R. (1912). l'Armée Romaine d'Afrique et l'occupation militaire sous les Empereurs. Paris.

84. Cambuzat, P. L. (1970). "Note sur un toponyme du Zab au Moyen Age." revue d'histoire et de civilisation du Maghreb **9**: ?????

85. Cambuzat, P. L. (1988). L 'Evolution des Cites du Tell en Ifrikiya du VIIe au XIe siecle. Alger, Opu.

86. Cameron, A. (1982). Byzantine africa, The litterary evidence. Exacations at Carthage. e. J.H.Humphery. Ann Arbor, Michigan. **VII:** 534-539.

87. Cameron, A. (1983). "Corippus Johannis:Epic of Byzantine Africa." Proceesings of the Liverpool Latin Seminar **4**: 167-180.

88. Cameron, A. (1983). "'Corippus' Johannis,Epic of Byzantine Africa." Papers of the Liverpool Latin Seminar **4**: 173-180.

89. Cameron, A. (1984). Procopius and the Sixth century. Londres.

90. Cameron, A. (1989). Gelimer's Laughter, the case of Byzantine Africa. in Tradition and Innovation in late Antiquity. F. M. C. a. R. S. Humphhreys. England.

91. Camps, G. (1955). "les Bavares, peuple de Maurétanie Césarienne." Rev.Afr. **99**: 241-288.

92. Camps, G. (1961). Aux origines de la Berberie monuments et rites funeraires protohistoriques. Paris, arts et metiers graphiques.

93. Camps, G. (1970). "Recherches sur les origines des cultivateurs noirs du Sahara." R.O.M.M **7**: pp 39-41.

94. Camps, G. (1974). Les Civilisations prehistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara. Paris, Doin.

95. Camps, G. (1980). Berbere aux marges de l'histoire. Toulouse, des esperides.

96. Camps, G. (1983). "Comment la berberie est devenur le Maghreb arabe." ROMM **35-1**: 7-24.

97. Camps, G. (1984). "Abigas." Encyclopedie Berbere **I**.

98. Camps, G. (1984). "Rex Gentium Maurorum et Romanorum Recheches sur les Royaumes de Maurétanie des VIe et VIIe Siécles." Ant. Afr **T20**: pp 183-218.

99. Camps, G. (1988). "Antalas." Encyclopedie Bérbére **T5**(Univ. Aix-en-Provence): pp 706-708.18 -.

100. Camps, G. (2002). Les Berberes, memoire et identite. Paris, Ed. Errance.

101. Camps, G. and P. Chaunu (1982). La prehistoire a la recherche du paradis perdu. Paris, Librairie academique Perrin.

102. Carandini, A. (1970). "Produzione agricola e produzione e il commercio della ceramica africana in eta imperiale : Apunti sull'economia della Zeugitana e della Bizacena." Studi mischellanei **15**: 95-124

103. Carandini, A. (1983). Pottery and the African Economy,in Trade in the Ancient Economy. London.

104. Carcopino, J. (1914). "Mélanges d'épigraphie algérienne III: Tigzirt et Taksebt." Revue africaine **LVII**: pp.

105. Carcopino, J. (1940). La fin du Maroc Romain. Paris.

106. Carcopino, J. (1944). "Un Empereur Maure inconnu d'après une inscription Latine récemment découverte dans l'Aurès." R.E.A: .94-120.

107. Carrie, J.-M. and A. Rousselle (1999). L'Empire romain en mutation des Severes a Constantin, 192-337. [Paris], Seuil.

108. Carton, L. (1909). "travaux antiques d'irrigation et de culture dans la région de djebel el Onk." RSAC **XLIII**: p 193-224.

109. Cat, E. (1891). Essai sur la province romaine de Maurétanie Césarienne. Paris.

110. Chafik, N. (2000). A l'ombre de Jugurtha. Casablanca
111. Paris, EDDIF
112. Paris-Mediterranee.

113. Chardon, H. (1900). "Fouilles de Rusguniae." B.C.T.H: 133-148.

114. Charles-Picard, G. (1990). La civilisation de l'Afrique romaine. Paris, Etudes augustiniennes.

115. Charles-Picard, G. and J. Carcopino (1954). Les religions de l'Afrique antique. Paris, Plon.

116. Charles-Picard, G. and C. Charles-Picard (1964). La vie quotidienne a Carthage au temps d'Hannibal IIIe siecle avant Jesus-Christ. (Paris), Hachette.

117. Charles-Picard, G. and J. Rouge (1969). Textes et documents

relatifs a la vie economique et sociale dans l'Empire Romain 31 avant J.-C. - 225 apres J.-C. Paris, Societe d'edition d'enseignement superieur.

118. Charpentier (1951). "les conciles africains durant la période byzantine." Rev.Afr **95**: 103-120.

119. Chastagnol, A. (1960). la prefecture urbaine à Rome sous le Bas-Empire. Paris.

120. Chastagnol, A. (1969). Le Bas-Empire. Paris, A. Colin.

121. Chastagnol, A. (1976). La Fin du monde antique de Stilicon a Justinien, V siecle et debut VI. Paris, Nouvelles editions latines.

122. Chastagnol, A. (1994). L'evolution politique, sociale et economique du monde romain, de Diocletien a Julien la mise en place du regime du Bas-Empire, 284-363. Paris, SEDES.

123. Chastagnol, A. and J. Chastagnol (1994). Histoire auguste les empereurs romains des IIe et IIIe siecles. Paris, R. Laffont.

124. Chastagnol, A., S. Demougin, et al. (1996). Splendidissima civitas etudes d'histoire romaine en hommage a Francois Jacques. Paris, Publ. de la Sorbonne.

125. Chevallier, R. (1988). Voyages et deplacements dans l'empire romain. Paris, A. Colin.

126. Cheynet, J.-C. (2002). Byzance
127. l'Empire romain d'Orient. Paris, A. Colin.

128. Christofle, M. (1935). Rapport sur les travaux de fouilles et consolidations effectués en 1930-1931-1932 par le services des monuments historiques de l'Algerie. Alger**:** 213-270, 276-285 et 287-288.

129. Christol, M. (1997). L'Empire romain du IIIe siecle histoire politique (de 192, mort de Commode a 325, concile de Nicee). Paris, Errance.

130. Christol, M. (2005). Regards sur l'Afrique romaine. Paris, Editions Errance.

131. Christol, M., S. Demougin, et al. (1992). Institutions, societe et vie politique dans l'Empire romain au IVe siecle ap. J.-C actes de la table ronde autour de l'oeuvre d'Andre Chastagnol (Paris, 20-21 janvier 1989). Rome
132. Paris, Ecole francaise de Rome
133. diff. De Boccard.

134. Christol, M. and D. Nony (1990). Rome et son empire des origines aux invasions barbares. Paris, Hachette.

135. Christol, M. and D. Nony (1996). Rome et son Empire
136. des origines aux invasions barbares. Paris, Hachette.

137. Christol.D.Nony, M. (1983). Des origines de Rome aux invasions barbares. Paris, Hachette.

138. Chrysos, E. (1966). "Die Bishofhsten des V.okumenishen konzils(553) ": 138-144.

139. Cl.Santamaria (1995). "l'épave Dramont E à Saint Raphaél(Ve s apr) " Archaeonautica **13** (Paris).

140. Clover, F. (1993). The Late Roman West and the Vandals.

141. Collinet, P. (1939). la politique de Justinien à l'égard des colons. Atti del V congresso internazionale di studi Bizantini.

142. Coltelloni-Trannoy, M. and J. Desanges (1997). Le royaume de Mauretanie sous Juba II et Ptolemee (25 av. J.-C.-40 ap. J.-C.). Paris, CNRS Âeditions.

143. Corbier, P. and M. Griesheimer (2005). L'Afrique romaine, 146 av. J.-C.-439 ap. J.-C. Paris, Ellipses.

144. Cosme, P. (1998). L'Etat romain entre eclatement et continuite l'Empire romain de 192 a 325. Paris, Seli Arslan.

145. Courtois, C. (1942). "De Rome à l'Islam." Revue Africaine **86**: 24-55.

146. Courtois, C. (1954). Victor de vita et son oeuvre , étude critique. Alger.

147. Courtois, C. (1955). Les Vandales et l'Afrique. Paris.

148. Courtois.L.Leschi.Ch.Perrat.ch.Saumagne, C. (1952). Tablettes Albertini, Actes privés de l'époque vandale (la fin du Ve siécle). Paris.

149. Cravioto, E. G. (1981). "El problema de la Ceuta bizantina." Cah.Tun. **XXIX, n°115-116**: 23-53.

150. Dalmis, I.-H. (1982). "la vie de saint Maxime le confesseur reconsidérée ?" Studia Patristica **XVIII,1**: 26-30.

151. Decret, F. (1985). "Augustin d'Hippone et l'esclavage.

Problèmes posés par les positions d'un évêque de la Grande Eglise face à une réalité sociale dans l'Afrique de l'Antiquité tardive." Dialogues d'histoire ancienne **11, 1**: 674 - 685.

152. Decret, F. (1996). ˆLe christianisme en Afrique du Nord ancienne. Paris, Editions du Seuil.

153. Decret, F., M. Fantar, et al. (1981). L'Afrique du nord dans l'antiquite histoire et civilisation (des origines au Ve siÁecle). Paris, Payot.

154. Delmaire, R. (1998). Cités et fiscalité au Bas-empire. A propos du rôle des curiales dans la levée des impots. la fin de la cité antique. Cl.Lepelley**:** 59-70.

155. Deloum, S. (1986 Septembre). Notes sur le trésor monétaire de M'sila (fin du Ve siècle, début du VI siècle aprés J.C) Procedings of the 10th International Congrés of Numismatics, London, London

156. Demougeot, E. (1988). ˆL'Empire romain et les barbares d'Occident (IVe-VIIe siecle[sic]) scripta varia. Paris, Publications de la Sorbonne.

157. Depeyrot, G. (1987). Le Bas-Empire romain economie et numismatique. Paris, Ed. Errance.

158. Desanges, J. (1962). catalogue des tribus Africaines de l'antiquité classique à l'ouest du Nil. Dakar.

159. Desanges, J. (1963). "Etendue et importance du Byzacium." Cah.Tun **XI, N°44**.

160. Desanges, J. (1963). "Un Témoignage peu connu de Procope, sur la Numidie Vandale et Byzantine." Byzantion **T33, Fasc.1**: 86-99.

161. Desanges, J. (1971). "Compte rendu de l'edition Diggle Goodyear de la johannide." Cah.Tunisie **19**: 280-281.

162. Desanges, J., Ed. (1980). Commentaire de Pline l'ancien, V, 33, .

163. Desanges, J. (1980). "Permanence d'une structure indigéne en marge de l'administration romaine : la Numidie traditionnelle." Ant. Afr **15**: 77-89.

164. Desanges, J. (1984). "Abaritana." Encylopedie Berbere **I**.

165. Desanges, J. (1994). Une mention des Abaritani dans Arnobe ? Mélanges M.LeGlay. Bruxelles**:** 95-99.

166. Desanges, J. (1996). "A propos de Masties imperator berbere e chrétien." Ktéma **21**: 183-188.

167. Desanges, J. (1999). Toujours Afrique apporte fait nouveau. Paris.

168. Despois, J., R. Raynal, et al. (1967). Geographie de l'Afrique du Nord-Ouest. Paris, Payot.

169. deVigneral, C. (1867). Ruines romaines de l'Algerie. Subdivision de Bone, Cercle de Guelma. Paris.

170. Devresse, R. "l'église d'Afrique durant l'occupation byzantine."

171. Devresse, R. (1933). "les instructions catéchétiques de Théodore de Mopsuete." Revue des sciences Religieuses **12**: 425-536

172. Di Vita, A., G. Di Vita-Evrard, et al. (2005). ˆLa Libye antique
173. cites perdues de l'Empire romain. Paris, Ed. Place des victoires.

174. Diehl, C. (1893). Rapport des deux missions archéologiques en Afrique du Nord (1892-1893)

175. Diehl, C. (1896). l'Afrique Byzantine,Histoire de la domination byzantine en Afrique du Nord(533-709), . Paris.

176. Diehl, C. (1896). L'Afrique byzantine. Histoire de la domination byzantine en Afrique (533-709). Paris.

177. Diehl, C. (1901). Justinien et la civilisation Byzantine. Paris.

178. Divjak.et.alii, J., Ed. (1987). Œuvres de Saint Augustin,.

179. Djaidi, H. remarques sur la constitution des biens des églises Africaines à l'époque romaine tardive. SPLENDIDISSIMA CIVITAS**:** 169-191.

180. Djaidi, H. (1990). l'Afrique et le Blé de Rome aux IV eme et Veme siècles, publications de la faculté des sciences humaines et sociales de Tunis.

181. Dominicis, M. d. (1964). "A proposito di due leggi bizantine sul colonato nelle regioni africaine." RIDA: 139-158.

182. Dondin-Payre, M. and M.-T. Raepsaet-Charlier (1999). Cites, municipes, colonies les processus de municipalisation en Gaule et en Germanie sous le Haut Empire romain. Paris, Publications de la

Sorbonne.

183. Dufourcq, C. E. (1968). "Berberie et Iberie medievales, un probleme de rupture." Revue historique.

184. Dunbabin, C. (1985). "Mosaics of the Byzantin period in Carthage. Problems and directions of research." Cahiers des Etudes Anc **17**(Carthage VII): 9-29.

185. Durliat, J. (1977). recherches d'histoire sociale de l'Afrique byzantine, le dossier épigraphique (533-709). Paris I. Paris, Paris I. **Thèse de troisième cycle,**.

186. Durliat, J. (1979). "La Lettre L dans les Inscriptions Byzantines." Byzantion **T 49**: 157-174.

187. Durliat, J. (1979). "Magister Militum dans l'empire Byzantin,(VIe-VIIe siècle)." Byzantinische Zeitschrift **72,2**.

188. Durliat, J. (1981). Les Dedicaces d'Ouvrages de defense dans l'Afrique Byzantine. Rome.

189. Durliat, J. (1981). "Les Grands propriétaires Africains et l'Etat Byzantin, (533-709)"." Cah. Tun **XXIX, N° 117-118**: 514-531.

190. Durliat, J. (1982). "les attributions civiles des éveques Byzantins: l'exemple du Diocése d'Afrique(533-709)." Jahrbuch der Osterreichischen Byzantinistik **32,2**: 73-84.

191. Durliat, J. (1984). "L'administration religieuse du diocese Byzantin d'Afrique (533-709)." Rivista di studi Bizantini e slavi **4**: ??

192. Durliat, J. (1997). Cité,impot et integration des Barbares. Kingdoms of the empire.

193. Durliat, J. (Juin,1980). "écritures écrites et écritures épigraphiques. Le dossier des inscriptions byzantines d'Afrique." Studi Medievali, **3e série, année XXI, fasc.I**: 19-46.

194. Durliat, J. (1998). la Byzacène à l'époque byzantine. Du Byzacium au Sahel.

195. Durliat, J. (1985). "les finances municipales africaines de Constantin aux Aghlabides." BCTH **19B**: 377-386.

196. Durliat, J. (1990). les finances publiques de Dioclétien aux Carolingiens 284-889. Sigmaringen.

197. Duval, N. (1957). recherches sur la datation des inscriptions chrétiennes d'Afrique en dehors de la Maurétanie. Atti del III°

congresso intern. Di Epigrafia greca et latina., Roma.

198. Duval, N. (1958). "Episcopus unitatis,à propos de trois inscriptions chrétiennes d'Afrique." BSNAF: 147-150.

199. Duval, N. (1964). "Observations sur l'urbanisme tardif de sufeutula." Cahier de Tunisie **12**(p.87-105).

200. Duval, N. (1965). "Nouvelles recherches d'archéologie et d'epigraphie à Sufetula." MEFRA **68**: 246-298.

201. Duval, N. (1971). "Eglise et temples en Afrique du Nord, Note sur les instatllations chrétiennes dans les temples à cour, à propos de l'eglise dite de Servius à Sbeitla." BAC **n.s, 07**: 265-296.

202. Duval, N. (1971). "influences byzantines sur la civilisation chrétienne de l'Afrique du Nord." R.E.Grèques **LXXXIV**: XXVI-XXX.

203. Duval, N. (1971). "Inscriptions byzantines de Sbeitla (Tunisie)." MEFRA **III, 83, fasc. 2**: 423-443.

204. Duval, N. (1971). "Les Eglises de Haidra III :La citadelle." CRAI: 136-166.

205. Duval, N. (1971). Sbeitla et les églises africaines à deux absides. Paris.

206. Duval, N. (1972). "l'architecture chrétienne en Byzacene " MEFRA **84**: 1127-1172.

207. Duval, N. (1973). Les églises africaines à deux absides. Recherches archéologiques sur la liturgie chrétienne en Afrique du Nord

208. Paris.

209. Duval, N. (1974). "une nouvelle édition des listes épiscopales africaines." REAug **20**: 313-322.

210. Duval, N. (1977). "la Basilique de Zana (Diana Veteranorum)." MEFRA **89,2**: 847-873

211. Duval, N. (1977). Observations sur l'onomastique dans les inscriptions chrétiennes d'Afrique. Actes du Colloque sur l'onomastique latine, Paris.

212. Duval, N. (1981). "comment distinguer les inscriptions byzantines d'Afrique ? Un probleme de méthode." Byzantion **51**: 511-532.

213. Duval, N. (1982). "L'urbanisme de Sufetula-Sbeitla en

Tunisie." ANRW **II.10.2**.

214. Duval, N. (1982). "Topographie et urbanisme d'Ammaedara (actuellement Haidra)." ANRW **II,10-2**: p.663-667.

215. Duval, N. (1983). "L'Etat de la recherche sur les Fortifications Byzantines en Afrique,." XXXe Corso di cultura sull'arte Ravennate e Bizantina.

216. Duval, N. (1984). "Culte des rois ou culte des empererurs." Rev.des Etudes Augustiniennes **30**: 269-273.

217. Duval, N. (1985). "Comptes rendus de cathage VII." Cahiers des etudes Anciennes **XVII**(Université de Quebec): 64-66.

218. Duval, N. (1985). "Une nouvelle basilique à »double-chœur » ? à Henchir Guessès, au nord de Timgad." MEFR **97,II**: 1068-.

219. Duval, N. (1990). "Quinze ans de recherches archéologiques sur l'antiquité tardive." REAug **CCII**: 349-387.

220. Duval, N. (1993). les nécropoles chrétiennes d'Afrique du Nord. l'Afrique du Nord antique et médiévale,, Pau, Paris.

221. Duval, N. (1993). "Les systémes de datation dans l'est de l'Afrique du Nord à la fin de l'Antiquité et à l'époque byzantine." Ktéma **18**: 189-211.

222. Duval, N. (2003). "les dates règnales des vandales et les structures du royaume vandale." Ant.Tard **11**: 85-95

223. Duval, Y., Ed. (1990, 9-12 maggio). Grégoire et l'eglise d'Afrique. Les « Hommes du Pape ». Gregorio Magno e il suo tempo. Roma, I.Studi storici, Roma.

224. Duval, Y. (1970). "la Maurétanie sitifienne à l'époque byzantine." Latomus **XXIX**: 209-214.

225. Duval, Y. (????). Lambese Chrétienne la Gloire et l'oubli Paris.

226. Duval, Y. (1971). "Le patrice pierre exarque d'Afrique ? ." Ant.Afr **5**: 209-214

227. Duval, Y. (1983). "les saints vénérés dans l'eglise byzantine d'Afrique." Corsi di cultura sull'arte ravennate e bizantina **XXX**: 115-147.

228. Duval, Y. (1982). Loca sanctorum Africae, le culte des Martyrs en Afrique du IV auVII siécle, EFR.

229. Duval.F.Prévot, N. (1975). Recherches archéologiques à Haidra. Rome, EFR.

230. Duval-Ben-Abed-et-alii, N., Ed. (2000). Carthage, la capitale du royaume et les villes de Tunisie à l'époque vandale (ann. 400-800). Barcelona,, Reial Acadèmia de Bones Lettres.

231. Duval-L.Slim-M.Bonifay-J.Piton-A.Bourgeois, N. (2002). "La Céramique Africaine aux époques vandale et Byzantine." An.Tard **10**: 177-195.

232. Duval-P.A.Fevrier, N. (5-11 octobre1969). le décor des monuments chrétiens d'Afrique. Actas del VIII Congreso international de Arqueologia cristiana, Barcelone, Rome-Barcelone.

233. Ellis, S. (1985). "Carthage in the Seventh Century, An expending Population?" CEA **17**: 30-42.

234. Engel, J.-M. (1993). L'empire romain. Paris, Presses universitaires de France.

235. Eugène.Grellois (1852). "Études archéologiques sur Ghelma (ancienne "Calama." Mémdoires de l'Académie nationale de Metz.

236. Eusebius, C. and G. Bardy (1952). Histoire ecclesiastique
237. I, Livres I-IV. Paris, Ed. du Cerf.

238. Euzennat, M. (1993). les structures tribales pré-islamiques : un état de la question. Actes du VI colloque international sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du Nord, Pau, Paris.

239. Euzennat.M (1955). "l'Histoire municipale de Tigzirt." MEFR **LXV**: 127-148.

240. Fagnan, E. (1898). "L'Afrique Septentrionale Au XIIe Siecle, D'apres La Description Extraite Du Kitab El Istibçar." RSAC, **XXXIII**: 1-229.

241. Fantar, M. H. (1987). "la Kahina, reine des Berberes." Reppal **3**: 169-184.

242. Fathi Béjaoui, ,, (???). "une nouvelle église époque byzantine à Sbeïtla." Africa Romana **12**: 1173-1183.

243. Feissel, D. (2003). "Un acte dur l'église de Byzacene au début du régne de Justinien II." Ant.Tard **11**: 97-112

244. Fentress, E. B. (1983). "For Ever Berber?" OPUS **T2, 1**.

245. Fevrier, P. A. (1989-1990). Approches du Maghreb Romain. Aix en provence, edisud.

246. Fevrier, P. A. "Masuna et Masties." Ant. Afr.

247. Fevrier, P. A. (1962). "Inscriptions chrétiennes de Cuicul." BAA **I**: 214-222

248. Fevrier, P. A. (1964). "Notes sur le developpement urbain en Afrique du Nord, Les exemples comparés de Djemila et de Sétif." Cah.arch **14**.

249. Fevrier, P. A. (1965). "Remarques sur les mosaiques de basse époque à Djemila." BSNAF: 85-92.

250. Fevrier, P. A. (1966). "Ostraka de la région de Bir Trouch." Bull. d'archéologie algérienne **II**: 239-249.

251. Fevrier, P. A. (1966). "Toujours le donatisme, A quand l'Afrique?" Rivista du Storia e Litteratura religiosa **2**: 234-240.

252. Fevrier, P. A. (1967). "Recherche archéologique en Algérie (1964-1966) " CRAI(Paris): 92-109.

253. Fevrier, P. A. (1982). "le fait urbain dans le Maghreb du IIIème S. les signes d'une crise?" Bullettino dell'Istituto Archeologico Germanico di Roma **150e Anniversario** (Mainz): 50-76.

254. Fevrier, P. A. (1972). "Les sources épigraphiques et archéologiques et l'histoire religieuse des provinces orientales de l'Afrique antique." Corsi di cultura sull'arte ravennate e bizantina **19**: ???

255. Fevrier, P. A. (1985). "le Maure ambigu, ou les pièges du discours." B.A.C.T.H.S **Ns,19 B**.

256. Février, P. A. (1983). "Approches récentes de l'Afrique Byzantine." R.O.M.M. **36**: ?????

257. Fevrier, P.-A. and P. Leveau (1982). Villes et campagnes dans l'empire romain actes du colloque organise a Aix-en-Provence les 16 et 17 mai 1980. Aix-en-Provence
258. Marseille, Universite de Provence
259. diff. J Laffitte.

260. Fevrier.J-P.Bonnal, P. A. (1966-1967). "Ostraka de la région de Bir Trouch." BAA **2**: 239-249.

261. Fox, R. L., J.-M. Pailler, et al. (1997). Paiens et chretiens la religion et la vie religieuse dans l'Empire romain, de la mort de

Commode au Concile de Nicee. [Toulouse], Presses universitaires du Mirail.

262. Frezouls-et-A.Hus, E. (1954). "Un probléme de topographie antique : l'identification des villes de la cote de Kabyle à l'ouest de Bougie." MEFR **66**: 147-163.

263. Fulford-D.P.S.Peacok, M. G. D. (1984). Excavations at Carthage : the British Mission, vol. I.2. the avenue du président habib Bourguiba, Salambo. The pottery and other ceramic objects from the site, . Sheffield, University of Sheffield.

264. Fulford-D.P.S.Peacok, M. G. D. (1994). Excavations at Carthage : the British Mission,II,2. The circular Harbour, north side. The pottery. T. B. Academy. Oxford.

265. G.Kapitaen (1971). "Elementi architecttonici per une basilica dal relitto navale del VI seculo di Marzameme(Siracuza)." Corsi di Cultura sul'arte Ravennate e Bizantina **XXVII**: 71-136.

266. Gage, J. (1971). Les classes sociales dans l'Empire romain. Paris, Payot.

267. Galtier, P. (1957). "Theodore de Mopsuete : Sa vraie pensée sur l'incarnation." Recherches de Sciences religieuse **45**: ????

268. Garnsey, P., R. P. Saller, et al. (1994). L'empire romain economie, societe, culture. Paris, La Decouverte.

269. Garnsey, P., R. P. Saller, et al. (2001). L'Empire romain
270. economie, societe, culture. Paris, Ed. la Decouverte.

271. Garrigues, J.-L. (1976). Maxime le confesseur, la charité,avenir divin de l'homme. Paris.

272. Gascou, J. (1972). La politique municipale de l'Empire romain en Afrique proconsulaire, de Trajan a Septime-Severe. Rome, Ecole francaise de Rome.

273. Gascou, J. (1975). La possession du sol, la cité et l'Etat à l'époque proto-Byzantine et particulièrement en Egypte. Paris, Paris I **Thèse de 3ème cycle**.

274. Gascou, J. (1984). Suetone historien. Rome, Ecole francaise de Rome.

275. Gaudemet, J. and G. Le Bras (1958). Histoire du droit et des institutions de l'Eglise en Occident
276. Tome III L'Eglise dans l'empire romain
277. IVe-Ve siÁecles. Paris, Sirey.

278. Gauppe, E. T. (1844). Die germanishen Ansiedlungen und Landtheilungen in den Provinzen des Romischen Westreiches. Breslau.

279. Gauthier, J. (1907). "Découverte d'une basilique chrétienne à Tocqueville." RSAC **41**: 232-235.

280. Gauthier, J. (1908). "chapelle de Thamallula." RSAC **42**: 111-114

281. Gauthier, J. (1909). "Chapelle chrétienne de Tocqueville." BCTH: 54-58.

282. Gautier, E. F. (1942). le Passé de l'Afrique du Nord, les siècles obscures. Paris.

283. Gautier, E. F. (1975). Geisric, le roi des vandales. Paris, payot.

284. Gavault, P. (1897). Etude sur les ruines romaines de Tigzirt. Paris.

285. Geroudet, N. and H. Menard (2005). LAfrique romaine
286. de l'Atlantique a la Tripolitaine (69-439). Paris, Belin.

287. Ghaddhab, R. (2003). le fait urbain en Afrique du Nord, de la ville du Bas-empire à l'agglomeration médiévale à travers des exemples tunisiens. Bordeaux, Bordeaux3.

288. Ghalia, T. (2002). "l'Architecture religieuse en Tunisie aux V et VI siècles." Ant.Tard **10**: 213- 222.

289. Ghalia-M.Bonifay-Cl.Capelli, T. (2002). l'atelier de Sidi-Zahruni : mise en évidence d'une production d'amphores de l'Antiquité tardive sur le territoire de la cité de Neapolis (Nabeul,Tunisie),. the First Conference on Late Roman Coarse Wares, Cooking Wares and Amphorae in the Mediterranean : Archeology and Archaeometry, Barcelone,14-16 Marsh 2002, Oxford.

290. Gibbon, E., F. Guizot, et al. (1983). Histoire du declin et de la chute de l'empire romain Rome de 96 a 582. Paris, R. Laffont.

291. Godard, L. (1868). "Noms africains renfermés dans la Johannidos de Corippus." Rev.Afr **12**: 203-209.

292. Goffart, W. (1974). Caput and Colonate, Towards a History of Late Roman Taxation. Toronto.

293. Goffart, W. (1980). Barbarians and Romans.

294. Goodchild, R. G. (1966). "Fortificatificazioni e palazzi bizantini in Tripolitania e Cerenaica." Corsi di cultura sull'arte ravennate e bizantini **XII**: 225-250.

295. Goubert, P. (1965). Byzance avant l'Islam, sous les successeurs de Justinien, Rome, Byzance, et Carthage. Paris, J.Picard.

296. Grange, R. (1901). "monographie de Tobna." RSAC: 65-73.

297. Grégoire, H. (1922). Recueil des inscriptions grecques-chrétiennes d'Asie Mineure. Paris,.

298. Gregoire-I, P., Ed. (1891-1899). Registrum Epistularum. MGH, epistolae 1-2, II,. Berlin.

299. Grierson, P. (1968). Catalogue of the Byzantine coins. the Dumbarthon Oaks collection and Whittemore collection. Washington. **vol. II, pats I et 2**.

300. Grierson, P. (1982). Byzantine Coins. Londres.

301. Grumel, R. P. (1927). "Notes d'histoire et de chronologie sur la vie de saint Maxime le confesseur." Echos d'orient **XXX**: 24-32.

302. Gsell, S. (1893). Recherches archeologiques en Algerie. Paris.

303. Gsell, S. (1901). les Monuments Antiques de l'Algerie. Paris.

304. Gsell, S. (1901). Monuments Antiques de l'Algerie. Paris.

305. Gsell, S. (1904). Compte rendu du livre de H. Leclercq,L'Afrique chrétienne, MEFR**:** 343.

306. Gsell, S. (1932). Esclaves ruraux dans l'Afrique romaine. Melanges offerts à Gustave Glotz. Paris, 397-415**:** 397-415.

307. Gsell, S. (1981). Etudes sur l'Afrique antique. Scripta varia. Lille**:** 253-415.

308. Gsell, S. (1913-1928). Histoire ancienne de l'Afrique du nord. Paris.

309. Gsell.Joly, S. (1914). Kahamissa, Mdaourouch, Announa, Fouilles executées par le Service des Monuments Historiques de l'Algérie, . Paris.

310. Gsell-Jolly, S. (1922). Kahamissa, Mdaourouch, Announa,

Fouilles executées par le Service des Monuments Historiques de l'Algérie, . Paris.

311. Guery, R. (1982). Recherches archéologiques fraco-tunisiennes à Rougga. Le Trésor de monnaies byzantines. CEFR. Rome. **3**.

312. Gui. I, N. D.-J. P. C. (1992). Basiliques chrétiennes d'Afrique du Nord, Iventaire d'Algerie. Paris.

313. Guilland, R. (1959). la politique sociale des empereurs byzantins. paris.

314. Guillou, A. (1977). la civilta byzantina dal IV Al IX Secolo. Corsi di studi I, Bari.

315. Guillou, A. (1977). "La Sicile Byzantine. Etat des recherches." Byzantinische Forschungen **5**: 95-106.

316. Guillou, A. (1969). Régionalisme et indépendance dans l'empire byzantin au VII siècle, l'Exemple de l'Exarchat et de la pentapole d'Italie. Studi storici. Rome, Instuto storico italiano per il medio evo. **74-76**.

317. Guillou, A. (14-16 juin1979.). Régionalisme et independance dans l'empire byzantin, au VII siècle. la Géographie administrative et politique d'Alexandre à Mohamet, actes de Colloque de Strasbourg,.

318. Hayes, J. W. (1972). Late Roma Pottery. London, British School at Rome.

319. Hayes, J. W. (1980). supplement to Late Roman pottery. London,, British school at Rome

320. Hayes, W. (1976). Pottery : Stratified Grous and Typology, in Excavations at Carthage. Excavations at Carthage : the British Mission. **I:** p.97.

321. Hayes, W. (1984). "Excavations at Carthage : the British Mission." I.2.

322. Hirschberg, H. Z. J. W. (1963). "The Problem of the Judaized Berbers." The Journal of African History **Vol. 4, No. 3.**: 313-339.

323. Hitchner, R. B. (1988). "The Kasserine Archaological survey. 1982-1986." Ant. Afr **N°24**: 7-41.

324. Hitchner, R. B. (1989). "The organisation of rural settlement in the Cillium-Thelepte region(Kasserine, Central Tunisia)." l'Africa

romana, Atti del VI convegno di studio, Sassari,16-18 decembre 1988 **06**: 387-402.

325. Hitchner, R. B. (1990). "The Kasserine Archaological survey 1987." Ant. Afr **N°26**: 231-260.

326. Homo, L. and C. Pietri (1947). Le siecle d'or de l'empire romain Les Antonins (96-192 ap J.C.). [Paris], Fayard.

327. Hugoniot, C. (2000). Rome en Afrique de la chute de Carthage aux debuts de la conquete arabe. [Paris], Flammarion.

328. Humphrey, J. H. (1980). Vandal and Byzantine Carthage , Some new archaeological evidence. New light on ancient Carthage. e. J. G. Pedley. Ann Arbor**:** 85-120.

329. Jacques, F. and J. Scheid (1990). Rome et l'integration de l'empire 44 av.J.C. -260 ap.J.C. Tome 1, /Les structures de l'empire romain. [Paris], Presses universitaires de France.

330. Jaubert, J. M. (1968). Les Inscriptions d'Altava. Aix en Provence, publication des annales de la faculté des lettres.

331. Jones, A. (1964). the later Roman Empire. oxford.

332. Kadra, F. (1983). Les Djedars, Monuments Funéraires Berbères de la région de Frenda. Alger, OPU.

333. Kaegi, E. W. (2002). Society and Institutions in Byzantine Africa. Ai confini dell'impero. Storia, arte e archeologia della Sardegna bizantina, Cagliari, Sardinia, Italy, (: M & T Sardegna,).

334. Kaegi, W. E. (1968). Byzantium and the decline of Rome. Princeton, N.J.,, Princeton University Press.

335. Kaegi, W. E. (1981). Byzantine military unrest, 471-843 : an interpretation. Amsterdam, Hakkert.

336. Kaegi, W. E. (1983). Some thoughts on Byzantine military strategy. Brookline, Mass., Hellenic College Press.

337. Kaegi, W. E. (1992). Byzantium and the early Islamic conquests. Cambridge ; New York, Cambridge University Press.

338. Kaegi, W. E. (2003). Heraclius, emperor of Byzantium. Cambridge, U.K. ; New York, NY, Cambridge University Press.

339. Kaegy, E. W. (1982). Army, Society and Religion in Byzantium. London.

340. Kaplan, M. (1992). la terre et les hommes à Byzance du VI au XI siècle, Propriété et exploitation du sol. Paris, Byzantina Sorbonensia

341. Keay, S. J. (19951-13 maggio). African amphore, in Ceranica in Italia : VI-VII secolo. Atti del Convgno in onore di John W.Hayes, Rome,, Firenze.

342. Kotula, T. "Snobisme municipal ou prospérité relative ? Recherches sur le statut des villes nord-africaines sous le Bas-Empire romain." Ant.Afr. **8**: 11-131.

343. Kotula, T. (1988). "sur une notion de villa chez St.Augustin." l'Africa romana, Atti del VI convegno di studio, Sassari,16-18 decembre 1988 **Ati del V convegno di studio, Sassari, 11-13 dicembre 1987**(Sassari,): 244-249.

344. la-Blanchere, C. D. (1888). Voyage d'etude dans une partiede la Mauretanie Cesarienne. Archives des Missions Scientifiques et litteraires. Paris. **IIIe serie, TX**.

345. Lancel, S. Evechés et cités dans les provinces Africaines (III-Ve Siècles). l'Afrique dans l'occident Romain, Ier siecle Av.J.C-IV siecle Ap.J.C. Rome, Collecion EFR. **134**.

346. Lancel, S. le recrutement de l'église d'Afrique au début du V siècle : Aspects qualitatifs et quantitatifs. De Tertullien aux Mozarabes, antiquité Tardive et christianisme ancien (III-VI siècle). M. J.Fontaine. **I:** 327-338.

347. Lancel, S. (1984). "Etudes sur la Numidie d'Hippone au temps de saint Augustin." MEFRA **96**(Rome): 1085-1113.

348. Lancel, S., S. GuÂedon, et al. (2005). Saint Augustin
349. la Numidie et la sociÂetÂe de son temps actes du Colloque SEMPAM-AUSONIUS Bordeaux, 10-11 octobre 2003. Bordeaux
350. Paris, Ausonius
351. diff. De Boccard.

352. Lancel-Ponthier, S. (1957). "première compagne de fouille à Tigisis." MEFRA **69**: 247-253.

353. Laniado, A. (2002). recherches sur les notables municipaux dans l'empire protobyzantin. Paris, collége de France.

354. Lanrant, V. (1952). "Une effigie inédite de saint Augustin sur le seau du duc byzantin de Numidie Pierre." Cahiers de Byrsa **2**: .87-93.

355. Lapeyere, G. (1929). Saint Fulgence de Ruspe. Un éveque catholique africain sous la domination vandale. Paris.

356. Laporte, J. P. (2002). "Zabi, Friki: Notes sur la Maurétanie et la Numidie de Justinien." Ant, Tard. **10**: 151-158.

357. Laporte, J. p. (2005). Les Djeddars? Monuments funéraires berbéres de la region de Frenda et de Tiaret. Identités et cultures dans l'Algerie antique, Rouen.

358. Laroui, A. (1970). L'histoire du Maghreb.Un essai de synthèse. Paris.

359. Lassere, J.-M. (1977). "Ubique populus" peuplement et mouvements de population dans l'Afrique romaine, de la chute de Carthage a la fin de la dynastie des Severes 146 a.C.-235 p.C. Paris, Editions du C.N.R.S.

360. Lassére, M. (1984). "La Byzacéne meridionale au milieu du VIe s.p.c d'apres la Johannide de Corippus." Pallas,Revue d'Etudes Antiques,Montpellier **XXXI**.

361. Lassus, J. (1981). La forteresse Byzantine de Thamugadi(fouille à Timgad 1938-195-). Paris.

362. Le Bohec, Y. (1994). L'Afrique, la Gaule, la religion a l'epoque romaine melanges a la memoire de Marcel Le Glay. Bruxelles, Latomus.

363. Le Bohec, Y. (1997). ˆL'empire romain de la mort de Commode au Concile de Nicee. Paris, Ed. du Temps.

364. Le Bohec, Y. (2005). Histoire de l'Afrique romaine
365. 146 avant J.-C.-439 aprÁes J.-C. Paris, Picard.

366. Le Glay, M., J.-L. Voisin, et al. (2005). Histoire romaine. Paris, Presses universitaires de France.

367. Lebeau (1827). Histoire du Bas-Empire. paris.

368. LeGlay, M. (1966). Saturne africain, Histoire. Paris.

369. Lemerle, P. (1958). "Esquisse pour une histoire agraire de Byzance, Sources et Problèmes." Revue historique **219**.

370. Lemerle, P. (1979). Les plus anciens recueils de miracles de saint Demetrius. Paris.

371. Leone, A. (2002). "l'inumazione in « spazio urbano » a Cartagine tra VeVII secoloD.C." Ant.Tard **10**: 233-248.

372. Lepelley, C. "L'apport des lettres de saint Augustin nouvelement découvertes à la connaissance de l'Afrique romaine : essai de bilan." 377-390.

373. Lepelley, C. La crise de l'Afrique romaine au début du Veme siècle. Aspects de l'Afrique romaine: 372-374.

374. Lepelley, C. (1967). "St Léon le grand et l'église mauritanienne." Cah.Tun: 189-204.

375. Lepelley, C. (1969). L'empire romain et le christianisme. [Paris], Flammarion.

376. Lepelley, C. (1974). la préfecture de tribu dans l'Afrique du Bas-Empire. mélanges d'histoire ancienne offerts à William Seston. Paris: 285-295.

377. Lepelley, C. (1979). La Permanence d'une civilisation municipale. Paris, Institut d'Âetudes augustiniennes.

378. Lepelley, C. (1979- 1981). les cités de l'Afrique romaine au Bas-Empire, . Paris, Institut d'études augustiniennes.

379. Lepelley, C. (1989). Peuplement et richesses de l'Afrique Romaine Tardive. Hommes et richesses dans l'empire Byzantin, IV-VIIs. Paris.

380. Lepelley, C. (1990). un éloge nostalgique de la cité classique dans les 'Variae' de Cassiodore VII,31: M.G.H.,a.a, p.259-260. Haut Moyen Age, Culture, éducation et société,études offertes à Pierre Riché. r. p. M.Sot. Paris: 34-47.

381. Lepelley, C. (1991). Le Serment, Theories et devenir. Paris, éd.CNRS.

382. Lepelley, C. (1996). La fin de la cite antique et le début de la citée medievale de la fin du IIIe siécle a l'avenement de Charlemagne Actes du colloque tenu a l'Universite de Paris X-Nanterre les 1, 2 et 3 avril 1993. Bari, Edipuglia.

383. Lepelley, C. (1998). le patronat épiscopal aux IV et V siécles : continuité et ruptures avec le patronat classique. l'éveque dans la cité du IVe au Ve siécle, image et autorité. a. d. l. t. r. o. p. E.Rebillard, EFR: 17-33.

384. lepelley, C. (2001). Déclin ou stabilité de l'agriculture africaine au bas-Empire. Aspects de l'Afrique romaine, les cités, la vie rurale, le christianisme. Bari: 217-232.

385. Lepelley, C. (2001). quelques témoignages sur l'histoire de l'Afrique romaine épars dans les sérmons de Saint Augustin découvertes par François Dolbeau. Aspects de l'Afrique romaines, les cités, la vie rurale, le christianisme. Bari**:** 391-396.

386. Lepelley, C. (2002). "l'administration des provinces d'Afrique avant la conquete vandale." Ant.Tard **10**: 61-72.

387. Lepelley, C. (2002). "quelques aspects de l'administration des provinces vandales." An Tard **10**: 61-72.

388. Lepelley, C. (2005). "deux ruptures dans l'histoire de l'Afrique romaine : les Flaviens et les Vandales,." Pallas **68**: 49-62.

389. Lepelley, C. and P. Cabanes (1998). Rome et l'intégration de l'empire 44 av.J.C.-260 ap.J.C Tome 2, Approches régionales du Haut-Empire romain. [Paris], Presses universitaires de France.

390. Lepelley, C. and H. Inglebert (2002). Ideologies et valeurs civiques dans le monde romain
391. hommage Áa Claude Lepelley [Actes d'un colloque tenu Áa Paris les 25 et 26 septembre 2001]. Paris, Picard.

392. Lequement, R. (1979). Fouilles à L'Amphithéatre de Tebessa(1965-1968). Alger.

393. Leschi, L. (1938). la basilique chrétienne en Algérie. Atti del VI Conge.int.di archologia cristiana, , Rome.

394. Leveau, P. (1973). "l'aile II des Thraces, la tribu des Mazices, et les Praefecti gentis en Afrique du Nord." Ant.Afr. **7**.

395. Leveau, P. (1977). "Une Vallée agricole des Némenchas dans l'antiquité romaine: l'oued Hellail entre Djeurf et Ain Mdila." BCTH, NS 1978 **10-11B**: 103-121.

396. Leveau, P. (1983). "La ville antique et l'organisation de l'espace rural: villa, ville, village,." Annales ESC: 920-942

397. Leveau, P. (1984). Caesarea de Mauretanie
398. une ville romaine et ses campagnes. Rome, Ecole francaise de Rome.

399. Leveau, P. (1990). l'organisation de l'espace agricole en Afrique à l'epoque Romaine. l'Afrique dans l'Occident Romains Is av. JC. IVes Ap JC. E. F. d. Rome. Rome. **N°134:** 129-141.

400. Lewicki, T. (1965). "prophétes,divins et magiciens chez les bérberes médievaux." Folia Orientalis **7**.

401. Lezine, A. (1969). "sur la population des villes Africaines." Ant.Afr **3**: 69-82. .

402. Long, L. and G.Volpe (1998). le chargement de l'épave de la palud(VI s.) à Poty-Cros : note préliminaire. Fouilles à Marseille**:** p317-342.

403. Lot, F. (1928). "le régime de l'hospitalité." Revue belge de philology et d'histoire **7**: 975-1011.

404. M.Simon (1962). le judaisme berbére dans l'afrique ancienne. Recherches d'hisoire judéo-chrétienne. Paris.

405. Mackensen, M. (1993). "El Mehrine." 394.

406. Mackensen, M. (1998). Centres of African red slip ware production in Tunisia from the late 5th ti the 7th century. Céramica in italia VI-VII secolo, Atti de Convegno in onore di Joh, W.Hayes, Firenze11-13 mai 1995.

407. Mahjoubi, A. (1985 . 1-5 avril). de la fin de l'Antiquité au Moyen-Age : Héritages et changements dans l'urbanisme africain. III,Colloque interntional d'Histoire et archeologie de l'Afrique, Montpellier, Paris.

408. Mahjoubi, A. (1978). Recherches d'histoire et d'archéologie à henchir el-Fouar(Tunisie). Tunis,
409. , Pub.de l'Univ. De Tunis

410. Mahjoubi, A. (1982). "Permanences et transformations de l'urbanisme Africain a la fin de l'antiquité." Bulletino del l'Istituto Archeologico **150 Jahr-Feier Deutsches Archaiologisches Institut Rom,** : 77-83.

411. Maier, J.-L. (1989). Le Dossier du Donatisme, II: De Julien l'apostat à saint Jean Damasccéne (361-750). Berlin, Akad.-Verl.

412. Maier, J. L. (1973). l'Episcopat l'épiscopat de l'Afrique romaine, vandale et byzantine. Rome, Bibliotheca helvetica romana.

413. Malcolm-Sorel.Claire, T. (1990). Les Germains aux frontieres de l'Empire romain 100 av. J.-C. -300 ap. J.-C. Paris, A. Colin.

414. Mandouze, A. (1961). "l'Eglise devant l'effondrement de la civilisation romaine." revue d'histoire et de philosophie religieuse **XLI,**.

415. Mandouze, A. (1982.). prosopographie chrétienne du Bas-Empire, I, Afrique(303-533). Paris.

416. Mandouze, A. (1977). "Prosopographie et histoire de l'eglise : le dossier « petrus abbas »." BSNAF **141-142**.

417. Mansouri, M. T. (1992). recherche sur les relations entre byzance et l'Egypte. Tunis.

418. Marçais, G. "la Berberie musulmane et l'Orient au Moyen Age."

419. Marec, E. (1958). Monuments chrétiens d'Hippone, ville episcopale de saint Augustin. Paris.

420. Markus, R. A. (1979). "Carthage-Prima Justiniana- Ravenna : an aspect of justinian's Kirchenpolitik." Byzantion **49**: 277-306.

421. Markus, R. A. (1991). The problem of "donatism" in the VI the century. Grégorio Magno e il suo tempo,I,Studi Storici, Studia Ephemeridis "Augustinianum". **XXXIII:** 159-166.

422. Marrou, H. I. (1967). "A propos de : « de P.Brown, Augustine of Hippo »." REL.

423. Martindale, J. R. (1992). Prosopography of the Later Roman Empire. Cambridge. Cambridge, PLRE. **III**.

424. Martindale, J. R. (1992). Prosopography of the Later Roman Empire. Cambridge.

425. Masqueray, E. (1878). "Ruines anciennes de Khenchela(Mascula) à Besseriani(Ad Maiores)." revue africaine **22**: 444-472.

426. Masqueray, E. (1879). "Ruines anciennes de Khenchela(Mascula) à Besseriani(Ad Maiores)." Revue africaine **23**: 65-94.

427. Massigli, R. (1912). Primat de Carthage et métropolitain de Byzacene. Un conflit dans l'église africaine au VI siecle. mélanges Cagnat. Paris**:** 427-440.

428. Matingly, D. J. (1989). "Olive Cultivation and the Albertine Tablets." l'Africa romana, Atti del VI convegno di studio, Sassari,16-18 decembre 1988: 403-415.

429. Matingly, D. J. (1995). Tripolitania. Londres.

430. Mattingly, D. (1983). "The Laguatan, a Libyan tribal conféderation in the Late Roman Empire." Libyan Studies **14**: 96-108.

431. Mattingly, D. J. (1987). "Libyan and the limes." Ant. Afr **23**: ????

432. Mattingly, D. J. (1989). "Framers and Frontiers, Exploiting and defendig the countryside of Roman Tripolitania." Libyan Studies **20**.

433. Mayer, A. F. E. (1982). "the bull-God. Gurzil." Libyan studies **13,** .

434. Mercier, E. (1895-1896). "la population indigène de l'Afrique sous la domination romaine, vandale et byzantine." Recueil des notices et mémoires de la société archéologique de Constantine(RSAC) **30**: 127-211.

435. Merrils, A. H. (2004). Vandals, Romans and Berbers, New perspectives on Late Antique North Africa. Burlington.

436. Mesnage, J. (1912). l'Afrique chrétienne, Ruines et évéchés. Alger.

437. Mesnage, J. (1914 -1915). le christianisme en Afrique, Origines, Developpement, Extension. Declin et extinction. Paris.

438. Milhavet, A. (1898). "Note sur les ruines du village de Lecourbe." BCTH: 359-362.

439. Moderan, Y. (1987). "« Qui montana Gurubi colunt : Corippe et le mythe des Maures du Cap Bon »." MEFRA **T.99,2**: 963-989.

440. Moderan, Y. (1988). les premiers raids des tribus Sahariennes en Afrique et la Johannide de Corippus. les Actes du IVe congres d'Histoire et d'Archeologie de l'Afrique du nord, Strasbourg, Paris.

441. Moderan, Y. (1989). "Gildon, les Maures et l'Afrique." MEFRA **101,II**: 821 - 872.

442. Moderan, Y. (1990). Bellis libycis, Bérbéres et Byzantins en Afrique au VIe s Université de ParisX. **Thése Doctorat**.

443. Moderan, Y. (1990). "Koutzinas -Cusina- Recherches sur un Maure du VIe s." l'Africa Romana Atti del VII convegno di studio Sassari, 15- 17 dicembre, 1989.

444. Moderan, Y. (1991). "La Découverte des Maures par les Byzantins." Cah. Tun **XLIII**: 211-238.

445. Moderan, Y. (1993). "la chronologie de la vie de St.Fulgence de Ruspe et ses incidences sur l'histoire de l'Afrique vandale." MEFRA **105**: 135-188

446. Moderan, Y. (1996). La renaissance des cités dans l'Afrique du VI siècle d'apres une inscription récemment publiée. la fin de la cité antique et le début de la cité médiévale. L. Cl. Bari**:** 85-114.

447. Moderan, Y. (1998). les églises et la reconquista byzantine a l'Afrique. Histoire du christianisme des origines à nos jours, les églises d'Orient et d'occident. C. E. L. P. Dir. J.M. Mayeur. Paris. **TIII:** 699-717.

448. Moderan, Y. (1998). les Frontiéres Mouvantes du royaume Vandale. Frontiéres et limites géographiques de l'Afrique du Nord antique. Hommage à Pierre Salama. X. D. e. Cl.Lepelley. Paris**:** 241-264.

449. Moderan, Y. (2002). "l'établissement territoriale des Vandales en Afrique." Ant.Tard. **10**.

450. Moderan, Y. (2003). L'Empire romain tardif
451. 235-395 ap. J.-C. Paris, Ellipses.

452. Moderan, Y. (2003). Les Maures et l'Afrique romaine
453. IVe-VIIe siecle. Rome, Ecole francaise de Rome.

454. Mokrenta, B. (2005). l'Algérie antique (Maurétanie Césarienne, Sitifienne) à travers les sources arabes du Moyen Age. Aix en Provence. Aix en provence, Aix en provence. **Doctorat**

455. Moll, C. A. (1858-1859). "Mémoire historique et archéologique sur Tébessa(Theveste) et ses environs." Annuaire de la société archéologique de Constantine **4**.

456. Moll, C. A. (1860-1861). "Mémoire historique et archéologique sur Tébessa(Theveste) et ses environs." Annuaire de la société archéologique de Constantine **5**: 188-221.

457. Mommsen, T. (1889). Histoire romaine,. Paris.

458. Monceaux, P. (1903). "Enquete sur l'épigraphie chrétienne d'Afrique du Nord." Revue archélogique **T.II**: 240-256.

459. Monceaux, P. (1907). Enquête sur l'épigraphie chrétienne d'Afrique, Ostracon de Négrine. Paris. **n°285**.

460. Monceaux, P. (1901-1923). Histoire littéraire de l'Afrique chrétienne depuis les origines jusqu'à l'invasion arabe. Paris.

461. Morizot, P. la présence romaine dans le Dj.Amour. Hommage à P.Salama. **185-213**.

462. Morizot, P. (1989). " pour une nouvelle lecture de Masties." Ant. Afr. **25**: 263-284

463. Morizot, P. (1991). Economie et société en Numidie méridionale. L'exemple de l'Aurés. Africa Romana. Atti del VIII convegno di studio, Caglairi, Sassari,. **8:** 429-446.

464. Morizot, P. (1991). "L'enceinte fortifiée de Mendour(Aurés)." Ant .Afr **37**: 123-140.

465. Morizot, P. (1994). Timgad et son territoire. l'Afrique, La Gaule, la Religion à l'époque romaine, Mélanges Leglay. Y.LeBohec. Bruxelles, Latomus**:** 226-244.

466. Morizot, P. (1997). Achéologie aérienne de l'Aures. Paris.

467. Morizot, P. (1999). "A propos des limites méridionales de la Numidie byzantine." Ant.Afr **35**: 185-213.

468. Morrison, C. (1970). Catalogue des monnaies byzantines de la bibliothèque Nationnale. Paris.

469. Morrison, C. (2001). " Inventaire complémentaire des solidi tardifs dans l'Afrique du Nord." Numismatica e antichita classiche **30**: 253-270.

470. Morrisson, C. Monnaie et prix du Vau VII siècle. Hommes et richesses **I:** 239-260.

471. Morrisson, C. (1987). La circulation de la monnaie d'or en Afrique à l'époque vandale,Bilan des trouvailles locales. Mélanges de numismatique: offert à Pierre Bastien. Westtern**:** 325-344.

472. Morrisson, C. (2003). "l'Atelier de Carthage et la diffusion de la monnaie frappée dans l'Afrique vandale et byzantine(439-695)." Ant.Tard **11**: 65-83.

473. Morrisson, C. (2003). "l'Atelier de Carthage et la diffusion de la monnaie frappée dans l'Afrique vandale et byzantine (439-695)." AnTard **11**: 65-84.

474. Morrisson, C. (2004). L'Empire romain d'Orient
475. 330-641. Paris, Presses universitaires de France.

476. Mrabet, A. "L'état économique de l'Afrique byzantine."

477. Ostrogosky, G. Histoire de l'Etat Byzantin.

478. Pachtére, F. G. D. (1908). "les règlement de Lamasba." MEFR **XXVIII**: p.373-405.

479. Panella, C. (1983). "Le anfore di Cartagine, : nuovi elementi per la riconstruzione dei flussi commerciali del Mediterraneo in éta imperiale romano." Opus **2**: 56-73

480. Panella, C. (1986). Le anfore tardoantiche ; centri di produzione e mercati preferenziali. Sociéta romana e impero tardoantico. III, le merci, gli insediamenti. A.Giardina. Rome, Laterza,**:** 251-272.

481. Panella, C. (1989). Gli scambi nel Mediterraneo occidentale dal IV al VII secolo, dal punto di visto di alcune merci. Hommes et richesses dans l'empire byzantin. Paris, Lethielleux,. **I:** 129-141.

482. Panella, C. (1993). Merci et scambi nel Madeiterraneo. storia di Roma. Torino. **3,2:** 613-697.

483. Parke, H. W. "The oracle of Zeus."

484. Patlangean, E. (1974). Recherches sur les pauvres et la pauvreté dans l'Empire romain d'Orient IV-VIIe siecles. Lille.

485. Pavis-d'Escurac, H. (1959). "Pour une étude sociale de l'Apologie d'Apulée." Ant. Afr **8**: 89-101.

486. Pavis-d'Escurac, H. (1980). "Irrigation et vie paysanne dans l'Afrique antique." Ktéma **5**.

487. Pavolini, C. "le lucerne in Italia nel VI-VII secolo d.C. : alcuni contexti sgnificativi, in Céramica in Italia." p.123-140.

488. Pavy, A. (1894). Histoire de la Tunisie,. Tunis.

489. Percival, J. (1976). Culturae Manianae, field patterns in the Albertin Tablets. Ancient Historian an his Materials. Essays in Honnour of C.E.Stevens. Oxford**:** .213-227.

490. Perennes, J.-J. (1993). L'eau et les hommes au Maghreb contribution a une politique de l'eau en Mediterranee. Paris, Ed. Karthala.

491. Peter.Pentz (2002). from Roman proconsularis to Islamic Ifriqiyah…, Gotebog university, Departement Archealogy.

492. Peyras, J. (1983). "paysages agraires et centuriations dans le bassin de l'oued Tine (Tunisie du nord) " Ant.Afr **19**: 209-253.

493. Peyras, J. (1991). le tell nord-est tunisien dans l'antiquité. paris.

494. Philippe.Régerat (2000). Eugippe et l'église d'Afrique. Romanité et cité chrétienne, permanences et mutations intégration et exclusion du Ie au VIe siècle. m. e. l. h. d. Y. Duval. paris, de Boccard.

495. Picard, G. c. (1965). La Carthage du Saint Augustin. Paris.

496. Picard, G. c. (1966). l'administration territoriale de Carthage. Melanges offert à A. Piganiol. Paris. **III**.

497. Piganiol, A. and A. Chastagnol (1972). L'empire chretien (325-395). Paris, Presses universitaires de France.

498. Pinard, M. (1950). "Chapiteaux byzantins de Numidie actuellement au Musée de Carthage." Cah.Byrsa **I**: 231-239,14pl.

499. Poulle, A. (1890- 1891). " Inscriptions diverses de la Numidie et de la Maurétanie Sétifienne." RSAC **26**.

500. Pousset, E. (1909). "Notes sur les ruines du Municipium Aellum Choba." RSAC **43**: 181-192.

501. Pousset, P. (1909). "Notes sur les ruines de Municipium Aelium Choba." RSAC **43**: 181-192.

502. Prévot, N. D.-.

503. Pringle, D. (1981). The Defense of Byzantine Africa from Justinian to the Arab conquest. Oxford. i. s. T.99. Oxford, BAR.

504. ProsperTiro chronica. MGH.a.a. Mommsen. **,IX**.

505. Puliatti, S. (1980). Ricerche Sulla legislazione »Régionale »di Giustiniano le statuto Civile et l'ordinamento militare della prefettura Africana. Seminario Giuridico della Universita di bologna. Milano. **LXXXIV**

506. Puliatti, S. (1988). I privilegi della chiesa africana nelle legislazione di Giustiniano e di Giustino II. Estudios en Hmenaje al profesor Juan Iglesias. Madrid. **T. III:** 1577-1597.

507. Quodvulteudus Sermo II de tempore barbarico.

508. Rachet, M. (1970). Rome et les berbères. Un problème militaire d'Auguste à Dioclétien. Bruxelles.

509. Ragot, W. (1873-74). "Le Sahara de la province de Constantine." RSAC **16**: 91-299.

510. Ragot, W. (1875). "Le sahara de la province de Constantine."

RSAC **17**(141326).

511. Rebuffat, F. (1996). La monnaie dans l'Antiquite. Paris, Picard.

512. Rebuffat, R. (1970). "Routes d'Egypte de la libye interieure." Studii Maghrebini **III**: ??

513. Rebuffat, R. (1987). "les Fermiers du desert." l'Africa Romana, 5,Atti del V convegno di studi , Sassari **94**.

514. Redde, M. (1986). Mare nostrum les infrastructures, le dispositif et l'histoire de la marine militaire sous l'Empire romain. Rome, Ecole francaise de Rome.

515. Remondon, R. (1970). La Crise de l'Empire romain
516. de Marc Aurele a nastase, par Roger Remondon,... [2e edition.]. Paris, Presses universitaires de France.

517. Robert, A. (1903). "Antiquités de la commune mixte des Maadid." RSAC **37**: 55-71.

518. Robert, A. (1895-6). "Henchir Sidi-Yahia." RSAC **30**: 119-122.

519. Robert, A. (????). "Notes sur les ruines de castellum Auziense."????? **???**

520. Romanelli, P. (1970). Topographia e Archeologia dell'Africa Romana. Turin.

521. Roque, M.-A. (1996). Les cultures du Maghreb. Paris Montreal, L'Harmattan.

522. Roques, D. (1998). les constructions de Justinien de Procope de Caesarée. Le De Aedificiis de Procope, Actes du colloque de Londres 25-26 septembre 1998, Ant. Tard. 8.

523. Roques, D. (1993-94). "Procope et." Randiconti dell'accademia di archeologia lettere et belle arti. Naples **LXIV**.

524. Roques, D. (1987). Synesios de Cyréne et la Cyrénaique du bas-empire. Paris.

525. Roques, D. (1987). Synésios de Cyréne et la Cyrénaique du Bas-Empire. Paris.

526. Rostovcev, M. I., O. Demange, et al. (1988). Histoire economique et sociale de l'Empire romain. Paris, R. Laffont.

527. Rouge, J. (1966). Recherches sur l'organisation du commerce maritime en Mediterranee sous l'empire romain. Paris, Impr.

Nationale.

528. S.Dahmani (1990). le port de Buna au Moyen Age. Actes du Ve Colloque international sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du Nord, Avignon.

529. S.Tortorella (1981). "Ceramica di produzione africana e rinvenimenti archéogici sottomarini della media e tarda éta imperiale : analisi dei dati e dei contributi reciproci." MEFRA **93**: 355-380.

530. S.Tortorella (1993). La ceramica africana, un bilancio dell'ultimo decennio di ricerca : I, Production et exportations africaines. Ve Colloque d'histoire et d'archéologie de l' Afrique du Nord antique et médiévale, Pau, CTHS,Paris.

531. Sabatier, J. (1955). Description générale des monnaies byzantines. Paris.

532. Sahli, M. (1965). décoloniser l'histoire. Paris.

533. Sahnouni, M. (1998). The lower palaeolithic of the Maghreb : excavations and analyses at Ain Hanech, Algeria. Oxford, England, Archaeopress.

534. Saladin, H. (1887). " Rapport sur une mission faite en Tunisie de novembre 1882à avril 1883." Arch. Miss **3e Serie, 13,**: 1-225.

535. Salama, P. (1951). Les voies romaines de l'Afrique du Nors. Alger.

536. Salama, P. (1983). "économie monétaire de l'afrique du Nord dans l'Antiquité tardive." BCTH, NS 1978 **NS,19B**: 183-202.

537. Salama, P. (2001). "la chasse aux trésors dans le Maghreb classique." l'Africa romana,atti del XIV convegno di studio, Sassari **XIV**: p.1955-1999.

538. Salluste and P. Delacroix (1938). Jugurtha de Salluste. Paris, Hachette.

539. Salluste, A. Ernout, et al. (2000). La guerre de Jugurtha. Paris, les Belles lettres.

540. Salluste, A. Ernout, et al. (1999). La conjuration de Catilina La guerre de Jugurtha Fragments des Histoires. Paris, les Belles lettres.

541. Sallustius Crispus, C., A. Ernout, et al. (1994). Catilina Jugurtha Fragments des histoires. Paris, Les Belles Lettres.

542. Saumagne, C. (1913). "Etude sur la propriété ecclésiastique à

Carthage d'après les novelles 36 et 37 de Justinien " Byz. Zeitschrift **22**: 77-87.

543. Saumagne, C. (1936). "Observations sur deux lois Byzantines relatives aux colonat dans l'Afrique du Nord." Rev. Afr **T2**: 485-494.

544. Savage, E. (1997). A Gatway to hall.A Gatway to paradize, the north African response to the Arab conquest. Princeton,NJ.

545. Seston.M.Euzennat, W. (1971). "un dossier de la chancellerie romaine : la tabula Banasitana." CRAI,: 468-490.

546. Shmidt, L. (1953). Histoire des vandales. Paris.

547. Siraj, A. (1995). l'image de la Tingitane, l'historiographie arabe médiévale et l'antiquité nord-africaine. Rome, EFR.

548. Slim.M.Bonifay.P.Trousset-avec-V.Blanc-Bijon-D.Foy, L. (1999). "l'usine de salaison de Neapolis (Nabeul) : premiers resultats de fouilles, 1995-1998." Africa **16**: p.153-197.

549. Slouschz, N. (1909). Judéo-Hellénes et Judio-Berbéres, recherches sur les origines des Juifs et du Judaisme en Afrique. Paris, E.Lerroux.

550. Smith, D. J. (1985). " Ghirza". Town and Country in Roman Tripolitania, B.A.R. **international Series, 274,** .

551. Sodini, J. P. (1989). Le commerce du Marbre. hommes et richesses dans l'Empire byzantin,IVe-VIIe siècles. Paris. **I:** 163-186.

552. Speiser, J. M. (1986). "La christianisation de la ville dans l'antiquité tardive." Ktema **11**.

553. St.Gsell, ..p "Enquete administrative sur les travaux hydrauliques anciens en Algerie." 84-87.

554. St.Gsell (1900). "Note sur la basilique de Rusugniae découverte par le lieutenant Chardon." CRAI: ?????

555. Stein, E. (1949). Histoire du Bas-Empire. Paris-Bruxelles-Amsterdam.

556. Synésios-de.Cyréne (1944). Catastase II,. Terzaghi. Rome.

557. Talbi, M. (1971). "un nouveau fragment de l'histoire de l'occident Musulman (26-196/ 682-812), l'epopée d'al-Kahina." Cah. Tun **N° 73/74**: 19-52.

558. Tauxier, H. (1863). "Etude sur les migrations des tribus

berbères avant l'islamisme." Revue africaine **t. 7**: 24-35.

559. Tauxier, H. (1876). "La religion des taureaux divins en afrique." Rev.Afr **20**: 185-197.

560. Tauxier, H. (1876). "Notice sur Corippus et la Johannide." Rev.Afr **20**: 289-299.

561. Tauxier, H. (1885). "Les patrice Gregorius." Rev.Afr **29**: 284-303.

562. Tauxier, M. (1890). "Récits de l'histoire d'Afrique, le comte Romanus." Rev. Afr **34**.

563. Tauxier., H. (1862). "Etude sur les migrations des tribus berbères avant l'islamisme." Revue africaine **t. 6,**: 353-363; 441-461.

564. Thebert, Y. (1983). "l'évolution urbaine dans les provinces orientales de l'Afrique romaine." OPUS **II, 1**.

565. Thebert, Y. (1986). "Permanences et mutations des espaces urbains des villes de l'Afrique du Nord orientale : de la cité classique à la cité médiévale." Cah .Tun **34**: 34-46.

566. Thebert, Y. (2003). Thermes romains d'Afrique du Nord et leur contexte mediterraneen, etudes d'histoire et d'archeologie. Rome, Ecole francaise de Rome.

567. Thebert-J.L.Biget, Y. (1987 (Rome,3-5 décembre 1987),). l'Afrique après la disparition de la cité classique : Cohérence et rupture dans l'histoire maghrebine. l'Afrique dans l'Occident romain (1er siècle av.J-C.-IV e siècle ap.J-C), Rome.

568. Thelier, H. (1974). Societes urbaines et societes rurales dans l'Empire romain. [Villetaneuse], Universite Paris-Nord.

569. Thouvenot, R. (1964). Saint Augustin et les paiens. Bruxelles.

570. Tissot, C. (1884-1888). Geographie comparée de la province romaine d'Afrique. Paris.

571. Tortorella, S. (1998). La sigillata Africana in Italia nel VI e nel VII secolo d.C: problemi di cronologiea e distribuzione. D. Sagui. Firenze**:** 41-69.

572. Trousset, P. (2002-2003). "le Tarif de Zarai : essai sur les circuits commerciaux dans la zone présaharienne." Ant.Afr **38-39**: 355-373.

573. Trousset, P. (1983). les fines antiquae et le reconquete

byzantine en Afrique. II Colloque sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du Nord.

574. Trousset, P. (2002). "Les limites sud de la réocupation byzantine." Ant.Tard. **10**: 143-150.

575. VanBerchem, D. (1952). l'armée de Dioclétien et la réforme Constantinienne. Paris.

576. Vars, C. (1898). "Inscriptions inédites de la province de constantine." RSAC: 343.

577. Vigneral "Ruines romaines du cercle de Guelma."

578. Whittaker, C. R. (1989). Les frontieres de l'Empire romain. Paris, Les Belles Lettres.

579. Wroth, W. (1908). Catalogue of the Imperial Byzantine Coins in the British Muséum. Londres.

580. Zanini, E. (1998). Le Italie Bizantine, Territorio, indediamenti ed economia nella provincia bizantina d'Italia(VI-VII secolo). Bari.

581. Zarini, V. (1986). "La préface de la johannide de Corripe, certitudes et hypothéses." revue des études augustiniennes **XXXII**: 74-91.

582. Zarini, V. (1996). Goétique, poétique, politique: réflexions sur un passage de la Johannide de Corippe (3,79-155). Culture antique et fanatisme. J.Dion. Nancy-Paris**:** 113-140.

583. Zarini, V. (1997). Bérberes ou Barbares, recherches sur le livre second de la Johannide de Corripe. Nancy.

584. Zarini, V. (1998). Images de guerre dans la poésie officielle de l'Antiquité tardive : l'exemple de la Johannide de Corippe. Images romaines. Cl.Auvray-Assayas. Paris**:** 161-172.

585. Zidane, M. (1998). Djemila et Setif : l'urbanisme comparé de deux villes romaines d'Afrique du Nord. Paris I Sorbonne, Paris I Sorbonne.

586. Zuckerman, C. (2002). "la haute hiérarchie militaire en Afrique byzantine." Ant.Tard. 10. p.169-175

الفهرس العام

A

B

C

D

E

F

G

H

I

J

K

L

M

N

P

Q

R

S

T

U

V

Y

Z

ا

أ

إ

ا

أ

ا

أ

ا

آ

أ

إ

ب

ت

ج

ح

خ

د

ر

ز

س

ش

ط

ع

غ

ف

ق

ك

ل

م

ن

ه

ي

فهرس الصور و الأشكال

			للبازيليكا الكبرى	
		23	مخطط الحمامات التي يبدو أنها استغلت إلى نهاية القرن الخامس حسب حفرية فنترسE.Fentress	
	موفت -مونص	24	مخطط الموقع و القلعة البيزنطية حسب ألواح دولامار	
		25	مخطط الموقع الأثري ومعالم القلعة البيزنطية التي تحيط به حسب Gualand	
		26	جانب من السور الجنوبي للقلعة	
		27	وجهي النقيشة البيزنطية	
	شوبا -زياما	28	مخطط الموقع، حسب غزيل -السور رقم 8 هو الذي يفترض أنه بيزنطيا	
		29	بقايا من قلعة زياما حسب بيلليتيPelletier	
	كويكول – جميلة	30	صورة جوية لموقع جميلة الأثري	
		31	مخطط المجمع الكنسي مع تمثيل الكنيستين حسب	
		32	صور الكنيستين (المجمع المسيحي)	
		33	مخطط الحي الغربي للمدينة مع البازيليكا	
		34	صورة و مخطط مسكن باكوس الذي يحتمل أن الاستقرار قد استمر به إلى القرن السادس – حسب بلانشير ليمي	
	ميلة	35	باب البلاد و أحد أبراج القلعة البيزنطية	
		36	القلعة البيزنطية بميلة حسب ديل	
		37	العين الشهيرة بميلة - أحد أسوار القلعة مرممة في الفترة الاستعمارية	
		38	توظيف مواد البناء القديمة في بناء مسجد سيدي غانم - التيجان	
	زرايا	39	مخطط القلعة البيزنطية و بعض المعالم المسيحية حسب غزيل	
		40	المخطط الرباعي للقلعة حسب غزيل	
		41	مخطط الكنيستين حسب غزيل	
	طبنة	42	مخطط القلعة	
		43	بقايا من القلعة البيزنطية	
	بلزمة	44	مخطط قصر بلازمة حسب	
		45	مخطط الكنيسة حسب غاجي Gagé	
		46	مخطط القلعة البيزنطية	
		47	جانب من العمارة البيزنطي	
		48	البازيليكا المسيحية	
	لاميجيقا - سريانة	49	مخططي الكنيستين حسب غزيل و غرولي	
	كزاي - المعذر	49 مكرر	نقيشة أرجنتيوس حسب قراءة أودولون التي أعطت أركنتيوس	
	تاموقادي	50	منظر عام للقلعة البيزنطية	
		51	مخطط المدينة الأثرية بتموضع القلعة على أطرافها	
		52	السورالشرقي للقلعة البيزنطية	
		53	الواجهة الشمالية الغربية للقلعة البيزنطية	

		54	الهياكل الداخلية للقلعة	
		55	(أ-ب-ج) النصوص الأثرية البيزنطية المكتشفة بالقلعة	
		56	مخطط القلعة البيزنطية حسب لاسوس	
	لامبيز	57	مخطط المدينة حسب غزيل	
	هنشير قساس	58	مخطط القلعة حسب غزيل	
		59	توزيع الكنائس الأربعة بالنسبة للقلعة حسب مخطط مونيي (فيفري)	
		60	أحد مداخل الحصن المحاذي للكنيسة رقم3 حسب فرند Frend	
		61	مخططات الكنائس الأربعة حسب مونيي – فيفري-	
	تهودة- تابوديوس	62	صورة جوية لموقع تاهودة	
		63	مخطط القلعة حسب حاجي من خلال الصورة الجوية	
		64	قطعتين من نقيشة بيزنطية اكتشفتا من طرف باراديز	
		65	قطع زخرفية تستعمل في التوافذ تحمل نقوشا متأخرة حسب	
	بادس	66	صورة جوية لقصر بادس حسب موريزوا	
		67	صورة لقصر بادس موريزوا	
		68	أسوار من قصر بادس- موريزوا	
		69	ما تبقى من قصر بادس- موريزوا	
		70	نظام الري حول بادس حسب تروسي	
	هنشير مديلة- مديلي	71	صورة جوية لقلعة مديلة حسب باراديز	
		72	نص النقيشة الجنائزية	
	بغاي	73	مخطط القلعة البيزنطية لبغاي حسب ديل	
		74	أحد أبراج القلعة مع ما تبقى من السور الشرقي	
		75	النقيشة البيزنطية حسب صورة فيفري	
	خنشلة – ماسكولا	76	عن النقيشة البيزنطية بشطريها حسب(1895) H.de Villefosse et Gsell	
		77	صورة الشطر الأيمن من النقيشة حسب مونصوا Monceaux (1906)	
	قسطنطينة	78	قسنطينة في ألواح رافوازي	
		79	المخلفات الأثرية بقسنطينة من خلال ألواح دولامار	
	تيديس	80	صورة جوية لموقع تيديس Berthier	
		81	صورة جوية لموقع تيديس Berthier	
		82	البرج البيزنطي لموقع تيديس حسب قراءة بيرتي	
	سيلا- برج القصر	83	خريطة المواقع والمواصلات التي تربطها بعين القصر	
	تيجيسيس – عين البرج	84	مخطط القلعة حسب شاباسيي	
		85	مخطط الأسوار و الأبراج حسب حفريات لانسيل Lancel و	

			بوتيي Pouthier	
		86	صور عن القلعة	
		87	صورة النقيشة البيزنطية	
	قاديوفالا –قصر	88	مخطط القلعة البيزنطية حسب غزيل	
	صبيحي–	89	صورة بلسور الشرقي	
		90	صورة البرج الشمالي الشرقي	
	تيبيليس – سلاوة أنونة	91	المخطط المعماري لسلاوة أنونة مع توزيع المنشآت الكنسية، حسب عزيل و جولي	
		92	مخططي الكنيسة: 1= حسب رافوازي 2= حسب غزيل و جولي	
		93	صور عن كنيسة سلاوة حسب ألواح رافوازي	
	كالاما – قالمة	94	النقيشة رقم 2 (CIL VIII, 05353 = CIL 08, 17491 = ILAlg-01, 00277)	
		95	مخطط القلعة البيزنطية داخل المدينة و الكنيسة حسب ألواح رافوازي	
		96	مخطط القلعة البيزنطية	
		97	تاج بيزنطي	
		98	قاعدة عمود وجد بالكنيسة	
	زاتارا – كاف بوزيون	99	مخطط القلعة حسب غزيل	
	قصر عثمان	100	مخطط قصر عثمان حسب غزيل	
	كاف الخراز	101	مخطط كاف الخراز حسب غزيل	
	هيبو ريغيوس–	102	نقيشة تيودوسيوس	
	عنابة	103	مخطط الكنيسة حسب ماريك Marec	
		104	نماذج من فسيفساء المجمع الكنسي	
		105	تجسيد كنيسة عنابة حسب ماريكMarec	
		106	جانب من الحي المتأخر للمدينة	
	توبوسكونوميداروم	107	مخطط القلعة البيزنطية و الكنيسة حسب غزيل	
	– خميسة	108	القصر الكبيرحاليا	
		109	القصر الكبير حسب غزيل	
		110	صورة ومخطط الحصن البيزنطي محتضنا الحمام الروماني	
	تيبازا – تيفاش	111	جانب مما تبقى من أسوار و أبراج	
		112	صورة القلعة حسب تيسوا Tissot	
		113	مخطط قلعة تيفاش حسب غزيل	
	تاغورة – تاورة	114	ما تبقى من أسوار القلعة البيزنطية	
		115	مخطط القلعة البيزنطية حسب غزيل	
		116	أحد أبراج القلعة	
		117	السور الجنوبي الغربي	

	مادوروس	118	المدخل الرئيسي للقلعة البيزنطية	
		119	صورة جوية للقلعة البيزنطية مرتبطة بالمسرح من جهة و بالساحة العمومية من جهة أخرى	
		120	مخطط القلعة و البرج الجنوبي الشرقي	
		121	صورة تخطيطية للواجهة الجنوبية الشرقية للقلعة البيزنطية	
		122	صورة للواجهة الجنوبية الشرقية للقلعة البيزنطية	
		123	مخطط الكنيسة حسب ديفال	
		124	مخطط الكنيسة حسب ديفال	
	قصر الإفريقي	125	مخطط قصر فريكي حسب روبيرRobert	
	هنشير القوسة	126	مخطط حصن هنشير القوسة حسب غزيل 1898	
	تيفيست – تبسة	127	قوس كاراكالا الذي حول إلى مدخل القلعة و ثبتت فوقه نقيشة سولومون	
		128	أحد أسوار القلعة البيزنطية	
		129	تشكيل البازيليكا المسيحية حسب ديل	
		130	مخطط و صور عن البازيليكا المسيحية لتبسة و أحد التيجان البيزنطية ذات الأوراق الملساء اكتشف بها	
		131	أحد أبواب القلعة	
		132	مخطط القلعة البيزنطية	

فهرس المدن المدروسة

الرقم	**الإسم الحالي**	الإسم اللاتيني
1.	شرشال	Caesarea
2.	تامندفوست (البرج البحري)	Rusguniae
3.	تيقزرت	Iomnium
4.	أوزيا–عين بسام؟	Auzia
5.	قصر تارمونت	Aras Tarmount
6.	خربة القصر أولاد عيسى	
7.	أولاد عقلة– الحمادية –سطيف	Equizeto
8.	رأس الوادي – تامالولا	Thamallula

Zabi	بشليغة	.9
	أولاد تبان	.10
Sitifis	سطيف	.11
Mopht	موفت	.12
Choba	زياما منصورية	.13
Cuicul	جميلة	.14
Milev	ميلة	.15
Zarai	زراي	.16
Tvbvnae	طبنة	.17
Lamasba	بلزمة	.18
Diana Veteranorum	حصن زانة	.19
Lamiggiga	سريانة	.20
Casae	المعذر	.21
Thamvghadi	تيمقاد	.22
Lambaesis	لامبيز	.23
Bordj El Ksour	برج القصور	.24
	هنشير قساس	.25
Thabudeos	تاهودة	.26
Bades	بادس	.27
Medlili	هنشير مديلة	.28
Bagai	بغاي	.29
Mascvla Tiberia	خنشلة	.30

Constantina	قسنطينة	.31
Castellvm Tidditanorvm	تيديس	.32
Sila	برج القصر	.33
Tigisis	عين البرج	.34
Gadiavfala	قصر صبيحي	.35
Thibilis	سلاوة أنونة Announa	.36
Calama	قالمة	.37
Zattara	كاف بن زيون	.38
Kasr Othmane	قصر عثمان	.39
	قلعة سيدي يحي	.40
	كاف الخراز	.41
Hippo Regius	عنابة	.42
Tubusrsicu Numidarum	خميسة	.43
Tipasa	تيفاش	.44
Thagvra	تاورة	.45
Madavrus	مادوروس	.46
Frigui	قصر الافريقي	.47
Gastal	هنشير القوسة	.48
Theveste	تبسة	.49
Ain Bou Driess	هنشير عين بودرياس	.50

الملاحق

جدول المدن من خلال النصوص الأثرية

االولاية	الموقع	التسمية اللاتينية	طبيعة المنشآت العسكرية	المصدر
البروقنصلية	قرطاج	Carthage Justiniana	ترميم سور للمدينة	
	باجة	Vaga Theodoriana	سور	CIL VIII,14439,[1618] Diehl,1896,297
	دوقة	Thugga	حصن	
	عين مطوية	Ain Metouvia	حصن غير مؤرخ	
	موستيس	Mustis	حصن غير مؤرخ	
	قليبية	Clupea	حصن غير مؤرخ	
	طبرسوك	Thubursicu Bure	قلعة	CIL 08, 01434 = ILCV 00027 = ILCV 00802 = ILTun 01330 [1619]
	تينيكا	Thignica	حصن متأخر	
	طبرنيك	Thuburnuc	حصن متأخر	
نوميديا البروقنصلية		Laribus	قلعة	
		Obba	قلعة	
	حيدرة	Ammaedara	قلعة	
	تبسة	Theveste	سور للمدينة وقلعة	CIL 08, 01863 = CIL 08, 16507 = ILAlg-01, 03059 = ILCV 00806 = D 00831[1620]
	الكاف	Sicca Veneria	حصن	

[1618] CIL 08, 14439 = ILCV 00800 = ILTun 01222 (Henchir Negaschia)
Indicat] h<i=E>c titulus / [Iustini]an(o) Imperat(ore) inmine/[nte in] nostros in/[petu h]ostis d(omi)no iuba/[nte 3] castru(m) perfec(tum)

[1619] Salvis dominis nostris christianissimis / et Invictissimis Imperatoribus / Iustino et Sofia Augustis hanc munitionem / Tomas excellentissimus pr(a)efectus feliciter aedificavit

[1620] Nutu divino feliciss(imis) temporib(us) piissimor(um) dom/{m}inor(um) nostror(um) Iustiniani et Theodorae / Augg(ustorum) post abscisos ex Africa Vandalos / extinctamque per Solomonem gloriosiss(imum) / et excell(entissimum) magistro(!) militum ex consul(e) praefect(o) / Libiae ac patricio universam Maurusiam gentem / provi[dentia eius]dem {a}eminentissimi viri The/veste [civitas] a [f]undament(is) aedificata est

	حصن غير مؤرخ	Gastel		
CIL 08, 01259= CIL 08, 14545 = ILCV 00794[1621]	قلعة	Bordj Hellal	برج هلال	
08, 01259 = CIL 08, 14545 = ILCV 00794[1622]	حصن	Bulla Regia	بولا ريجيا	
فضلا عن نقيشتين لقائد و جندي في وحدة المشاة،[1623]، وجدت أخرى مؤرخة بزمن الامبراطور موريس[1624]	قلعة	Hippone	عنابة	
CIL 08, 05352[1625], 05353[1626] = ILAlg-01, 00276,00277	قلعة	Calama	قالمة	
نقيشة[1627] CIL 08, 04677 = CIL 08, 16869 = ILAlg-01, 02114 = ILCV 00804 =	قلعة	Madaure	مداوروش	
CIL 08, 04648 = CIL 08, 16851 = ILAlg-01, 01037 = ILCV +00804 =	حصن	Thagura	تاغورة	

1621 aedificata est felicissimis tempo]ribus piiss(imis) / [dominorum nostrorum Iustini]ani et Theudorae(!) / [providentia Solomonis excellentissimi et g]loriosiss(imi) / [mag(istro) milit(um) exconsul(i) bis pr(a)ef(ecto) pr(a)etor(i) Africae ac p]atricii

1622 aedificata est felicissimis tempo]ribus piiss(imis) / [dominorum nostrorum Iustini]ani et Theudorae(!) / [providentia Solomonis excellentissimi et g]loriosiss(imi) / [mag(istro) milit(um) exconsul(i) bis pr(a)ef(ecto) pr(a)etor(i) Africae ac p]atricii

1623 CIL 08, 05229 = CIL 08, 17401 = ILAlg-01, 00081 = ILCV 00549
Buraido milex(!) / de num(ero) Hipp(onensium) Reg(iorum) / vixit in pace / ann(os) XL milita/(v)it XVIII (q)uie(v)i(t) / s(u)b d(ie) III N(onas) Iul(ias) indi(c)/t(i)on(e) nona
CIL VIII 17414 ,ILAlg ,1 ,82
D(is) M(anibus) s(acrum) / Maxe[n]ti(u)s
senator de nu/mer(o) bis elect(or)um
fide/lis vixit in pac[e] ann(os) LXX / (q)uie(v)it
sub d(ie) Non(as) Au/gus(tas) ind[i]c(tione) XV

1624 (croix de Malte, crois, crois de malte=/(crois= thedosius,/fidelis/hic qui/escit peregrinu(s)/ patriq(ue) relinqui(t)/ doloris nomine/ funus. Ann(is) X vix(it) Mairicio imp(erante), idus dec(em)b(res), ind(ictione)/ esxta croix) quieb(it)

1625 Una et bis senas turres crescebant in ordine totas / mirabilem operam cito constructa videtur posticius / sub termas balteo concluditur ferro nu[ll]us malorum / poterit erigere man(um) patrici Solomon(is) insti[tu]tion(em) nemo / expugnare valevit defensio martir(um) tuet[u]r posticius ipse / Clemens et Vincentius martir(es) custod(iunt) introitum ipsu(m)

1626 Abbena veniens [qui] / urbem meliorata(m) in[tueris] / disce Solomonis patrici esse la[bor(em) quem ip]/sius iusso Paulus com(es) perfecit Cala[mensibus]
1627 Cum [3 h(a)ec civitas] (a)edificata est tempo/ribu[s piissim(orum) dominor(um) no]strorum Iustiniani et / Theo[dorae providentia S]olomonis glorio[siss(imi)] ex / consu[le magistri militu]m et praefecti Afri[c]ae

	مدينة محصنة	Lariscus	السخيرة	بيزاق
CIL 08, 10498 = ILCV 00230 = ILTun 00078[1628]	قلعة	Iunci(Macomades minores)	عقلة خليفة	
	قلعة			
	مدينة من تأسيس بليزاريوس	Caput Vada	رأس كابوديا	
	قلعة– مقر إقامة الدوق	Hadrumetum	سوسة	
	حصن	Uppenna		
	حصن	Tubernuc	طبرنيقة	
CIL 08, 00101 , 00102, ILTun 00290 00291, AE 1934, +00170[1629]	قلعة	Capsa	قفصة	
	قلعة	Thelepte	المدينة القديمة	
	قصر	Ksar Graouch	قصر قراوش	
	حصن	Ad Majores		
	حصن	Ad Turres		
	موقع محصن حسب بروكوب	Mammas	مامس	
النقيشة[1630]	موقع محصن حسب بروكوب	Cululis	عين جلولة	
نقيشة[1631] CIL08, 02095 = ILAlg-01,03809 = ILCV 00797	حصن	Ain Bou dries (Aumetra)	عين بودريس	
نقيشة[1632] CIL 08, 00700 = CIL 08, 12124	قلعة	Kessera	قصيرة	

1628 GR // Obtulit imperio praefect[us

1629 [Sub] temporibus piissimo[rum domin]orum nostrorum Iu[s]ti[nia]ni [et Theodore perp(etuorum) Au]gustorum [per] / [Solomo]nem excellenti[ssimum] magistrum militu[m pr(a)efectum p]r(a)e[toriorum Afric(a)e ex] consule ac [pa]/[tricio] muri felicissi[me Ius]tiniane Capse c[ivitatis a fundam]e[ntis (a)edificati sun]t et perfe[cti]
[Felicissimis temporibus piissimorum do]min[orum nostro]rum [Iustiniani et Theodo]rae perp(etuorum) Au[gg(ustorum) per] / [Solomonem exc]elle[ntissimum magistrum m]ilitum [praefectum praetori]orum Afric(a)e [ex con]sule a[c] / [patricio] mur[i felicissim(a)e Iustinian(a)]e Ca[ps(a)e civitatis aedificati sunt(?) fu]ndamenti[s et veloci]ter per[fecti]

1630 D.Pringle, th Defence .. p.319 ; J.Durliat, les ouvrages de defense, p.37
Hoc opus imperium felix has prestitit arces / Magnanimique etiain Solomonis iussa dedere, /
Cui paruit Nonnus, qui condidit ista, tribunus./Urbs, domino laetare pio iamque aspice quantis /
Es subducta malis quantoque or[n]ata decore! /Maurorum tandem recipis subducta timore /
Censuram, statum, cives, ius, moenia, fastus /Atque suum nomen posuit<t>ibi regia coniunx./
Iu {s}tiniani manu Maurorum gente fugata, Omnia tempus abent elebant et ea[s i]ngentes

1631 Propitio deo et spi[ritu s(anc)to tempori]/[b]us piissimorum do[minorum nos]trorum Iusti[ni]an[i et Theodorae] / A(u)gg(ustorum) pro<v=B>iden[tia patrici Solomonis]

1632]NTI[3] / [3]IO[

	قلعة	Mactar	مكثر	
CIL 08, 00259 = CIL 08, 11423 = EChrAfr-01, 00085		Sufes	هنشير سبيبة	
				الطرابلسية
	مدينة محصنة	Leptis	لبدة	
	مدينة محصنة	Sabratha	صبراتة	
	مدينة محصنة	Oea	طرابلس	
	قلعة	Tacapes	تقابس	
		casae	المعذر	نوميديا
AE 1967, 0583 (1969/70, 0716[1633]	مدينة محصنة	Bagai	بغاي	
	حصن	Mascula	خنشلة	
A.Ep.1911,n°118[1634] BCTH,1941/1(1944)p.133-134 (2 inscript)	قلعة	Timgad	تيمقاد	
	حصن	Lambese	لامبيز	
[1635]		Lambridi	عين القصر	
	حصن	Badias	بادس	
	حصن	Medlili	مدليلي	
	حصن	Thabudeos	تاهودة	
	قلعة	Tubunae	طبنة	
	حصن	Diana Veteranorum	زانة	
AE 1935, 0062[1636].	حصن	Belezma	بلازمة	

[1633] Aedificatus est sub piis[i]/mis dominis nostris Iustini[an]o / et Theodora perp(etui)s Augustis / providentia So[l]omonis magis/tro militum ex cons(ule) praefect(o) / Africae et pat[r]icius(!)

[1634]Deo fabente(!) in a(n)no XIII felicissimis tempo/ribb(us) dd(o)mm(inorum) nostrorum Iustiniano et Theo/dora perpp(etuorum) Augg(ustorum) (a)edificata est a fundamentis / cibitas(!) Tamogadiensis probidentia(!) biri(!) excellen/tissimi Solomonis magistri militum ex con/sule ac patricii cuntacve(!) pr(a)ecelsi / et per Africa pr(a)efecti

[1635] I<m=N>p(eratoribus) d(o)m(i)n(is) n(o)st(ris) Fl(avi)o Constantino et Anas/tasi(a)e p(iissimis) A(u)g(ustis) Vita(lio) et m<a=I>g(nifico) e(t) in<l=D>(ustri) m(agistro) m(i)l(itum) / Afr(i)c(ae) auxiliante d(e)o per Fl(avium) T(ri)<g=S>et(ium) / hic k(a)st(rum) consent<i=L>ent(es) sibi cives istius loci / p(r)ovid(entia) [eius] de suis pr(o)p(riis) laboribo fecerunt /

Gudulo /
Ianuar(iu)s /
Felix Iul(ius) /
Senior /
Victor M() /
Faustin(us) /
Dom(i)n(i)c(us) /
campi d<o=U>ct(or) /
Focas magister fecit

Donatco / Marifer /
Lucian(us) /
Dontius /
Secund(us) /
Saturn(i)n(us)L()/
Victoria<e=I> /

Guntari /
Felix FR() /
Cresc<e=O>n(s?) /
Victor SC() /

[1636]]Providentia patri]cii Solomoni[s 3 ex] consule

	مدينة محصنة	Milev	ميلة	
	مدينة محصنة	Constantine	قسنطينة	
A.Ep,1958,160[1637]	قلعة	Tigisis	عين البرج	
CIL 08, 04799 = ILAlg-02-02, 06173 = ILCV 00797[1638]	قلعة	Gadiaufala	قصر صبيحي	
	مدينة محصنة	Rusicade	سكيكدة	
				موريطانيا
CIL 08, 08805 = ILCV 00807 = AE 2002, +01693[1639]	قلعة	Źabi	زابي	
نقيشة[1640] CIL 08, 08483 = ILCV +00807	قلعة	Sitifis	سطيف	
	قلعة	Thamallula	ثامالولا	
	حصن	Mopht	وادي الصفصاف	
	حصن	Choba	زيامة	
	موقع محصن	Igilgili	جيجل	
	موقع محصن	Saldae	بجاية	
CIL 08, 09248 = CIL 08, 20849 = ILCV 00442[1641]	قلعة	Rusgunia	البرج البحري	
	قلعة	Caesarea	شرشال	
	قلعة	Iomnium	تيقزرت	
	قلعة	Ceuta	سبتة	

1637]Imp(eratore) Iusti[(niano?) 3] / [3] factus est [

1638 Deo iubante temporibus / Iustiniani et Theodorae piis/[si]m{m}orum Aug(ustorum) dominorum nostrorum // {AVGDN} // dominorum nostrorum / providentia Solomonis excellen/tissimi magistri militum ex consule / bis pr(a)efecto praetoriorum Africae {h}ac / patricio fa[bric]atum est

1639 A)edificata est a fundamentis huic ci/vi[tas N]ova Iustiniana Zabi sub tem/po[ribus] dom(i)ni nostri Piissimi et Invictiss(imi)

1640 Antiquam c[3] / Solomon forte[

1641 Mem(oriae) Fl(avi) Ziperis / trib(u)n(i) n(umeri) pr(i)m(anorum) Fel(icium) / Iust(inianorum) depositus est / in p(a)c(e) agens tribu/natu Rusg(uniis) ann(os) XII

جدول مقارنة مساحة أهم المواقع البيزنطية بالهكتار

	الاسم اللاتيني	الأسم الحالي	المساحة بالهكتار	
1.	Carthago I	قرطاج	390.00	
2.	Caesarea	شرشال	370.00	
3.	0Ea	طرابلس	50.00	
4.	Lepcis Magna I	لبدة 1	44.00	
5.	Constantina	قسنطينة	38.00	
6.	Hadrvmentvm Ivstinianvm	سوسة	32.00	
7.	Lepcis Magna Ii	لبدة2	32.00	
8.	Rvsgvniae	سكيكدة	19.50	
9.	Sabratha	صبراتة	8,50	
10.	Bagai	بغاي	8,20	
11.	Theveste	تبسة	7,50	
12.	Thelepte	تلبت	5,25	
13.	Milev	ميلة	5,14	
14.	Calama	قالمة	4.33	
15.	Laribvs	لوربس	4.09	
16.	Tigisi	تيجيسيس	3.96	
17.	Choba	زيامة	7,00	
18.	Zattara	زعتارة	2.75	
19.	Ammaedara	حيدرة	2,75	
20.	Tipasa	تيفاش	2,25	
21.	Thvbvrsicv Bvre	طبرسوكبور	1,76	
22.	Sitifis	سطيف	1,69	
23.	Ksar Belezma	بلازمة	1,40	
24.	Thamallvla		1,10	
25.	Capsa Ivstinlana	قفصة	0.80	
26.	Thamvgadi	تيقاد	0.75	
27.	Thagvra	تاورة	0.53	

	0.50	طبنة	Tvbvnae	28.
	0.44	بغاي	Bagai	29.
	0.35	مكثر	Mactaris	30.
	0.29	زانة	Diana Veteranorvm	31.
	0.28		Tvgga	32.
	0.24	مداوروش	Madavros	33.
	0.21		Gastal	34.
	0.17	زرايا	Zarai	35.
	0.16	قصر صبيحي	Gadiavfala	36.

جدول بأسماء الأشخاص من خلال المصادر الأثرية البيزنطية

التعليق	المصدر	الإشارة لشخصية امبراطورية	الوظيفة	المكان	الاسم
محاسب مالي لخزينة الضرائب مختص بالزبوت aout542-Juillet 543	Albertini, ostrakon byzantine de Negrine	جستنيان	Laudetum	Negrine نقـــرين	
خلال العهدة الثانية لحكم سولون solomon(539-544)	CILVIII 14547	جستنيان	قنصل – بطريق	Bordj Hellal برج هلال	Solomon
نقيشة مزدوجة اللغة (إغريقية و لاتينية)	CIL 1259	جستنيان- تيودورا	بطريق		
539-544	CIL 5352		بطريق	Calama قالمة	
			مستشهد		Clemen
			كستشهد		Vincentius
539-544	CIL 17529		بطريق		Solomon
539-544 نقيشة مزدوجة اللغة (إغريقية و لاتينية)	CIL VIII 4677 ; 16869	جستنيان	Préfet de prétoire	Madaure مداوروش	
نص رسمي	Bernelle, B.acad.Hippone,1892,pXXIV		Excellen(tissimi)		
539-544	CIL VIII 1863 ;16507	جستنيان- تيودورا	préfet de prétoire	Thevese تبسة	
539-544	CIL VIII 1864	جستنيان	préfet de prétoire		
قطعتين مهشمتين من نص إغريقي	CIL VIII 16851, ILAlg.1037	جستنيان- تيودورا	préfet de prétoire	Thagureتاورة	

?	CIL VIII 10663	جستنيان- تيودورا		Boudriess بودرياس	
539-544	CIL VIII 23169,1172 ;101	جستنيان- تيودورا	بطريق حاكم عسكري	Capsa قفصة	
539-544	CIL VIII 102,116,11234,23169	جستنيان	بطريق		
539-544	CIL VIII 259, 11423	جستنيان- تيودورا	بطريق	Sufes هنشير سبيبة	
539-544	CIL VIII 4799	جستنيان- تيودورا	بطريق	Gadiaufala قصر صبيحي	
539-544	E.Albertinie, BSNAF,1934,p156-158		بطريق	قصر بزمة	
539-540	A.Ep.1911,p.CC,N°118	جستنيان- تيودورا	بطريق	Thamugadi	
539-540	L.Leschi,BCTH,1941- 1942(1944)p133-134	جستنيان- تيودورا	بطريق	تيمقاد	
539-540	L.Leschi, BCTH ?1941- 1942.P.134	جستنيان	بطريق		
539-544	S.Lancel et P.Pouthier,MEFR,69,19 57,p251-253	جستنيان		Tigisis	محتملSolo mon
539-544	CIL VIII 8805	جستنيان		Zabi	محتملSolo mon
572-574	CIL VIII 1434	جستين -صوفيا	بطريق	Thibursicu Bure	Thomas توماس
Bilingue 574-578	CIL VIII 10498	جستين —صوفيا- تيبريوس الثاني	بطريق	Sidi Ghrib	
578-582	CIL VIII 17671	تيبريوس -غيناديوس	بطريق	Mascula	
578-582	CIL VIII 4354, 18540	تيبريوس- أناستازيا- غيناديوس		Ain el Ksar	Gudulo Donatius Guntari Ianuarius Marifer Felix fr Felix IUL Lucianus Faustinus Saturninu s L Dominic us
				Campiductor (sous – officier instructeur	Victorinu s
				المشرف على الإنجاز	Focas

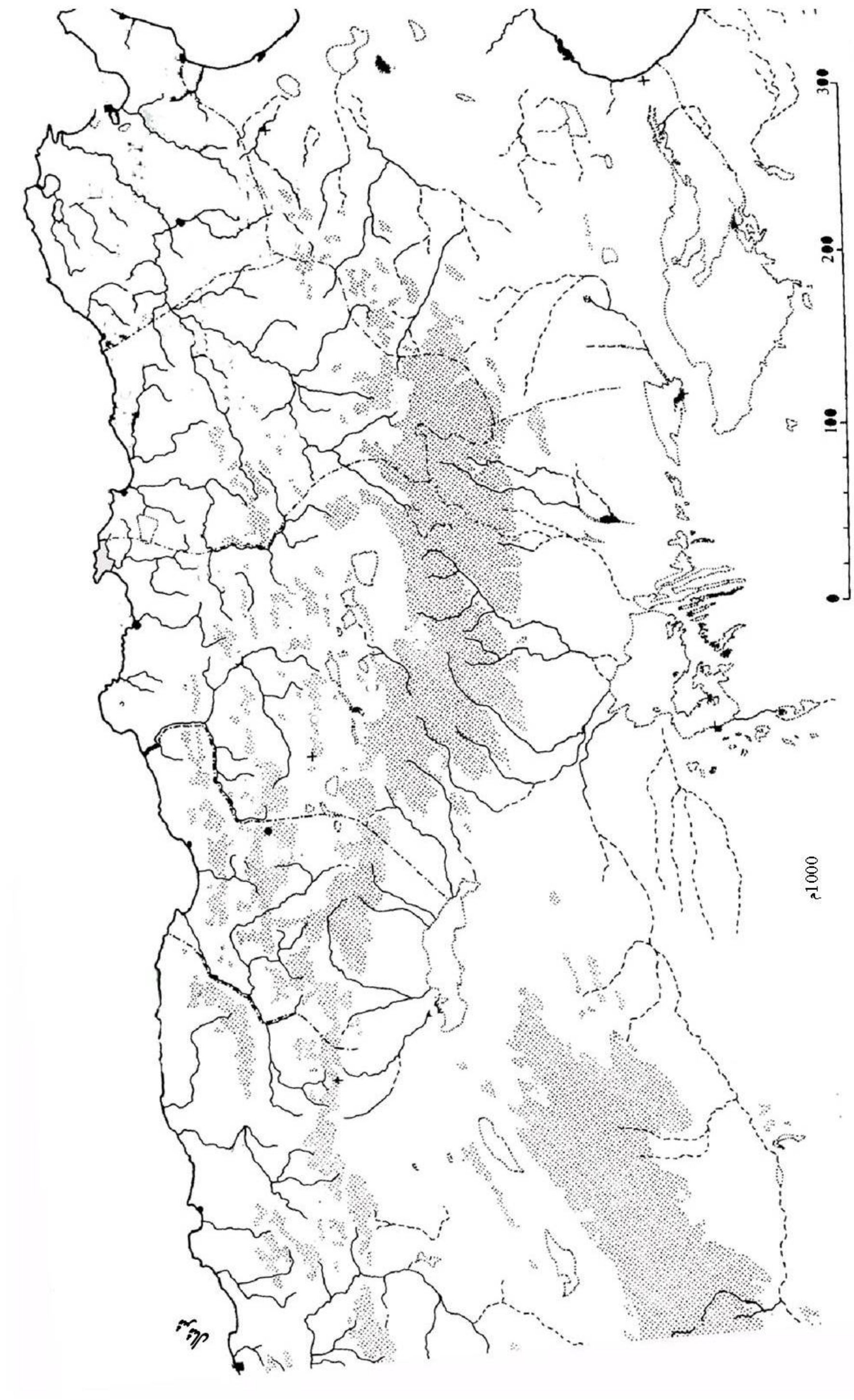
582-602	CIL VIII 12035	موريس غيناديوس يوحنا	III freres	Kasr Lemsa	Maximia nus
					Istefanus
					Mellosus
?	CIL VIII 14399		كونت	Vaga	Paul
	CIL VIII , 2079, 16684	فوستينوس		Hr Bou Sboa	Mastican a
النصف الثاني من القرن السادس	N.Duval, l'église du قس Felix prés de Klibia , une étude de P.Testini, dans karthago,T.11,1960,p211 -215	القديس سيبريان و أدلفيوس	عائلة أكوينوس Aquinius	Klébia	Aquinius
					Iuliana
					Villa
					Deogratia s
			قس		Adelfius
قبل تاريخ 647	CIL VIII2389,17822	الأرخون جريجوار	Dux	Thamugadi	Jean Iohannes
544	L.Leschi, BSNAF, 1934, P236-245	رماد القديس جوليان	eveque	Ain Guigba	Emilianu s
			قس		Floridus
544		القديس جوليان-جستنيان		Hr AKherib	Non connu
11 septembre 544	P.Monceaux, enquete sur l'épigraphie chr. d'Afr.Paris, 1907, N°282. I.L.C.V.1914	القديس لوران	قس	Hr Akhrib	Floridus
06 octobre 580	P.Monceaux, enquete sur l'épigraphie chr. d'Afr.Paris,1907, N°279. I.L.C.V.2055	القديس جوليان	قس	Nicivibus	Columbu s
			قس		Donatus
11 sep.544 ou 6 oct.580	P.Monceaux, enquete sur l'épigraphie chrétienne d'Afrique, Paris,1907,N°287.I.L.C. V,N°2080et 2083	القديس كاسيانوس		Hr Akhrib	Cassianus
11 sept.544 ou 06 octobre 580	P.Monceaux, enquete sur l'épigraphie chrétienne d'Afrique, Paris,1907,N°283 ; I.L.C.V.N°2081	القديس فليكس		Hr Akhrib	Saint Akhrib
11sept 544 ou	P.Monceaux, enquete sur l'épigraphie chrétienne			Hr Akhrib	Saint Pastor

6octob.580	d'Afrique, Paris,1907,N°280-281,I.L.C.V,N°2083				
Du 20 nov.568 au 19 nov.569	N.Duval, recherches archéologiques à Haidra,I, les inscriptions chrétiennes, Rome,1975,N°1,P20-22	القديس سيريان		Ammaedara	Saint Cyprien
Mai 585	F.Logeart et A.Berthier, deux basiliques chrétiennes de sila, RSAC,63,1935-1936,p.254-260	القديسين: مارك- أوبتات و108 من المستشهدين- الامبراطور موريس- غيناديوس		Sila	Eveque Boniface
	F.Logeart et A.Berthier, deux basiliques chrétiennes de sila, RSAC,63,1935-1936,p.254-260	foi Sainte spérance Charité Ianuarius Maxima Secunda Donatilla Geminius		Sila	Saints et saintes
10 mars ou 8 sept.636	Y.Duval et P.A.Fevrier, MEFR,T81,1969,p257-320, AEp.1970,N°695	Stephanus Focas Theodorus Bictor Corona	قديسين	Telergma	eveques de Telegma
	N.Vandal,CRAI,1968,P. 243		قس وندالي	ammaedara	Victorius
ما بين 579- 594	F.Prévot, recherches archéologiques à Haidra,I, les insciptions chrétiennes, Rome,1975,N°3p.25-27		قس توفي في سن 70 سنة	Ammaedara	Melleus
	J.L.Maier, l'episcopat, p.75,N°9 Diehl, Afr.Byz, p417-418		أول قساوسة موريطانيا	Sidi Abich	Paulus
نهاية القرن السادس	N.Duval, Note d'épigraphie chrétienne africaine, Karthago, T.7,1956,p.193		diacre	Carthage	Quintus
نهاية القرن السادس	N.Duval, recherches archéologiques a Haidra,I, n°4,p28		Sous-diacre	Ammaedara	Pascasius
9 juillet 560	N.Duval, recherches archéologiques a		clerc	Ammaedara	Reparatu s

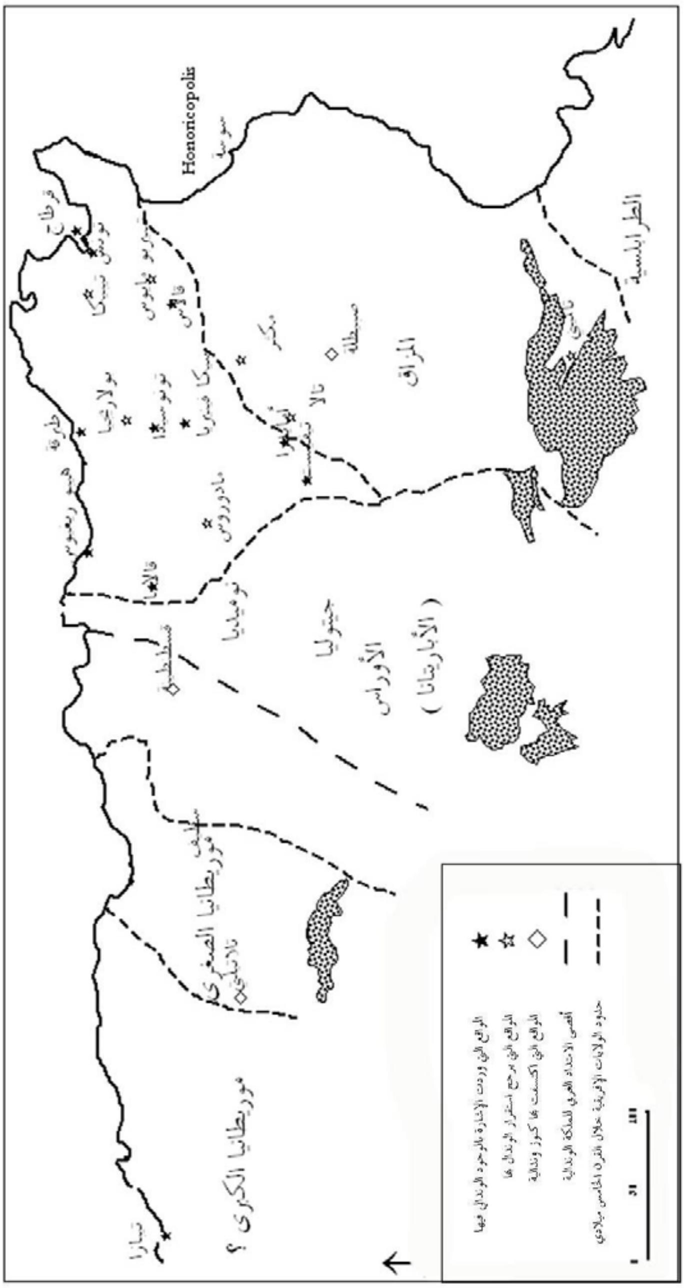
	Haidra,I, n°5,p85-86				
611	H.Chardon,BCTH, 1900, p144 ILCV,234a		حاكم عسكري	Rusgunae	Mauricius
توفيت في 1 Nov 605			ابنتي موريسيوس		constantina
توفيت حوالي 600 م					Patricia
	A.Merlin,I.L.Tun.n°1199		Tribun	Hr Tachegga	Theodoricus
النصف الثاني من القرن السادس	N.Duval, MEFR,T.83,1971,p.428-430		حاكم عسكري توفي في سن 45 سنة	Sufetula	Crescens
يعتبر القائد العسكري الثالث المعروف بهذه المدينة	N.Duval, les églises africaines à deux absides, T.1, Paris, 1971. p.415,n°171		حاكم عسكري توفي في سن 68 سنة	Sufetula	Pompeianus
دفن في نفس الكنيسة رفقة القائد كريكنس Crescens	N.Duval,MEFR.T83.1971,p431-432		Tribun توفي في سن 40 سنة	Sufeutula	Traianus
يبدو أنه يعود لبداية الفترة البيزنطية	CIL VIII 20849 ; ILS,n°2812		Tribun du numeris	Rusguniae	Ziper
قبل تاريخ 600 م	CIL VIII 5229 ;17414		قائد وحدة numeris	Hippo regius	Amabilis
	CIL VIII 5229, 17401		جندي ب numerus		Buraido
	I.L.Tun. n°382			Sufetula	Istefanus
توفي في 21 جلنفي 543	N.Duval, MEFR.T.68,1956,p.277		مسيحي		Restitutus
24 Janvier 543	N.Duval, Notes d'épigraphie chrétienne africaines, dans Karthago, T7,1956, p.196-198				Budala
18 fevrier 543	N.Duval, MEFR.T.68,1956, p.278-279		مسيحي		Ianuariana
بداية فيفري 543	N.Duval, MEFR.T.68,1956, p.280		مسيحي		Florentius
540-545	N.Duval, MEFR.T.68,1956, p.280-281				Fortunata
24 janvier 546	N.Duval, MEFR.T.68,1956, p.282-283		مسيحي		Matrona

30 mars 563	N.Duval, MEFR.T.68,1956, p.281-282		مسيحي		Restitutus
18 mai 563	N.Duval, MEFR.T.68,1956, p.283-284		مسيحي		Secundianus
نص مزدزج لاتيني إغريقي	E.Marec, Monuments chrétiens d'Hippone, ville épiscopale de saint Augustin, Paris, 1958,p.97-101	Maurice	مسيحي ابن ستيفانوس Stephanos من كونوس Konos بليسي Lycie	Hippo Regius	Theodosius
ما بين 613 و 628	A.Mahjoubi, inscriptions chrétiennes de henchir el Faouar dans Mel.hsit. ancienne Seston,paris, 1974,p314-315	Heraclius		Belalis Major	Spesindeu

الخرائط

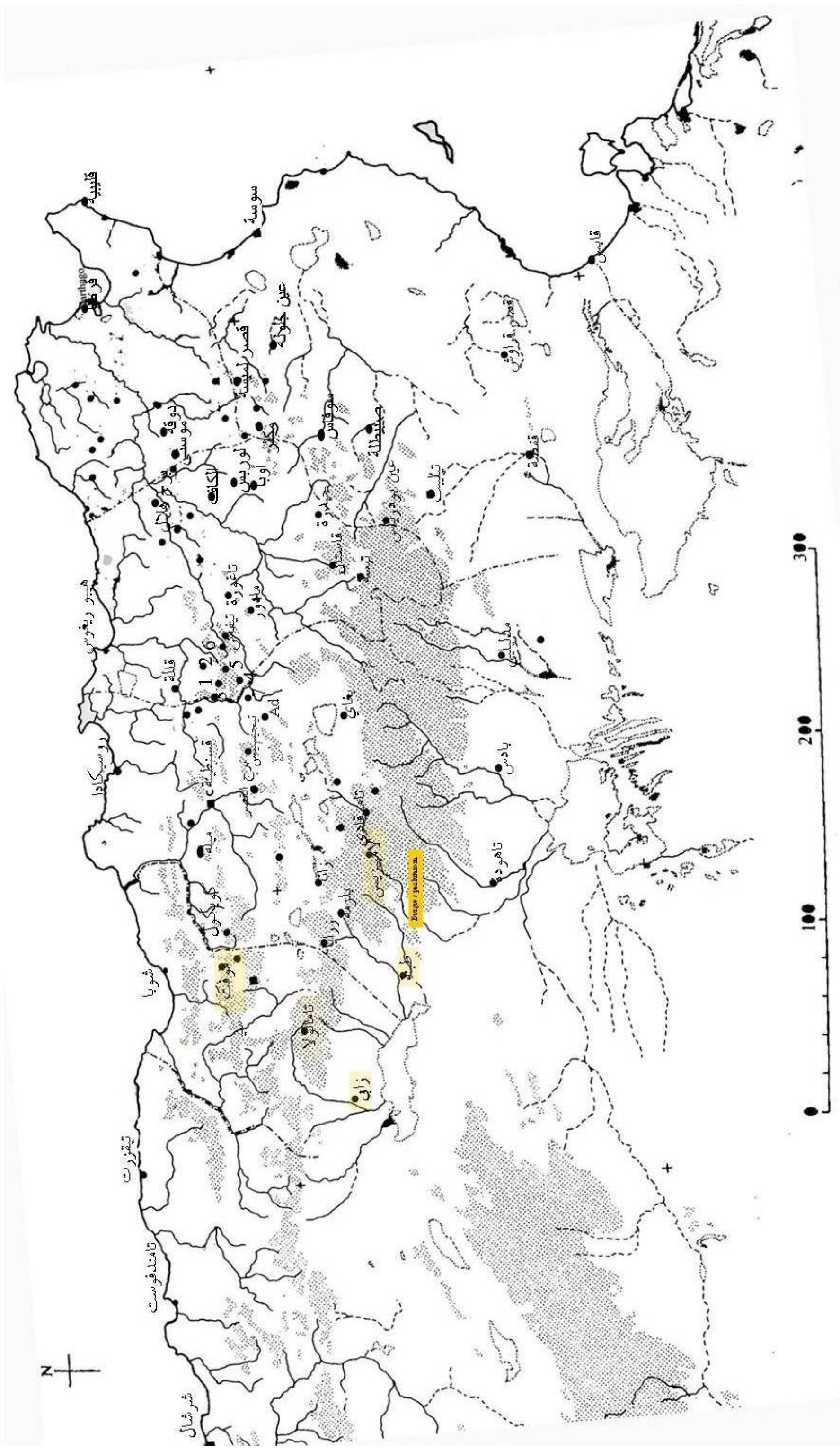


خريطة بلاد المغرب الطبيعية

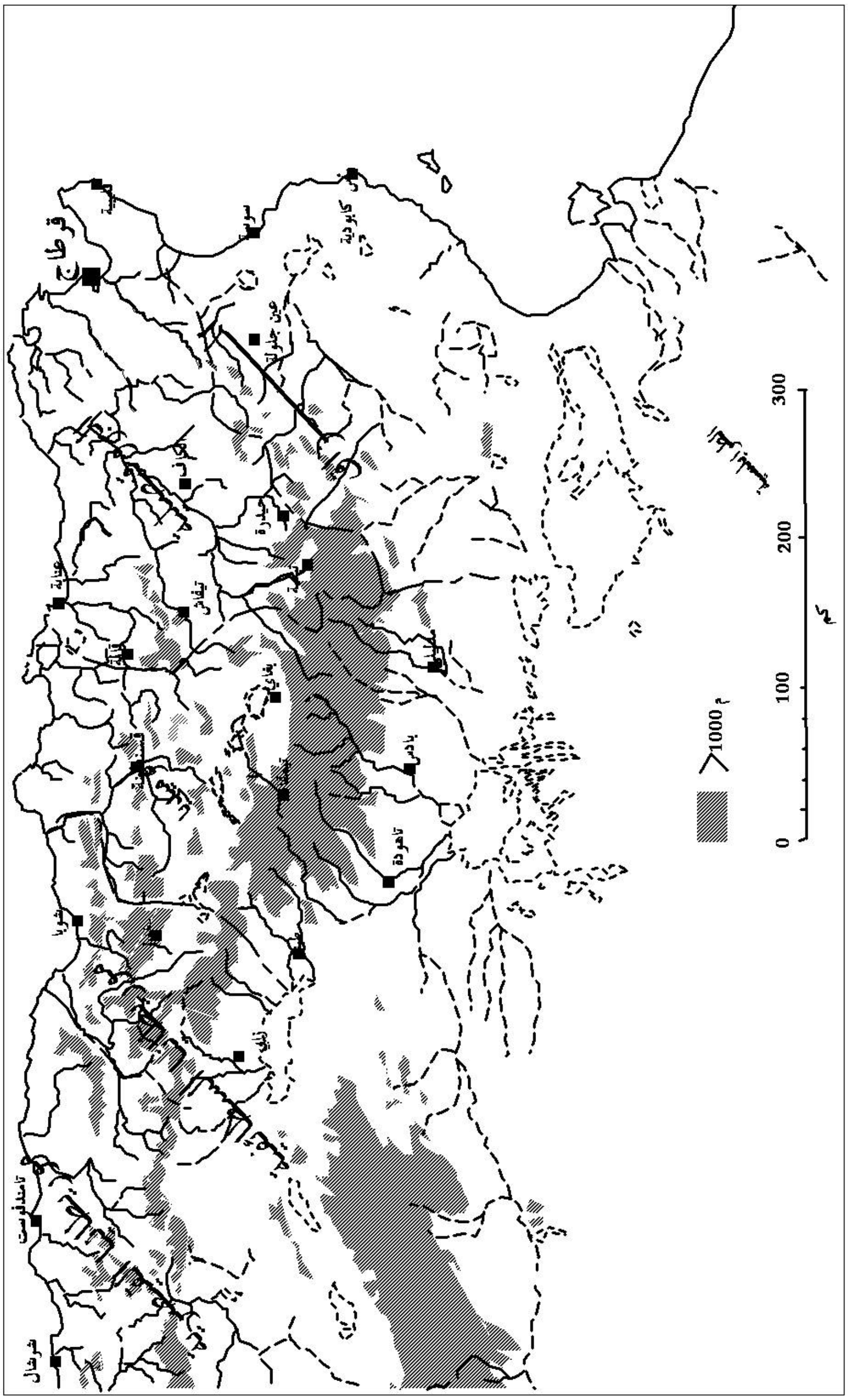


المصدر: Y.Moderan, l'etablissement territorial des vandales en Afrique, Ant.Tar.10,2002,p.89

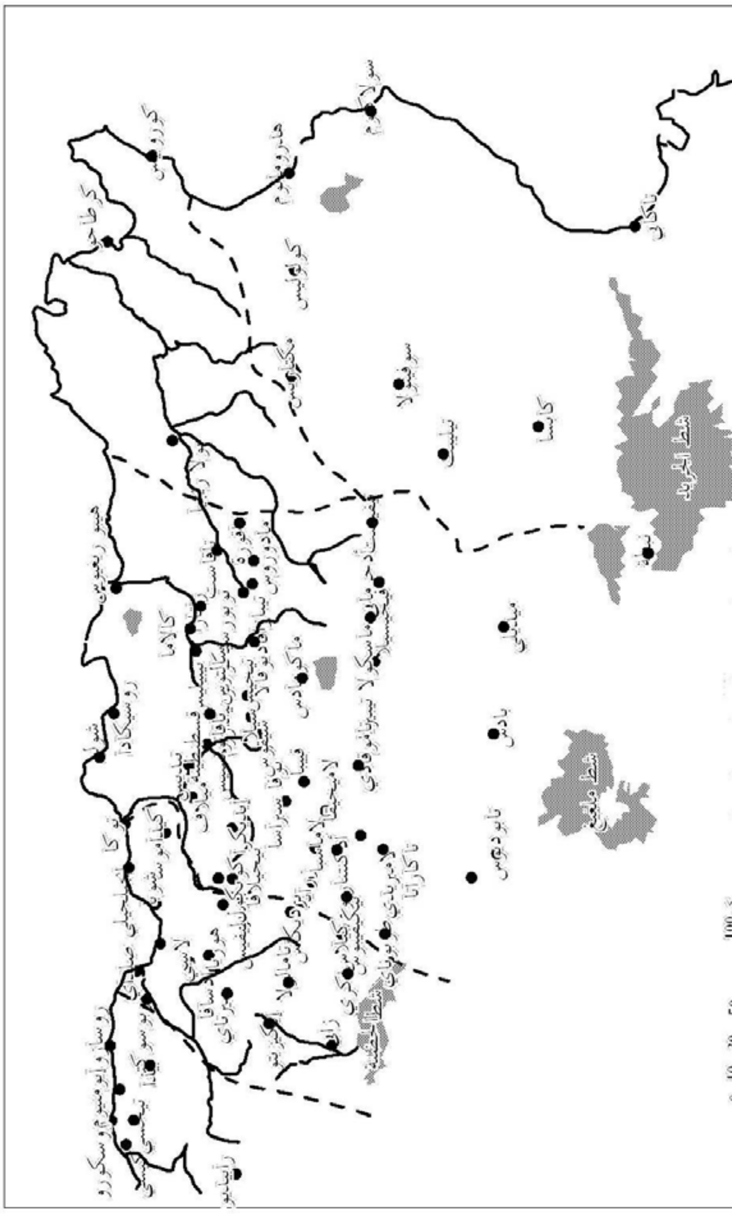
خريطة التواجد الوندالي في المناطق الإفريقية



خريطة المواقع البيزنطية ببلاد المغرب

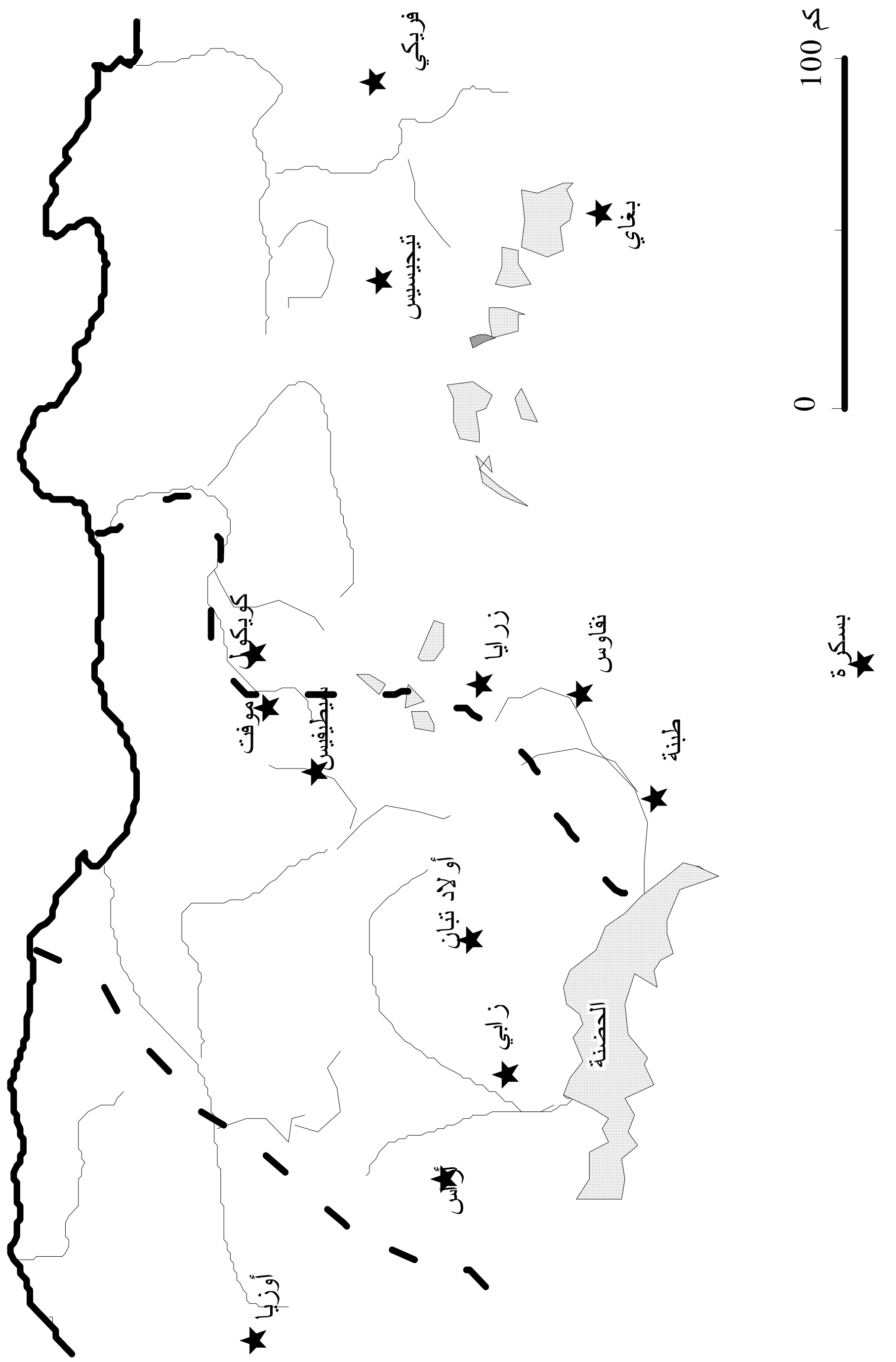


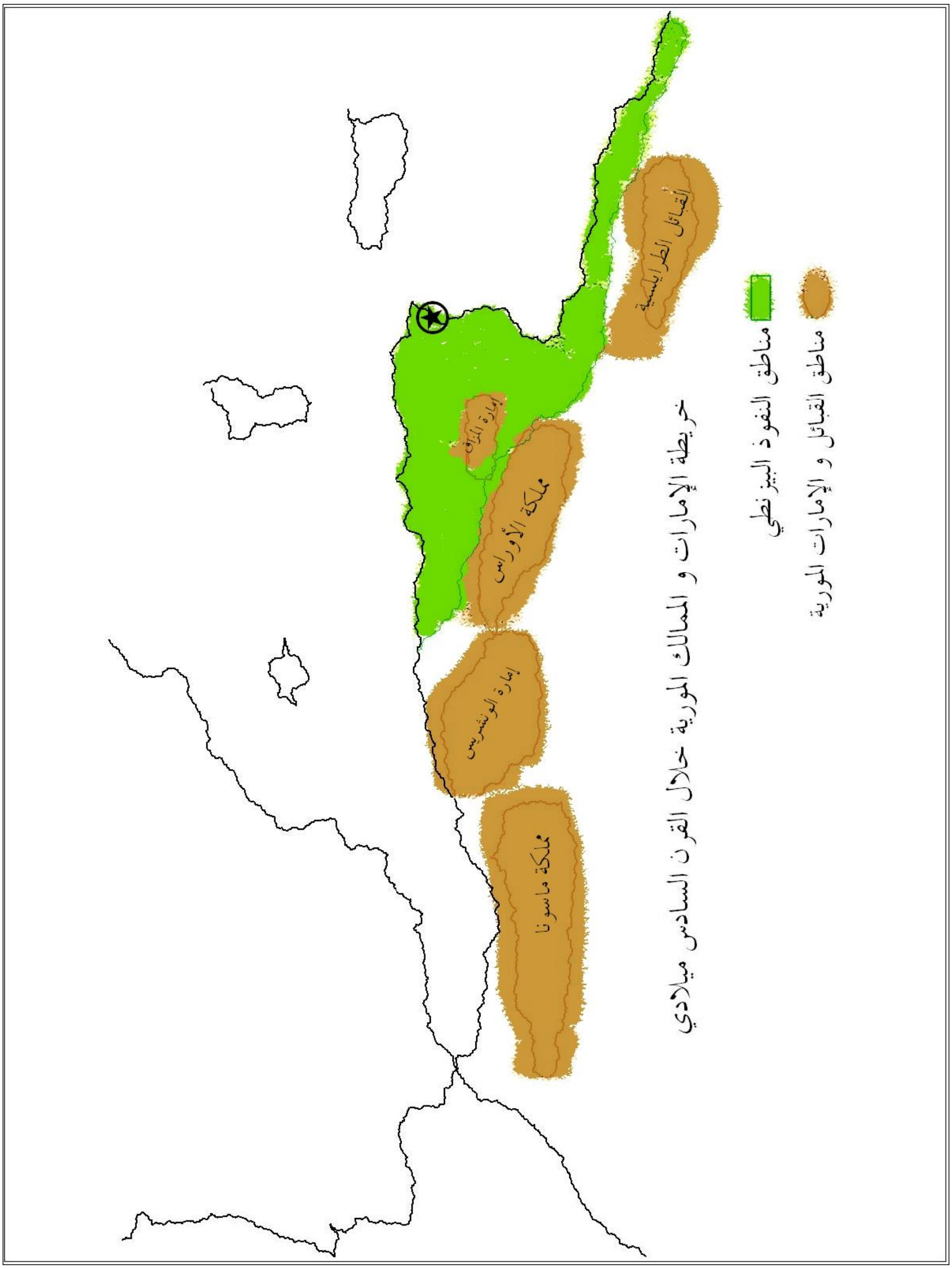
خريطة التقسيم الإداري للمقاطعة الإفريقية



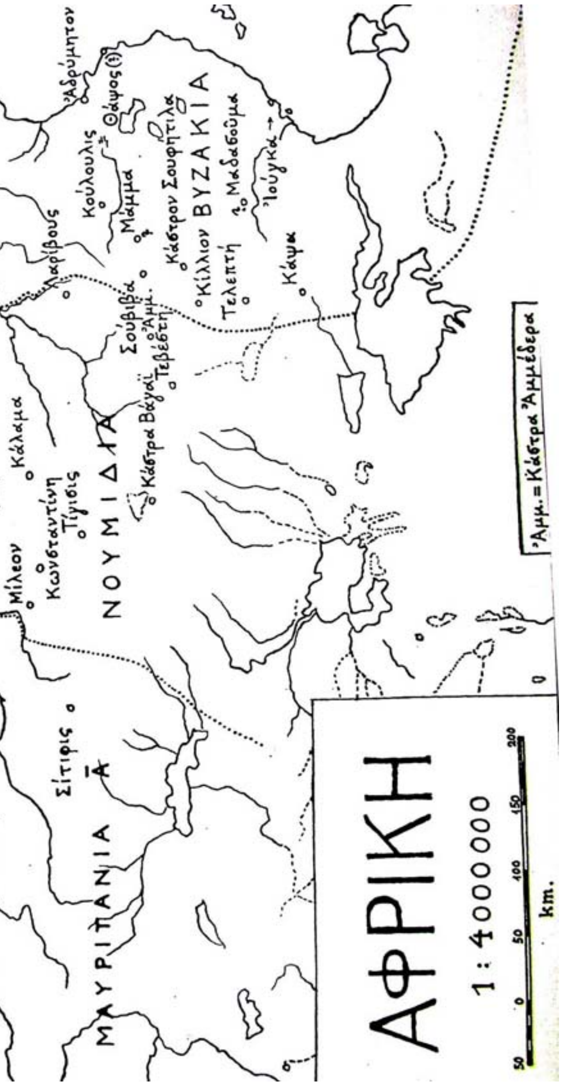
أهم مواقع نوميديا و موريطانيا السطائفية الواردة في قائمة 484

S.Lancel, Victor de vita ..Registre des provinces et des cités d'Afrique, Paris 2002


فريكي
تيجيس
بغاي
كويكول
موفت
سيطيفيس
زرايا
نقاوس
طبنة
بسكرة
أولاد تبان
زابي
أوزيا
الحضنة
0
100 كم



خريطة الإمارات و الممالك المورية خلال القرن السادس ميلادي


ΑΦΡΙΚΗ
1 : 4000000
km.
ΝΟΥΜΙΔΙΑ
ΒΥΖΑΚΙΑ
ΜΑΥΡΙΤΑΝΙΑ Α
Καρταγέννα
Προκονσουλαρίας
Ἀδρύμητον
Θάψος(?)
Κούλουλις
Μάμμα
Κάστρον Σουφητίλα
Κίλλιον
Τελεπτή
Κάψα
Μαδαβούμα
Ἰούγκα
Σούβιβα
Τεβέστη
Κάστρα Βάγαι
Ἵππων Νουμιδίας
Κάλαμα
Κωνσταντίνη
Τίγισις
Μίλεον
Σίτιφις
Ῥουσουκούρου (?)
Ἀμμ. = Κάστρα Ἀμμέδερα